7



البحر المتوسط
طنجة
سبتة
تطوان
العرائش
القصر الكبير
شفشاون
سوق الأربعاء
وزان
الحسيمة
مليلية
الناظور
وهران
2456
تارگيست
أكنول
تاونات
تايناست
القنيطرة
سلا
الرباط
الدارالبيضاء
الجديدة
الخميسات
تيسة
فاس
تازا
بركان
العيون
تاوريرت
وجدة
تلمسان
بن سليمان
برشيد
سي اسماعيل
سطات
الرماني
مكناس
صفرو
جرسيف
الزمامرة
أسفي
خريبكة
واد زم
إفرن
أزرو
بولمان
عين بني مطهر
صخور الرحامنة
البروج
ابن گرير
خنيفرة
الأطلس المتوسط
قصبة تادلا
الفقيه بن صالح
أوطاط أولاد الحاج
ميسور
النجود العليا
قلعة السراغنة
بني ملال
ميدلت
شيشاوة
مراكش
أزيلال
واويزغت
دمنات
تاحناوت
أمزميز
الأطلس الكبير
4165
4071
الريش
الرشيدية
بني تاجيت
بو عرفة
عين الصفرة
گلميمة
بوذنيب
إبش
ورزازات
بومالن
تارودانت
تاليوين
أرفود
فكيك
30°
بشار
2531
أگدز
بوازر
تزارين
الأطلس الصغير
زاگورة
طاطا
أقا
حمادة گير
العرق الغربي الكبير
واد درعة
جبل
حمادة
درعة
حمادة تونا سين
السراوي
عرق
عرگ ايگيدي
28°
مفتاح الخريطة
- أهم الطرق والمسالك
- نهر
- سد مهم
- حدود دولية
- من 0 إلى 200 ميتر
- من 200 إلى 500 ميتر
- من 500 إلى 1000 ميتر
- من 1000 إلى 2000
- من 2000 إلى أكثر من 3000 ميتر
- أكثر من 4000


المغرب
خريطة عامة
مقياس : 1/5000.000
200 كلم 100 0 50 كلم
تنريف
لاكوميرا
الجزر الخالدات
لنزاروت
فويرتفنتورا
لاس بالماس دي كناريا
200
طرفاية
الطاح
سبخة الطاح
أبطيح
طنطان
العيون
المكونية
الكعدة
الساقية الحمراء
ايدر
الحوزة
المسيد
بوجدور
سبخة اريدال
بوكراع
اسمارة
الفرسية
امسكالة
أشتوكن
امريكلي لبيض
واد الخط
اوغرانات
كلتة زمور
بئر أم اكراين
عين بن تيلي
الداخلة
العركوب
أحرحر
بئر أنزران
سبخة أغزومال
البكاري
أودرات
سبخة أم الدروس
200
أحرحر
ادرار سطوف
أوسرد
أغيلاس
بئر كندوز
لكويرة
تيشلا
الزوگ
الزويرات
12°

دعوة الحق

المغرب الأقصى

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط
1984 / 629

ردمك 7 - 000 - 03 - 9981 (المجموعة)
ردمك 4 - 007 - 03 - 9981 (الجزء 7)

بسم الله الرحمن الرحيم

اختصارات

تـ .	= توفي
تح.	= تحقيق
تر.	= ترجمة
خ. تـ	= خزانة تطوان
خ. ح.	= الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط
خ. ص.	= الخزانة الصبيحية بسلا
خ. ع.	= الخزانة العامة بالرباط
خ. ق.	= خزانة القرويين بفاس
خ. ي.	= خزانة ابن يوسف بمراكش
د. تـ	= دون تاريخ
د. د. ع.	= دبلوم الدراسات العليا
د. م.	= دون مكان
ط.	= طبعة
←	= انظر

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

المشاركون في تحرير مواد حرف التاء

محمد **أزهار**، كلية الآداب ـ المحمدية.
سعيد **أعراب**، باحث ـ تطوان.
الحسين **أفا**، كلية الآداب ـ أكادير.
عمر **أفا**، كلية الآداب ـ الرباط.
المختار **الأكحل**، كلية الآداب ـ المحمدية.
عمر **أكران**، معهد الآثار ـ الرباط.
الحسين **ألواح**، باحث.
محمد **الوزاد**، باحث.
حسن **أميلي**، كلية الآداب ـ المحمدية.
محمد **أمين**، باحث .
حسن **أنشاد**، باحث.
حمدي **أنوش**، كلية الآداب ـ أكادير.
مبارك **أوسديد**، باحث ـ الرباط.
محند **أيت الحاج**، وزارة التربية الوطنية ـ الدار البيضاء.
محمد **أيت حمزة**، كلية الآداب ـ الرباط.
بلغازي **باختي**، باحث.
عبد الحميد محيي الدين **الباعمراني**، كلية اللغة العربية ـ مراكش.
عبد الكبير **باهني**، وزارة السكنى والتعمير ـ الرباط.
محمد **البايك**، كلية اللغة العربية ـ مراكش.
محمد **البدراوي**، المعهد الزراعي ـ الرباط.
عكاشة **برحاب**، كلية الآداب ـ المحمدية.
الحسين **البعاوي**، وزارة التربية الوطنية ـ القصر الكبير.
محمد **بلعربي**، باحث ـ الرباط.
عائشة **البلغيثي العلوي**، كلية الآداب ـ الرباط.
عبدالعزيز **بلّ الفايدة**، كلية الآداب ـ القنيطرة.
البيضاوية **بلكامل**، كلية الآداب ـ الرباط.
رقية **بلمقدم**، المركز التربوي الجهوي ـ مكناس.
علي **البليشي**، كلية الآداب ـ الرباط.
أحمد **بنجلون**، باحث ـ الرباط.
زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب ـ المحمدية.
محمد **بنشريفة**، أكاديمية المملكة المغربية ـ الرباط.
عبد العزيز **بنعبد الله**، أكاديمية المملكة المغربية ـ الرباط.
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا.
عبد الرحيم **بنعلي**، كلية الآداب ـ بني ملال.
عمر **بنميرة**، كلية الآداب ـ الرباط.
محمد **بوخبزة**، باحث ـ تطوان.

عبد القادر **بوراس**، المركز التربوي الجهوي ـ القنيطرة.
رحمة **بورقية**، كلية الآداب ـ الرباط.
أحمد **البوزيدي**، كلية الآداب ـ فاس.
عيسى **البوزيدي**، كلية الآداب ـ القنيطرة.
محمد **بوسلام**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط.
أحمد **بوشرب**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء ـ عين السبع.
مصطفى **بوشعراء**، باحث ـ سلا
عبد الله **بوصحابة**، المعهد العلمي ـ الرباط.
إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب ـ الرباط.
بوشتى **بوعسرية**، كلية الآداب ـ مكناس.
عبد العزيز **بوعصاب**، كلية الآداب ـ القنيطرة.
أحمد **بوكوس**، كلية الآداب ـ الرباط.
أحمد **بومزكو**، وزارة التربية الوطنية ـ تيزنيت.
جامع **بيضا**، كلية الآداب ـ الرباط.
محمد بن **تاويت التطواني**، باحث ـ تطوان.
عبد العزيز **توري**، وزارة الشؤون الثقافية ـ الرباط.
أحمد **التوفيق**، معهد الدراسات الإفريقية ـ الرباط.
أحمد **توفيق الزينبي**، وزارة الفلاحة.
عبد العزيز **تيلاني**، كلية اللغة العربية ـ مراكش.
محمد **جادة**، كلية الآداب ـ الرباط.
الحسين **جهادي**، وزارة التربية الوطنية ـ الدار البيضاء.
محمد **الجوهاني**، باحث.
عمر **الجيدي**، دار الحديث الحسنية ـ الرباط.
محمد **حجي**، كلية الآداب ـ الرباط.
عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب ـ وجدة.
فاطمة **الحراق**، معهد الدراسات الإفريقية ـ الرباط.
إبراهيم **حركات**، كلية الآداب ـ الرباط.
عبد الجليل **حليم**، كلية الآداب ـ فاس.
محمد **حمام**، كلية الآداب ـ الرباط.
العربي **الحمدي**، كلية الآداب ـ بني ملال.
محمد **حنداين**، باحث.
محمد **حنيني**، كلية الآداب ـ الرباط.
علال **الخديمي**، كلية الآداب ـ الرباط.
محمد **خنفار**، باحث.
نجاة **الخياطي**، باحثة.
مارية **دادي**، كلية الآداب ـ وجدة.
المهدي **الدليرو**، وزارة الثقافة ـ الرباط.

المفضل **بوحة**، باحث.
نفيسة **الذهبي**، كلية الآداب ـ القنيطرة.
محمد **رابطة الدين**، كلية الآداب ـ مراكش.
محمد **رزوق**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء ـ عين الشق.
حسن **رشيق**، باحث.
محمد **رمضاني**، المعهد العلمي ـ الرباط.
محمد **رمضاني**، وزارة التربية الوطنية ـ وجدة.
بوجمعة **رويان**، باحث.
محمد **زرهوني**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء.
العياشي **الزيتوني**، وزارة الجالية المغربية بالخارج ـ الرباط.
محمد **السعديين**، وزارة التربية الوطنية ـ سلا.
رشيد **السلامي**، كلية الآداب ـ مراكش.
عبد المالك **السلوي**، كلية الآداب ـ المحمدية.
محمد **السماحي**، كلية الحقوق ـ الرباط.
الميلود **شاكر**، كلية الآداب ـ الرباط.
أحمد **شحلان**، مكتب التعريب ـ الرباط.
محمد **شقرون**، كلية الآداب ـ الرباط.
محمد **الشياظمي**، باحث ـ الرباط.
محمد **صابري**، كلية الآداب ـ أكادير.
علي **صدقي ازأيكو**، كلية الآداب ـ الرباط.
السعدية **صريح**، باحثة.
محمد **حجاج الطويل**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء .
عبد الرحمان **الطيبي**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط.
عبد الله **عاصم**، كلية الحقوق ـ الرباط.
عبد العزيز بن **عبد الجليل**، المعهد الوطني للموسيقى ـ مكناس.
الموساوي **العجلاوي**، كلية الآداب ـ مراكش.
أحمد **عزاوي**، كلية الآداب ـ القنيطرة.
محمد ابن **عزوز حكيم**، باحث ـ الرباط.
عبد الرحيم **العطاوي**، كلية الآداب ـ الرباط.
عز الدين **العلام**، كلية الحقوق ـ المحمدية.
حسن **علوي حافظي**، كلية الآداب ـ مراكش.
عبد الله **العمراني**، باحث ـ تطوان.
محمد **عمراني**، كلية الآداب ـ القنيطرة.
أحمد **عمالك**، كلية الآداب ـ مراكش.
عبد الله **العوينة**، كلية الآداب ـ الرباط.
مصطفى **عياد**، كلية الآداب ـ الرباط.
عبد الله **العياشي**، باحث.
عبد القادر **الغزالي الخراز**، باحث.
إدريس **فاسي**، كلية الآداب ـ الرباط.
عبد الإله **الفاسي**، كلية الآداب ـ القنيطرة.

يحيى أبو **الفرح**، معهد الدراسات الافريقية ـ الرباط.
حليمة **فرحات**، معهد البحث العلمي ـ الرباط.
حسن **الفكيكي**، كلية الآداب ـ القنيطرة.
محمد **فلا**، باحث.
مصطفى **فنيتر**، كلية الآداب ـ مراكش.
عبد القادر **القادري**، كلية الحقوق ـ الرباط.
أحمد **قدور**، كلية الآداب ـ القنيطرة.
زهرة **قنينبة**، معهد الآثار ـ الرباط
أ. **الكاتوني**، باحث.
محمد **كريوط**، كلية الآداب ـ الرباط.
محمد **كلاد**، باحث.
حسن **اللبادي**، وزارة البريد ـ الرباط.
محمد **اللحية**، كلية الآداب ـ أكادير.
جاك **ليفرا**، باحث.
سيمون **ليفي**، كلية الآداب ـ الرباط.
حسن **ليمان**، محافظ مدينة وليلي الأثرية.
محمد **ماكامان**، كلية الآداب ـ مراكش.
رضوان **مبارك**، كلية الآداب ـ مراكش.
محمد **مجدوب**، كلية الآداب ـ المحمدية.
الحسن **المحداد**، كلية الآداب ـ أكادير.
محمد **مستاوي**، باحث ـ الدار بالبيضاء.
الصديق **معنينو**، وزارة الاعلام ـ الرباط.
محمد **المغراوي**، كلية الآداب ـ الرباط.
عبد الرحمن **الملحوني**، باحث ـ مراكش.
محمد **المنصور**، كلية الآداب ـ الرباط.
عثمان **المنصوري**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء.
محمد **المنوني**، كلية الآداب ـ الرباط.
محمد **متيوي**، المعهد العلمي ـ الرباط.
مصطفى **مولاي ارشيد**، كلية الآداب ـ الرباط.
فاطمة **الموني**، باحثة.
مصطفى **ناعمي**، معهد البحث العلمي ـ الرباط.
رشيدة **نافع**، كلية الآداب ـ المحمدية.
زهرة **النظام**، كلية الآداب ـ المحمدية.
محمد الحبيب **نوحي**، كلية الآداب ـ أكادير.
أحمد **الهاشمي**، باحث.
محمد عبد الجليل **الهجراوي**، المتحف الأثري ـ الرباط.
المختار **الهراس**، كلية الآداب ـ الرباط.
أحمد **هوزالي**، كلية الآداب ـ مراكش.
علي **واحدي**، كلية الآداب ـ فاس.
أحمد **الوارث**، كلية الآداب ـ الجديدة.
الطاهر **وعزيز**، كلية الآداب ـ الرباط.

بيبليوغرافيا إضافة
إلى ما ذكر في الأجزاء السابقة

ع. م. **إبراهيم**،

حقيقة التبشير، مجلة *الوعي الإسلامي*، ع 180، أكتوبر 1979.

ج. **أبو النصر**،

طرقٌ صوفية في العصر الحديث : الطريقة التجانية، 1965.

ع. **الاجهوري**،

غاية التبيان لحل شرب ما لا يغيّب العقل من الدخان، مخطوط.

ح. **احبار**،

دراسة النمو الحضري لمركز تنغير، بحث لنيل الاجازة، فاس، 1989.

احتلال درعة : مراحله وحيثياته، أعمال ندوة كلية الآداب بأگادير، نونبر 1992.

ب. **الاشبيلي**،

كتاب التيسير في صناعة التسفير، نشر. ع. كنون، *مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد*، ع. 7 ـ 8. 1959 ـ 1960.

ع. **الاشقر**،

منطلقات إشكالية ومبادئ لتأسيس استراتيجية الإشراف التربوي، *ندوة الإشراف التربوي بين النظرية والممارسة*، الدار البيضاء، 22 ـ 23 أبريل 1994.

إقليم ورزازات،

مونغرافيا إقليم ورزازات، منجزات وآفاق، مارس 1986، ورززات، 1986.

م. **الاكحل**،

انتشار المكننة الزراعية وانعكاساته على التشغيل الفلاحي والبنية المجالية : مثال من بلاد زمور، جماعة أيت ميمون، د. د. ع، الرباط، 1987.

ع. **امحاند**،

خطر المبشرين في المغرب، *الميثاق*، 8 مارس 1970، 23 نونبر 1970.

ع. **أمرير**،

الشعر الأمازيغي المنسوب إلى سيدي حمّو، الدار البيضاء، 1980.

ع. **أمهان**،

الفنون المغربية الأصيلة، مجلة *أبعاد فكرية*، ع 2، 1989.

ص. **أمين**،

الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية، عمان، 1978.

ع. **أمين**،
الإشراف التربوي : واقع وآفاق، *المجلة التربوية*، ع 2.

ج. **أوفيد**،
اليسار الفرنسي والحركة الوطنية المغربية، 1905 ـ 1955، الدار البيضاء، 1988.

د. **إيكلمان**،
الاسلام في المغرب، الدار البيضاء، 1989.

أ. **باب التنبكتي**،
اللمع في الاشارة إلى حكم طبغ، مخطوط.

ع. **باينة**،
التنظيم الإداري بالمغرب، الدار البيضاء، 1991.
شرعية الاصلاح الحقيقي في التعليم العالي، *الاتحاد الاشتراكي*، ع 2815، 21 أبريل 1991.
المختصر في القانون الإداري المغربي، الدار البيضاء، 1985.

ع. **بدوي**،
مقالات الاسلاميين، بيروت، 1971.

البقدوري،
إتحاف أهل البدو والقرى.

خ. **بقطاش**،
الحركة التبشيرية في الجزائر من سنة 1860 إلى سنة 1879، *مجلة الثقافة*، ع 61، 1401 هـ.

ع. **البكريوي**،
الوجيز في القانون الإداري المغربي، الرباط، 1990.

أ. **بل**،
الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي، تر. ع. بدوي، بيروت، 1987.

أ. **ابن المامون البلغيثي**،
الابتهاج بنور السراج، القاهرة، 1319 هـ.

ع. **بلقاسم**،
تاريخ عائلات سلا.

م. **بنشريفة**،
حول كتاب المستفاد، *دعوة الحق*، ع 259.

ع. **بنشنهو**،
النظام الإداري بالمغرب، الرباط، (د. ت).

ع. **بنعبد العالي**،
الترجمة والمثاقفة، *الوحدة*، ع 61 ـ 62.

ف. **بوخريص،**

أحيدوس، معلمة المغرب، ج 1، الرباط، 1989.

م. ع. **بوخلفة،**

الطريق لمعرفة القصر الكبير، تطوان، 1972.

ر. **بورقية،**

العرف والشرع، المجلة المغربية للاقتصاد والاجتماع، ع 7، 1984.

أ. **البوسعيدي،**

بذل المناصحة في فعل المصافحة، مخطوط.

م. **بوسلام،**

تفتيش التعليم بين النصوص والواقع، بحث لنيل دبلوم مفتش التعليم الثانوي، الرباط، 1986 ـ 1987.

م. **بوشعراء،**

قبيلة بني حسن، 1860 ـ 1912، مخطوط.

ع. **بوفتاس،**

أمانوز، لمحات تاريخية واقتصادية واجتماعية، الدار البيضاء، 1991.

خ. **بوقرعة،**

الترجمة واللغة والهوية القومية، الوحدة، ع 61 ـ 62.

ح. **بولقطيب،**

جوانب العرف القبلي بمغرب العصر الوسيط، الاتحاد الاشتراكي الملحق الثقافي، 5 يناير 1992.

ـ *بيان تاريخي من مثقفي المغرب حول سياسة التعليم والغزو اللغوي الاستعماري للمغرب العربي*، الرباط، 1985.

م. **التراب،**

نظام الاكراه البدني كوسيلة للإجبار على التنفيذ، ضمن كتاب نظرات في الفقه والقانون، ج 1، الرباط، 1992.

تقرير حول التعليم العالي والبحث العلمي بالمغرب : منجزات وآفاق، المركز الوطني لتنسيق وتخطيط البحث لتنسيق وتخطيط البحث العلمي والتقني، الرباط، غشت 1989.

ع. **التامنارتي،**

ديوان، مخطوط. خ.ح.

م. **التاودي السقاط،**

خرق العوائد، مخطوط، خ. ع. 52 ك.

م. ابن **تاويت التطواني،**

تاريخ سبتة، الدار البيضاء، 1982.

أ. **التجيبي**،

برنامج التجيبي، تح. عبد الحفيظ منصور، تونس، 1981.

مستفاد الرحلة والاغتراب، تح. ع. منصور، تونس، 1975.

أ. **التستاوتي**،

شرح واردات العياشي التستاوتي، مخطوط، خ. ع. د 2010.

نزهة الناظر : شعر التستاوتي، جمع وتح. عبد اللطيف شهبون، د. د. ع، الرباط، 90 ـ 1991.

أ. **التطواني**،

الفقيه التطواني ودوره في البحث العلمي، بحث الإجازة، الرباط، 80 ـ 1981.

ع. **التغرغرتي**،

تراجم بعض علماء سوس، مخطوط.

ـ *تقاييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الايالة السعيدة من قصور ووثائق أخرى*، الرباط.

ع. **التليدي**،

حياة الشيخ أحمد بن الصديق.

ع. **التميمي**،

التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر خلال القرن 19، *المجلة التاريخية المغاربية*، ع 1، يناير 1974.

دور المبشرين في نشر المسيحية في تونس، *المجلة التاريخية المغاربية*، ع 3، يناير 1975.

م. **التديمي**،

المستفاد، قطعة مخطوطة.

ع. **توري**،

المسح الأثري بحوض سبو ومنطقة غمارة : نتائج الموسم الأول، مجلة كلية الآداب، الرباط، 11، 1985.

ع. **التوزاني**،

رسالة في الطريقة الناصرية، مخطوط، خ. ع مجموع 2705 ك.

م. **التوغزيفتي**،

الرسالة التوغزيفتية، مخطوط.

ابن **تومرت**،

أعز ما يطلب، تح. عمار الطالبي، الجزائر، 1985.

العقيدة، القاهرة، 1328 هـ.

ح. م. **جابر**،

الطريق إلى جماعة المسلمين، الكويت، 1984.

م. ع. **الجابري**،

أضواء على مشكل التعليم بالمغرب، الدار البيضاء، (د. ت).

ع. الجشتيمي،
اخصيگيون، مخطوط.
. الجعايدي،
إتحاف الأخيار بغرائب الأخبار، تح. ع. معنينو، د. د. ع، الرباط، 1990.
ت. الجعيدي،
رسالتان تتعلقان بهجوم الأسطول الفرنسي على سلا عام 1268 / 1851، مخطوط، خ. ص.
ط. جلال. م. عجاج،
تثبيت الكثبان الرملية وتشجيرها في شمال إفريقيا، تونس، 1986.
إ. بن الجنوي،
أبناؤنا بين أيدي المبشرين، الميثاق، ع 72، 1963.
م. ابن الحاج،
إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين، الدار البيضاء، 1992.
ت. ع. الحارتي،
البعثات التبشيرية الاميريكية في المغرب الاقصى قبيل الحماية الفرنسية، المجلة التاريخية المغاربية ع 63 ـ64، يوليوز 1991.
أ. ابن عاشر الحافي،
فهرس، دراسة وتح. محمد السعديين، د. د. ع، الرباط، 90 ـ 1991.
ع. حرازم برادة،
جواهر المعاني وبلوغ الأماني، وبهامشه كتاب *رماح حرب الرحيم على نحور حزب الرجيم* لسيدي عمر بن سعيد الفوتي الطوري، بيروت، 1383 هـ.
ـ *حركة التعليم في المغرب خلال الفترة 90 ـ 91 ـ 1992*، الرباط، 1994.
ع. حفيظ،
حول الترجمة والتعريب والتغريب : مأساة المصطلح وفراغ المعنى، الوحدة، ع 61 ـ 62.
م. ع. حلمي،
عادات الزي في المغرب الأقصى، (د. م) (د. ت).
ب.
الحركات البشرية في المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تونس، 1989.
م. حمام،
وثائق من أيت سدرات، بحث لنيل الإجازة، الرباط، 1978.
ل. الحمداوي،
واحة تنفير : دراسة في الجغرافية البشرية، بحث لنيل الإجازة، الرباط، 1977.
. حنداين،
تارودانت ومحيطها التاريخي، 1670 ـ 1790، ر. د. ع التاريخ، الرباط، 1993.

م. **حنيني**،

دراسة في الجغرافية الحضرية : الخميسات، د. د. ع، الرباط، 1980.

م. **الخالدي - ع. فروخ**،

التبشير والاستعمار، بيروت 1970.

ابن **خرذاذبه**،

المسالك والممالك، ليدن، 1889.

ي. ابن **خلدون**،

بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزائر، 1980.

م. بن **خليفة**،

القصر الكبير : أعلام أدبية وعلمية وتاريخية، القصر الكبير، 1994.

ع. **الخمليشي**،

إعلام المسلمين بمقاصد المبشرين، *الميثاق*، ع 80، دجنبر 1968، ع 107، مارس 1970.

سيدي علي **خنفر**،

تقييدات شرط مسجد أفركط خلال سنتي 1344 ـ 1345 هـ / 1925 ـ 1926، مخطوط خاص.

م. ابن أبي **دينار**،

المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط. 2، تونس، 1967.

الحافظ **الذهبي**،

سير أعلام النبلاء، تح. بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان، بيروت، 1984.

م. م. **رشيد**،

المغرب الأقصى عند الإغريق واللاتين، الدار البيضاء، 1992.

أ. **الركني**،

شفاء القلوب في مناقب الشيخ محمد بن يعقوب، مخطوط.

ح. ابن **ريسون**،

فتح التأييد في مناقب الجد وأخيه والوالد، تطوان، (د. ت).

ع. **زمامة**،

أسماء الحرف المعروفة بفاس، اللسان العربي، 1966.

فاس وصناعتها التقليدية، *مجلة كلية الآداب بفاس*، 1980 ـ 1981.

أبو بكر **زنيبر**،

الحالة التعليمية في المغرب قبل الحماية وبعدها، مخطوط.

العمل في أحكام الفقهاء، ملحق جريدة *المغرب*، سلا 1938 وما بعدها.

أ. **الزياتي**،

تاريخ بلدة خنيفرة، تح. محمد أ محزون، الدار البيضاء، 1986.

ع. ابن **السائح**،

بغية المستفيد لشرح منية المريد، القاهرة.

الساحلي،

بغية السالك في أشرف المسالك، مخطوط، خ. ع. 2630 ك.

ع. **السجلماسي**،

الإلمام ببعض من لقيت من علماء الإسلام، مخطوط.

م. **السجلماسي الرباطي**،

شرح العمل الفاسي، فاس، 1291 ـ 1298 هـ، ط. حجرية.

شرح العمل المطلق، فاس.

ابن مليح **السراج**،

أنس الساري والسارب، تح. محمد الفاسي، فاس، 1968.

ر. **سعيدو**،

الهجرة وأثرها على العلاقات الاجتماعية بدوار حارة المرابطين، منطقة تنغير، بحث لنيل الإجازة، الرباط، 1989.

أ. **السفياني**،

صناعة تفسير الكتب وحل الذهب، فاس، 1919.

أ. **سكيرج**،

إرشاد المتعلم والناسي في صفة أشكال القلم الفاسي، الجزائر، 1917.

السلطانة بنت شيخنا،

الشعر الشعبي في تكانت حتى نهاية الاستعمار، نواكشوط، 1990.

م. **السماحي**،

في مسطرة إيقاف التنفيذ أمام المجلس الأعلى، *مجلة نظرات في الفقه والقانون*، ع 1، 1992.

التنفيذ المعجل للأحكام المدنية في القانون المغربي : دراسة مقارنة، الدار البيضاء، 1985.

ع. **الشاذلي**،

التصوف والمجتمع، نماذج من القرن العاشر الهجري، الدار البيضاء، 1989.

م. **الشامي**،

حرب الريف والمأثور الشفوي : شعر المقاومة والجهاد، ندوة حول جوانب من الأدب في المغرب الأقصى، وجدة، 1986.

إ. **الشرادي**،

مجالس الجماعات الحضرية والقروية، الرباط، 1983.

م. **شفيق**،

أربعة وأربعون درسا في اللغة الأمازيغية، الدار البيضاء.

الشعر الأمازيغي والمقاومة المسلحة في الأطلس المتوسط وشرقي الأطلس الكبير، 1912، 1934، *مجلة الأكاديمية*، ع 4، 1989.

م. ابن **شقرون**،
مصادر التربية والتعليم في عهد الحماية الفرنسية والإسبانية، الرباط، 1982.
مظاهر الثقافة المغربية، الرباط، (د. ت).
م. **شماعو**،
المجتمع المغربي كما عرفته، الرباط، 1980.
خ. **شوقي**،
قبيلة السراغنة، د. د. ع، الرباط، 90 - 1991.
أ. **الصبيحي**،
مختصر تاريخ سلا، مخطوط، خ ص.
ع. **صدقي أزايكو**،
تيمتيار، الرباط، 1989.
أ. ابن **الصديق**،
التصور والتصديق.
م. م. **الصيادي**،
التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، بيروت، 1993.
م. **ضريف**،
الإسلام السياسي في المغرب، الدار البيضاء، 1992.
أ. **الطريبق**،
أدب التستاوي من خلال نزهة الناظر، د. د. ع، الرباط، 85 - 1986.
ع. **الطيبي**،
المجتمع الريفي قبل الحماية.
ع. **عابدين**،
التوثيق : تاريخه وأدواته، بغداد، 1982.
م. **عبد شافق**،
التوسع العمراني بمركز تنغير، بحث لنيل الإجازة، أگادير، 1993.
ح. ح. **عبد الوهاب**،
خلاصة تاريخ تونس، ط. 2، تونس، (د. ت).
م. **عبده**،
الإسلام والنصرانية بين العلم والمدينة، تقديم رشيد رضا، الجزائر، 1978.
عبيدة الشنقيطي،
ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية، القاهرة، 1951.
م. ابن **عثمان المراكشي**،
الجامعة اليوسفية بمراكش في تسعمائة سنة، الرباط، 1937.

ع. **العروسي**،

المرقي في بعض مناقب القطب محمد الشرقي، مخطوط، خ. ح. الرباط، رقم 2889.

م. ابن **عزوز حكيم**،

سفير تطواني في بلاط لويز الرابع عشر، (تحت الطبع).

فهرس خزانة الصحف العربية بتطوان، تطوان، ع 107، 1953.

مساهمة رباط تازروت في معركة وادي المخازن، الرباط، 1989.

ع. **العسري**،

كناش في أمور البحر، مخطوط.

أ. **عصيد**،

هاجس التحديث في النص الشعري الأمازيغي المكتوب، آفاق، 1، 1992.

م. **عشيش**،

المغرب الأقصى كما رأيته، القاهرة، (د. ت).

س. **علوش**،

خطاب الترجمة الأدبية: من الازدواجية إلى المثاقفة، المغرب الحديث 1912 - 1956، طنجة، 1990.

شعرية الترجمات المغربية للأدبيات الفرنسية، طنجة، 1991.

ح. **العمراني**،

ترقية رجال التعليم بالمغرب، د. د. ع، الرباط، 1989.

م. **عياد**،

المناطق المتجانسة الريفية ضمن التحولات الاجتماعية المجالية في الأرياف المغربية (ندوة)، الرباط، 1994.

أ. **عياش**،

المغرب حصيلة الاستعمار، تر. عبد القادر الشاوي.

ق. **عياض**،

الغنية، تح. ماهر زهير، بيروت، 1982.

م. **العيدوني**،

يتيمة العقود الوسطى، مخطوط، خ. ع. ك 305.

علي ابن ميمون **الغماري**،

رسالة الإخوان من أهل الفقه وحملة القرآن، مخطوط، خ. ع، 1780د.

الرسالة المجازة في معرفة الإجازة، مخطوط، ميكروفليم، خ. ع. 1341.

إ. **فاسي**،

الجفاف حول الصحراء، الطبيعة والسلوك البشري، دراسة بيئة، مجلة جغرافية المغرب، عدد 6.

ع. **الفاسي**،

نظم العمل الفاسي وشرحه، مخطوط، خ. ع، 1448د.

ـ التبشير المسيحي وبعض الوثنيات الطائفية الهندية، الرباط، 1973.

م. **الفاسي**،

التميمي والفندلاوي، *دعوة الحق*، ع 262.

أ. بن يحيى **الفشتالي**،

فتاوى علماء فاس في الدخان، مخطوط.

ع. **الفكون**،

محدد السنان في نحور أهل الدخان، مخطوط.

ح. **الفكيكي**،

عيسى البطوئي، *دعوة الحق*، ع. 256.

ع. **فونتير**،

الجامعة وقضية البحث العلمي في المغرب العربي، ندوة الجامعة الشتوية الثالثة، مراكش، 1991.

الوضعية النظامية للاساتذة الباحثين بالمغرب، د. د. ع، الرباط، 1992.

ش. **الفيتوري**،

الازدواجية اللغوية والازدواجية الثقافية في الوطن العربي، *الوحدة*، ع 61 ـ 62.

فيفري،

الأرقام العربية، *اللسان العربي*، ع 2، 1965.

م. **قبيسي**،

علم التوثيق والتقنية الحديثة، بيروت، 1982.

ر. **قدورة**،

المستفيدون من خدمات المكتبات ومراكز التوثيق، تونس، 1986.

ج. **كاني**،

المغرب الشمالي في أواسط القرن الخامس الهجري، *البحث العلمي*، 1973.

كتابة الدولة لدى الوزير الأول المكلفة بالشؤون الإدارية،

معجم الادارة العامة، الرباط، 1984.

ج. **الكتاني**،

الرياض الربانية في الشعبة الكتانية، مخطوط، خ. ع، 497 ك.

ع. **الكتاني**،

تبليغ الأمانة، مخطوط خ. ع. الرباط، ك 2729.

ابن **الكردبوس**،

تاريخ الأندلس، مدريد، 1971.

م. **كسرير**،

أضواء على تاريخ تارودانت، خزانة معهد محمد الخامس، تارودانت.

م. **الكشبور**،

عناصر عقد الشغل في التشريع الاجتماعي المغربي، الدار البيضاء، 1989.

ع. **كنون**،

شؤون إسلامية، الدار البيضاء (د. ت).

ع. **لطفي** (وآخرون)،

تاريخ الرياضيات، *اللسان العربي*، ع 2 و4 و12، ج 1 و ج 15.

ع. **لعلاوي**-م. **البخاري**،

النصوص الإدارية، الوظيفة العمومية والاصلاح الاداري، الرباط، 1992.

إ. **اللقاني**،

نصيحة الإخوان باجتناب الدخان، مخطوط.

ع. **لهمامي** (وآخرون)،

التدبير المالي والمادي والمحاسبي للمؤسسات التعليمية، الرباط، 1988.

إ. **ليفي بروفنسال**،

مؤرخو الشرفاء، تر. ع. الخلادي، الرباط.

م. **ماكامان**،

أدب الرحلة عند المغاربة، د. د. ع كلية الآداب، الرباط.

ت. **الماكري**،

بعض المظاهر الاجتماعية واللغوية للوجود اليهودي بدرعة. بحث للإجازة، أگادير، 1987.

ح. **المجاهد**،

أمارگ، *معلمة المغرب*، ج 2، الرباط، 1989.

مجهول،

الابتسام عن دولة ابن هشام، مخطوط، خ. ح، 12420 ز.

مجهول،

المحلي في مناقب الشيخ محمد بن مبارك، مخطوط، خ. ج 726.

مجهول،

المرأة المغربية والحلي، *العلم*، ع 870، 28، أبريل 1974.

مجهول،

مجموع الدخان، مخطوط.

مجهول،

معركة المصير في سبيل إصلاح التعليم وتعريبه، الرباط، 1967.

م. **محجوبي**،
الغرامة التهديدية وتطبيقتها، الرباط، 1993.
أ. ابن أبي **محلي**،
الحكاية الأدبية والرسالة الطلبية مع الإشارة الشجرية، مخطوط.
المختار ولد حامد،
حياة موريتانيا، 1994.
مديرية الإحصاء،
النشرة الاحصائية السنوية للمغرب، الرباط، 1990.
م. **مرغيني**،
المبادئ العامة للقانون الإداري المغربي، الرباط، 1984.
الوجيز في القانون الاداري المغربي، الرباط، 1978.
المركز الوطني للوثيق،
دليل الوحدات التوثيقية بالمغرب، الرباط، 1992.
ح. **مرواني**،
حول البنية الزراعية في تدغة، بحث لنيل الإجازة، الرباط، 1979.
م. **مستاوي**،
أسايس، الرباط، 1988.
إسكراف، الدار البيضاء، 1976.
م. **المنوني**،
إمارة بني يدر بسوس، مجلة دراسات، أكادير، ع 1، 1987.
تاريخ الوراقة المغربية، صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، الرباط، 1991.
حضارة وادي درعة، *دعوة الحق*، س 18، ع 2، 1973.
مدائن مكناسة القديمة من العصر الادريسي إلى أواخر عصر الموحدين، أعمال ندوة الحاضرة الإسماعلية، مكناس، 1988.
ابن **موسى تيسير**،
الكتابة عند العرب نشأتها، تطورها، أدواتها. الناشر العربي، أكتوبر 1987، ع 7.
- *الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة*، الرياض، 1982.
ص. **المومني**،
أوسّان صمّيضدنين، الدار البيضاد، 1983.
م. **ميارة**،
نظم اللآلي والدرر، مخطوط، خ. ح، 3702.

خ. المير، إ. **قاسمي**،

التشريع الإداري والتسيير التربوي، الدار البيضاء، 1982.

ع. **ناصيف**،

الترجمة : أهميتها ودورها في تطوير الأجناس الأدبية. الوحدة، ع 61 ـ 62.

إ. **نحال**،

التصحر في الوطن العربي، بيروت، 1987.

أ. **الندوي**،

الشيخ إلياس وحركته الدينية، (د. ت).

في مسيرة الحياة، دمشق، 1987.

النقابة الوطنية للتعليم العالي،

نحو إيجاد مشروع لإصلاح التعليم العالي وهيكلة البحث العلمي، الرباط، 1989.

م. ع. **الهجراوي**،

أشقار، معلمة المغرب، ج 2.

اقتراح أسماء جديدة لأدوات ما قبل التاريخ : من قضايا المصطلح، مجلة كلية الآداب، الرباط، ع 15.

بلاد سيدي علال البحراوي، معلمة المغرب، ج 3.

الحضارة الأشولية، معلمة المغرب، ج 2.

منطقة تافيلالت خلال فترة ما قبل التاريخ، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، الدورة الأولى، الريصاني، 1989.

ي. **هلال**،

النظام التوثيقي العربي، تونس، 1984.

ت. **الهلالي**،

السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم، الدار البيضاء، 1979.

هويسي ميراندا،

علي بن يوسف وأعماله بالأندلس، تطوان، ع 3 ـ 4، 1958.

وقعة أقليس ومصرع دون شانجة، تطوان، ع 2، 1957.

ع. ابن **الهيثم**،

البغية في ترتيب أحاديث الحلية، مخطوط، خ. ع رقم 2842 ك.

م. **الوزاد**،

ابن تومرت الأندلسي، مجلة كلية الآداب، فاس، 11، 1990.

وزارة التربية الوطنية،التعليم العالي،

تطور التعليم الجامعي بالأرقام.

وزارة التربية الوطنية،
تطور التعليم الجامعي بالأرقام.
التعليم العالي بالمغرب صور وأرقام، الرباط، 1985.
الدخول المدرسي والجامعي بالأرقام، 93 ـ 1994، الرباط، 1993.
منجزات وآفاق، الرباط، 1983.
نحو نظام تربوي جديد، الرباط، 1980.
هيكلة التعليم الثانوي، الرباط، 1994.
وثيقة إصلاح نظام التعليم، الرباط، 1985.
وثيقة عمل لإصلاح النظام التعليمي، الرباط، 1985.
وزارة التربية الوطنية وتكوين الأطر، كتابة الدولة في تكوين الأطر،
آفاق مهنية، الرباط، 1979.
وزارة التعليم وتكوين الأطر،
التعليم، الحالة، المشاكل، الاهداف، الرباط، 1970.
وزارة الداخلية،
وثائق المديرية العامة للجماعات المحلية، ج. ر، عددان 4164 و4165.
وزارة السكن والتعمير،
تعداد السكان، 1982.
وزارة الشؤون الإدارية،
الوظيفة العمومية تشريعات وقوانين تنظيمية، الرباط، (د. ت).
م. **الوطواط**،
مناهج الفكر ومباج العبر، ضمن كتاب *Extraits inédits relatifs à l'histoire du Maghreb*, Alger, 1924.
ف. **ولعلو**،
الاقتصاد السياسي، الدار البيضاء، 1974، ج 2 .
ف. **يكن**،
الموسوعة الحركية، عمان، 1983.
ح. **اليوسي**،
القانون، فاس، 1315 هـ، ط. حجرية.

Supplément
à la bilbiographie des ouvrages et des articles cités dans l'encyclopédie avec leurs abréviations

ABENSOUR, L. - *Ce que tout français doit savoir sur l'Afrique du Nord*, [s.d.].

ADAM, A. - *La Maison et le village dans quelques tribus de l'Anti-Atlas*, Rabat, 1951.

ADNAN, E. - *L'Artisanat créateur au Maroc*, Paris, 1938.

AHRENS, L.H. - *Distribution of the elements in our planet*, New-York, 1965.

AÏSSATI, A. EL. - *A study of the phonotactics of Ayt Touzin Tarifiyt Dialect*, D.E.S., Rabat, 1989.

AKERRAZ, A. - BROUQUIER, V. - LENOIR, E. - *L'Occupation antique de la plaine du Gharb, VIème colloque international sur l'archéologie et l'histoire de l'Afrique du Nord* (A paraître).

AKERRAZ, A. - LENOIR, M. - *Les Huileries de Volubilis*, *B.A.M*, 14, 1982.

AKERRAZ, A. - REBUFFAT, R. - *El Qsar el Kebir et la route intérieure de Maurétanie Tingitane entre Tremuli et Adnovas, in 113ème Congrès des Sociétés Savantes*, Strasbourg, 1988.

ALIMEN, H. - *Préhistoire de l'Afrique*, Paris, 1955.

ALLUES, E. des. - *Toumliline à la recherche de Dieu au service de l'Afrique*, Paris, 1961.

ALPHONSE. - *L'Achèvement de la pacification marocaine : méthodes et programme*, *R.M.F.*, 1935.

AMEUR, M. - *Fès ou l'obsession du foncier*, Tours, 1993.

Annuaire des assurances du Maroc, 1991, Casablanca, 1992.

ANTOINE, M. - *Aperçu sommaire sur les industries lithiques du Maroc Central*, *B.S.P.M.*, IV, Fasc. 1, 1930.

ANTOINE, M. - *L'Atérien du Maroc atlantique : sa place dans la chronologie nord-africaine*, *B.S.P.M.*, XIX, 1950.

ANTOINE, M. - *Les Grandes lignes de la préhistoire marocaine*, *IIème congr. Panafr. Préhist.*, Alger - Casablanca, 1952.

ANTOINE, M. - *Note de préhistoire marocaine : un gisement atérien en place dans les alluvions de l'Oued Goréa*, *B.S.P.M.*, VIII, 1934.

ANTOINE, M. - *La Préhistoire du Maroc atlantique et ses incertitudes*, *Soc. Sc. Nat. du Maroc*, 1948.

ANTOINE, M. - *La Question atéro-ibéromaurusienne au Maroc : historique et mise au point*, *B.S.P.M.*, XIV, 1937.

ANTOINE, M. - *Répertoire préhistorique de la Chaouia*, *B.S.P.M.*, T.1, 1927.

ANTOINE, M. - *Sur l'Atérien moyen et la Grotte de Dar-es-Soltan*, *Soc Sc. Nat. Maroc : C-R. Séances mensuelles*, n° 1, 1949.

AOUAD, R. - *Réseaux marocains en Afrique subsaharienne*, *R.M.E*, n° 4, 1993.

ARAMBOURG, C. - *Les Corrélations paléontologiques entre le Pléistocène de l'Europe et celui de l'Afrique*, *Bull. Soc. Géol. de France*, 7ème Ser., XI, n° 1, 1969.

ARAMBOURG, C. - *Vertébrés villafranchiens d'Afrique du Nord*, Paris, 1979.

ARNOLD, R. - *The Islamic book : a contribution to its arts and history from the VII - XVIII century*, Leipzig, 1929.

ARQUES, E. - *Tres Sultanes a la Porfia de un Reino*, Tetuan, 1953.

ASSY. - *La vie familiale à travers ses rites chez les Ziyaydu du Maroc*, D.E.S, Sorbonne, 1980.

AYOUB, E. - *La Fonction publique*, Paris, 1975.

AYOUN, R. - COHEN, B. - *Les Juifs d'Algérie : deux mille ans d'histoire*, Paris, 1982.

AZAM, P. - *Sédentaires et nomades dans le Sud marocain*, C.H.E.A.M., 16 Mai 1946.
BACAJCOA, D. - *Inventario de la Hemeroteca de Tetuan*, Tetuan, 1953.
BAHANI, A. - *Les structures agraires et les systèmes d'irrigation dans la palmeraie de Fezouata, Drâa Moyen*, Th. Doct., Rouen, 1990.
BALDAOUI, J. - *Les Arts indigènes au Maroc*, Paris, [s.d].
BALOUCHE, A. - *Paléoenvironnement de l'homme fossile halocène au Maroc . apport de la palynologie*, Th. Bordeaux I, 1986.
BALOUT, L. - *L'Homme préhistorique et la Méditerranée occidentale*, *R.O.M.M.*, n° 3, 1967.
BALOUT, L. - *Préhistoire de l'Afrique du Nord : essai de chronologie*, Alger - Paris, 1955.
BARDE, M.M. - *Coiffures féminines du Maroc*, Aix-en-Provence, 1990.
BARY, L. - *Etude syntaxique d'un parler de la langue tamazighte*, Rabat, 1983.
BATES, O. - *The Eastern Libyans*, London 1914 (1970).
BAYED, A. - *Le Milieu marin*, in *G.E.M. : géographie physique*, Rabat, 1987.
BAZIN, D. - *Etude géologique et métallogénique des chainons atlasiques du Tizi-N'Firest au Nord de Ksar-es-Souk, Maroc*, *Notes Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 206, 1968.
BAZIN, V. - TERRAY, E. - *Guerres de lignages et guerres d'Etats en Afrique*, Paris, 1982.
BAZZANA, A., [et al...]. - *Première prospection d'archéologie médiévale et islamique dans le Nord du Maroc*, *B.A.M.*, 1983 - 1984.
BEACH, P. - DUNPHY, W. - *Benedictine and Moor and Christian adventure in Moslem Morocco*, New-York, 1960.
BEAUBRUN, P.C. - *Un cétacé nouveau pour les côtes marocaines : Souza teuszii (Kukenthal, 1892)*, *Mammalia*, 54, 1990, 1.
BEAUDET, G. - *Le Plateau central marocain et ses bordures · étude géomorphologique*, Rabat, 1969.
BEAUDET, G. - *Le Paléolithique inférieur du Maroc atlantique*, Rabat, 1961, (P.S.A.M. ; 17).
BEAUDET, G. - *Les Plus anciennes industries du Maroc*, 9ème Congrès de l'U.I.S.P.P., 1976.
BEAUDET, G. - *Le Quaternaire marocain : état des études*, *R.G.M.*, n° 21, 1971.
BEAUPERE, - *Sur les vallées du Todgha, de l'Imider et du Saghro oriental*, in *Villes et Tribus du Maroc*, Vol. 9, 1931.
BELHOMME - *Les armes dans le Sous occidental*, *A.B.*, Vol. 2, fasc. 1, 1917.
BELHOMME, - *Les Poignards du Sous*, *F.M.*, n° 5, 15 Mai 1917.
BELLAOUI, - *Un exemple de régionalisation au Maroc . la région économique du Tensift*, *Revue de la Faculté des Lettres, Marrakech*, n° 4, 1989.
BELLICHI, A. - *Contribution à l'étude de la pluviométrie de la partie septentrionale du littoral atlantique marocain*, *Espace Rural*, n° 25, Juin 1991.
BELLON - HUMBERT, C. - *Les Mollusques marins testacés du Maroc : premier supplément*. Rabat, 1973.
BEN CHENEB, M. - *Etude sur les personnages mentionnés dans l'idjaza...*, Paris, 1908.
BENABID - BOUSQUET - MAHE, - *Plan de gestion du Parc National de Toubkal*, Rabat, 1993.
BENABID, A. - MAHE, - *Plan de Gestion du Parc Naturel de Talasemtane*, Rabat, 1994.
BENCHEKROUN, M. - *L'Education et l'enseignement au Maroc*, Rabat, 1985.
BENHAZERA, M. - *Six mois chez Touareg du Ahaggar*, Alger, 1908.
BENJELLOUN, A. - *Droit administratif*, Rabat, 1984.
BENSEDDIK, N. - *La Pratique médicale en Afrique au temps de Saint-Augustin*, *Africa Romana, Atti del VI Convegno di Studio Sassari*, 1988.
BENTAHAR, M. - *Villes et campagnes au Maroc*, Rabat, 1988.
BENYOUSSEF, A. - *Répertoire des publications des partis politiques au Maroc, 1956 - 1980*, Mémoire, E.S.I., Rabat, 1983.
BERNARD, A. - *Les Régimes des pluies au Maroc*, *Mem. Soc. Sc. Maroc*, n° 1, 1er Juin 1921.
BERNUS, E et S. - *Du sel et des dattes*, *Etudes nigériennes*, n° 31, 1972.

BERQUE, J. - *Al-Yousi, Problèmes de la culture marocaine au 17ème S.*, Paris, 1958.

BERQUE, J. - *La cité éminente, in Entretiens interdisciplinaires sur les sociétés musulmanes*, Paris, 1958.

BERQUE, J. - *Etudes d'histoire rurale*, Tanger - Fès, 1938.

BESANCENOT, J. - *Costumes du Maroc*, Rabat, 1988.

BIVAR, A.D.H. - HISKETT, M. - *The Arabic Litterature of Nigeria to 1804, B.S.O.A.*, XXV, 1, 1962.

BLANCO IZAGA, E. - *La Ley Rifeña*, Ceuta, 1939.

BOISSEL, De. - *Dans l'ombre de Lyautey*, Paris, 1954.

BOKBOT, Y. - *Habitat et monuments funéraires du Maroc préhistorique*, Th. Doct., Aix-en-Provence, 1991.

BOLENS, L. - *Les Parfums de beauté en Andalousie médiévale*, Genève, [s.d].

BONTE, P. - *L'Habitat sédentaire qsurien en Mauritanie saharienne*, in *Nomades et sédentaires en Asie Centrale, Actes du Colloque franco-soviétique*, Paris, 1990.

BORY, P. - *Métiers et arts indigènes*, Casablanca, 1941.

BOTTE, L. - *Au cœur du Maroc*, Paris, 1913.

BOUABDALLAOUI, Y. - *Rapport B.R.P.M*, 1981, Rabat, 1981.

BOUBOU, H. - *Recherches sur l'histoire des Touaregs sahariens et soudanais* , Niamey, 1967.

BOULANGER, A. - *Triton*, in *Dictionnaire Daremberg - Saglio*, Paris.

BOULIFA, S. - *Textes berbères en dialecte de l'Atlas marocain*, Paris, 1908.

BOUMNICH, D. - *Une pédagogie sans déchets*, Rabat, 1989.

BOUKOUS, A. - *Phonotactique et domaines prosodiques en berbère*, Th. Doct., Univ. Paris VIII, 1987.

BOUNFOUR, A. - *Linguistique et littérature*, Th. Doct., Univ. Paris III, 1985.

BOURCHOUK, K. - *Etude de paléolithique moyen à l'Aguelmane de Sidi Ali, Moyen Atlas*, Mem. I.N.S.A.P., Rabat, 1991.

BOUZOUGAR, A. - *Schémas opératoires du débitage et du façonnage à la moyenne Moulouya, l'exemple de l'ensemble lithique de Megdoul*, Mem. I.N.S.A.P., Rabat, 1991.

BOUVAT, L. - *La Parure, les vêtements et le voile, R.M.M.*, Vol. 4, 1908.

BOUZOUBAA, K. - *L'Enseignement au Maroc ou un voyage incertain*, Paris, 1982.

BREBION, H. - *Paléoclimatologie du quaternaire marin du Maroc atlantique : méthode d'études, variations dans le temps et dans l'espace, Cahiers du quaternaire, Hors-série : paléoclimats.*

BRETON, J.M. - *Droit de la fonction publique des états d'Afrique francophone*, Paris, 1990.

BRIVES, A. - *Les Richesses minérales du Maroc*, Archives du Service des Mines, 7 Avril 1919.

BROWN, K. - *The Curse of Westermarck, Ethnos* (Stockholm), Vol. 47, 1982.

BRUNOT, L. - *La Cordonnerie indigène à Rabat, Hesp.*, Vol. 33, 1946.

BRUNOT, L. - *Noms de vêtements masculins à Rabat*, in *Mélanges René Basset*, Paris, 1923, 2 Vol.

BRUNOT - DAVID, C. - *Les Broderies de Rabat*, Rabat, 1943.

BÜCHNER, H.J. - *L'Habitat post qsourien du Maroc présaharien*, in *Espace et Société dans les Oasis marocaines*, Rabat, 1993.

BÜCHNER, H.J. - *Types récents d'habitat oasien en remplacement du qsar . observations sur les modalités de constitution spontanée des nouveaux villages chez les Ahl Todgha*, in *Le Maroc : espace et société*, Rabat, 1990.

BÜCHNER, H.J. - *Le Village post qsourien des Aït Atta du bas Todgha et l'impact du droit coutumier, in Le Nomade, l'oasis et la ville*, URBAMA, Fasc. n° 20, Tours, 1989.

BURCKHARDT, T. - MICHON, J.L. - *Notes sur l'enseignement des métiers d'art traditionnel au Maroc*, Rabat - Fès, 1973.

CADENE, J. - *Le Personnel administratif et la diversité des statuts juridiques, R.M.D.C.*, n° 2, 1983.

CAJA, J. - *Roches éruptives basiques et minéralisation en plomb, zinc et stromtium de la région de Tirrhist, Haut Atlas de Midelt, Notes. Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 206, 1968.

CAILLE, E. - *Le Commerce anglais avec le Maroc, pendant la seconde moitié du 16ème S. : importations et exportations, R.A.*, T. 84, 1940.
CAILLE, R. - *Journal d'un voyage*, Paris, 1965.
CELERIER, J. - *L'Instruction publique au Maroc, B.E.S.M.*, Vol. 14, 1951.
CELERIER, J. - HARDY, G. - *Les Grandes lignes de la géographie du Maroc*, Paris, 1922.
CESAR MORAN, P. - GIMENEZ BERNAL, C. - *Excavaciones en Tamuda, 1946*, Tétouan, 1948.
CHADAÏ, L. - *Langages d'artisans à Marrakech*, Univ. de Paris 4, Doct. nouv. régim., 1986.
CHAMPION, P. - *Le Maroc et ses villes d'art*, Paris, 1931.
CHARMES, G. - *Une ambassade au Maroc*, Paris, 1887.
CHARNOT, M. - *La Toxicologie au Maroc*, Rabat, 1943.
CHARVET, J.P. - *La Plaine des Triffa, R.G.M.*, n° 21, 1972.
CHAUMEIL, J. - *Le Mellah et Tahal au pays des Ammeln, Hesp.*, 1er - 2ème trim. 1953.
CHAUMIER, J. - *Les Techniques documentaires*, Paris, 1988.
CHAUVEA, A. - *L'Industrie du cuir au Maroc, Chimie et industrie*, 2ème trim. 1920.
CHAZAN, N. - *Rapport B.R.P.M.*, 1951, Rabat, 1951.
CHEIKH, A.W. - *Eléments d'histoire de la Mauritanie*, Nouakchott, 1988.
CHEKROUN, M. - *Culture et pédagogie au Maroc*, Casablanca, 1989.
CHERKAOUI, A. - *Indicateurs socio-économiques du Maroc*, Casablanca, [s.d].
Cinq ans d'exécution du plan de coordination et d'équipement de l'Union française : réalisation, 1947 - 1951 et programmes 1952, Paris, 1952.
CHOUBERT, G. - *Essai de corrélation des formations continentales et marines du pléistocène au Maroc, Notes Mem. Serv. Géol. Maroc*, T. 25, 1965.
CHOUBERT, G. - ROCHE, J. - *Note sur les industries anciennes du Plateau de Salé, B.A.M.*, 1, 1956.
CHOUBERT, G., [et al...], *Essai de classification du quaternaire continental du Maroc, C.R.A.S.*, T. 243, 1956.
CLANDOT - HAWAD, H. - *Des états - nations contre un peuple : le cas des Touaregs, R.O.M.M.*, n° 44, 1987.
CLANDOT - HAWAD, H. - *Les Touareg ou la résistance d'une culture nomade, R.O.M.M.*, n° 51, 1989.
CLEMENT, J.F., *Révoltes et répressions au Maroc, Al Asas*, n° 13, Jan. 1979.
CLORIOND, L. - *Les Problèmes de l'eau au Tizimi et au Tafilalet, B.E.M.*, Vol. 6, n° 17, 1937.
CLOUZOT, H. - *Les Bijoux indigènes au Maroc, en Algérie et en Tunisie*, Paris, 1906.
COHEN, A. - *Le Talmud*, trad. J. Marty, Paris, 1950.
COLIN, G.S. - *La vie marocaine*, Paris, 1953.
COSLON, - *Notes sur les dinars trouvés en 1851 dans l'ancienne chapelle du monastère Del - Camp, Rev. Numismatique*, 18, 1853.
CRETINEAU-JOLY, J. - *Histoire religieuse, politique et littéraire de la compagnie de Jésus*, Paris, 1844.
CUVELIER, F. - *Histoire du livre : voie royale de l'esprit humain*, Monaco, 1982.
DAHL, S. - *Histoire du livre : de l'antiquité à nos jours*, Paris, 1960.
DAUGAS, J.P., [et al...]. - *Le Néolithique nord-atlantique du Maroc : premier essai de chronologie par le radiocarbone, C.R.A.S.*, T. 308, série 2, 1989.
DAUMAS, G. - *La vie arabe et la société musulmane*, Paris, 1983.
DEBENATH, A. - *Aspect de la préhistoire marocaine, Bull. Soc. Préh. Fr.*, T. 78, 1981.
DEBENATH, A. - *Les Atériens du Maghreb, Dossier d'archéologie*, 1991.
DEBENATH, A. - *Dar - Es - Soltan II : rapport d'activité mission préhistorique et paléontologique au Maroc*, 1981 - 82.
DEBENATH, A. - *Nouvelles familles à Dar-Es-Soltan : champ de tir d'El Menzeh, prés de Rabat, Maroc : Note préliminaire, Bull. Soc. Préhist. Fr.*, T. 69, 1972.

DEBENATH, A. - LACOMBE, J.P. - *Remarques sur la double sépulture néolithique du gisement d'El Harhoura II, Province de Témara, Maroc, Arqueologia*, 12, 1986.
DEBENATH, A. - RAYNAL, J. P. - TEXIER, J.P. - *Position stratigraphique des restes humains paléolithiques marocains sur la base des travaux récents, C.R.A.S.*, T. 294, 1982.
DECROUX, P. - *Quelques aspects de la nationalité marocaine, Hesp.*, Vol. 35, 1948.
DELAFOSSE, M. - *Haut - Sénégal - Niger*, Paris, 1912, 3 vol.
DELPY, A. - *Les divers types de poignards marocains, C.A.T.A.N.*, n° 6, 1960.
DENOUN, - *Notice sur les Aït Atta du Sahara*, 1913
DENOUN, - *Renseignement complémentaire sur les Aït Atta*, 1924.
DEROUT, R. - *Le Maroc doit-il avoir son université ? - Le Maroc quotidien*, 16 Déc. 1948.
DESPUJOLS, P. - *Recherches minières au Maroc : des origines à 1930, Notes Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 37, 1930.
DETHIERS, J. - *Soixante ans d'urbanisme au Maroc, B.E.S.M.*, n° 118, 1970.
DEVERDUN, G. - *Les Chrétiens à Marrakech des origines à 1912*, Rabat, 1966.
DEVISSE, J. - *Commerce et routes du trafic en Afrique occidentale, in Histoire Générale de l'Afrique*, III, Paris, 1990.
DEVISSE, J. - ROBERT, S. - *Tegdaoust, I : Recherches sur Aoudaghost*, Paris, 1970.
Le Dictionnaire Colin d'arabe dialectal marocain, Rabat, 1993 - 1994, 3 Vol.
DIDIER, CH. - *Promenade au Maroc*, Paris, 1844.
DIRECTION DES EAUX ET FORETS ET DE LA CONSERVATION DES SOLS. - *Guide du Reboisement au Maroc*, Rabat, 1978.
DIRECTION DES EAUX ET FORETS ET DE LA CONSERVATION DES SOLS. - *Le Plan National de Reboisement (P.N.R)*, Rabat, 1971.
DIRECTION DES EAUX ET FORETS ET DE LA CONSERVATION DES SOLS. - *Projet d'étude et d'identification des aires protégées et de l'élaboration des plans de gestion des parcs nationaux du Maroc*, Rabat, 1993 - 1994.
DONNET, G. - *En Sahara à travers le pays des Maures nomades*, Paris, 1989.
DONNET, G. - *Une mission au Sahara occidentale : du Sahara au Tiris*, Paris, 1896.
DOROSO, R. - *Estudio geografico - politico militar*, Madrid, 1913.
DOULS, C. - *Voyages dans le Sahara occidental et le Sud marocain, Soc. Normande de Géographie*, Jan. - Fév. 1888.
DOZY, R. - *Dictionnaire détailié des noms des vêtements chez les arabes*, Amsterdam, 1845.
DRESCH, J. - *Le Haut Atlas occidental*, Paris, 1951.
DRESNAY, R. du. - *Carte géologique du Haut Atals Oriental au 1 / 200.000, Notes Mem. Serv. Geol. Maroc*, n° 158, 1964.
DUBIEF, J. - *Une mission au Sahara occidental, Oct. - Déc. 1942, Travaux de l'I.R.S.*, 1943.
DUVEYRIER, H. - *Les Touareg du Nord*, Paris, 1864.
ECKHOLM, E. - BROWN, L.R. - *Spreanding deserts : The hand of man*, Washington, 1977.
EL HAJRAOUI, M. A. - *Etude paléopédologique et préhistorique dans la région de la Mamora : précisions stratigraphiques, B.A.M.*, XVII, 1987 - 1988.
EL HAJRAOUI, M. A. - *Nouvelles découvertes néolithiques et atériennes dans la région de Rabat, Grotte d'Elmnasra, Actes du Congrès Méditerranéen Historique de Lisbonne*, n° 2, 1993.
EL HAJRAOUI, M. A. - *La Région de la Mamora dans son contexte géologique et paléopédologique*, Th. 3ème cycle, Bordeaux I, 1986.
EL KHATIB, N. - *L'Archéologie marocaine de 1961 à 1964, B.A.M.*, V, 1964.
EL KIRAT, A. - *Spirantization in the Beni Iznassen Dialect*, D.E.S, Rabat, 1987.
EL MEDLAOUI, M. - *Aspects des représentations phonologiques dans certaines langues chamito-sémitiques*, Th. Doct., Rabat, 1992.
EL MOUJAHID, E. - *Syntaxe du groupe nominal en berbère tachelhiyt*, Th. Doct., Rabat, 1993.
EL OUAZZANI, K. - *Coûts et rendements de l'enseignement supérieur au Maroc*, Casablanca, 1991.

EL YAAGOUBI, M. - *Le Droit administratif marocain*, Rabat, 1992.
ENNAJI, M. - *L'Emigration rurale intérieure : causes et incidences*, in *Actes du Colloque : Population et développement rurale*, Rabat, 1989.
Ensiklopedia Talmudit, Jérusalem, 1954.
ETIENNE, J. D', [et al...] - *L'Evolution sociale du Maroc*, Paris, [s.d].
EUSTACHE, D. - *Les Ateliers monétaires du Maroc*, *H.T.*, XI, 1970.
EUSTACHE, D. - *Le Corpus des dirhams Idrissites*, *B.S.H.M.*, n° 2, 1969.
EUZENNAT, M. - *Tamuda, The Princeton Encyclopedia of Classical Sites*, Princeton, 1976.
FAURE, R. - *Le Tafilalet : étude d'un secteur traditionnel d'irrigation*, Paris, 1968.
FERHAT, H. - *Le Maghreb aux XIIème et XIIIème siècles, les siècles de la foi*, Casablanca, 1993.
FIDEL, C. - *Le Commerce du Maroc*, [s.l], [s.d].
FLORET, C. - *Rapport sur l'érosion éolienne dans les régions d'Agadir et d'Ouarzazate*, Rabat, 1975.
FORGET, J. - *Initiation à la documentation*, Paris, 1988.
FORTIN, J.C. - *La Nappe phréatique salée du Tafilalet : son contrôle pour le développement de la mise en valeur*, *H.T.E.*, n° 7, 1973.
FOUCAULT, A. - RAOUL, J.F. - *Dictionnaire de géologie*, Paris, 1988.
FOUET, R. - POMEROL, C. - *Minerais et terres rares*, Paris, 1954.
FRACESHI, H.A. - *Costumes et bijoux au Maroc*, *L'Oeil*, n° 294 - 295, Janv.-Fév. 1980.
FREYSSINET, J. - *Formes et mobilisation du travail dans les économies sous développées*, in *Colloque Travail et Société*, Fès, 1984.
FUGLESTAD, F. - *Les Révoltes des Touareg du Niger, 1916 - 1917*, *Cahiers d'études africaines*, Vol. 13, n° 49, 1973.
GABUS, J. - *Notes sur le Sahara occidental*, *J.S.A.*, XXII, 1952.
GART, P.S. - *The American oyster*, *Fish. Bull., Vol. 64, 1964*.
GAUDEFROY - DEMOMBYNES, R. - *L'Oeuvre française en matière d'enseignement au Maroc*, Paris, 1928.
GAUTIER, E.F. - *Le Chott Tigri*, *Annales de Géographie*, n° 135 et 136, 1916.
GAY, L. - *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1957.
GEERTY, C. - *Suq : the Bazar economy in Sefrou*, in *Meaning and order in Moroccan Soceity*, Cambridge, 1979.
Géologie des gites minéraux marocaine : substances métalliques et non métalliques, Rabat.
GHALLAHI, O.M.F. - *Essai expérimental d'élevage de l'huitre plate (O. edulis) dans la côte atlantique marocaine : langune de Moulay Bousselham et l'estuaire de Tahadart*, Mem. I.A.V., 1989.
GHIRELLI, A. - *Apuntes sobre la Cabila de Beni Ileft*, Madrid, 1956.
GHIRELLI, A. - *Monographia de la Kabila de Bokoia*, *Arch. Inst. Et. Afr.*, VIII, n° 32, 1955.
GIGOUT, M. - RAYNAL R. - *Recherche à la corrélation des phénomènes marins et continentaux dans le quaternaire marocain*, *C.R.A.S.*, T. 248, 15, 1959.
GLOTIN, R. - *A la recherche de l'école de demain*, Paris, 1970.
GOICHON, A.M. - *La Broderie du fil d'or à Fès*, *Hesp.*, Vol. 25, 1939.
GOLDZIHER, I. - *Le Livre de Mohamed Ibn Toumarte*, Alger, 1903.
GORICHON, - *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1953.
GOURAULT, - *Mauritanie Adrar*, Paris, 1945.
GOYAU, G. - *Le Christianisme sur la côte Barbaresque jusqu'au 19ème S.*, Paris, 1930.
GOZALBEZ, E. - *Atlas arqueologico del Rif*, *C.B.E.T.*, 21 - 22, 1980.
GREILSAMMER, - *La Modernisation du Paysanat*, C.H.E.A.M.
GUARNER, V. et J. - *El Sahara y Sur maroqui españoles*, *Coll. Bibliogr. Militar*, XL, 1931.
GUERSSEL, M. - *Issues in Berber phonology*, M.A. Univ. of Washington, 1976.
GUIBERT, J. - *L'Histoire d'une ville : Tiznit*. Mem. E.H.E.S.S., Paris, 1970.
GUILLAUME, A. - *L'Oeuvre des S.I.P. au Maroc depuis la guerre*, *B.E.S.M.*, XIV, n° 50, 1951.

GUILLERMO GUASTAVINO, G. - *Tanger inglés*, Tanger, 1939.

GUYOT, R. - *Les Arts du cuir au Maroc*, Rabat, 1957.

HABBOUN, A. - *Etude de l'industrie lithique du Chaperon Rouge II*, Mem., I.N.S.A.P., Rabat, 1991.

HALLAF, J. - *A qui profite l'école*, Paris, 1974.

HAMMOUDI, A. - *Pouvoir et société : Tamegrout aux XVII et XVIII siècles*, *A.E.S.C.*, Mai-Août 1980.

HARBY, M.K. - *L'enseignement technique dans les pays arabes*, Paris, 1965 (UNESCO).

HARDY, G. - *Le Maréchal Lyautey et l'enseignement*, *A.F.*, Août 1934.

HARRIES, M.J. - *Syntactic structure of Tamazight*, Ph. D. Univ. of California, 1971.

HART, D. - *A Customry law Document from Aït Atta*, *R.O.M.M.*, n° 1, Sept. 1966.

HART, D. - *Assu - u - Baslam*, in *Les Africains*, T. 5.

HART, D. - *La Estructura social de las Rgaybat : nomadas arabofonos del Sahara ocidental y las antecedentes del Frente Polisario*, *Primer Congreso Hispano Africana de la Cultura Mediterraneas, España y El Norte de Africa.*

HATIM, A. - *La Nation d'interêt du service dans le droit de fonction publique marocain*, D.E.S., Rabat, 1988.

HENSCH, B. - *Le contrôle de l'érosion hydraulique au Maroc*, Rome, 1971.

HENSCH, B. - *L'Erosion hydraulique au Maroc : son calcul et son contrôle*, *El Awamia*, n° 32.

HERBER, K. - *Les Peintures corporelles au Maroc*, *Hesp.*, Vol. 9, 1929.

HERBER, K. - *Les Tatouages de la face chez la marocaine*, *Hesp.*, Vol. 33, 1946.

HERBER, K. - *Les Tatouages des bras de la marocaine*, *Hesp.*, Vol. 38, 1951.

HESIODE, - *Théogonie*, trad. P. Mason, Paris, 1928.

HUNWICK, J. - *Notes on a late fifteenth century document concerning Al Takrur*, in Allemand Jonhson, Ed, *African perspectives*, Cambridge, 1970.

IAZZI, E.M. - *Morphologie du verbe en Tamazight*, D.E.S., Rabat, 1991.

IBANEZ, E. - *Diccionario español - rifeño*, Madrid, 1944.

IBANEZ, E. - *Diccionario español - Senhayi : dialecto berber de Senhay de Serair*, Madrid, 1959.

IBARROLA, J. - PASQUERELLI, N. - *Nouveau dictionnaire économique et social*, Paris, 1981.

IBN AZZUZ HAKIM, M. - *La Prensa del Norte de Marruecos*, Tetuan, 1956.

IBN AZZUZ HAKIM, M. - *Titulos vobiliano, Hispano - Maruquies*, Tetuan, 1954.

INSTITUT DU MONDE ARABE. - *Répertoire des bibliothèques et des organismes de documentation sur le Monde Arabe*, Paris, 1988.

ISNARD, H. - *La Répartition saisonnière des pluies au Maroc*, *Annales de Géographie.*

JACQUES MEUNIE, D. - MEUNIE, J. - *Abbar et le Tafilalet d'après les textes*, *Hesp.*, 1 - 2 trim., 1959.

JEAN, C. - *Les Touareg du Sud-Est : l'Aïr*, Paris, 1909.

JOUANNET, C.P. - *Note sur les conditions actuelles de la vie au Tafilalet*, *B.E.M.*, n° 23, 1939.

KAMAL, A. - *Productivité et rentabilité de l'enseignement au Maroc*, D.E.S, Rabat, 1983.

LAADIOUI, A. - *Etude de la céramique cardiale d'Achakar et de Kaf Taht - El - Ghar dans le cadre de la néolitisation du Maroc*, Mém., INSAP, Rabat, 1991.

LA BOISSIERE, G. de. - *Monographie des Ahl Tiznit*, Mém., *Archives Diplomatiques*, Nantes, 1940.

LA CHAPPELLE, F. De. - *Histoire du Sahara occidental*, in *VIIème Congrès de l'I.H.E.M sur l'histoire du Sahara occidental*, Rabat, 1930.

LA CHAPPELLE, F. De. - *Une cité de l'Oues Dra*, *Hesp.*, IX, 1929.

LACOMBE, J.P. - EL HAJRAOUI, M.A. - DAUGAS, J.P. - *Etude anthropologique préliminaire des sépultures néolothiques de la grotte d'Elmnasra, Témara Maroc*, *Bull. Trim. Soc. d'Anth. du S.W.*, T. 26, 3ème tri., 1991.

LA COURBE, - *Premier voyage du Sieur La Courbe*, Ed. par P. Cultra, Paris, 1913.

LAMRANI, N. - *Prolétarisation de la paysannerie marocaine : évolution et forme*, Th. 3ème cycle, Grenoble, 1980.

LAOUINA, A. - *Implications spatiales et environnement des transformations socio-économiques et technologiques sur les campagnes marocaines*, in *Le Maroc : espace et société*, Rabat, 1990.

LAOUST, E. - *Le dialecte berbère du Rif, Hesp.*, 2ème trim., 1927.

LARRIBAUD, J. - *Tindouf et le Sahara occidental, Archives de l'Institut Pasteur d'Algérie*, XXX, n° 3, Sept. 1952.

LAYACHI, A. - *La Formation professionnelle*, Mémoire, cycle Sup. ENAP, Rabat, 1971 - 77.

LAZAREV, G. - *Structures agraires et grandes propriétés au pays Hayaïna, R.G.M.*, n° 9, 1966.

LEBLANC, M. - *Etude géologique et métallonégique du Jbel Bou-Arhous, et de son prolongmenet oriental, Haut Atlas oriental, Notes Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 206, 1968.

LEBLANC, M. - *Ophiolites précambriennes et gites arséniés de Cobalt, Bou Azzer, Maroc, Notes. Mém. Serv. Géol. Maroc*, n° 280, 1981.

LE BRETON, J. - *La Modernisation rurale du Maroc, 1945 - 1946*, mémoire de l'I.I.A.P.

LEBRUN, A. - *La Question du Rio de Oro, A.F.*, 1929.

LECOINTRE, G. - *Recherches géologiques dans la Meseta marocaine, Mem. Soc. Sc. Nat.*, n° 14, 1926.

LE TEMPLIER, - *L'Enseignement supérieur au Maroc, B.I.M.*, Sept. 1954.

LENOIR, M. - *Les Etablissements militaires romains d'Afrique*, Rome, 1980.

LENOIR, M. - *Lixus à l'époque romaine*, in *Lixus, Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P.*, Larache, 8 - 11 Nov. 1989, Rome, 1992.

Lettre pastorale aux fidèles et prêtres repandus dans le royaume du Maroc, Paris, 1936.

LEVI-PROVENÇAL, E. - *Al-Maghrib, vie intellectuelle, E.I 2*, Vol. 5.

LEVRAT, J. - *Une expérience de dialogue : les centres d'étude chrétiens en monde musulman*, Altenberge, 1987.

LHOTE, H. - *Les Touareg du Haggar*, Paris, 195.

LIMANE, H. - *Contribution à l'étude des sigillées d'importation en Maurétanie Tingitane des Ier et IIème siècles : étude du matériel de Lixus, Banasa, Tamuda*, Th. Univ. Aix-Marseille, 1988.

LIMANE H. - REBUFFAT, R. - *Voie romaine et système de surveillance militaire sur la carte d'Arbaoua, in 118ème Congrès national des sociétés historic*[illegible]*s et scientifiques.*

LOPES, D. - *Bentafut, alcaidemouro eo servico de Po*[illegible] in *Textos em aljamia portuguesa, estudio filologico e historico*, Lisboa, 1940.

LUCCIONI, J. - *Les Fondations pieuses au Maroc, Habou*[illegible], Rabat.

LUQUET, A. - *Prospections puniques de la côte atlantiq*[illegible]*u Maroc, Hesp.*, XLIII, 1956.

MACHRAFI, M. - *A propos de la réorganisation de* [illegible]*seignement supérieur au Maroc*, [s.l.], 1966.

MAIGRET, J. - *Données nouvelles sur l'écologie du Sousa teuszii (Cetacea Delphinidae) de la côte ouest africaine, B.I.F.A.N.* (A), 1980.

MAIMONIDE, M. - *Epîtres*, trad. J. de Hulster, Paris, 1983.

MALVAL, - *Le Secteur sud-ouest du front marocain, A.F.R.C.*, Août 1924.

MARCY, G. - *Notes linguistiques autour du périple d'Hannon, Hesp.*, XX, 1935.

MARCY, G. - *Le périple d'Hannon dans le Maroc antique de M.J. Carcopino*, J.A., 1943 - 45.

MARGAT, J. - *L'Alimentation en eau potable des populations de la plaine du Tafilalet, Notes Mar.*, n° 13, 1960.

MARGAT, J. - *Données sur l'habitat au Tafilalet . contribution à l'étude démographique des palmeraies du Sud marocain, Notes marocaines*, n° 11 - 12, 1959.

MARTIN, H. - *Les Tribus du Sahel et du Rio de Oro, B.I.F.A.N.*, 1, 1939.

MASSIGNON, L. - *Sahara Espagnol, Rio de Oro, R.M.M.*, 1925, 1er fasc.

MAUNIER, R. - *La Construction collective de la maison en Kabylie étude sur la coopération économique chez les berbères du Djurdjura*, Paris, 1928.

MAURA, G. - *La Question marocaine au point de vue espagnole*, Paris, 1921.

MAXWELL, G. - *El Glaoui : dernier Seigneur de l'Atlas*, Paris, 1966.

MAYEUX, M.R. - *Cours internationaux d'été de Townliline, 1956, 1957, 1958, 1959, Arch. Soc. Rel.*, n° 9, 1960.

MECHERFI, A. - *Les Devoirs du fonctionnaire, R.M.D.E.D.*, n° 14, 1987.

MEDCOF, J.C. : *Oyster farming in the maritimes, Fish. Res. Canada Bull.*, 131, 1961.

MEDIONI, R. - *Le Chott Tigri, Notes Mém. Serv. Géol Maroc*. T. 30, n° 225, 1970.

MEDIONI, R. - *Contribution à l'étude géologique des Hauts-Plateaux méridionaux marocains, Notes Mém. Serv. Géol. Maroc*, T. 19, n° 149, 1960.

MENCHIF KADDOUA, - *Etude comparative de développement des centres ruraux de service dans le pays Zamour*, INAO, 1984.

MERROUNI, M. - *Le Problème de la réforme dans le système éducatif marocain*. Rabat, 1993.

MESSIER, R. - *The Almovarids, West african gold and the gold currency of the Mediterranean bassin, J.E.S.H.O.*, 17.

MESSIER, R. - *Quantitative analysis of Almoravid dinars, J.E.S.H.O.*, 23.

MICHAUX-BELLAIRE, E. - *Description de la ville de Fès, A.M.*, Vol. 11, 1907.

MIEGE, J.L. - *Journaux et journalistes à Tanger au XIXème siècle, Hesp.*, 1er sem. 1954.

MILLOT, L. - *Démembrement des Habous*, Paris, 1948.

MILLIES-LACROIS, A. - *Quelques problèmes morphologiques concernant les versants instables au Maroc, S.E.G.M*, n° 13, 1967.

MINEYEV, D.A. - *Geochimical differentiation of the rare earths, Geochemistry*, 12, 1963.

MINISTERE DE L'AGRICULTURE ET DU DEVELOPPEMENT AGRICOLE. - *Lutte contre la désertification au Maroc : réalisation et perspectives*, Rabat, 1984.

MINISTERE DE L'EDUCATION NATIONALE. - *Le Mouvement éducatif au Maroc, 1975 - 1984*, Rabat, 1977, 1981 - 1984, 3 Vol.

MINISTERE DE L'EDUCATION NATIONALE., - *Le Mouvement éducatif, 1986 - 1988*, Rabat [s.d].

MINISTERE DE L'EDUCATION NATIONALE., - *Le Mouvement éducatif, 1988 - 1990*, Rabat, [s.d].

MINISTERE DE L'HABITAT ET DE L'AMENAGEMENT DU TERRITOIRE. - *Etude urbaine de Tiflet*, Rabat, 1983.

MINISTERE DE LA SANTE. - *Enquête nationale sur la population et la santé au Maroc*. Rabat, 1987 - 1992.

MINISTERE DE LA SANTE. - *Visite à domicile de motivation systémique*, Rabat, 1988.

MINISTERE DES AFFAIRES ADMINISTRATIVES. - *La Fonction publique*, Rabat, 1981.

MINOT, J. - *L'Entreprise éducation nationale*, Paris, 1970.

MOHIB, A. - *Contribution à l'étude du paléolithique ancien de Casablanca : l'outillage du niveau M de Sidi Abderrahman, Famille Neuville et Ruhlman*, Mém., I.N.S.A.P., Rabat, 1991.

MONTEIL, V. - *Notes sur le Sahara Espagnol*. Tiznit, 1944.

MORAES FARIAS, P.F. de - *The Almoravides, BIFAN*, 23, 13, n° 3 - 4, 1967.

MORDOCHE ABI SEROUR. - *De Mogador au Djebel Tabayoudt Le Rabbin Mordoché Abi Serrour, résumé du journal de voyage par Henri Duveyrier, B.S.G.*, Déc. 1875.

MOSDIK, K. - *Guide de l'enseignement supérieur*, Casablanca, 1993.

MOUETTE, G. - *Histoire des conquestes de Moulay Archid connu sous le nom de Rey de Tafilet et de Moulay Ismael ou Semein son frère*, Paris, 1682.

MOUGIN, - *Les Premiers sultans saadides et le Sahara, R.O.M.M.*, 1975.

MOUNIN, G. - *Les Problèmes théoriques de la traduction*, Paris, 1976.

NAIMI, M. - *American expansionist aims in South Western Morocco during the Ninteenth Century The Atlantic Connection, 200 years of Moroccan - American relations, 1786 - 1986*, Rabat, 1990.

NAIMI, M. - *L'Apport de l'idéologie murabitia et du contrôle de l'espace dans l'émergence de la généalogie Takna*, (étude inédite).
NAIMI, M. - *Cinétique des leffs : fléxibilité et mobilité sociale*, étude inédite.
NAIMI, M. - *Contribution à l'étude du paléolithique ancien de Casablanca : industrie lithique du niveau D2 de Cap Chatelier, Famille P. Biberson*, Mém., I.N.S.A.P., Rabat, 1991.
NAIMI, M. - *The evolution o the Tekna confederation caught between coastal commerce and trans Saharian trade, in Tribe and state : essays in honour of David Montgomeny Hart*, Ed. by E.G.H. Joffe and C.R. Pennell, Cambridges - line, 1991.
NAIMI, M. - *Nomades et sédentaires dans l'évolution historique de l'ensemble confédéral Tekna, B.E.S.M.*, n° 157, 1986.
NAIMI, M. - *Nul Lamta : tableaux édifiants*, étude inédite.
NAIMI, M. - *Le Pays Tekna : centre ou périphérie*, Colloque international sur *le Devenir de la Société rurale au Maroc*, Rabat, 1986.
NAJMI, M. - *Le Pays Tekna : commerce et ethnicité avant la constitution confédérale*, in Actes du colloque : *Le Maroc et l'Atlantique*, Rabat, 1992.
NAJMI, M. - JAZOULI, A. - *Etat et société : quelles perspectives ? Al-Bayane*, 12 Juin 1992.
NAIMI, M. - JAZOULI, A. - *Régionalisation : Les impératifs du découpage. L'Economiste*, 8 Oct. 1992.
NASRI, Z. - *Le Droit de l'assurance au Maroc*, Rabat, 1984.
NEUVILLE, R. - RUHLMAN, A. - *La Place du paléolithique ancien dans le quaternaire marocain*, Rabat, 1941 (Coll. Hespéris, n° 8).
NICOLAS, F. - *Contribution à l'étude Twareg de l'Aïr, Paris, 1950* (Mémoires de l'IFAN, X).
NICOLAS, F. - *Tamesna : Les Ioullemmeden de l'Est ou Touareg Kel Dinnick*, Paris, 1950.
NIOLAISEN, J. - *Ecology and culture of the pastoral Tuareg, National Museum* (Copenhagen), 1963.
NOIN, D. - *La Neige au Maroc, Notes marocaines*, n° 5, 1961.
NORRIS, H.T. - *Saharian myth and Saga : the Touaregs*, Warminister, 1975.
NORRIS, H.T. - *The Tuaregs, Middle East Studies*, 1975.
NORRIS, H.T. - *Yeminis scholars of Timbutoo, J.A.H.*, III, 1962.
NOUSCHI, A. - *La Ville dans le Maghreb pré-colonial, in Système urbain et développement au Maghreb*, Tunis, 1980.
OFFICE AGRICOLE DU TAFILALET. - *Etude de la salinité des sols*, Juin 1980.
OULD CHEIKH, A. - SAISON, B. - *Vie (s) et mort (s) de Al Imam Al-Hadrami : autour de la postérité saharienne du mouvement almovaride, 11ème - 17ème S, Atabica*, 34, 1987.
PABLO CASTELLANOS, M. - *Las Hijos de San Francisco en Marruecos, La Cruz*, 1982. t. 2.
PABLO CASTELLANOS, M. - *Las Misiones en Marruecos, Revista Fransiscana*, T. 3.
PAILLET, P. - *Faut-il planifier l'éducation ?* Paris, 1974.
PALLARY, P. - *Recherches paléolithiques, ethnologiques sur le littoral du Maroc, Anthropologie*, T. XI, 1908.
PALMER, H.R. - *Notes on Some Asben Records : Agades Chronocles, J.A.S.*, 9, 36, July, 1910.
PAQUES, V. - *L'Arbre cosmique dans la pensée populaire et dans la vie quotidienne du N.O africain*, Paris, 1964.
PASCON, P. - *La Main d'œuvre et l'emploi dans le secteur traditionnel, B.E.S.M.*, 1978.
PAYE, L. - *Enseignement et société musulmane : introduction et évolution de l'enseignement moderne au Maroc*, Rabat, 1992.
PEREDA, C. - *Estudios goegraficos de Gomara*, Ceuta, 1940.
PERGNIER, M. - *Les Fondements sociolinguistiques de la traduction*, Th. : Rennes II, 1976.
PEYRONNET, C. - *Sud Ouest Marocain, Rio de Oro, Sahara occidental, B.S.G.A*, 1928.
PIGNOL, [et al...] - *Costumes et parures dans le Monde Arabe*, [s.l], 1987.
PLATEAU, H. - *Au secours du sol marocain*, Rabat, 1952.
PLATON, P. - *Le Palmier nain, B.E.P.M*, n° 221, 1953.

POMPONIUS MELA. - *De Situs Orbis*, Leypzig, 1880.

PONS, Mgr. A. - *La Nouvelle église d'Afrique ou le catholicisme en Algérie, en Tunisie et au Maroc depuis 1830*, Tunis, 1930.

PONSICH, M. - TARRADELL, M. - *Garum et industries de salaison en Méditerranée occidentale*, Paris, 1965.

PONSICH, M. - *Note préliminaire sur l'industrie préromaine en Tingitane*, 15, 1960.

PONSICH, M. - *Nouvel aspect de l'industrie préromaine en Tingitane, B.C.T.H., N.S.*, 4, 1968.

PTOLOMEE. - Geographike Uphegenesis, Paris, 1901.

QNINBA, Z. - *La Mosaïque d'Orphée de Volubilis*, Th. 3ème cycle, Univ. Laval, 1988.

RACHIK, H. - *Le Sultan des autres : rituels et politique dans le Haut Atlas*, Casablanca, 1992.

RACLOT, G. - *La Vallée du Todra, R.G.M.*, n° 20, 1936.

RAMADE, F. - *Eléments d'écologie appliquée*, Paris, 1976.

REBUFFAT, - *L'Implantation militaire en Maurétanie Tingitane, VIème colloque international sur l'archéologie et l'histoire de l'Afrique du Nord* (A paraître).

REDOUANE, B. - *La Fonction marocaine face au changement, in Les services publics marocains face au changement*, Toulouse, 1987.

REDOUANE, B. - *Le Fonctionnaire marocain*, Casablanca, 1983.

REINACH, S. - *Medicus*, in Daremberg Saglio, *Dictionnaire des antiquité grecques et romaines.*

RENAUD, H.P.J. - *L'Enseignement des sciences exactes au Maroc, Hesp.*, XIV, 1932.

RENAUD, H.P.J. - COLIN, G.S. - *Tuhfat al-Ahbab*, Paris, 1934.

Les Ressources naturelles et la mise en valeur de la plaine du Haouz, R.G.M., n° 17, 1970.

RICARD, P. - *Les Arts marocains : Les broderies*, Alger, 1918.

RICARD, P. - *Reliures marocaines du 13ème S. : notes sur des spécimens d'époque et de tradition almohade, Hesp.*, XVII, Fasc. 2, 1933.

RICARD, P. - *La Renaissance de la reliure d'art à Fès*, Paris, 1925.

RICARD, P. - *Le Souq El Merkian et les broderies de Fès, F.M.*, Vol. 1, 1917.

RICARD, P. - *Sur un type de reliure des temps almohades, Ars Islamica*, I, pat I.

RICARD, P. - *Contribution à l'étude du commerce génois au Maroc durant la prériode portugaise, 1415 - 1550, A.I.E.O*, T. 3, 1937.

RICHARDSON, J. - *Travels in the Great Desert of Sahara*, London, 1985, 2 Vol.

RICHER, A. - *Les Ouilliminden*, Paris, 1924.

RIVAS, A. - *La Presa del Lau*, Tetuan, 1943.

ROCHE, J. - *Etude sur l'industrie de la Grotte de Dar-es-Soltan, B.A.M.*, T. 1, 1956.

ROCHE, J. - *La Grotte des contrebandiers, Témara, B.A.M.*, T. 12, 1978 - 1980.

ROCHE, H. - *Premiers outils taillés d'Afrique*, Th. 3ème cycle, Paris, 1981.

ROSENBERGER, B. - *Yahya U Tafuft, 1506 - 1513 : des ambitions déçues, H.T.*, 31, 1993.

ROUILLARD, P. - *Le Commerce grec du Vème et IVème siècles avant J.C. dans les régimes de Lixus et Gadès, in Lixus : Actes du colloque organisé pour l'I.N.S.A.P., Larache, 8 - 11 Nov. 1989*, Rome, 1992.

ROUSSEAU, G. - *Le Costume au Maroc*, Paris, 1938.

ROUX, G. - *La Neige au Maroc, Mem. Soc. Sc. Nat. Maroc*, n° 11, 1935.

ROUX, G. - *La Variation annuelle des précipitation au Maroc, Bull. Soc. Sc. Nat. Maroc*, T. 27, 1947.

RUELLAN, A. - *Contribution à la connaissance des sols des régions méditerranéennes*, Mém. ORSTOM, n° 54, Paris, 1971.

RUHLMAN, A. - *A propos de la subdivision de l'Atérien marocain, B.S.P.M.*, n° 2, 1948.

RUHLMAN, A. - *Le Paléolithique marocain : esquisse d'une étude d'ensemble, B.S.P.M.*, n° 2, 1948.

RUNGS, C. - *Catalogue raisonné des Lepidopteres du Maroc*, Rabat, 1981, 2 Vol.

RUSSO, P. - *Recherches géologiques sur le territoire des Hauts-Plateaux, Maroc oriental, Annales Univ. Lyon*, nouv. série, fasc. 46, 1926.

SAAIDI, M. - *Histoire de la recherche minière au Maroc : des origines à nos jours*, Rabat, 1967.

SAAIDI, M. - *Possibilités minières et hydrogéologiques de la région d'Akka et le rôle historique de Tamdoult, Mines et géologie*, n° 28, 1969.

Le Sahara espagnol, La Documentation française : notes et études documentaires, n° 2570, Sept. 1959.

SAAIDI, - *Palmier dattier . maladies et ravageurs des plantes cultivées au Maroc*, Rabat, 1976

SAIB, J. - *A phonogical study of Tamazight Berber*, Ph. D. Univ. of California, 1976.

SALIH, A. - *Le Moustérien et l'Atérien au Maroc*, Th. Univ., Aix-en-Provence, 1990.

SALIH, A. - *Recherche sur l'épipaléolithique dans le Moyen Atlas*, D.E.A., Aix-en-Provence, 1986.

SALMI, J. - *Crise de l'enseignement et reproduction sociale au Maroc*. Casablanca, 1985.

SALMON, G. - *Contribution à l'étude du droit coutumier du Nord marocain : de l'association agricole et de ses différentes formes, A.B.*, III, 1905.

SALVY, G. - *Tawdanni, Le Monde*, 31 Janv. 1976.

SAMSON, P. - *Un gisement plombozincifère en milieu récifal, Touissit, Maroc oriental, Notes. Mém. Serv. Géol. Maroc*, n° 242, 1973.

SARRE, F. - *Islamic book-binding*, London, 1923.

SARRIONDIA, P. - *Gramatica de la lengua rifeña*, Tanger, 1905.

SASSON, A. - *Développemenet et environnement*, Paris - La Haye, 1974.

SCHMITT, P. - *Le Maroc d'après la Géographie de Claude Ptolémée*, Th. 3ème cycle, Tours, 1973.

SCHROETER, D. - *Merchants of Essaouira*, Cambridge, 1988.

SCHUTZ, H. - *Le Rôle et l'organisation du Centre National de Documentation dans un pays en voie de développement*, Paris, 1975.

SEDJARI, A. - *Les Structures administratives territoriales et le développement au Maroc*, Rabat, 1981.

SEFRIOUI, A. - *Le Costume marocain, G.E.M.*, Vol. 2, 1987.

SEKKAT, A. - *La Politique de l'enseignement au Maroc, 1956 - 1977*, Grenoble, 1977.

SIRE, M. - *Le Document et l'information*, Paris, 1975.

SLOUSCH, N. - *Notes sur l'histoire des juifs au Maroc, A.M.*, VI, 1905.

SLOUSCHZ, N. - *Etude sur l'histoire des juifs et du judaïsme au Maroc, A.M.*, Vol. IV, 1905.

STAMBOULI, F. - *Système urbain et développement*, in *Système urbain et développement au Maghreb*, Tunis, 1980.

SYLVESTRE, P. - *Rapport B.R.P.M.*, 1976, Rabat, 1976.

Le Tafilalet d'après M. Walter B. Harris, A.F.R.C., n° 1, 1909.

TAG, B. - *Des mutations agro-pastorales à l'urbanisation dans le Maroc Oriental*, Th. Doct., Toulouse, 1987.

TAIFI, M. - *Dictionnaire tamazight français*, Paris, 1993.

TANGI, O. - *Aspects de la phonologie d'un parler berbère au Maroc . Ayth Sidhar, Rif*, Th. Doct. Univ., Paris VIII, 1991.

TARRADELL, M. - *El Benian : Castellum Romano entre Tetuan y Tanger, Tamuda*, I, 1953.

TARRADELL, M. - *Breves noticias sobre las excavaciones, Tamuda*, VI, 1958.

TARRADELL, M. - *Datos sobre la guerra de las romanos contro Aedem*, in *El Primero congreso arqueologico del Marruecos español, Tamuda*, II, 1955.

TARRADELL, M. - *Estado actual de nuestros conocimientos sobre Tamuda y resultades de la campaña 1948, Archivo Español de Arqueologia*, 74, 1949.

Les Tendances des réformes de l'enseignement dans les pays du Maghreb in *Actes du Colloque Euro-arabe sur la structuration des enseignements primaires et secondaires au Maghreb*, Rabat, 1992.

TERMIER, H. - OWODENKO, B. - AGARD, J. - *Les Gîtes d'étain et de tungstènes de la région d'Oulmès, Maroc central : étude géologique, pétrographique et métallogiques*, Notes et Mém. Serv. Géol. Maroc, n° 82, 1950.

TERRASSE, H. - HAINAULT, J. - *Les Arts décoratifs au Maroc*, Paris, 1925.

Les Territoires espagnols, La Documentation française : notes et études documentaires, n° 2951, Janv. 1963.

TEXIER, J.P. - *Les Pièces prédonculées de l'Atérien*, *Lybica : Anthropologie, Préhistoire, Ethnologie*, T. VI - VII, 1958 - 1959.

TEXIER, J.P. - *Le site atérien du Chaperon Rouge I, Maroc et son contexte géologique*, *B.A.M.*, T. 16, 1985 - 86.

Textes administratifs, Fonction publique et réforme administrative, Casablanca, 1987.

THOUVENOT, R. - *Le Géographe Ptolémée et la jonction terrestre des deux Maurétanies*, *R.E.A.* 64, 1992.

THOUVENOT, R. - *Le Géographe Ptolémée et la route du Sous*, *Hesp.*, 33, 1946.

THOUVENOT, R. - *Promenade archéologique au Musée de Tétouan*, *R.E.A.* LII, 1950.

THOUVENOT, R. - LUQUET, A. - *La Mosaïque du Navigium à Volubilis*, *Rev. archéologique*, I, 1977.

THOUVENOT, R. - LUQUET, A. - *Les Thermes de Banasa*, Rabat, 1951, (P.S.A.M, IX).

TIBI, C. - *Politique éducative et financement de l'éducation au Maroc*, Paris, 1976

TOLEDANO YA'AQOB MOSE, - *Ner Hamma 'arab*, Jérusalem, 1911.

TOLEDANO, J. - *Le Temps du Mellah*, Jérusalem, 1982.

TOMICHE, N. - *La Littérature arabe traduite : mythes et réalités, de l'image que se fait l'Occident du monde arabe contemporain à travers les traductions de la littérature arabe en langue française en anglaise*. Paris, 1978.

TORTOCHAUX, T. - *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1954.

TOURI, A. - *Les Oratoires de quartiers de Fès : essai d'une typologie*, Th. Paris, 1980.

TOUTAIN, G. - *Sur une évolution économique de la vallée du Draa*, *Al-Awamia*, n° 53, 1974

URVOY, Y. - *Chronique d'Agadès*, *Journal Soc. Afr.*, IV, 1934.

VAJDA, G. - *Un recueil de textes historiques judéo-marocains*, *Hesp.*, 3ème - 4ème trim. 1948, 1er - 2ème trim. 1949.

VALEE, N. - *Mammifères d'Europe*, Paris, 1972.

VAUFREY, R. - *Préhistoire de l'Afrique*, Paris, 1955 (Publ. Inst. Hautes Et., Tunis, Vol. 4).

VERGERO, S. - *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1942.

Villes et sociétés au Maghreb, Paris, 1974.

WILLIAMS, J. - MKADMI, A. - *Possibilités d'expansion dans l'ostreiculture dans la lagune de Oualidia*, Maroc..

WILLCOS, H.C. - *Exploration of the Rio de Oro*, *Geogr. Review*, 1921.

ZAINABI, A.T. - *L'Homme et la montagne en milieu sub-aride : le pays de Taznakht, Anti - Atlas*, Th. 3ème cycle, Poitiers, 1989.

ZELTNER, F. de. - *Les Touareg du Sud*, *Journal of the Royal Anthropological Institute*. XLIV, 1914.

ZERYOUHI, I. - *Le Moyen Atlas plissé : ressources en eau du Maroc*. Rabat, 1977.

ZHAR, M. - *Approche climatique de la région de la Haute Moulouya*, *Revue Fac. Lettres Sc. Hum. Oujda*, n° 1.

ZHIRI, K. - *Définition d'une politique nouvelle de l'enseignement*, Rabat, 1969.

Liste des principales abréviations des périodiques

A.A.N : *Annuaire de l'Afrique du Nord*
Acad. Sc. Col. : *Académie des Sciences Coloniales.*
A.E.S.C : *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*
A.F : *Afrique Française.*
A.F : R.C : *Afrique Française : Renseignements Coloniaux.*
A.I.E.A : *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
A.I.E.O : *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
A.M : *Archives Marocaines.*
A.M.S : *Archives Marocaines de Sociologie.*
And. : *Al-Andalus*
Ann. Rech. Forest. Maroc : *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
Ant. Afr. : *Antiquités Africaines.*
B.A.M : *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
B.A.R : *British Archeological Reports.*
B.C.T.H : *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*
B.E.P.M : *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*
B.E.S.M : *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
B.I.F.A.N : *Bulletin de L'Institut Français d'Afrique Noire.*
B.M.S.A.P : *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
B.L.O.A.B : *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*
B.L.S : *Bulletin de Liaison Saharienne*
B.S.G : *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*
B.S.G.A : *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
B.S.G.A.O : *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*
B.S.H.M : *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc.*
B.S.O.A.S : *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
B.S.P.M : *Bulletin de la Société de Prehistoire du Maroc*
Bull. Archéol. : *Bulletin Archéologique.*
C.A.A : *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
C.A.T.A.N : *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*
C.B.E.T : *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*
C.C.E.J : *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
C.E.A : *Cuadernos de Estudios Africanos.*
C.H.I : *Cuadernos de Historia del Islam.*
C. Méd. : *Cahiers de la Méditerranée.*
C.R.A.I.B.L : *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
C.R.A.S : *Comptes Rendues des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
C.T : *Cahiers de Tunisie.*
E.I.1 : *Encyclopédie de l'Islam (1ère édition)*
E.I.2 : *Encyclopédie de l'Islam (2ème édition)*

E.T.A.M : *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
Et. Medit. : *Etudes Méditerraniennes.*
F.M : *France - Maroc.*
F.S.S.A.N : *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*
G.E.M : *Grande Encyclopédie du Maroc.*
Hesp : *Hespéris.*
H-T : *Hespéris-Tamuda.*
H.T.E : *Hommes, Terre et Eaux.*
I.G : *Information Géographique*
I.H.E.M : *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
I.H.E.M : N-D : *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*
Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. : *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe.*
I.S.C : *Institut Scientifique Chérifien.*
Isl. Cult. : *Islamic Culture.*
I.S.P.M : *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*
J.H.S.N : *Journal of the Historical Society of Nigeria.*
M.A.I.B.L : *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
Medit : *Méditerranée.*
N.A.M.S.L : *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*
P.I.H.E.M : *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
P.S.A.M : *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*
P.S.H.M : *Publications de la Section Historique du Maroc.*
R.A : *Revue Africaine.*
R.A.P : *Revue de l'Action Populaire*
R.C.C : *Revue de la Chambre de Commerce.*
R.D.M : *Revue des Deux Mondes.*
R.E.A : *Revue des Etudes Anciennes.*
R.E.I : *Revue des Etudes Islamiques.*
R.E.L : *Revue des Etudes Latines.*
Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. : *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*
R.G.M : *Revue de Géographie du Maroc.*
R.H.E : *Revue d'Histoire Economique.*
R.H.M.C : *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*
R.M.D.E.D : *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*
R.M.E : *Revue Maroc-Europe.*
R.M.F : *Revue Militaire Française*
R.M.M : *Revue du Monde Musulman.*
R.P.P : *Revue Politique et Parlementaire.*
S.G.L : *Sociedade de Geografia de Lisboa.*
S.I : *Studia Islamica.*
S.I.H.M : *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*
Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. : *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*
Trav. Inst. Sc. : *Travaux de l'Institut Scientifique.*

تارودانت (*)، مدينة عريقة في سوس، توصف في النصوص التاريخية بأنها "قاعدة السوس الأقصى"، جاء اسمها على صيغة الأسماء الأمازيغية. ويعرب بصيغة رودانة، والنسبة روداني. توصلنا إلى أن لفظ تارودانت قد يعني مكاناً مرتفعاً من الأرض كحاجز للماء أو غيره، حيث إن مذكره هو أرودان، ويعني في المنطقة "الحاجز" وانطلاقاً من هذا، فإن تارودانت تعني المدينة المحاطة بالحواجز الترابية، أو المدينة المسورة، أو الأقرب من هذا كله : المكان الذي عند حاجز الماء في الوادي..

ترجع مدينة تارودانت إلى العهود القديمة من تاريخ المغرب، حيث كانت تسمى "ڤالا". ولعلها تدخل ضمن المراكز الحضرية التي تأسست خلال الفترة المغربية الفينيقية كمركز "ڤادين" على وادي نون، ومركز "ڤاڭا" على وادي درعة. وهي مراكز ارتبطت بالتعامل التجاري بين الفينيقيين والمغاربة حوالي القرن التاسع قبل الميلاد (846 ق. م). وانقطعت الأخبار عن منطقة سوس طيلة تلك القرون إلى القرن السابع الميلادي حيث اقترن ذكر سوس ومراكزه الحضرية بدخول الإسلام إلى المنطقة، ومدينة إڭلي هي التي تتحدث عنها المصادر وتعتبرها "قاعدة بلاد السوس" (البكري، 161 ؛ *الاستبصار*، 213)، رغم أن ابن خلدون أشار إلى أن تارودانت كانت موجودة أيام عقبة ابن نافع الفهري (690 م).

لم تحظ مدينة تارودانت بأهمية بالغة في نصوص العصر الوسيط إلا ابتداءً من القرن الخامس الهجري (11م)، عندما كانت فيها الحركة الشعبية البجلية التي استمرت هنالك منذ القرن الثالث الهجري (9م) إلى القرن الخامس الهجري (11 م) حيث "قاتلهم الأمير أبو بكر بن عمر وعبد الله بن ياسين حتى فتح مدينتهم تارودانت عنوة..." وأصبحت منذئذ توصف بأنها "قرية كبيرة" (الاستبصار، 212) واتسع مجالها الحضري، خاصة وأن المرابطين اتخذوها مقراً عسكرياً لمراقبة قبائل جبل درن، ويعتبر المرابطون أول من بدأ في تحصين المدينة بأسوار في بعض جهاتها.

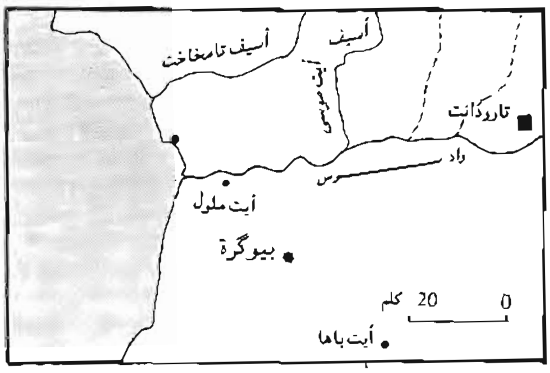
(*) سقطت تارودانت من موضع ترتيبها في الجزء السادس، فتداركناها هنا.

زارها عبد الواحد المراكشي في القرن السادس (13 م) ووصفها بأنها "حاضرة سوس وإليها يجتمع أهله" وأصبحت في الفترة الموحدية أكثر تحصيناً وأكثر أهمية اقتصادياً وإدارياً، حيث تم تعيين ممثل المخزن الموحدي بها، بينما بدأت مدينة إڭلي - التي كانت قاعدة السوس خلال القرون السابقة - تتراجع لحساب المدينة المخزنية الجديدة.

وخلال ثورة علي ابن يدر الزڭندري حوالي عام 650 / 1252 عرفت المدينة خراباً ودماراً نتيجة سيطرة الزڭندري عليها ومحاولات الموحدين إخضاعها. وتوالت الحملات على المدينة من طرف المرينيين، بهدف انتزاعها من سيطرة علي بن يدر، ولم يتمكنوا من ذلك إلا حوالي عام 735 / 1334 م.

وخلال الفترة المرينية التي توافق فترة الاضطرابات بسوس 735 . 861 / 1334 . 1456 وطيلة حكم بني وطاس 877 . 917 / 1472 . 1511، دخلت مدينة تارودانت عهداً غامضاً، عمته الفوضى والتخريب والحكم المحلي، حيث فرض العرب المحيطون بالمدينة، عليها ضرائب وإتاوات، ولم تثر ضدهم إلا بعد نهوض الحركة السعدية، حسب ما أشار إلى ذلك الحسن الوزان.

ولقد أشار ابن عذاري إلى حالة تارودانت خلال تلك الفترة بقوله : "تارودانت الشهيرة ذات الخيرات الكثيرة، لكنها استولى عليها الخراب من ابن بدر حتى صيرها كالقفر درسا (....) ولم يبق منها إلا جامع الخطبة في قصبة الحسن المذكور (....) وعانت الناس من هذا الخراب" (ابن عذاري، *البيان*، 1).



موقع تارودانت

ومع مطلع القرن العاشر (16 م) استرجعت تارودانت دورها الاقتصادي وإشعاعها الثقافي، مع ظهور السعديين، واتخاذها عاصمة لهم بعد إعادة بنائها. ويشير التامنارتي بأن "محمد الشيخ أذن للناس عامة وقت تخطيطها (تارودانت) في إحيائها بالبناء والغرس قصدا لعمارتها حتى حكي عنه أنه قال : "كل من بنى موضعا أو غرسه فهو له...." (التامنارتي، *فوائد*، 266). ولم يكن التامنارتي هو الشاهد الوحيد على اهتمام السعديين بهذه المدينة، بل هناك آخرون تركوا بصمات شهاداتهم عن ذلك الاهتمام مثل دييگو دي طوريس (Diego de Torres) ومارمول والبرتغالي المجهول صاحب كتاب *Chronique de Santa Cruz de Cap de Gué*، الذي زار المدينة حوالي سنة 1541 ويقول : "دخلنا إلى مدينة تارودانت التي هي مقر السلطان، وخرج لاستقبال أبنائه والقائد مومن بن العلج" (*Chronique*, 134).

هكذا عرفت المدينة في عهد السعديين أوج ازدهارها اقتصادياً حيث بنيت معامل السكر بتازمورت غير بعيد عنها، وتنقل إليها القوافل التجارية الآتية من السودان أنواعاً شتى من المواد السودانية تباع في أسواقها بقيسارياتها التي أشار إليها الفقيه عيسى السكتاني. وكانت تصل إلى المدينة المواد الأوربية المتنوعة انطلاقا من موانئ أگادير. وتبين لنا رسالة مؤرخة بـ5 يناير 1542 من البرتغاليين إلى خوان الثالث يقول فيها : "تلقت تارودانت خلال تسعة وعشرين يوماً حمولة تسع سفن، متكونة من نسيج متنوع، وتصدر السكر والصمغ والجلود، والمدينة مليئة بالتجارة لكنها تعرض بشكل سيء، لأن المجاعة سائدة وناتجة عن جفاف سابق 1541" (*S.I.H.M., D. Saadienne*, 6). وصفوة القول أن تارودانت أصبحت في الفترة السعدية قطباً حضرياً كبيراً، فقد أعيد بناؤها وضخمت أسوارها، وشيدت قصباتها، فهي كما وصفها الفشتالي "قاعدة بلاد السوس وأم القرى والأمصار وملاك باب السودان... وما شئت من توطيد وتشييد وبرك مستجدة..." (الفشتالي، *مناهل الصفا*). وبعد أن ضعفت الدولة السعدية، أصبحت تارودانت مجالاً للصراع بين القوى المحلية، حيث سيطر عليها أبو زكريا الحاحي حوالي سنتي 1020 . 1021 / 1611 . 1612، فوجد القصبة مهدمة ومعطلة، والفوضى منتشرة (*الفوائد الجمة*، 159)، وعين بها عبد الرحمان التامنارتي قاضياً للجماعة، بغية تنشيط الحبوس والأمور الدينية. واستقرت الوضعية بالمدينة منذ 1029 / 1619 إلى 1036 / 1626 حيث انتشر الأمن والعدل رغم ركود اقتصادي من جراء طرد اليهود منها.

وبعد قتل أبي زكرياء الحاحي من طرف بعض عملاء السلطان زيدان في ربيع 1036 / 1626 تولى ابن أخيه أحمد ابن محمد بن عبد الله بن سعيد، لكن الأمور مافتئت أن تدهورت، مما دفع عبد الرحمان التامنارتي الذي ترك المدينة بسبب نزاع بينه وبين الحاحي إلى مكاتبة بودميعة السملالي يطلب منه احتلال تارودانت لقطع دابر الفوضى (*الفوائد الجمة*، 233). ولم تمر إلا سنتان عن موت الحاحي حتى أصبحت المدينة تحت حكم السملاليين. ولم تكن المدينة في العهد السملالي إلا مدينة ثانوية، حيث كان اهتمام بودميعة منصباً على توسيع مدينة إليغ التي انتقل إليها يهود تارودانت فساهموا في نشاطها الاقتصادي، وأصبح دورها مقتصراً على الوظيفة الإدارية.

ولما توفي بودميعة دخلت المدينة مرحلة غامضة لمدة عشر سنوات (1070 . 1080 / 1659 . 1669) بسبب نزاع أبناء بودميعة حول السلطة، واستمرت تلك الأوضاع إلى أن احتلها المولى رشيد سنة 1080 / 1669.

لم يتمكن المولى رشيد من ربط تارودانت بالمخزن الجديد إذ عادت إلى الثورة في السنة الموالية وبعد وفاته وتولية المولى إسماعيل، ثار بالسوس أحمد بن محرز الذي استفرت ثورته حوالي أربع عشرة سنة (1083 . 1099 / 1672 . 1687) محتلا المدينة، وبعد اندحاره عين عليها المخزن الاسماعيلي الباشا عبد المالك، وثار بدوره مدعما بالأمير زيدان حوالي 1106 / 1694. واستمر الوضع بالمدينة مضطرباً إلى أن عين السلطان المولى إسماعيل ابنه محمد العالم في صيف 1698. ويمكن أن نستخلص أن تارودانت كانت خارجة عن السلطة الاسماعيلية مدة ست وعشرين سنة (م. حنداين، *تارودانت*). ولقد دفعت ثورات تارودانت المخزن الإسماعيلي إلى التخلي عن حصار سبتة لإعادة الأمن إلى سوس وتارودانت.

وعرفت المدينة في عهد الأمير محمد العالم مرحلتين :

1 . مرحلة التبعية للمخزن (1110 . 1112 / 1698 . 1700). حيث استعادت المدينة والمنطقة عامة هدوءها ونشاطها الاقتصادي والثقافي، وهذا ما تؤكده رسالة القنصل الفرنسي بسلا (سطيلا Estelle) والمؤرخة بـ5 ماي 1698 ويقول فيها بأن إقليم سوس يستعيد الهدوء حسب ما يقال. لكن هذه المرحلة لم تدم إلا ثلاث سنوات حيث ثار بعدها ضد أبيه.

2 . مرحلة محمد العالم (1112 . 1118 / 1700 . 1706).

تشير المصادر (القادري والناصري) إلى ثورة محمد العالم بسوس دون أن تذكر أسباب هذه الثورة. وعرفت مدينة تارودانت خلال عهده ازدهاراً ثقافيا يذكّر بما عرفته أيام الدولة السعدية، صوره لنا أحد كتاب عصره والمجهول صاحب كتاب *نفحات الشباب* الذي يصف جلسات الأمير مع علماء سوس (*المعسول*، 18 : 288).

لم يستطع الأمير محمد العالم أن يستمر مدة طويلة إذ انهزم أمام أخيه المولى زيدان حوالي 1706، ونقل إلى مكناس حيث مات.

وعندما دخل زيدان تارودانت استباحها، لكن ما لبث أن ثار بدوره في السنة الموالية، وأعلن أن كل من يرغب في الاستقرار بأگادير أو تارودانت فإنه سيحصل على امتيازات، وبهذه الوسيلة صارت المدينتان عامرتين في وقت

قصير". ورجعت تارودانت إلى الانفصال مرة أخرى عن المخزن. واستمر الوضع هكذا إلى أن قتل المولى زيدان.

وبعد موت المولى زيدان عين المولى إسماعيل المولى بناصر الذي مكث بالمدينة ست سنوات (1120 ـ 1126 / 1708 ـ 1714)، حيث ثار بدوره سنة 1124 / 1712 ضد أبيه (*الاستقصا*، 7 : 76)، وانتشرت الفوضى قتل خلالها الأمير من طرف عرب أولاد دليم وبعثوا برأسه إلى مكناس. وعين المولى إسماعيل القائد أبا عزيز لمدة خمس سنوات. وتولى بعد ذلك أمور المدينة وسوس الأمير المولى عبد المالك، واستمر حوالي عشر سنوات، إلى أن استدعاه عبيد البخاري لبيعته (*الاستقصا*، 7 : 119) بعد وفاة المولى إسماعيل. وخلال فترة الاضطرابات التي استمرت منذ وفاة المولى إسماعيل (1140 / 1727) إلى بيعة سيدي محمد بن عبدالله، كانت المدينة وسوس خارجةً عن السلطة المركزية. وكثرت الثورات حيث ثار الكرسيفي (1150 / 1737) الذي احتل أكادير وتارودانت وقتل من طرف هوارة، كما ثار ثائر آخر وهو الشريف الكثيري بوتگلا (1168 / 1754)، ولعل تارودانت آنذاك كانت تحت سلطة المولى سرور الذي سارع إلى قتل ثائر آخر ادعى المهدوية وهو المحمد المكاوي (*خلال جزولة*، 1 : 52). وكان المولى سرور هذا يمثل الأمير سيدي محمد بن عبد الله الذي كان نائبا لأبيه المولى عبد الله بمراكش وكافة القطر السوسي (*اتحاف*...، 3 : 152).

وقد نهج السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1171 ـ 1205 / 1757 ـ 1790) تجاه تارودانت وسوس سياسة جديدة لقطع دابر الثورات التي تتكرر بها، تتمثل في تحويل الحركة الاقتصادية من مرفأ أكادير إلى الصويرة التي بنيت من أجل منافسة ذلك المرفأ الذي يشكل المرتكز الاقتصادي للحركات الثائرة بسوس، (*الاستقصا*، 8 : 20).

كما قرر المخزن تعيين عمال على سوس من حاحا، إذ انتقلت الإدارة المحلية من تارودانت التي كانت مركز السلطة المحلية منذ عهود سابقة إلى حاحا. حيث لم تكن المدينة إلا مركز عامل تابع لممثل المخزن في حاحا، وهو الفقيه عبد المالك باشا الصويرة وحاكم قبائل سوس وحاحا.

وهكذا أصبحت تارودانت في هذا العهد مدينة ثانوية مخزنيا، ومتدهورة اقتصاديا، لحساب الصويرة التي جلب إليها تجار النصارى الذين كانوا في فونتي (الناصري، ج. 8، ص. 21)، وعرفت جموداً ثقافياً.

وقبل وفاة السلطان بسنتين عين بتارودانت ابنه المولى عبد السلام وبقي هنالك إلى أن توفي السلطان عام 1205 / 1790.

وفي عهد السلطان المولى سليمان، كانت تارودانت تحت حكم المولى بناصر بن عبد الرحمان، لكنها ظلت تعيش جموداً اقتصادياً وثقافياً، وكانت في عهد السلطان الحسن الأول إحدى المصالح الباشوية الرئيسية التي قسم إليها المغرب، في إطار "الاصلاح الإداري"، لكن الوضع بالمدينة في العهد الحسني تأثر بالأوضاع العامة بسوس التي تميزت بالرغبة في الاستقلال مما جعل السلطان يقوم بحملاته العسكرية إلى سوس (1882 ـ 1886) ويؤسس مركزاً مخزنياً آخر في مدينة تيزنيت، وعين بها عاملا.

وأثناء فترة المولى عبد العزيز، عين الباشا حمو وأولاده على باشوية تارودانت، لكن تصرفاته القاسية جعلت الناس ينفرون منه ويغادرون المدينة، وفي ذلك قال قاضي تارودانت سيدي موسى :

اتى حمو الاحم لسوس يبغي	كنوزاً إذْ به قد صار كنزا
يريغ به الشراء فنال فيه	ترى قد ماط عن كتفيه عزا

وبعد أن فرضت الحماية على المغرب سنة 1912 كانت تارودانت تحت نفوذ الباشا أحمد بن علي الكابا، الذي تنكر لأحمد الهيبة بعد انهزامه في مراكش، واعترض طريقه في قرية تالكجونت، لكنه انهزم وقتل وعلق رأسه بساحة أسراگ بالمدينة، ومكث الهيبة في تارودانت مقاوما للفرنسيين الذين حاولوا استمالته بشتى الطرق والوسائل، حيث وجدوا في القائد حيدا بن ميس الذي تنكر بدوره للهيبة، خير معين على تقويض حركته، فوقعت معارك ضارية بضواحي المدينة اضطر على إثرها أحمد الهيبة إلى مغادرة المدينة نحو شتوكة، ومن قبيلة إلى أخرى. وأصبح حيدَ بن ميس باشا تارودانت تابعاً للفرنسيين، وأصبحت المدينة في عهد الحماية مركزاً عسكرياً لمراقبة قبائل جبل درن والقبائل السهلية.

ع. المراكشي، *المعجب*، تح. م. سعيد العريان وآخر، طبعة الرباط 1973 ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، ج 1، تح. كولان وليفي بروفنسال، ط. 2، 1980، دار الثقافة بيروت، ص. 260 ؛ ابن أبي زرع الفاسي، *القرطاس*، ص. 129 ؛ ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوطة خاصة، ص. 266 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 4 : 152 ؛ محمد كسرير، *أضواء على تاريخ تارودانت*، خزانة معهدمحمد الخامس بتارودانت، ص. 5 ؛ محمد حنداين، *تارودانت ومحيطها التاريخي (1607 ـ 1790)*، ر. د. ع. التاريخ كلية الآداب، الرباط، 1993.

D.J. Meunier, *Le Maroc saharien* 1, 161 ; *S.I.H.M.*, *dynastie saâdienne*, 1ère série, T. IV, Portugal, p. 6, *Lettres de Sebastio Alvarès à Jean III*, *France*, 2ème série, T. IV, p. 611, 596, 687 ; T. VI, p. 322, 325.

محمد حنداين

** إقليم تارودانت إقليم حديث أنشئ سنة 1981، وحسب التقسيم الإداري لإحداثه في هذا التاريخ. كان الإقليم يضم أربعة دوائر وأربع عشرة قيادة وتسعاً وثمانين جماعة منها جماعتان حضريتان وخمسة مراكز مستقلة.

يحد الإقليم من الشرق إقليم ورزازات ومن الغرب إقليما أگادير والصويرة ومن الشمال إقليم مراكش ومن الجنوب إقليما تيزنيت وطاطا.

وبناء على القانون رقم 92 ـ 12 المتعلق بوضع ومراجعة اللوائح الانتخابية العامة وتنظيم انتخاب مجالس الجماعات الحضرية والقروية الصادرُ بتنفيذه الظهير الشريف رقم 90 ـ 92 ـ 1 بتاريخ 9 ذي الحجة 1412 / 11 يونيو 1992 تمت عملية تقسيم الإقليم إداريا على الشكل التالي :



إقليم تارودانت

أربع دوائر : دائرة إغرم، دائرة أولاد تايمة، دائرة تارودانت، دائرة تاليوين.

ثلاث عشرة قيادة : أيت عبد الله، المكرت، أضار، أرگانة، عين اشعيب، أولاد محلة، احمر، افريجة، سيدي عبدالله أوموسى، تافنگولت، أولوز، إسكاون، سكتانة.

أربع وخمسون جماعة، منها سبع جماعات حضرية وهي : تارودانت (البلدية)، أولاد تايمة (البلدية)، إغرم (البلدية)، الكردان (البلدية)، أيت يعزة (البلدية)، أولاد برحيل (البلدية)، تاليوين (البلدية). أما الباقي فهي جماعات قروية وهي : إيماون، تيندين، سيدي بوعل، أملو، تتاوت، سيدي بوموسى، أسن، سيدي أحمد أوعمر، لكفيفات، سيدي موسى الحمري، الدير، أهل الرمل، أصادص، تيدسي نسندالن، الكدية البيضاء، الخنافيف، مشرع العين، لمهادي، سيدي دحمان، سيدي بورجا، افريجة، تزمورت، بونوار، تيبوت، سيدي أحمد أو عبد الله، أيت أكاس، أولاد عيسى، إكلي، أرزن، توغمرت، إكودارامنابها، إداوگيلال، تنزرت، لمهارة، أولوز، إداوگمّاضْ، الفيض، تيسراس، أوزيوة، أزرار، أگادير ملول، تزكزاوين، سيدي احساين، تسوسفي، أسايس، زاكوزن، أساكي.

التقسيم الإداري الجديد لإقليم تارودانت

الإقليم	الدوائر	القيادات	الجماعات الحضرية أو القروية
تارودانت	إغرم		تارودانت (البلدية) أولاد تايمة (البلدية) إغرم (البلدية) الكردان (البلدية) أيت إيعزة (البلدية)
			أولاد برحيل (البلدية) تاليوين (البلدية)
		أيت عبد الله المكرت	إيماون تيندين سيدي بوعل أملو تتاوت
	أولاد تايمة	أضار أرگانة عين اشعيب	سيدي بوموسى أسن سيدي أحمد أوعمر لكفيفات سيدي موسى الحمري الدير
		أولاد محلة	أهل الرمل اصادص تيدسي نسندالن الكدية البيضاء الخنافيف مشرع العين لمهادي
	تارودانت	احمر افريجة سيدي عبد الله أوموسى	سيدي دحمان سيدي بورجا افريجة تزمورت بونوار تيبوت سيدي أحمد أوعبد الله أيت أكاس أولاد عيسى إكلي إرزن توغمرت ابكودارامنابها إداوگيلال تنزرت لمهارة
		تافنگولت أولوز	أولوز إداوگماض الفيض

الإقليم	الدوائر	القيادات	الجماعات الحضرية أو القروية
	تالوين	اسكاون	تيسراس أوزيوة
		سكتانة	إزرار أگادير ملول تزكزاوين سيدي احساين تسوسفي أساييس زاگموزن أساكي

تبلغ مساحة الإقليم 16.460 كلم²، ووصل تعداد سكانه سنة 1982 إلى 558.501 ن. أما الكثافة السكانية فتتراوح بين 935 ن في كلم² كأعلى كثافة والتي تمثلها مدينة تارودانت إذ تبلغ مساحتها 40 كلم² وعدد ساكنتها 37.894 ن. أما أضعف كثافة في الإقليم فتوجد بجماعة أگادير ملول التي تبلغ مساحتها 919 كلم² وعدد سكانها لا يتجاوز 7.051 نسمة.

يزخر إقليم تارودانت بثروات طبيعية مهمة ومقومات بشرية وكذا ثروة حيوانية لابأس بها.

ونظراً لتوفر الإقليم على مرتفعات منها أعلى قمة في المغرب (قمة تبكال) فإن المنطقة عرفت طفرة سياحية مهمة أنعشت اقتصاد المنطقة بعض الشيء خاصة الأهالي الذين يقطنون الجبال.

أما باقي الأنشطة المتداولة في الإقليم فهي الزراعة والرعي والتجارة التي كونت جزءاً مهماً من مواردها المالي من عائدات المهاجرين، لكن تبقى نسبة الهجرة أقل حدة بالمقارنة مع باقي الأقاليم الجنوبية كطاطا وتيزنيت وورزازات. وتبقى الهجرة الداخلية نحو المدن الوطنية الكبرى هي التيار الهجروي النشيط خلال مواسم محددة ومتقاربة. ورغم أهمية موقع إقليم تارودانت فإن إشعاعه لا يتعدى حدوده نظراً لمحاذاته لأقاليم ذات إشعاع واسع كإقليم مراكش وأگادير. وأمام هذا الوضع فقد وضع المسؤولون تصميماً مديريا للنهوض بالإقليم وتنميته، وهكذا شهد إقليم تارودانت تشييد شبكة طرقية ثانوية وثلاثية مهمة تقوم مقام المسالك الوعرة الحالية، كما ستعرف المنطقة بناء عدة فنادق متوسطة لرفع الطاقة الإيوائية للسياح وتشييد محطة طرقية جديدة في مستوى سمعة الإقليم السياحية.

وزارة الداخلية، *وثائق المديرية العامة للجماعات المحلية : الجريدة الرسمية*، العددان 4164 و4165 ؛ وزارة السكنى والتعمير، *تعداد السكان*، 1982.

محمد بلعربي

تاريفيت ← تريفيت

تاشلحيت ← تشلحيت

التاكُشتي، إبراهيم بن محمد الصوابي، فقيه متمكن من فروع المذهب المالكي، مشارك في غيره من العلوم اللغوية والشرعية. تكوّن في فاس آخذاً عن أعلام عصره، كمحمد بناني صاحب الحاشية على شرح الزرقاني لمختصر خليل، والتاودي ابن سودة، وجسوس وغيرهم من فرسان التدريس في القرويين.

استقر إبراهيم بعد رجوعه من فاس في مسقط رأسه تاكُشت متصدراً للفتوى، ترد عليه الاستفتاءات من مختلف أرجاء سوس وأحكام الخصومات فيبين وجوه الفقه فيها، وعلى فتاواه الاعتماد عند القضاة والمتقاضين، وكان يأخذ الأجرة من المستفتين لأنه - كما قال رداً على من انتقده من معاصريه الفقهاء - كان له حق في بيت المال لم يصل إليه. وقد وقف المختار السوسي على آثاره الفقهية وقال : قال في حقه عبد الجشتيمي : "كان - رحمه الله - عالماً بارعاً ديناً خيراً صالحاً مفتياً في عصره، وهو في عصره قطب قطره في الفقه، فعليه تدور الفتاوى والمسائل". ومحررات يراعه في الفتاوى كثيرة تزخر بها جبال أيت صواب وما إليها.

توفي في وباء عام 1214 / 1799 - 1800.

ع. الجشتيمي، *الحضيكيون*، مخطوط : م. المختار السوسي، *المعسول*، 8 : 74 ؛ *جامعة القرويين في ذكراها*، 116 رقم 135.

التاكشتي، أحمد بن علي الرسموكي ثم الصوابي. من أسرة علمية متفرعة من آل المضاء الرسموكيين، انتقل جدهم الحسين بن علي إلى جبال أيت صواب واستقر عقبه في قرية تلال نزضيم من قبيلة تاكشت فنُسبوا إليها. فقيه أديب مشارك أخذ عن علماء قومه السوسيين "فذاعت له شهرة طنانة بعلمه وديانته وثروته".

اشتغل أحمد التاكشتي بالتجارة مع السودان، فكان يذهب إلى تنبكتو حاملا إليها بضائع مغربية وترجع قافلته محملة بمنتجات السودانيين وبخاصة العبيد الذين حرر منهم عدداً وافراً ماتزال رسوم إعتاقهم محفوظة.

حج أحمد التاكشتي ثلاث مرات، وكان أبوه علي قد حج قبله خمس مرات، إلا أنه لم يقتف أثر والده في التدريس بمدرسة قريته مصروفاً عن ذلك بالتجارة. وله مراسلات مع أهله من أسفاره داخل المغرب وخارجه، وأخرى وردت عليه من شخصيات معاصرة مرموقة، ماتزال كل هذه المراسلات عند حفدته. ومنها رسالة من الفقيه أحمد الصوابي نزيل ماسة يهنئه بالحج ويعتذر عن عدم حضوره لتهنئته.

توفي أحمد التاكشتي بمسقط رأسه عام 1149 / 36 - 1737.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 8 : 79.

التاكشتي، أحمد بن محمد الظريفي الصوابي. نسبة إلى ظريفة (انظريف) في تاكشت بجبال أيت صواب. فقيه صالح منقطع للتدريس والإرشاد. أخذ عن مَحمد بن يحيى الشبي، وعاصر محمد الحضيگي الذي دعاه في طبقاته "صاحبنا ومحبنا" وقال عنه : "كان فقيهاً مدرساً ديناً خيراً فاضلاً مباركاً ينتفع الناس به، ذا سيرة حسنة وشيم كثيرة". ووصفه تلميذه عبد الله التيگناتيني - بنقل المختار السوسي - بصفات عالية علماً وسلوكاً وإفادة، وقال إنه كان عالماً بالنحو واللغة والتصريف والحساب والفرائض والفقه، يستحضر الجواب بديهةً إذا سئل لشدة تمكنه في الفقه واستيعابه لمسائل مختصر خليل. اعتكف على التدريس بمسقط رأسه نحواً من ست وثلاثين سنة. "اجتمعت فيه خلال قلما اجتمعت في غيره : الفقه البارع، والورع الصادق، والصرامة في الحق، والزهادة في الدنيا، والتحسن في الملبس والمطعم. وكان مع هذا متواضعاً قليل التصنع كريم الأخلاق حسن الأدب سالم الصدر شديداً على أهل البدع لا يخاف في الله لومة لائم".

توفي في مسجد إقرائه وسط الليل بعد أن صلى العشاء قائماً في الركعتين الأُوليين وجالساً في الأخيرتين حذاء المحراب، وقد أربى على مائة سنة، يوم الخميس الأخير من شوال 29 عام 1195 / 18 أكتوبر 1781.

م. الحضيگي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة رقم 129 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 62 ؛ *المعسول*، 8 : 76.

محمد حجي

ابن تاكفت، محمد بن يحيى المسوفي من أشياخ الموحدين. كان واليا على سبتة وقصر كتامة أيام الخليفة الناصر الموحدي (595-610). وإذا عرفنا أن أعمال سبتة كانت زمن الموحدين في غاية الاتساع بحيث يصل طولها إلى ما يقرب من اثنتي عشرة مرحلة وتتحكم في مجال يمتد على كل بلاد غمارة، إضافة إلى الأهمية الاستراتيجية التي كانت تتميز بها المنطقة كمعبر ومنطلق لعمليات الجهاد نحو الأندلس، يمكن فهم المكانة التي كان يحظى بها ابن تاكفت لدى الخليفة الناصر كممثل له على إحدى أهم المناطق الاقتصادية في الأمبراطورية الموحدية والتي ترفد لبيت مال الدولة مداخيل في غاية الأهمية، مما يجعل المهمة صعبة والمسؤولية خطيرة في الحفاظ على هيبة المخزن ومراقبة الثغور والسهر على الأمن.

لكن يظهر أن ابن تاكفت لم يكن في مستوى تلك المسؤولية حيث قام بعدة تجاوزات وخروقات أغضبت سيده وغيّرته عليه. فقد ذكر ابن عذاري أثناء حديثه عن استعدادات الموحدين قبيل خوضهم معركة العقاب وتحريض واستنفار المسلمين بالأندلس للجهاد، أن الخليفة كان يقوم بعمليات تطهير من الفساد الذي تفشى حينذاك في بعض أجهزة الدولة بالمناطق الشمالية، ومما زاد الطين بلة ما لقيه الناس هناك من تنوع المسغبة وانتشار المجاعة التي ضربت البلاد فانعدمت الأقوات وارتفعت الأسعار، الأمر الذي "لم يعهده الناس ولا علموه في أسفارهم القاصيات ولا عارضهم مثلها..." (*البيان*، قسم الموحدين، 259). ومن أجل السيطرة على الموقف وبث الطمأنينة والأمان في النفوس، والوقت وقت جهاد، بادر الخليفة إلى تطبيق إجراءات حاسمة باسطا سطوته على عماله بالمناطق التي كانت تعبرها محلته معتبرا إياهم مسؤولين على تدهور الأوضاع. فأمر الوزير أبا محمد ابن أبي علي بن مثنى صاحب الأعمال المخزنية والمفوض إليه الأشغال العملية بالقبض على عامل فاس وهو عبد الحق بن أبي داود أكبر عماله ومعه حاشيته. ولما وصل الناصر إلى قصر كتامة كان ابن تاكفت "قد طابقت أحواله أحوال أمثاله" (*البيان*، قسم الموحدين، 260) فاعتقله هو الآخر وأصحابه وأرسلهم مصفدين إلى وزيره ابن مثنى بفاس آمراً إياه بإعدام كل من عامل فاس الآنف الذكر وابن تاكفت. وقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ مقتلهما، فقيل في أواخر سنة 608 هـ أواخر ذي الحجة، وقيل كذلك في أوائل محرم من سنة 609، تم إخراج المذكورين إلى الساحة يوم جمعة بعد الصلاة بحضور الآلاف من الناس "فضربت أعناقهما صبراً، عبرة للمعتبرين وذكرى للغافلين" (*البيان*، قسم الموحدين، 263).

وبعد فتح الموحدين لقلعة شلبطرة بالأندلس، شاع خبر مقتل عاملي فاس وسبتة وسط الجيش وخاصة بين أشياخ الموحدين. وقد اعتبر ابن عذاري هذا النبأ سبباً رئيسياً فيما أصاب الموحدين بعد ذلك من تصدع صفوفهم وتدني معنوياتهم وبالتالي نكوصهم بموقعة العقاب إذ "لم يجدُّوا في تلك الغزوة ولا نصحوا فيها لأجل نكبة أميرهم الناصر لأشياخهم وقتله واستئصاله لهم على يد المفوض ذلك إليه ابن مثنى" حتى إن خبر موتهما أصبح حديث العامة حيث كان بعضهم يقول بعد الهزيمة "مدها قل لابن المثنى يردها"، يعنون بذلك صاحب الأشغال الذي نكب أشياخ الموحدين (*البيان*، قسم الموحدين، 263). بينما يرى عبد الواحد المراكشي سببا آخر لتخاذل الموحدين وانكسار شوكتهم، وهو تأخير رواتب الجند وأعطياتهم، ونسبوا الأمر إلى الوزراء، فرفض كثير منهم سل سيوفهم ومحاربة النصارى مما جعل الهزيمة على الموحدين أسرع وأقسى (*المعجب*، 457)، وإيذانا ببداية مرحلة جديدة من المشاكل التي سيعاني منها المخزن الموحدي كثيرا سواء في المغرب أو الأندلس والتي ستكون أيضا من أهم أسباب زوال دولتهم.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، قسم الموحدين، تح. مجموعة من الأساتذة، بيروت، الدار البيضاء، 1985 ؛ ع. المراكشي، *المعجب*، الطبعة السابعة، الدار البيضاء، د. ت. ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، الجزء السادس، بيروت، 1968 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 2، الدار البيضاء، 1954 ؛ م. بن تاويت، *تاريخ سبتة*، الدار البيضاء، 1982.

ابن تاكفت، يحيى المسوفي، من زعماء قبيلة مسوفة الصنهاجية، وأحد أبرز أشياخ المرابطين أيام الأمير علي بن

يوسف. وبعد وفاة هذا الأخير سنة 537 هـ برز خلاف ونزاع شديدان بين قبيلتي مسوفة ولمتونة حول الزعامة والرياسة. وقد تزامن هذا مع تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في كل من المغرب والأندلس فانتشرت الفتن وعمت الفوضى، وتفشى الغلاء وامتنع الرعايا عن أداء المغارم وتكالب النصارى على الثغور الإسلامية في الأندلس (*العبر*، 6 : 474). ووعيا من زعماء مسوفة بعدم قدرتهم على مجابهة قوة لمتونة التي تستحوذ على مقاليد السلطة، ونظراً لتغيير موازين القوة التي أصبحت تميل لصالح الموحدين وهم في طور النشوء، فضلوا الانحياز إلى الموحدين ومناصرة دعوتهم للاستفادة من الوضع الجديد وانتقاماً من سطوة لمتونة. وكان من أبرز هؤلاء الزعماء يحيى بن تاكفت وبراز بن محمد ويحيى بن إسحاق المعروف بأنجمار (أنگمار) الذي كان والي المرابطين على تلمسان وغيرهم من إخوانهم ورجال قبيلتهم. وقد ساهمت هذه الانسحابات في ارتفاع معنويات الجيش الموحدي ومكنت عبد المومن بن علي الگومي من استغلال الفرصة التي لا تعوض لضرب قوة صنهاجة في الصميم، فقد استفحل الخلل وزادت متاعب جيش المرابطين، ولم يعد أميرهم تاشفين بن علي يتحكم في زمام الأمور فأدى ذلك إلى تصاعد وتيرة الصراع بين لمتونة ومسوفة وقتل بعضهم بعضا. ومن مظاهر ذلك المواجهة التي وقعت بين يحيى بن تاكفت وقائد لمتونة محمد بن زجو (زگو) بظاهر تلمسان، فأسفرت المعركة عن مقتل زعيم مسوفة وابنه وقطع رأسيهما ووجه بهما إلى الأمير تاشفين الذي أمر بحملهما إلى سجلماسة حيث كانت أخت يحيى المذكور. وذكر ابن عذاري أن هذه الأخيرة حزنت كثيراً لمقتل أخيها وتوعدت بالانتقام له إذ قالت "إن كان لنا رجال فسيأخذون بثأرنا" (*البيان*، قسم الموحدين، 17). وقد بلغ هذا الكلام عبد المومن فانتصر لها ووعدها برأس تاشفين فكان له ذلك عندما قتله عام 539 هـ. وبهذا يمكن القول إن تاريخ مقتل يحيى بن تاكفت يقع بين سنة 537 هـ، تاريخ وفاة علي بن تاشفين ونشوب الخلاف على إثره بين لمتونة ومسوفة، وسنة 538 هـ التي شهدت المواجهات العنيفة بين عبد المومن وتاشفين بأحواز تلمسان حيث قتل يحيى.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، قسم الموحدين، تح. مجموعة من الأساتذة، بيروت، الدار البيضاء، 1985 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، الجزء السادس، بيروت، 1968 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ البيذق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971 ؛ الناصري، *الاستقصا*، الجزء الثاني، الدار البيضاء، 1954.

رشيد السلامي

تاگـا أو تاقـا = تيـگـي = تيقّي. يعيش بالمغرب نوعان من العرعر ذي الأوراق الابرية وهما : العرعر الكادي (Genévrier oxycèdre) أو علميا يونيبيروس أوكسيدروس Juniperus oxycedrus والعرعر العادي (Genévrier commun) أو علميا يونيبيروس كومونيس Juniperus communis. والنوعان ينتميان إلى فصيلة السرويات.

تاگا أو العرعر العادي نوع شجري من الممكن أن يبلغ علوه عشرة أمتار أو يزيد. قطر جذعه يمكن أن يتجاوز المتر الواحد، لكن غالباً ما يصادف على شكل شجرة قصيرة القامة أو شجيرة.

إنه جد متفرع، يبلغ طول أوراقه الإبرية من واحد إلى ثلاثة سم. ويظهر على وجهها العلوي خطان أبيضان وعلى وجهها السفلي كُظْرٌ منفرج غير محدود. تظهر الأزهار في الربيع، الذكرية على شكل قدَّة طولها خمسة سم، والأنثوية مكسوة بعدة دُوارات من الحَراشيف. الثمار لبية وكروية الشكل ذات لون أسمر يميل إلى الاحمرار، يتم نضجها في غضون السنة الثانية.

يعيش العرعر الكادي في كل الجبال المغربية من البحر المتوسط في الشمال إلى الأطلس الصغير في الجنوب، لكنه نادر في السهول. إنه يصادَف حتى ارتفاع 3.200 م فوق سطح البحر، أي من الطابق المتوسطي الدافئ حتى الطابق فوق الجبلي المتوسطي. أما من حيث البيومناخ فهو يوجد في المناطق شبه الجافةوشبه الرطبة، والرطبة وشديدة الرطوبة ذات الأشكال المعتدلة والباردة والقارسة والقارسة جدا.

لا ينظم العرعر الكادي غابات مثل العرعر الفينيقي (انظر *أيفس*) أو العرعر الفواح (انظر *أوال*) بل يصادف ممثَّلا بأفراد منتشرة في غابات البلوط الأخضر أو الأرز أو العرعر الفواح.

أما فيما يخص نطاقه الجغرافي فهو متوسطي إذ أنه يمتد من جزيرة ماديرا إلى بلاد الفرس.

يعطي العرعر الكادي القطران النباتي الذي يستعمل في التطبيب الشعبي لمعالجة بعض الأمراض الجلدية وأمراض أخرى ولمعالجة الحيوانات.

وتستخرج هذه المادة بتقطير الخشب أو الجذور للأشجار المعمرة من العرعر الكادي. كما يستعمل الخشب من طرف الأهالي كجسور لدعم الجدران وكركائز لدعم السقوف.

تاگا أو العرعر العادي، إن هذا النوع نادر جدا بالمغرب غير أنه يكثر في جبال المناطق المعتدلة من آسيا وأوربا وأمريكا. ففي المغرب، كما هو الشأن بالجزائر، لا يصادف إلا على بعض قمم الأطلس المتوسط (تيشوكت : للا أم البنت على علو يفوق 2.700 م، وبوناصر على علو 3.300 م) والأطلس الكبير (جبل إغيل فوق عيون وادي العبيد). أما من حيث التوزيع البيوجغرافي فهو يقطن في البيومناخين شبه الجاف وشبه الرطب ذوي الشكل القارس جدا، أي في الطابق النباتي فوق الجبلي المتوسطي.

العرعر العادي، شجيرة قزمية ذات أوراق إبرية دائمة الاخضرار لا يتعدى طولها 2 سم. والصفات النباتية الأخرى التي تميز هذا النوع عن النوع السابق هو وجود خط واحد أبيض على الوجه العلوي للورقة، واللون الأزرق الداكن للثمرة.

تستخدم ثمار العرعر العادي في البلدان التي يكثر بها في تطييب الطيور وتطييب اللحوم المختلفة وبصفة خاصة في الجبن، ويستخرج زيت طيار من الثمار المسحوقة يستخدم لإعطاء نكهة للجبن ولدرجة محدودة في الطب.

أبحاث ميدانية : أ. هيل، *النبات الاقتصادي*، تر. د. ع. زاهر وآخرين، المكتبة الانجلومصرية، القاهرة.

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938 ; P. Quezel et S. Santa, *Nouvelle flore de l'Algérie*, Paris, 1963.

عبد المالك بنعبيد

تاكّـَات، تعني الكانون، وهي حفرة صغيرة مستديرة على أرضية المكان الذي يقوم مقام المطبخ توضع حولها ثلاثة أحجار على شكل مثلث، وهي الأثافي التي تحمل أواني الطبخ عندما توضع على النار، ومن ثم تطلق تاكات على الأسرة لاشتراكها في طبخ الطعام.

ويرى جاك بيرك J. Berque أن تاكّات في عرف سكساوة تطلق على الأسرة التي لا يتجاوز عدد أفرادها خمسة (1952). وإذا كانت الشراكة في المطبخ تشكل تعريفاً لمدلول تاكات، فإن الشراكة في السكن تشكل من جهتها تعريفاً لمدلول تيگمّي (أي المنزل ـ الدار). وبالفعل فإن عدة تاكاتين (جمع تاكات) تربط بينها أواصر القربى، تتساكن وتقتسم غرف منزل واحد. وتتسع دلالة تاكات عند بعض القبائل المجاورة لسكساوة حيث تقتضي شراكة التساكن وشراكة الاستفادة من نفس المطبخ، أن تفسح المجال لهذا الغرض في وجه العائلات. وهكذا فإن النساء يقمن فيه بالتناوب بكل ما يهم أشغال المطبخ.

بالإضافة إلى ذلك، ترى العائلات وهي تشترك في استغلال الأراضي وامتلاك قطائع الأنعام. وفي هذه الحال، فإن تاكاتين (الكوانين) تشكل وحدة تقوم للاستهلاك والسكن واستثمار الأرض والامتلاك.

وجود هذه الوحدات وارد أيضا عند سكساوة. لكن هنا لا يعبّر عنها بلفظة تاكات. ويلاحظ أن عدداً من تاكاتين توجد كذلك بصورة شائعة بين العائلات التي تشترك هي الأخرى في الانتفاع بريع التراث الذي خلفه الأجداد. لكن تدبير هذه الموروثات وتوزيع المحصولات غالبا ما يكونان منوطين برجل واحد، هو الأب أو الأخ الأكبر. وفي هذه الظروف أيضا فإن نمط العيش يبقى مثل ما ذكر إلا أن تاكاتين المعنية بالأمر، تستهلك كل واحدة منها على حدة، محصول جهود وأعمال أفرادها.

ويؤكد هارت D. Hart من جهته أن قبائل أيت عطا الصحراوية تسمي الأسرة تاكات ولا يمكن أن يكون رئيسها عليها إلا الرجل المتأهل الذي يستطيع أن يضحي في عيد الأضحى، ويضيف هارت أنه في حالات نادرة، تشمل لفظة تاكات عائلة أوسع، تضم والدي الزوج وبناته المتزوجات. وعندها يتقلص مدلول تاكات إلى كانون واحد في المطبخ. ويبقى أن المعطى الأهم في الموضوع، أن الأب، إذا كان على قيد الحياة وغير مصاب بعجز، هو الذي يتحمل مسؤولية التدبير الاقتصادي والإشراف المعنوي على تاكاته. وفي هذا النسق، ينطبق معنى تاكات على أسرة زوجية واحدة كما ينطبق على عدة أسر من هذا الصنف تكون تحت سيادة شخص واحد.

ويبدو إلى حدّ الآن أن تاكات تختلف في تطبيقها عما يسمى بالعائلة الخلوية ـ (رجل + امرأة + أبناؤهما) والعائلة ذات الحجم الكبير. من ذلك، فإن تاكات لا يناسب تطبيقها على وحدة ثنائية يشكلها زوج وزوجته يسكنان في جناح خاص في منزل والد الزوج الذي يشتغل مع أبيه، فيسلم هذا الأخير إلى ابنه نصيبه من مردود العمل. في هذه الظروف، لا يتوفر الابن على السلطة وهي العامل الأساس في تحديد مفهوم الأسرة ـ لذلك، قد يفهم من العائلة، تاكاتين خاضعة لسيادة شخص واحد يتمتع بصلاحية تدبير شؤون الممتلكات الجماعية الموروثة وتوزيع المحصول الفلاحي على ذوي الحقوق. إذن، رغم ما قد يلحق بوحدة المطبخ من تفكك ـ يرجع، حسب بيرك، إلى تنطع النساء ـ ورغم الجنوح إلى الانفرادية ـ وليس إلى الاستقلال ـ في السكن، فلا شيء من هذا يعرض إطار الأسرة إلى العبث والتلف، لأن الأسرة تتشكل في عدد من الحالات من عدة تاكاتين لا انفصام لها، تحت قيادة رجل واحد (1952).

وليست تاكات حدثا اجتماعيا بشريا فقط، ولكنها قد تكون أيضا وحدة سياسية قانونية. من ذلك، يلاحظ أن بعض المجموعات بمناطق الأطلس الكبير وبعض الجماعات البشرية التي تشكل عائلة من الناحية الاجتماعية، لا تعتبر تاكات. وينطبق هذا الاستثناء على عائلة غريب مثلا، حتى ولو أنه كان يقيم باستمرار في حدود تراب المنطقة، وله منزل، فلا يعد عضواً في الجماعة ـ وهي الهيئة التي تقرر في قضايا تدبير الممتلكات الجماعية ـ. وكذلك الشأن فيما يتعلق بالابن الذي له منزله الخاص وميزانيته الخاصة، فلا يمكنه أن يؤسس تاكات إلا بعد وفاة والده. وعند عملية إحصاء تاكاتين لغاية استخلاص ما عليها من واجبات مادية لفائدة الجماعة، فإن عائلات العزباء، وعائلات الأرامل والأبناء المتزوجين، تستثنى من الإحصاء. وقد يحدث أن تنشطر تاكات وتنفجر إلى عدة بيوت، لكن بيت الأب وحده يُعتبر تاكات.

وباعتبارها وحدة ابتدائية أساسية للجماعة، يمكن لتاكات أن تقابل الخلية العائلية، ولا تقتضي وجود عنصرين متزوجين ـ كما يفرضه مدلول الأسرة لإنشاء تاكات. وقد يوجد ابن عازب، وله مشروع الزواج، يعيش مع أمه الأرملة، وهو رئيس لتاكات.

إن تحديد المجموعات البشرية العائلية لا يخلو من صعاب لأن عدداً من تاكاتين تجمع بينها روابط الدم، تشكل وحدة مجتمعية تسمى إخْسْ أو إغْسْ (أي العظْم) حسب ما كتبه بيرك ومونطاني وهارت، والأسرة على حسب تعبير التوفيق الذي يرى أن "إخس" تجمع بين عدة تاكاتين. وفي هذه الحال، فإن الصلة بين "إخْسْ" وبين الأسرة تبقى

مسألة اتفاق، كما أنه قد يحدث أن تقابل مجموعة من تاكاتين المسماة "إخس" محليا، عائلة تضم عدداً كبيراً من الأفراد، غير أن هذه الحالة نادرة، اعتباراً للبعد الديمغرافي الهام إخس.

وبالجملة فإن تاكات قد تعني العائلة أو الخلية العائلية كما يمكنها أن تنطبق على وحدات بشرية قائمة بذاتها ولكنها ملتفة حول سلطة رب عائلة. وعلى عكس ذلك، ولأسباب مرتبطة بالتنظيم المجتمعي، فإن بعض الخلايا العائلية وبعض العائلات، لا تسمى تاكات. وينبغي التذكير بأن مفاهيم الأسرة والعائلة التي تترجم معنى تاكات، يمكنها أن تنطبق في بعض الظروف، على جماعات بشرية أكثر عدداً وأوسع رقعة من إخس.

أ. التوفيق، *مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن 19 : اينولتان، 1850 - 1950*، الرباط، 1978.

A. Adam, *La maison et le village dans quelques tribus de l'Anti-Atlas*, Paris, 1951 ; J. Berque, *Structures sociales du Haut-Atlas*, Paris, 1978 ; D. Hart, *Dadda 'Atta and his Forty Grandsons. The Socio-Political Organization of the Ait 'Atta of Southern Morocco*, Middle East & North African Studies Press, 1981 ; E. Laoust, *Mots et choses berbères*, Paris, 1920 ; H. Rachik, *Le sultan des autres, Rituels et politique dans le Haut Atlas*, Casablanca, 1992

حسن رشيق - ترجمة : أحمد بنجلون

تاكَاوت أو تاكَوْت، باختلاف نطق الجهات الدرعية والأطلسية. شجرة الفوربيون التي تستعمل في الدباغة، وهي نوع من الأثل ذكرها أصحاب كتب النبات والجغرافيون وكان لها أهمية لاستعمالها في دبغ الجلود. وقد تستعملها النساء في معالجة الشعر. ذكرها ابن البيطار وصاحب *الروض المعطار*. كما ذكرها البكري بدرعة وقال : "يدبغ بها الجلد الغدامسي". وقد استمرت تثير انتباه الرحالين إلى قرننا هذا، وكانت تستعمل على نطاق واسع من لدن الدباغين والصباغين في جميع العصور.

أ. البكري، *المغرب* ؛ ع. الحميري، *الروض المعطار* ؛ ي. التادلي، *التشوف* ؛ الادريسي، *نزهة المشتاق* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*.

Dozy, *Supplément*.

محمد حجاج الطويل

تاگُرْت أو تَگُرت، أسرة تطوانية كل ما نعرفه عنها أنها كانت موجودة بالمدينة سنة 1257 / 1841 حيث نجدها تملك دارا بحومة الترنكات.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8، 313 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2، 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum* (año 1931), 1932.

محمد ابن عزوز حكيم

تاگلفت، موقع تاريخي في إقليم أزيلال بالأطلس الكبير الأوسط، أحدثت فيه سنة 1976 جماعة قروية تحمل اسمه وتناهز مساحتها 250 كلم^2 يحدها من الشمال جماعتا أربعاء أو قبلي وفم العنصر ومن الشرق جماعة تيزي نيسلي و من الغرب فم أودي ومن الجنوب جماعتا تيلوگيت وأنرگي (انظر الخريطة).

ويرجع أصل هذه الجماعة إلى أحد أفخاذ أيت سخمان نسبة إلى جدهم المسمى "علي سخمان" الذي أنجب خمسة أولاد، تفرعوا إلى القبائل التالية :

- عبدي أُعلي كوّن جماعة تيزي نيسلي.
- حمامة أُعلي كوّن جماعة أغبالة.
- داود أُعلي كوّن جماعة تاگلفت.
- سعيد أُعلي كوّن جماعة فم العنصر.
- حتي أُعلي مجهول الاتجاه.

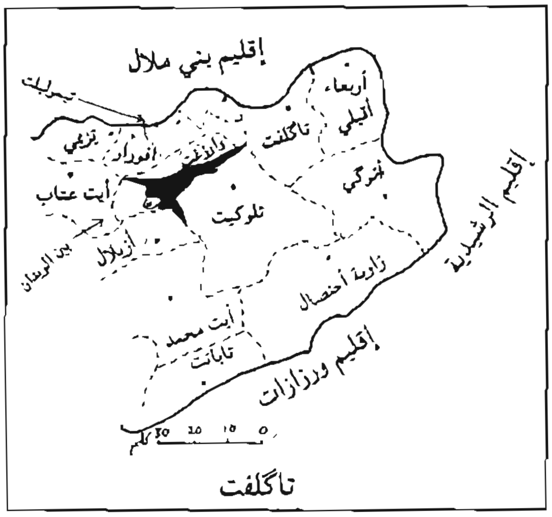
وقد أنجب داود أُعلي خمسة أولاد يرجع إليهم أصل السكان المستقرين بمنطقة تاگلفت، وهم :

- أنداح الذي شكل مشيخة أيت تمجوط.
- إسماعيل شكل مشيخة أيت إسماعيل.
- بولمان كون مشيخة أيت بولمان.
- خويا شكل كذلك مشيخة أيت خويا.
- حمزة استقر مع أخيه بأيت بولمان وكان فقيها. وعلى إثر بعض النزاعات التي وقعت بينه وبين أخيه هاجر إلى منطقة تيفرت بالأطلس الكبير، حيث استقر بها وشكل مشيخة أيت حمزة.

هكذا قسمت منطقة تاگلفت إلى أربع مشيخات متحدة تحت اسم أيت داود أُعلي وهي كالتالي :

- أيت خويا يشكّلون مركز الجماعة ويمثلون حوالي 33٪ من مجموع السكان.
- أيت إسماعيل تقع شرق الجماعة وتشكل حوالي 25٪ من مجموع السكان.
- أيت تمجّوط وأيت بولمان : يتركزون غرب وجنوب الجماعة ويمثلون حوالي 42٪ من مجموع السكان.

بالإضافة إلى هذه المجموعات استقبل فرع أيت خويا عنصراً بشرياً آخر في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) وهو من شرفاء زاويتي أسكار وأيت سيدي عزيز أي ما يعرف محلياً "إگرامن" وهم من الأدارسة الذين قدموا إلى المنطقة من زاوية أحنصال.



تشكل منطقة تاگلفت من الجانب الطبغرافي مجالاً

منخفضاً ذا امتداد مهم، تتراوح ارتفاعات سطحه ما بين 500 و600 م تقريباً. أهم ما يميزه هو طابع التقطع الشديد بفعل شبكة كثيفة من المسيلات المائية الموسمية وبعض الروافد المغذية لوادي العبيد.

أما الطبيعة الجيولوجية لهذا المنخفض فتغطيه صخور ضعيفة المقاومة كالصلصال والطين والبليت الأحمر للجوراسي الأوسط القاري.

تحيط بهذا المنخفض مجموعة من الاعراف تتعدى قممها 2000 م، منحوتة في صخور كلسية دولوميتية لياسية، أغلبها يتخذ اتجاها أطلسيا وتنتهي بسفوح وعرة وذات أشكال مركبة، غالباً ما تطورت بها شعاب وخوانق كما هو الحال بالنسبة لخوانق واد العبيد التي يطبعها بشدة تعمقه. أما باقي مجال المنخفض فيخترقه هذا الواد برسمه لمجموعة من المنعطفات الحبيسة.

تمتاز المنطقة بانخفاض درجة الحرارة بمعدل 10 درجات وارتفاعها خلال شهري يوليوز وغشت لتصل إلى 42 درجة، غير أن كمية التساقطات نسبياً مهمة حوالي 465 ملم وسط المنخفض وتعرف تذبذبات تختلف من سنة إلى أخرى حيث إنه في بعض السنوات تسجل فقط حوالي 150 ملم. أما القمم العليا التي يزيد ارتفاعها على 2000 م فتتلقى كميات لابأس بها من التساقطات الثلجية ابتداء من شهر نونبر إلى غاية شهر ماي.

يرتبط وجود هذه الصفات المناخية بعوامل محلية كالموقع العرضي والقارية والوضعية الطبغرافية التي تميز المنطقة.

ويقدر عدد سكان جماعة تاگلفت حسب إحصاء 1982 بحوالي 8012 نسمة، بكثافة سكانية تقترب من 32,04 نسمة في الكم. هذه الساكنة تغلب عليها فئة ذات بنية شابة، تتراوح أعمارها ما بين 15 و30 سنة.

يعيش هؤلاء السكان على أسلوب ريفي ويمارسون النشاط الزراعي والرعي، ويعتبر سوق الأحد بمركز الجماعة الجهاز التجاري الأساسي بالنسبة للسكان، بالإضافة إلى سوق السبت بأسكار وسوق الخميس بأيت تمجوط.

وتقدر مساحة الأراضي المستغلة بالجماعة بحوالي 17.626 هكتار موزعة كالتالي :

20 هكتار مسقية انطلاقاً من مجرى وادي العبيد وبعض العيون و12.000 هكتار بورية و5.606 هكتار أراضي رعوية.

أهم المنتجات الزراعية الشعير في المرتبة الأولى، يليه القمح، ثم هناك زراعة ثانوية تسمى محلياً "أرتكو" وتعرف بالسلت. أما المغروسات الشجرية فتنحصر في أشجار الزيتون والتفاح والتين. وتبقى مردودية هذه المنتجات ضعيفة ومنذ بذبة من سنة إلى أخرى.

يعاني هؤلاء السكان من قلة التجهيزات الأساسية ومن خطورة التعرية المتمثلة في ظاهرة انجراف التربة بسبب تراجع الغطاء النباتي الذي يحمي السطح، إضافة إلى انعدام التجهيزات الفلاحية. فبالرغم من إحداث مركز فلاحي بهذه الجماعة سنة 1980 فإنه لم يقم بالدور المنوط به تجاه هؤلاء السكان، لذا فضل معظمهم الهجرة إلى قطاع تادلا المسقي للعمل داخل الضيعات الكبرى أو إلى المراكز الحضرية المجاورة لمزاولة التجارة. وهناك من فضل الاستقرار بالجماعة وتفرغ لميدان الكسب الذي يعد حالياً المورد الرئيسي في التجارة داخل الأسواق الأسبوعية، ويأتي على رأسهم كسابو أيت تمجوط الذين يصدرون مواشيهم خارج نفود الجماعة إلى مدن تادلا كبني ملال والفقيه ابن صالح، كما يتعاملون مع مدن أخرى كمراكش وسلا وتاونات وأگادير.

ويبقى النشاط السائد المفضل لدى معظم سكان تاگلفت هو النشاط الرعوي، الذي يعتبر أهم مورد حقيقي لعيش معظم السكان فمثلاً الأغنام تأتي في الدرجة الأولى وتمثل حوالي 40.000 رأس بليها الماعز 23.500 رأس وفي المرتبة الثالثة الأبقار 460 رأس.

ويتم هذا النشاط الرعوي على حساب المجال الغابوي بسبب العدد المرتفع للمواشي إذا قورن بالمساحة المخصصة للرعي 5.606 هكتار. هذا في الوقت الذي تعتبر فيه الغابة من أهم الموارد الطبيعية والتي يمكن استغلالها لتنمية الجماعة من الناحية الاقتصادية، فهي تغطي ما يناهز 36.169 هكتار، يشرف على محافظتها أعوان غابويون، كما يوجد بمقر الجماعة إدارة للمياه والغابات، لكن عكس ذلك نجد أن 80٪ من مجموع سكان الجماعة يعيشون كلياً أو جزئياً من هذا المجال الغابوي المتنوع الأصناف (البلوط الأخضر - العرعار - التوية ...) وتتجلى ممارستهم في مظاهرة الاجتثات لربح المجال الفلاحي والخشب للتدفئة أو لاستعماله في البناء وكأدوات منزلية وفي جني الحطب. وأخطر ظاهرة تتم داخل الغابة هي عملية الرعي الجائر خصوصاً وأن صنف البلوط الأخضر يوفر غذاءً مفضلاً لدى معظم الماشية وخصوصاً صنف الماعز. إضافة إلى أن هناك عدداً مهماً من السكان يتاجرون في الخشب وفي صنع الفحم.

تشتهر هذه الجماعة بصناعة الفخار وإنتاج الزرابي كما تتوفر على مواقع استراتيجية مهمة تدعو إلى خلق مرافق حيوية سياحية للتعريف بهذه المنطقة لاسيما المكان المعروف بـ"والوس" الذي يبعد عن مقر الجماعة بخمسة كيلومترات والذي ينفرد بمناظر خلابة ومآثر تاريخية ترجع إلى العهد البرتغالي. ثم هناك زاوية "أسكار" المعروفة بقصورها القديمة ومياهها وطبيعتها الخلابة على طول الطريق المؤدية لمرعى "تنگارف" المنفردة بموقعها وطبيعتها الساحرة التي تستمر إلى قيادة أنرگي.

تحريات ميدانية.

عبد الرحيم بنعلي

تاگمًا (أهل -)، فرقة من قبيلة بني وريش من بني إزناسن، وقد تسموا باسم الموقع الذي استوطنوه على

السفوح الشمالية الغربية لجبل بني إزناسن غير بعيد عن قرية تافوغالت في اتجاه مدينة أبركان (إقليم وجدة)، وينقسم أهل تاكَمَا إلى أربع فصائل، وهم : أولاد يعقوب، وأولاد عبد الصادق، وأولاد بالخير، وأولاد بن مشعل.

ومن الملاحظ ان اسم الفرقة الرابعة يذكر بقصة اليهودي ابن مشعل مع المولى الرشيد، ولعل هذه التسمية تزكي الرواية التي حددت موطن ابن مشعل بجبل بني إزناسن.

ق. الوطاسي، *بنو يزناسن*، ص 22، 68، 92 ؛ عكاشة برحاب، *شمال المغرب الشرقي*، ص 58، 59.

عكاشة برحاب

تاكما، عين ماء جارية بجنوب مدينة مكناس على بعد سبعة كيلو مترات منها، وقد اكتشف الموحدون أهمية مائها في عهد عبد المومن بن علي وعملوا على إدخاله للمدينة، وأصبح منذئذ الماء الشروب للأهالي، عوض مياه الآبار ووادي بوفكران، وبعد ذلك تم إدخاله إلى المرافق الدينية كالمساجد كما يذكر ابن غازي في *الروض الهتون* (ص 28): "وزيد بعد الستمائة في جامعها الأكبر زيادة ظاهرة، وجلب إليها الماء على ستة أميال من عين طيبة الماء عجيبة القدر بموضع يقال له تاجما ... وهذا كله في أيام الموحدين ..."

كما أدخل المرينيون مياه عين تاكما للمدارس التي بنوها بمكناس، وانتشرت في عهدهم سقايات السبيل، وزوِّدت الحمامات بنفس الماء أيضا.

واهتم السلطان المولى إسماعيل في نهاية القرن الحادي عشر (17 م) بمياه عين تاكما الذي حبس جزءا منه على المسجد الأعظم، وأمر المكلف بالبناءات السلطانية محمد الكاتب الأندلسي بالوقوف على مد قنوات مياه تاكما، وسماها عين البيضاء، من منبعها إلى المسجد المذكور (*الإتحاف*، 1 : 153) وحبس المولى إسماعيل على مياه عين تاكما أوقافا داخل المدينة شملت الدور والحوانيت والحمامات، وخارجها مجموعة من الأراضي، وجعل إيرادها مخصصا للإنفاق على صيانة ماء عين تاكما وحراسته وإصلاح ما فسد من مجراها، وأداء واجب حراستها، لأن ماء هذه العين كانت تجري في قناة خصوصية، تمتد من منبعها إلى الجامع الكبير.

بقيت مياه تاكما محط عناية الملوك العلويين خاصة بعدما صارت تزوِّدُ الدار العالية بمكناس بما تحتاجه من الماء العذب الصالح للشرب، إلى أن لحقها الاهمال في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) وبداية الذي يليه، وخرب مجرى ساقيتها، واختلط ماؤها بماء وادي بوفكران. فلما بسطت فرنسا حمايتها على المغرب اهتم الحاكمون بهذه المياه من جديد، وحولوا مجراها سنة 1913 إلى هضبة حمرية التي كان يرابط فيها جنود دولة الحماية وبنيت فوقها المدينة الجديدة التي سكنتها العناصر الأوربية المتوافدة على مكناس، مكونة بذلك النواة الأساسية للمجتمع العصري الأوربي، فجاء الاهتمام بمياه عين تاكما التي صارت الممول الرئيسي للأجانب من المياه العذبة، "ثم لما طال استيطان الفرنسيين بمكناس، أنتج البحث المدقق من عرفائهم أن أحسن ماء يوجد بالبلد خفة وصفاء، وعذوبة هو ماء عين تاكما... وأدخلت الدولة الحامية ماء عين تاكما للمدينة الجديدة... ثم بعد هذا أدخل ماء عين تاكما للمدينة الأهلية المكناسية واتخذت له سقايات عمومية بأزقتها وأبيح إدخاله للدور" (*إتحاف*، 1 : 52).

أجرى التقنيون الفرنسيون عدة دراسات على مياه تاكما أسفرت عن نتائج جيدة، وهكذا توصلوا سنة 1932 إلى التعرف على الصبيب الحقيقي لتاكما الذي بلغ 35 ل / ث أي 3000 م، وهي كافية لتزويد سكان المدينتين القديمة والجديدة بالماء الشروب، والاستغناء عن مياه الآبار ووادي بوفكران.

م. ابن غازي، *الروض الهتون*، الرباط، 1988 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الجزء الأول ؛ ب. بوعسرية، *أحداث بوفكران بمكناس، 1، 2 شتنبر 1937*، الرباط 1990.

بوشتى بوعسرية

تاكما ← تاضا

تاكَمادَارْت، تطلق على المدخل الشمالي لواحة فزواطة بدرعة، وتمتد هذه المنطقة على طول بضع كيلو مترات من فم زاكَورة (إيمي نتزاكَورت) شمالا إلى حدود خُطة قصر تيمَتِّيكْ جنوبا. وتشتمل على مجموعة من القصور تقع كلها في الضفة الشرقية لنهر درعة، ومن هذه القصور : أمزْرُو وإِذْكْزاطْ، وأغْلا ودْرارْ وأكْرُور وسَارَتْ ثم أسْرير. وقد استحدثت بالمنطقة في العصور المتأخرة قصور أخرى أقل أهمية مثل قصبة أيت هَكُّو وزاوية أمزرو وزاوية أيت خَدُّو وقصر بني عثمان، وتشترك هذه القصور في الأراضي الزراعية وسواقي الري التي كانت تتطلب جهدا جماعيا لحمايتها وصيانتها كلما دعت الضرورة إلى ذلك.

وعلى غرار غير مناطق وادي درعة، استعارت تاكمادارت اسمها من أحد القصور المهمة كما هو الحال بالنسبة لجهات أخرى بواحة فزواطة مثل تامكَروت وبني علي وتيمتيك التي أخذت أسماءها من أهم قصورها.

ونستفيد من كتاب *إفريقيا* لمارمول الذي زار بلاد درعة في السبعينات من القرن السادس عشر الميلادي أن تاكَمادَارْت عبارة عن قصر عامر، يقدر عدد سكانه بحوالي ألف وخمسمائة نسمة، وأنه كان يزخر بالأدباء والعلماء (*إفريقيا*، 3 : 149)، إلا أنه لا يوجد اليوم أي قصر بمنطقة تاكمادارت بهذا الاسم. ويظهر من إشارة طوماس پيلو T. Pellow الذي زار درعة ضمن الجيش الاسماعيلي سنة 1135 / 1723، لوضع حد لعصيان قبائل محاميد الغزلان، أن قصر تاكَمادَارْت كان لا يزال قائما خلال العقود الأربعة الأولى من القرن الثاني عشر (18 م) (*La Relation*, 118).

ولا نستبعد أن يكون قصر تاكَمادَارْت قد تخرب وفقد أهميته مع بداية النصف الثاني من القرن الثاني عشر

(18م)، فقد ذكر محمد المكي الناصري أن الغلاء اشتد بدرعة سنة 1152 / 1739 م "فأتلف من أهله كثيرا وعفّى من محاسنه قصورا ودورا" (*طليعة*، 18). وقد كان هذا الغلاء الفاحش بدرعة وما صحبه من اضطرابات اجتماعية واقتصادية نتيجة مباشرة للأحداث التي عرفتها واحة محاميد الغزلان (*التاريخ الاجتماعي لدرعة*، 190 - 192).

كان موقع قصر تاگمادارت، مثار نقاش بين عدد من الباحثين في تاريخ وادي درعة، فاعتقد گاتفوسي Gattefossé أن هذا القصر كان قائما بالسفح الشمالي بجبل زاگورة على يمين الطريق الرابط بين تازرين وزاگورة، حيث لا تزال هناك بعض الأطلال القديمة إلى اليوم (*Juifs et Chrétiens du Dra*, 57) إلا أن الحفريات التي أجريت بعين المكان في أواسط الخمسينات من القرن الحالي، أثبتت أن هذه الأطلال من بقايا حصن تازاگورت المرابطي (*La Forteresse de Zagora*, 309) الذي استولى عليه الموحدون في بداية أمرهم (*نظم الجمان*، 195). ورجح سپلمان Spillmann أن يكون قصر أمزرو الحالي هو نفسه قصر تاگمادارت القديم (*Districts et tribus*, 151) خاصة أن سپلمان قد أدرك، في الثلاثينات من هذا القرن، بعض بقايا لبناء قديم خارج أسوار قصر أمزرو، وقد اختفت هذه البقايا على إثر التوسع العمراني الذي عرفه قصر أمزرو، بعد تعبيد الطريق الجديد بين زاگورة وتامگروت. أما دو لاشاپيل De La Chapelle فقد رجح أن يكون موقع قصر تاگمادارت في مكان ما من الخربات التي لا تزال قائمة إلى اليوم بالقرب من قصر سَارَتْ (*Une cité de l'Oued Dra*, 30) ولعل ما يرجّح ما ذهب إليه دولا شاپيل، أن سكان قصر سارت وسكان منطقة تاگمادارت بصفة عامة، لا يزالون يعرفون هذه الخربات بدار السلطان إشارة إلى كون الأشراف السعديين، كانوا قبل توليهم ملك المغرب، مستقرين بقصر تاگمادارت.

اشتهرت واحة فزواطة كغيرها من واحات درعة، ومنذ القرون الوسطى، برُبُطها العلمية والصوفية مثل رباط تافگروت ورباط سارَت، ورباط بني علي (*مذكرة المزريوي*: 5). ومنذ القرن الثامن الهجري بدأت الزوايا تحل محل هذه الربط. وتدل كل القرائن على أن كثيرا من ربط واحة فزواطة قد تحولت إلى زوايا، من ذلك على سبيل المثال رباط تافگروت ببني علي، وقد حلت محله زاوية سيدي بلال، وزاوية تاگمادارت التي حلت محل رباط سارت، وصارت الزوايا تقوم بكل الوظائف الاجتماعية والتعليمية والصوفية التي كانت تقوم بها الربط في العصور الوسطى.

ونستفيد من غير ما مصدر تاريخي، أن محمد بن مبارك، أحد متصوفة سوس، نصح أهل سوس بأن يستقدموا شريف تاگمادارت ويبايعوه على الجهاد، لرد عائلة المسيحيين الذين كانوا قد احتلوا بعض سواحل المنطقة (*الدوحة*، 10، 11 ؛ *الاستقصا*، 5 : 7). والذي يهمنا من هذه الإشارة أن الطريقة الجزولية التي يعتبر سيدي محمد بن مبارك من أبرز شيوخها في مطلع القرن العاشر (16 م)، ليس بسوس فحسب وإنما في مجموع أنحاء الجنوب المغربي، قد نجحت خلال القرن السابق في تدعيم نفوذها بواحات درعة عامة وواحة فزواطة بصفة خاصة، وذلك من خلال تأسيس سلسلة من الزوايا التي مهدت للشرفاء الزيدانيين انطلاقا من زاوية تاگمادارت لتسلم السلطة بالمغرب. ومن الزوايا التي صار لها شأن كبير بواحة فزواطة منذ مطلع القرن العاشر (16 م) زاوية سيدي علي بن محمد البكري وزاوية تامگروت، وزاوية تاگمادارت (*الحركة الفكرية*، 2 : 538، 541، 545).

وقد اشتهرت زاوية تاگمادرات بمن أنجبتهم من علماء أفذاذ من عائلات العنابي والعثماني والمضغري والشرفاء الزيدانين خلال القرن العاشر وردحا من القرن الحادي عشر (16 - 17 م) (*الحركة الفكرية*، 2 : 538، 539، 540، 541).

وبالرغم من ذهاب عز زاوية تاگمادارْت بنهاية الدولة السعدية، فإن بعض قصورها قد عرفت نبوغ عائلات علمية أخرى، كعائلة سيدي عبد الله بن مسعود بزاوية أيت خدو، وعائلة الرگيبي بقصر أغلا ودرار ؛ وقد كان آخر علماء هذه العائلة سيدي الحسن الأغلاودراري المتوفى عام 1339 هـ (*المعسول*، 16 : 339 ؛ *العقود الجوهرية*، 18 - 19)، بالإضافة إلى عائلة الدليمي التگمدارتي الورزازي، التي نبغ منها عدد من العلماء بدرعة وورزازات ومراكش وتطوان، حيث لايزال أبناؤها يعرفون إلى اليوم بالورزازي.

ويكفي تاگمادارت فخراً أنها قدمت للمغرب الدولة السعدية حيث نجح ملوكها في تدعيم وحدة البلاد وحمايتها من الاحتلال المسيحي في مطلع العصور الحديثة.

ح. ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج - 5 ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج - 16 ؛ مارمول كاربخال، *إفريقيا*، ج - 3 ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط : *طليعة الدرعة* ؛ محمد بن لحبيب التمنوگالي، *العقود الجوهرية في الأنباء الدرعية*، مخطوط ؛ عبد الكريم المزريوي، *مذكرة المزريوي*، مخطوط.

J. Meunié et Ch. Allain, *La Forteresse de Zagora*, *Hesp.*, 33, 1956 ; J. Gattefossé, *Juifs et Chrétiens du Dra avant l'Islam*, *B.S.P.M.*, 3 et 4, 1935 ; F. De La Chapelle, *Une cité de l'Oued Dra*, *Hesp.*, IX, 1929 ; G. Spillmann, *Districts et tribus de la haute vallée du Dra*, A.M., Vol. 9, Tome II, 1931 ; T. Pellow, *La Relation de Thomas Pellow*, Trad. Magali Morsy, Paris, 1983

التّاگمدَارتي، عبد الله بن محمد بن مسعود، أحد الفحول الكبار، لا نعرف شيئا عن ولادته، أخذ العلم عن عالِم درعة في وقته مَحمد بن مهدي الجراري ولازمه في زاويته حتى تخرج عليه، وقد طبقت شهرته العلمية الآفاق، فحلاه الحضيگي في *طبقاته* بأستاذ العلماء ورئيس الفقهاء والفضلاء (*طبقات*، 2 - 213).

عاد عبد الله بن مسعود بعد تخرجه إلى تاگمدَارتْ فتصدر للتدريس وإفادة المتعلمين، فأقبل عليه طلاب العلم من كل جهات درعة والمناطق الجنوبية، وقد تخرج عليه جم

غفير من علماء وادي درعة من أمثال أحمد أذفال دفين أكتاوة وغيره (*حضارة وادي درعة*، 140). وخلف ابن مسعود مؤلفات قيمة في الفقه والنحو، من ذلك *الشرح الجامع على مختصر الشيخ خليل والروض اليانع في أحكام التزويج وأداب المجامع وشروح على ألفية بن مالك ولامية الأفعال، والمقدمة الأجرومية* (*الحركة*، 2 : 550).

أقام عبد الله بن مسعود في أخريات أيامه زاوية (زاوية أيت حدّو) بالقرب من قصر إنكزاط بتاگمدارت. ولايزال حفدته بهذه الزاوية إلى اليوم. وقد توفي هذا العالم الجليل بعد الثمانين من القرن العاشر الهجري، ودفن بزاويته، حيث أقام حفدته قبة على قبره لاتزال مقصداً للزوار إلى اليوم.

التّاگمدارتي، محمد بن **أحمد** بن **عبد الله**. من فحول العلماء، وكبار الحفاظ في زمنه، حلاه صاحب *الدرر المرصعة* بالحافظ المتفنن والعلامة الماهر. ينحدر أسلافه من قبيلة أولاد دليم الصحراوية، وقد نزلوا بأغلاودرار من تاگمدارت في زمن غير معروف. نبغ من بينهم ثلة من العلماء الفضلاء، تجاوزت شهرتهم بلاد المغرب إلى الشرق خلال القرن الثاني عشر (18 م). ومن درعة هاجر بعض العلماء من أهله إلى ورزازات، حيث غلبت عليهم كنية الورزازي، ومنها إلى مراكش وتطوان. لا نعرف شيئا عن ولادة محمد بن أحمد، فلما شب رحل إلى سجلماسة، فأخذ بها عن الفقيه الشهير عبد الواحد القندوسي، ولازمه مدة طويلة، ثم رحل إلى فاس، فأخذ بها عن الفقيهين أحمد بن الحاج الفاسي وأبي عبد الله القسنطيني. وبعدما ملأ وطابه علما عاد إلى وادي درعة، فاستهوته الطريقة الناصرية، فأخذ الورد عن الشيخ أحمد الخليفة، ثم ما لبث أن استقر بتامگروت التي كانت آنذاك تزخر بفطاحل العلماء، من أمثال أحوزي وابن فتوح التلمساني وعبد الكريم التدغي وغيرهم، فتصدر بمدرسة الزاوية الناصرية للتدريس، خاصة أن الشيخ أحمد الخليفة اعتنى به عناية خاصة فتكفل له بكل لوازم الحياة من مأكل وملبس وغير ذلك (*الدرر*، 371). تألق نجم التاگمدارتي بالزاوية الناصرية، فصال وجال في الفقهيات، وكان كثيراً ما يذكر لطلبته أن الزرقاني شارح المختصر قد أخطأ في عدة مسائل في الفقه المالكي، وكان يحث الطلبة على الاعتماد على الحطاب والمواق لأنهما يسوقان المشهور في المذهب المالكي.

رحل محمد بن أحمد التاگمدارتي، صحبة الشيخ أحمد ابن ناصر إلى المشرق وأدى فريضة الحج، ثم عاد بعد ذلك إلى وادي درعة. وبعد وفاة أحمد بن ناصر سنة 1129 / 1717 اضطرب أمر الزاوية الناصرية نتيجة الصراع على المشيخة، فاضطر محمد بن أحمد التاگمدارتي إلى مغادرتها ورحل إلى المشرق في حجة ثانية، فاراً بنفسه من غوائل أبناء الدنيا (*الدرر*، 369). وبعد تأدية مناسك الحج، طاف التاگمدارتي في بعض مدن الحجاز ومصر، فرزق قبولا عظيما، وانتهى به المطاف بالقاهرة، حيث انتدب للتدريس بالجامع الأزهر إلى أن وافته المنية هناك سنة 1138 / 1725 فدفن بمشهد الإمام ابن القاسم، حيث مقابر عدد من أئمة المذهب المالكي بالقاهرة.

التّاگمدارتي، محمد بن **أحمد العثماني**، نشأ في قصر بني عثمان، المجاور لأغلاودرار، أحد المراكز العلمية القديمة بتاگمدارت. لا نكاد نعرف أي شيء عن ميلاده ومراحل تعليمه، إلا أننا نصادف توقيعاته وفتاويه بدرعة وجهاتها في أواخر القرن العاشر (16 م) ومطلع القرن الحادي عشر (17 م) مما يدل على طول باعه في الفقه المالكي أصولا وفروعا (*الحركة الفكرية*، 2 : 541).

ترجم له صاحب *الدرر المرصعة*، وحلاه بالعلامة الناقد الفهامة، كان مقصدا لطلاب العلم من أهل درعة خاصة، والجنوب عامة. وقد طارت شهرته كفقيه مفت في جوابه حول مسألة اشتراط المرأة على زوجها أن يلتزم لها بالطلاق في حالة الزواج عليها من امرأة أخرى. وقد سئل عن هذه المسألة، فأفتى بوجوب التزام الزوج بوقوع الطلاق في حالة إخلاله بكل شروط زوجته. وقد ساق التاگمدارتي جملة من النقول الفقهية من فروع وأصول الفقه المالكي، مما يدل على طول باعه في الفقه، وسعة اطلاعه وفهمه العميق لمذهب الإمام مالك، وقد نقل صاحب *الدرر* هذه الفتوى رغم طولها في ترجمة صاحبنا (*الدرر المرصعة*، 357). وقد أثارت هذه الفتوى بجرأتها، ردوداً قوية عند فقهاء درعة وشنقيط وسجلماسة، وانقسموا إلى مؤيد ومعارض، وهكذا حاول كل من محمد الحبيب ابن الأمين الشنقيطي، وأحمد بن مبارك السجلماسي وأحمد بن يوسف من بني علي بدرعة، الرد على التاگمدارتي بتفنيد فتواه، إلا أن هذا الموقف الذي قاده الشنقيطي جعل علماء آخرين من درعة وتافيلالت، يمعنون النظر في فتوى التاگمدارتي، ويستغربون من خرافات وضلالات الشنقيطي (*الدرر*، 361) وجهله بأصول الفقه المالكي وفروعه، وقد خرج التاگمدارتي من هذه المنافسة العلمية منتصرا، فاعترف له الكل بالفضل والنباهة وطول الباع. وقد توفي التاگمدارتي بمسقط رأسه مع بداية العقد الثالث من القرن الحادي عشر الهجري (17 م).

التّاگمدارتي، محمد بن **الحسين**، فقيه جليل وعالم فاضل، لا نعرف شيئا عن نشأته ومراحل تعليمه، إلا أنه يظهر أنه تعلم وتخرج بأحد المراكز العلمية بتاگمدارت خلال العقود الأولى من القرن الحادي عشر (17 م). له جولات وحضور في ميدان الإفتاء وتوثيق الرسوم العقارية بدرعة خلال الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن. وكثيراً ما كان يمهر فتاويه بعبارة "قاله محمد ابن الحسين التاگمدارتي". وتنطوي هذه العبارة على الثقة بالنفس وعلو الكعب في الفقه والعلوم الشرعية.

وبعد دخول وادي درعة تحت حكم محمد بن الشريف العلوي ابتداءً من سنة 1051 / 1640، اضطلع الفقيه محمد بن الحسين التاگمدارتي، بمهمة القضاء بدرعة دون أن يصرفه ذلك عن التدريس (*الحركة*، 2 : 541)، وقد جلب عليه منصب القضاء عدة انتقادات من فقهاء درعة، ونخص بالذكر انتقادات الشيخ مَحمد ابن ناصر الذي كتب إلى التاگمدارتي رسالة، ينتقد فيها أحكامه، خاصة فيما يتعلق بمسألة شهود التَّدْمية، ويحذِّر الناصري قاضي تاگمدارت من قبول شهود العامَة في هذه المسألة، وتعجب كيف يقبل الشهادة من أناس "لا يعرفون المسنون من المفروض، كما لا تقبل فيها شهادة من يأكل أموال الخراج ويأخذ المغارم بالإبط" (*طلعة*، 1 : 144). وبالرغم من أن الناصري اقتصر في رسالته إلى التاگمدارتي على الشهود في المسألة ولم يسق الحيثيات التي ارتكز عليها القاضي، فإن محمد بن الحسين التاگمدارتي استشاط غضبا من ابن ناصر، ورد عليه رداً قاسياً، واتهمه بالرجم بالغيب وقول الباطل، وهدده بأنه إذا لم ينته عن التشويش على أحكامه فإنه سيبلغ أمره إلى السلطان محمد ابن الشريف العلوي، وقد ترددت بين الرجلين عدة مكاتبات، حاول كل واحد منهما تبرير موقفه من الآخر. وقد خلف محمد بن الحسين التاگمدارتي عدة مؤلفات، أهمها *أرجوزة في قواعد الإسلام*، و*درة العلائق في توجيه الصبيان لدين الخالق*، وهما أرجوزتان تعليميتان لصغار التلاميذ (*الحركة*، 2 : 541). وقد توفي محمد بن الحسين التاگمدارتي في أواسط العقد الثامن من القرن الحادي عشر ودفن بمنطقة تاگمدارت.

التَّاگمدَّارتي، محمد بن عبد الرحمان، المكنّى القائم بأمر الله. ينحدر محمد بن عبد الرحمان من أسرة شريفة يتصل نسبها بالحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، هاجر جده زيدان بن أحمد من ينبع النخل بالحجاز إلى وادي درعة بدعوة من بعض سكان الوادي تبركا بنسبه الشريف. ونزل زيدان بقصر تيدسي بواحة ترناتة حيث لاتزال آثار قصر تيدسي قائمة إلى اليوم (*النزهة*، 7).

ويرجح أن تكون أسرة هذا الشريف قد انتقلت من تيدسي إلى تاگمدارت في بحر القرن التاسع (15 م)، حيث استقرت بقصر سَارَتْ أحد القصور الشهيرة آنذاك بواحة فزواطة.

وبقصر سارت نشأ محمد بن عبد الرحمان، فحفظ القرآن ثم أقبل على أخذ العلم على علماء تاگمدارت، فتخرج عالما مشاركا، ثم تصدى لتعليم القرآن وتدريس العلم كدأب جل علماء تاگمدارت آنذاك، واشتهر باطلاعه الواسع على تاريخ الجنوب عامة وتاريخ درعة بشكل خاص. وفي مطلع القرن العاشر (16 م)، انضم إلى الطريقة الجزولية على يد الشيخ محمد بن مبارك الأقاوي. ويذكر الناصري أن محمد بن عبد الرحمان اشتهر بالصلاح والفقر (*الاستقصا*، 5 : 8). ولما اشتدت وطأة المسيحيين على شواطئ سوس مع بداية العقد الثاني من القرن العاشر، انتدب محمد بن مبارك الأقاوي، محمد بن عبد الرحمان لقيادة القبائل السوسية في العمليات الجهادية. وهكذا انتقل محمد بن عبد الرحمان إلى قرية تيدسي قرب تارودانت سنة 916/ 1510 (*النزهة*، 16) فبايعه الناس "بقلوب متفقة وأهواء على الجهاد مجتمعة" فاجتمع إليه جم غفير من المجاهدين من أهل سوس ودرعة، فقصد بهم ميناء تَفَتْنَة على المحيط الأطلسي. ويذكر صاحب *النزهة* أن محمد بن عبد الرحمان الذي تلقب بالقائم بأمر الله، عمد إلى النصارى فناوشهم القتال، فأتاح الله له النصر. فلما رأى المسلمون ذلك تيمنوا بطلعته، وتفاءلوا بطائر ميمونه، وزادهم ذلك محبة في جانبه وتعظيما لمكانته (*النزهة*، 16). كان هذا الانتصار تجربة أولى بالنسبة لمحمد بن عبد الرحمان، ذلك أنه سمح له بالكشف عن مشروعه السياسي لعموم الناس، بعد تداوله بين أقطاب الطريقة الجزولية بسوس ودرعة، ويرتكز هذا المشروع على إقامة دولة قوية تقوم على الجهاد وتحرير ثغور المغرب كله. إلا أن مشروعا كهذا يتطلب أموالا ضخمة لتجييش الجيوش وشراء الأسلحة.

يبدو أن بداية تنفيذ هذا المشروع لقيت معارضة من بعض شيوخ سوس، فاضطر محمد بن عبد الرحمان إلى العودة لوادي درعة لإحكام أمره وضبط ما تبقى من ثغرات في النسيج العام لمشروعه السياسي. وفي سنة 918/ 1512 عاد إلى تيدسي، فاطمأنت به دارها وأزال إليه عنه ما كان أزعجه عنها (*الاستقصا*، 5 : 13).

كان من شروط محمد بن عبد الرحمان إلى تيدسي، مبايعة الناس لابنه أحمد الأعرج، فاستجاب أهل سوس لهذا الشرط، وبايع الناس الأعرج دون معارضة تذكر.

وصلت أخبار القائم بأمر الله إلى ما وراء الأطلس شمالا فبادر أشياخ قبائل حاحة والشياظمة إلى مبايعته على الجهاد، فاجتاز جبال الأطلس إلى أفوغال بعد تنصيب ابنه محمد الشيخ خليفة على سوس. ومن أفوغال بدأ محمد بن عبد الرحمان يناوش البرتغاليين القتال بشواطئ حاحة وسوس إلى أن وافته المنية سنة 923/ 1517، ودفن بضريح الشيخ محمد بن سُليمان الجزولي. وقد نقل أحمد الأعرج رفات أبيه ورفات الجزولي إلى مراكش في حدود عام 930/ 1523.

م. المكي بن موسى الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ محمد بن لحبيب التامنوگالتي، *العقود الجوهرية*، مخطوط خاص ؛ وثائق محلية في حوزة الكاتب ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، الرباط، 1977 ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري*، فاس، 1310 ؛ *الاستقصا*، 1955 ؛ م. الإفراني، نزهة الحادي، طبع الستة 1988 ؛ م. المنوني، *حضارة وادي درعة*، دعوة الحق، السنة 18، العدد الثاني، 1393/ 1973.

أحمد البوزيدي

تاگنُموتْ ← إماريغن

تاگنُموتْ، رأس ونهر بالشمال. يقع رأس تاگموت على الضفة اليمنى من مصب نهر سيدي الفتوح بمرسى تامْساگ الواقعة بشاطئ قبيلة متيوة البحر الموالي للبحر المتوسط.

وينبع نهر تگمُوت، بجبل تايدة بأرض قبيلة متيوة البحر التي تُسقى بمياهه، وبعد أن يقطع مسافة سبعة كيلو مترات تصب مياهه في البحر المتوسط بالمرسى المعروفة بتامساگ.

A. Domenech Lafuente, *Apuntes*, p. 38 . J. Cabello Alcaraz, *Apuntes*, p. 63.

محمد ابن عزوز حكيم

تاگنُموتْ (منطقة أعالي وادي نون). المقصود بتاگموت هو الصيغة التشبيهية التي تفيد شكل الحفرة حيث تتموضع عادة المداشر والحصون. تجثم قرية تاگموت بمحاذاة تاغاجيجت أيت إبراهيم بأعالي وادي نون على أساس تحكم شامل في حيوية المعالم الفلاحية والتجارية والحضارية المحلية. فحجم بقايا العمران القروي الكثيف يدل بكل وضوح عن حركية تاريخية حافلة بالأنشطة المختلفة.

لا شك أن الارتباط العضوي البيِّن بين تاريخ تاگموت الذي نكاد نجهل عنه كل شيء في الواقع الراهن للأبحاث وتاغاجيجت عاصمة القسم الأعلى من قصبات نول لمطة تجسده الروابط السلالية التي تربط مجمل فصائل أيت إبراهيم بعثمان ابن مندى، عامل عبد الله بن ياسين على نول لمطة خلال القرن الخامس (11 م) (انظر مادتي أيت إبراهيم وتاغاجيجت بالمعلمة). لقد تسبب الغزو الموحدي في مغادرة أيت إبراهيم لمنطقتهم هذه لكي يقضوا أزيد من ثلاثة قرون في الترحال الرعوي بين واحات توات ومنطقة الساقية الحمراء. وقد كانت عودتهم التدريجية إلى تاغاجيجت عن طريق تاگموت التي استقروا بها لمدة استمرت إلى حدود القرن التاسع (15 م) حيث أعادوا للمنطقة ماضيها المرابطي. وإذا كانت أسواق تاگموت المتعددة تشهد على أهميتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فإن وفرة مدارسها العتيقة وزواياها ترسخ دورها التاريخي في تأطير المنطقة دينيا وثقافيا وعلميا. لقد عزز ماضي تاگموت لدى قرى ومداشر أعالي وادي نون تصور العلاقات الاجتماعية وفق مقتضيات الروابط القرابية والقبلية التكنية. أما فيما يخص تكريس سلطة العلماء والزوايا، فقد أبقت إلى حدود القرن الماضي على نفس التوزيع الذي كان ما يزال قائما خلال القرن العاشر (16 م).

وإذا انتقلنا إلى مستوى مساهمة تاگموت في تطوير الصناعات المعدنية والصياغة وجدنا دور صناع تاگموت ما يزال يحتل موقعا متميزا في الرواية الشفوية بسوس ووادي نون. فقرب عدانة النحاس والفضة جعل حي تاگموت الصناعي مرتبط الأواصر بأسواق الصياغة بمراكش والصحراء وصانعيها الساهرين على حيوية هذا القطاع الخاص. على أننا وضعنا في اعتبارنا ما كان يسود المجتمع آنذاك من مناوءة لكل من يحيد عن ممارسة شعائر الإسلام، فيتضح دور تاگموت في التوفيق بين دورها الديني ودور يهودها في تطوير قطاع التعدين والصياغة. نبدي هذه الملاحظات الأولية للتأكيد على ما تكلفت به تاگموت من أعباء التوفيق بين المسلمين واليهود وبين أهل الزوايا والمحاربين من الفصائل القبلية التكنية.

بالنظر لما عليه تاگموت من شدة التحام أهلها وصلابة اندماجهم بباقي فصائل أيت إبراهيم، ندرك أنهم قد قاموا بأدوار دينية وسياسية تضاهي من حيث أهميتهما ما قام به كل من كان له إشعاع اقتصادي واجتماعي باهر.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 18، 227 - 228 ؛ *أيت إبراهيم وتاغجيجت*، *معلمة المغرب*.

La Ruelle, *Id Brahim*.

مصطفى ناعمي

التاگموتي، أحمد بن **مَحمد الأساوي**، فقيه محدث، وصوفي محقق. أخذ عن جماعة من فقهاء سوس ولازم الشيخ مَحمد الحضيكي صاحب *الطبقات* فأجازه وأذن له في تعليم العلوم الشرعية ماعدا تحفة ابن عاصم، وفرائض الرسموكي وأضرابهما مما يستعين به الطلبة على طلب الدنيا.

انقطع طوال حياته للتدريس في رباط تاگموت وزاوية أجداد في فم تَتْلْتْ. ومن المتخرجين على يده بلديه أبو بكر بن أحمد التاگموتي، وعبد الرحمن التغرغرتي الذي أثنى عليه الثناء العاطر في كتابه عن تراجم بعض علماء سوس، ومما قاله فيه : أحيى الله تعالى به البلاد والعباد بنشر السنن وإخماد البدع".

كانت الوفود من مختلف أنحاء سوس تقصد أحمد التاگموتي للتبرك فتجد لديه الاستقبال الحسن "فإذا خرج ليودعهم ينصب لهم مجلساً يعظهم فيه بما في *الجامع الصغير* للسيوطي من الأحاديث يقرأه قارئه ويبين لهم معاني الحديث بلغتهم ويبالغ في نصحهم وذمّ بدعهم ويحرضهم على أداء الصلاة في المساجد". - التغرغرتي - كما كان يحرضهم على تعليم أولادهم ونسائهم وبناتهم كتاب الله وما لا بد منه من أحكام الدين، وعلى ملازمة ذكر الله والصلاة عن رسوله عليه السلام عن كل حال في الدور والشوارع والفدادين.

توفي بمسقط رأسه في آخر جمادى الثانية عام ثلاثة وتسعين ومائة وألف / 14 يوليوز 1779.

ع. التغرغرتي، *تراجم بعض علماء سوس*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 18 : 228.

التاگموتي، أحمد بن **محمد تزيل** زاوية تاسيوين. نقيه مشارك لم تذكر كتب التراجم مشيخته، إلا أنه يعد أول قومه التاگموتيين نزولاً بهذه الزاوية بعد صدر القرن

الثالث عشر (19 م) فنال بها حظوة كبيرة، وزوجه شيخ الزاوية إبراهيم بن محمد بنته فاطمة وأسكنه عنده طول عمره وجعله إمامه ومعلمه للقرآن ومدرس العلوم في مسجد الزاوية، وعنه أخذ أولاد الشيخ عبد السلام ومحمد وأحمد وأبو بكر الذي تولى شؤون الزاوية بعد والده إبراهيم.

توفي حوالي عام 1260 / 1844.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 16 : 98 ـ 99.

التاگموتي، أبو بكر بن أحمد، نحوي لغوي فقيه محدث مشارك في مختلف ضروب العلوم الإسلامية، ومتصوف صالح، ناسك. أخذ عن الشيخين أحمد بن محمد الأساوي، ومحمد بن أحمد الحضيگي. أما المتخرجون على يده في القرآن وتجويده، والعلوم اللغوية والشرعية، فعددهم لا يحصى، ومنهم عبد الرحمن التغرغرتي الذي خصه بترجمة مطولة حافلة في كتابه عن تراجم علماء سوس. وقال إن دروسه كانت لا تخلو مهما كان موضوعها من السيرة النبوية وتاريخ الإسلام واستخراج العبر منه. "وكان ـ رضي الله عنه ـ حريصاً على كسب الحلال : يعمل في أرضه بيده حرثاً وغرساً وسقياً وحصداً وقطع الثمر ويستعين بطلبته في جميع أشغاله، فالناصح منهم في أشغاله تظهر البركة في حفظه وفهمه وعلمه" ـ التغرغرتي ـ.

وكان يقرأ ـ كمعظم شيوخ سوس ـ صحيح البخاري في شعبان ويختمه في رمضان إلى أن توفي في بلده بالوباء الجارف في ذي القعدة عام أربعة عشر ومائتين وألف / مارس ـ أبريل 1800، وقبره يزار بمقبرة إغير في تاگموت.

ع. التغرغرتي، *تراجم علماء سوس*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 18 : 228 ـ 232.

التاگموتي، محمد بن أحمد الصنهاجي اليعقوبي. فقيه كبير وصالح شهير، أخذ بمسقط رأسه عن والده القرآن ومبادئ العلوم اللغوية والشرعية ثم تنقل طالبا للعلم في مدارس سوس قبل أن يتوجه إلى فاس حيث أخذ عن محمد بن المدني گنون وطبقته، ثم ارتحل إلى الشرق فأخذ عن علماء تونس وليبيا ومصر، ورجع إلى قريته بعلم غزير، فتزوج ابنة شيخ الزاوية أبي بكر بن إبراهيم، وعلا شأنه وانتشر ذكره، وصار إلى جانب التدريس يخطب أيام الجمع في مسجد إيغريسين. وممن كان يعتقده ويزوره في الزاوية القائد محمد إيبيبض والد الباشا الحاج التهامي الأكلاوي ويقبل أخمص قدميه. وإلى ذلك كان الناس يضعون عنده الأمانات ولا سيما القواد، وله في ذلك حكايات وكرامات.

توفي عام 1312 / 94 ـ 1895.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 16 : 99 ـ 100.

التاگموتي، محمد بن يعقوب السوسي. فقيه متمكن من فروع المذهب المالكي. "كان يستظهر *مختصر ابن الحاجب الفرعي*، وكان رجلا صالحاً" (*درة الحجال*).

وليس هذا المترجم هو الشيخ محمد بن يعقوب التتلتي آتي الترجمة. وقد نبه صاحب *المعسول* على أن اليعقوبيين في سوس ثلاث فرق، منهم آل محمد بن يعقوب في فم تتلت، وآل عبد الله بن يعقوب السملاليون، وآل علي بن سعيدن القائمون على المدرسة المبنية على مشهد يعقوب الإيلاتي. ولم يعرف يعقوب والد المترجم. إلا أنه افترض أن يكون الشيخ الذي تنتسب إليه البلدة، إذ يقال لها تاگنوت نايت يعقوب.

توفي في حدود 960 / 1553.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 2 : 37 رقم 481 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 16 : 146.

محمد حجي

التاكموتيُّون أو التكموتية، هم صناع الخناجر أو الكمِّيات من معدن الفضة (النقرة). وقد كانت صناعة الحلي والمجوهرات في سائر مدن المغرب لا تنفصل عن صناعة اللباس، لأن اللباس كان عند المغاربة ذكوراً وإناثاً لا ينفصل عن الزينة رديفه الثاني. لذلك كانت أماكن بيع الأقمشة والملابس ملامسة أو قريبة من قيصريات الحلي والمجوهرات، ومازال هذا الازدواج قائماً إلى اليوم في بعض المدن.

وكان صناع الحلي الذهبية والفضية وباعتها في معظمهم من اليهود المغاربة لعدة اعتبارات من بينها الاعتبار الديني الذي ظل راسخاً عند سائر المسلمين وجعلهم ينفرون عن تداولها في الصناعة والتجارة بحكم أنها معادن منهي عنها بالنسبة للذكور. لكن ارتداء معدني الذهب والفضة كان مسموحاً به للمسلمات علماً بأن مستوى الثراء العام لم يكن يخول للسواد الأعظم منهن ارتداء غير الفضي منها، فساد انتشار الحلي ووسائل الزينة الفضية مما يفسر أسباب ازدهار مهنة التاگموتية في عدة مدن مغربية.

كان تقلد الكميات (الخناجر) كسلاح وحلية في مغرب القرون السابقة أمراً عادياً. وقليلا ما كان المرء يتحرك داخل المدينة أو خارجها دون سلاح. وإذا علمنا أن تقلد السلاح الأبيض والحصول على غشاء فضي له كان الأمل الذي يراود كل الرجال دون اختلاف بين الفقير والموسر والحضري والبدوي، أدركنا الدور الأساسي الذي كانت تلعبه حرفة التاكميين أو التكموتية الذين لم يقتصروا فقط على صياغة الكميات والخناجر بل تعدوها إلى الدمالج والأقراط والأساور وغيرها من حلي النساء. وهذا أمر شهد به كل من زار المغرب في القرون الثلاثة الأخيرة، حيث كانت الحلي النسوية الفضية هي السائدة بالإضافة إلى الخناجر (الكميات) المختلفة الأحجام والأشكال وأساليب التوشية والتنميق. وقد لاحظ معظم الوافدين على المغرب من الزوار أن تقلد الذكور المغاربة للجراب الجلدي (الشكارة) لم يكن ينفصل إلا نادراً جداً عن الكمية.

ع. ابن الهيثم، *البغية في ترتيب أحاديث الحلية*، مخطوط خ. ع.

رقم 2842 ك ؛ ع. أسهان، *الفنون المغربية الأصيلة*، *مجلة أبعاد فكرية*، ع. 2 السنة الأولى 1989 ؛ أ. التونيق، *ابنولتان*، (1850 - 1912)، الدار البيضاء، 1978 ؛ ع. زمامة، *فاس وصناعتها التقليدية*، *مجلة كلية الآداب بفاس*، السنة 1980 . 1981 ؛ *أسماء الحرف المعروفة بفاس*، *مجلة اللسان العربي*، سنة 1966 ؛ مؤلف مجهول، *المرأة المغربية والحلي*، *جريدة العلم* عدد 8706 بتاريخ 28 أبريل 1974.

J. Baldoui, *Les arts indigènes au Maroc*, Paris, s. d. ; M.M. Barde, *Coiffures féminines du Maroc*, Aix-en-Provence, 1990 ; A. Barthelemy, *Tazra, tapis et bijoux de Ouarzazate*, Aix-en-Provence, 1990 ; Belhomme, *Les poignards du Sous*, *F.M.*, n° 5, 15 mai 1917 ; *Les armes dans le Sous occidental*, *A.B.*, vol. 2, fasc. 1, 1917 ; H. Clouzot, *Les bijoux indigènes au Maroc, en Algérie et en Tunisie*, Paris, 1906 ; A.Delpy, *Les divers types de poignards marocains*, *C.A.T.A.N.*, n° 6, 1960.

محمد بوسلام

تاكنة (اتحادية قبلية صحراوية) ← **تَكْنَه**

تاگُنْتَافْت، كلمة أمازيغية مركبة من "ءاگ" ومعناها أن يكون الشيء فوق شيء آخر أعلى منه أو مشرفا عليه، كما تعني مجازاً المراقبة والحراسة. ومن "ضاف" ومعناها كذلك الحراسة والمراقبة. وبين الكلمتين "ن" الإضافة. وبها تصبح الكلمة على الشكل التالي : "ءاگ - ن - ضاف" التي تعني حرفيا "المكان المشرف المستعمل للمراقبة والحراسة". ثم أضيفت للكلمة المركبة "ءاگنضاف". "تاء" التأنيث أو التصغير أو الإشارة، فأصبحت "تاگنضافت" وانقلبت "الضاد" في الاستعمال الشفوي إلى "دال" فنطقها الناس "تاگندافت" أو إلى "تاء" فنطقوا بها "تاگنتافت".

ويبدو أن الكلمة دخلت في تكوين أسماء الأعلام البشرية والجغرافية منذ القدم. وهكذا نلاحظ أن البيذق ذكر اسم شخص من مكناس اسمه "يحيى ابن گنداف"، ولا شك أن أصل "گنداف" هذا هو "أگنداف" إذا اعتبرنا أن شعوب زناتة بصفة عامة يحذفون عادة في نطقهم الهمزة التي تكون في أول الاسم. كما ذكر القبيلة السوسية المعروفة إلى اليوم "بنو ونيطيف" والتي تسمى اليوم "إيداگنيضيف".

غير أن الكلمة بصيغة "تاگُنتافت" وجمعها "تيگُنتافين" لا توجد على ما يبدو إلا في وادي نفيس بأطلس مراكش، وأيت مالأ قرب تافينگولت جنوب تيزي - ن - تاسْت.

وقد اشتهرت "تاگُنتافْت" النفيسية لأنها انتسبت إليها منذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) عائلة أيت لحسن التي ينتمي إليها واحد من أكبر قواد الأطلس المراكشي هو الحاج الطيب الگنتافي نسبة إلى تاگنتافت.

كانت كلمة "تاگنتافت" تطلق أصلا على مجموعة من القرى الصغيرة تقع على الضفة اليمنى لنهر نفيس إلى الجنوب من تينملَ الموحدية بين تاسافت شرقا ومولدّيخت غربا. وتحمل أسماء مختلفة هي : أرتاتَّايْن وإيسقَّالن وگوگّتن وويگّيت، وإلى هذه الأخيرة ينتمي مؤسس أسرة إيگنتافن أو گندافة التي حكمت وادي نفيس وبعض المناطق المجاورة له مدة تقرب من مائة سنة، حتى إن اسم المنطقة تغير وأصبحت تسمى "گندافة" أو "قبيلة گندافة"، مع أن سكان وادي نفيس لا يجمعهم اسميا إلا انتماؤهم الجغرافي لمنطقتهم، وإلا فكل مجموعة من المجموعات البشرية المتساكنة فيه تحمل اسمها الخاص بها.

وإذا كان موقع قرى تاگنتافت مشرفا فعلا ويسمح بمراقبة المسلك الجبلي الذي يؤدي إلى مراكش وسوس عن طريق وادي نفيس وتيزي - ن - تاست، والذي يعتبر طريقا هاما ومطروقا منذ القدم، فإن "أگادير - ن - تگنتافت" أو قصبة تاگنتافت التي بنيت حوالي عام 1287 / 1870، غير بعيد عن القرى المذكورة، تعتبر فعلا برجا للمراقبة يجسد القوة الصاعدة للعائلة الگندافية التي أسسته ليكون حصنها الحصين وملجأها الذي تحتمي به من الأخطار.

"تاگنتافت" الحصن أو أگادير رمز السلطة الگنتافية في عهد محمد نايت لحسن المؤسس وابنه الطيب الگندافي بصفة خاصة، ليست اليوم إلا أطلالا مهجورة تشهد على ماض يتأسف البعض لزواله ويستهزئ البعض بآثاره : جل هؤلاء من سكان وادي نفيس، لا يعرفون اليوم عن تاگنتافت إلا ما سمعوه عنها من خلال الحكايات المتأسفة أو المستهزئة، لأنهم لم يكونوا گندافيين بالجملة ويستثقلون طراً كل سلطة.

Ch. de Foucauld, *Dictionnaire Touareg-Français*, 1951, T I., p. 381 - 382 ; E. Laoust, *Contribution à une étude de la toponymie du Haut Atlas*, Paris, 1942, p. 72 ; E. Lévi-Provençal, *Documents inédits d'histoire Almohade*, Paris, 1928, texte, p. 66, 37 ; E. Destaing, *Vocabulaire Français-Berbère*, Paris, 1920, p 270, 290, 139 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, Paris, 1930, pp. 276, 277, 301 sqq ; C. Justinard, *Un grand chef berbère, Le Caïd Goundafi*, Casablanca, 1951, pp. 38, 51, 55 et passim.

علي صدقي أزايكو

تاگنزالت، قرية وواحة تقع جنوب ورزازات، تحيط بها أسوار وتوجد بها قصبات جميلة الهندسة والشكل، يهتم أهلها بصيانتها والمحافظة على رونقها وعلى سلامة الأبراج التي تعلوها. إلا أن النمو الديمغرافي واكتشاف المناجم بالمنطقة لعبا دوراً كبيراً في تغيير عادات الأهالي.

وواحة تازناخت غنية بمنتوجاتها الفلاحية المتنوعة، دفعت السكان إلى الاعتماد على أنفسهم خصوصاً وأن تاگنزالت تعاني اليوم عزلة قاهرة، بحكم بعد موقعها عن الطريق الثانوية الرئيسية الرابطة بين تادلا وتازناخت، وهي المركز الإداري الوحيد الذي يقوم بالخدمات العمومية لصالح القبيلة المتساكنة بالمنطقة، وهي قبيلة أيت دوشَن.

Ch. de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc* ; L. Gentil et de Gonzac, *A travers le Maroc*.

أحمد بنجلون

تاگوزولت، التي يمكن أن تترجم بـ "الجزولية" أو "النزعة الجزولية" أو "النحلة الجزولية"، اسم علم يطلق على القبائل السوسية التي كانت منتمية إلى الحزب الجزولي. والكلمة كما هو واضح مأخوذة من اسم الشعب المعروف

تاريخيا ألا وهو "جزولة" أو "إيگوزولن".

وكان الحزب المقابل لها في المنطقة يحمل اسم "تاحْگّات" أو "تاسْكتيت" حسب الجهات داخل المنطقة نفسها. (انظر مادة تاحگات).

كان سكان سوس من وادي نون إلى جبل سيروان ومن وادي درعة الأوسط إلى وادي سوس منقسمين على هذين الحزبين المتنافسين انقساما يكاد يكون متوازنا، الشيء الذي يوحي للباحث المتأمل بأن الهدف الجوهري لهذا الانقسام "النصفي" هو تحقيق نوع من التوازن الدائم بين مختلف الجماعات المتساكنة في المنطقة.

غير أن نشأة نحلة "تاگوزولت" التي تعرف عليها المعاصرون على أرض الواقع بدأت في رأي بعض المهتمين في القرن الثامن (14 م). وربط تلك النشأة بسبب موضوعي معروف تاريخيا هو الطاعون الأسود الذي أتى على نسبة كبيرة من السكان في المنطقة المذكورة وفي غيرها من النواحي.

ويذكر المختار السوسي الذي هو صاحب هذا الرأي أن الجزوليين هم السكان الأصليون في القسم الغربي من الأطلس الصغير، ونتيجة لذلك فإن نحلة "تاگوزولت" هي التي تمثِّل هؤلاء السكان الذين قصم الطاعون الأسود قسما منهم. أما النحلة المقابلة، وهي "تاحگات" فانها تمثل الطارئين الذين استغلوا ضعف الأوائل وأخذوا يتسربون إلى بلادهم يحتلون ما أمكنهم منها. ومن هنا تولد النزاع بين الحزبين. غير أن هناك رأيا آخر يناقض هذا يقول: "ومما يلاحظ أن لفظ تاگوزولت يدل عرفا عند أهل المنطقة على الشرف والرفعة، بينما لفظ تاحگات يجيئ دون ذلك، ولهذا يستبدل اسم هذا اللف في بعض النواحي خصوصا الجبلية بلفظة سكتانة التي هي في أصلها اسم لقبيلة تضاد گزولة. وهذا ما جعل بعض المفسرين يفترضون ويرجحون أن المنخرطين في لف تاگوزولت هم من سلالة الرعاة الفاتحين والغزاة الظافرين. أما المنخرطون في لف تاحگات فهم ينحدرون من قدماء الفلاحين المستوطنين بالبلاد قبل مجيئ گزولة ..." (*أصول المغاربة، البحث العلمي*، 27 ص 235).

وبما أن الوجود الجزولي في المنطقة ثابت منذ القرن الخامس (11 م) على الأقل (البكري، 161)، وبما أن منطقة سوس بجبالها وسهولها، كانت حسب نفس المصدر آهلة بالفلاحين المستقرين من غير الجزوليين، فإن التحزب الثنائي للسكان كان واقعا قبل القرن الثامن (14 م)، إذا أخذنا بعين الاعتبار الرأي القائل بأن الجزوليين هم الطارئون. وتلافيا للدخول في تفاصيل الموضوع المتشعبة، التي أثرنا بعضها في مادة "تاحگات"، نذكر فقط بأن صيغة "تاگوزولت" و"تاحگات" تمثل الصورة الأخيرة من صور متنوعة اتخذتها ظاهرة الانقسام الثنائي عبر العصور المتغلغلة في الزمن الماضي، ونتيجة لذلك فإن التفسير الذي يوحي به تأمل الصورة الأخيرة لا يمكن أن ينسحب بشكل آلي ومطلق على الظاهرة كلها في كل زمان ومكان، خصوصا إذا تذكرنا أن وجود الثنائية الحزبية لا يقتصر على منطقة سوس وحدها.

لم يقع لحد الآن إحصاء كل القبائل المنتمية لنحلة تاگوزولت، ويبقى روبير مونتاني الذي اهتم بالموضوع في كتابه *البربر والمخزن* المرجع الوحيد الذي يشفي بعض الغليل. ومن خلال هذا الكتاب يتبين أن الجماعات التي كانت تنسب إلى تاگوزولت هي الجماعات الآتية: أيت باعمران وأيت الساحل وأيت المعدر وماسْت وإيداگورسموكت وإيداوْسملات وإيلالن وتازروالت وإيمجّاض وأيت رخا ولاخصاص وإيداوْزكري وإيداوگنسوس وأيت صواب وإيداوكتير.. وغيرها.

ويبدو أن مراكز نحلة تاگوزولت كانت هي إيليغ وتامنارت وأگلميم وتيبوت، وأن جبل لكست (انگيست) كان هو المحور الطبيعي الذي استقرت حوله أهم الجماعات البشرية المكونة لنحلة "تاگوزولت".

لا يقتصر الدور التاريخي للنحلتين على المحلي المحدود فقط، بل يتجاوز ذلك أحيانا إلى ما هو وطني أو إقليمي. وهكذا نرى أن نحلة "تاگوزولت" مثلا لعبت دورا هاما في معاضدة المرابطين ومعارضة الموحدين (*أصول المغاربة، البحث العلمي*، عدد 27 ص 233)، كما كانت وراء تأسيس الدولة السعدية وإمارة تازروالت فيما بعد. وبهذا الخصوص كتب المختار السوسي ما يلي: "وقد علمنا أن إثارة الدولة السعدية كان من السوسيين أتباع تاگوزولت وكذلك تأسيس دويلة إيليغ التي كان لها في سوس والصحرا، إلى غينية وراء الصحرا، صولة وسيادة زهاء خمس وستين سنة (1018. 1081هـ)..." (*المعسول*، 3: 169).

وفي الأخير نشير فقط إلى أن القرن الثامن (14 م) يمكن اعتباره فعلا نهاية لـ"جزولة" القبيلة القوية المهيمنة على المنطقة وأنشطتها، وبداية لـ "تاگوزولت" النحلة التي عملت على تقوية نفسها بالحاق "قبائل" أخرى غير جزولية بصفوفها، ومن أجل ذلك التجأت إلى أساليب أخرى غير الأساليب "القبلية" الأصيلة. وقد لخص التقي العلوي هذا الانحدار في العبارات الآتية: "وحينما جاء القرن العاشر الهجري لم تعد جزولة تُذكر كقبيلة، وانما يعرفها الناس كمقاطعة جغرافية تحمل اسم قبيلة اضمحلت وبقي اسمها للذكريات والاعتبار".

وحينما أطل على الناس عصر الزوايا والطرق الشاذلية كان للمنحدرين من سلالة جزولة النصيب الأوفر من هذه الروح الجديدة، فوجدوا فيها بلسما وتضميدا لجروحهم، وتناسيا لمحنتهم وفرارا من واقع العبودية والشقاء الذي كانوا يعيشون فيه. وتلك نتيجة حتمية للجماعات والأفراد الذين ينحدرون من قمة المجد إلى حضيض الهوان. وإذ ذاك انقطعت الأواصر التي تربطهم بالأصول الجزولية، وهبت ريح الانتساب إلى الشخصيات اللامعة في المغرب والمشرق والأندلس بدل الانتماء إلى جزولة فراراً من وصمة الضعف والهوان. وبذلك لم يعد لها ذكر إلا في أسماء المواقع

الجغرافية والأحلاف والتكتلات القبلية" (نفسه ص 233 - 234).

وفي انتظار تحقيق دراسة جدية شاملة لظاهرة الانقسام الثنائي على المستوى المحلي والوطني، يمكننا أن نقول دون تردد كبير، واعتمادا على قرائن عديدة، إن الانقسام الثنائي هو تعبير عن واقع تنعدم فيه التكتلات البشرية الكبيرة والقوية وليس العكس. وعلى هذا الأساس يمكن اعتباره أداة مثلى لتحقيق التوازن الضروري داخل إطار واقع متجزئ بالضرورة لا بالطبيعة.

أ. البكري، *المغرب*، ص. 157، 1965 ؛ ش. الإدريسي، *نزهة*، ص. 39، 1957 ؛ أ. البيذق، *أخبار المهدي*، ص. 41، 43، 1928 ؛ م. المختار السوسي، *خلالة جزولة*، ج 3، ص. 93، 94، 20 ؛ ج 7، ص. 9 ؛ *الإلغيات*، ج 3، ص. 166 وما بعدها ؛ *إيليغ قديما وحديثا*، ص. 238 وما بعدها، 57، 1966 ؛ التقي العلوي، *أصول المغاربة*، البحث العلمي، العدد 27، ص. 231 وما بعدها، 1977.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, 1930, pp. 182 sqq, 201 sqq ; C. Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au XVIème siècle*, 1933, pp. 59, 72 sqq et passim ; B. Rosenberger, *Tamdult*, *Hesp*, 1970, pp. 105, 1027, 129, 131, 133, 134 ; J. Berque, *Structures sociales du Haut Atlas*, 1955, pp. 224 sqq.

علي صدقي أزايكو

تاگونْتْ، رأس يقع بشاطئ قبيلة بني بوگافر الكرتية (إقليم الناظور) الموالي للبحر المتوسط، ويعرف أيضا باسم رأس بني بوگافر، وأما الإسبان فقد أطلقوا عليه اسم Punta Negri.

A. Domenech Lafuente, *Apuntes*, p. 38 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes*, p. 63.

محمد ابن عزوز حكيم

تاگونيت أو تاگْنيتْ، تعني بالأمازيغية نوعاً من التضاريس المقعرة أو حفرة مائية بدون روافد. ويطلق هذا الاسم على مركز صحراوي حديث أنشئ في نونبر سنة 1932 على أثر احتلال واحات اكتاوة، وعُيِّن الملازم الأول "سانت بون" Saint Bon كأول ضابط للشؤون الأهلية بتاگونيت نظراً لمعرفته الجيدة لواحات درعة، حيث كان ملازما للقبطان سبيلمان Spillmann في احتلال هذه الواحات.

تعتبر تاگونيت مركزا حضريا وإداريا لأكتاوة، وهي عبارة عن مجموعة من القصور الصحراوية تنيف على الخمسين وتنتشر على ضفاف نهر درعة في واحة مستطيلة من النخيل. ويبعد مركز تاگونيت عن زاگورة بخمسة وخمسين كيلو ميترا إلى الجنوب.

وأما بالنسبة للقبائل التابعة لمركز تاگنيت فمعظمها من أيت عطا. ثم استقرت بواحات اكتاوة إلى جانب أيت عطا قبائل عربية ويهود يعود تاريخ استقرارهم بدرعة إلى فترة ما قبل الإسلام، إلا أنهم لم يبق لهم أثر اليوم بعد هجرتهم الجماعية خاصة في النصف الثاني من القرن الحالي. ثم هناك دراوة من أصل إفريقي في الغالب وهم الذين يطلق عليهم محليا اسم الحراطين.

كانت تاگنيت وأكتاوة على العموم أيام السعديين وقبلهم مركزا تجاريا مهما باعتبارها إحدى المحطات الكبرى في طريق القوافل الصحراوية الرابطة بين السودان وشمال إفريقيا تسكنها جالية يهودية كبرى تشتغل بالتجارة والصياغة، ولما أعلن أحمد بن أبي محلي الثورة على زيدان ابن أحمد المنصور الذهبي في قرى بني عباس بتوات انتقل إلى اكتاوة فتزود بالذهب وضرب السكة باسمه قبل أن يزحف على مراكش ويستحوذ على خزائن قصر البديع.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، بيروت 1983، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية* ؛ إقليم ورزازات، *مونغرافيا منجزات وآفاق، مارس 1986*، نشرة لعمالة ورزازات، 1986 ؛ *احتلال درعة، مراحله وحيثياته*، أعمال ندوة كلية الآداب بأگادير نونبر 1992.

P. Azam, *Tagounit du Ktaoua quarante trois ans plus tard*, *La Koumia. Bulletin de liaison de l'Association des goums marocains en France*, Déc. 1989, n° 115, p. 49 - 52 ; G. Spillmann, *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du haut Dra*, Rabat, 1936.

عبد القادر بوراس

تالابادس، أي عين بادس، إذ كان منها مشرب المدينة، يتألف مصدر مياهها من التقاء عدد من المجاري المحلية المتصلة بمجرى إگنان، رافد واد بادس (اليوم : إزْلافن). يحتل المكان المنخفض الذي يجري فيه واد إگنان، ويشرف عليه من الجهة الجنوبية الشرقية جبل معمول (564 م) بقبيلة بني يَطّفت، إذ أن تلابادس كانت في بداية القرن العاشر (16م) جماعة مكونة من عدة مداشر، تضم أهل تلا، وعماير وتغالين وبني شكر والعرص، الذين منهم أولاد أعَرّاص، قواد حوز بادس والجيش السعدي.

يعود أول معرفتنا بوجود الاسم ومكانه إلى ما ذكره المجهول، صاحب *تقييد نسب قبيلة قلعية* المؤرخ في 939 / 1533، وإلى الوارد *بوثائق دوكاستر*، وإلى ما أشار إليه صاحب *تاريخ الدولة السعدية* وعبد الكريم الريفي في *زهر الأكم*. وازدادت معرفتنا بالمكان منذ أن أصبح مركزاً للقوات المخزنية السعدية والعلوية.

والحديث عن تلابادس مرتبط ببناء قصبتها. ويعود التصريح ببنائها إلى المجهول، صاحب *تاريخ الدولة السعدية*، طبقا لأمر عبد الله الغالب الصادر إثر الاحتلال الإسباني لجزيرة بادس وتخريب مدينتها في 29 محرم عام 972 / 6 شتنبر 1564. والاطلاع على المصادر الإسبانية يقرب لنا تاريخ تأسيس القصبة. فهو مرتبط بوصول منصور بن إبراهيم، مبعوث عبد الله الغالب إلى حوز بادس منذ جمادى الثانية عام 972 / يناير 1565 لوضع ترتيبات حراسة قارة تجاه الوجود الإسباني بالجزيرة.

فبعد تخريب مدينة بادس والتمركز الإسباني بجزيرتها، لم يعد هناك مكان للقوة المخزنية السعدية، مما حتم تراجعها إلى تلابادس، التي اتخذتها مركزاً لانطلاق محاولات تحرير المدنية خلال الخريف من نفس السنة. وخلال فصل الشتاء تأكد لدى قائد السعديين بحوز بادس فشل المحاولات الحربية. وتبعا لذلك تلقى أمرا بناء قصبة بتلابادس أثناء

عدة إجراء مباحثات بنود الهدنة مع حاكم الجزيرة. وآخر علمنا باستمرار وجود منصور بن إبراهيم بتلابادس يعود إلى رمضان عام 972 / أبريل 1565، لذا فإن تأسيس القصبة يعود إلى ما يقرب من هذا التاريخ.

شيدت القصبة بقلب بني يطفت على الضفة اليسرى من واد إكّنان عند التقائه بواد أكوكور، على مساحة مربعة الشكل تصل إلى 14.400م^2. بابها الرئيسي جنوبي، أسوارها متوسطة الارتفاع صممت مرافقها الداخلية لإيواء قائد القصبة ورجال الحامية الفرسان.

والظاهر أن قيادة قصبة تلابادس قد وضعت بيد أبناء القائد علي أعَرَاص، إذ أن الأسرة كانت لها الزعامة بحوز بادس منذ أواخر أيام الوطاسيين وبداية السعديين بالريف، وحظيت بقيادة الجيش السعدي (*معلمة المغرب*، 2 : 514). وأولى الأخبار التي بلغتنا عنها هي التي أنبأتنا بحلول محمد المتوكل السعدي بها، فراراً من ملاحقة عمه عبد الملك، مكث بها ما بين رمضان 985 / نونبر 1577 ومحرم 986 / مارس 1578. في انتظار وصول إذن ضون سبستيان للإبحار إلى لشبونة (*المعلمة*، 2 : 453).

لم نعلم بأخبار قصبة تلابادس إلا بعد أن سرد علينا عبد الكريم بن موسى الريفي الأحداث التي أدت إلى تخريبها على يد مولاي الرشيد بعد محرم عام 1075 / يوليوز - غشت 1664. خلال الحرب الأخيرة مع القائد أحمد أعراص (*المعلمة*، 2 : 514) إلى أن تم تجديد بنائها في نطاق تشديد الحصار على جزيرة بادس مع بداية القرن الثاني عشر (أواخر 17 م) على عهد مولاي إسماعيل. ربما كانت سنة التجديد هي 1091 / 1680.

مجهول، *نسب قبيلة تلعية*، مخطوط ؛ عبد الكريم بن موسى الريفي، *زهر الأكم*، 129 ؛ مجهول، *تاريخ الدولة السعدية*، 37، الرباط 1934 ؛ *معلمة المغرب*، 2 : 453. 514 ؛ الطيبي عبد الرحمن، *المجتمع الريفي قبل الحماية*، 2 : 437 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 84 ؛ *خريطة طبوغرافية* سنة 1921، أخرى سنة 1935 ؛ *النشرة الأثرية المغربية*، 14 : 259. 261.

S.I.H.M., Espagne, 3 : 43 ; A. Ghirelli, *Apuntes sobre la Cabila de Beni Iteft*, p. 47, Madrid, 1956.

حسن الفكَيكَي

تالات، كلمة أمازيغية، وجمعها تَالاَتِينْ تعني أرضاً منخفضة بالنسبة للأراضي المجاورة لها. كما تعني الشِّعْب والمسيل أو مجرى المياه. وتطلق مجازاً على حالة الانزلاق والتدحرج التي يقع فيها الانسان المنهار أخلاقيا أو المصاب بالافلاس مادياً أو معنوياً، فيقال له : "فلان وصل تالات" أي الدرجة السفلى. وهناك في منطقة تدغة مثال شائع يقال للانسان الذي يرفض استلهام الدروس من أخطائه للتراجع واصلاح اعوجاجه وانحرافه، فيقال عنه : "كَّانْد اكْ، مَدْن تالات، أمْخيب (أي المنبوذ) إيقِّيمْنْ ديسْ" بمعنى : كل الناس في يوم من أيام حياتهم تدحرجوا إلى الأسفل (تالات) لكنهم تمكنوا من الافلات والصعود من جديد إلى وضعهم العادي، إلا المشؤوم والمنبوذ والمتعجرف فهو وحده يظل في تالات (الأسفل).

واسم تالات أو تالاتين شائع الاستعمال في المغرب ويطلق عادة على القرى والمداشير التي تقع في الوادي ويجري فيها عادة مسيل، وقد تم إحصاء حوالي ثمانين قرية ومدشر ومكان تحمل اسم "تالات" أو "تالاتين".

وتتمتع هذه القرى بتحصين طبيعي، يقيها من الرياح مثلا، ومن مداهمتها بسهولة من طرف المغيرين الأجانب. كما أن أهالي تلك القرى يقيمون زراعات كثيفة غالبا في المدرجات، والمساحات الضيقة، ويعيشون على اقتصاد القلة.

تالات - ن - وامان، مركب منجمي يتشكل من عدة استغلاليات منجمية وتعدينية نحاسية، ويوجد الموقع بشرق إغرم (إقليم تارودانت) في منطقة جبلية تتراوح ارتفاعاها ما بين 1809 م بتالات - ن - وامان و1739 م بأمنايو و1715 م بأكوني ن الخير و1580 م بايمي نيكرى (انظر الخريطة الطبوغرافية لإغرم 1 / 100.000). وتشهد الطبونيميا بالنشاط المنجمي والتعديني للمنطقة، إذ يوجد بالقرب من قرية أكوني مرتفع يسمى أفران وناس، وآخر يوجد بالشرق يعرف بأفرني.

وتتخلل المنطقة آثار منجمية وتعدينية مهمة، فمثلا حُفر بموقع ورنداز دهليز لاستغلال الترسبات المعدنية النحاسية بسمك مترين، وعلى طول ثلاثمائة متر، توجد بقايا دهاليز ردمت بعدما تم استغلال كل العروق المعدنية، وهذه طريقة كانت تطبق في جل المناجم المغربية القديمة، إذ يُعمد مباشرة بعد الانتهاء من استغلال العرق المعدني، إلى حشو كل التجويفات بالردم المعدني مخافة من الانهيارات. وتم العثور على آثار للاشغالات المنجمية القديمة بمنطقة أكوني. وبأفرني توجد مجموعة آبار حفرت لاستغلال العروق المعدنية النحاسية الباطنية.

وتقع أهم الآثار المنجمية بتالات - ن - وامان، بالأماكن التي يتجاوز سمك الترسبات المعدنية بها ستين سنتيمتر، وتنتشر الآبار المنجمية على طول كيلومتر واحد.

وتغطي الاستغلاليات المنجمية لتالات - ن - وامان إجمالا مسافة 3,7 كلم باتجاه من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي.

الخريطة الطبغرافية إغرم 1 / 100.000.

S. Vergero, *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1942 ; Gorichon, *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1953 ; T. Tonochaux, *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1954 ; L. Gay, *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1957 ; M. Saadi, *Mines et géologie*, N° 26, 1968 ; B. Rosenberger, *Anciennes exploitations minières*, *R.G.M*, t.17, pp. 71 - 102. 1970.

الموساري العجلاوي

تالات - ن - يغشى، منخفض يخترقه أحد روافد نهر غريس، وهي منيعة تحيط بها الجبال من الجانبين وأصبحت عبارة عن مضيق جبلي وفج عميق. وتكمن أهميتها في كونها الممر الأساسي من أيت هاني "بأمدغوس" نحو

"الريش" مرورا "بأسول". وكذلك من إميلشيل "بأسيف ملول" نحو الريش عبر أسول.

وتعتبر تالات ن يغشى، من المواقع المشهورة في أعالي نهر غريس بسبب المعارك البطولية التي كان هذا الموقع مسرحاً لها يوم 5 و6 غشت 1933. إذ تمكنت جماعة من المقاومين الشجعان من أيت مرغاد وأيت حديدو (أيت يافلمان) وغيرهم، من الوقوف في وجه طوابير تكاد لا تنتهي من جيوش الاستعمار، مجهزة بمختلف الأسلحة العصرية التي تطورت بأوربا آنذاك. وبفضل ذكاء المقاومين العسكري تمكنوا من استغلالهم للموقع والمسالك الوعرة لمحاصرة القوات الاستعمارية المغيرة على "تالات ن يغشى". هذا على الرغم من الاستعدادات الدقيقة والإمدادات الضخمة اتخذها الاستعماريون لاحتلال منطقة "أمدغوس" التي تعد من آخر معاقل المقاومة بمنطقة الأطلس الكبير الأوسط.

وهكذا فعلى إثر إخماد المقاومة التي تزعمها "سيدي المكي أمهاوش" يوم 14 شتنبر 1932، بعدما تدفقت القوات الاستعمارية من جميع الجهات لتحاصر المقاومين في تازگزاوت اضطر المقاومون إلى الاستسلام بعد قتال مرير تكبد العدو خلاله خسائر فادحة في الأرواح والعتاد منها سبعة ضباط من رتب عالية وأكثر من مائتي جندي بالإضافة إلى مئات الجرحى.

زحفت الجيوش الاستعمارية بعد هذه المعارك، خاصة فوج مكناس بقيادة الجنرال گودو (Général Goudot). نحو أسيف ملول واستقر بجيوشه بإميلشيل، وأخذ يزحف بالتدريج نحو أمدغوس حيث تم احتلال أگدال نايت ابراهيم. وفي نفس الوقت تم شق الطريق عبر ممر تيزي - ن - تَغرغُوزينْ. الشيء الذي مكن الجنرال دوبيسون (De Buisson) من الزحف نحو أگدال السابق الذكر، ومحاصرة قرى أمدغوس بقوات ضخمة، قوامها أربعة فيالق وثلاثة مدافع بعيدة المدى وبفوجين من الگوم بالإضافة إلى قوات تم تجنيدها من القبائل التي أخضعها الاستعمار والتي يعبر عنها بالقوات الإضافية. وتم تجميع هذه القوات خلال الفترة الممتدة ما بين 18 و27 يوليوز 1933 في إطار الاستعدادات لاحتلال أمدغوس انطلاقا من الشمال.

وأما من جهة الغرب، فقد أدى إنهاء المقاومة بجبل صاغرو يوم 25 مارس 1933، بعد استسلام بطل المقاومة عسو أُبَسْلاَمْ، أدى ذلك إلى تجميع القوات الاستعمارية التابعة لمراكش في مركز بومالن دادس بقيادة الجنيرال كاترو Catroux منذ يوليوز 1933. وتم الشروع في شق الطريق في بومالن دادس نحو أعالي نهر دادس بإمدغاس Imdghass وتم احتلال قرية مسمرير وتامتتوشت، وتمت محاصرة أيت هاني وقرى أمدغوس من ناحية الغرب.

ومن ناحية الجنوب، حل الجنرال هوري Gl. Huré القائد الأعلى للقوات الفرنسية بالمغرب بتينغير تدغة التي حولها إلى مركز قيادته، وأخذ يسير العمليات العسكرية من هناك.

من جهة الشرق، قامت القوات الاستعمارية التابعة لمكناس وتادلة باحتلال المواقع الاستراتيجية والقرى حيث واجهتهم مقاومة أيت يحيى بكردوس، وتمكنوا من تطويق أعالي نهر غريس. وشرعت القوات الاستعمارية في تمشيط المنطقة للقضاء على جيوب المقاومة بأيت هاني.

وفي هذا الوقت أخذ المقاومون ينظمون أنفسهم ويعدون العدة لمواجهة الزحف الاستعماري المغير في المواجهة المصيرية، وقد اتخذوا الزوايا مقراً وملجأ لهذا التنظيم، وخاصة زاوية سيدي بويعقوب بأسول التي ساندت الجهاد ودعت الجماهير للالتحاق بصفوفها، وزاوية سيدي محمد أويوسف وهي فرع لزاوية سيدي بويعقوب، وزاوية قصر أيت سيدي بتلمي على مقربة من إميلشيل... وكانت خطة المقاومة مدبرة أحسن تدبير، بحيث أسندت قيادة المعارك إلى شخصيات معروفة بخصالها الحربية وتجربتها لمقاومة الاستعمار في معارك سابقة، هذا إلى جانب توفرها على رصيد من التقدير لدى رجال المقاومة. ومن بين هذه الشخصيات نذكر على سبيل المثال فقط :

زايد أوسكونتي من أيت عيسى إزم، وعلي أوطرمون، وموحى أوعرجي، وكلهم من أيت مرغاد. وكذلك سيدي حماد نايت سيدي العربي، والراضي مولاي امحمد بقصر إطُوفَـزُو، وسيدي محمد المصغر وأخاه سيدي الطيبي الهواري وباسو أوعدي أمهاوش...

كما أصدر العلماء والفقهاء وأعيان الزوايا المذكورة فتاوي من أجل إعلان الحرب على الغزاة والحث على الجهاد. وكانت هذه القيادات تشرف على مجموع العمليات وتقاتل أحياناً في الصفوف الأمامية، ولهذا سقط الكثير منهم في ساحة الوغى.

وفي أوائل غشت 1933 أصدر الجنيرال هوري انطلاقا من تينغير أمره لقواد مختلف الوحدات من أجل تطويق المقاومين في معاقلهم الجبلية خاصة في فج تيزي نحمدون وجبل أيوب وجبل كردوس وذلك لمنع المقاومين من الالتحاق بجبل بادو الذي جرت فيه المعارك الحربية في أواخر غشت 1933، وفي كل موقع أخذت كتائب المقاومة تتمركز ليل نهار في خنادق وتحصينات من الأحجار تسترها أغصان الأشجار، كما وضع حراس في المرتفعات يتتبعون تحركات الجيوش الاستعمارية. كما كانت أسر المجاهدين تتحصن نهاراً داخل سراديب محفورة تحت الصخور، ولم تكن ضربات الطائرات والمدافع تصيب سوى قطعان الغنم في أغلب الأحيان ! (الأرض المحروقة).

وقد كانت القيادة الاستعمارية تدرك أن قبائل الأطلس الكبير الأوسط لن تستسلم بسهولة إلا بعد استنفاد وسائل المقاومة عن آخرها. وإلى هذا يشير الجنيرال ثيفيني Thévenéy في المجلة العسكرية *La revue militaire* بتاريخ 29 يوليوز 1993 :

"... ومثل منشقي تازكزاوت في 1932، وصاغرو في

1933، فإن منشقي الأطلس الكبير سيمتنعون أولا عن التفاوض، ولن يقع استسلامهم احتمالا إلا بقوة الضرورة، وذلك بواسطة أسلحتنا الأتوماتيكية، ومدافعها المركزة في المواقع المختارة، وطيراننا المداوم على الارتباط بتحركات جنودنا. وأمام اشتداد الخناق عليهم، وانهاكهم بالجوع والعطش، وإبادتهم بالنيران، وبعد أن يكونوا قد أنفذوا الشرف، إلى الاستسلام أخيراً آنذاك سنجردهم من أسلحتهم ونكون بذلك قد أخمدنا فتنة الجبل بأكمله".

وقد أصدر الجنيرال هوري أمره لاحتلال تالات ن يغشي الذي يعد أحد روافد نهر غريس وذلك لإحكام الخناق على المقاومين الذين بدأوا يعتصمون بجبل بادو.

وتم تكوين فرق عسكرية من المشاة والمدفعية وذلك لاحتلال تالات - ن - يغشى لقطع الطريق أمام المقاومين نحو جبل بادو وأيوب، وساهم فوج مراكش ومكناس تحت قيادة الجنيرال جيرو Giraud بالنسبة لفوج مراكش والجنيرال دو لا بوم De la Baume بالنسبة لفوج تادلة في تلك العملية.

وفي هذا الوقت أخذ قواد المقاومة يعدون العدة للقذف بقبائل أيت مرغاد وأيت حديدو الأشاوس، في وجه الفرنسيين المغيرين على منطقتهم. وهكذا ففي ليلة 5 غشت 1933، اشتبك المقاومون مع القوات الاستعمارية المغيرة، وأخذوا يستدرجونها إلى المسالك الوعرة "بتالات - ن - يغشى" وفي هذا الصدد يقول أحد أبطال مقاومة "تالات - ن - يغشى" وهو من منطقة أيت هاني ويدعى "امبارك أو المعطي" يقول :

"كنا قد وضعنا حراساً في قمم الجبال المطلة على مدخل "تلات - ن - يغشى" لإرشادنا عن تحركات طوابير الجيوش الاستعمارية، فكان عليهم أي الحراس أن يتقدموا نحونا إذا تقدمت جيوش الاستعمار وأن يتوقفوا إن توقفت إلخ... ولما شاهدنا الحراس يقتربون منها، استشعرنا نوعاً من الذهول لأن الأمر يتعلق بالمعركة المصيرية، وكنت في مقدمة الصف وكان علي أن أطلق الرصاصة الأولى إيذاناً ببداية المواجهة... وهذا ما تم بالفعل وأخذنا نمطر القوات الاستعمارية بوابل من الرصاص من كل جهة ولم ينج منها إلا الفارون وغنمنا أسلحة كثيرة وعدداً كبيراً من الخيل والألبسة العسكرية" (راوية شفوية مؤرخة بـ 24 مارس 1974).

وإلى هذه المعركة يشير العقيد فوانو (Le colonel Voinot) في كتابه المشار إليه في المراجع صفحة 466 :

"وبعد تكوين وتنظيم القوات المكلفة باحتلال "تلات - ن - يغشى" تقدمت هذه القوات نحو هدفها يوم 6 غشت، إلا أنها فوجئت بهجومات مباغتة للمنشقين القادمين من بادو وأرغمت هذه انغارات قواتها للتراجع نحو ضفاف أحد روافد وادي تالات ن يغشى... وكانت خسائرنا في معركة "تالات - ن - يغشى" قد بلغت أربعة وأربعين قتيلا وواحدا وخمسين جريحاً ومقتل أربعة ضباط من رتب متفاوتة بين عقيد ومقدم ونقيب..."

وقد أثارت هذه المعركة البطولية للمقاومين معارضة داخلية في فرنسا، رغم أسلوب التعتيم الذي اتبعته إدارة الحماية عن العمليات العسكرية في المغرب بحيث أوهمت الرأي العام خاصة بعد حرب الريف أن المغرب تم احتلاله ولم يبق إلا عمليات محدودة ضد المنشقين وقطاع الطرق، فجاءت معارك أمدغوس وخاصة معارك "تالات - ن - يغشى" لتفجير الوضع من جديد، وهكذا كتبت جريدة لوبوبيلير *Le Populaire* بتاريخ 18 يوليوز 1933 :

"لا يزال الدم يسيل في المغرب". وفي عدد 14 يوليوز 1933 قالت : "عشرة قتلى آخرين واثنان وعشرون جريحاً في المغرب !". وفي عدد 11 غشت 1933 أي بعد معارك تالات - ن - يغشى، كتبت الجريدة المذكورة :

"... إن التوغل السلمي المزعوم في المغرب ليس شيئاً آخر سوى مشروع لصوصية كبيرة لفائدة الرأسمالية الاستعمارية، ومناسبة لبعض ذوي الرتب العسكرية لكي يربحوا شارات ونياشين بدم الجنود الفرنسيين والاهالي التعساء... إن صمت الحكومة ذو دلالة وسنرغمها على الخروج من هذا الصمت سواء أرادت ذلك أم لم ترده..." (جورج أوفيد، *اليسار الفرنسي والحركة الوطنية المغربية 1905 - 1955*، ص. 255، مطبعة دار توبقال).

وقد شكلت معارك "تالات - ن - يغشى" عقبة كأداء لتقدم الجيوس الاستعمارية، كما أعطت نفسها للمقاومة التي قامت بها قبائل أيت مرغاد بقيادة زايد اسكونتي بجبل بادو من 22 إلى 26 غشت 1933.

محمد المعزوزي وهاشم العابدي العلوي، *الكفاح المغربي المسلح في حلقات من 1900 إلى 1935*، مطابع الأنبا، الرباط، 1986 ؛ جورج أوفيد، *اليسار الفرنسي والحركة الوطنية المغربية 1905 - 1955*، دار توبقال، 1988.

L. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939 , J. Saulay, *Histoire des Goums marocains*, Tome I, Paris, 1981 ; Lançon, *Les dernières étapes de la pacification dans le Grand Atlas marocain 1931 - 1933*, R.M.F., Août - Sept. 1934 ; B. Guillaume, *Les berbères marocains et la pacification de l'Atlas Central*, Paris, 1946

عبد القادر بوراس

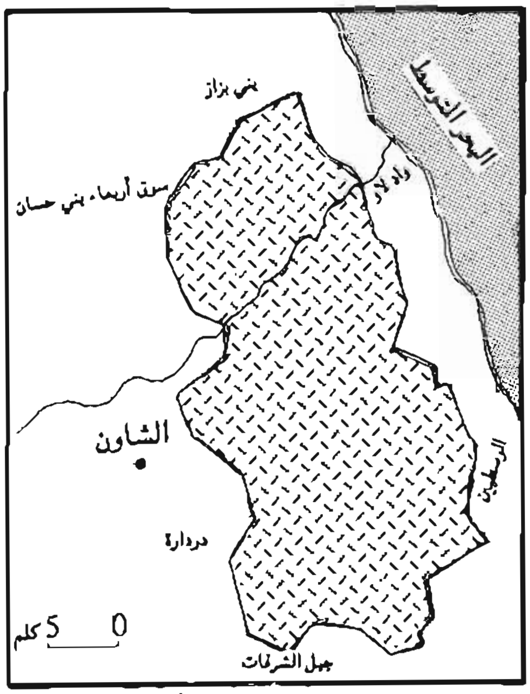
تالبرجت ← أكادير

تالسمطان، منتزه في منطقة جبلية تقع شمال شرقي مدينة شفشاون. مازال مشروع خلق منتزه تالسمطان في طور إنجاز الدراسة التي بدأت في نهاية سنة 1993.

يقع المنتزه الطبيعي لتالسمطان لمنطقة شفشاون حيث يغطي 60.000 هكتار من السلسلة الكلسية للريف التي استعير منها اسم المدينة شَفْ شَاوَنْ أو أَشَاوَنْ بالأمازيغية أو القرون والقمم بالعربية، إذ تشتمل منطقة المنتزه جبال الأقرع (أو الأشهب) وتيسوكا وبوسليمان وخربوش وتازاوت وكلتي.

يتميز منتزه تالسمطان بتضاريسه ومناظره الخلابة من صخور ووديان غارقة ومنحدرات تجلب الأنظار، وبيومناخاته الرطبة جدا والرطبة وشبه الرطبة، كما يزخر بتنوع نباتاته التي تشمل العديد من القبسيات.

وأهم الأهداف المتوخاة من خلق هذا المنتزه هو الحفاظ على غابة الشوح المغربي آبْـيـيـسْ مارُوكَـانَـا Abies maroccana أو Sapin du Maroc بالفرنسية. وهذا النوع الشجري قيسي أصيل خاص بهذه المنطقة، وهو يغطي ثلاثة آلاف هكتار، ويضفي على المنطقة رونقاً وجمالاً لا مثيل له إطلاقاً. كما تصادف بالمنتزه غابات من الأرز وبلوط الزان، والبلوط الأخضر والبلوط القرمزي والعرعر البربري، وبعض أشجار القسطل الطبيعية.



منتزه تالسمطان

إلى جانب هذه الأشجار المذكورة يتمتع زائر المنتزه بمشاهدة أزهار جميلة فائقة في الرونق، منها القبسية، كما يتمتع بأصوات عدد وافر من الطيور. ويمكنه أن يصادف القردة وهي تتسلق الصخور أو أشجار الشوح.

أبحاث ميدانية.

Benabid et Mahe, *Plan de gestion du Parc Naturel de Talassemtane*. Direction des Eaux et Forêts et de la Conservation des Sols, 1994.

عبد المالك بنعبيد

تالْسينْت، مركز تابع لعمالة فگيگ على بعد نحو مائة كيلومتر من بوذنيب وثمانين كيلومتراً من ميسور على ارتفاع 1300 م. تسكنه قبيلة أيت حمو أُسعيد من قبائل أيت سغروشن. وقد اشتهر أيت حمو أهل تالسينت بمقاومتهم العنيفة للاستعمار الفرنسي، بدءا من معارك بوذنيب عام 1325 / 1907 إلى سنة 1353 / 1924. وشكلت تالسينت أحد المعاقل الهامة للمقاومة لدرجة أن الكتابات الاستعمارية خصصت لها حيزاً كبيراً وأطلقت عليها "ملاحم أيت حمو".

. انضم أيت حمو القاطنون بتالسينت منذ الوهلة الأولى إلى المقاومة التي قادها مولاي أحمد أُالحسن السباعي منذ سنة 1907. ولما اقتحمت جيوش الاحتلال بوذنيب سنة 1916 عاد أيت حمو إلى تالسينت حيث أعادوا تنظيم المقاومة فواجهوا الجيوش الاستعمارية بقيادة الكولونيل دوري Doury يوم 17 يوليوز 1916 وكبدوها خسائر فادحة. وعند اندلاع المقاومة بتافيلالت سنة 1918 بقيادة مبارك بن الحسين التوزونيني انضم إليه أيت حمو وأعلنوا العصيان ضد سلطات الحماية واضطر الكولونيل هوري إلى القدوم إلى تالسينت على رأس جيش ضخم يوم 14 فبراير 1919. وبدأت المعركة من جديد لكن المقيم العام ليوطي أمر بوقف القتال في منطقة بوذنيب وتافيلالت والاحتفاظ بالوضع القائم بأقل التكاليف، وذلك لتجميع القوات الفرنسية لمواجهة البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي.

أدرك أيت حمو النوايا العدوانية للاستعمار الفرنسي وخطته في عزل الريف عن بقية المناطق ليتفرغ بعد ذلك لإخماد المقاومات الأخرى، لهذا رفضوا الهدنة التي أعلنها الاستعمار من طرف واحد. وتجلى ذلك يوم 13 جمادى الأولى عام 1344 / 16 دجنبر 1925 على إثر الحملة التي قامت بها السلطات الفرنسية لنزع السلاح من أيدي السكان، حيث استدعى الضابط الملازم الأول دى سباكس De Spax رئيس مكتب تالسينت جماعة من أيت حدو أُبلحسن وعلى رأسهم حمو أُحمو وأخوه محمد أُحمو من قصر أبيار فرقة أيت الخندوف، وكانت خطتهم ترمي إلى الاجتماع في السوق أولا قبل التوجه إلى مكتب الضابط، لكن هذا الأخير كان على علم بخطة القبائل التي تنوي الهجوم على مركز السلطة بتالسينت لاسترجاع السلاح. وقد أمر الضابط بإلقاء القبض على حمو أُحمو، ولكن سرعان ما تدخل شقيق هذا الأخير وأطلق الرصاص فقتل الضابط وتم قتل عشرة من الجنود والمخازنية. وكان مقتل الضابط "دي سباكس" بمثابة الشرارة التي أشعلت ثورة أيت حمو بتالسينت، حيث تم الاستيلاء على الأسلحة الموجودة في مركز السلطة الاستعمارية بتالسينت بعد السيطرة عليه. واستمرت المجابهة بين أيت حمو مع من انضم إليهم من القبائل المجاورة في منطقة تالسينت مثل أيت مريم وكذلك في بني تبجيت من جهة والجيوش الاستعمارية مدة قتل خلالها الضابط الذي خلف دى سباكس على تالسينت يوم 26 أبريل 1926، وبلغ عدد الأسر التي غادرت تالسينت وأعلنت تمردها على الاستعمار ثلاثمائة أسرة سنة 1928.

كانت أساليب مقاومة أيت حمو تقوم على حرب العصابات ومواجهة الجيوش الاستعمارية عن طريق نصب الكمائن والمباغتة للتغلب على التفوق العددي والأسلحة المتطورة لدى الجيوش الاستعمارية، وكان من نتائج الانتصارات التي حققها أيت حمو سنة 1928 حسب الكولونيل صولاي في كتابه *الگوم المغاربة* (ص. 238) : مقتل سبعة وثلاثين جنديا في منطقة بوبرنوس، وإبادة طابور من المشاة في عطشانة مع مقتل ثمانية وثلاثين جندياً، ومقتل خمسين جنديا تابع للفيلق في منطقة جبهاني.

وهذا كله على الرغم من نهاية حرب الريف وإتمام تهدئة منطقة تازا، الشيء الذي مكن من تجميع القوات في منطقة تالسينت ودائرة كراندو. ومع ذلك لم تتمكن القوات الفرنسية من القضاء على أيت حمو رغم استعمال مختلف الأسلحة بما فيها الطيران، الأمر الذي استدعى إعادة تنظيم الجيوش الاستعمارية. وفي هذا الصدد كتب الكولونيل فوانو في كتابه (*Sur les traces*, 248) : "لقد استدعى الأمر إعادة التنظيم وإنشاء قيادة موحدة للتخوم الجزائرية المغربية بقيادة الجنرال هورى وذلك خلال فبراير سنة 1930. والسبب في إعادة هيكلة هذا التنظيم يعود بالأساس إلى النتائج الهزيلة وغير المرضية التي أسفر عنها الصراع المسلح ضد "لصوص" أيت حمو.

قامت القوات الاستعمارية بحرب إبادة ضد أيت حمو حيث كانت تترصد أماكن خيامهم أثناء ترحالهم فتهاجمهم بالطيران الحربي. وأما في تالسينت فقد وجهت اتهامات لبعض الأعيان بمشاركتهم في العمليات العسكرية وتم إعدامهم، وبلغ عدد من أعدم ستة عشر شخصا. ومن الذين توجهت إليهم التهمة موحى أزگاغ العيساوي من أيت وزاك واستطاع الانفلات وتمكن من تنظيم المقاومة في ضواحي تالسينت ثم انضم إلى بقية قبائل أيت حمو الذين شاركوا في عدة معارك في تادرة قرب گلميمة خلال غشت سنة 1930، وفي صغرو خلال فبراير - مارس 1933، وفي معارك أخرى بالأطلس الكبير الأوسط.

وقد هجرت قبيلة أيت حمو تالسينت ورحلت بخيامها وماشيتها إلى المناطق الغير محتلة، فوجدها الجيش الفرنسي فرصة سانحة لهدم قصور أيت حمو بخنگ الصفصاف قرب زاوية تالسينت وقصر غزوان.

انتقل أيت حمو إلى تافيلالت ودرعة حيث انضموا إلى جيوش بلقاسم النگادي لمحاربة الاستعمار. ثم استقروا في الصحراء حيث واجهوا الجيوش الاستعمارية في عدة معارك منها معركة طنطان والزاگ ومعارك أخرى قرب الساقية الحمراء سنة 1934. وهناك تكتلت القوتان الاستعماريتان الإسبانية والفرنسية للقضاء على مقاومة أيت حمو في شهر أكتوبر سنة 1934.

م. المختار السوسي، *المعسول*، الجزء 16 ؛ م. المعزوزي وهاشم العلوي، *الكفاح المغربي المسلح في حلقات من 1900 إلى 1935*، الرباط، 1986.

J. Saulay, *Histoire des Goums marocains*, T. I, Paris, 1931 ; L. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939 ; M. Bernard, *La pacification du Maroc, 1907 - 1934* ; Alphonse, *L'achèvement de la pacification marocaine, méthodes et programme*, *R.M.F.*, 1935 ; A. Haddou, *L'odyssée des Aït Hammou de Talsint*, *Lamalif* N° 143, février- mars 1983, p. 44.

عبد القادر بوراس

تالعينت، تصغير العين "بأزغار" واقعة على بعد 20 كلم جنوب مدينة تيزنيت. يذكر أن هذا المجال عبارة عن مرعى استقطب موجات بشرية مختلفة من الجبال المجاورة والصحراء ووفد عليه أولاد جرار المعقليون منذ العصر الموحدي (المنوني، *إمارة*، ص. 27) فنمت إليه هجرة كثيفة كثيفة قبل الاستقرار النهائي للسكان، اعتباراً لموقعه كطريق للقوافل التجارية، على أن الماء كان الباعث الأساسي لاستقرار أولاد جرار بأزغار تيزنيت، حيث تجمعوا في قرى كبيرة حول العيون في الرگادة وإغرم وتالعينت.

كان لظهور "عين حسون" بتالعينت أثر كبير في استقرار جزء من أولاد جرار بها، بل إن الدفاع عن الطريق التجارية وحماية مصادر المياه والغلال خلق تلاحما أكبر بين أزغار في إطار حلف "تاحگات" الذي تتزعمه تالعينت ضد حلف "تاگوزلت" الذي ترأسه تازروالت. هذا التلاحم لا ينفي الصراع بين الأزَغَاريين عامة وبين الأسر والفخذات الجرارية حول مصادر المياه.

ذكر الاگراري أن حفر العين كان منذ بداية القرن الثاني عشر (18 م) استناداً إلى وثائق مكتوبة، وأن الذي عثر على مكان العين الحالي هو أحد البسگراديين المسمى قيسوم بن أحمد البسگرادي، في فدان للشيخ محمد بن علي الحسوني الذي تسمت العين باسمه، وأشرف على الحفر أيت همان بأيت بريبم (*روضة الافنان*، ص. 4).

مرت الدورة المائية "لعين حسون" بثلاث مراحل :

- المرحلة الأولى تبدأ منذ ظهور العين على سطح الأرض في الثلاثين من القرن الثاني عشر، حين قسم الأطراف الثلاثة الذين شاركوا في الحفر مياهها فيما بينهم بالتساوي (أولاد حسون، أيت همان وإسگراد). وحسب أول وثيقة مؤرخة بعام 1331 فإن الدورة المائية كانت على مدار شتاء اثني عشر يوما صيفا وشتاء في كل يوم توزع فرديتان (نوبتان) فردية بالليل وفردية بالنهار (*روضة الافنان*، ص. 7) وفي كل فردية ستون طاسة وفي كل طاسة اثنتا عشرة دقيقة، ويشرف على توزيع الماء أشخاص يتوارثون حرفتهم يدعون "العبارة" ويحصلون مقابل عملهم على طاسة واحدة عن كل فردية.

- في المرحلة الثانية، تغيرت الوضعية القانونية للدورة المائية وذلك أواخر القرن الثالث عشر (19 م) ليصبح عدد أيام الدورة أربعة عشر يوماً، وارتفع عدد المستفيدين إلى عشرين أسرة.

- وفي المرحلة الثالثة، أصبحت الدورة المائية واحداً وعشرين يوما بزيادة سبعة أيام بتدبير من القائد عياد بتاريخ 11 ذي الحجة عام 1343 / 3 يوليوز 1925، وقد برر ذلك بقوله "اشتريت هذا الثلث عند سگرادة ولذلك زدتها وتبرعت للقبيلة بإصلاح العين وقتما احتاج إلى الاصلاح" (*روضة الافنان*، 7). بازدياد حصة أسرة بورحيم من مياه العين ازدادت المساحة المزروعة التي تمتلكها فكان لزاما عليها تحصين القرية لمواجهة الأخطار المحدقة. وهكذا أمر القائد عبد السلام وخليفته عياد بتسويرها سنة 1318 / 1901، كان علو السد 4,80 م وسمكه 0,80 م. له بابان كبيران يعتبران مدخل القرية حيث الدور والساحات ورياضان كبيران بداخل أحدهما منبع العين، فاكتسبت تالعينت سمة

الحاضرة، فقصدها العلماء والأعيان والتجار والحرفيون للاحتماء بسورها الذي صد عنها غارات الجبليين وحملات الكنتافي سنة 1918، بل إنها استرعت انتباه سلاطين الوقت، فزارها السلطان مولاي يوسف سنة 1926، وأصبحت قاعدة سوس الأقصى بعد تيزنيت بل إنها سعت إلى منافستها محتفظة بمكانتها تلك حتى أفول نجم أسرة بورحيم (انظر *المعلمة*، ج 5).

م. الاكراري، *روضة الأفنان في وفيات الأعيان*، تح حمدي أنوش، و. د. د. ع. الرباط 1989 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 19 ؛ *خلال جزولة*، ج، 1 ؛ م. المنوني، *إمارة بني يدر بسوس*، مجلة *دراسات*، كلية الآداب أكادير، العدد 1، 1987، ص. 27 . 29.

H. Dugard, *La colonne du Sous 1917*, Paris, 1918 ; Justinard, *Un grand chef berbere Le Caïd Goundafi*, Casablanca, 1951.

حمدي أنوش

تالغمت، اسم مواقع متعددة في كثير من جهات المغرب، وخاصة في المناطق التي تسود فيها الأمازيغية. نجده مثلا، علما لقرية في سكتانة وأيت ووزكيت وكدميوة، ويعني الناقة (E. Laoust, 96).

يشتهر ممر تالغمت (تيزي ـ نْ ـ تالغمت) على الطريق الرئيسية الرابطة بين ميدلت والرشيدية، وهي طريق مطروقة بكثافة منذ القديم. يقع هذا الممر شرقي جبل العياشي، وهو أشهر ممرات الأطلس الكبير الشرقي.

أما زاوية تالغمت، فهي مرحلة من المراحل التي كان ينزل بها ركب الحج الناصري، وتقع بين سجلماسة والقنادسة. ولعل تطورها في القرنين الحادي عشر والذي يليه (17 . 18 م) إرجع بالأساس إلى نشأة فرع للزاوية الناصرية بها (*الرحلة الناصرية*، 2 ،196). فقد تتلمذ أحد أبنائها، وهو محمد أكرام للشيخ أحمد ابن ناصر. ترجم له الخليفتي، نقلا عن *الرحلة الناصرية*، فقال :

"ثم تتابع الناس أرسالا، وتلاحقوا أفواجا، وفيهم بلدينا المحب سيدي محمد أكْرام به لقب، التكمدرتي". (*الدرة الجليلة*، 240).

وتكمن أهمية تالغمت بالنسبة للركب الناصري، في كونها مرحلة في الطريق، ينزل بها الحجاج للاستراحة واقتناء الرواحل.

وظلت زاوية تالغمت الناصرية، قائمة بعد ذلك، فقد توقف بها ابن عبد السلام الناصري في بداية القرن الثالث عشر (19 م) في أثناء قفوله من الحج. (*الرحلة*، 62). ومازال حتى اليوم دار صلاح وعلم.

أحمد بن ناصر الدرعي، *الرحلة الناصرية*، ط. ح ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*، تح. أ. عمالك، 1986 ؛ م. ابن عبد السلام الناصري، *الرحلة*، م. خ. س.، 5658.

E. Laoust, *Contribution...*, 1942.

أحمد عمالك

تالكْتاوت ← بني سمكين

تَالْگجُونْتْ، بكاف معقودة أو بكاف عادية. اسم يطلق على مجموعة من القرى تقع على السفح الجنوبي للأطلس الكبير الغربي شرق مدينة تارودانت، ما بين مركزي تافينگولت وءايت برحيل. ويقع جل قرى تالگجونت على أحد روافد الضفة اليمنى لنهر سوس، المعروف باسم أسيف ـ ن ـ تالگجونت الذي ينبع من الجدار الجنوبي والجنوبي الغربي من الكتلة الجبلية تيشكا.

أهم قرى تالگجونت إينْضْرْمَاسْ، إيگرْ ـ نْ ـ أُوفْلاَ، إيداوتّلاَلْ، تَلاتْ ـ نْ ـ خْقّي... وتحيط بها المجموعات البشرية التالية : تاوينخت وإيفوزان وإيداوكمايْسْ وإيگضَاشْنْ وأيت يُوش وأزازنْ وتالامْتْ...

تعتبر تالگجونت من المواقع الجميلة في المنطقة نظراً لخصب تربتها ووفرة مياهها، وقد عرف سكانها كيف يستغلون هذه المعطيات، فجعلوا من الأراضي المجاورة لمجرى النهر جنات متصلة من أشجار الزيتون واللوز والتين وغيرها، ومزارع للقمح والشعير والذرة وأنواع الخضر.. وبنوا نلنحل ولمختلف الحيوانات الأليفة.. كل هذا أنجز وسط غابة كبيرة محيطة من شجر أرگان الخالد الذي تشتهر المنطقة بإنتاج أحسن زيت منه، كما تشتهر بعسلها المعطر.

ينتمي سكان تالگجونت حسب ما ورد عند روبير مونتاني وجان دريش، إلى لَفّ إيداوزْدَاغْ الذي يقابله في المنطقة لفَ ءايت زوليط. ونتيجة للصراع الدائم بين هذين اللفين برزت سلطة أيت بازي بتالگجونت منذ منتصف القرن التاسع عشر، واحتفظت أسرة أيت بَازّي بالمشيخة (إمْغَارنْ) ثم بالقيادة (لْقيُّادْ) منذ ذلك الوقت إلى نهاية فترة الحماية، وكان المرحوم القائد الحاج لحسن بَازّي آخر قائد منها.

معلومات شخصية : *خرائط جان دريش*.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*.

علي صدقي أزايكو

تالمبوط، أو تالَنْبُوطْ، قرية تقع بفرقة بني شداد من قبيلة بني زجل (إقليم شفشاون). والغالب على الظن أنه كان بها في عهد الرومان مركز لحراسة الطريق الرابطة بين مركزوادي لاو ومركز إغاروزيم بالقرب من شفشاون، بدليل أنه ما زالت هناك آثار قنطرة رومانية قائمة الذات.

وهناك سد تالمبوط ويعرف أيضاً بسد وادي لاو Presa del Lau، وهو السد الوحيد الذي بناه الإسبان في عهد الحماية وجعلوا عليه معملا لتوليد الكهرباء ؛ ويقع بالقرب من القرية التي يحمل اسمها بقبيلة بني زجل (إقليم شفشاون). والطاقة الكهربائية التي يُنتجها معمل هذا السد كانت تغطي حاجيات الناحية الغربية من شمال المغرب بما في ذلك مدينة سبتة السليبة.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 131.

A. Rivas, *La presa del Lau*, Tetuan, 1943 ; Martinez Campos, *España Belica*, 292.

محمد ابن عزوز حكيم

** ويذكر في التاريخ أن قرية تالمبوط شهدت في القرن العاشر (16 م) وما تلاه، نهضة علمية ملحوظة فأصبحت تشكل مركزاً علمياً هاماً، اجتمع فيه من أبنائها ومن

الطارئين عليها علماء أعلام ومتصوفون كبار، منهم الشيوخ عبد الله الغزواني وعبد الله الهبطي والحسن ابن عرضون وأبوالقاسم بن خجو وموسى الوزاني ومحمد التالي الخالدي وعبد الوارث اليالصوتي وغيرهم، ورد هؤلاء الشيوخ على هذه القرية فبنوا بها مساجد غدت مدارس للعلم وموئلا للإرشاد والإصلاح، وكان لقدوم الشيخ الهبطي إليها أعظم الأثر على ازدهار العلوم الدينية بها ...

ع. الجيدي، *ابن عرضون الكبير، حياته وآثاره*، ص. 50 ـ 52.

عمر الجيدي

تالمست، واحدة من بين زوايا ركراكة الثلاث عشرة المنتشرة على عدوة وادي تانسيفت الجنوبية وهي اكرات ـ تالمست ـ أقرمود ـ رتنانة ـ أيت بوطربطش ـ توريرت ـ أيت بوالاعلام ـ مرامر ـ تكتنت ـ امزيلات ـ سكياط.

وتسمى تالمست كذلك زاوية سيدي عبد الجليل نسبة إلى دفينها سيدي عبد الجليل بن منصور بن عبد النعيم والد سيدي مكدول دفين الصويرة، وهو أحد العلماء العارفين بالله، تلقى العلم بالأندلس والتحق بمصر حيث درس على الشيخ خليل صاحب *المختصر* وذلك سنة 774 هـ ثم عاد إلى غرناطة بالأندلس فشاع خبره وذاع صيته حتى وصل إلى ملك مراكش أبي الحسن المريني الذي قابله بالأندلس حين جوازه إليه وأمره بالرحيل إلى بلاد ركراكة ولم شتات المتفرقين منهم في قبائل المغرب بعد أن فروا من بطش ابن خزر المغراوي وتفرقوا في سوس وأغمات وتادلا في بداية العقد الرابع من القرن الخامس الهجري (432 / 1040 م).

ويعود الأصل في تسمية تالمست بهذا الاسم إلى روايات متضاربة لعل أرجحها تلك التي تنسب الاسم إلى الكلمة البربرية "تـمـلَمَس" التي تعني النبع أو البئر، ذلك أن تالمست ـ سواءَ الزاوية أو المركز القروي القريب منها ـ يرتبط موضعها بواد دائم الجريان يحمل نفس الاسم تغذيه العيون والينابيع الكثيرة الموجودة على طول مجراه، ويرجح أن يكون هذا الاشتقاق صحيحاً نظراً لكون قبيلة ركراجة التي ينتسب إليها سكان تالمست هي قبيلة أمازيغية الأصل.

دراسة ميدانية.

محمد گلاد

تالـمَّـاغـت، تكتب أيضا "تالمغت" و"تالماخت" بالخاء، كما ترد أحيانا معربة هكذا "لـمَّاغة". تطلق تالماغت من جهة على منطقة زراعية غنية تقع الآن بزعير جنوب مدينة الرباط، ومن جهة أخرى على فرقة من قبيلة زعير ما تزال معروفة حتى اليوم. وتجدر الإشارة إلى أن جل المعلومات المتوفرة حول هذا الاسم غالبا ما يقصد بها الموضع وأحيانا الموضع والقبيلة معا.

ارتبط ذكر تالماغت في المصادر المغربية ببعض الأحداث التاريخية التي ترجع إلى فترات مختلفة من تاريخ المغرب.

ولعل أول إشارة وردت في هذا الباب هي التي جاءت عند البيذق حيث ذكر في معرض حديثه عن فتنة يحيى بن أبي بكر الصحراوي بدكالة، والذي تعاضدت معه قبائلها وكذلك قبائل ركراكة وحاحة ضد الموحدين بعد فتحهم مراكش سنة 541 هـ، أن الخليفة عبد المومن بعث إلى يحيى جيشاً بقيادة يصلاسن بن المعز لإخماد ثورته والقضاء عليه، بينما أخذ هو طريقا آخر إلى سلا عبر تالماغت لمواجهة بقايا المرابطين هناك (*أخبار*، 68).

أما الإشارة الثانية فوردت عند ابن الزيات عندما ترجم لأبي محمد عبد الله ابن الخير الزناتي كأحد رجالات التصوف والصلاح الذين ينتمون إلى موضع قريب من تالماغت بتامسنا وعرفوا بكراماتهم واستجابة دعواتهم (*التشوف*، 296).

وقد كان للسان الدين بن الخطيب أفدنة بمنطقة تالماغت يقوم على حرثها، وهي من إهداء السلطان أبي زيان المريني حسب ما جاء في ظهير له مؤرخ في سنة 763 هـ حيث يصرح أنه أعفى ابن الخطيب من الوظائف وأن "تحرر له الأزواج التي يحرثها بتالماغت من كل وجيبة، وتحاشى من كل مغرم أو ضريبة بالتحرير التام" (*نفح*، 6 : 7)، كما منحه امتيازات أخرى كتخصيصه مرتبا شهريا له ولولده يؤخذ من محجبي مدينة سلا يقدر بخمسمائة دينار من الفضة العشرية، إضافة إلى الإدم والأقوات من حيوان وعنب وقطن وكتان وفاكهة وخضر وغير ذلك ولا يطالب في كل هذا بمغرم أو وظيف.

أما في العهدين السعدي والعلوي فتتوفر معلومات أكثر عن تالـمَّـاغت كموقع استراتيجي تعبره المحلات السلطانية في اتجاهها من مراكش إلى مكناسة وفاس عبر الرباط أو العكس، وذلك إما لتنقل السلطان بين عواصمه بهدف الاستقرار وتغيير مكان الإقامة، أو لإخماد فتن القبائل الثائرة هناك أو لقمع تمرد بعض قبائل زعير نفسها، كما كانت المنطقة مكانا مناسبا لتخييم المحلات السلطانية.

ففيما يتعلق بالقرن العاشر الهجري تذكر بعض المصادر أنه في سنة 989 هـ أقطع السلطان أحمد المنصور الذهبي بلاد تالـمَّـاغت لفرقة من عرب حوز مراكش هم أولاد مطاع (*مناهل*، 112). لكن في سنة 997 هـ وقع نزاع بين قبيلتي أولاد حسين وأولاد مطاع حول النفوذ على أرض تالـمَّـاغت، فكانت الهزيمة على أولاد مطاع. وعندما وصل الخبر إلى أحمد المنصور سرح إليهم جيشاً بقيادة أبي اسحاق إبراهيم بن محمد السفياني الذي وضع حدا لفتنة أولاد حسين وفرض عليهم مغارم ثقيلة (*مناهل*، 51).

وخلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18 ـ 19 م) كانت تالـمَّـاغت مسرحا للعديد من المواجهات إما بين قبائل المنطقة أو بينها وبين السلطة المركزية نجملها فيما يلي :

ـ في سنة 1157 هـ وقعت مواجهة بين السلطان مولاي عبد الله بن إسماعيل وأخيه مولاي المستضيء، الذي ثار

عليه بسلا حيث بايعه أهلها وساندته قبائل بني حسن وفرقة من عبيد دكالة في حصار مدينة الرباط مدة أربعة عشر شهرا. وكانت من نتائج هذه الوقعة التي تعرف بازبيدة انهزام الأمير الثائر وفراره إلى ناحية مسفيوة (*الضعيف*، 1 : 263).

- في سنة 1193 هـ نشبت حرب ضروس بين عرب الصباح وزعير بتالمَّاغت على رأس مرسى أكّدور (*الضعيف*، 1 : 338).

- وجه السلطان سيدي محمد بن عبد الله مجموعة من الحملات العسكرية إلى تالماغت لردع بعض قبائل زعير المتمردة على المخزن وتأديبها، وكانت أهم تلك الحملات وقعة سنة 1201 هـ و1203 هـ (*الضعيف*، 1 : 352، 360، 372).

- حملات السلطان مولاي سليمان لإخماد فتن قبائل زعير بتالماغت خاصة سنة 1209 هـ (*الضعيف*، 2 : 457، 460).

- في سنة 1225 هـ أمر الباشا الغازي الشاوي قبائل زعير ببناء قصبة في مشرع المسناوي بتالماغت وأن يقيموا فيها سوق الأحد (*الضعيف*، 2. 649).

من جهة أخرى شكلت تالماغت إحدى المحطات الأساسية التي تعبرها المحلات السلطانية في اتجاهها من مراكش وفاس وإليهما، كما تتخذها أحيانا للراحة والاستجمام. في هذا الإطار نشير إلى :

- الطريق الذي سلكه سيدي محمد بن عبد الله انطلاقا من مراكش لردع قبائل شراگة شمال فاس سنة 1202 : مراكش - قنطرة تانسيفت - وادي أم الربيع (أحمري) - أزبيدة بتالماغت - تنوبارت ببلاد السهول - المبيت بقصبة الجياد - المبيت بزرهون - مكناسة (*الضعيف*، 1 : 359).

- رحلة السلطان مولاي سليمان من مكناسة إلى مراكش سنة 1217 هـ : مكناس - المبيت بعين العرمة - بهت - ضاية رومي - المبيت بگلتة الفيلا - أزبيدة بتالماغت - مراكش (*الضعيف*، 2 : 605).

- رحلة مولاي سليمان من مراكش إلى مكناسة سنة 1228 هـ : مراكش - قصبة تادلا - عين الليل - تالماغت - مكناسة الزيتون (*الضعيف*، 2 : 698).

- رحلة من فاس إلى مراكش سنة 1229 : فاس - مكناسة الزيتون - المبيت بالخميسات - ازبيدة بتالماغت - وادي أم الربيع - مراكش (*الضعيف*، 2 : 717).

أ. البيذق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971 ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف*، تح. أحمد التوفيق، الدار البيضاء، 1984 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، ج 6، تح. إحسان عباس، بيروت، 1968 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 4، الدار البيضاء، 1955 ؛ ع. الفشتالي، *مناهل الصفا*، تح. عبد الله گنون، الرباط - تطوان، 1964 ؛ الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، 2 ج. تح. محمد البوزيدي شيخي، الدار البيضاء، 1988.

رشيد السلامي

تالـنُّـوفتْ أو تانلوفت، مادة مستعملة في البناء، هي عبارة عن نوع من التراب أبيض اللون. يوجد ببعض الأماكن في السفح الشمالي والسفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط (منطقة دادس على الخصوص). ويستعمله السكان لطلاء جدران منازلهم. ويضيفون إليه التبن ليكتسب القوة والمناعة التي تجعله صقلا ومقاوما للأمطار. وبعد مزجه بواسطة الماء يترك المزيج ليختمر مدة قصيرة وبعده يصبح جاهزاً للاستعمال. ومن مزايا هذا التراب أنه إلى جانب مقاومته للأمطار والرياح والشمس (مختلف عوامل التعرية) يعطي المنازل رونقا يزيدها جمالا وبهاء.

تحريات ميدانية.

محمد حمام

تالوبات (Talubath)، عدها بينيي (Besnier) من المدن التي ورد اسمها عند الجغرافي بطليموس (Ptolémée) (القرن 9 م)، وقد وطنها عند منابع نهر سُبور (Subur) الذي يوافق حسب معظم الدارسين واد سبو الحالي. النهر الرائع والصالح للملاحة على حد قول عالم الطبيعة اللاتيني بلين القديم (Pline L'Ancien) (القرن 1 م).

وتطابق تالوبات عند الباحث بينيي مدينة تانبت (Tanebet) المذكورة حسب نفس المؤلف بمصدر الجغرافيين العرب.

M. Besnier, *Géographie ancienne du Maroc. Maurétanie Tingitane*, *A.M.* I, 1904, pp. 301 - 365

البضاوية بلكامل

تاليت، كاهنة ← **حاميم**

تَـاليليت، مركز جهادي في حرب الريف يقع بقبيلة تمسمان بإقليم الناظور على بعد حوالي تسعين كيلومتراً من هذه المدينة.

استطاع الجيش الاسباني احتلاله يوم 3 / 6 / 1921 وأقام فيه معسكراً من بين تلك المعسكرات الأمامية المحيطة بالمركز الرئيسي الذي كان موجوداً "بأنوال" قبل احتلاله من قبل المجاهدين في الحرب الريفية الثالثة، أيام عبد الكريم الخطابي. وكان السبب في إحداث هذا المركز مثل غيره من المراكز القريبة، أنه عندما وجدت قوافل التموين الإسبانية صعوبة كبيرة في تنقلاتها من مركز إلى آخر، أمرت الحكومة الاسبانية الجنرال سيلڤيستري قائد القوات الاسلامية بالإقليم "أن يقوم باحتلال أكبر عدد ممكن من المراكز الثانوية حتى يتمكن من التغلب على المشاكل، ويؤدب الثوار بما يستحقونه من تأديب" (م. بن عزوز حكيم، *معركة أنوال*، ص. 59).

وتنفيذاً لهذا الأمر قام باحتلال عدة مراكز في بني أوليشك وتمسمان من بينها "تاليليت" فيما بين ثالث ورابع يونيو 1921.

في هذا الموقع، جرت "معركة تاليليت" الأولى، عندما قام المجاهدون يوم 16 يونيو 1921 على الساعة السادسة صباحاً بمحاولة اقتحام هذا المركز، في نفس اليوم الذي

حاجموا فيه مركز "بومجان" وذلك عندما أرادت حامية المركز الأخير سقي الماء من وادي أنوال. فقوبلت بوابل من الرصاص الذي أحدث الرعب في صفوفنا بسبب العدد الهائل من الجنود الذين ذهبوا ضحية سقي قطرة من الماء لأنه لم تمر إلا دقائق حتى تحول الاشتباك إلى معركة عنيفة" " (الملازم كسادو الذي كان شاهد عيان، في كتابه *اغريبا*).

وورد في سجل العمليات الحربية اليومية للإقامة الاسبانية العامة بتطاون أن المجاهدين أغاروا على مركز "تاليليت" يوم 16 يونيو 1921 ومركز بومجان القريب منه وأن المعركة استغرقت النهار كله، نجم عنها ستة عشر من القتلى في صفوف الجيش الإسباني وخمسة وأربعون من الجرحى".

وفي يوم 21 يوليوز 1921، وقعت "معركة تاليليت" الثانية وذلك عندما قامت القوات الريفية بمحاصرة هذا المركز في نفس اليوم الذي سقط فيه مركز إغريباً وشُرع في محاصرة "أنوال". وفي اليوم التالي 22 يوليوز تم طرد حامية "تاليليت" بعد مصرع أربعة وثلاثين جندياً من أفرادها، فالتجأت إلى مركز "سيدي ادريس" على شاطئ البحر، إلى أن حان دور هذا المركز الأخير يوم 25 من نفس الشهر، فاقتحمه المجاهدون وقتلوا خمسمائة وثمانية وعشرين جندياً من حاميته.

م. ابن عزوز حكيم، *أنوال*، 21 يوليوز 1921 ؛ *معارك الثورة الريفية ومضات مضيئة عن الحرب الريفية*.

عبد الله عاصم

تاليوين، (بالشمال) تل مرتفع (87 م) متقدم في مياه البَحر الصغير (سبخة بوعرگ) على شكل شبه جزيرة صغيرة، بارزة في شمال البحر على ساحله الغربي. توجد به في الوقت الحاضر قبة ضريح سيدي علي تيمْكارْت (تامكارت أيضا) ولذلك يُعرف تل تاليوين في الوقت الراهن باسم صاحب الضريح.

وتاليوين جمع تالا أو تَـلا، بمعنى عين الماء في اللهجة الأمازيغية. وينطبق الاسم على المكان نظراً لوجود سابق لعدة عيون لا وجود لها في الوقت الراهن. قيل إنها كانت موجودة، وعددها ثلاثة، على السفح الغربي من البرزخ الصغير الرابط بين التل وكتلة جبل قلعية.

عرفتنا الوثائق الإسبانية خلال القرن السادس عشر بتاليوين باسم Talayon، وكان التل آنذاك نقطة مراقبة (أي الناظور) من طرف القلعيين للسفن الإسبانية الآتية إلى مليلة المحتلة، ولسفن الإيالة الجزائرية الداخلة إلى البحر الصغير. وكان لتل تاليوين أثناء حصار سيدي محمد بن عبدالله لمليلة دوره الاستراتيجي.

وقد اتخذت السلطات الإسبانية، أثناء فترة الحماية، تاليوين مركزاً لتطهير معدن حديد جبل وكسان، قبل أن يتم نقله إلى مرسى مليلة للتصدير، ومازال آثار التطهير في حقل اصطناعي واقع بجانب التل.

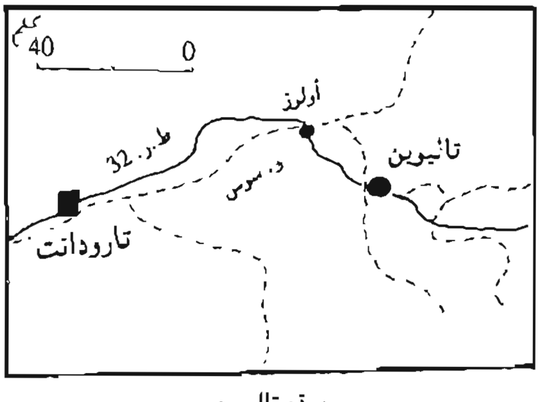
والمكان في الوقت الراهن محطة تشرف عليها شركة ماروسْت (Marost) القائمة بتربية الأسماك النادرة، وتوليد الطحالب بالبحر الصغير.

ح. الفگيگي، *تلعية ومشكل الوجود الاسباني بمليلة*، 1، 118، 125، 152، 189، 2، 302 ؛ *خريطة طبوغرافية 1935* ؛ *زيارة ميدانية*.

حسن الفگيگي

تاليوين، (بالجنوب) مركز استراتيجي وإداري قديم يقع بهضاب وجبال شمال الأطلس الصغير، ولهذا يتلقى أمطاراً لابأس بها في هذا الوسط القاحل : 205 ملم / سنة. وتقطنه اليوم جماعة قروية زاد عدد سكانها سنة 1982 على عشرين ألف نسمة.

تنتشر أراضي تاليوين على طول واد إزگموزن والجبال المحيطة به وهي جبال ترجع صخورها إلى ما قبل الكامبري، كلس وحت وصيص، وهي صخور جرداء نادرة التربة. ويتميز وادي إزگموزن هنا باتساعه وظهور مياه سطحية بمجراه وظهور بعض العيون بهوامش سريره مما وفر مجالا ضيقا لزراعة مسقية بساتينية لأشجار الزيتون واللوز والنخيل والتين والحبوب والعلف وبعض الخضر للاستهلاك الذاتي. لكن الملكية صغيرة جداً ومفتتة، وبدأ يشاع استعمال الضخ الميكانيكي في إطار تجديد الأساليب الفلاحية والتوسع في زراعة الخضر والعلف لتغذية الأبقار. وأما الزراعة البورية للشعير فإنها نادرة لقحولة الأراضي خارج الوادي، وتشتهر بعض الأودية العالية بسگتانة وأسكاون بإنتاج الزعفران الذي يعتبر أهم ثروة زراعية بالمنطقة. وتوفر البراري الواسعة مرعى فقيراً للمواشي الصغيرة تحقق مداخيل مهمة في بعض السنوات الوفيرة المطر. وينتمي سكان الجماعة إلى قبيلة سگتانة. ويفسر البعض اسم تليوين بكونه جمعاً لتلات أي الشعبة بلهجة سوسية جنوبية.



موقع تاليوين

كان بركز تاليوين قبل الاستعمار قيادة سكتانة وحصن يشرف على الطريق الصحراوي الواصل بين سوس ووادي درعة "والقبلة" أي الهوامش الجنوبية للأطلس الصغير المشرفة على الصحراء، به بقايا أبراج المراقبة ومخازن جماعية التي يدعى الواحد منها أگادير.

يقع المركز الحديث لتاليوين عند معبر لواد إزگموزن أحد الروافد العليا لواد سوس على الطريق الرئيسي رقم 32 الرابط بين تارودانت وورزازات على علو 1020م. ويتكون من مركز إداري وتجاري حديث مفتوح على الطريق الرئيسي وعدد من الدواوير تمتد على مقطع من الوادي بالضفة اليمنى والطريق الرئيسي الموازي له على طول ستة كيلومترات. وأهم التجمعات هي زاوية تاكركوست حيث يسكن الموظفون وتوجد معظم المصالح الإدارية وتامليلت وبولگا وإدوأوزرو، ذات بناء تقليدي يتخللها سكن متشتت حديث معظمه للمهاجرين والموظفين والتجار. لم تظهر المنشآت الاستعمارية هنا إلا بعد سنة 1929 حيث أنشئت ثكنة للمخازنية ومركز نائب المراقب المدني إلى جانب قايد سگتانة وتحول إلى مركز دائرة حظي بمنشآت عمومية كثيرة : قيادة مركز درك ومحكمة ابتدائية ومستشفى وإعدادية، الخ. وينعقد به سوق أسبوعي على طريق قديم بالضفة اليسرى يومي الأحد للمواشي والاثنين للتبضع، وهو سوق قديم ينعقد بمكان ضيق يتوفر على تجهيزات مهمة تصل إليه البضائع والخضر من تارودانت وأگادير ويزود السكان بالحاجيات الأساسية، وتعرض به منتجات محلية قليلة، أهمها المواشي والجلود والزعفران والزرابي التي تشتهر بها تاليوين، ويتوفر المركز على سويقة دائمة بها متاجر كبيرة حديثة إلى جانب دكاكين بقالة بمختلف الدواوير وتجهيزات أساسية ومولد كهربائي محلي يزود المنازل والأزقة بالإنارة. وتقرر ربط المركز بالشبكة الكهربائية الوطنية سنة 1991. كما يتوفر على برج مياه يزود الإدارات وسكن الموظفين. ولوقوع تاليوين على طريق سياحي مهم لجولات الجنوب الصحراوي فقد أنشئ به فندق سياحي كبير مصنف في أربعة نجوم طاقته ستون غرفة إلى جانب فندق آخر صغير.

بحث ميداني في خريف 1990 : خرائط طبوغرافية وجيولوجية تغطي المنطقة.

أحمد هوزالي

تامازيرْت، وتجمع على "تيميزار" كلمة أمازيغية تعني بهذه الصيغة الأرض والحقول والمخيم والمقام والموطن والوطن. هذه المعاني تَرِدُ كلا أو بعضا عند ذكر الكلمة حسب المناطق وحسب السياق.

غير أن المعنى الغالب اليوم في القسم الجنوبي من المجال الأمازيغي المغربي هو معنى الموطن بالمعنى المحدود أو الوطن بالمعنى الواسع. والذي تقابله في مناطق أمازيغية أخرى كلمة "تامُورْت".

وإذا استعملت الكلمة بصيغة المذكر : "أمَازير" فإنها تعني السماد الحيواني أي ما يسمى في كلامنا الدارج "لغبار" وهو الدُمَال.

وهكذا نلاحظ أن الكلمة شديدة الارتباط بالأرض والحيوان وتترجم العلاقة بينهما وتجسم أهمية هذه العلاقة بالنسبة إلى الإنسان المزارع.

وقد استعملت الكلمة بصيغة المفرد أو الجمع أسماء أعلام جغرافية في الأطلس الكبير الغربي بصفة خاصة. وفي هذه الحالة غالبا ما تعني الحقول أو المزارع.

م. شفيق، *المعجم العربي الأمازيغي*، الجزء الأول، الرباط، 1990، ص. 174، 179.

Ch. de Foucauld, *Dictionnaire*..., t. II, p. 638 ; E. Laoust, *Contribution*..., p. 68 ; Id., *Mots et choses*..., p. 2, n. 2 ; E. Destaing, *Vocabulaire*..., p. 215, 137 ; J. Berque *Structures*..., p. 356, n 1.

علي صدقي أزايكو

تاماست ← ماسة

تاماسينْت، قرية تقع بفرقة المرابطين من قبيلة بني ورياغل (إقليم الحسيمة) ؛ وإلى هذه القرية نفي بطل المقاومة المسلحة المغربية بناحية جبالة والهبط وغمارة الشريف مولاي أحمد الريسوني عندما ألقى الأمير الخطابي القبض عليه بتازروت، وقد توفي الريسوني بالقرية المذكورة يوم 9 رمضان 1343/13 أبريل 1925.

وأما سقوط القرية بيد الجيش الإسباني فقد كان يوم 20 ماي 1926.

Nomenclatoi cubilas, 1953 ; Martinez Campus, *España belica*.

محمد ابن عزوز حكيم

تامامّايت ← الطرفة

تاماوُست أو تاماوُشْتْ، كلمة أمازيغية جمعها تيماوسين. هذا في الأطلسين الكبير والصغير، ويسمى نوع منها في الأطلس المتوسط "تاماويت". تطلق على لون من ألوان المحاورات الشعرية وتكون مرتجلة وذات مستوى رفيع، سواء من حيث الشكل والإيقاع الصوتي المميز أو من حيث المضمون الذي كثيراً ما يتستر وراء الرمزية والإلغاز.

- يتحاور فتيان قرية ما وفتياتها أو فتيان قبيلة وفتياتها في موسم أو في عرس أو عند زيارة رجالات قبيلة لجارتها، ويتناولون الحب العذري والحياة الزوجية كما يرونها، إضافة إلى تأملات في الطبيعة وفي البيئة الاجتماعية بإيجابياتها وسلبياتها...

كانت تمارس هذه المبارزة الشعرية بكثرة في القديم خلال فصل الشتاء في ساحات خاصة بكل قرية تسمى "أسُوكْ" وهو عبارة عن ممر بين الدور قد يكون مغطى يصنع به موقد طبيعي بجانبه أحجار منحوتة "تيسوراگ".

- تأتي الفتيات بالأخشاب بالتناوب كل ليلة للإنارة وللتدفئة من قساوة البرد، يجلس الفريقان متكئين على الجدارين المتقابلين وبينهما الموقد وألسنة النار تتراقص... يجلس على بعد أمتار قليلة جمهرة من العزاب المؤيدين والمؤيدات قد تشاركهم قلة من الرجال والنسوة ممن اشتاقوا لذكريات عزوبتهم ومحاوراتهم الإبداعية.

بعد الجلوس الذي حاولتُ التعريف به زمناً ومكاناً، ينتدب الفتيان أذكاهم وأقواهم ملكة شعرية ليحاور المنتدبة من طرف الفتيات وبصوت جد عال يسمع خارج القرية. حيث المفروض أن يكون الجواب مقنعاً وبأقصى سرعة بعد

أن يطلق العنان لحنجرته وبنفس الإيقاع الصوتي والعروض للطرف الآخر فور سماعه (رارْ إمايْكْ نْـيغْ) (أجب عما قلته لك) متبوعاً بقول الجماعة وبصوت واحد (هـيـيْ) وكلمة (هـيـيْ) عبارة عن إيقاع صوتي تميزه نغمة خاصة وهي تاماووشت. وتردد الكلمة كلالالة على استحسانهم للتدخل وتشجيعهم للمنتدب المتدخل، وفي نفس الوقت تعني نهاية التدخل مطالبة الطرف الآخر بالإجابة الفورية.

تتناول المحاورة غالبا الحب العذري الصادق صدق الطبيعة وسكانها كما تتناول نظرتهم للحياة الزوجية كعالم يسعون لولوجه بمجرد أن يجد كل واحد من ترتاح إليه نفسه، وما أكثر النماذج التي يرددها الرواة وهي تتغنى بالطبيعة وبافتخار كل جانب بما يميزه عن الآخر، مما يؤدي إلى هجاء هذا الطرف كذلك، لكن ليعودوا في النهاية إلى المصالحة وإلى ملء كؤوس الصفاء والثناء ليرشف هذا الجانب وذاك قبل أن يتفرقوا ليذهب كل إلى بيته بعد أن يضربوا موعداً لمسامرة مماثلة.

ولهذا النوع من اللقاءات عدة مزايا منها التعارف قبل الخطبة والمساهمة في إغناء الرصيد الشعري بهذا اللون الرفيع من الأدب الشعبي. وما زالت قبائل إغرم بدائرة تارودانت وغيرها من قبائل الأطلسين الصغير والكبير تردد روائع (تاماووست) المأخوذة من أفواه الرواة المسنين والمسنات.

ولكي يتلمس القارئ نوعية الشكل والمضمون أضع أمامه نماذج معربة :

الجماعة :

هي :

يِيويدْ إيگرْ تيسكرين   ياويد أُمَالوا لايواز.   اريي سولوگار.

رارْ إمايْكْ نْـيغْ

جاد الحقل بالقطا   وجاد الظل بالبزاة   جاد الله باللقـا !

أجبَن مقالتي !

هو :

يانْ إيكانْ وِنُو كَيغْ ونس   مَقَّارْدآيَرْ دُو فُوسْ أناسي   نْزْضَرْ مارْ إيبَي

رارْ إمايْمْ نَّيغْ

مِن هواني هَوِيْتُه   إنَّ في يمنايَ رضاه   تصبرت أن تُبتـرا

أجيبي عن مقالتي

هي :

يانْ إيكانْ ونُو كَيغْ وَنْس   مَقَّارِدْ ايزادْ رامانْ نْ   والِنْ إيمُو نْزُمْحَرْ ارْدْ أكْمْنْ.

رار إمايكْ نْـيغ

مِن هواني هويتُه   إن في مُقلتي رضاه   تصبرت أن تؤخــذا

أجب عن مقالتي

هو :

بُوغلو بُوغلو   أرمَّانْ نْ ـ لحبوس   ماتْرِيتْ تَاروا   ارنْشُومو من أديف

رارْ إمايم نْـيغْ

ألا ما زلتُ يانعاً أيها الرّمان الموقوف   دع عنك ذا الإثمـار

أجيبي عن مقالتي

هي :

لهَمْ أُلْهَمْ الْهمُومْ   ايسمدُونْ   إمَا تَاروا لانْتْ توداديِنْ

رارْ إمايْك نْيغْ

إنما تنحل الهموم   مارق الظبي بالولد

أجب عن مقالتي

محمد مستاوي

ابن **تامْـتـيـتْ**، **أحمد** بن محمد بن حسين بن علي اللواتي. ولد عام 548 هـ بفاس حيث نشأ وتعلم، وتنقل في كثير من بلاد الإسلام كإشبيلية وإفريقية ومصر ثم المشرق حيث بلغت شهرته أوجها كفقيه عالم ذي باع طويل في رواية الحديث وحفظه وفي مسائل التصوف.

شكلت هذه الرحلة فرصة سمحت لابن تامتيت بأن يلتقي مع كثير من علماء عصره ويتتلمذ على بعضهم، نذكر من بينهم أبا الحسين يحيى بن محمد ابن الصائغ (*نيل*، 63) وأبا الوقت الذي أخذ عنه بالإجازة العامة، ومحمد بن رشيد الشافعي الملقب بشرف الدين. روى الحديث عن ابن تامتيت ثلة من علماء المشرق والمغرب كالحافظ أبي بكر بن سيد الناس اليعمري الذي روى عنه كتاب *الشفا* للقاضي عياض (*أزهار*، 4 : 340)، وإبراهيم ابن الكماد المرادي الفاسي الذي كان يعتبر من أحفظ أهل زمانه للحديث النبوي (*جذوة*، 85)، وعلم الدين الدواداري وغيرهم.

توفي بالقاهرة يوم الرابع من شهر محرم عام 657 / فاتح يناير 1259 بعد أن عُمِّر طويلا إذ تجاوز المائة سنة تاركا مجموعة من التصانيف جلها في علم الحديث.

أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص. 116-117 ؛ ابن الأبار، *التكملة*، مصر، 1955، ص. 129 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، الرباط 1978، ج 4 ؛ الحنبلي، *شذرات الذهب*، د. ت.، 5، 288-289 ؛ أ. بـابا، *نيل الابتهاج*، بيروت، د. ت ؛ العبدري، *الرحلة*، تح. م. الفاسي، الرباط، 1968، ص. 246 ؛ ع. ابن منصور، *أعلام المغرب العربي*، الرباط، 1986، 4، 145.

ابن **تَـامْـتيتْ**، أبو الحسين **يحيى** بن أحمد بن محمد بن حسين بن علي اللواتي. لا نعرف إلا القليل من أخباره عكس والده أحمد الآنف الذكر. وإذا كانت جل كتب التراجم قد أغفلت الحديث عنه، فإن الإشارة الواردة عند ابن غازي في *فهرسته* تفيد أنه كان من بين المغاربة الذين اهتموا بعلوم الحديث بمصر وبرعوا في حفظه وروايته وتدريسه، فقد تتلمذ عليه كثير من علماء مصر وغيرهم، كما قرأ عليه ابن غازي بالرواية كتاب *الشفا* للقاضي عياض. لم نقف على تاريخ وفاته.

ابن غازي، *التعلل برسوم الاسناد*، تح. محمد الزاهي، الدار البيضاء، 1979، ص. 46، 153.

رشيد السلامي

تامَجّاثت، موضع يقع في الطريق بين مدينة درعة

"تيومتين" ومدينة "سجلماسة" وهو على بعد مرحلة من المدينة الأولى، سمي المكان بالاسم الأمازيغي لنوع من الأشجار كان موجوداً فيه بكثرة وقامت على أساسه صناعة نشيطة لنحت الأواني الخشبية التي كانت تصدر إلى كافة أنحاء المغرب وخارجه خلال العصر الوسيط الأعلى، إذ بعد الوصف الذي قدمه لنا البكري في كتابه *المغرب* (ص. 156) لم يرد ذكر للمكان ولا للأشجار في المصادر اللاحقة.

لم يعط البكري على غير عادته تفسيراً ولا مقابلة لكلمة تامجّاثت مما يناسبها باللغة العربية، بل قال إن الموضع ينبت فيه شجر يسمونه تامجّاثت مما يقوي الاعتقاد أنه اسم محلي أطلق على ذلك النوع من الأشجار لخاصية تتميز بها عن غيرها. أما لماذا سميت تلك الشجرة هكذا، فلأنها نوع من العرعار القديم المتخلف عن الزمن الجيولوجي الرابع تكيف مع التغيرات المناخية فأصبحت الشجرة ذات تكوين خاص "جذع ضخم عليه أغصان قليلة قصيرة، رقيقة ومتفرقة مكللة بقليل من الأوراق التي تشبه أوراق الطرفاء، وترسل مثلها عند فترة الإزهار ذرات من الغبار الأبيض فتبدو للرائي آنذاك شعثاء قرعاء" (تشبيه بأمجوض).

لم يعد لهذا النوع من الأشجار وجود في المنطقة التي ذكرها البكري بل قريب منها وعلى السفوح الشرقية لجبل درن يمكن مشاهدة المنظر المثير لبقايا هذا النوع من الأشجار وخاصة في مجال قبيلة مگونة، ويمكن للزائر أن يشاهدها في محطات التزحلق على الجليد في مركز أوكيمدن وامتداده في مجالي قبيلتي أوريكة وغيغاية.

قرأ البارون دو سلان (De Slane) - مترجم كتاب البكري - الفقرة المتعلقة بهذه الشجرة قراءة خاطئة عندما قال :

"Tameddjathet localité qui produit une espèce d'arbre ainsi nommée dont les feuilles sont larges et persistantes comme celle du tamarisc. (*Description....* p. 295 - 296)"

والحقيقة أن جذع الشجر هو الذي يعظم وليس أوراقه لأنها من النوع المعروف عند الجغرافيين وعلماء النبات بالأوراق الإبرية، فكيف تعظم ؟ وهذه هي القراءة الصحيحة للفقرة :

"... وهو موضع ينبت شجراً يسمونه تامجاثت وهو شجر يعظم، ورقه هدب كورق الطرفاء..." (*المغرب*، 156).

ينطبق موضع تامجاثت في تقديرنا على موضع أگدز الحالية الواقعة ما بين مدينة زاگورة ومدينة ورزازات، ولم يحتفظ موقع أگدز بما يذكر بالفقرة التي تحدث عنها البكري، ولعل ذلك راجع لتسارع وتيرة التغيرات المناخية وأساساً لكثافة استغلال تلك الأشجار، فالبكري نفسه ذكر "... ومنه [أي الشجر] آنية سجلماسة ودرعة وما والاهما..." ؛ أما صناعة الأواني الخشبية خاصة الصحاف (القصاع) فلا تزال نشيطة بالمناطق المجاورة (الأطلس الكبير) وتعتمد على تلك الأشجار وعلى شجرة الجوز.

تعتبر شجرة تامجاثت من أنواع الأشجار القليلة في المغرب التي وصلتنا من الزمن الرابع مثل البطم وأرگان وغيره وتتمتع بحماية مصالح المياه والغابات.

أ. البكري، *المغرب*، باريس 1965 ؛ *خريطة المغرب الطبيعية* (بالفرنسية)، مقياس 1 / 2.500.000 ؛ *تحريات ميدانية*.

A. El Bakri, *Description de l'Afrique septentrionale*. Trad Mac Guckin De Slane, Paris, 1965

محمد حجاج الطويل

تامْجُتْ، زاوية تقع بقرية تحمل نفس الاسم شمال شرقي مدينة بني ملال، وينطقها أهل المنطقة حسب ثلاثة أشكال : تَمْجُتْ، وتامجوط، وتامُدْجُوتْ. وهي أمازيغية، تدل على المكان الأجرد أو الأقرع الخالي مما تنبت الأرض من كلاء. ومن ثم يتكرر ذكر تامْجُتْ في جهات أخرى. نجده مثلا في الأطلس الكبير كعلم لموقع : تيزي - ن - تمْجُتْ، وهو أحد الممرات الموازية لتيزي - ن - تاست. (*Reconnaissance*, 99). ونجده كذلك كعلم لإحدى قرى سوس، الواقعة في أراضي قبيلة أيت تامْلْدُو، على السفح الجنوبي للأطلس الكبير. (*Reconnaissance*, 323 - 338) ولعلها هي المقصودة في رحلة الوافد (91، هامش 460).

تامْجُتْ المقصودة بهذا التعريف مكان أجرد بالرغم من وقوعه في منطقة كثيرة النبات، وهذا مما يلفت الانتباه. تبعد عن مدينة بني ملال بحوالي ثلاثين كلم، عند قدم جبل باب - ن - گْنُوزْ، في أراضي فخدة أيت بوبكر من قبيلة أيت محند، المنضوية تحت لواء اتحادية أيت سْري الصنهاجية. (De La Chapelle, *Le Sultan My Ismail..*, 31 - 32 note 3; J. Drague, *Esquisse...*, 169) وقد اشتهرت بعدما حل بها الشيخ علي بن عبد الرحمن الدرعي (الدراوي)، المتوفى عام 1091 / 1680. (*الدرر المرصعة*، 300 ؛ *نشر المثاني*، 2 : 290 - 292). وهو متصوف تتلمذ على أيدي شيوخ مشهورين كعبدالله بن حسين الرقي، وأحمد بن إبراهيم الأنصاري، كما لازم الشيخ محمد بن محمد بن الحسن الدادسي، طوال سنين إلى أن توفي، فورث عنه السر، ثم انتقل إلى تامْجُتْ حيث أسس زاوية هناك، وتصدر للمشيخة الصوفية (*دوحة البستان*، 30؛ *الإعلام*، 9 : 209).

اشتهرت زاوية تامْجُتْ منذئذ، فقصدها الناس من أجل الانخراط في سلك طريقة شيخها، وأصبحت مركزاً لطريقة صوفية جزولية - زروقية، يُلقن شيخها وردا معلوما؛ يفصله صاحب الإعلام كما يلي : "ووظيفة المغرب عنده أولها حزب الفلاح للشيخ الجزولي، ثم سيد الاستغفار ثم ذكر الشيخ عبد القادر الجيلاني، ثم صلاة حضرة الأبرار، ثم الصلاة المشيشية، ثم الفاتحة مرتين.... ووظيفة الصبح حزب الفلاح أيضاً، ثم المسبعات العشر، ثم الحزب الكبير..." (*الإعلام*، 9 : 211).

وشهدت هذه الزاوية توسعاً، فتكونت طائفة تابعة لها في بعض المدن كمراكش والرباط ومكناس وتطوان (الإعلام، 9 : 210). أما بفاس فكانت الطائفة المنتسبة إلى تامْجُتْ تجتمع بالزاوية المنسوبة لسيدي رضوان، بعدوة

القرويين (النشر، 2 : 292).

وهكذا شدت الرحال إلى زاوية تامْجُتْ، من الحواضر والبوادي بسبب ما عرف عنها، وخاصة في ميدان إطعام الطعام للوارد والصادر كما يتضح من هذه الفقرة : "وربما أطعم في الليلة الواحدة سبعة عشر ألفا" (*الإعلام*، 9 : 210). بل إن الشيخ علي بن عبد الرحمن كان قد خص اليتامى والأرامل بنزل خاص بهم، وأجرى النفقات على الطلبة المنقطعين بزاويته (*التقاط الدرر*، 219). وهذا يدل على تعدد مريديها وأتباعها، كما يشير إلى ذلك صاحب *الإعلام*. فقد ذكر أن عدد تلاميذها قد نيف عن ثمانين ألفا (*الاعلام*، 9 : 215). فصارت تامْجُتْ قبلة يؤمها عامة الناس من أجل التلمذة والتلقين، ويقصدها المتصوفة للاستزادة من المدد الصوفي. تشير بعض المصادر إلى أن كثيراً من أعلام التصوف قد زاروا تامْجُتْ، من بينهم الحسن اليوسي، وعلي المراكشي، وأخذ عن شيخها آخرون، أمثال محمد بن محمد العكاري، وأخوه الحسن، وأحمد بن يعقوب الولالي، وسعيد الحنصالي (*الاعلام*، 9 : 213 ؛ *Reconnaissance*, 62). ومن المدفونين بها محمد بن أحمد المغزازي، ويعقوب التواتي وعلي الملقب بالجب، لعل هؤلاء كانوا من بين المنقطعين بتلك الزاوية (*الإعلام*، 9 : 214).

وبالرغم من أننا لا نعرف شيئا عن مواردها، فإنه من خلال تعدد الوافدين إليها، وعدد تلاميذها (ثمانون ألفا) يمكن القول بأن زاوية تامْجُتْ قد عرفت بسطة في الرزق نتيجة "الفتوحات" والهبات والهدايا التي كانت تحمل إليها من قبل أتباعها ؛ وإلا كيف يتأتى لها أن تنفق على اليتامى والأرامل، وتطعم الأعداد الهائلة من الزوار والمنقطعين ؟ (*الإعلام*، 9 : 210، 215).

لذلك كله طارت شهرة تامْجُتْ، فمدحها الشعراء وتغنوا بها، وقد ذكر صاحب الإعلام بعضهم كمحمد العكاري ومحمد بن عبد الله الدادسي وأحمد الحلبي. ومما أنشد فيها قصيدة مطلعها :

عَرِّجْ بِتَادِلَةِ الهِضَابِ الوُرَّدِ وأَنِخْ مَطَايَا العَزْمِ عند القُدْقُدِ

(*الإعلام*، 9 : 215)

إلا أن هذه الشهرة سرعان ما أثارت شكوك المخزن فقام المولى الرشيد بإخلائها، وشتت مريديها عدة مرات، كما حاول اعتقال شيخها علي بن عبد الرحمن. لكن لم يمنع - حسب الافراني - (*الصفوة*، 184) من إعادة بنائها، بل إنها قد استقطبت مزيداً من المريدين والأتباع.

ويذهب الزيادي - وهو من بين تلاميذها - إلى أن زاوية تامْجُتْ، قد دمرت تماماً، وأن مؤسسها قد اعتقل من قبل السلطان بضعة أيام (*دوحة البستان*، 213). ومهما يكن من أمر فإن المصادر تجمع على أن شيخ تامْجُتْ قد امتحن من قبل سلطان الوقت بسبب ما رأى من اجتماع الناس عليه (*الصفوة*، 184). لذلك ليس من المستبعد أن تتعرض زاويته للنهب أو التخريب، كما كان شأن زاويتي الدلاء وتازروالت.

وما تزال تامْجُتْ تستهوي أفئدة الزوار إلى اليوم، وينعقد بها موسم سنوي في فصل الصيف، تقصده بعض فرق قبيلة أيت سْري، وغيرها من القبائل المجاورة.

أ. الولالي، *مباحث الانوار*...، تح. بوعصاب، 1987 ؛ م. الافراني، *صفوة*، ط. حجرية ؛ التاسافتي، *رحلة الوافد*، تح. علي صدقي، 1992 ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، تح. محمد الحبيب نوحي، 1988 ؛ الزيادي، *دوحة البستان*... مخطوط خ. ع. 390 د ؛ القادري، *نشر*، 1982 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*... المطبعة الملكية، 1980 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، 1964 ؛ *التحري الميداني*.

De La Chapelle, *Le Sultan My Ismail* ... *A.M.* 1927 ; G. Drague, *Esquisse*..., Paris, 1951 ; M. Morsy, *Les Ahansal*..., La Haye 1972.

أحمد عمالك

تامدة ← الجديدة (إقليم.)

تامدة، مكان ونهر ومدينة مندثرة. فالمكان يقع بين وادي المخازن ووادي وَاُورْ بقبيلة الخلط الهبطية (إقليم العرائش)، وبه جرت المعركة التي كانت تعرف عند معاصريها باسم معركة تامدة، حسب ما جاء في بعض الوثائق القديمة. ويؤكده الحسن ابن ريسون في كتاب *فتح التأييد في مناقب الجد وأخيه والوالد* في كناشته التي لم تنشر بعد، كما يؤكده المؤرخ الإسباني خوان دي سيلفا (Juan de Silva) الذي شارك في المعركة في كتابه عنها حيث قال إن اسم المكان الذي جرت به هو "تاميدا" (Tamida). وكلمة تامدة معناها في اللهجة الأمازيغية المستنقع.

وأما نهر تامدة فيوجد منبعه بجبل توسيفت بقبيلة بني يطفت (إقليم الحسيمة) وتصب مياهه بالبحر المتوسط قبالة جزيرة بادس، ولذلك يعرف أيضاً باسم وادي بادس.

وتامدة أيضاً هو الاسم الذي كان يعرف به وادي مرتين في القديم عند سكان الناحية، كما يشهد بذلك الجغرافيون اللاتينيون القدماء حيث سموه بوادي Tamuda وTamuada وThamouda وهو نفس الاسم الذي أطلقه الرومان على المدينة التي أسسوها على ضفة النهر المذكور وتوجد أنقاضها حالياً بالمكان المعروف بالصويار.

الحسن ابن ريسون، *فتح التأييد في مناقب الجد وأخيه والوالد*، تطوان (د. ت) ص. 98 ؛ *كناشة*، مخطوط ؛ م. ابن عزوز حكيم. *مساهمة رباط تازروت في معركة وادي المخازن*، الرباط، 1989.

Plinio el Viejo, *Naturae historiarum*, Leypzig, 1906, V, 18 ; Pomponius Mela, *De Situs orbis*, Leypzig 1880, I, 20 - 24 ; Ptolomeo, *Geographike Uphegesesis*, Paris, 1901, V, 1.

محمد ابن عزوز حكيم

التامدرتي، الحسن بن مبارك ← الواسلامي

تامدغارت، مركز استراتيجي شهير في حرب الريف، يقع في بني توزين على بعد كيلومترات يسيرة من ميضار وحوالي 80 كلم غرب مدينة الناظور. دارت فيه معركة حامية بين قوات عبد الكريم الخطابي وجيش الاحتلال

الاسباني على ما يعرف حينئذ "بالجبهة الشرقية. وذلك خلال الأسابيع الأخيرة من انتهاء الثورة الريفية يوم 8 ماي 1926 أي أثناء الهجوم المشترك الفرنسي والاسباني على الثورة. وقد انتهت المعركة المذكورة باحتلال مركز تامدغارت من قبل الجيش الاسباني. وفي اليوم التالي 9 ماي 1926 وقعت معركة ثانية بسوق ثلاثاء أزلاف المجاور انتهت أيضاً باحتلاله من طرف الجيش الاسباني.

وفي ازلاف الذي هو السوق الأسبوعي لتامدغارت التقى الجيشان المتحالفان الفرنسي والإسباني ضد الثورة الريفية، وتصافح جنود وقادة الدولتين الاستعماريتين، إذ يقع على رافد يعتبر الفاصل بين المنطقتين المحتلتين الشمالية والجنوبية من المغرب.

تتبع اليوم تامدغارت لجماعة "أزلاف" القروية. فيها مجموعة مدارس، وتشتهر بعين "تسـتّـثات" أو "عين الشفاء" كما تسمى اليوم، وهي عبارة عن مياه معدنية حارة فيها الكبريت والحديد، صالحة لمعالجة البثور والدمامل والأمراض الجلدية. وربما قاومت الإمساك والبواسير وأمراض الجهاز الهضمي أيضاً. أقيم بها مسبح عمومي ومرشات للاستحمام.

معلومات شفوية عن جماعة أزلاف ؛ م. ابن عزوز حكيم، *الثورة الريفية* ؛ معاينة ميدانية.

عبد الله عاصم

تامْدُولت، مدينة تاريخية مندثرة من مدن المغرب الصحراوي في العصر الوسيط كانت لها صلات مع بلاد السودان، تقع على بعد حوالي ثلاثة عشر كلم جنوب غربي أقا، وماتزال أطلالها بادية حتى اليوم على مرتفع جبلي صغير. وقد أثارت هذه الاطلال فضول عدد من الذين زاروا المنطقة، فجمعوا ما تيسر لهم من الروايات حولها، حتى قام الاستاذ روزنبيرجي (Rosenberger) بجمع النصوص القديمة والمعاصرة حول المدينة وأطلالها، إضافة إلى مشاهداته وتحرياته الشخصية، محاولا وضع تاريخ متسلسل ومنطقي لهذه المحطة التجارية والمعدنية الهامة.

يذكر أبو عبيد الله البكري - القرن الخامس (١١ م) - أن مؤسس مدينة تامدولت هو عبد الله بن إدريس بن إدريس الأكبر في منتصف القرن الثالث (٩ م)، وكانت عاصمته إكلي، على مسيرة ستة أيام من موضع المدينة التي استمرت تحت سلطة الأدارسة حتى نهاية هذا القرن. إلا أن عدة قرائن قد تسمح باحتمال كون هذا المؤسس إنما أعاد بناء موضع ربما كان معموراً قبله، فهناك رواية يهودية تشير إلى احتمال استقرار يهود مشارقة في واقا Waqqa منذ القرن السادس قبل الميلاد، ولعلها واحة أقا التي تنسب إليها مدينة تامْدُولت اليوم، إضافة إلى ماقد تفيده عملية استقراء معاني المدينة في اللغة الأمازيغية السوسية في هذا الباب، وهي عملية لم تتم بعد. ومن بين هذه القرائن أيضا ما ذكره البكري من وجود آبار على الطريق بين تامدولت وأودغشت، يقع بعضها (بئر الجمالين) على بضع مراحل فقط من تامدولت، وهذه الآبار من استنباط عبد الرحمان بن حبيب، عامل الأمويين على إفريقية سنة 128 / 745 م، وفي هذا دليل على اهتمام الأمويين بهذه المنطقة المتصلة ببلاد السودان موطن الذهب.

لاشك إذن أن الموقع الذي تشغله تامدولت كانت له أهمية بالنسبة للمواصلات مع بلاد السودان عبر الصحراء، وإن لم توجد دلائل مصدرية قاطعة على وجود تيار تبادلي بين تامدولت وبلاد السودان قبل القرن الثالث (٩ م) إلا أن اهتمام الأمويين بهذه الجهة بشكل ملحوظ يزكي مثل هذا الاحتمال، إضافة إلى ظاهرة بروزكيانات سياسية مستقلة ومراكز تجارية هامة على ضفتي الصحراء خلال هذه الفترة (سجلماسة، تاهرت، أودغشت، غانا ...) الأمر الذي يدل على دينامية التبادل عبر الصحراء آنذاك.

وقد وصف اليعقوبي - القرن الثالث (٩ م) - المدينة وركّز على وجرد الذهب والفضة بها. أما ابن حوقل - القرن الرابع (١٥ م) - فقد اكتفى بالإشارة إليها في معرض حديثه عن المسالك الرابطة بين جنوب المغرب وبلاد السودان دون أن يقدم مزيداً من المعلومات حول أهمية المدينة وأنشطتها، حتى إذا جاء أبو عبيد الله البكري - القرن الخامس (١١ م) - قدّم معلومات أشمل وأهم من سابقيه ووصف المدينة بقوله: "... وعلى ست مراحل منها (مدينة إكلي) مدينة تامدولت، أسسها عبد الله بن إدريس بن إدريس، وهي سهلية عليها سور طوب وحجر، وبها حمامات وسوق عامرة، ولها أربعة أبواب، وهي على نهر عنصره من جبل على عشرة أميال منها، ومابينهما بساتين، وعلى هذا النهر أرحاء كثيرة...".

من الواضح أن تأسيس تامدولت في الموضع والموقع اللذين تحتلهما، كان استجابة لدوافع مختلفة، منها ما له طابع عسكري دفاعي (جبل يشرف على سهل واسع) ومنها ماهو اقتصادي (وجود سهل خصب ومياه ومعدن فضة). وربما كان للمدينة كذلك دور ديني كنقطة متقدمة في اتجاه الصحراء. رغم أن المصادر لا تشير إلى هذا الجانب، إلا أن وقوع المدينة على طريق التجارة العابرة للصحراء يظل بدون شك هو العنصر الأساسي المتحكم في تأسيسها أو إعادة تأسيسها، كما يفسر إلى حد بعيد تطور اقتصاد المدينة ووظائفها التي تعكس تطور خطوط مسالك القوافل العابرة للصحراء.

ذكر ابن حوقل أن المسلك الرابط بين بلاد السودان ومصر قد تحوّل نحو سجلماسة لأسباب طبيعية (زوابع رملية) وأمنية، هذا في وقت مازال فيه أحد المسالك الرابطة بين سجلماسة وأودغشت يمر عبر تامْدُولت رغم وجود مسلك مباشر بين المدينتين ! وقد زاد هذا التحول من أهمية المحاور الغربية الرابطة بين ضفتي الصحراء : الطريق الساحلي من نول لمطة إلى أودغشت عبر ملاحة أوليل، وطريق درعة الأوسط عبر تامدولت، وبذلك تكون مدينة

تامدولت من بين أهم مراكز الفرع الغربي للتجارة العابرة للصحراء آنذاك، وذلك بناءً على ما يتضح من أوصاف كل من اليعقوبي والبكري للمدينة وغناها وأنشطتها الاقتصادية، وذلك في وقت كان فيه الذهب هو محرك التبادل التجاري مع بلاد السودان.

وقد ازدادت أهمية المحور التجاري الغربي ومسالكه مع صعود المرابطين في القرن الخامس (11 م). وكان لوقوع مناجم الملح (أوليل وتغازى) في هذه الجهة دور أساسي في تفوق هذه المحاور الغربية آنذاك.

وإذا ارتبط موضع تامدولت بوجود معدن فضة مجاور لها وبنشاط التعدين بها، فإن وقوع المدينة على أحد المحاور التجارية الغربية كان طيلة القرنين الهجريين الثالث والرابع هو العنصر المتحكم في ازدهارها وفي تنوع أنشطتها حيث كان هذا المحور يتوفر على مادتين ظلتا أساسيتين في عملية التبادل التجاري عبر الصحراء، طيلة قرون، وهما النحاس والملح.

فرغم ارتباط تامدولت في المصادر الوسيطية بمنجم الفضة الذي بجوارها في اتجاه الجنوب الغربي، (يستخرج منه اليوم رصاص لم يعد يحتوي أجوده إلا على 12٪ من الفضة) فإن المدينة كانت بدون شك تقوم بتصدير كميات هامة من النحاس في اتجاه بلاد السودان، لما لهذا المعدن من مكانة خاصة لدى سكان إفريقيا جنوب الصحراء، وارتفاع أسعاره لديهم. فقد أثبت التحليل المختبري أن خبث المعدن المنتشر بكميات هامة حول موضع تامدولت هو لمعدن النحاس الذي كان بدون شك يستخرج من ضواحي المدينة ويصنَّع ليصدر في شكل سبائك، إضافة إلى النحاس المصنع في مدينة إگلي الذي كان يصدر في عصر البكري عبر تامدولت في شكل أوان أو سبائك.

من جهة أخرى، لا تخفى أهمية مادة الملح في عملية التبادل بين ضفتي الصحراء، حتى إن مواقع الملاحات كانت من بين أهم العناصر المتحكمة في اتجاهات المسالك الصحراوية وانعطافاتها. وقد ساهم وقوع أهم ملاحات المنطقة (أوليل، تغازى) بالجهة الغربية، في إعطاء محاور هذه الجهة دينامية خاصة. وتنعكس أهمية الملح كمادة تبادل أساسية في ارتفاع أسعاره كلما اقتربنا من الغابة الاستوائية، حيث تكثر الحاجة إليه. ومما لاشك فيه أن استعمال ملح تغازى منذ منتصف القرن الخامس (11 م) قد ساعد على توفر هذه المادة ببلاد السودان بشكل انعكس فيما بعد على قيمتها في الأسواق، كما يتضح ذلك من تتبع سعر تبادل الملح بالذهب من خلال مصادر الفترة. وقد ساهم ذلك في تحويل الثقل الاقتصادي تدريجياً نحو الجهات الشرقية، بسبب مرور القوافل عبر هذه الملاحة، ولايُستبعد أن يكون لهذه الوضعية انعكاس على مدينة تامدولت وضاحيتها.

لاشك أن توفر تامدولت على سهل خصب ومياه وافرة وظهر غني (سوس) مكَّنها من أن تصدر نحو بلاد السودان كميات من المواد الفلاحية كالحبوب والتمور، كما يوحي بذلك وصف البكري للمدينة، خاصة إذا علمنا حاجيات الجالية الأجنبية الموجودة في مدن السودان الغربي مثل أودغشت أو غانا. لكن البحث الأركيولوجي وحده هو الكفيل بتقديم مزيد من التفاصيل حول النشاط التبادلي لمركز تامدولت وحول الممارسات التجارية بها (عملة، مكاييل، مخازن ...).

وتتفق مصادر الفترة على جعل الذهب في طليعة قائمة المواد التي تستوردها تامْدُولْت من بلاد السودان، حتى إن اليعقوبي اعتقد أن هذه المادة تستخرج من أرض المنطقة. وقد ساهم ازدياد الطلب في الغرب الاسلامي (الأندلس) على الذهب في تزايد الكميات المجلوبة منه مقابل مادة الملح أساساً. أما العبيد فالمصادر عادة ما تقرنها بمادة الذهب المستورد من السودان، ولاشك أن وجود مناجم النحاس والرصاص ووجود صناعة تعدين ونشاط فلاحي في ضواحي المدينة كان يتطلب يداً عاملة هامة ربما جلبتها القوافل من بلاد السودان (لاتزال تعيش في قرية تُوزونين وريثة تامْدُولْت طائفة من أحفاد العبيد، تعمل أساسا في استخراج معدن الرصاص الموجود بجبل العدانة، وبوسائل غير مختلفة كثيراً عن وسائل العصر الوسيط).

ولا تشير المصادر المتوفرة إلى ساكنة مدينة تامدولت ولا إلى عناصر تعميرها بما فيه الكفاية. يقول البكري في معرض حديثه عن رجوع عبد الله ابن ياسين من الصحراء: "... ونزل موضعا يقال له تامدولت، حصن فيه مياه ونخل كثير، يشرف عليه جبل فيه معدن فضة معلوم هناك، فاجتمع لعبد الله جيش كثيف من سَرْطة وتَبْرْجَة، ولهم هناك حصون ...". وقد سبق لليعقوبي أن أشار إلى بني تارگا وبني درا من بين ساكنة المنطقة. ومما لاشك فيه أن هذه ساكنة كانت، منذ هذه الفترة، خليطا من البيض والسود كما هي حتى اليوم، وأن مدينة تامدولت كانت تضم إبان ازدهارها أعدادا من التجار من سوس وسجلماسة وربما من مراكز تجارية أخرى خارج المغرب على غرار مثيلاتها من المدن التجارية بالمنطقة.

لعل إشارة جمال الدين محمد بن إبراهيم الوطواط (1285-1318 م) في كتاب *مباهج الفكر ومناهج العبر* إلى حصن تامْدُولْت ومعدنها تعتبر آخر إشارة مصدرية مكتوبة حول هذه المدينة، ولكن الراجح أن ما أورده الوطواط إنما هو تكرار لما جاء عند البكري أساسا، ولا يمكن الاطمئنان إلى اتخاذه وصفا للمدينة معاصراً لكتابته. ومهما يكن الأمر، فقد اختفى بعد ذلك ذكر المدينة من المصادر المكتوبة وبقي في الرواية الشفوية فيما بعد ونُسجت حول المدينة و"قصة خرابها" حكايات مثيرة يصعب تبين ما هو تاريخي منها. لكن حيوية هذه الروايات واستمراريتها وذيوعها بين الكثير من سكان الأطلس الصغير وسوس لايمكن إلا أن يثير فضول الباحث ويجعله أميل إلى تفحص هذه الروايات لعله يعثر في ثناياها على نواة تاريخية، وهذا ما قام به، بعد

آخرين، برنار روزنبرجي في مقالته حول المدينة، حيث استعرض مجمل الروايات الشفوية التي تحدثت عن "خراب تامدولت" بسبب حملة القائد محمد بن علي أمنصاگ عليها، ورأى أن هجرة سكان تامدولت قد تكون بسبب حملة عسكرية عليها أو اقتتال طويل بين أهلها... الخ، وأرخ هذه الهجرة بأواخر القرن الثامن (14 م) أو بداية الذي يليه اعتماداً على عدة قرائن، منها العثور في أنقاض المدينة مؤخراً على قطعة نقدية مرينية، وكون القائد أمنصاگ الذي ينسب إليه تدمير تامدولت قد عاش في هذه الفترة التي شهدت طاعونا جارفا في المنطقة تسبب في تحركات قبلية ربما كانت سبب اقتتال سكان تامدولت وهجرتهم. وقد ظلت هذه الهجرة حية في الذاكرة الشعبية حتى اليوم، إلى درجة أن العديد من قبائل سوس الأطلس الصغير تنسب نفسها إلى هذه المدينة وتعتبرها موطنها الأصلي.

ومن غير المستبعد إذن أن تكون تامْدُولْت قد تلقت الضربة القاضية خلال القرن الثامن (14 م) وأن يكون تراجع المدينة وانحطاطها قد بدأ قبل هذه الفترة بكثير، حيث يمكن تلمس بوادر هذه الوضعية منذ النصف الثاني من القرن الخامس (11 م)، بل من المحتمل أن وصف البكري للمدينة في الفقرة المشار إليها أعلاه، إنما يعود إلى ما قبل سنة 461 / 1068 م، أي تاريخ الانتهاء من كتابة البكري *للمسالك والممالك*، خصوصا إذا علمنا مدى اعتماد البكري على استاذه محمد ابن يوسف الوراق في الكثير من أخباره وأوصافه.

ويمكن إجمال بعض عوامل هذا التراجع، الذي هو في الحقيقة تراجع للمحور الغربي من طرق التجارة العابرة للصحراء في الانتقال إلى استعمال ملح تغازى الواقعة إلى الشرق عوض ملح أوليل الواقعة على المحيط الاطلنتي في أرض گدالة، وذلك منذ منتصف القرن الخامس (11 م) على أرجح تقدير، وقد ساهم ذلك في تغيير الكثير من معطيات التبادل التجاري بين ضفتي الصحراء، فقد كانت مراكز مثل نول لمطة وتامدولت مثلا مرتبطة بملح أوليل الذي لم يعد له في القرن السادس إلا دور محلي حسب ما يتضح من وصف الإدريسي لهذه الملاحة. وقد أثر هذا التحول على مدينة أودغشت نفسها، ومن الطبيعي أن يؤثر كذلك على تامدولت التي تقابلها في الضفة الشمالية من الصحراء، خصوصا بعد أن عمل المرابطون على ربط سجلماسة بمنطقة النيجر عبر مركز تَابِلْبْلا مروراً بملاحة تغازى، فأثر ذلك على المدينتين معا في حين ازدهر مَرْكزا سجلماسة وولاتة فيما بعد. وقد زاد قيام الدولة الموحدية وتوحيدها لمنطقة الشمال الإفريقي من حدة التنافس بين المحورين الغربي والشرقي إن لم نقل عمل لصالح هذا الأخير.

زادت التفاعلات السياسية خلال القرن السابع (13م) سواء في بلاد المغرب أو في بلاد السودان، من تهميش دور تامدولت، خصوصا بروز دولة مالي الذي غيّر بعمق خريطة المبادلات الإفريقية، حيث عمل سلاطين هذه الدولة على إعادة تنظيم المجال الاقتصادي لأمبراطوريتهم بشكل أكثر فعالية بالنسبة لهم، وتندرج سيطرة مالي المحتملة على ملاحة تغازى في منتصف القرن الثامن (14 م) في هذا الإطار، ويرى كثيرون أن لرحلة ابن بطوطة إلى بلاد السودان الغربي آنذاك صلة مَّا برغبة المرينيين في استعادة مكانة المغرب في التجارة العابرة للصحراء، بعد اشتداد منافسة الجهات الشرقية، وانتقال الثقل الاقتصادي ببلاد السودان الغربي إلى منعطف نهر النيجر.

لم يبق اليوم من مدينة تامدولت التي وصفتها المصادر الوسيطية إلا قطع من سور على وشك الاندثار، فوق شرف من الأرض تغمره الرمال، وهو مبني بالطابية (الطين المضغوط) على أساس من حجر، وتعلو المكان قبة متواضعة تنسب للولي سيدي محمد بن عبد الله أو سيدي الشناوي كما يسميه البعض. وتوجد بداخل السور وحول الموضع كميات هامة من خبث معدن يعتقد أنه النحاس ومن شظايا أوان فخارية متنوعة. وتمكن نظرة سريعة إلى هذه البقايا من ملاحظة كون القبة والسور الحالي مستحدثين، ولعل هذا الأخير إنما استحدث مع بداية الدولة السعدية التي كان لقيامها صلات بهذه المنطقة. هذا في حين يغلب على الظن أن ما يضمه هذا السور إنما هو مجرد حصن متواضع الأبعاد، وأن تامدولت التي وصفها البكري، ربما تمتد على مساحة أكبر وتشمل مناطق أسفل الربوة التي تحمل ما تبقى من المدينة اليوم.

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 3، 86 ومابعدها ؛ مادة أقا، في حرف الهمزة من *معلمة المغرب*.

M. Delafosse, *Les relations du Maroc avec le Soudan Occidental à travers les Ages*, *Hesp.*, 1924, 2, pp. 153 - 174 ; Justinard, *Notes sur l'histoires du Sous au XVIème S.*, *A. M.* XXIX, p. 1230, Paris 1930 ; B. Rosenberger, *Tamdult : Cité minière et caravanière présaharienne, IX- XIVème s.*, *H.T.* 1970, XI, pp. 103 - 139 ; S. Daveau, *L'itinéraire de Tamdult à Aoudaghost*, *Tegdaoust*, I, 1970, pp. 33 - 38 ; J. Devisse et S. Robert, *Tegdaoust, I : Recherches sur Aoudaghost*, Paris 1970 ; J. Devisse, *Routes de commerce et échanges en Afrique en relation avec la Méditerranée : un essai sur le commerce africain médiéval du XIème au XVIème S.*, *R.H.E.*, 1972, vol. I, pp. 42- 73 et vol. II, pp. 357- 397.

محمد الحبيب نوحي

** ومن الناحية المعدنية عرفت تامدولت بمنجم الفضة. وقد وصف روزنبرجي Rosenberger في مقالته حول تامدولت الآثار التي عاينها، وأشار بالخصوص إلى انتشار الأشكورية (الخبث المعدني) وقطع الفخار والخزف بالموقع وينتهي إلى الإقرار بوجود أفران لصهر المعادن. ويتخلل منطقة الأشكورية عدد من القبور القديمة، ويقول روز نبرجي إن القبة البيضاء "لسدى شناوبل" (سيدي محمد بن عبد الله) تهيمن على فضاء الموقع الأثري، وعثر روزبنرجي على بقايا سور يمكن أن يوفر بعض العناصر لمعرفة طريقة البناء في هذا الموقع. ولاحظ أيضاً وجود قطع خزفية تتغير ألوانها من البني القاتم إلى الأخضر، بالإضافة إلى وجود فلزات نحاسية، وهذا ما يطرح تساؤلات حول صناعة الخزف بتامدولت من خلال استعمال الفلزات المعدنية. وعثر

روزنبرجي على قطعة فضية موحدية وهو تأكيد لمعثورات نقدية فضية موحدية وجدت في عين المكان .V. Monteil) (J. Justinard, 1933 ؛ 1946. وقد حاول روزنبرجي حصر وظائف مدينة تامدولت في الوظيفة العسكرية والفلاحية والمعدنية والتجارية.

ونعتقد أن تامْدُولْت اشتهرت بالأساس بوظيفتيها التجارية والمعدنية، فهي تقع على الخط التجاري الفاصل بين سجلماسة وأردغشت، فهي بذلك محطة لكل البضائع القادمة من سوس، خصوصا المصنوعات النحاسية والزجاجية، بالإضافة إلى الفضة الموجودة بعين المكان، وهذه بضائع رددتها المصادر التاريخية عند الحديث عن التجارة الصحراوية.

وتعود شهرة تامْدُولْت المنجمية والتعدينية أساساً إلى مناجم العدانة للفضة وبعض مناجم النحاس ثم منجم تمزگدوين لاستغلال الزنك (التوتيا).

وتقع مناجم الفضة لتامدولت على امتداد جبل عدانة، حوالي عشرين كلم جنوب جبل باني، وتنتشر الآثار المنجمية القديمة من جبل گليز إلى تلعدانت على مسافة أربعين كلم باتجاه الجنوب الغربي، وقد استغل المنجميُّون القدامى جل الترسبات المعدنية، وتوجد بموقع بودادن مئات الآبار ذات فوهات مربعة أو مستطيلة الشكل ولا يتجاوز قطر الفوهة منها متراً واحداً وتشكل تلعدانت أهم منطقة منجمية، وتوجد على بعد ثلاثين كلم إلى الجنوب الغربي من تامدولت. وتوجد الآثار المنجمية القديمة على مرتفع منعزل يمتد بحوالي ثلاث كلم باتجاه الجنوب الغربي.

ولعبت الانكسارات الجيولوجية دوراً مهما في عملية التنقيب والاستغلال المعدني القديم وبالخصوص في جبل تاشليفت وتيوريرنْ وبوتازْلْتْ وتلعدانت.

تبين الآثار المنجمية القديمة تقنيات الحفر والاستغلال التي عرفتها تامدولت في عهد ازدهارها، وكانت الركازات المعدنية تحمل إلى تامدولت حيث يتم صهرها كما يدل على ذلك وجود الأشكورية. وبناءً على شهادتي اليعقوبي والبكري، يمكن حصر النشاط المنجمي والتعديني لتامدولت ما بين القرنين الثالث والخامس الهجري (٩-١١ م). ومهما يكن من حقيقة تأسيس عبد الله بن إدريس لتامدولت أو أنها ازدهرت في عهد إمارته لسوس، فإن النشاط التجاري والمنجمي والتعديني كان وراء شهرة تامدولت ما بين القرن الثالث والخامس الهجري. إلا أن هذا لا يعني أن النشاط المنجمي قد توقف بعد ذلك، فإلى عهد قريب جداً كان سكان دوار إيگلي وإبرافلوس يستغلون العروق المعدنية ببودادن بالطرق التقليدية. وأغلب الظن أن الاستغلال استمر بطريقة متقطعة حسب الظروف التاريخية للمنطقة. وربما عزز هذا التفسير ما ورد عند الحسن بن محمد الوزان (ليون الافريقي) في القرن العاشر الهجري (١٦ م) عن جبل إيلالن حيث يقول "لا يبتدئ هذا الجبل غربا عند تخوم الجبل السابق (جبل هنكيسة) وينتهي شرقاً في ناحية جزولة وجنوبا في سهول سوس، وسكانه نبلاء شجعان عندهم خيول كثيرة ويتحاربون فيما بينهم باستمرار من أجل منجم فضة يوجد في الجبل ويستغله الغالبون منهم..." (المصدر، الجزء ١، صفحة ٩٦).

وعرفت تامدولت أيضاً تعدين النحاس، وكانت تحيط بها مجموعة من المناجم القديمة المتنوعة المعادن كإفْرَانْ وَنَاسْ (مغارات النحاس) وإستواناس (ذوات النحاس)، بالإضافة إلى منجم تمزگدوين والذي كان يستغل في تبييض النحاس، وهو ما اشتهر في النصوص التاريخية بالنحاس الأصفر أو النحاس السوسي أو الصيني، والذي كان يصدر بالخصوص نحو ممالك السودان. وقد أحصينا ما يقارب من خمس وعشرين استغلالية منجمية وتعدينية تحيط بموقع تامدولت.

اليعقوبي، *كتاب البلدان*، ليدن 1891 ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض*، بيروت 1979 ؛ البكري، *كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب*، باريز 1965 ؛ الوطواط محمد بن إبراهيم، *مناهج الفكر ومباهج العبر*، تح. E. Fagnan, *Extraits inédits relatifs à l'histoire du Maghreb*, Alger, 1924, pp. 41 - 68 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، الرباط 1980.

O. du Puigaudeau, *Arts et coutumes des Maures*, *H.T.*, IX, pp. 329 - 458, 1968 ; B. Rosenberger, *Tamdult, cité minière et caravanière présaharienne du IXème au XIVème siècle*, *H.T.*, X, pp. 103 - 104 ; *Les vieilles exploitations minières et les centres métallurgiques du Maroc, essai de carte historique*, *R.G.M.*, N° 17, pp. 71 - 102; N° 18, pp. 59 - 108, 1970 ; M. Saadi, *Histoire de la recherche minière au Maroc, des origines jusqu'à nos jours*, Rabat, 1967 ; *Possibilités minières et hydrogéologiques de la région d'Akka et le rôle historique de Tamdoult*, *Mines et géologies*, N° 28, 1969.

الوساوي العجلاوي

تَامْدْيَازْتْ، مصطلح أمازيغي شائع الاستعمال في الأطلس المتوسط وفي الناحية الوسطى للأطلس الكبير وواحات الجنوب الشرقي. ويعني هذا المصطلح الأبيات الشعرية أو القصيدة الشعرية (المغناة ؟)، وقد يطلق على بيت شعري واحد أو على مجموعة من الحكم والأمثال والأقوال المأثورة. وأما الشاعر الذي ينشد أو ينظم تامْدْيَازْت، فيطلق عليه "أمدْيَاز" وجمعه "إمْدْيَازْنْ" وهم شعراء جوالون بين القبائل المختلفة لنقل الحكم ونشر القصائد الشعرية. وقد لعب هؤلاء الشعراء دوراً أساسياً في نقل الأخبار المهمة، وتوعية القبائل بالقضايا الوطنية على الخصوص كفضح الاستعمار وعملائه والدعوة للجهاد ومحاربة الفساد كما كانوا يقومون بتمجيد الأبطال وذكر مناقبهم. وقد كان أمدياز يستخدم قدرته لابتكار الشعر بل وقدرته على ابتكار "النكث" المؤثرة في جماهير المواطنين من أجل تعبئتهم للمساهمة في المقاومة مثلا، ولذلك فأمدياز بمثابة ضمير القبائل والمعبر عن همومها وقضاياها.

وكانت القصائد "تِمْدْيَازِينْ" سريعة الانتشار بسبب بساطة أسلوبها ودقة المعاني التي تحملها بالإضافة إلى أنها موجهة للتغني والطرب، الشيء الذي جعل الجماهير الشعبية تُقبل على حفظ "تامديازت". وكان الشعراء

الجوالون "إمْدّيازْنْ" يحظون باستقبال حار في كل القبائل التي يحلون بها. فكانوا يكرمون وتقدَّم لهم المكافآت المادية، ولا يغادرون القبيلة الابعد مدح أعيانها وتمجيد أجوادها، في حين لا تفوتهم فرصة هجاء بعض القبائل التي ترفض إيواءهم واستقبالهم بدون عذر، وخوفاً من هذا الهجاء الذي ينتشر على شكل "تامديازت" لدى القبائل المجاورة فإن الاعتذار يتم أحياناً بشكل يروق الجوّالين "إمديازن" إذ تقدم لهم مكافأة مادية مع تبرير لعدم الاستقبال كوجود مأتم في القبيلة مثلا أو انشغال القبيلة والأسرة المقصودة باستقبالهم بمشاكل طارئة وحاسمة.

ويلاحظ في قصائد "تامديازت" تساكن (تصالح) إدراكين مختلفين أحدهما خلفيته دينية والآخر خلفيته دنيوية أو مادية.

فالقصائد الدينية تتناول جانب الوعظ والإرشاد والتذكير بأركان الإسلام والآخرة، ويوم الحساب والأوامر والنواهي والمحرمات وتمجد الأنبياء والرسل والصلحاء والأولياء، إلى غير ذلك من الجوانب الدينية. أما القصائد الجدلية أو الدنيوية فتتناول مختلف المواضيع حيث تتعرض للاستغلال وللربا والمحسوبية، واستبداد الأعيان، وهي كذلك تحرض الجماهير على المقاومة. وتكمن أهمية "تامديازت" في قدرتها على اختراق الحراسة الشديدة للحكام مثل ما وقع للإدارة الاستعمارية التي كانت تدعي القدرة على ضبط تحركات القبائل ومنع الاتصال بين القبائل التي تم إخضاعها والقبائل التي لازالت تحمل راية الحرية والجهاد، ومن ذلك هذه القصيدة "تامديازت" التي تهجو القبائل التي استسلمت للاستعمار أثناء مقاومة أيت عطا للقوات الفرنسية بجبل بوگافر في فبراير - مارس سنة 1933 :

- فْــرْحْ أَلحــاكــم گــانــاكْ   وَارَاوْ تِــبْــنْــكْــامِــينْ
- فْــرْحْ أَلحــاكــم گــانــاكْ   وَارَاوْ تِــخْــدَامِــينْ
- فْــرْحْ أَلحــاكــم گــانــاكْ   وَارَاوْ تِــبْــنْــزْدَامِــينْ
- فْــرْحْ أَلحــاكــم رَانْكْ أَيــت   رَرَآسْــنْ إيــلــيــن أراكــال
- إذا الــنَّــبِــي دْ تــواريــنْــسْ   إفَــانْ دي إمْــزُورا
- نْــتْــنِــيــمْ إمْــگــورا   إبُــولــبــس "دِبْــولان"

ومعناه :

- افــرح أيــهــا الحــاكــم   أصبح فتياننا سقاة لك
- افــرح أيــهــا الحــاكــم   أصبح أبناؤنا خداما لك
- افــرح أيــهــا الحــاكــم   أصبح أهلنا مقتوين لك
- لقد أحببك أصحاب العمامات والملابس الفاخرة
- لــقــد ذهــبــت عــنــا   الــكــرامــات مــع الأولــين
- وبقينا نحن في هذا الزمن المتأخر تحت   رحمة حكام طغاة أمثال دبليس وبولان

المقصود هنا Les capitaines Dupleix et Paulain.

ويمكن اعتبار "تامديازت" من الروايات الشفوية التي يمكن اعتمادها في استكشاف بعض أحداث الماضي، وقد اعتمدت عليها الباحثة جانين دروان (Jeanine Drouin) ضمن الوثائق التي استثمرتها لتأليف كتابها حول الصلحاء والزوايا بالأطلس المتوسط، حيث جاء الكتاب حافلا بقصائد من نوع "تامديازت" تتناول مختلف المواضيع كمقاومة موحا وحمو الزياني للاستعمار في معركة الهري سنة 1914 ومقاومة سيدي المكي أمهاوش في تازگزاوت سنة 1932. كما أن هذه القصائد يمكنها أن تمد المؤرخ والباحث بمادة هامة تتعلق بالأعراف والمصطلحات والمعارك وبعض الشخصيات، كما أن "تامديازت" يمكن تحويلها إلى مادة للتحقيق والتقابل خاصة وأن الشعراء (إمديازن) هم أفضل من عرف التمثلات والتطلعات الجماعية للقبائل، لدرجة أنهم يبدون معها وكأنهم لسان حال هذه القبائل. ولهذا فقصائد "تامديازت" جديرة بالاهتمام في ميدان البحث واستعمال الرواية الشفوية.

أولدن محمد، *المقاومة المغربية من خلال الرواية الشفوية*، بحث لنيل الإجازة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 1982.

M. Meraud, *Histoire des A. I., La Koumia*, Paris, 1990 ; J. Drouin, *La tradition orale hagiographique, ou un cycle oral hagiographique* ; S. Guennoun, *La montagne berbère*, Rabat, 1929

عبد القادر بوراس

التامراوي، محمد بن محمد، فقيه نوازلي له باع طويل في الفتاوى في القطر السوسي في عصره، وكان مولعا باقتناء الكتب وملاقاة العلماء واستجازتهم، وقد أدى فريضة الحج سنة 1242 / 1826 ودوّن *رحلته* التي نقلها محمد المختار السوسي في *المعسول* (8 : 198، 213) وهي تحتوي على معلومات تاريخية واجتماعية ووصف للمدن التي مر بها، وفيها يتحدث عن أحد العلماء المغاربة المجاورين بالحرمين، وهو الشيخ محمد الحبيب بن عبد القادر الفيلالي الذي جمع بين التدريس والإفتاء للمغاربة المجاورين، ويخبرنا بأن هذا الشيخ سبق له أن درس بزاوية سيدي أحمد أُموسى.

توفي محمد التامراوي عام 1285 / 1868.

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 8 ؛ م. ماگامان، *أدب الرحلة عند المغاربة*، د.د.ع، الرباط.

محمد ماگامان

تامراكْشْت أو تَمَراكشت، أحد القصور الثلاثة التي ذكرها الحسن الوزان في معرض حديثه عن منطقة الخنگ، وهي حسب تتابعها من الشمال إلى الجنوب : زعبل، وگسترير وتامراكشت. والخنگ الذي يغلب اسمه على هذه المنطقة معناه الخانق في اللغة العربية الفصحى أي الشِّعب الضيق (*وصف افريقيا*، ج 2 هامش 11، ص. 122). لعب دورا بارزا في ربط الاتصال بين مدينة سجلماسة ومناطق شمال المغرب باعتباره الممر الطبيعي الوحيد الذي يسمح باختراق جبال الأطلس الكبير الشرقي عبر مجرى وادي زيز بين فم غيور شمال سد الحسن الداخل وغار زعبل على مسافة عشرين ميلا.

يقع قصر تامراكشت على الضفة اليسرى لوادي زيز كما هو الحال بالنسبة لگسترير. أما قصر زعبل الذي

اندرس ولم يعد له وجود بالمنطقة فيحتمل أن يكون موقعه عند غار زعبل على الطريق الرئيسية رقم 21 الرابطة بين مكناس والريصاني، وهذا الغار يمثل الحد الشمالي للخنگ. وقد ظهرت تجمعات سكنية حديثة نسبيا بهذه المنطقة اتخذت مواقعها على الضفة اليمنى لوادي زيز خلافا لمواقع القصور القديمة، ويتعلق الأمر بقصر إفري وأيت عثمان اللذين تقطنهما عناصر من قبيلة أيت إزْدگْ التي تشغل هذا المجال بأكمله.

لا يسمح ضيق المساحة في تامراكشت وسائر مناطق الخنگ بوجود أراض شاسعة، لذلك يقتصر ما يتم استغلاله في المجال الزراعي على أشرطة ضيقة بضفتي النهر لا يبلغ عرضها أحياناً مرمى حجر تخصص لزراعة الشعير، كما يقوم السكان بتربية الأغنام خاصة قطعان الماعز (*وصف إفريقيا*، 2 : 122، 123).

استفادت قصور الخنگ من موقعها على طريق التجار الصادرين أو الواردين من سجلماسة وفاس في العصر الوسيط، ومع حلول القرن العاشر (16 م) أصبح سكانها من عرب المعقل يراقبون هذا الطريق التجاري ويستخلصون واجبات المرور من التجار، وهو ربع مثقال عن كل حمولة جمل مستغلين حصانة هذا الممر وما يوفره من وسائل دفاعية بحيث يستطيع شخصان منهم أن يصمدا أمام هجوم الإقليم بأكمله (*وصف افريقيا*، 2 : 122، 123).

اختصت قبائل أولاد حسين بسكنى تامراكشت وكل قصور الخنگ في القرن العاشر (16م) وكان شيخهم يقيم بمدينة گرسلوين أو قرسلوين عند ابن الخطيب (*معيار الاختيار*، 179) التي لا نعرف موقعها بنوع من التدقيق لكن لا يستبعد أن يكون في المنطقة التي تحمل اليوم اسم الكَرْسْ والواقعة شمال الخنگ ما بين قصر كَرَانْدوُ وأيت خُوجْمانْ عبر قصر تيعلالِّينْ الذي يسميه المحليون كَرسْ تيعَلالِّينْ. عرفت مدينة گرسلوين تراجعاً واضحاً في نشاطها الاقتصادي في القرن العاشر بسبب ضعف التبادل التجاري بين تافيلالت وفاس خلال هذه الفترة، الناتج عن تحكم قبائل ذوي منصور من عرب المعقل في أغلب مراحل هذا الطريق الرابط بين المنطقتين. بحيث كان العصارنة يتحكمون في تافيلالت بالمعنى المحلي للكلمة ومنطقة تيزيمي وكان المنابهة يتحكمون في الرَّتب ومضغرة، وكان أولاد حسين يتحكمون في الخنگ والگرس. فصار هذا الطريق ما بين قصور تافيلالت وقصر تيزي - ن - تالغمت تحت رحمة شيوخ هذه القبائل الذين كانوا يمنحون التجار رخص مرور بمقابل مالي وإن عثر رجالهم على قافلة دون رخصة نهبوها على الفور (الوزان، 1 : 45، 46 و2 : 123 ومارمول، 1 : 108).

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، ج 1، الرباط، 1980، ج ح، 1982 ؛ مارمول كاربخال، *افريقيا*، ج 1، الرباط، 1984 ؛ ابن الخطيب، *معيار الاختيار*، المحمدية، 1976.

حسن حافظي علوي

تامْراكْشْتْ، مدينة صغيرة من مدن دكالة القديمة، كانت توجد على الضفة اليمنى لنهر أم الربيع. وهذا الاسم صيغة تصغير بالأمازيغية للفظ مراكش. وليس هناك ما يدل على صحة القول بأن مؤسسها هو يوسف بن تاشفين، إذ كون هذه المدينة تحمل اسم مراكش الصغيرة لا يقتضي تأسيسها من قبل باني مراكش.

كانت تامراكشت حتى أوائل القرن العاشر (16 م) آهلة بالسكان تحتوي على أربعمائة كانون، كما كانت خاضعة لأزمور رغم وجودها في تراب تامسنا، إذ أن بعض قرى تامسنا القريبة من دكالة وحتى بعض قرى هسكورة كانت كثيرة الارتباط بما يحدث في دكالة.

احتل البرتغال تامراكشت في السنة التي احتلوا فيها أزمور (919 / 1513)، فخربت في ظروف غامضة وانتقل أهلها إلى مدينة الغربية القريبة منها. وكانت تامراكشت محاطة بأسوار وأبراج على الشكل القديم، لم يبق اليوم منها أي أثر. ويخبرنا مارمول أن أعراب شراگة كانوا يتنقلون في وقته عبر بواديها التي كانت غنية جدا بالقمح والمراعي، ويبدو أنها كانت كثيرة السكان وأن البنايات كانت من عمل البربر، لذلك كان اسمها بربريا كسائر الأماكن التي تبدأ بالتاء، مثل تادنست وتازروت وغيرهما. ونظراً لموقع تامراكشت بين إقليمي دكالة وتامسنا وإقليمي هسكورة وتادلا التي هي أراض خصبة كثيرة القمح والمرعى، فإنه يبدو أن تامراكشت هي مراكش القديمة التي يذكرها التاريخ الروماني، لأن مراكش الحالية إنما أسسها يوسف بن تاشفين ولمتونه بعد عهد الرومان بكثير كما هو معلوم.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، ج 1 ؛ مارمول، *إفريقيا*، ج 2 ؛ أ. بوشرب، *دكالة* ؛ م. الشباظمي، *حسن الدلالة على ما انقرض من حواضر دكالة*، مخطوط.

محمد الشباظمي

تَامْرنُوت، رابطة كانت تجتمع فيها طائفة من الأولياء الصالحين في أسفي. وتذكر مختلف الشهادات أنها كانت معروفة منذ النصف الأخير من القرن السادس (12م)، وربما رجع تاريخها إلى ما قبل ذلك بكثير.

كان هذا الموضع الوارد ذكره في *المنهاج الواضح* موجوداً بالقرب من الموقع الحالي لضريح الشيخ أبي محمد صالح، وقد اندثر الآن ولم يبق له أثر. وعن هذه الرابطة يقول الفقيه الكانوني : "كان يقصدها الصلحاء وأهل الخير، وكان الشيخ أبو محمد صالح يأوي إليها، وموقعها برباط أسفي فيما بين برج كدية لعْفو وجرف البحر. ولعل السيدتين عائشة ومريم المدفونتين على الجرف كانتا بنفس هذه الرابطة".

وتعتقد الأستاذة حليمة فرحات بأن موقع رابطة تامرنوت قد يكون أحد المساجد التي هدمها البرتغاليون عام 1507 لما احتلوا المدينة، وهو مسجد "باب البحر" الذي أتى ذكره وذكر مساجد أخرى هدمت كذلك كمسجد "باب

الشعبة" ومسجد "القبور" ومسجد "أورير" في الرسالة التي بعثها عام 1509 أهل أسفي إلى ملك البرتغال "إيمانويل".

محمد الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*، القسم الثاني (مخطوط).

H. Ferhat, *Le Maghreb aux XIIème et XIIIème siècles . Les siècles de la foi*, Casablanca, 1993.

عبد الرحيم العطاري

التامري، مركز قروي يقع على الطريق الرئيسية بين أگادير والصويرة عند نقطة 40 كلم شمال أگادير قرب مصب وادي أيت أمّر المشهور بزراعة الموز منذ عهد الحماية لأن مناخه شبيه بمناخ جزر كاناريانس الواقعة في نفس الخط من المحيط الطلسي، والشهيرة كذلك بإنتاج وافر من الموز الجيد، لذلك اشتهر (التامري) بتسويق الموز الطبيعي إلى مختلف المدن والأسواق المغربية قبل ظهور زراعته في الحقول المكيفة بالمغرب. وينعقد فيه سوق أسبوعي كل يوم اثنين يحج إليه سكان القبيلة والقبائل المجاورة.

ورغم أن مركز التامري ينمو نمواً بطيئاً كغيره من المراكز الفلاحية، إلا أنه يتوفر على تجهيزات لا بأس بها، أهمها : مجموعة مدرسية حديثة، ووكالة بريدية، ومركز فلاحي ومقر للدرك إلى جانب مسجد كبير تقام فيه صلاة الجمعة، ومساكن اقتصادية تتوسطها محلات تجارية على جنبات الطريق الرئيسية إلى أگادير.

التامري، أسرة تنتسب إلى قبيلة أيت أمّر الحاحية، وهي الرابعة والأخيرة جنوبا في الصف الساحلي من بين قبائل حاحة الاثنتي عشرة (*المعلمة*، 1 : 220). وعلى أراضي هذه القبيلة تتوسع مدينة أگادير على سيف البحر شمالا، وخاصة مشروع خليج أگادير. واشتهرت القبيلة بكثرة علمائها ورؤسائها المرموقين في الأوساط العلمية والسياسية، ومعظمهم اشتهر بهذا النسب (التامري) فأطلق حتى على سوقهم المركزي. وفيما يلي التامريون المشهورون بهذا النسب :

التامري، أحمد بن محمد المتوفى بمراكش عام 1200 / 1785. ذكره عباس بن إبراهيم في كتابه *الإعلام بمن حل بمراكش من الأعلام* قائلا بأنه كان علامة مشاركاً حريصاً على التحصيل، صالحا جليلا، ذكره الشيخ الطالب بن الحاج في بعض مقيداته (عباس بن إبراهيم، *الإعلام*، ج.2 ص. 394).

محمد أيت الحاج

التامري، الحسن بن إبراهيم، باشا أگادير. ينتمي إلى قبيلة أيت تامر بايداوتنان تخرج من مدرسة سيدي الحاج الحسن الكزوبي، وصاحب الشيخين سيدي الحسن التاموديزتي، والشيخ الحاج علي الإلغي، وعمل كاتباً خاصاً للقائد مبارك الگيلولي بتامنار، وبعد ذلك التحق بمسجد قرية إيمي واسيف شارطاً، حيث بقي هنالك، غير مهتم بالسلطة والجاه، وفد عليه صدفة رسول من الحاج الحسن الگيلولي بأگادير، في طريقه إلى تامنار لإخبار القايد مبارك الگيلولي بنبإ وصول حركة الهيبة إلى سوس وعزمه الانتقال إلى مراكش حوالي سنة 1912، واقترح عليه أن يكون كاتبا خاصا للحاج الحسن الگيلولي بأگادير. (*خلال جزولة*، 1 : 39)، ولم يمانع الفقيه في ذلك، حيث عين كاتباً خاصاً للحاج الحسن الگيلولي، بدعم من القايد مبارك الگيلولي بتامنار. وتولى الفقيه الكتابة والخطابة بمسجد أگادير، إضافة إلى القضاء بين الناس في الشرعيات. وبقي هنالك إلى أن مات الحاج الحسن الگيلولي، حيث انتقل إلى مدرسة عبد الرحمان بأيت تامر. ومن هنالك استُدعي ليكون قائداً لقبيلة من غير أن يحلم بذلك. وبعد موت عبد المالك الإنزگاني عين باشا أگادير حوالي سنة 1930 / 1931. وكان حكمه حكماً مزاجياً حسب ما يذكره الناس، واستمر في مهمته إلى أن أصابه مرض نقل على إثره إلى مراكش حيث توفي ونقل جثمانه إلى مقبرة سيدي سعيد الدراركة بنواحي أگادير وذلك حوالي 1934 / 1944.

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج. 1، تطوان، د. ت، ص. 38، 39، 40 ؛ الرواية الشفوية، عن محمد مونيب موظف سام بعمالة أگادير.

محمد حنداين

تامزّوشت، موقع فلاحي خصب من بلاد مطالسة القريبة من دريوش بإقليم الناظور، محاذية لرافد صغير يصب في وادي كرت، على مقربة من الطريق الرئيسية الرابطة بين الناظور والحسيمة. فيه ضريح الولي الصالح سيدي عبد الله بن الحسين.

يحد تامزّوشت من الجنوب موقع فلاحي آخر يدعى بُويرڤَان (أي الخنازير) وكان الراحلون من بني توزين يتخذونها عزيباً لهم حتى أصبحوا يشاركون المطالسة في امتلاك حقولها.

من جملة من سكنها من بني توزين : الحاج ميمون بن الطاهر بن الحاج عمرو، والد العالم التوزاني الحاج مَحمد الذي أقام فيها ردحاً من الزمن بعد عودته من فاس (راجع ترجمته لاحقاً) وقد تفرعت أملاك الحاج ميمون فيها إلى ثلاثة فروع تقاسمها أولاده من بعده.

مزروعاتها الأساسية : الحبوب، خاصة القمح والشعير والخرطال... وبعد الحصاد تتحول إلى مراع للحيوانات.

رسوم عقارية ؛ روايات شفوية ؛ معاينة ميدانية.

عبد الله عاصم

تامْساسْگ، مرسى بشاطئ قبيلة متيوة البحر على البحر المتوسط حيث تصب مياه نهري تاگموت وسيدي الفتوح بالقرب من رأس تاگموت. وتعرف هذه المرسى عند الإسبان باسم Ensenada de los Traidores أي مرسى الغدارة، وسبب ذلك أن قراصنة قرية الجبهة كانوا يختبئون بالمرسى المذكورة للانقضاض على السفن العدو الأجنبي.

A. Domenech, *Apuntes* .... p. 48 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes* .. p. 63

محمد ابن عزوز حكيم

تامْسكُرْت، لفظة مبناها أمازيغي، لا نجزم بمعناها. ويسميها أحمد بلقاسم الزياني تاسكارت (*تاريخ خنيفرة*، 32) وهي مدشر يقع جنوب غربي مدينة خنيفرة، على بعد حوالي ثمانية كلم منها على الضفة اليمنى لواد أم الربيع، ضمن قبيلة زيان من صنهاجة الظل (أيت أُمالو).

ولعل نشأة هذا المدشر، أو توسعه على الأقل، يرتبط بانتقال الشيخ الكبير بن امحمد ابن ناصر الدرعي إليه. فعلى إثر وفاة الشيخ امحمد ابن ناصر سنة 1085 / 1674، وتصدر خليفته أحمد لشؤون زاوية تامگروت، غادر محمد الكبير درعة. فألقى عصا التسيار بتامسكرت، حيث أسس زاوية ناصرية. (*الدرة الجليلة*، 74-80؛ *البستان الظريف*، 30. 32. 36) ويظهر أن أتباعه قد كثروا بمجرد استقراره بها. ولعل ذلك راجع كذلك إلى كون تامسكرت إحدى منازل الناصريين في الطريق الواصلة بين درعة وفاس. وذلك أنه يوجد غير بعيد منها مدشر أرگو. وبه مريدون ناصريون أخذوا عن الشيخ امحمد ابن ناصر قبل ذلك الأوان (*رسائل الشيخ ابن ناصر*). وقد استقطبت تامسكرت، بدورها، عدداً كثيراً من سكان المنطقة. فتعدد أتباعها حتى أثار ذلك انتباه السلطان، الشيء الذي اضطره إلى استقدام شيخها إلى مكناس واختباره (*الدرة الجليلة*، 74). ولعل هذا الاختبار الذي لم يكن يخلو من ضغط على الشيخ الناصري، كانت من ورائه توجسات سياسية، ذلك أن تامسكرت تقع في مجال صنهاجة الأطلس الذين شكلوا أحد مشاغل السلطان الكبير (De La Chapelle, 14 - 16). بالإضافة إلى ذلك فقد وجدت علاقات وثيقة بين شيخ الناصريين هناك. وبين أحد حفدة الدلائيين. في هذا الاطار يشير محمد المكي الناصري إلى مراسلة بين الشخصين يواسي فيها محمد الكبير صديقه الشرقي بن أبي بكر الدلائي في المصاب الذي كان ألم بالزاوية الدلائية (*الروض الزاهر*، 116). لذلك قد يرجع ضغط السلطان على شيخ تامسكرت إلى تخوف هذا الأخير من تكرار تجربة الدلائيين، خاصة وأن ذكريات ثورة أحمد بن عبد الله الدلائي كانت ما تزال عالقة بالأذهان. كما لا يستبعد أن السلطان كان يحاول استمالة زاوية تامسكرت لخدمة أغراضه السياسية في المنطقة، وذلك غير بعيد لأنه يدخل في إطار سياسة السلطان العامة إزاء الزوايا (مقدمة تحقيق *الدرة الجليلة*، 75. 76). وقد ظلت تامسكرت قائمة كزاوية ناصرية حتى بعد وفاة شيخها محمد الكبير في 29 صفر 1126 / 1714 (*الدرة الجليلة*، 78). وقد بنى ابنه محمد على قبره ضريحا صار مقصودا بالزيارة من طرف سكان تلك الجهات.

قامت زاوية تامسكُرت بأدوارها في المنطقة، كإطعام الطعام ونشر تعاليم الإسلام والثقافة العربية، كما أسهمت في فض بعض النزاعات والتحكيم في الخلافات التي كانت تنشب باستمرار في وسط تميز بعدم الاستقرار لأن معظم سكانه كانوا يعيشون حياة التنقل والرعي. بالإضافة إلى وقوع المنطقة في مجال تنقل القبائل بين مراعي الصيف في الأعالي ومراعي الشتاء في البسائط (*تاريخ خنيفرة*، 18). ولعل تامسكُرت غدت ذات قيمة روحية لدى الناصريين أنفسهم. فحين توفي الشيخ موسى الناصري بزاوية الفيض (زاوية الشيخ) "حمل بعد موته من الزاوية المذكورة" ليدفن بتامسكرت (*الدرة الجليلة*، 135) و"صلى عليه كثير من الخلق لا يحصي عددهم إلا الله" (*الدرة الجليلة*، 135) كما دفن بها كذلك أخوه أحمد ابن محمد الكبير (نفس المصدر، 182).

ولا يرد ذكر تامسكرت في المصادر حتى بداية القرن العشرين؛ حيث يشير إليها أحمد بن قاسم الزياني، قائلا: "تاسكارت، يمين خنيفرة، وهي مداشر يسكنها شرفاء علويون، فإنهم يتخذون البساتين على مائهم، فتصلح عندهم الفواكه كالإجاص والتفاح والمشمش والخوخ.." (*تاريخ خنيفرة*، 32-34) أي أنها كانت تشكل تجمعاً سكنيا مزدهرا، ذا بساتين غناء، يكثر بها الخصب والنماء.

وصنفت تامسكُرت حسب إحصاء سنة 1936 كقصر بلغ عدد سكانه أربعة ومائة نسمة، مما يدل على أنها قد اعترتها الاضمحلال، وهو ما رأيناه باديا للعيان اليوم.

م. الدرعي، *الرسائل*؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*؛ *الروض الزاهر*؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*؛ أ. الزياني، *البستان الظريف*؛ أح. الناصري، *طلعة المشتري*؛ أ. الزياني، *تاريخ بلدة خنيفرة*، تح. محمد أمحزون، الدار البيضاء، 1986.

De La Chapelle, *Le Sultan Moulay Ismaïl et les berbères sanhaja : Répertoire alphabétique.*

أحمد عمالك

تامسنا، منطقة اقترن اسمها في كتب تاريخ المغرب الوسيط بإمارة برغواطة، جعل هذا الاقتران بعض الدارسين يجعلون منطقة تامسنا مطابقة لإمارة برغواطة التي تأسست سنة 123 / 41. 742 حسب ما جاء في *الاستبصار* (ص. 197) وعرفت فترات من التوسع والتقلص، فقد وصل مجالها الترابي أحيانا إلى طنجة شمالا ووادي تانسيفت جنوبا.

أما تامسنا كعلم جغرافي فلا يرتبط في كل العصور بإمارة برغواطة بل تعاقبت عليه قبائل أخرى قبلها وبعدها.

تامسنا اسم بربري أُطلق على المنطقة كما أُطلق نفس الاسم، (بصيغة المذكر) وغير بعيد عن المنطقة، على إحدى البحيرات (أمسنا). وتعني راحة اليد وماشابهها من بسيط الأرض. ونجد نفس الكلمة اليوم لكن بصيغة التصغير تطلق على قرية في السهل الصغير لوادي نكوروغيس في الريف الشرقي = تامسنيت. ولعل الاسم أخذ من المنبسط الصغير الذي يجري فيها النهران. لم تذكر المصادر العربية الأولى التي تحدثت عن المغرب المنطقة باسمها بل صنفتها ضمن المغرب. وكلمة المغرب آنذاك أطلقت على المنطقة الممتدة من شمال دَرَن (الأطلس الكبير) إلى ممر تازا ثم المحيط الأطلسي. (*العبر*، 6، 174) وعند بعضهم السوس

الأدنى (ابن الفقيه ضمن نشرة حاج صادق، *صفة المغرب*، 30. 40) وبعد العصر الوسيط صنفها آخرون كصاحب *الاستقصا* وابن زيدان في *العز والصولة* ضمن الحوز وأحيانا الحوز نفسه. على أن الحسن الوزان في *وصف إفريقيا* (ص. 156 وما بعدها) هو الذي تناول المنطقة بوصف مسهب وتفاصيل أكثر من غيره.

اسم تامسنا متداول منذ العصر الوسيط الأوسط إلى بداية القرن العشرين رغم التغييرات التي عرفتها المنطقة على المستوى العمراني والسياسي، فأصبح البعض يغلب لفظة الشاوية أي يستعمل اصطلاحا اقتصاديا وعمرانيا (*تاريخ الضعيف*، 3 : 57) إلا أنه استعمال غامض لأن لفظة الشاوية المشتقة من النشاط المرتكز على رعي الشاء ـ لم تكن خاصة بالمنطقة، لذلك وقع خلط عند بعض الدارسين الأجانب على وجه الخصوص، إذ استعملت الكلمة أحيانا كمرادف لتامسنا. وبعض النابهين من المؤرخين والفقهاء تحدثوا بلغة أكثر وضوحا ودقة فقالوا : "أهل تامسنا" وهم يعنون كل سكان تامسنا. أو قالوا : "الشاوية أهل تامسنا" أي المشتغلون برعي الشياه من أهل تامسنا أو "عرب تامسنا" جزء من سكان تامسنا لأن في هذا البسيط غير العرب، إلى غير ذلك من التعابير.

جعل الحسن الوزان في *وصف إفريقيا* (ص. 156 وما بعدها) لتامسنا حدودا طبيعية هي أبو رقراق شمالا وأم الربيع جنوبا والمحيط الأطلسي غربا والأطلس المتوسط شرقا. فالمنطقة بهذا التحديد شاسعة تضم الشريط السهلي الساحلي ومعظم الهضبة الوسطى : الهضاب الداخلية (هضبة الفوسفاط وهضبة بني مسكين وقسما من سهل تادلا (الضفة اليمنى لأم الربيع). كل هذه المنطقة كان يطلق عليها في خرائط الفترة الاستعمارية اسم الشاوية، ومركز إدارتها الدار البيضاء.

موقع تامسنا وسط المغرب، وبالذات وسط ما عرف (بالمغرب النافع)، موقع استراتيجي هام يربط ما بين الشمال والجنوب والشرق والغرب، وتضاريسه وبنيته متدرجة في الارتفاع والتعقيد من الغرب إلى الشرق ومن الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي، ويتبع هذا التدرج تدرج على مستوى المناخ والغطاء النباتي والوحيش نسبيا.

شكل هذا الموقع الاستراتيجي بهذه المواصفات وغيرها كخصوبة التربة وكثافة الشبكة المائية، عبر عدة قرون مصدر قوة لساكنة المنطقة، وأكبر نموذج تقدمه لنا إمارة برغواطة التي عمرت أزيد من أربعة قرون (ق2 هـ ـ ق6 هـ)، أما الحسن الوزان الذي شاهد، بعض معالم تدهورها، فيذكر في معرض حديثه عن تامسنا، أنها كانت تتوفر على أزيد من أربعين مدينة وثلاثمائة قصر، ويسكنها عدد كبير من قبائل البربر وان هذه المنطقة هي زهرة الناحية كلها (*وصف إفريقيا*، 1 : 153).

اهتم المرابطون وبعدهم الموحدون باستئصال إمارة برغواطة نظراً إلى أهمية منطقة تامسناالاقتصادية والاستراتيجية الحربية، فالبرغواطيون استخدموا تضاريس المنطقة ومعطياتها الطبيعية أحسن استخدام في السلم والحرب، ففي حالة الخطر ينسحبون بأهلهم إلى أدغال الهضبة الوسطى حيث يستأنف النشاط الاقتصادي ويقوم الرجال بمحاربة العدو بجميع الوسائل. ولم يتمكن الموحدون من القضاء عليهم إلا في عهد يعقوب المنصور باتباع ما يمكن تسميته عسكريا "سياسة الارض المحروقة"، فنتج عن ذلك إفراغ المنطقة من ساكنتها وإخراجها من دائرة الإنتاج الاقتصادي في المغرب. وربما أعتبر الخليفة الموحدي مسئولا عن الوضعية المتدهورة التي آلت إليها تامسنا باعترافه هو نفسه (*الاستقصا*، 2 : 205. 206) فقد جاء بالقبائل العربية وأنزلها المنطقة لإتمام مخططه في القضاء على البرغواطيين، وحاول إعادة تعميرها واستغلالها ففشل، وفشل مشروعه الكبير في تعويض ما فقدته المنطقة من مدن وقرى، ببناء مدينة تشبه الاسكندرية هي الرباط. فلم تعمر الرباط في عهده ـ حتى بعد الموحدين ـ رغم الإغراءات المقدمة من طرفه، ولم تسترجع تامسنا نشاطها وعهدها الزاهر، فالقبائل الهلالية استمرت تعيش على نمط حياتها القديم، معتمدة على التنقل والترحال والرعي لم تؤثر فيها خصوبة المنطقة ولا تغيير المجال بالنسبة لهم. هذه الفترة من تاريخ تامسنا، وهي الفترة الانتقالية ما بين إفراغها من البرغواطيين وإحلال العرب الهلاليين بها، هي التي وصف فيها الادريسي تامسنا (*نزهة المشتاق*، 3 : 237. 238. 239. 240. 241) فلم يشاهد إلا قرى قليلة ومدنا ومناطق معمرة في تامسنا وهي : قرية ايغيسيل (گيسر ؟) وقرية أنقال وقرية مكول وفضالة وأنفا. ومن قراءتنا للإدريسي نخرج باعجاب بالأوصاف المقدمة عن النشاط الاقتصادي من فلاحة وتصدير. ولايخامرنا شك في أن تلك النقط المستغلة، والتي تبدو كجزر متناثرة وسط محيط من الأراضي الفارغة ما هي إلاّ نماذج متبقية مما كانت عليه المنطقة من قبل، ذلك المحيط الفارغ استغلته الكثير من الحيوانات التي تألف العمران، وصف الادريسي منها ثلاثة أنواع : السلاحف العملاقة، وطيور النعام التي أعجب بكثرتها وكثرة بيضها والأسد الكثيرة التي فصل الحديث عنها وعن صيد الأهالي لها دون سلاح.

دخلت تامسنا بعد القضاء على البرغواطيين في عهد جديد لا علاقة له بالعهد السابق امتد أزيد من سبعة قرون وتم خلاله تعريب المنطقة واختلاط ساكنتها وتنوع عناصرها، فلم يعد البربر إلا قلة. فالمعطيات الطبيعية والاستراتيجية استغلت في اتجاه سلبي : فساد الرعي والترحال وكثرت عصابات قطع الطرق والصراعات القبلية : عرب ضد عرب وعرب ضد بربر ـ وعرب وبربر ضد عرب أو ضد بربر وهكذا ...

ففي سنة 677 / 77. 1278 كثر عيث عرب جشم بتامسنا (*الاستقصا*، 3 : 50) وفي عام 707/ 07. 1308 اجتاز السلطان المريني "بلاد تامسنا فتلقاه بها عرب جشم من

قبائل الخلط وسفيان وبني جابر والعاصم فاستصحبهم معه إلى مدينة أنفا، ولما احتل بأنفا دعا بأشياخهم فحضروا عنده فقبض على ستين منهم وأودعهم سجن أنف وضرب أعناق عشرين من فسادهم القاطعين للسبيل..." (*الاستقصا*، 3 : 107) وغلبت تلك الحال على تامسنا في القرون التالية فنجد الضعيف الذي عاش إلى عام 1193 / 1779 . 1778 يقول "... ركبت البحر من سلا بقصد زيارة سيدي أبي شعيب، وفيها كان لا يقدر أحد أن يذهب لمراكش على بلاد تامسنا، وكان من جاز عليهم أكلوه ونهبوه حتى إن السلطان أطلق الإعلام أن كل من جاز على الشاوية فلا يلوم إلا نفسه..." (*تاريخ الضعيف*، 3 : 57).

هذه أمثلة متباعدة سقناها قصداً لتبيان ما آلت إليه منطقة تامسنا إذ أصبحت مخوفة حتى إن الأمثال أصبحت تضرب بها : "قالوا فينْ تامسنا قالوا احْنَا فيها" (*أمثال مغربية*) ولأخذ نظرة عن الصراعات المشار إليها، يرجع إلى الحسن الوزان الذي تتبعها بتفصيل يندر عند غيره (*وصف إفريقيا*، ج 1 و2) وكذلك المصادر السعدية والعلوية.

كان فقدان تثبيت السكان في الأرض وربطهم بالزراعة والتعمير في القرون الأخيرة من المشاكل المستعصية التي عرفتها منطقة تامسنا وأبقت على تهميشها بالنسبة لإمكاناتها الهائلة، فالقبائل العربية ومعها قبائل بربرية كبرى ألفت منذ العهد الموحدي الأخير - بعد يعقوب المنصور - التذبذب والتقلب في مواقفها تجاه السلطة، كما ألفت الاضطراب والتقلب في الأرض وبث الفتن والصراعات، وستكون مهمة الحكام - مركزيين ومحليين - صعبة تجاه هؤلاء، فتارة يأخذونهم باللين وتارة بالإغراء وأخرى بالشدة، فلم تنفع تلك الوسائل إلا جزئيا وبصفة مؤقتة تتفق وسلطاناً أو حاكماً قويين، أو مجاعة أو قحطاً يضطر معها هؤلاء للخضوع. وخير نموذج تمكن الإشارة إليه في العهدين السعدي والعلوي هو عهد أحمد المنصور الذهبي، ومولاي إسماعيل. فالأول ضاق درعاً بسلوك قبيلة الخلط، فنقل جزءا منهم إلى أزغار (الغرب) وأبقى على جزء منهم في الرعية وأدخل نصفهم في الجندية، لقاء الدور الذي قاموا به في معركة وادي المخازن. لكن هؤلاء لم يستقيموا فكثر عيثهم في البلاد وتطاولت أيديهم على قبائل أخرى فانتقم منهم المنصور السعدي شر انتقام إذ شتتهم في المغرب والسودان وأفرغ المنطقة منهم. ونفس السياسة اتبعها المولى إسماعيل مع الخلط ومع غيرهم، خاصة تحرك القبائل البربرية وقبائل معقل باتجاه السهول الغربية ومنها تامسنا، فنجحت سياسة الملكين جزئيا، لكن بعد وفاتهما عادت الأوضاع إلى ما كانت عليه، فقد استمر زحف القبائل الأطلسية نحو السهول الغربية حتى أصبحت ساكنة الهضبة الوسطى من تامسنا تحتلها قبائل من معقل (زعير) وقبائل بربرية (بني ورا).

استرجعت تامسنا نشاطها الاقتصادي تدريجيا منذ العهد العلوي إذ تقاربت فترات الاستقرار والأمن وتنوعت ساكنة تامسنا وامتزجت القبائل العربية (هلالية ومعقلية) بقبائل بربرية (زناتية ومصمودية وصنهاجية). ففي الفترات المناخية الجيدة يكون الانتاج الفلاحي وفيرا، فكانت تامسنا، حسب ما يتوفر لنا من إشارات تاريخية ترجع إلى القرن الثاني عشر (18 م)، مقصدا للتجار وسفن الأجانب بحثا عن المنتجات الفلاحية التي في مقدمتها القمح. فاستعادت موانئ أنفا وفضالة وسلا / الرباط وأزمور نشاطها التصديري، فعبر هذه المراسي كانت تامسنا تصدر إنتاجها وغلاتها. ويمكن أن نقول عن هذه الفترة إن تامسنا عادت لتكون هري المغرب ومخزنه للحبوب، وقد تعزز هذا النشاط وتجذر في الفترة الاستعمارية، إذ كانت تامسنا سباقة إلى إدخال التقنيات الزراعية الحديثة وسجلت أرقاما قياسية في الإنتاج والمردودية، وازداد نمو قطاع زراعة الحبُوب بها إلى جانب قطاعات أخرى بعد الاستقلال. إلا أن انتاج الحبوب (القمح، الشعير، الذرة) والقطاني يأتي في الدرجة الأولى وعلى المستوى الوطني.

أ. ابن الفقيه، *كتاب المسالك في معرفة الممالك*، مقتطفات منه نشرها وترجمها حاج صادق تحت عنوان *صفة المغرب واوربا إلى القرن 3 هـ / 9 م*، 1949 ؛ أ. البكري، *المغرب* ؛ ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ مجهول، *الاستبصار* ؛ ي. التادلي، *التشوف* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الدولة السعيدة* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ *العز والصولة*.

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens* ; J. Lecoz, *Le Rharb - fellahs et colons* ; J. Martin [et al.], *Géographie du Maroc*.

محمد حجاج الطويل

تامسوقت، أي السوق باللسان الصنهاجي، من المعروف أن أي تجمع بشري سواء أكان بلدة كبيرة أم صغيرة تكون له عادة وظائفه الذاتية والأساسية لتأمين ما يستطيع تقديمه من الخدمات. هنا نسجل بأن نتائج المسح الميداني الأولي لقرية تيغمرت حيث موقع نول لمطة عاصمة المرابطين خلال القرن الخامس (11 م) بوادي نون قد كشفت عن الدور المحوري للسوق المركزي المسمى حالياً تامسوقت (انظر مادتي تيغمرت وأسرير بالمعلمة). فعلاوة عن كون كلمة تامسوقت تفيد باللغة الإزناكية (الصنهاجية) اسم السوق، فإن التوزيع المكاني يظهر الدور المحوري لهذا الحي التجاري من خلال تصدره الامتداد الفعلي لتيغمرت. يظهر دور هذا السوق من خلال طوله الممتد كشارع تجاري رئيسي ينتهي كل دكان منه بدارللسكن. يظهر ترتيب هذا الشارع من خلال خريطة تيغمرت كمجموعة أساسية سكنية تتفرع عن دكاكين قديمة متراصة تربط الاستيطان المستقر بالتجارة. من هنا يبدو واضحاً وجود علاقة سببية بين حجم حي تامسوقت وباقي الأحياء، متيحة فرصة النظر إلى تيغمرت مرة واحدة في الخريطة. على أساس هذه العلاقة العضوية، فإن أي زيادة في عدد الدكاكين يعتبر رهيناً بإمكانيه توفر المجال اللازم الذي يمكن توظيفه في عملية

توسيع السوق. كما أن العامل الأساسي المحدد لهذه الامكانية هو تصدر تامسوقت لباقي الأحياء المجاورة في تخطيط تصعب معه الزيادة في حجم السوق. مهما يكن فإن المسح الميداني الأولي أشار إلى أن القصبات المجاورة للحي التجاري والمكونة لقسط أساسي من نول لمطة تحتوي على عدد من الخدمات قد يتعدى بقليل مجال خدماتها سكان القصبة نفسها. في حين أن الأهمية المطلقة لتيغمرت في وظائفها التجارية التي يمكن ترتيبها في مرتبة أعلى في سلم الخدمات التجارية. هنا ندرك أن ارتباط معمل سك الدينار المرابطي (انظر مادة تيشيشت *بالمعلمة*) بالحي التجاري جاء لدور تامسوقت كقطب تجاري أولي متميز من بين معالم نول لمطة الممتدة يومها على مراحل طويلة حوالي ضفتي وادي نون.

تامسوقت اليوم عبارة عن مجموعة من بيوت السكن المتراصة والمتلاصقة وهي موجهة إلى الداخل (فتحاتها الواسعة داخل البيت والفتحات الخارجية إن وجدت لا تتعدى الباب الرئيسي) مبنية من قوالب الطين المخلوط بالتبن وبدور أرضي في الغالب. معظم طرقاتها ضيقة متعرجة ومغلقة في نهايتها. كانت دكاكين الحي تمثل شكلا نموذجيا لتسلم وبيع مختلف السلع. فتركيبه المورفلوجي مايزال يشهد على تناسق أحجام الدكاكين المصطفة بجوار أحد روافد وادي نون. كما أن شارع الحي الرئيسي واسع وشبه مستقيم ينتهي في ساحة واسعة فيها المسجد ومكان السوق الأسبوعي. ومن خلال سوق الخميس الأسبوعي يتميز الحي عن باقي تيغمرت بوضوح أكثر. لقد كان الماء متوفراً خلال القرون الثمانية الأولى للاسلام بهذه المنطقة الجافة. وبالرغم من أن هذه الوفرة تعد نسبية فالماء يبدو يومها عنصراً إنتاجياً متوفراً وغير نادر. فهو يرتبط بمجزرة السوق وبالحي المتخصص في إنتاج جلود اللمط المميزة لبنية نول ملطة الصناعية. لاثبات صحة هذه الفرضية يتعين على علماء الآثار أن يوجهوا اهتماماتهم إلى أرجاء هذا الحي. ذلك أن الكشف عن المميزات الخاصة لكل منزل بحي تامسوقت يبين أنه يتألف من أقسام متباينة منها ما كان صالحا للسكن ومنها ما كان يشخص دور المعمل الصغير المرتبط مباشرة بدكان مطل على الشارع الرئيسي. هذه الصورة رغم عدم وضوحها في الواقع الراهن للأبحاث تجعل من هذا الحي حيا تجاريا ومهنيا للخدمات التي هي بنية نول لمطة التجارية والاقتصادية.

M. Naïmi, *Nul Lamta, Tableaux edifiants*, étude inédite.

مصطفى ناعمي

تامسينت، قرية تقع بفرقة إمرابطين من قبيلة بني ورياغل (إقليم الحسيمة) ؛ وإلى هذه القرية نفي بطل المقاومة المسلحة المغربية بناحية جبالة والهبط وغمارة الشريف مولاي أحمد الريسوني عندما ألقى الأمير الخطابي القبض عليه بتازروت، وقد توفي الريسوني بالقرية المذكورة يوم 9 رمضان 1343 / 13 أبريل 1925.

وأما سقوط القرية بيد الجيش الإسباني فقد كان يوم 20 ماي 1926.

Nomenclator cabilas, 1953 , Martinez Campos, *España belica*.

محمد ابن عزوز حكيم

تامصلوحت، مركز وزاوية بدائرة تاحناوت جنوبي مراكش على بعد اثنين وعشرين كيلومترا منها. وتحمل هذا الاسم اليوم جماعة قروية مساحتها 282 كلم^2 وسكانها 16.057 ن (1982). تنتشر أراضيها فوق سهل الحوز جنوبي مراكش ومخروطي وادي نفيس وغيغاية. تتلقى حوالي 250 ملم من الأمطار في السنة لكنها تستفيد من مياه خطارات تاريخية عديدة تقع جنوبها ومن فيض بعض المسيلات والوديان أهمها غيغاية، كما تستفيد من الضخ الميكانيكي. ورغم قربها من مراكش فإن التمليك القديم للزاوية وورثتها حال دون توسيع الملكية بأراضيها الزراعية.

تشتهر تامصلوحت ببساتين الزيتون التي كانت تستفيد من مياه السقي من وادي غيغاية ومن الخطارات وعمل الخماسة. تعطي إنتاجا جيدا من الحبوب إن كانت الأمطار كافية، وتكون أراضيها، خاصة تلال سكتانة ومخروطي الواديين، مراعي واسعة للمواشي الصغيرة. وكان قطيع الغنم لمولاي الحاج الأمغاري يضرب به المثل في الكثرة والنمو بالحوز، لكن البنية العقارية القديمة التي جعلت حوالي عشرة آلاف هكتار بها ستون ألف شجرة زيتون تمتد على مسافة أربعة كلم وصعوبة تقسيمها بين الورثة وفقدها لنصيبها من مياه وادي غيغاية التي حولت لصالح أراضي الاستعمار بأغواطيم أدى إلى بوار البساتين وتراجع إنتاجها. كما أن سنوات الجفاف المتوالية قضت على قطعان الأغنام الكبيرة وقلصت إنتاج الحبوب. وتجري حاليا محاولة من طرف ورثة أيت أُمغار لتجديد أساليب الاستغلال والقيام بزراعات جديدة كقصب السكر والخضر وتكوين تعاونيات زراعية.

اشتهر مركز تامصلوحت بزاوية يرجع تاريخ إنشائها إلى عام 934 / 1528م عندما أسسها المولى عبد الله بن حساين الأمغاري قصد إحياء الأرض وإصلاح شؤونها الفلاحية والاجتماعية، ومن هنا أتى اسمها تامصلوحت فهو صيغة بربرية لكلمة المصلوحة العربية والراجح أن معناها : الأرض التي يصلح بها الزرع. وهناك من يكتبها "تسلوحت" وتعني الأرض المنخفضة المستوية، أو تامشلوحت أي بلدة تعيش نمط حياة الشلوح. وقد عبأ المرابط المذكور السكان لخدمة أراضي الزاوية مقابل منحهم ثلث إنتاجها. ولقيت الزاوية دعما من الملوك لدورها الاقتصادي والسياسي خاصة أحمد المنصور الذهبي الذي سهل عملية توسيع أملاكها ونفوذها مما جعلها تكسب رصيدا اقتصاديا هاما ووصلت إلى قمة ازدهارها في آخر القرن الثالث عشر (19م) في عهد مولاي الحاج شيخها، وتحولت منشأة الزاوية خلال تطورها إلى مركز عمراني يتكون من قصر محصن

ومساكن الشرفاء ومسجد ومدرسة دينية وملجأ لإيواء المعوزين واللاجئين.



وفي بداية الاستعمار كانت تامصلوحت بلدة صغيرة تنطوي على عمارة تمدينية تقليدية تتمثل في تجهيزات أساسية من مساجد وسقايات وأفرنة وحمامات وسويقة وأنشطة غير فلاحية : من فخار ونسيج ومعاصر زيتون، إلا أنها عرفت جمودا بسبب سياسة التهميش التي سلكها الاستعمار تجاه المراكز الدينية ولموقفه من أيت أمغار الذين طلبوا الحماية الإنجليزية، ولوضعيتها العقارية الشبه إقطاعية.

ولم تتغير هذه الوضعية كثيرا في السنوات الأولى للاستقلال ولم تحظ بمؤسسات إدارية واجتماعية واقتصادية جديدة إلا في عقد الثمانينات عند تطبيق اللامركزية وتدعيم تمدين بعض المراكز القروية. وكانت تتميز بمنظر حضري يتجلى في كثافة نسيجها العمراني وانقسامها إلى دروب وأحياء تعرف بالحومات. وأحصيت سنة 1982 كمجموعة دواوير هي :

تامصلوحت الزاوية	سكانها	14800	نسمة
حومة القصري	"	1071	"
حومة تخرين	"	628	"
حومة البير	"	1195	"

فهي تتكون من سبع حومات تقطعها زنقة رئيسية تسمى شارع المسيرة تنطلق من ساحة الضريح بوسط المركز إلى ساحة المحطة التي تحولت إلى ساحة عمومية جديدة بني حولها حي إداري يتكون من مساكن الموظفين ومنشآت إدارية : قيادة دار الجماعة القروية ومعرض تعاونية حرفية ومدرسة ومنشآت أخرى تابعة لمختلف الوزارات. تتخلل الأحياء دروب مسدودة ملتوية. ويلاحظ بالمركز وجود عدد كبير من المنازل القديمة والمتهدمة بسبب هجرة ذويها أو امتلاكها من طرف ورثة لايعتنون بها، وهي كلها مبنية بالتراب المدكوك الهش. ومازالت المنشآت الخدماتية التقليدية بارزة تؤدي دورها : ستة أفرنة، ثلاثة حمامات، اثنا عشر مسجدا، تسع قباب لأضرحة أولياء أيت أمغار، بالإضافة إلى المنشأة الكبرى وهي ضريح مولاي عبد الله ابن حساين الذي يحظى بزيارات دائمة. ويُقام بتامصلوحت موسم ديني سنوي يفد إليه الزوار من مراكش والحوز والأطلس الكبير الغربي. وجل المنازل التقليدية من طابق أرضي يتوفر على بئر ومطمورة المياه المستعملة، ومازال بها بعض الملاكين العقاريين والكثير من الحرفيين يمارسون أنشطتهم في مشاغلهم العتيقة وهي خمسون فرنا لصنع الفخار بهوامشها يعمل بها مائة واثنا عشر حرفيا، ومشاغل لنسج الأغطية الصوفية التي اندثرت ولم يبق منها سوي عشرة يعمل بها ثلاثون حرفيا يسعون لتحويل الإنتاج إلى الاستهلاك السياحي في إطار تعاونية حديثة للنسيج. وهناك ثلاثة وعشرون معصرة تقليدية للزيتون بالإضافة إلى أربع معاصر حديثة يعمل بها موسميا مائة وخمسون شخصا وست مطاحن للحبوب.

تتوفر تامصلوحت على سويقة دائمة بساحة الضريح وعدد من الدكاكين بمختلف الأحياء. ينعقد بها سوق أسبوعي يوم الجمعة، وقد انتقل من حومة السوق وسط البلدة إلى موقع قرب المحطة خارج البلدة، وهو يعرف رواجا محليا لابأس به : يزود السكان بالحاجيات اليومية ويباع به بعض المصنوعات التقليدية خاصة الفخار وفائض الحبوب والاغنام في السنوات المطرة. ومن التجهيزات الأساسية التي حظيت بها البلدة ربطها بالشبكة الكهربائية سنة 1963 وإنشاء شبكة للماء الشروب تزود السوق والحي الإداري وسبع سقايات، لكن هذه المنشآت لم تنقذ تامصلوحت من الركود الاقتصادي والاجتماعي والتهميش، ويرجع ذلك إلى قرب مدينة مراكش التي تجتذب الشباب للعمل إما في حالة الاستقرار أو حالة التراقص اليومي.

وخلاصة القول إن تامصلوحت لم تبق مدينة تقليدية ولم ترق إلى مستوى مركز حضري حديث، ومازالت تسعى للتخلص من قيود الماضي وتبحث عن دور في ضاحية مراكش.

[1] بحث ميداني.

أحمد هوزالي

التامصلوحتي، أحمد الغزواني، أبو العباس، من رجال التصوف، أصله من تامصلوحت، الزاوية المشهورة، الواقعة جنوبي مدينة مراكش. انتقل إلى قرية ابزو في وقت مبكر من عمره، واستقر بها.

أخذ الطريقة الناصرية عن الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي، صاحب زاوية تامكروت. وقد عدّه صاحب *الدرة الجليلة* (ص. 274) "من أجل تلامذة الشيخ أبي العباس ابن ناصر".

اشتهر أحمد التامصلوحتي بالزهد والتقوى والكرم، بالإضافة إلى شرف نسبه. فكان حسن الأخلاق، موطأ الأكناف، كثير المحبة لأهل النسبة وطلبة العلم، مجتهداً في دينه، ملتزماً بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

وبالرغم من أن الخليفتي الذي ترجم له، لم يذكر تاريخ وفاته، فمن الممكن أنه توفي قبل عام 1182 هـ/ 1768 أي قبل وفاة والد المؤلف، لأن هذا الأخير نقل الترجمة عن *تحفة الأسرار* الذي صنفه والده. ومايزال مشهد التامصلوحتي معروفا إلى اليوم، بقرية أغبالو جنوبي غربي ابزو.

م. الخليفتي، *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة*. تح. أحمد عمالك، 1986 ؛ التحري الميداني.

أحمد عمالك

تامعروفت، قرية صغيرة لعبت أدواراً اقتصادية وسياسية مهمة بالنسبة لمحيطها. تقع في الجنوب الشرقي من وهدة تازخارت على بعد ثلاثة وخمسين كيلومتراً جنوب مدينة ورززات على ضفاف أحد روافد أسيف نايت داوود أزكمرزي، ويقطن بها حسب إحصاء 1982 حوالي 475 نسمة ينتمون في غالبيتهم إلى قبيلة زناگة فخذة أيت ولن.

تحملت قرية تامعروفت أعباء قيادة قبيلة زناگة في أشخاص عديد من المشايخ الذين انتخبوا منها، كما كانت مركزاً اقتصادياً مهما لقبيلة زناگة وللقبائل المجاورة. ومما كان يسهل قدوم القبائل الأخرى للسوق وجوده في أقصى المنطقة الشمالية الشرقية من مجال قبيلة زناگة الشيء الذي جعله أكثر انفتاحاً وقرباً من قرى قبائل أيت أحمدي وأيت دوسن وأيت عمرو. إلا أن إشعاع سوق تامعروفت تراجع في الآونة الأخيرة بفعل الأهمية المتزايدة التي أُعطيت لسوق تازناخت ونتيجة كذلك لخلق أسواق أخرى جديدة بالمنطقة كخميس كركدة.

دراسة ميدانية.

أحمد توفيق الزينبي

تامْغارْت، كلمة أمازيغية مفردة جمعُها تيمغارين وتعني لغةً "المرأة" كما تعني الكبيرة والعظيمة "ولا يطلق أمغار" بمعنى الكبير والعظيم إلا على من تولّى مشيخة القبيلة. ولعل هذا اللفظ الذي يحمل معنى تعظيم المرأة يرجع إلى عهد أميسي في حياة البربر حيث كانت المرأة هي صاحبة الدور الأخطر في المجتمع. وماتزال وظائفها في ذلك المجتمع تستحق الإكبار، فهي :

- تتكيف مع طبيعتها القاسية طفلة فشابة فامرأة ثم مسنة، وتقاوم الحرارة والظمأ والجفاف مقاومتها للبرد القارس.

- تكون والدة مربية تلقن صغارها الحنان والصمود والصبر على شظف العيش ونكران الذات والذود عن القيم الدينية والخلقية والوطنية والانسانية وتزودهم بثقافتها الشفوية.

- تحرث وتحصد وتحطب وتغزل وتنسج وتطحن الزرع قبل وصول الطاحون العصري، وتطحن حاليا اللوز وثمار أرگان وترمم سطوح بيتها شتاء وترعى غنمها إذا اقتضى الحال متحدية ظروفها القاسية تلك بالزغردة والصيحة وبأصوات شعرية معبرة كشاعرة مبدعة أو حافظة مرددة.

- يؤهلها تكوينها الاجتماعي لأن تتعاون مع غيرها فيما يسمى بـ"تيويزي" العمل الجماعي التطوعي في الحرث والحصاد وسقي التربة للبناء والمساعدة في الطهي لموكب الزفاف، وفي جلب الحطب لأهل العروسين وفي التقاط ثمار اللوز وثمار أرگان وكسره وما يتبع ذلك من مراحل جد شاقة للوصول إلى عصيره أملو فزيت أرگان إضافة إلى جلب الحشائش في فصل الربيع قصد خزنها للماشية كغذاء لها في باقي الفصول.

- تصنع الزرابي والملابس الصوفية حيث تتجلى مهارتها الإبداعية وروعة فنونها التشكيلية وإن لم تعرف للمدرسة بابا.

- لعبت دورا هاما أثناء المقاومة الشعبية للزحف الاستعماري في الجنوب، حيث كانت تشحن البندقية الثانية عندما يكون المقاتل صاعدا للبرج ليفرغ البندقية الأولى، وكانت تحمل المؤونة ليلاً إلى أعالي الجبال وداخل الخنادق وتشجع بالزغردة والصيحة وتلطخ الهارب بالحناء ليكون مميزا كي يحاكم من طرف الجماعة، إضافة إلى كونها تعتبر ممرضة مقتدرة تضمد الجراح وتتقن التداوي بالأعشاب. ولنا على سبيل المثال معركة أيت عبد الله (1928 - 1934) بقيادة الحاج عبد الله زاكور، وهي من أشهر معارك الجنوب ما زال العديد من مقاتليها على قيد الحياة يتحدثون عن دور (تامغارت) المرأة وهو دور كان موازيا لدور الرجل. وبالتالي لم يتعرف عليها إلا مجتمعها الذي أطلق عليها اسم (تامْغارْت) أي الكبيرة والعظيمة. ليلازمها من لحظة زواجها كمسؤولة إلى لحظة وفاتها.

تحرٍّ ميداني في جنوب المغرب.

تامغرا، معناه حفل الزفاف. واشتقاقها من فعل مقُّور الذي تعني الكُبر والإكبار. تتنوع طقوس تامغرا بتنوع جهات المغرب، وميدان البحث الذي أخذنا منه معلوماتنا هو بلد إغرم بالأطلس الصغير جنوب المغرب.

يعتقد الأبوان أن من واجبهما وحقهما اختيار زوجة لابنهما وأنه لا حق للابن في الاعتراض على اختيارهما، وهم يراعون في ذلك تقديم مصلحة العائلة المجتمعة كمؤسسة إنتاج تحتاج إلى أيد عاملة. غير أن تغلغل الأفكار الإسلامية أدى إلى تليين هذه العوائد المتعلقة بالإكراه سواء بالنسبة للولد أو للبنت.

تتم خطبة موقتة بطلب يتم بزيارة الخاطبين للمخطوب عندهم، ويتوج القبول بقراءة سورة الفاتحة، حتى صارت كلمة "الفاتحة" مرادفا لإمضاء صفقة. وهدية الخطبة التقليدية قبل اليوم هي في العادة خروف وتمر وحناء. وعلى أسرة الخاطب تجديد الهدية كل عيد إلى أن يتم العرس.

أما العرس فيتقدمه جمع نساء القرية وفتياتها في خدمة تطوعية يجمعن فيها اللوازم المجانية للعرس كالحطب والماء ويقمن بخدمات، منها تهييئ الحنطة وتنقيتها، ويسمى ذلك اليوم بيوم أفْرَانْ أي "التنقية"، ولا تتم تلك الأشغال في صمت بل يضفى عليها طابع الطقوس بترديد أشعار موروثة معروفة تسمى "تاسوغالت".

وفي ليلة الزفاف تجتمع الجماعة الممثلة لأهل العريس ووفد جماعة أهل العروس ويتناولون عشاء العرس الذي يختم بدعاء الإمام ويسمى عادة "الفاتحة"، إذ يقوم وفد

الجماعة مقام الشهود، ولكن كتب العقود دخل إلى كل الجهات منذ قرون وإن لم يكن عاما.

ويتخلل جو اللقاء بين أهل العروس الذين تقرأ عنهم "الفاتحة" ووفد أهل العريس القادم لأخذ العروس تبادل العبارات المتضمنة للتبريك من جهة وللعنف اللفظي من جهة أخرى حيث يهدد أهل العروس بالإكثار من الضيوف مثلا ويلمح أهل العريس إلى أنهم يطالبون "بالأمانة" تعبيرا عن بضاعة مودعة يريدها صاحبها وأن الأمر يوشك أن يشبه امتحانا لهم.

وقد يكون لفظ طلب الخطبة الرسمية بحضور المحتفلين بأن يقول والي العروس لوالي العريس ما ترجمته : "جئت أطلب بنتك فلانة لابني فلان على سنة الله ورسوله" فيجيب المخاطب : "طلبك مقبول بشرط أن يعلّمها ابنك ما لا تعلمه من أمور دينها".

وإذا حضر شاهدا عدل رسميان فقد يتوجهان بالسؤال إلى العروس عن رضاها، وهذا نادر في القديم. وينص على مبلغ الصداق أمام العدلين أو إمام المسجد، وهو في الجملة قدر لا غلو فيه، ثم تذكر التجهيزات التي ستنقلها العروس، وإذا كان الكتب كتبت.

يذهب الوفدان بالعروس بعد أن تهيأ في مراسيم تقوم بها النساء، ويراعى في الوقت أن تصل إلى بيت العريس قبل الفجر. وتكون معها أمتعتها المسماة بـ"أكريس" أي المحزوم حتى ولو كانت صناديق.

ومن العوائد أن تبدي العروس حسرة على مغادرة أهلها وتعبر عن ذلك بنحيب وعويل عند تهييئها وعند خروجها. وتذكر في تلك الحسرة خسارة أمها في الخدمات التي كانت تعتمدها فيها.

تردف العروس عادة على بغلة وأمامها أحد أقاربها الفتيان. وتلبس فوق ملابسها النسوية برنوسا وعمامة بيضاء. تودعها النساء بأناشيد مخصوصة للمناسبة وعتيقة في أسلوبها وأصواتها، فيها شوق ووصايا.

ولا يخلو قطع الطريق بين دار العروس ودار العريس من طقوس تتعلق بأداء مبالغ رمزية عند اجتياز ممرات الماء، ويكون السير مشحونا بتوتر لأن أهل العروس يعملون على تحصين العروس والدابة التي تركبها من أعمال سحرية من قبل "عدو" محتمل يتمثل في أهل العريس الخ.

وعند وصول الموكب إلى بيت العريس تقام طقوس مختلفة، وفي الأطلس الكبير يحاول العروس من السطح الذي على باب دخولها أن يضربها بقصبة طويلة، بينما يعمل الأشداء من أهلها على أن تمر من هذا "الصراط" بدون أذى، وقبل ولوجها يطالب أعضاء الموكب بما يسمونه "العوائد" فيلقي إليهم العروس بحبات اللوز والجوز. وفي جو من اللغط يقع التراضي والتفاوض، خصوصا إذا طالب أهل العروس بعجل أو بقرة تملكها العروس أول ما تملك في دارها الجديدة، فيلبى طلبهم وتقطع أذن ذلك العجل أو تلك الأُرخة.

ولما كانت الأعراس في عدد من القبائل مناسبة لإظهار المزايا، فإنها في الغالب تؤدي إلى إفلاس العائلات حيث ترهن الأملاك أو تباع أو تقع الاستدانة. وفي مكث الضيوف أياما بدار العريس اختبار لنخوة أهل تلك الدار.

بحث ميداني.

محمد مستاوي

تَامَغْرَاوْتْ، اسم كان يطلق قديما على منطقة ميسور (ملوية الوسطى)، ويطلق حالياً على مكان هناك يتبرك به الناس، ويدعى "لالة تامغراوت" يقع فوق ربوة يفوق ارتفاعها 900 متر، تُعرف محليا بالعرگوب، ويوجد بسفحها الغربي ضريح الشيخ أبي الطيب بن يحيى الميسوري.

كانت تامغراوت في القرن العاشر (16 م) خلوة يتعبد فيه الأولياء والصالحون، كما ورد عند اليوسي على لسان محمد بن علي بن طاهر في كتاب *المحاضرات*. وتحتل موقعا ممتازا حيث تشرف على الحقول والبساتين التي تُسقى إما بمياه واد ملوية أو بمياه واد شوف شرگ. ومن الطرائف التي تذكر عن هذا المكان، أنه بالرغم من وجوده فوق أرضية رصيصية صلبة، ورغم جفاف المنطقة، فإن أرضيته شديدة الرطوبة من أثر مياه وضوء الشيخ أبي الطيب بن يحيى الميسوري ومن أتى بعده من الصالحين.

ح. اليوسي، *المحاضرات*، تح. م. حجي، الرباط 1976، ص. 44 ؛ *دراسة ميدانية ومعلومات شفوية.*

محمد أزهار

تَامُقْشُرْتْ، نوع من الأحذية الأهلية التي كانت تلبس في المناسبات وخاصة مناسبات الأعراس. كانت ترتديها العروس ليلة زفافها دون غيرها من المدعوات في المناطق الجنوبية من المغرب في حاحا والحوز وسوس. وهي في حد ذاتها لا تختلف في طريقة صناعتها عن البلغة المغربية المعروفة لكنها تكاد تكون بدون رقعة سفلى. لذلك فهي بلغة ناعمة رطبة تتخذ من جلد رقيق جداً لا تحتذى في غير المناسبات المذكورة لأنها سريعة التلف والتلاشي. ومازالت بعض المشرفات على شؤون العرائس (النگافات أو المشاطات) في مدينة مراكش تحرصن على أن تلبس عرائسهن هذا النوع من الأحذية على الرغم من غزو ملابس الأعراس الحديثة. ولا ندري هل الكلمة أمازيغية الأصل، كما يبدو من نبرتها وكتابتها أم أنها لفظة عربية من جذر القشر والقشور أو التقشير وتحولت إلى الأمازيغية ثم إلى اللهجة الدارجة على غرار تاخرازت وتاعطارت وتابقالت وغيرها. ما نعلمه هو أنها تبدو في مظهرها الخارجي وكأنها طبقة رقيقة قشرت من الجلد المعد لصناعة البلغة أو تسفير الكتب أو غيرها كما نعلم بأن طريقة التقشير كانت من بين أشهر تقنيات صناعة الجلد في جل الحواضر المغربية. ويروي بعض العارفين بميدان الجلد من الطاعنين في السن بأن حذاء تامقشرت كان أكثر رطوبة ونعومة ودقة

من بعض التقاشير المخصصة للعجزة وبعض المرضى مما كان يلبس كجوارب تحت البلغة قبل انتشار الجوارب الحديثة في البلاد.

R. Guyot, *Les arts du cuir au Maroc*, Rabat, 1957 ; L. Brunot, *La cordonnerie indigène à Rabat*, *Hesp.*, Vol. 33, 1946; L. Chada), *Langages d'artisans à Marrakech*, Université de Paris 4, Doctorat nouveau régime, 1986.

محمد بوسلام

تَامْگّا (زاوية ـ)، أو تامگة ـ بكاف معقودة ـ تقع بموضع يدعى إمي نْ وَرگْ، على الضفة اليسرى لأسيف نْ حَنْصال، على بعد حوالي ثلاثين كلم شمالي زاوية أگَدِّيم الحنصالية، وعند حدود قبيلتي أيت إسْحَا وأيت بُويْكْنيفَنْ أهل تالمسْت، وتنتمي أراضيها لقبيلة أيت شخمان الغربيين، جنوبي سد بين الويدان. (*Esquisse*, 173 ; *Répertoire*, 472).

تأسست هذه الزاوية على إثر وفاة يوسف أُسعيد أحنصال سنة 1145 / 1732، حيث انقسم مرابطو إحنصالن إلى ثلاثة فروع، من بينها فرع تامگا، الذي صنفه دراگ Drague من ضمن الفرع الثاني. وتضم زاوية تامگا بدورها خمس زوايا هي:

- زاوية أيت ويسعْدَن عند قبيلة أيت داود أُعلي.
- زاوية أسكار عند أيت خويا وهم فرقة من قبيلة أيت داود أُعلي أيضا.
- زاوية سيدي علي أُحساين عند أيت وَنَرگي وهم أيضا فرقة من أيت داود أُعلي.
- زاوية سيدي عزيز بالقرب من تَگلفْت.
- زاوية تامگا على حدود أيت إسحا وأيت بويْكْنيفنْ (Drague, 181).

مؤسس هذه الزاوية هو علي أُحساين الحنصالي في القرن الثاني عشر (18 م) إثر نكبة إحنصالن. معنى ذلك أن طائفة إحنصالن لم تنقرض ـ بالمغرب ـ كما زعم كل من Rinn وCoppolani وMichaux-Bellaire (*المعلمة*، 1 : 189). فقد ظلت زاوية أگدِّيم قائمة، بل تأسست فروع تابعة لها، مثل زاوية كَرْوْلْ قرب دمنات وزاوية تامگا وغيرهما.

لكن يبدو أن تأسيس زاوية تامگا كان ناتجا عن نوع من الانشقاق أكثر مما هو راجع إلى عامل التوسع في الطائفة الحنصالية وتذكر الرواية الشفوية أن سبب الانشقاق راجع إلى الانحلال الذي طبع سلوك إحنصالن الصوفي، فقد كان هؤلاء يتعاطون الكلام في الحدثان والسحر، ويجتمع مريدوهم على الذكر والسماع. والأدهى من ذلك في نظر منتقديهم أنهم أباحوا المشاركة في "أحيدوس" (الطرب الشعبي المحلي)، مع ما يؤدي إليه ذلك من اختلاط بين الرجال والنساء. وقد حرّمت زاوية تامگا تلك الممارسات، واعتبرتها ضلالا يبعد عن السلوك الصوفي الصحيح. وقد ترجع أسباب الخلاف بين الزاويتين أيضا إلى أمور أخرى تحتاج إلى مزيد من البحث والتنقيب. ورغم انسلاخ زاوية تامگا عن زاوية أگدِّيم فإنها بقيت تقرُّ بالانتماء إلى مؤسس طائفة إحنصالن سيدي سعيد أُعمرو.

وقد صارت زاوية تامگا تنافس الزاوية الأم في استقطاب المريدين والأتباع، لذلك ما أن تأسست حتى بادرت إلى نشر الطريقة بين سكان قبائل أيت شخمان؛ لكنها سرعان ما انسلخت عن إحنصالن لتنضوي تحت لواء طائفة ذرقاوة التي كانت في أوج توسعها في بداية القرن الثالث عشر (19 م)، الشيء الذي أدى إلى انشطارها بدورها إلى شطرين، فتفرعت عنها زاوية أسْكَرْ.

وبما أن مواطن زاوية تامگا وفروعها توجد ضمن تراب قبائل أيت شخمان وأيت عطا نومالو وأيت بوزيد وأيت سري ـ وهي قبائل كلها تقع في منطقة اعتبرت نائية بالنسبة للعواصم ـ فقد تمنعت بحصانتها وتمكنت من الاستمرار، فلعبت نفس الأدوار التي دأبت الزوايا على الاضطلاع بها، كإطعام الطعام، والتوسط في النزاعات التي كانت تنشب باستمرار بين الأفراد والجماعات؛ لا سيما وأن المنطقة كانت معبرا بالنسبة للقبائل بين الشمال والجنوب، كما أن معظم قبائل المنطقة كانت ذات نمط اقتصادي رعوي مبني على التنقلات الموسمية بالقطعان، فلعبت دورا حيويا في الحد من العنف الذي ساد أحيانا تلك الجهات، الشيء الذي دعم حركة الاستقرار وسهل تأطير السكان وتعبئتهم لمواجهة أي تدخل أجنبي.

ولم يكن المخزن يتوغل في تلك المناطق إلا قليلا، بسبب بعدها ووعورة مسالكها. أما موقف زاوية تامگا إزاء المخزن فلم يختلف عن موقف زاوية أگدِّيم، حيث طبع بطابع الحذر، فلما عرج السلطان مولاي الحسن على منطقة إحنصالن سنة 1311 / 1894، أثناء قفوله من مراكش إلى تادلا لم تُبد زاوية تامگا أيَّ رد فعل ضد الحركة السلطانية (Drague, 175). وحين زار دوفوكو وآويزغْت في شتنبر سنة 1883، لم يتحدث عن زاوية تامگا رغم قربها، مما قد يدل على أن نجمها بدأ آنذاك في الأفول (*Reconnaissance*, 69-70). وبعد حوالي عشرين سنة زار دو سيگونزاك De Segonzac المنطقة، فأقام هذه المرة بزاوية أسْكر يومي 15 و16 يناير سنة 1904؛ الشيء الذي يفضي إلى الاعتقاد بأن فرع أسكر قد علا شأنه أكثر من الزاوية الأم (*Au cœur de l'Atlas*, 40) قبل أن تصير تامگا فيما بعد مجرد مقبرة يتردد إليها سكان المنطقة من أجل زيارة الصلحاء المدفونين بها، ويعقدون بها موسما سنويا يوم ثالث شتنبر من كل سنة. ويصف دو سيگونزاك رئيسها الحسين أُتْمْگا قائلا: "هو رجل قصير بدين، على الرغم من أنه لا يفهم جيدا اللسان الدارج فقد كان يقرأ اللغة العربية بطلاقة، ويفهمها بسهولة، هذه اللغة التي كان عارفا بها. وإذا كانت معلوماته العامة واسعة، فإنها تبقى مع ذلك سطحية". (*Au cœur de l'Atlas*, 40).

وقد لعبت زاوية أسْكر التي غدت المركز الصوفي الرئيسي لزاوية تامگا، دورا مهما في مقاومة التوغل الفرنسي في تلك المنطقة، حيث تزعم رئيسها الحسين أُتمگا

المقاومة منذ سنة 1917. فقد قضى جل أوقاته متنقلا بين زاوية تامگا وتگلفت وأسكر وأغبالة للتحريض على الجهاد وعقد التجمعات واختيار زعماء الجهاد. فاستطاع تنظيم مواجهات عنيفة ضد جيش الاحتلال منذ سنة 1924 (*المعلمة*، 1، 132). وقد فشا خبره وعلا صيته حتى تجاوز المنطقة ليصل إلى تافيلالت والريف. وتحت يدنا نسخة من رسالة بعث بها المقاوم التگادي إلى الحسين أ ُتمگا يحرضه على متابعة الجهاد، مستدلا على ضرورة التصدي للمحتلين بعدة آيات قرآنية وأحاديث نبوية، ومبينا ما ينتظر المجاهدين في سبيل الله من ثواب في الآخرة، ومعلنا تضامنه المطلق معه. كما عثرنا على نسخة من رسالة وجهها إليه المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي، تتضمن أربع نقط :

1) يحثه على مواصلة الجهاد، ويدعوه إلى الصمود وعدم الانخداع بالعدو المهزوم لا محالة.

2) يقترح عليه سبل التنظيم وتدبير شؤون أعمال الجهاد، وينبهه إلى عدم التفريط في المحافظة على السلوك الإسلامي القويم، وبصدد ذلك يسدي إليه عدة نصائح.

3) بصدد طلب تعيين عامل على المنطقة، يعتقد الخطابي أنه لا يوجد رجل تتوفر فيه تلك الشروط، لأن العامل في نظره "يكون دائما في الرباط وفي القتال ولا يذهب إلى داره إلا في الأوقات اللازمة، ومهما حاد عن هاته الطريقة فالعامل معزول عندنا ولا عذر له بعد ذلك".

4) يجيبه عن طلب الإعانة التي التمسها منه بإرسال "رقاص" خاص إليه للنظر في الموضوع.

هكذا لعب رئيس زاوية أسكر الحسين أ ُتمگا دورا مهما في مقاومة الفرنسيين في تلك المنطقة، حتى بعدما انبثت مراكزهم هناك وأصبحت تحاصر القبائل غير الخاضعة (Drague, 177). فظل يحمل السلاح حتى وفاته سنة 1930، على الرغم من عدم تكافؤ قواته مع قوات الفرنسيين ذات التدريب العصري والعتاد الفتاك. وقد واصل ابنه علي، من بعده، أعمال الجهاد، حتى اضطر إلى الاستسلام سنة 1933. وبذلك يُعدُّ أيت أ ُتمگا من أواخر مقاومي البادية المغربية (Drague, 178).

وثائق زاوية أسكر ؛ معلمة المغرب ؛ التحري الميداني.

Ch. de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc* ; M. De Segonzac, *Au cœur de l'Atlas* ; *Répertoire* ; G. Drague, *Esquisse*.

أحمد عمالك

تامكروت أو تمگروت - جغرافيا -، تجمع سكني يقع على الضفة اليسرى لوادي درعة وسط حوض واحة فزواطة التي تُكون مع خمس واحات أخرى (من العالية نحو السافلة : واحات مزگيطة، تينزُلين، ترناتة، فزواطة، اكتاوة ومحاميد) - شكل 1 - ما يسمى بدرعة الأوسط، وهي الواحات المشهورة المكونة لوادي درعة.

تبعد تامگروت عن مدينة زاگورة بحوالي ثمانية عشر كلم، وسط منطقة ذات مناخ حار جاف صيفاً، وبارد جاف شتاءً، حيث الحرارة المفرطة خلال الصيف (معدل شهر يوليوز : 43،6 درجة) والمنخفضة خلال الشتاء (3،3 درجة خلال شهر يناير). أما الأمطار فجدّ ضئيلة (62 ملم / سنويا) وهي تسقط في الغالب على شكل زخات مطرية.

تامگروت هي مقر جماعة تامگروت التي تضم اثنين وستين قصرا وقصبة وقصرا - زاوية، بالإضافة إلى عدد من الدور المشتتة وسط الحقول.

توجد تامگروت وسط منطقة ذات فلاحة سقوية عتيقة، تعتمد أساساً على المياه الجارية بوادي درعة إضافة إلى مياه الفرشة الباطنية. وتتركز ساكنة تامگروت في منطقة تعرف انتشارا هاما للزوايا (14 زاوية في واحة فزواطة)، ذات تاريخ متميز بالصراعات والتطورات المستمرة مما جعل من زاوية تامگروت (الناصرية) زاوية متميزة فرضت وجودها بالمنطقة.

يمارس التامگروتيون عدة أنشطة يمكن تلخيصها في كون 46٪ منهم يعملون في الفلاحة و54٪ يشتغلون بالتجارة والحرف التقليدية وغيرها. وبالرغم على أن الفلاحة بقصر زاوية تامگروت لا تشغل سوى أقل من واحد من اثنين إلا أنها عماد الاقتصاد بالمنطقة. فهي فلاحة معاشية بالدرجة الأولى، ترتكز على طول الوادي أي الأراضي التي يسقيها واد درعة. هذا المجال المزروع مستغل منذ القدم، بل إنه يعرف في بعض المناطق تراجعا بسبب زحف الرمال، كما أنه بين المدِّ والجزر من سنة لأخرى حسب كثرة أو قلة المياه المتوفرة بالوادي.

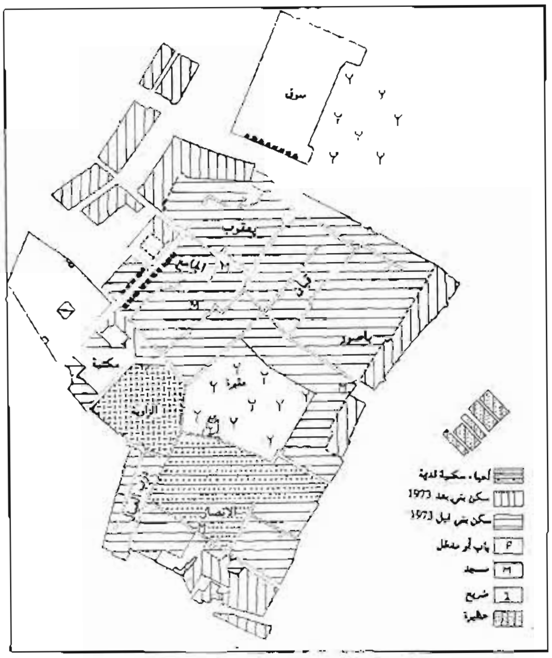
- يعتبر النخيل أساس الفلاحة الدرعية، وهو يحتل المستوى الأعلى في الغطاء النباتي. نجد تحته بعض الأشجار المثمرة كالرمّان واللوز والتفاح... تحت هذين المستويين نجد زراعة الحبوب : القمح والشعير اللذين يشكلان المادة الأساسية في معيشة السكان. إلى جانب الحبوب هناك زراعة البقول وبعض المزروعات العلفية كالفصة والبرسيم...

تتنوع الملكية بالتمييز بين ملكية أسس الانتاج الفلاحي المتمثلة في الماء والأرض وبين ملكية الأرض والنخيل الموجود فوقها.

وتتميز الملكية بوادي درعة بنفس مميزاتها على المستوى الوطني : التنوع (ملكية خاصة وملكية عامة : أحباس المساجد، أحباس الزوايا، الأراضي الجماعية)، التشتت : فهذه الزراعة التقليدية المغلالة تقام على مشارات مشتتة.

يمارس سكان تامگروت - كما سبق ذكره - مهنا مستقلة أو شبه مستقلة عن الفلاحة يرثها الأبناء عن آبائهم، لذلك فالهجرة الموسمية أو الدائمة جد محدودة داخل الوسط التامگروتي حتى خلال فترات الجفاف بالمقارنة مع باقي واحات فزواطة أو وادي درعة.

يقام بتامگروت سوق أسبوعي كل يوم سبت، يعرف أكبر رواج له خلال فصل الخريف بسبب بيع وشراء التمر. أما أكبر فترة ركود له فهي خلال فصل الشتاء، كما يعرف حركة مهمة قبل أيام الأعياد وخصوصاً قبيل عيد الأضحى



تامگروت

وفي موسم عاشوراء. فيما يخص سوق عاشوراء، أو البخاري (كما يسمى محليا) فقد تبنته الطريقة الناصرية. كان لهذا الموسم طابع ديني، يحج إليه الناس من عدة جهات بالمغرب من زوار وتجار، لكن هذا الموسم تطور مع الأيام من دوره الديني إلى موسم يطغى عليه الطابع التجاري. يستفيد الناصريون من مداخيل الهبات: "الربيعة" التي هي عبارة عن هدايا وعطايا يقدمها الزوار من أجل التبرك بالشيوخ مؤسسي الزاوية الناصرية.

ولوجود مقر السوق بتامگروت آثار على استمرارية طبيعة الحرف التي يزاولها السكان إضافة إلى الأصول التاريخية للسكان. وهي حرف كالفخارة والنجارة والحدادة (11،2٪) والجزارة (5٪) والتجارة وخصوصا البقالة (5،4٪) والمتاجرة في التمر (6،7٪) والوظيفة العمومية (5،8٪) والمستأجرين (11،7٪)...

وبصفة عامة، يحتل قصر الزاوية الناصرية في تامگروت دوراً طلائعاً في منطقته، وقد جمعت بين الطابع الواحي التقليدي ومكونات المدينة الإسلامية، رغم أنها لم ترق إلى مرتبة المدينة. لقد فرضت وجودها في منطقة عرفت تكدسا سكانيا منذ القدم كما لعبت دوراً مهما في تعمير المنطقة بل أصبحت تملك تسطاً كبيراً من الماء والأرض (394،66 خروبة و48،015 هكتار بفزواطة). رغم الإشعاع الذي كان لتامگروت فهي لا تحافظ حالياً سوى على دور نشر العلم باستقبالها لبعض الطلاب، لكن هذا الدور هو الآن في تراجع مستمر نظراً لمشاركتها فيه من طرف التعليم العصري.

P Azam, *Sédentaires et nomades dans le sud marocain. le coude du Drâa*, Archives du CHEAM le 16 Mai 1946 ; A. Bahani, *Les structures agraires et les systèmes d'irrigation, palmeraie de Fezouata-Drâa, Moyen-Maroc*, Thèse de Doctorat, Rouen, 1990 ; M. Bodin, *La zaouia de Tamegrout, A B.*, fasc. 4 1918 ; G. Drague, *La zaouia de Tamegrout et les Nasiryine*, in *Esquise de l'histoire religieuse du Maroc*, Paris 1951 ; A. Hammoudi, *Pouvoir et société, Tamegrout aux XVII et XVIII siècles, A.E.S.C.*, Mai-Août, 1980 ; D. Jacques-Meunié, *Le Maroc saharien des origines à 1670, vie politique, économique et sociale*, Doctorat d'Etat 4 vol., Paris I, 1975 ; Michaux-Bellaire, *Essai des confréries marocaines, Hesp.*, XVII, 1927 ; G. Spillmann, *Villes et tribus du Maroc, tribus berbères*, T. II, *districts et tribus de la haute vallée du Dra*, Paris, 1930.

عبد الكبير باهني

* * ومن الناحية التاريخية، تعني تامگروت منطقة جنوب مدينة زاگورة الحالية بإقليم ورزازات، تشتمل على مجموعة من القصور القديمة التي لا تزال قائمة إلى اليوم، مثل بني خلُوف وتازروت وتگاريَة وأگّني وقصر تامگروت الذي تحمل المنطقة اسمه.

تعني تامگروت ـ حسب الرواية المتداولة محلياً ـ الأخيرة. وتجد هذه الرواية ما يدعمها في المصادر المكتوبة، فقد ورد في كتاب *طليعة الدعة*(ص. 6) أن القائد البردعي السردوني حين وصل إلى المنطقة عرض على سكانها من اليهود وغيرهم الإسلام فأبوا، وحاصرهم عشرة أشهر ثم قتل منهم خلقا كثيرا، ثم سكن المسلمون ديارهم وسموا البلاد تامگروت لأنها آخر ما ملك المسلمون من درعة. وقد تكررت نفس الرواية في الوثائق اليهودية (*Juifs et Chrétiens*. 42). وإذا كانت إفادة هذه المصادر، تفتقر إلى البعد الزمني، ويغلب عليها الطابع الأسطوري، فإننا نعتقد أن هذه الأحداث التي وقعت بتامگروت ترجع إلى زمن الصراع على وادي درعة بين المرابطين والموحدين. نستشف من رواية البيذق أن الموحدين واجهوا معارضة قوية بوادي درعة (*أخبار المهدي*، 77) فاضطر عبد المومن بن علي الگومي سنة 528 / 1132، إلى أن يقود بنفسه حملة قوية إلى درعة فقتل من سكان المنطقة حوالي عشرين ألفا (*نظم الجمان*، 195) وقد أكد ذلك أبراهام بن عزرا في حوادث عام 1132 م، حيث ذكر أن اليهود بدرعة كانوا ينظرون إلى دمائهم وهي تهرق كما يهرق الماء (*Archives Marocaines*, 6 : 124) فهل يمكن القول إن البردعي السردوني كان قائداً من قواد الموحدين بدرعة ؟ وهل هو الذي عرض الاسلام على سكان المنطقة في إطار الحركة التصحيحية التي نادى بها المهدي ابن تومرت ضد المرابطين الذين اتهمهم بالتجسيد ؟ وهل يمكن اعتبار منطقة تامگروت آخر منطقة خضعت لنفوذ الموحدين، خاصة أن لفظ تامگروت ذو صيغة مصمودية فيما يبدو ؟.

ولهذا الصراع الذي عرفته منطقة تامگروت خلال العصر الوسيط ما يبرره اقتصاديا، فالمتحكم في هذه القصور يتحكم في الواقع في أهم الممرات التجارية، ليس في واحة فزواطة فحسب، وإنما في كل واحات وادي درعة، ذلك أن تامگروت تنفتح على شرق المغرب عبر تيزي ن تافيلالت، وهو الطريق الذي أصبح يعرف بطريق الحج في أوج الزاوية الناصرية (*الرحلة الكبرى*، 13) وتنفتح على بلاد السودان عبر إمي نْ تاقّات، وهو ممر لا غنى للقوافل التجارية المتوجهة إلى السودان عن المرور منه، وتنفتح على

الشمال عبر إمي نْ تَزاگورْت الذي يفصل بين واحتي فزواطة وترناتة. إذن، فلا عجب إن وجدنا اليهود قد تمركزوا في قصر بني خلوف منذ القديم إلى غاية السنوات الأولى من عهد الاستقلال في هذا القرن.

وإذا كنا لا نعرف أي شيء عن تامگروت في العهد المريني لهيمنة قبيلة أولاد حسين التي استبدت بسكان درعة وخرجت عن طوق السلطة المركزية، حتى أصبحت هذه المناطق ضاحية من ظل الدولة (*العبر*، 6 : 92)، فإننا نلاحظ أن منطقة تامگروت بدأت تسترجع مكانتها خلال القرن الثامن (14 م) بعد تأسيس زاوية سيد الناس، فقد أصبحت هذه الزاوية مركزاً لاستقطاب رجال العلم والتصوف بالإضافة إلى كونها أضحت مركزاً تجارياً تتجمع فيه القوافل قبل انطلاقها نحو السودان.

وفي نهاية القرن التاسع ومطلع القرن العاشر (15 . 16 م)، اشتدت وطأة الهجومات المسيحية على سواحل سوس، سيما وأن البرتغاليين قد نجحوا في احتلال أگادير، فألحقوا أضراراً فادحة بقبائل المنطقة التي كانت تستفيد من التجارة الصحراوية بسوس. وقد تضايق أهل الصلاح والعلماء من الوجود المسيحي بالمنطقة فهاجرت ثلة منهم إلى وادي درعة، واستقر بعضهم بتامگروت كما هو الحال بالنسبة لأبي القاسم الشيخ الذي استقر بزاوية سيد الناس، فتقاطر عليه طلاب العلم من كل الأصقاع، وعلي بن مَحمد الشيخ الجزولي، الذي أسس زوايته بقلب تامگروت والتي لا تزال تحمل اسمه إلى اليوم (*الحركة الفكرية*، 2 : 545)، وقد عرفت هذه الفترة أيضا تأسيس زاوية سيدي عمرو خارج قصر تامگروت، واتصل بناؤها ببناء تامگروت على إثر التحول العمراني الكبير، الذي عرفته هذه الزاوية، بعد أن تولى الناصريون تدبير شؤونها ابتداء من أواسط القرن الحادي عشر (17 م).

وبفضل هذه الزوايا الثلاث، تحولت منطقة تامگروت إلى أهم مركز علمي وصوفي بدرعة منذ القرن العاشر (16 م) ويؤكد ما ذهبنا إليه أن سلاطين الدولة السعدية المنحدرين من زاوية تاگمادارت القريبة جدا من تامگروت، باتوا يعتمدون على علماء تامگروت في تدبير بعض شؤون الدولة، فاتخذوا الكتاب الخاصين من علماء أسرة العنّابيين بقصر تازروت، والدبلوماسيين ومؤدبي الأمراء من علماء أسرة البكريين من زاوية سيدي علي بن مَحمد الشيخ (*حضارة وادي درعة*، 138).

وفي إطار توفير ظروف الأمن والاستقرار وحماية الممرات التجارية بواحة فزواطة أقام السعديون حامية عسكرية قوية بقصر تامگروت. ونستشف من إشارة مارمول أن سكان قصر تامگروت من دراوة، أي من العناصر السوداء التي يعتبرها جل الباحثين من السكان الأصليين بدرعة (*أفريقيا*، 3 : 150). وبعد فتح السودان في نهاية القرن العاشر (16 م)، ساهم سكان قصور تامگروت بدور فعال في مد الدولة السعدية بالرجال، إن على المستوى العسكري أو الإداري، واستقرت طائفة كبيرة منهم بمدينتي تنبكتو وديني (*بداية الحكم المغربي*، 386)، وبفضل هذه الطائفة تدفق الذهب على واحة فزواطة ككل وأصبح سكانها من أثرياء درعة. وفي هذا الإطار يذكر صاحب *الدرر* أن رجلا من زاوية علي بن مَحمد الشيخ الجزولي، أراد أن يذهب إلى الحج في أواسط العقد الثالث من القرن الحادي عشر (17 م) فاستصحب معه ثلاثين قنطارا من الذهب (*الدرر*، 261). وبالرغم من الاضطرابات الاجتماعية والسياسية التي عرفتها بلاد درعة بعد وفاة السلطان أحمد المنصور السعدي عام 1012 / 1603، فإن رجال زوايا تامگروت نجحوا في توفير ظروف الأمن والاستقرار لسكان المنطقة نظرا لما كانوا يتمتعون به من نفوذ معنوي ومادي بين قبائل الرحل التي تخلصت من كبسها بوفاة المنصور، فظلت تامگروت محافظة على دورها كمحطة لاستقبال القوافل التجارية وزرافات المسافرين قبل دخولهم في المهامه الصحراوية (*أنس الساري*، 27). إلا أن الظروف المضطربة ما لبثت أن عصفت بالوفاق الهش الذي كان قائما بين سكان قصور تامگروت وزواياها.

أ. البيذق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، تطوان، د.ت. ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6، بيروت، 1981 ؛ م. ابن عبد السلام الناصري، *الرحلة الكبرى*، مخطوط خ. ع. 2327 ؛ ابن مليح السراج، *أنس الساري والسارب*، فاس، 1968 ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري*، ط. حجرية د. ت. ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، الرباط 1979 ؛ م. الغربي، *بداية الحكم المغربي في السودان الغربي*، الكويت، 1982 ؛ *طليعة الدرعة*، مخطوط ؛ م. المنوني، *حضارة وادي درعة*، دعوة الحق، أكتوبر 1973.

J. Gattefossé, *Juifs et chrétiens du Draa avant l'Islam*, *B.S.P.M.*, 1935 ; G. Spillmann, *Districts et tribus de la haute vallée du Draa*, *A.M.*, n° 9, 1931 ; N. Slousch, *Notes sur l'histoire des juifs au Maroc*, *A.M.*, VI, 1905.

أحمد البوزيدي

* * زاوية تامگروت الصوفية أسسها أبو حفص عمر بن أحمد الأنصاري (ت. 1010 / 1602) في منطقة تامگروت بدرعة لتلقين الطريقة الغازية. وبعده آل أمرها إلى الشيخ عبد الله بن حسين الرقي المعروف بالقباب فانتقل إليها من زاوية سيد الناس القريبة منها، وخلفه بعد موته عام 1045 / 1635 أحمد بن إبراهيم الأنصاري حفيد المؤسس، إلا أنه لم تمض سبع سنوات حتى اغتيل هذا الشيخ على يد رئيس أحد القصور المجاورة المتنازعة، فانتقل أمر زواية تامگروت إلى الشيخ مَحمد بن محمد ابن ناصر الدرعي الذي كان على صلة بهذه الزاوية كمدرس وإمام وخطيب. وبعد فترة اضطراب بسبب منافسة الأنصاريين، تزوج الشيخ مَحمد ابن ناصر بحفصة الأنصارية أرملة الشيخ أحمد بن إبراهيم فأصبح إمام الزاوية وعالمها بدون منازع، وأصبحت تعرف بالزاوية الناصرية (انظر الناصرية).

Le Marquis de Segonzac, *Au cœur de l'Atlas* ; M. Bodin, *La Zaouia de Tamagrout* ; *Répertoire Alphabétique des tribus* ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse*.

أحمد عمالك

التامگروتي، أسرة علمية، علا شأنها ونبه أمرها، بنبوغ علمائها بدرعة خلال القرن العاشر (16 م) وردحاً من القرن الحادي عشر الهجري (17 م). يتصل نسب هذه الأسرة، حسب مشجر الأنساب المتداول عند ذرية هذه الأسرة وحفدتها، بأبي بكر الصديق عن طريق يعزى ويهدى دفين زاوية أسا بسوس (*المعسول*، 10 ـ 184). انتقل جد الأسرة سيدي علي بن مَحمد الشيخ من بلاد جزولة إلى وادي درعة في مطلع القرن العاشر الهجري (14 م) فنزل بواحة فزواطة التي كانت آنذاك تزخر بالزوايا العلمية والصوفية مثل زاوية سيد الناس وزاوية سيدي عمرو الأنصارية (زاوية تامگروت فيما بعد) وزاوية تاگمادارت وغيرها. وعلى غرار علماء ومتصوفة عصره، قام سيدي علي بن مَحمد الشيخ بتأسيس زاوية لاتزال تحمل اسمه إلى اليوم (زاوية سيدي علي) بقلب تامگروت (*الحركة الفكرية*، 2 : 545). وقد أنجبت هذه الأسرة ثلة من العلماء، كان لهم ذكر بين أهل الفضل والعلم والسياسة على عهد السعديين. ومن علماء هذه الأسرة :

التامگروتي، عبد الله بن علي بن مَحمد، تلقى تعليمه بزاوية أبيه، وتصدر فيها للتدريس إلا أنه لم تكن له شهرة أخيه، وقد برع بشكل خاص في علم الفلك على يد عبد الرحمان التاجوري (حضارة وادي درعة، 139) ثم استهواه التصوف، فرحل إلى تونس ولازم الشيخ عبد العزيز القسنطيني حتى أدركته الوفاة هناك في تاريخ غير معروف.

التامگروتي، علي بن مَحمد بن علي، ولد بزاوية سيدي علي، نشأ وتربى في كنف والده إلى جانب أخيه سيدي محمد بن مَحمد، كما أخذ عن عدد من الأعلام والمشايخ، فتخرج عالما فقيها وأديبا بارعا، أخذ التصوف عن قومه وشيوخهم، وهكذا يصفه صاحب *الدرر المرصعة* بأنه "إمام المعارف وروضة الأدب والصلاح الناعمة الأفنان والمطارف" (*الدرر*، 217).

تصدر علي التامگروتي للتدريس في زاوية أسلافه فتألق نجمه وطبقت شهرته الآفاق فاستدعاه السلطان أحمد المنصور إلى القصر الملكي بفاس (*النفحة*، 4) وأرسله سفيرا عنه إلى الأستانة، وقد دون أخبار هذه الرحلة ضمن كتابه *النفحة المسكية في السفارة التركية*. وقد عاد التامگروتي إلى مسقط رأسه بتامگروت بعد نجاحه في هذه السفارة، فرجع مرة أخرى إلى كرسي التدريس والتعليم.

انتقل علي في أخريات أيامه إلى مراكش، وبالرغم من أننا لا نعرف بالتدقيق أسباب انتقاله إلى مراكش، فإننا نعتقد أن المنصور كان قد استدعاه إلى مراكش للقيام بمهام رسمية. إلا أن المنية عاجلته فدفن بضريح القاضي عياض بمراكش سنة 1003 هـ.

التامگروتي، محمد بن **إبراهيم**. ولد بزاوية سيدي علي، وتخرج على علماء أسرته وفقهائها. وقد وصفه صاحب *الدرر* بالولاية والصلاح شأنه في ذلك شأن أسلافه من آل التامگروتي (*الدرر*، 261). برز محمد بن إبراهيم كعالم مرموق في زمن زيدان السعدي (1012 ـ 1037)، ولاشك أنه قد استفاد من وضع أسرته العلمي والاجتماعي ومن موقعها بالنسبة للدولة السعدية، فأصبح من أغنياء واحة فزواطة وأثريائها في وقته، وفي هذا الصدد ذكر صاحب الدرر، أن محمد بن إبراهيم، عزم على الحج مرة، فاستصحب معه حوالي ثلاثين قنطاراً من الذهب، خصص منها عشرة قناطير لاقتناء الكتب، فأنشأ مكتبة عظيمة نهبها السلطان زيدان السعدي (*الدرر*، 261). فهل كان محمد بن إبراهيم يخوض في السياسة مثل بعض المتصوفة من أهل تافيلالت وسوس المعاصرين له ؟ وإلا لماذا تعرضت الزاوية للنهب ؟

وبالرغم من أن عدداً من المؤرخين قد تناولوا بالبحث والتدقيق علاقة الدولة السعدية بالزوايا سواء في مرحلة أوجها أو في فترات انحطاطها، فإن أحداً منهم لم يتطرق لحادثة نهب زاوية سيدي علي، وقد انفرد بذكر هذه الحادثة، في عبارة جد مقتضبة، محمد المكي الناصري في *الدرر المرصعة*، حيث ذكر أن زيدان قد نهب دار محمد بن إبراهيم التامگروتي بسبب أمور يطول سردها (*الدرر*، 261). وبالرغم من أننا لا نتوفر على كل المعطيات التي تساعدنا في تحديد الأسباب التي تحاشى محمد المكي الناصري ذكرها، فإن الشيء الأكيد أن زيدان السعدي قد نهب دار محمد بن إبراهيم التامگروتي لأسباب سياسية. فهل كان محمد بن إبراهيم مثلا يعارض وجود زيدان بدرعة بعد عودته من تلمسان ؟ هل كان محمد بن إبراهيم ينوي تأسيس إمارة على غرار ما قام به ابن أبي محلي وأبي حسون السملالي ؟ وعلى كل فإننا لا نستبعد أن يكون زيدان قد نهب دار محمد بن إبراهيم التامگروتي أثناء مجيئه إلى درعة سنة 1015 / 1606 م، فقد كان شغل زيدان في هذا التاريخ هو الحصول على أكبر كمية ممكنة من الأموال ليلبي رغبات أتراك الجزائر، ولحشد الجيوش لاسترجاع مراكش من يد أخيه. فلم يجد أمامه إلا زاوية سيدي علي ودار مَحمد بن إبراهيم التامگروتي بالذات. وقد توفي محمد بن إبراهيم في تاريخ غير معروف ودفن بزاوية جده بتامگروت.

التامگروتي، مَحمد بن **علي** بن محمد، لا نعرف شيئا عن ولادته، ولا المكان الذي ولد فيه وهل ولد بدرعة أم بسوس قبيل هجرة والده إلى فزواطة. وقد اشتهر أمره بعدما أصبح مسؤولا عن زاوية والده منذ أواسط القرن العاشر الهجري (16 م). ونستفيد من إشارة صاحب الدرر، أن سيدي مَحمد بن علي هذا قد أخذ العلم على عدد من المشايخ إلا أنه عول فيما يتعلق بطريق القوم على الشيخ عبد العزيز القسطيني (*الدرر*، 257). ويحدد لنا ابن عسكر الشفشاوني طبيعة العلاقة بين مَحمد ابن علي

وشيخه القسمطيني، حيث يوضح أن صاحبنا كان تلميذاً لهذا الشيخ، وأن الشيخ كان يراسله بعد استقراره في زاوية سيدي علي بدرعة (*الدوحة*، 133).

تصدر مَحمد بن علي للتدريس وتربية المريدين في إطار الطريقة الجزولية، فأقبل عليه الناس من كل الأصقاع، للانتفاع بعلمه وأخذ التصوف من زاويته، فتجاوزت شهرته بلاد درعة إلى جهات أخرى من المغرب وخارجه، وهذا ما جعل ابن عسكر الشفشاوني يحليه بأنه كان من العلماء العاملين، وأولياء الله المتقين يخاً فاضلا من العارفين بالله تعالى.. وله مناقب ومآثر، فانتفع الناس بعلمه، وشأنه كبير، وقدره جليل (*الدوحة*، 93). ولاشك أن هذه المكانة العلمية والصوفية التي بلغها مَحمد بن علي هي التي جعلت عبد الرحمن التاجوري، شيخ الفلكيين بمصر، يهيب في رسالة له، بمَحمد بن علي، أن يتدخل لدى السلطان مَحمد الشيخ السعدي، لتعديل انحراف القبلة في عدد من مساجد المغرب (*الحركة الفكرية*، 2: 547).

وبالرغم من كوننا لا نعرف هل تم تنفيذ اقتراح التاجوري أم لا، فإننا نستفيد من هذه الإشارة، أن أسرة التامگروتيين، كانت تتمتع بنفوذ خاص عند سلاطين الدولة السعدية، وأن هذا النفوذ سيعرف تطورات خاصة على عهد السلطانين عبد الله الغالب، وأخيه أحمد المنصور، حيث كان كل من هذين السلطانيين يختار سفراءه من أسرة التامگروتيين (*حضارة وادي درعة*، 138).

وقد تخرج على يد مَحمد بن علي جم غفير من علماء درعة وفضلائها نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ابنيه محمد بن مَحمد وعلي بن مَحمد، والشيخ مَحمد بن مهدي الجراري دفين زاوية امحنا بترناتة، وأحمد أذفال دفين واحة اكتاوة في درعة الوسطى. وقد توفي مَحمد بن علي بزاوية أبيه سنة 965 هجرية.

التامگروتي، محمد بن مَحمد بن علي، من أفاضل هذه الأسرة التامگروتية، ولد ونشأ بزاوية سيدي علي، تربى في كنف والده الذي سهر على تعليمه حتى امتلأ وطابه علما وفقها، فتألق نجمه في أصقاع وادي درعة، فتصدر للتدريس، فتهافت على مجلسه طلاب العلم من كل حدب وصوب لمعرفته بطرق التدريس وترقية معارك المتعلمين (*الحركة الفكرية*، 2: 547). وعلى عادة أهل قطره من أهل الخير والفضل، شرّق التامگروتي، فأدى مناسك الحج، ثم تطلع إلى الاستزادة من التعلم، فكان يحضر مجالس العلماء، من أمثال نجم الدين الغيطي، ومحمد بن أبي بكر العلقمي وابن فهد وغيرهم، فروى عنهم الحديث ولم يعد إلى بلاده إلا ومعه إجازة عامة من شيخ الشافعية بمصر محمد بن أبي بكر العلقمي، وشيخ المالكية بنفس القطر محمد بن أحمد الفيشي. وما هذه الإجازة من هذين الشيخين الجليلين إلا اعتراف بحصول ملكة العلم للتامگروتي وتأهله لنقل الحديث رواية وسندا للآخرين.

ولاشك أن هذه الرحلة لبلاد المشرق، قد مكنت التامگروتي من التعرف على العالم الإسلامي، الأمر الذي جعل السلطان السعدي عبد الله الغالب (965. 981 هـ) ينتدبه سفيراً للدولة السعدية عند السلطان العثماني سليم الثاني (*الحركة الفكرية*، 2: 547). ويظهر أن التامگروتي، قد نجح في هذه السفارة، إذ لم يكد يستقر به المقام بزاوية سيدي علي، حتى استدعاه السلطان إلى مراكش، وعهد إليه بتربية الأمراء السعديين والإشراف على تعليمهم، ويذكر السلطان أحمد المنصور السعدي (986. 1012 هـ) في *فهرسته* أنه أخذ جملة من الأحاديث عن سيدي محمد بن محمد التامگروتي، وأن هذا الأخير قد أجازه ليروي عنه بكل ما أجاز به العلقمي (*الحركة الفكرية*، 2: 547). وقد انتقل التاگمروتي في أخريات أيامه بأمر من السلطان المنصور إلى فاس وظل يعلم الأمراء، ويؤم بمسجد المنصور الملكي إلى أن توفي عام 988 هـ.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*؛ ع. التامگروتي، *النفحة المسكية*؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط؛ م. المختار السوسي، *المعسول*.. ج 10؛ م. المنوني، *حضارة وادي درعة*؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، ج. 2.

أحمد البوزيدي

التامگروتية، ميمونة بنت عمرو، من صالحات درعة، متعبدة خدمت فقراء الناصريين وشُهد لها بالتصوف على نهج الزهد الذي عُرف به الناصريون.

خدمت السيدة ميمونة زاوية تامگروت طيلة حياتها وساهمت بشكل فعلي في تنظيم وتسيير أمورها، فقد "تولت حيازة أحباس سيدي أحمد بن إبراهيم، وتفريقها على طلبة العلم، والزوار، والأضياف، وأبناء السبيل إلى أن ماتت" (ح. ابن ناصر، *فهرس*، 8).

وتبين من إشارة الشيخ الحسين ابن ناصر أنها لم تكن خاملة أو منزوية بل تحملت المسؤولية إلى جانب ولدها الشيخ أحمد بن إبراهيم الذي انتدب للسهر على شؤون هذه الزاوية، فأشرفت إلى جانبه على خدمتها، ورعاية نشاطها، كما اشتهرت بإقبال الزوار عليها من ذوي الحاجات، والراغبين في الصحبة، أو التبرك وطلب الدعاء الصالح.

توفيت عام 1051 (1641. 1642) عن سن تناهز السبعين عاماً.

ح. ابن ناصر، *فهرس*، مخطوط؛ م. الافراني، *صفوة*، 75؛ م. القادري، *نشر*، 2؛ *الإكليل والتاج*، مخطوط.

نفيسة الذهبي

تامَگارْت. يوجد هذا الاسم بكثرة في جنوب المغرب، وهو أمازيغي، يُذكَّر تارة ويراد به العنق، ويؤنث أخرى كما هنا ويعني الرقبة. والمصطلح يطلق على تضاريس توافق ثنية محدبة بين منقعرين، فتبدو للناظر كأنها رقبة بين منكبين، ثم تضاف إلى اسم لتعرف أو تخصص.

والذي يهمها هنا هو تامَگارْت ـ ن ـ الشيخ هَمُّو

الواقعة بوسط قبيلة أيت إخلف، على ارتفاع 250 م فوق مستوى سطح البحر، وتُنسب أحيانا لأمزيل (الحداد) لأن القبيلة كانت تصنع من الحديد أدواتها الفلاحية وأسلحتها النارية البسيطة. وفي تامگّارت هذه تصرفت مشيخة قبيلة أيت بوبكر الكبرى إلى أن انقسمت بظهائر السلطان مولاي الحسن الأول سنة 1299 هـ فصار مركز قيادة قبيلة أيت النص (النصف) في إقّارْض (الحوض) عند تعيين القائد إبراهيم الوجداري الحوضي. بينما رُقي الشيخ أحمد بن الشيخ همو إلى رتبة القائد في نفس السنة، بعدما أُمر بالتخلي عن نصف القبيلة الكبرى، فكان للقائد إبراهيم قبيلة أيت النص، وللقائد أحمد هذا قبيلة أيت إخلف.

كانت تامگّارت عبارة عن حصن منيع، تُودع فيه القبيلة أماناتها وعقودها العقارية، وخاصة عندما جمعت ولمدة طويلة بين السلطة القضائية التي كان يشخصها القاضي علي بن الشيخ همُّو، تلميذ عبد الرحمن الجشتيمي ثم من بعده ابن أخيه محند، وكلاهما من أسرة القائد أحمد الخلفي الذي يمثل السلطة المخزنية حتى وفاته عام 1316 هـ. كما كانت هذه العائلة مشهورة بالتدريس وإتقان الروايات السبع مثل الراويين لحسن أوضارضور وعلي تابوكات ولهما في ذلك ظهائر من السلطان الحسن الأول سنة 1303 هـ.

كان السلطان الحسن الأول يثق بالقائد أحمد هذا وهو الذي كلفه بحراسة الشواطئ عندما ظهرت أطماع الاستعمار في ناحية أيت باعمران، وهذا القائد هو الذي أسس أول حراسة مخزنية في سيدي إفني، في موضع إدُوُنقير، وهو الذي أسند إليه السلطان نفسه شراء أرض مخزنية عندما نزل عند قائده هدّ التغزي سنة 1303 هـ. حيث بنيت محلة المخزن المعروفة حتى الآن، وهي بخط القاضي سيدي أحمد بن الحسن المرسي الباعمراني سنة 1304 هـ.

وفي سنة 1316 هـ استُدعي القائد أحمد هذا كشاهد في قضية أحمد نـدْيّاگو في قبيلة اصْبُويا الذي اتُّهم بإخراج الضابط الأنجليزي كورطيس (كارتيت) لكن الأحداث جرفت قائد تامگّارت في عهد السلطان عبد العزيز، فتوفي في مراكش وعمره ينيف على الثمانين، وذلك بتدبير من الوزير أحمد بن موسى وقائد تيزنيت الگيلولي. وقد حاول هذا الأخير أن يجمع سلطة قبيلة أيت بوبكر في يد القائد محمد بن القائد إبراهيم الوجداري، فتعرضت عائلة إدالشيخ همُّو بتامگّارت للنفي، وتسلط هذا القائد بضرائب ثقيلة تنفيذا لأوامر باشا تيزنيت حتى أفقر تلك الجهات، كما غدر القائد محمد بأعيان أيت اخلف فقتلهم شنقا وعين مكانهم رجاله، لكن عائلة إدالشيخ همُّو، رجعت من جديد إلى تامگّارت، فقامت حرب قبلية قتل فيها القائد محمد نفسه وكل من ولاهم بدون رغبة قبيلة أيت اخلف.

رجعت مشيخة القبيلة إلى آل الشيخ همُّو، في شخص الشيخ الحسن بن القاضي علي، ولما استقرت الأمور عُـيِّن أخوه القائد محند من طرف السلطة المركزية، وكان القائد محند هذا في مقدمة المقاومة الباعمرانية ضد الحماية الفرنسية، فشارك بجانب أحمد الهيبة انطلاقا من معركة سيدي بوعثمان سنة 1912 م إلى معركة إيگالْڤن ضد حملة حيدا بن مُايس سنة 1917 م. وفي نفس السنة تزعم القائد محند هذا بجانب القيادة العامة لأيت باعمران المقاومة ضد الجنيرال دولاموط حيث استشهد في معركة تيزي وكذلك أخوه الشيخ محمد وغيرهما.

وفي تامگّارت هذه ظهرت شخصية الشيخ مبارك بن القائد أحمد الذي لعب دوراً هاماً في أحداث القبيلة وحصار الفرنسيين بتيزنيت إلى أن قتل بالسم كما يشاع، فتولى أخوه الشيخ محمد، وكانت إسبانيا تضغط على المخزن المغربي لتحتل أيت باعمران، تطبيقا لمعاهدة تطوان، ولم يقبل الباعمرانيون أي استعمار في بلادهم.

والخلاصة أن تامگارت تمثل مركزاً مخزنياً وسط القبائل الباعمرانية منذ أجيال طويلة، ولذلك مازالت القبيلة تنظر إليها بعين التقدير والاحترام.

خريطة طبوغرافية لسيدي إفني ؛ وثائق عائلة ادالشيخ همو (ظهائر سلطانية) ؛ ح. جهادي، جانب من تاريخ أيت باعمران.

الحسين جهادي

تَامْلاَگُوتْ، قرية تمثل نموذجاً من نماذج التجمع السكاني في الجنوب المغربي. تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة ورزازات على بعد ثمانية وثلاثين كلم وتتمركز وسط واد ضيق يحمل محليا اسم أسيف ـ ن ـ تامزيغت.

بنيت في ظروف تاريخية يغلب عليها عدم الاستقرار، فطريقة تصميم نواتها يغلب عليها الطابع الدفاعي المحض. فإضافة إلى السور الذي يسيج السكن العائلي تنتصب بقايا خمسة أبراج على القمم المجاورة لمراقبة محيط القصر ومجاله الزراعي.

وتوفرت القرية الأم لفترات طويلة من تاريخها على مدخل وحيد موجه باتجاه المجال الزراعي. وقد عمل السكان على تقسيم المجال السكني القديم تقسيماً وظيفياً محكماً، فمباشرة بعد المدخل الرئيسي تمتد الساحة العمومية ومنها تنطلق مجموعة من الأزقة لربط المجموعات السكنية فيما بينها، وزيادة في الاحتياط عمل السكان في الماضي على تخصيص جزء ملاصق للساحة العمومية كبيدر احتياطي يستعمل في أوقات عدم الاستقرار.

ويعتبر المخزن الجماعي (إغرم ـ أگادير) أحد المعالم الأساسية للقرية المسماة بالقصر، فهو يحتل مساحة مربعة ويضم اثنتين وستين غرفة صغيرة موزعة على ثلاثة مستويات إضافة إلى باحة داخلية، والكل محاط بسور سميك مدعم بأربع قلاع صغيرة. يبلغ طول الغرفة الواحدة ثلاثة أمتار في حين يصل عرضها إلى مترين، ولا تتوفر على أي نافذة. وكل غرفة تتوفر على مدخل وحيد يبلغ طوله متراً واحداً ويمتاز بابه بزخرفته ونقوشه المليحة. أما

سطح المخزن الجماعي فهو مغطى باستثناء جزء بسيط، وذلك من أجل ضمان التهوية والإنارة. ويتوفر المخزن على مدخل وحيد يقابل الساحة العمومية من أجل ضمان مراقبة شديدة لعمليات الدخول والخروج من المخزن الجماعي وإليه. كانت تتم حراسته من طرف حارس معين على يد الجماعة يحمل محلياً اسم "أدواب".

ومباشرة بعد الاستقلال عرف السكن بقصر تاملاكوت تطوراً سريعاً دخل به في تطور التفسخ، إذ تزايد في مرحلة أولى عدد المداخيل الرئيسية وانفتح القصر على جميع الجهات، وفي مرحلة ثانية بدأ السكان يشيدون دورهم بعيداً عن النواة القديمة إلى الشمال والشرق منها، وقد تفادت عمليات التوسع هذه الجهة الجنوبية حيث تمتد الواحة. وبموازاة مع حركة البناء هذه، تراجع الاهتمام بالبنايات الجماعية وفي مقدمتها المخزن الجماعي وبالبنايات ذات الصبغة الدفاعية المحضة (الأسوار - القلاع) التي تصدعت وأصبح أغلبها في طريق الانهيار.

يعيش بقرية تاملاكوت 343 نسمة حسب إحصاء سنة 1982، ينتمون في غالبيتهم إلى قبيلة أيت تماسين ويقومون باستغلال واحة مجهرية تناهز مساحتها حوالي عشرين هكتاراً. وقد ارتبط وجود هذه الواحة منذ البداية بالجريان التحتي لأسيف - ن - تامازيغت وسهله الفيضي. وقد عمل السكان في البداية على استغلال الجريان التحتي للنهر بواسطة تقنية الخطارات. ونتيجة للندرة النسبية للمياه اعتمد الفلاحون على ساعة شمسية محلية لضمان تقسيمها، حيث يقسم النهار إلى 24 وحدة. وانطلاقا من سنة 1966 وبموازاة مع بناء تاملاكوت، وما رافقه من غمر المياه للخطارات، تغيرت طريقة السقي المتبعة لترتكز أساساً على استغلال المجرى السطحي للواد. ففي هذه السنة عملت الدولة على بناء سد تحويلي صغير علوه 6 أمتار وطوله 16,5 م وتكمن وظيفته الأساسية في جمع مياه الفيضانات والينابيع قبل إعادة توزيعها على قنوات الري. ويتم إقفال بوابة السد مع غروب شمس كل يوم ليتم فتحها من جديد مع بزوغ شمس اليوم الموالي.

وترتكز الزراعة بالأساس على أشجار الزيتون واللوز والتفاح والجوز وعلى الحبوب وبعض الخضروات.

وبموازاة مع استغلال الواحة يقوم السكان بمزاولة تربية المواشي حيث يتشكل القطيع أساساً من الماعز (فصيلة الرحالي) والغنم (فصيلة سروا). ويقوم الأهالي باستغلال المراعي المجاورة للقصر في حدود شعاع يصل إلى خمسة عشر كلم.

إضافة إلى الفلاحة تشكل الصناعة التقليدية مورداً إضافياً مهماً لساكنة تاملاكوت حيث تقوم النساء بإنتاج الزربية الواوزگيتية اعتمادا على الصوف المحلي وعلى نباتات طبيعية أخرى تستعمل في أعمال الصباغة. وإذا كان طول النموذج التقليدي متبايناً فإن عرض الزربية المحلية لا يتجاوز مترين وفي أقصى الحالات مترين ونصفاً، وتختلف الزرابي حسب المواد المستعملة في صناعتها من جهة وعدد العقد في كل عشرة سنتيم. تتميز الزربية المحلية بصورها التي تعكس الواقع اليومي للسكان. إلا أن انفتاح القرية على الأسواق الجهوية والوطنية أدى إلى تغيير محسوس في طبيعة الإنتاج بحيث أصبح الاعتماد يتم بالأساس على المواد الأولية المستوردة والمحضرة سلفا وذلك ربحا للوقت نظراً لما يتطلبه تحضير المواد المحلية من جهد جهيد.

أ. ت. الزينبي، *واحات المناطق الجبلية وملامح التأزم، منطقة تازناخت نموذجا، المجال والمجتمع بالواحات المغربية*، سلسلة الندوات رقم 06، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 1993، ص. 113 - 125.

أحمد توفيق الزينبي

التاملي ← الـتَّـمْـلي

تامَنار، مركز فلاحي مهم يقع وسط قبائل حاحة بين الصويرة وأگادير على بعد مائة كيلومتر شمال أگادير واثنين وسبعين كيلومترا جنوب الصويرة، على الطريق الرئيسية بعيدا عن ساحل البحر بحوالي ثلاثين كيلومتراً إلى الداخل. كان، قديما، مجرد قرية صغيرة بقبيلة ايدأكلُول لا يميزها عن غيرها إلا قصبة من بناء البرتغال على الطريق (تابريدا) كانت تسكن فيها نصرانية تدعى تامنار، فسميت القصبة باسمها على ما يحكى، وقد ورد ذكرها في *تاريخ الضعيف الرباطي* حيث قال في الصفحة 343 : "خرج السلطان من تارودانت لناحية الصويرة واستهل عليه هلال ربيع الأول عام 1221 في قصبة تامنار بين حاحة واشتوكة فوق الصويرة بيوم". وحينما عين السلطان الحسن الأول القائد المحجوب الكيلُولي في طريق حركته إلى سوس عام 1299 / 1881، أمره ببناء مقر قيادته بتامنار، فأعد القائد عدته وشرع في البناء مع بداية عام 1301 / 1883، وتعاقب على الحكم في هذا المركز خمسة قواد من أسرة الگيلولي وتبعهم القائد سعيد التگزيريني في عهد الحماية، ثم القواد النظاميون في عهد الاستقلال.

كان الكيلوليون الأوائل يحكمون من تامنار إلى تيزنيت في بعض الفترات، مما جعل أهل تامنار يغتنون بالأموال والذخائر النفيسة المجلوبة من سوس. فذاع صيتهم بين القبائل الجنوبية، وعلا شأنهم بالدوائر المخزنية في العهد العزيزي (*المعسول*، 15 : 196) فازدهر العمران والتجارة بتامنار، وأخذ أعيانها يتنافسون في تشييد الأبراج وبناء الرياض واقتناء أجود الخيول، ويبذلون الغالي والنفيس في سبيل الحصول على أحسن وأجمل ما في البلد من العبيد والإماء، فازدهرت تامنار في عهدهم ازدهارا عمرانيا واقتصاديا وثقافيا، إذ كانوا يزينون مجالسهم بالعلماء أمثال محمد بن القائد الكيلولي (ت. 1324 / 1906) وإبراهيم الاگدورتي الإيسي الذي استقدمه رؤسا، تامنار فاهتبلوا به وهيأوا له دارا في "تسيلا البكرت"، فلم

يزل هناك ينشر العلم إلى أن توفي في العقد الثاني من القرن الرابع عشر الهجري.

وقد اعتنى رؤساء تامنار الگيلوليون بتعمير مدرسة سيدي حسا أُحساين المجاورة لقصبتهم وفرضوا لها ثلث أعشار القبيلة فقصدها الطلبة من حاحة وسوس وغيرها، فازدهرت بذلك الحركة التعليمية بهذا المركز في عهد الگيلوليين. ومنذ ذلك الحين أصبح مركز تامنار ينمو نموا بطيئا، لأنه لم يعتمد إلا على إمكانياته الفلاحية المحلية، حتى أصبح اليوم مقرا لدائرة قيادات حاحة إلى جانب الجماعة الحضرية لقبيلة إيدأگيلُول. وفي صيف سنة 1989 تم تدشين مركب ثقافي ضخم بتامنار أُطلق عليه اسم قرية أرگان نظمت فيه جمعية حاحة أول مهرجان ثقافي لأرگان، فأصبحت تامنار اليوم تحتل الدرجة الثانية بعد مدينة الصويرة من بين المراكز الحضرية في حاحة. فعدت من الجماعات الحضرية إذ تبلغ مساحتها 15,80 كلم مربع فقط بينما بلغ عدد سكانها 1500 نسمة، فارتفعت كثافتها السكانية إلى حوالي 95 نسمة في الكيلومتر المربع الواحد.

تتوفر جماعة تامنار الحضرية على كل التجهيزات الأساسية من شبكة الإنارة وشبكة الماء الصالح للشرب وشبكة الوادي الحار، وبها مدرسة علمية عتيقة بناها القائد سعيد التگزيريني في عهد الحماية وعمَّرها وتدعى الهاشمية أو تيمزگيدا ن ـ الرمّى (مسجد الرماة) إلى جانب مجموعة من الكتاتيب القرآنية. ومن تجهيزات التعليم الحديث بها مجموعة مدرسية وإعدادية واحدة.

م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أحمد العماري ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 15 ؛ دورية أصدرتها عمالة الصويرة بمناسبة عيد العرش مارس 1986 ؛ *تحريات ميدانية*.

محند أيت الحاج

تَامَنَارْتْ أو تمنارت، نهر ينبع من الأطلس الصغير ويصب في واد درعة. وتتناثر على ضفاف المجرى الأسفل لواد تامنارت في واحة تيملت قرى صغيرة غلب عليها اسم تامنارت، وسكنها منذ القرون الإسلامية الأولى العلماء والصالحون، ومنها خرج ـ حسب بعض الروايات ـ عبد الله بن ياسين مؤسس دولة المرابطين.

عرفت تامنارت في القرن العاشر (16 م) نشاطاً علمياً ملحوظاً بوفرة من عاش فيها من الأساتذة والمقرئين والفقهاء المدرسين والطلبة والمريدين، وفي مقدمتهم العالم الصالح المجاهد الشيخ محمد بن إبراهيم التامنارتي الذي آتاه الله بسطة في العلم والمال فسخَّر كل ذلك لصالح موطنه وقومه، وخلفه من بعده أولاده وأحفاده العلماء العاملون.

التامنارتي، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الشيخ، درس في مسقط رأسه على أساتذة قريته، وبخاصة على والده، فتخرج مشاركا في التوحيد والنحو، واشتغل، إلى جانب والده بالتدريس في مسجد تامنارت وباصطحاب والده في حركاته الجهادية، وألف عدة كتب، منها : شرح *منظومة ابن زكري*وشرح *منظومة الضرير المراكشي*وشرح *الجمل* للمجراد السلوي. يقال إن هذا لم يتم. وقد عاجلت المنية إبراهيم التامنارتي فمات قبل والده ببضعة أشهر عام 971 / 1563.

ع. التامنارتي، *الفوائد*، مخطوط، 73 ـ 74 ؛ م. البعقيلي، مناقب، 19 ؛ م. الحضيگي، *طبقات*، 1 : 116 ؛ م. المختار السوسي، *سوس*، 179 ؛ *المعسول*، 7 : 46 ـ 47 ؛ م. حجي، *الحركة*، 2 : 618.

التامنارتي، أحمد بن إبراهيم حفيد الشيخ محمد بن إبراهيم آتي الترجمة. درس في مسقط رأسه على أساتذة تامنارت وفقهائها، ولازم مجالس أخيه الأكبر محمد بن إبراهيم وعليه اعتماده، ثم حل محله، بعد وفاته، في القيام بمهام التدريس والتربية. كان بارعاً في الفقه وأصوله وقواعد اللغة العربية، مشاركاً في غيرها من العلوم الشرعية واللغوية. طالت مدة تدريسه أكثر من نصف قرن، وكان من طلبته المتخرجين على يده العالمان السوسيان الكبيران عبد الرحمان التامنارتي مؤلف *الفوائد الجمة*، وعبد الله بن يعقوب، محيي مدرسة الگراميين في تازموت. توفي أحمد بن إبراهيم عام 1048 / 38 ـ 1639.

ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، 44 ؛ م. الحضيگي، *طبقات*، 1 : 47؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 7 : 52 ؛ م. حجي، *الحركة*، 2 : 619.

التامنارتي، عبد الرحمن بن محمد الجزولي المغافري. ولد في تامنارت وبها حفظ القرآن وتلقى مبادئ العلوم اللغوية والدينية على يد والده محمد بن أحمد التامنارتي وأحمد بن إبراهيم التامنارتي، ومحمد بن عبد الله التامنارتي قبل أن يرحل إلى المحمدية (تارودانت) عام 992 / 1584 وهو مايزال طفلا ذا ذؤابة، فقضى فيها بقية حياته طالباً ثم عالماً مدرساً، وقاضياً مفتياً، ومؤلفاً مصلحاً. درس في المحمدية على علمائها المتوافرين، وهي يومئذ المدينة العلمية الثالثة بعد مراكش وفاس، فأخذ عن قاضيها كبير الفقهاء، في قطره سعيد بن علي الهوزالي، ونابغة عصره محمد بن علي الهوزالي، والبعقيليين عبد الرحمان ومحمد، وسعيد بن عبد الله العباس (لازمه خمس عشرة سنة). ويحيى بن عبد الله بن سعيد الحاحي، ومحمد بن أحمد ابن الوقاد التلمساني دفين تارودانت الفقيه الخطيب المفوّه (لازمه عشر سنين) وولده عبد الرحمن وغيرهم ممن اشتمل عليهم كتابه *الفوائد الجمة*.

تكوّن عبد الرحمن التامنارتي تكويناً متيناً في فروع المذهب المالكي وأصوله، لغوياً أديباً عارفاً بخبايا لسان العرب وأيامهم وأشعارهم، مشاركاً مشاركة تامة في الحديث والتفسير والعلوم العقلية، مدرساً ماهراً في إفادة طلبة تارودانت ومن يرد عليها من سوس والأطلس ومشارف الصحراء. ويكفي أن نذكر من بين تلاميذه اللغوي

المعقولي الحسن اليوسي صاحب *المحاضرات والقانون*، والمحدث الفلكي محمد بن سعيد المرغيتي مؤلف *المقنع* وشرحيه في التوقيت.

ولما رام يحيى الحاحي الملك واستولى على سوس في حدود عام 1022 / 1613 عيّن عبدالرحمن التامنارتي قاضياً بتارودانت، فبقي قاضياً للجماعة بها حتى بعد وفاة يحيى وسيطرة أبي حسون بودميعة السملالي على المحمدية وسائر شمال سوس.

وإذا كانت هذه الفترة من أصعب الفترات التي مر بها المغرب بسبب ضعف بل تدهور السلطة المركزية في مراكش فإن عمل عبد الرحمن التامنارتي تميز فيها بالوعي والحميّة الدينية والوطنية والعمل الدؤوب على رأب الصدع واستتباب الأمن والطمأنينة. ونذكر من أعماله في هذا الصدد نموذجين، أولهما مساندته لمطلب السلويين الذين التجؤوا إلى الأمير يحيى الحاحي حين اشتد عليهم تهديد الإسبانيين بعد أن احتلوا المهدية القريبة من سلا، وعلموا ألا طاقة لهم بالقوات المسيحية البرية والبحرية التي يعدها ملك الإسبان لاحتلال ثغوهم الذي ظل حراً على الساحل الأطلنتي، ومنطلقاً لأسطول الجهاد الذي يعترض السفن الاسبانية المتجهة إلى أميركا، ويقض مضجع المراسي الأندلسية السليبة. كتب عبد الرحمن التامنارتي رسالة حماسية باسم الأمير يحيى وجهت إلى جميع الجهات الخاضعة لنفوذه تدعو إلى الجهاد وإصراخ السلويين. وأنشأ أيضاً خطبة حماسية لتلقى في جموع المجاهدين المتجمعين في إمي نْ تانوت، عززها بقصيدة تاريخية طويلة تذكّر بأمجاد دول المغرب المتعاقبة من الأدارسة إلى السعديين منها :

أيجمل بالأبطال من سوسنا التي	لها الفخر قِدماً في الهياج تعود
وبالضاربين الهامَ من كل فاتكٍ	من الغرب ذي '' ـ الوثيق ركود
بلى ! نحن كنّا أهلها سننشدَها	ونحسم يوماً ما بنته قرود

وثاني مواقف التامنارتي المتميزة مناهضته للثائر محمد بن عبد القادر التاهرتي (انظر ترجمته في *د ملمة المغرب*) الذي ادعى المهدوية في تيزنيت في فترة قد تكون امتدت من عام 1035 إلى 1039 / 1626 ـ 1630 وانتشر نفوذه على عدد غير قليل من قبائل الساحل بسوس، فزاد في طين الانحلال والتمزق بَلّة. كان موقف التامنارتي منه حازماً، راسله ووعظه نثراً ونظماً داعياً إياه إلى التخلي عن هوس المهدوية الباطلة سالكاً معه سبل الترغيب والترهيب. ولما لم يَرْعَو التاهرتي عن غيه أغلظ له التامنارتي القول، ووصفه بالكلب والدجال وأخي الشيطان، وأعذر له مرة أخرى قبل أن يعلن السوسيون قاطبة الحرب ضده فيستأصلوا شافته ويفرقوا جموعه.

ألف عبد الرحمن التامنارتي في التوحيد والفقه والأدب والتاريخ. ومن مؤلفاته *كفاية المريد* في العقائد شرح بها لامية أحمد الزواوي، انتهى من تبيضها في ثامن قعدة عام 1048 وخرّجها من مبيضة المؤلف تلميذه محمد بن أبي بكر الصوابي (مخطوط خ.ع.2079د) ؛ و*أجوبة فقهية*، وديوان شعري (مخطوطا خ. ح. 5623 و8841) على أن أهم مؤلفات التامنارتي هو : *الفوائد الجمة في اسناد علوم الأمة* (مخطوط خ. ع. 1420 د) الذي يعدّ المصدر الغني الأساسي لتاريخ تارودانت الديني والعلمي والاجتماعي في القرن الحادي عشر (17 م). وفيه إلى ذلك إشارات تاريخية مفيدة تهم علماء سوس والجنوب المغربي عموماً.

وصحح التامنارتي كتاب *النور الباهر في نصرة الدين الطاهر* الذي ألفه أحد أحبار اليهود الذي أسلم بعد عام 1020 / 1611 ـ 1612 وسمي يوسف بن عبد الله الإسلامي، ساق فيه عن التوراة أموراً تدل على صحة الإسلام، فهذّب عربيته وأتمه في 24 جمادى الثانية عام 1053 / 9 شتنبر 1643 وقد وقف على هذا الكتاب المختار السوسي في تارودانت في نسخة جيدة ودعا بإلحاح إلى نشره.

توفي عبد الرحمن التامنارتي في تارودانت يوم الأحد خامس شوال عام 1060 / 2 أكتوبر 1650.

ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط ؛ الرسموكي، وفيات، 24 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 155 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزكو، الترجمة رقم 528 ؛ م. الأزهري، *اليواقيت*، 193 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، تح. إ. عباس، 2 : 922 ـ 925 ؛ م. المختار السوسي، *إليغ*، 2 ـ 3 وهامش 7 ؛ *خلال جزولة*، 4 ـ 177 ؛ سوس *العالمة*، 181 ؛ ع. گنون، *النبوغ*، 1 : 259 ؛ ليفي پروفنسال، مؤرخو *الشرفاء*، تر. ع. الحلادي، 181 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 413 وفي مواضيع متعددة.

التامنارتي، عبد الله بن علي حفيد محمد بن إبراهيم الشيخ آتي الترجمة.

فقيه صالح درس على يد علماء قومه، إذ لم تعرف له رحلة، واشتغل مثل أبيه وأجداده بالتدريس وتربية المريدين بتامنارت، بالإضافة إلى القيام بمهمة القضاء.

توفي عام 1074 / 63 ـ 1664.

الرسموكي، وفيات، 18 ؛ م. المختار السوسي، رجالات العلم. 41 ؛ *المعسول*، 7 ـ 54 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 619.

التامنارتي، علي بن أحمد اللحياني أو الحيحاني

الدرعي من العلماء التامنارتيين الذين هاجروا الواحة، وانتقل إلى درعة يدرِّس فيها طوال حياته بعد أن درس في فاس. وقد اختاره السعديون لمنصب القضاء في حاضرتهم مراكش وجاؤوا به إليها لذلك، لكنه امتنع وفر راجعاً إلى درعة ليتابع عمله في التدريس. ولعله أخذ أيضاً في بداية طلبه على الشيخ إبراهيم ابن هلال السجلماسي إذ هو الذي رتب نوازله الفقهية الشهيرة.

توفي علي التامنارتي بدرعة في حدود عام 980 / 1572.

ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، 47 ؛ الرسموكي، وفيات، 12 ؛ م. الإفراني، صفوة ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، تح. ح.

النرحي. د.د.ع. الرباط ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة رقم 726 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 9 - 87 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 20 ؛ *المعسول*، 7 : 51 ؛ *جامعة القرويين في ذكراها*، 116.

محمد حجي

التامنارتي، محمد بن **إبراهيم** بن عمرو اللكوسي المعروف بسيدي محند أُبراهيم الشيخ دفين تامنارت. تخصه كتب المناقب والتراجم هو وسيدي أحمد بن موسى صديقه وصهره بقطبي سوس المتميزين. إذا كان فقهاء وأهالي تازروالت يعتبرون سيدي أحمد بن موسى قطب سوس الأول (*المعلمة*، 1 : 161 . 165)، فمقولة أبناء سيدي محمد بن إبراهيم تنضاف إلى مناقب البعقيلي الذي كان شاهد عيان وإلى فوائد التامنارتي وإلى ما أورده الديماني في روضة التحقيق نقلا عن الرواية الشفوية لتخص المترجم بمركز القطبانية الأولى بسوس ودرعة. مع ذلك لم تتعدد أساليب السرد بشأن هذه الشخصية مما يقتضي مسألة خصوصيات علاقتها بالمحيط القريب والبعيد. فنحن نعلم أن المصادر تجعل من سيدي محمد بن إبراهيم الشيخ نموذجا فعليا للقطب الذي ألزم نفسه ضرورة المجاهدة من أجل تعميم دور الزوايا في الحياة اليومية خلال القرن العاشر (16 م).

إذا كان الشيخ قد توفي سنة 971 / 1564 وهو يربو على الثمانين، فإنه يكون قد ولد خلال الثلث الأخير من القرن السابع (15 م). (*مناقب البعقيلي* ؛ *طبقات الحضيكي*، 2 : 9، *Fawa'id*). تربى في أحضان والد مات بدوره كهلا مسنا منقطعا إلى التدريس في مدرسة إداأوزدوت حيث أصبح قربه مزارا ومقراً لموسم تجاري هام (*المعسول*، VII: 10). كل ما نعلمه عن والدته أنها عاشت بمجتمع مايزال يومها يتميز بتداخل نظامي القرابة الأميسي المتآكل والأبوي الذي خطا خطوة في السيطرة بفعل الزوايا والفقهاء (إعزي ويهدى، *المعلمة*، 2 : 517 . 518). قد يكون محمد بن إبراهيم ولد بقرية إيمي أو گادير حيث يجثم أگادير ترسواط غير بعيد عن وادي لكوسة من قبيلة أمانوز على أن الرواية الشفوية ماتزال تؤكد على قرية إزدغ القريبة من إيمي أوگادير ببلاد تاهلة من منطقة فم الحصن.

تؤكد *روضة التحقيق* أن والد الشيخ محمد بن إبراهيم عمل على توفير جو المصاحبة بينه وبين أبنائه، فأخذوا عنه العلوم الشرعية والنقلية. كان هذا هو الوالد يمثل مقياسا لمدى انصهار شيوخ الزوايا الذين جمعوا علمي الظاهر والباطن ضمن علاقات مجتمعية تستهدف بلورة القيم المعيارية. وقد يكون تأثر بهذا الوالد كما تدل على ذلك تسمية أول أولاده بابراهيم وحضور مجملهم مجالسه العلمية كما تشير إلى ذلك تراجمهم المختلفة. ولا أدل على مدى ربط محمد بن إبراهيم بين سابقيه ولاحقيه من استشهاده الدائم وهو شيخ مسن بأئمته وأساتذته القدامى (مناقب البعقيلي ؛ *طبقات الحضيكي*، 2 : 8 . 9).

نلاحظ فيما يخص المرحلة التعليمية من حياة المترجم، أن التطور السريع بفعل آليات طلب العلم الظاهر والباطن بسوس ودرعة يتماشى تماماً مع الصورة التي تضفيها الرواية الشفوية والمصادر على شخصية متميزة من هذا الحجم. فبعد أن تتلمذ على الگراميين وأبناء عبد العزيز في حجر عيسى وفقهاء رسموكة وسملالة وغيرهم حسب ما سمعه منه البعقيلي (*طبقات الحضيكي*، 2 : 8)، لازم لمدة طويلة وحيد عصره الحسن بن عثمان التملي. ولن تحول سلطة هذا الأستاذ العلمية دون انتقاد المترجم بعض ممارساته فيما بعد. على أن هذه المرحلة الدراسية لم تلبث أن انتهت بالشيخ محمد بن إبراهيم إلى ولوج ميدان التدريس في مجموعة من قرى ومداشر الأطلس الصغير وبروز علامات تقربه إلى حد كبير من عبد الله بن ياسين ابن بلده.

لقد انتزع محمد بن إبراهيم الشيخ وهو عائد إلى بلدته اعتراف مرافقيه بالولاية حين سقاهم ماءً بارداً أتى به على وجه الكرامة في عز الصحراء وشدة العطش حسب ما أورده الحضيگي (*طبقات*، 2 : 8 . 9). هذه المقاربة بينه وبين مؤسس دولة المرابطين تنتقل بالرؤيا من مجرد إطار عام للمقارنة إلى اعتبارها أداة تنوعت فاعلياتها الدينية والإيديلوجية لتثبيت سمعة الشيخ المبكرة. على أن هذا العائد المتميز لم يستطع الاستقرار ببلدته كمدرس إلا لمدة محدودة، انتقل بعدها إلى "عنق الرمال" وأيت منصور، قريتين على وادي إيسي حيث قد يكون استقر سبع سنوات (*المعسول*، VII : 12) ليتنقل بعد ذلك ربما إلى إيليغ ومنها إلى إيگلي حيث يمتلك بهما أملاكاً باسمه.

في هذه الأثناء كان موقع تامنارت أم المداشر التي تقع ببسيط الوادي الذي يحمل نفس الاسم، قاعدة لتجمع المياه الجبلية. أهمية الموقع هذه كانت تتمثل خاصة في كونه حداً فاصلاً بين الصحراء وما عداها من جهة (تاگجگالت أيت تيكني، *المعلمة*، 2089 . 2090) وفي تجسيده لبنية تجارية وفلاحية فاعلة في الحياة الاجتماعية القروية من جهة أخرى. هذان المعطيان كانا بمثابة إطار لتقاطع الروابط الترابية وللتنافس من أجل اقتسام المنافع بين الغور الحبشي الأقدم (الحراطين) والنازلين عليه من مرتفعات الأطلس الصغير (إگُزُولَنْ). ندرك من هنا أن الخطوط العريضة التي كانت تضمن للأحباش القدرة الفعلية على مواجهة مد إگزُولن ذوي النجعة الجبلية تقتضي اعتماد التحالفات المرحلية مع ذوي السلطة الدينية كمنطلق نحو المزيد من التماسك والقدرة على الثبات في عين المكان. هذا الإطار العام الذي كان سائدا حول أهم المداشر سيجسد هنا التحالف العملي الذي أهل محمد بن إبراهيم الشيخ الدخول في مسلسل من التحالفات الميدانية مع الأحباش قصد توطيد أسباب الإبقاء على ممتلكاتهم وتهييء مراقبته الفعلية لقسم من الأراضي المسقية. على أن تنظيم المجال وتقسيم مياه الساقية وبساتينها ستجعل بدايات المترجم

بتامنارت تعرف بعض الصعوبات.

كان من شأن النزاعات التي أفرزتها الفترة على امتداد الضفة الشمالية الغربية للصحراء الأطلسية أن زادت من التقاطب الحاد بين المداشر والفصائل المتصارعة. وسيتجلى الجديد مع بداية القرن العاشر (16 م) في تحول السلطة السياسية من الفصائل والوحدات القبلية إلى الزوايا والشرفاء. كانت قبيلة إدا أوبلال ماتزال تنتجع يومها بين الساقية الحمراء ووادي نون. أما إمجّاظن (مجاط) ذوو النجعة الجبلية فقد طردوا فصائل أولاد بوعيطة من تيزلمي محدثين بذلك اضطراباً كبيراً لن تتمكن من تهدئته إلا سلطة محلية قوية بحجم سلطة سيدي أحمد بن موسى. في وادي نون لم تكن قدرة تكنة الحربية قد أهلتهم بعد لإبعاد إدا أوبلال والمعقليين عبدة واحمر. ولعل أول ما يلفت الانتباه بهذا الصدد هو الوضعية القائمة بين بلاد تكنة وبسيط تامنارت المجاور. فقد آلت هذه المنطقة منذ غزو الجبليين (إيبودرارن) من جهة والأعراب من جهة ثانية إلى حالة من التفكك العشرائي دون اتضاح ما يمكن أن تخضع له قواعد التحالفات من معايير جديدة تنظم سيرها. لقد اتخذ الصراع صيغة تناقض للمصالح المحلية بين لفي تاحكّات وإگزّولن حيث يفصل التنافس بين أسواق الطرفين (السوسي، *من خلال جزولة*، 3 : 493). هذا المعطى بما يستند إليه من تصادم وتحالف يكشف عن فعالية الدور التوفيقي الذي سيضطلع به المترجم. فمجيئ هذا الصالح بعد بداية فعلية للتساكن والتعايش ضمن مجال ترابي مشترك وأساسا لإعادة التوازن وضمان الاستقرار الاجتماعي. استطاع هذا الصوفي أن يبلور تكتلات ومواقف تضامنية تكشف لنا عن سر الاستقبال المتناقض الذي ميز موقف كل طرف من أطراف النزاع (السوسي، *من خلال جزولة*، 3 : 15 ؛ *المعسول*، VII : 16 ـ 17).

أصبحت على المدارس والزوايا يومها ضرورة استخلاص الأعشار لمواجهة النفقات المتزايدة وظهور مقتضيات جديدة. فنجد هذه المؤسسات الدينية وقد أصبحت تتوفر على ممتلكات جاءتها على شكل هبات أو إقطاعات أو أراض مستصلحة قد يتجاوز اتساعها ومكانتها اتساع ومكانة باقي الممتلكات. هذه المداخيل كانت تمثل أداة للتراكم يتسع حجمها أو يضيق حسب قدرة الشيخ على تكريس مكانته الاجتماعية. فهي تدعم نفوذه وتدفع بسلطته المحلية إلى حدودها القصوى كاستراتيجية مستقلة لمواجهة المصاعب ودفع التحديات. بذلك يكون تحديد موارد المؤسسة الدينية أصبح خاضعا لمقاييس تعتمد التراكم والسعي إلى مردودية تقتضي تنمية المداخيل والبحث المستمر عن ممتلكات جديدة وأعشار.

انعكست هذه المرامي المتنامية في ممارسات محمد بن إبراهيم الشيخ قبل رحيله إلى تامنارت على ما يمكن أن نستخلصه من روضة التحقيق. فقد جاء نزوع الشيخ إلى استخلاص الأعشار وتثبيت بنية تراكمية كأساس واضح جسد خلافاته مع أهالي أملن مثلا. ولربما كان هذا العامل نفسه هو الذي أدى باحباش تامنارت إلى مفاوضته على أسالس إمداده بما لم يعجب منافسيهم في عين المكان. فتقديراً لدوره البارز وكفاءته بالمدارس التي مر منها قبل تامنارت يبدو أن الأحباش قد أقطعوه ما هيأ له أسباب النزوع المتزايد إلى التوسع على حساب منافسيهم، فكان لهم بذلك خير حليف استقر كشخصية عززت وجودهم وكمدرس ذي خبرة وجرأة لم يتجاوز بعد الخمسين سنة. كانت سمعته المبكرة من الأسباب التي رفعت من شأن تامنارت باحتضانها ثاني قطب محلي بعد عبد الله بن ياسين. فلم تلبث بعد ذلك مجمل مدارس سوس وغيرها أن استنارت بطلبته وإشعاع مدرسته. ندرك إذن أنه ما أن تأسست الدولة السعدية حتى أسند إليه القضاء مرغماً سنة 928 / 1521. ومع أن هذه المأمورية كانت تشكل تهديداً لألمعيته كعالم وصوفي كبير، فإن تحاشيه المشاركة في أي شكل من أشكال التعامل مع المخزن السعدي رفع من شأنه وزاد من كرامته لدى ذوي علم الظاهر وعلم الباطن. وهو أيضا ما كان يتماشى مع المنظور القبلي الذي لا يسمح بمركزة السلطة ولا بظهور قائد مطاع وحيد. إذا كان توليه القضاء لم يتجاوز خمس سنوات، فإن وفاة أستاذه التملي سنة 932 / 1526 قد زامنت فترة أصبح خلالها من ألمع الوجوه التي تفيض في وصفها الألسن. جاء نزوعه إلى السلم كعامل استقرار وتهدئة اتسعت على إثره دائرته تدريجيا واتجه أسلوبه في التسيير نحو استخلاص الأعشار واحتواء أكبر قدر من الأراضي المسقية والمستصلحة. ولا شك أن مهادنة إگزولن التدريجية واستقطاب الأحباش قد أسهما بشكل أساسي في تقوية نفوذ المدرسة التي جعلت منه "علامة القرن العاشر ومدرسة تامنارت ومحيي جزولة بمعارفه" (السوسي، *من خلال جزولة*، 3 : 13 ؛ *مدارس*، 51 ـ 52 ؛ الحضيگي، *طبقات*، 2 : 8 ؛ التامنارتي، *Fawa`id*، 75 ـ 80 ـ 81) فما موقع هذه المساهمة الكبرى من مقارنة الشيخ التامنارتي وسيدي أحمد بن موسى ؟

تصل بنا الصورتان اللتان تواجهان الدارس إلى نموذجين متباينين لصلحاء هذا القرن. يبلور سيدي أحمد أوموسى من جهته نموذجاً للصوفي الأمي الذي يُضرب المثل بقدرة مجموعته على مراقبة الطرق وتطويق القوافل ومعاينة المسافرين. جسد قبل ارتمائه في علم الباطن رمزاً لرعب القبائل والمسافرين. وإذا كانت مسيرته حسب المقولة الشفوية قد أهلته لكي يصبح قطب سوس الذي يحمي القوافل ويعزز سلامة الطرق، فإن أمان سوق ومواسم تازروالت قد سهل عليه مأمورية تحصيل مؤونة أتباعه ومريديه. ندرك إذن لماذا لم يكن في بسيط تازروالت بحاجة إلى ما يكفي من البساتين والأراضي لانتاج كل ما يحتاجه أتباعه ومريدوه مكتفياً بثلاثة بساتين أهديت إليه (*معلمة*، 1 : 161 ـ 165). أما إذا انتقلنا إلى محيط العلاقات العامة ما بين الشيخ التامنارتي والوافدين عليه

من سوس وخارجها، فإننا نجد أوصافاً وتصورات تتطلب تعزيز البنية الإنتاجية لمؤونة الطلبة والمريدين. فعلى أساس الاستقلالية النسبية عن أهالي تامنارت يكون لزاما على المؤسسة الدينية تعزيز قوتها الإنتاجية. وكان طبيعيا أن يسعى الشيخ الذي ترعرع في وسط الفقهاء والمتصوفة إلى تحديد العلاقة العضوية بين المؤسسة ومداخيلها وأملاكها. وهو منظور سنجد في نطاقه المبادئ الرئيسية التي وظفها في سعيه إلى تحديد البنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. فعلاوة على كون حجم مساكن الطلبة قد تجاوز بكثير مرافق زاوية سيدي أحمد أ'وموسى، جاءت ممارسات الشيخ التامنارتي الدقيقة لتجسد دوره كحاكم محلي. ولم يكن سيدي أحمد أوموسى أقل من ذلك بتازوالت ونواحيها، إلا أنه لم يكن ينهض بمهام استخلاص الأعشار وإخضاع باني ووادي نون وبسيط تامنارت لسلطته بأبعادها الدينية والسياسية والمالية. تلك كانت قدرة الشيخ التامنارتي الفعلية على تنظيم حياة الجماعات (*المعلمة*، أيت إبراهيم، IV: 1127، 1130؛ تاغاجيجت، V: 2035، 2037). هذا ما يمكن أن نستشفه أيضاً من رسالة التامنارتي معتذراً للسلطان السعدي عن رفضه مهمة القضاء (الحضيگي، *طبقات*، 3: 8؛ Tamanarti, *Fawa'id*, 80 - 81). وإذا كانت معاينة هذا الاعتذار لن تحول دون السلطان أحمد الأعرج سنة بعد ذلك من أن يكتب بخطه شخصيا رسم إقطاع باسم الشيخ التامنارتي (12. 4. 933/16. 1. 1527)، فذلك لأن المخزن السعدي لم يكن يجهل وهو في عز قوته مدى استقلالية الزوايا وقدرتها على الثبات والتحكم الميداني. تعددت أشكال الحضور الفعلي لمحمد بن إبراهيم الشيخ خارج بسيط تامنارت وأصبحت تتمثل عموماً في قدرته على تنظيم الأشغال العمومية وتطوير المرافق العامة (*مناقب* البعقيلي، 25. 26؛ الحضيگي، *طبقات*، 2: 7) ولم يعد يكتفي بدعم أهالي واحات وادي تامنارت وأقّا ووادي نون الذين أصبحوا يدينون له بالولاء السياسي الواضح، بل نجده يلجأ إلى توسيع نفوذه الفعلي باستخلاصه الزكاة وتحريمه النائبة بمنطقة ماسة حادا بذلك من مجال التضارب والنزاع حول قضايا ومشاكل تمس القيم الشرعية. هذه القنوات بقدر ما كانت تسمح له بتملك الأرض والساقية، كانت تؤهله لتعبيد الطرقات ومد الجسور وتهدئة الخلافات والحد من الزعامات المحلية (البعقيلي، *مناقب*، 25. 26؛ Tamanarti, *Fawa'id*, 109).

جسد محمد بن إبراهيم الشيخ خير أداة لمد الجسور بين الفصائل المحلية والمخزن السعدي. ولا أدل على ذلك من دوره التوفيقي في الخلاف الذي حدث بين الطرفين حول استغلال مناجم عدانة بتامدولت حسب ما كشفت عنه روضة التحقيق. فقد أثبت بما لا يدع مجالا للشك احتكاره لكل أشكال ممارسة السلطة المحلية. يفيد الديماني بأن عجز ستة آلاف جندي مخزني أمام تحالف الأعراب والغور السكاني الصنهاجي عن استخلاص جبايات العدانة قد ارتبطت بسلطة الشيخ التامنارتي كواقع سياسي أساسي قائم الذات. وإذا كانت هذه السلطة الأساسية لا تتردد في الاعتراف بشروعية أمير المؤمنين (البعقيلي، *مناقب*، 25. 26؛ الحضيگي، *طبقات*، 2: 8؛ Fawa'id, 80)، فخذلان جيشه أمام تحالف القبائل وسلطة الطاعون المنتشر لم تكن لتغير من مواقف المترجم، فمسألة الأعشار تأتي هنا لتحدد بكامل الوضوح نصيب المخزن السعدي ونصيب الشيخ الذي لم يكن يتردد في تهديد الممتنعين عن دفعها له بشر العواقب (*المعلمة*، أيت إبراهيم، IV، 1127، 1130؛ تاغاجيجت، V: 2035، 2037).

إذا كان هذا التفصيل في المهام يبرز مظاهر التجانس بين مواقف الزوايا إزاء المخزن السعدي الذي كان يمثل في بدايته بحق قوة إگزولن، فإن أبعاد الوظيفة الاجتماعية والسياسية لقطبي سوس محمد بن إبراهيم الشيخ وسيدي أحمد أ'وموسى تطرح الزوايا في سياق الربط بين القبيلة وأمير المؤمنين. وبقدر ما يسمح هذا التفصيل بالتمييز بين السلطتين المحلية والمخزنية فإنه بفسح المجال أمام ارتفاع المترجم فوق التعارضات الاجتماعية (Tamanarti, *Fawa'id*, 77). فإذا كان سيدي أحمد أوموسى قد عمق التصوف السوسي، فإن محمد بن إبراهيم الشيخ كان بشهادة معاصره البعقيلي إمام الطريقة، قد "صار يسوس الفقراء ويربيهم ويؤدبهم بالأدلة الشرعية المحضة" (الحضيگي، *طبقات*، 2: 6). إن اتفاق كتب التراجم والمناقب على هذا الحكم لا يقتصر فقط على مساهمة القطب في ميداني العلم الظاهر والباطن بل يبرز سمات حكمه في البنية القبلية. فقد كانت آليات هذه البنية لا تتحرك فقط ضمن السياق الداخلي للصراعات المحلية، بل أيضا في مواجهة المد المسيحي على الشواطئ. من هنا فتدخل الشيخ التامنارتي كهلا مسنا إلى جانب المخزن السعدي بالبريجة معناه أن مهمته لم تقتصر فقط على التوازنات المحلية والجهوية ولكن تنحو كذلك وربما بصفة أوكد، إلى المهام الجهادية (البعقيلي، *مناقب*، 25. 26). واضح أيضا من خلال ما سمعه البعقيلي مشافهة منه أنه كان يمثل تطلعات سوس والصحراء إلى المحافظة على أصالتهما. ففي سياق نكرانه لتقبيل أيدي الزوايا والفقهاء وتلقيبهم بلفظة "سيدي" نجده يؤكد بأن الظاهرتين "محدثتان في بلادنا، جلبهما الفقيه الحسن بن عثمان التملي من بلاد الغرب" (*مناقب*، 26). نرى من هنا بعض الشروط الضرورية لظهور دواعي إصلاح جهوي وصلابة الدفاع عن الذات. وإذا كانت تلك هي المواصفات التي ميزت المترجم، فإن إصلاحه وتقويمه ما كان يراد جديرا بالتقويم قد حتم عليه تدريس الأدب العربي كمقامات الحريري باعتبار أنها "أصل لا يتوصل إلى شيء من العلوم إلا بها" (الحضيگي، *طبقات*، 2: 9؛ Tamanarti, *Fawa'id*, 109).

عندما توفي سيدي محمد بن إبراهيم الشيخ (9. 12. 971/ 19. 7. 1564) كان أتباعه ومريدوه ومناصروه ينحدرون

عن قبائل مختلفة. لقد استطاع أن يشكل عبر التنافس القبلي دائرة من التكتل الاجتماعي والسياسي تغطيها الصبغة الدينية والصوفية. وإذا كانت هذه الدائرة قد انحسرت بعد وفاته واتجهت تدريجياً نحو التلاشي فذلك لأن حفدته لم يكونوا قادرين على إعادة انتاج نفس الهيكل.

ابن عسكر، دوحة، 82 ـ 83 ـ 111 ـ 112 ؛ مناقب البعقيلي، 1987، 17 ـ 18 ؛ م. الأفراني، *صفوة*، 63 ـ 64 ؛ م. الحضيگي، *طبقات*، 2، 5 ـ 9؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، VII : 10 ـ 33 ـ 35 ـ 46 ؛ X : 46 ؛ XII : 279 ـ 280 ؛ *من خلال جزولة*، I : 3 ـ 13 ـ 33 ـ 34 ؛ III : 15 ـ 493 ؛ *سوس العالمة*، 156 ـ 178 ؛ *مدارس سوس العتيقة*، 121 ؛ م. حجي، *الحركة*، II، 617 ـ 618.

A. Tamanarti, *Fawa'id Al ğamma*, 75 - 80 - 81 - 109.

مصطفى ناعمي

التامنارتي، محمد بن **إبراهيم** بن محمد حفيد الشيخ، درس في مسقط رأسه على أبيه وأعمامه، فكان مثلهم علماً وصلاحاً وإقبالاً على إفادة الطلبة وإرشاد المريدين المتوافرين في مسجد تامنارت، وأحيى سنة جده في الإنفاق على المرافق العامة من إصلاح الطرق والسواقي والقناطر وغيرها. توفي بتامنارت عام 1004 / 95 ـ 1596.

م. البعقيلي، *مناقب*، 19 ـ 20 ؛ م. الحضيگي، *طبقات*، 2 : 52. وكرر الحضيگي ترجمة محمد بن إبراهيم في صفحة 108 من نفس الجزء، وتبعه في ذلك محمد المختار السوسي فعقد له ترجمتين رغم أنه تنبه للتكرار ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 7 : 52 رقم 13، و52 ـ 53 رقم 14 ؛ م. حجي، الحركة، 2 : 619.

التامنارتي، محمد بن **أحمد** بن إبراهيم المغافري الفيجي والد عبد الرحمن متقدم الترجمة. صوفي ناسك صالح، أخذ عن بلديِّه محمد بن إبراهيم الشيخ وأحمد بن موسى السملالي ومحمد بن ويسعدن السكتاني وغيرهم من أقطاب عصره. روى عنه ولده في *الفوائد الجمة* أخباراً وحكماً صوفية عديدة تدل على تمكنه في طريق القوم. ولا يُذكر له اشتغال بالتعليم ولو أنه عاش فترة من حياته في زاوية شيخه ابن ويسعدن في جملة سبعمائة طالب كانت تؤويهم هذه الزاوية الجبلية وتقوم بتعليمهم وإطعامهم. وكان محمد التامنارتي ـ بتكليف من الشيخ ـ هو القيم على خزائن الزاوية الساهر على شؤون رفاقه الطلبة.

حلاه الحضيگي بقوله : "وكان... رجلا صالحاً خيراً ديناً متعبداً ورعاً زاهداً في الدنيا معرضاً عن أهلها طوال عمره ذا دين متين ويقين وصبر، وذا كرم وقلب صميم وخلق حميدة وسيرة حسنة".

توفي بالطاعون في تارودانت عند غروب الشمس يوم الاثنين الثامن والعشرين من ذي القعدة عام 1007 / 21 يونيه 1599.

ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، في مواضع عديدة ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 133 ـ 134 ؛ م. الحضيگي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة رقم 325 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 42 ؛ *المعسول*، 3 : 324 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 566.

التامنارتي، محمد بن **أحمد** الرسموكي، فقيه مشارك، التحق في عهد الطلب بحاضرة مراكش ودرس على مشيختها ثم رجع إلى باديته في تامنارت واستقر بقرية عنق تاسگدلت منقطعاً للتدريس والإفادة. وكانت دروسه متنوعة متينة، شملت قواعد اللغة والحساب والتوحيد والفقه. وأخذ عن عبد الرحمان التامنارتي في صغره قبل أن ينتقل إلى المحمدية (تارودانت). وقال في حقه : "وهو عالم عزيز مثله في البادية". توفي حوالي عام 1020 / 1611.

ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، 44 ؛ م. الحضيگي، *طبقات*، 2 : 48 ـ 49 ؛ م. حجي، *الحركة*، 2 : 620.

التامنارتي، محمد بن **عبد الله** بن عيسى الجزولي، عالم مدرس نفاع صالح، ناصح، متخصص في الحديث، وله فيه سند عال. أخذ عنه عبد الرحمن التامنارتي الحديث المسلسل بالأولية، وحديث المصافحة بسند عال، وحديث الضيافة، وأثر السبحة.

توفي ببلده تامنارت في ربيع الأول عام 1039 / أكتوبر ـ نونبر 1629.

ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، 44 ؛ م. الحضيگي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 334 ؛ م. حجي، *الحركة*، 2 : 620.

التامنارتي، محمد بن **محمد** بن إبراهيم الشيخ، الابن الأكبر لشيخ تامنارت والقائم مقام أبيه بعد موته بأمر التدريس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. تخرج بأبيه ومن في طبقته من علماء سوس، فكان فقيهاً صالحاً لا تأخذه في الله لومة لائم، واشتهرت فتاويه بالدقة، بل بلغ فيها درجة الاجتهاد، حسب قول القاضي عبد الرحمان التامنارتي في *الفوائد الجمة*. وهو من الفقهاء الذين استشارهم قاضي الجماعة بالمحمدية سعيد الهوزالي حين أراد منع بيع الثنيا ببلاد سوس، فاجتهدوا وأفتوا بمنعها خلاف المشهور في المذهب المالكي، وذلك لدرء مفسدة تحايل الناس للوصول إلى الربح الممنوع شرعاً، واتفقوا على أن الثنيا إن كانت شرطاً في صلب العقد فسد البيع إلا أن يفوت بما تفوت به البيوعات الفاسدة. وبهذا الرأي أصدر القاضي الهوزالي منشوراً إلى جميع القبائل السوسية (نص المنشور مخطوط بخزانة تامگروت رقم 1644 ـ ثالث في مجموع). توفي محمد التامنارتي عام 976 / 68 ـ 1569.

م. البعقيلي، *مناقب*، 19 ؛ ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، 73 ـ 74 ؛ م. الحضيگي، *طبقات*، 2 : 9 ـ 11 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 7 : 47 ـ 48 ؛ م. حجي، *الحركة*، 1 : 314 ؛ 2 : 615 ـ 616 ـ 617.

محمد حجي

ابن تامَنْقَارْت، أو تمنقارت (الحاج.) عامل بني مرين على سجلماسة. ورد ذكره عند ابن مرزوق في *المسند*، وقال إنه كان يشغل أيام حكم أبي الحسن المريني منصب الوالي على سجلماسة ودرعة. وساق حوله حكاية تفيد بأنه كان قد زار تلمسان والتقى بمخدومه أبي الحسن المريني، ويبدو أن هذه الزيارة كانت بسبب ما رفع عن هذا الوالي من أمور أوجبت مطالبته بأموال استُظهر بها عليه وقُدرت بأحد عشر ألفاً. إلا أن السلطان أمر بالعفو عنه، وهو ما أدخله ابن مرزوق في باب كرم السلطان أبي الحسن.

م. ابن مرزوق، *المسند*، ص. 189.

عمر بنميرة

التامنوگالي (أيت القائد)، أسرة وجيهة مارست السلطة بواحة مزگيطة انطلاقا من قصبة تامنوگالت على مدى قرون من الزمن. وتكتب في بعض الوثائق المخزنية بالجيم وبدون مد التاء والنون هكذا "التمنجالي". تنحدر هذه الأسرة، تبعاً لما أثبته الفقيه محمد بن لحبيب، من أسرة عربية هاجرت من أنگاد بالمغرب الشرقي إلى درعة (*العقود الجوهرية*، 73) وإذا صح أن هذه الأسرة قد هاجرت إلى درعة من أنگاد، فهل يمكن القول بأن الجد الأعلى لأسرة التامنوگاليين قد يكون من الجماعة التي انضمت إلى السلطان مولاي رشيد العلوي بعد انتصاره على أخيه ببسيط أنگاد سنة 1075 / 1664 م، وأن مولاي رشيد قد عهد لهذا الأنگادي بضبط أمور مزگيطة لدرعة ؟ ولعل الراجح لما ذهبنا إليه أن علاقة أسرة التامنوگاليين كانت وطيدة بالمخزن العلوي، منذ تأسيس الدولة العلوية إلى غاية العقود الأولى من القرن الرابع عشر (20 م) (*وثائق دار القائد التامنوگالي*).

التامنوگالي، القائد **بو بكر** بن عبد الرحمان. تولى قيادة تامنوگالت بعد وفاة أخيه القائد محمد مباشرة، فدشن عهده بالإعلان صراحة عن معارضته القوية لنفوذ عائلة الگلاوي بوادي درعة، وقد انفرد بهذا الموقف من بين شيوخ وقواد وادي درعة الذين كانوا يداهنون أسرة الاگلاوي، التي عادت إلى المسرح السياسي وهي أقوى ما تكون بعد توقيع معاهدة الحماية سنة 1912.

ويتضح من هذا الموقف المتسرع للقائد بوبكر التامنوگالي تجاه أسرة الاگلاوي، أن القائد التامنوگالي، لم يكن على بينة من التطورات السياسية التي طرأت على مستوى السلطة المركزية، حيث عولت فرنسا على إخضاع المغرب واستعماره بالاعتماد على بعض العائلات المخزنية الكبرى مثل عائلة الاگلاوي. ونعتقد أن هذا الموقف المعادي للاگلاوي من القائد بوبكر التامنوگالي له ما يبرره محلياً فقد انفجر الوادي كله من أَقَلأنْ درا إلى محاميد الغزلان، في حالة من الغليان الاجتماعي والفتن بين القبائل، فاختلط الحابل بالنابل، وتعدد الداعون إلى الجهاد ضد النصارى.

وفي خضم هذه الاضطرابات، قام القائد حمو الاگلاوي بإرسال مجموعة من الخلفاء عنه إلى مختلف الواحات بالوادي في محاولة لوضع حد للغليان الاجتماعي، وكان يوجه رسائله إلى خلفائه وشيوخ القبائل باسم المخزن والسلطان، إلا أن مجيئ هؤلاء الخلفاء زاد من إثارة الفتن لتشددهم في استحلاب أموال الناس والتركيز على الحَرْكَات الانتقامية ضد من نُعتوا بكونهم من القبائل العاصية والسائبة.

اعتقد القائد حمو الاگلاوي، أن مجيئه إلى درعة سيضع حدا لمظاهر الفتن والغليان الاجتاعي، لذلك جهز حَرْكَة قوية بمباركة فرنسا ومشاركة بعض ضباطها ومدافعها، فتوجه إلى وادي درعة وأناخ بجيشه على قصبة تامنوگالت يوم 22 محرم عام 1343 هـ/ غشت 1924 م وأمر قواته بإرسال بعض الطلقات المدفعية لإرهاب السكان وإجبارهم على التخلي عن القائد بوبكر. وفي صباح اليوم الموالي خرج سكان تامنوگالت يطلبون الأمان من القائد حمّو يتقدمهم الصبيان بألواحهم وبعض الطلبة من الصالحين والناصريين الساكنين بالقصبة، فقبل القائد حمو شفاعتهم بعدما أمر بعزل القائد بوبكر، وحدد مؤونة الحَرْكَة التي يجب على سكان تامنوگالت دفعها في "ألف مد من الشعير وأربعمائة مائدة من الخبز، ومائة شليف من التبن وأربعمائة كبش، ومائة صاع من السمن ومائة صاع من الزيت، ومائة كاغد من الشمع وما يكفي من الحطب والفحم والخضرة" (*تاريخ درعة*، 46).

وهكذا يكون القائد بوبكر قد دفع الثمن غالياً لمعارضته. وقد ظل القائد بوبكر التامنوگالي بعد عزله، فيما يشبه الإقامة الإجبارية إلى أن توفي سنة 1350 هـ / 1931 م.

التامنوگالي، القائد **الحسن**، اضطربت أحوال قيادة تامنوگالت بعد وفاة القائد عبد الله مباشرة، وكاد الأمر أن ينفلت من أيدي التامنوگاليين بسبب التنافس على القيادة، وقد استطاع محمد بن عبدالقادر الفاسي، صهر آل القائد، أن يضع حداً لهذه الاضطرابات، وحتى تظهر لأصهاره ولغيرهم من المتنافسين أنه لا رغبة له في قيادة تامنوگالت، فقد استقدم الطالب الحسن من محل دراسته فسلم له قيادة أسلافه.

عمل القائد الحسن على تهدئة الخواطر، وأخمد نار الفتن، مرة بالتفاوض وأخرى بالترغيب والترهيب، فانقاد الناس لطاعته، وصالح القائد الگدزي، وقد تطورت المصالحة إلى مصاهرة بين العائلتين، ثم ما لبث القائد الگدزي أن توفي، فضم القائد الحسن التامنوگالي منطقة

أفَلأنْ دْرا (درعة العليا) إلى مجال نفوذه، لكون قائد أكَدز لم يخلف ذكراً يتولى القيادة، وبذلك يكون القائد الحسن قد وسع نفوذ آل تامنوكالت على كل واحة مزكيطة من أفَلأنْ دْرا إلى فم تانسيخْت. ويصف لنا الفقيه بن الحبيب، القائد الحسن فيؤكد أنه كان حسن السيرة، محباً لأهل العلم والصلاح (*العقود الجوهرية*، 74). ويظهر أن القائد الحسن كان بحاجة إلى عنصر ثالث بقصبة تامنوكالت يضمن له نوعاً من التوازن بين القيادة ورعيتها لذلك استقدم بعض مرابطي الزاوية الصالحية والزاوية الناصرية، فأسكنهم إلى جانبه وأفاض عليهم من نعمته.

وإذا كانت عملية استقدام هؤلاء المرابطين تظهر وكأنها أمر عادي جداً، فإن الواقع يؤكد ما سبق أن أشرنا إليه، من كون القائد الحسن التامناكالي كان يعمل لتعزيز عوامل التوازن بمجال قيادته، إذ ما كاد هؤلاء المرابطون يستقرون بتامنوكالت، حتى أسرع القائد الحسن إلى وضع قانون غير مكتوب يهدف به إلى تنظيم أمور القيادة على أسس تحول مستقبلا دون انفجار صراعات داخلية حولها، وهكذا أحدث منصب الخليفة، وحدد مهامه في النيابة المطلقة عن القائد، في حالة غيابه عن قصبة تامنوكالت، والخليفة هو الذي يقود المهنئين والهدية إلى القصر السلطاني في الحفلات الرسمية والأعياد الدينية. والخليفة هو الذي يقود المفاوضات مع القبائل. وحسب هذا القانون العرفي، فالولد الأكبر للقائد هو الذي يتولى هذا المنصب ويتولى القيادة بطريقة مباشرة بعد وفاة القائد (*Les pays inaccessibles*, 24). وحتى يضفى نوعا من المشروعية على منصب الخليفة، فإن علماء مرابطي الصالحيين والناصريين يشكلون جزءاً من الهيئة الاستشارية عند اختيار وتنصيب الخليفة، وليس من حق أي كان من أبناء عمومة القائد أن يناقش هذا التنصيب للخليفة مادام العلماء من المرابطين قد زكوه بدعواتهم الصالحة ومباركتهم للشخص المعين. وقد ذهب القائد الحسن بعيداً في تعزيز سلطته وسلطة أبنائه من بعده، ذلك أنه ربط مصاهرة واسعة مع المرابطين الصالحيين، الذين باتوا يدافعون عن مصالحهم من خلال دفاعهم عن دار القيادة بتزكيتهم للقواد التامنوكاليين أمام السلطان إبان حمل الهدية إلى القصر أو تقديم التهاني في الأعياد الدينية، وهذه التزكية من المرابطين للقائد أمام السلطان ضمان لاستمرار ولاء دار القيادة للسلطان. وقد توفي القائد الحسن بعدما نجح في توطيد أركان قيادة تامنوكالت في تاريخ غير معروف من نهاية الستينات من القرن الثالث عشر الهجري (19 م).

التامنوكالي، القائد **عبد الرحمان**، تولى القيادة بعد وفاة أخيه، وقد عرفت دار القائد التامنوكالي تطورات هامة على عهده. فمن جهة، عاد القائد عبد الرحمان إلى الطريقة القديمة في تولي القيادة بتامنوكالت، وتعتمد هذه الطريقة على الغلبة والقوى، فألغى بذلك القانون العرفي الذي وضعه القائد الحسن، وبهذه الخطوة التي أقدم عليها القائد عبد الرحمان، عرفت دار القائد التامنوكالي سلسلة من النزاعات كادت أن تخرج الأمر من أيدي التامناكاليين.

أما التطور الثاني الذي عاصره القائد عبد الرحمان فيتجلى في صعود عائلة الاكلاوي. ذلك أن هذه العائلة كانت تتطلع لبسط نفوذها على منطقتي دادس ودرعة، منذ أن أصبح الاكلاوي محمد إبيبض، قائدا على تلوات بمقتضى ظهير سلطاني بتاريخ 1273 هـ / 1856 م. إلا أن قواد وشيوخ أيت واوزكيت، وأيت بن حدو وأهل ورزازات حالت دون وصول الاكلاوي إبيبض إلى منطقة الأودية (*Le Haouz*, 313). كان القائد عبد الرحمان التامنوكالي يتتبع عن كثب ما يجري بتلوات، لذلك أرسل ابنه العباس إلى قائد تاوريرت بورزازات، محمد أُوعبو، فتحالف معه ضد الاكلاوي، وبهذه الخطوة يكون القائد عبد الرحمان التامنوكالي قد حدد موقعه في الصراعات السياسية التي تضطرم أنذاك بين قواد وشيوخ الجنوب وعائلة الاكلاوي.

لم يكد القرن التاسع عشر يشرف على النهاية، حتى كان المدني الاكلاوي قد حسم الصراع لصالحه حيث نجح في فتح طريق الأودية، بإخضاعه لشيوخ أيت زينب، وأيت حدو وأهل ورزازات. وقد حاول القائد عبد الرحمان التامنوكالي عقد تحالف واسع مع قبائل إمَغْران المتحكمة في الطريق الرابط بين ورزازات ودرعة في محاولة جديدة للتصدي لتوسع عائلة الاكلاوي، إلا أن هذه التحالفات الجديدة لم تجد شيئاً أمام تعاظم نفوذ المدني الاكلاوي، إن على المستوى الجهوي أو على مستوى السلطة المركزية، لذلك قرر القائد عبد الرحمان التامنوكالي في أخريات أيامه إنقاذ ما يمكن إنقاذه بقيادة قصبة تامنوكالت فأعلن ولاءه للمدني الاكلاوي (*Districts*, 71). وقد توفي القائد عبد الرحمان التامنوكالي، بعد مسيرة حافلة بالدسائس والتحالفات للحفاظ على قيادة أسلافه سنة 1322 هـ / 1904 م.

التامنوكالي، القائد **عبد الله**، لا نعرف أي شيء كذلك عن القائد عبد الله، وقد وصفه الفقيه ابن لحبيب بأنه صنديد وحازم (*العقود الجوهرية*) ويرجح أنه مارس السلطة بتامنوكالت خلال العقود الأولى من القرن الثالث عشر (19م).

التامنوكالي، القائد **علي**، تولى قيادة تامنوكالت بعد عزل أخيه سنة 1343 هـ / 1924 م بأمر من القايد حَمُّو الاكلاوي الذي بات يتصرف في شؤون وادي درعة، باسم المخزن. ويظهر أن القائد علي، لم يستطع نسيان ما لحقه من هوان على يد أسرة الاكلاوي التي صارت تتصرف ترصفاً مطلقاً في تلك الجهات، فاكتفى بقبول القيادة حفاظاً على ما تبقى بدار آل التامنوكالي حتى لا تندثر بشكل نهائي إلى أن يدبر أمره، وهكذا لم تمض إلا بضعة

شهور على تنصيبه قائداً بتامنوگالت، حتى قام برحلة سرية إلى منطقة أزيلال للاتصال بالفرنسيين طالبا منهم التدخل إلى جانبه بدرعة وانقاذ المنطقة من براثن القائد حمو وأتباعه، إلا أن الفرنسيين لم يكونوا ليضحوا بدور الاگلاوي من أجل قيادة تامنوگالت المتراجعة، فحملوا القائد علي إلى مراكش لطلب الأمان من الباشا التهامي الاگلاوي، ولم يكن باستطاعة الباشا أن يرفض هذا الطلب، فأظهر الرضى عن القائد علي الذي عاد إلى قصبة تامنوگالت، وهو يقدر أن الأمر قد انتهى بالنسبة لقيادة تامنوگالت، مثلها في ذلك مثل مشيخات تمداخت وأيت ابن حدو وأهل ورزازات التي أنهت أمرها عائلة الاگلاوي من قبل. وبالرغم من هذا الإحساس فإن القائد علي لم يستسلم للركون في قصبته، بل حاول الاتصال بالقصر الملكي لتجديد عهد أسلافه بالدولة العلوية، إلا أن عيون الاگلاوي على القائد علي، أبلغته بسفره للرباط عن طريق أزيلال، فأبلغ الاگلاوي الفرنسيين الذين تمكنوا من ضبط القائد علي وأحد خدامه المقربين بمدينة الرباط فأعيد إلى درعة.

تزامن تنصيب القائد علي وما قام به من محاولة للتخلص من هيمنة أسرة الاگلاوي بتركيز الفرنسيين عملياتهم العسكرية والسياسية في المناطق الجنوبية وظهور سلسلة من مكاتب الشؤون الأهلية بورزازات وقلعة مگونة وتزناخت (Districts, 90)، وهذه المناطق لها اتصال مباشر بوادي درعة، وفي نفس الوقت كانت القوات العسكرية وشبه العسكرية تشق الطرق لربط هذه المراكز ببعضها البعض، وفي هذا الإطار شُق الطريق الذي يربط بين تزناخت ومزگيطة، والطريق الرابط بين ورزازات ومزگيطة عبر أيت ساوون. وقد كانت فرنسا تسعى من وراء هذه الأعمال إلى اقتحام منطقة الأودية بدادس وتدغة ودرعة والتي كانت تعج بالثائرين على فرنسا (بلقاسم النگادي، علي التازرني) والمعارضين لسلطة آل الاگلاوي بالجنوب.

وكتأكيد من فرنسا على عزمها في بسط سيطرتها على مناطق الأودية، قام الجنرال هوري (Huré) بزيارة لمزگيطة يوم 15 ماي 1930 حيث نزل بطائرته في بسيط من الأرض بالقرب من مركز أگدز الحالي، وقد وجد في استقباله القائد علي التامنوگالي، قائد أهل مزگيطة، والقائد العربي بن عثمان، قائد أولاد يحيى، وقد التزم القائد علي التامنوگالي للجنرال هوري؛ بتسهيل مهمة القوات الفرنسية بمزگيطة، والتزم بنفس الموقف قائد أولاد يحيى (Districts, 91) ويبدو واضحاً أن موقف القائد علي في إعلان رغبته في التعاون مع السلطات الفرنسية كان الدافع من ورائه الانفلات من قبضة آل الاگلاوي والحفاظ على استمرار القيادة بتامنوگالت. وقد رحبت فرنسا بموقف القائد علي وكانت تتطلع إلى خلق تحالف قوي بين قبائل أولاد يحيى وقبائل مزگيطة لمواجهة قبائل أيت عطا والمتحالفين معها في الواحات الجنوبية، خاصة لكتاوة ومحاميد الغزلان حيث وصل إلى الواحتين أتباع بلقاسم النگادي بعد تراجعهم أمام القوات الفرنسية بتافيلالت.

وفي فاتح يناير من عام 1931، قام القبطان سبّلمان (الذي يعرف محليا بالقبطان سليمان) بالوصول إلى موقع أگدز الحالي، فشرع في بناء مقر مكتب الشؤون الأهلية. وقد جاء القائد علي التامنوگالي صحبة أعيان أهل مزگيطة للسلام عليه والتأكيد على الوفاء لما التزم به الجنرال هوري في السنة الفارطة. إلا أن الرياح تجري بما لا تشتهي السفن بالنسبة للقائد علي، ذلك أن الباشا التهامي الاگلاوي دخل في صراع سياسي مع القبطان سبلمان، خرج منه الباشا الاگلاوي منتصرا حيث تم نقل سبلمان من وادي درعة (Souvenirs, 127) وكان سبلمان متعاطفاً مع القيادات المحلية، لذلك ما كاد سبلمان يغادر المنطقة حتى وجد القائد علي نفسه وجهاً لوجه مع الاگلاوي من جديد. وبالرغم من أن الباشا الاگلاوي لم يستطع اتخاذ أي إجراء ضد القائد علي، فإن سياسة الإهمال التي وجه بها القائد علي جعلته يلتزم منزله إلى أن وافته المنية في تاريخ لم نتمكن من تحديده.

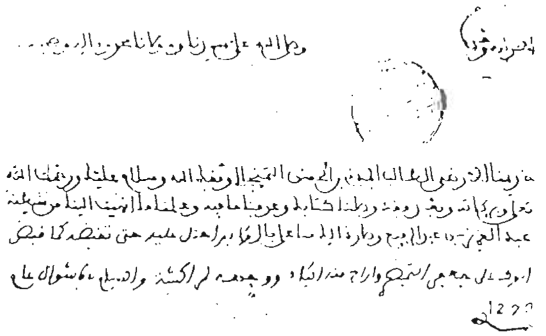
التامنوگالي، القائد **محمد** بن عبد الرحمان، تولى قيادة تامنوگالت بعد وفاة إبيه مباشرة بعهد منه. ويصفه صاحب *العقود الجوهرية* بأنه كان يتلو كتاب الله (*العقود الجوهرية*، 76)، اقتفى أثر أبيه في تدبير شؤون أهل مزگيطة. حاول القائد محمد التامنوگالي تحسين مركزه عند عائلة الاگلاوي، لذلك نجده قد وجه كتيبة من أهل درعة سنة 1325 / 1907 م للمشاركة إلى جانب قوة الاگلاوي في نصرة السلطان مولاي حفيظ في صراعه مع مولاي عبد العزيز. وبالرغم من هذه المشاركة، فإن قيادة تامنوگالت تبقى بالنسبة لعائلة الاگلاوي القيادة المعارضة، ويجب التعامل مع آل التامنوگالي على هذا الأساس، لذلك ما كاد المدني الاگلاوي يعين وزيراً أكبر حتى عين ابن أخيه القائد حمُّو الاگلاوي، قائدا على الجنوب كله من قصبة تلوات بالأطلس الكبير إلى محاميد الغزلان على مشارف الصحراء الكبرى، وكان على القائد محمد التامنوگالي أن يخضع للأمر الواقع إن هو أراد البقاء في قيادته والحفاظ على مكتسبات أسلافه.

كان المدني الاگلاوي يعرف جيداً عمق المعارضة لعائلته بوادي درعة والمناطق المجاورة، إلا أنه أجل البث في أمر رؤوس المعارضة من القواد والشيوخ إلى حين، متذرعا بانشغاله بأمور الوزارة الكبرى وما تتطلبه السلطنة الحفيظية من حيطة وحذر في تدبير شؤون الدولة، فكان يكتفي بإرسال أوامره إلى قواد الجنوب مذيلة باسمه كوزير أكبر، وفي هذا التذييل دلالة واضحة على سطلته الجديدة، وإشارة بليغة إلى المناوئين لنفوذ عائلته وسلطتها، ليس بوادي درعة فحسب، وإنما في كل المناطق الممتدة جنوب وشرق ورزازات. إلا أن عزل المدني الاگلاوي من منصبه سنة

1911، خفف من الضغط النفسي على القائد محمد التامنوگالي الذي كانت أسرته تشكل أقوى معارض لآل الاگلاوي بدرعة، ومن حسن سياسة التامنوگالي أنه لم يتسرع في اتخاذ مواقف معادية صريحة من الاگلاوي، بل فضل الانتظار، واكتفى بتدبير شؤون واحة مزگيطة إلى أن وافته المنية سنة 1334 هـ / 1915 م.

التامنوگالي، القائد محمد الكبير، لا نكاد نعرف عنه أي شيء، اللهم ما كان من إشارات خفيفة عند الفقيه ابن لحبيب، فقد ذكر أن القائد محمداً هذا كان معاصراً لسيدي أحمد بن صالح الاكتاوي (توفي 1149 / 1736 م) وعلى هذا، فإن القائد محمد قد يكون معاصراً للسلطان مولاي إسماعيل العلوي.

التامنوگالي، القائد المدني، كان خليفة لأبيه القائد الحسن، فلما توفي هذا الأخير، تولى المدني قيادة تامنوگالت، فاقتفى أثر والده في حسن السيرة والمساعدة مع أهل مزگيطة (*العقود الجوهرية*، 76). ويبدو أن القائد المدني، نجح إلى حد كبير في الحفاظ على استقرار مزگيطة وضبط أمورها بتصديه لمثيري الفتن والتشغيب، والقضاء عليهم، وقد كان المخزن يبارك أعمال القائد المدني ويشجعه على ضبط أمور منطقته لضمان استقرار سكانها، فقد ورد في إحدى الرسائل المخزنية من السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام ما يلي : فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه وعلمنا ما أنهيت إلينا من شيطنة عبد العزيز بن عبد الرفيع، وصار ذلك منا على بال. ولا بد احتل عليه حتى تقبضه كما قبض أبوك على جعفر التمضري ووجهه لمراكشة والسلام في 6 شوال عام 1273 / 1856.



ولما اشتدت الضغوط الاسبانية على السواحل المغربية سنة 1277 / 1860، توصل القائد المدني التامنوگالي برسالة طويلة من السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، يحض القائد على استنفار أهل درعة للمشاركة في الجهاد وحماية بيضة الإسلام بهذه الديار. ونستشف من عدد من المراسلات المخزنية التي توصل بها القائد المدني التامنوگالي، أن واحة مزگيطة كانت تتمتع بنوع من الاستقرار على عكس باقي الواحات الجنوبية بدرعة والتي كانت تعيش حالة من الفراغ السلطوي نتيجة تشغيب قبائل أيت عطا على العمال المخزنيين.

وإذا كان القائد الحسن استقدم المرابطين من زاوية سيدي صالح وزاوية بناصر إلى تامنوگالت، فإن القائد المدني قد استقدم بعض الأشراف العلويين من قصر تمتيگ بفزواطة، لخلق توازن جديد داخل قصبة تامنوگالت بعد أن أصبح الصالحيون يكونون جزءاً من البنية السياسية الداخلية بتامنوگالت على إثر مصاهرتهم مع آل القايد. وقد توفي القائد المدني سنة 1295 / 1878.

الفقيه محمد بن لحبيب التامنوگالي، *العقود الجوهرية*، مخطوط خاص ؛ الطيب بن لحبيب، *تاريخ درعة*، مخطوط خاص ؛ مجموعة وثائق وظهائر توجد في حوزة حفدة وأبناء القائد التامنوگالي.

G. Spillmann, *Les pays inaccessibles du Haut Draa* ; *Districts et tribus de la haute vallée du Draa* ; *Souvenirs d'un colonialiste* ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*.

التامنوگالي، محمد بن الحبيب، عرّف هذا الفقيه بنفسه، فذكر بأنه تامنوگالي النشأة، تيَرْسوتي الأصل، رگراگي النسب (*العقود*، 31). وهكذا يتضح أن أصل هذا الفقيه هو قصر تيرسوت بواحة ترناتة على بعد حوالي سبعين كيلومتراً جنوب قصبة تامنوگالت.

وجده محمد بن الحاج هو الذي انتقل من ترناتة إلى مزگيطة، فنزل بقصبة تامنوگالت تحت حماية ورعاية القايد الحسن التامنوگالي، وذلك في أواسط القرن الثالث عشر (19 م). فقد وهب القائد الحسن داراً تعرف بدار سيدي محمد بن الحاج، وأقبل على تعليم القرآن بالمسجد الكبير بقصبة تامنوگالت "فنفع إليه به الخاصة والعامة، وانتهت إليه الرآسة القرآنية، وقصده الناس من كل فج" (*العقود*، 75).

نستشف من هذه الإشارة أن محمد بن الحاج التيرسوتي انتقل إلى تامنوگالت بقصد تعليم القرآن لأبناء القائد وغيرهم، وهي المهمة التي ظل أبناء التيرسوتي وحفدته يحتفظون بها إلى اليوم.

ولد محمد بن الحبيب بقصبة تامنوگالت عام 1323، فتعلم مبادئ القراءة على بني قومه بمساجد القصبة، فلما استد عوده أقبل على تعلم العلم، فبدأ بعلم القراءات على يد صهره محمد بن علي الغرغري الذي كان يدرس *الدرر اللوامع في قراءة الإمام نافع*، وعن هذا الفقيه أخذ المبادئ الأولية في الفقه وعلوم الشريعة، ودرس كتب الصحاح في الحديث (*العقود*، 32-45) إلا أن تخرجه النهائي على يدعالم تامنوگالت وقاضي مزگيطة في وقته محمد المكي الناصري أجازه إجازة عامة.

توجه محمد بن الحبيب بعد تخرجه إلى ممارسة التدريس، فسافر إلى مراكش، وعلّم القرآن الكريم في بعض كتاتيبها بجامع المواسين وزاوية مولاي عبد الملك (*أعلام درعة*) وكان يستغل وجوده بمدينة مراكش ليحضر بعض الحلقات العلمية بجامع بن يوسف، إلا أنه لم يدون لنا

أي شيء عن الحلقات العلمية التي كان يحضرها والشيوخ الذين أخذ عنهم.

خلف محمد بن الحبيب عدة أراجيز في التوحيد والمديح والرثاء، إلا أن أهم انتاج له هو كتاب *العقود الجوهرية في الأنباء الدرعية*، من القطاع المتوسط عدد صفحاته حوالي 85 ص ولايزال الكتاب مخطوطا وتوجد بعض النسخ منه عند أبناء المؤلف بمراكش وتامنوگالت. وقد ألف هذا الكتاب بإشارة من محمد المختار السوسي كما جاء في مقدمة الكتاب، وهو الأمر الذي أكده المختار السوسي في الترجمة القصيرة التي كتبها لمحمد بن الحبيب الذي يعتبر واحداً من مريدي الطريقة الدرقاوية.

توفي محمد بن الحبيب بقصبة تامنوگالت بواحة مزگيطة سنة 1362 / 1943.

محمد بن الحبيب نفسه، *العقود الجوهرية*، مخطوط ؛ المهدي الصالحي، *أعلام درعة* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 16 : 344.

أحمد البوزيدي

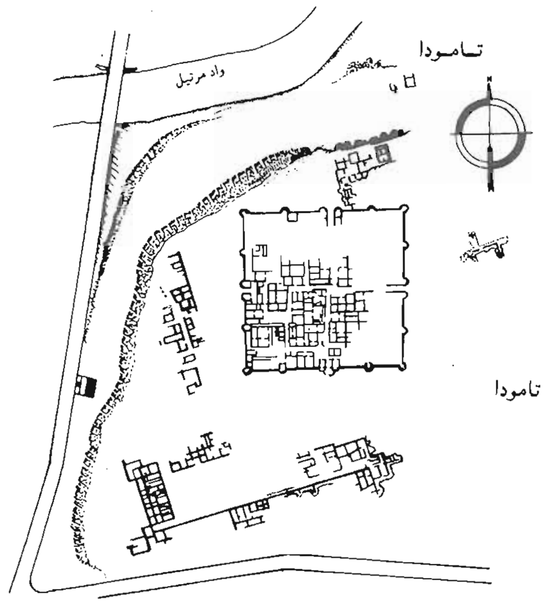
تامودا، مدينة أثرية تقع على سهل مارتيل الضيق على الضفة اليمنى للواد الذي يحمل نفس الاسم (مارتيل). يحدها جبل الحوز من الشمال، والمنحدرات الأولى لجبل كلتي من الجنوب. تبعد عن مدينة تطوان من ناحية الجنوب الغربي بخمسة كيلومترات، وعن شاطئ البحر الأبيض المتوسط بخمسة عشر كيلومترا.

واسم تامودا محرف عن "تامدا" الأمازيغي الذي يعني الغدير أو المستنقع العميق (واد مرتيل) (Besnier, 1904, p. 28). ورد هذا الاسم في مؤلف بلينيوس، الذي يشير إلى اسم مدينة واسم نهر بعبارة "Flumen Tamuda navigabile, quondam et oppidum" (Pline, 5, 18). أي : "واد تامودا صالح للملاحة والمدينة القديمة التي تحمل نفس الاسم". لكن المدينة لم تكن توجد في وقت بلينيوس، لهذا يقترح C. Muller أن تقرأ هذه الإشارة الواردة عن مدينة تامودا كالتالي : واد تامودا، الذي كان صالحا للملاحة من قبل والمدينة تحمل نفس الاسم. ويكتفي بطليموس بالإشارة إلى الواد (النهر) الذي يسميه (Ptolémée, H. Xnousx, 4, 1, 3).

وكذلك الشأن بالنسبة لپمپيوس ميلا، إذ يشير إلى تامودا في إحدى فقراته الغامضة. اقترح (Besnier, 1904, p. 28) عوض أن تقرأ Goldavo du Britania والتي لا معنى لها، أن تستخرج مجموعة من الإشارات الدالة على بعض المواقع المعروفة وهي (Gilda, Vobri, Tam(ud)a) أما ما نسميه (La notitia dignitatum) (بداية القرن الخامس بعد الميلاد) في إحدى الفقرات الخاصة بموريطانيا الطنجية (20. 26 ,0)، حيث يشير إلى وجود فرقة عسكرية من الفرسان المعروفة "بهركيلاي بتموك". هذا الاسم الأخير يجب كما أشار إلى ذلك R. Cagnat أن يقرأ أو يصحح بتمودا (R. Cagnat, 1912, p. 763).

أما لوائح الاپيسكوپال فتشير إلى تامودا بالعبارة التالية : Tamudensis épiscopus. وبالإضافة إلى هذه المجموعة من الإشارات التي وردت في حق هذه المدينة، هناك مجموعة أخرى من الوثائق التي حملت هي أيضا إسم تامودا وهي النقود وخاصة النقود المعروفة بالبونية أو البونيقية الجديدة، التي ربما ضربت أو سكت بالمدينة نفسها. نقرأ على هذه النقود غالباً العبارات التالية : tmcot, tmo, t.mt. والتي يمكن أن تؤول حسب J. Mazard كالتالي : تامودا، أو تاموكدتا. وتضاف إلى هذه المجموعة من الإشارات عبارات أخرى هي : tadha, tomt (J. Mazard, 1955, p. 178 - 179, N° 581 à 588 ;). وهناك نقش حجري واحد باللاتينية يحمل اسم تامودا على صيغة المفعول به (T)amudam (J. Gascou, 1982, p. 47 - 48).

تمّ اكتشاف موقع تامودا سنة 1920، وسمي إذاك بالصويّر، وبوشرت الحفريات بعد ذلك بقليل تحت إشراف لويس سيزار دو مونتالبان (L.C. De Montalban) وبعد ذلك تحت إشراف كنطيرو P. Quintero من سنة 1940 إلى سنة 1944 (Tarradell, 1966, p. 440). لقد كشف دو مانتالبان عن المحيط الخارجي للسور، وكذلك عن الربع الجنوبي من نفس البناء، إلا أن نتائج هذه الحفريات لم يتم نشرها بل اكتفى الباحث بالإشارة إليها في تقرير حرر عام 1933 بطريقة حكائية، يستحيل استعمالها، لانعدام الوثائق والرسوم التي تطابق مختلف التوضيحات المستعملة، (Lenoir, 1980, p. 169).



وفي سنة 1943 كشف كنيطيرو P. Quintero عن داخل الباب الغربية، كما أنه بادر بالتنقيب عن المقبرة (P. Quintero, 1943, p. 12 - 13 ; Tarradell, 1953, p. 28) ومن بين الأوائل الذين اهتموا بمعسكر تامودا نجد موران (P. Cesar Moran) الذي قام بمجموعة من التنقيبات الأثرية بموقع تامودا التي تم نشر نتائجها بمجلة تامودا (P. Cesar Moran, 1948).

أما الباحث الاسباني طاراديل (M. Tarradell) فلم يأخذ على عاتقه الحفريات بموقع تامودا إلا سنة 1948، وذلك لمدة عشر سنوات، أي إلى غاية 1958. فهو أول من أشار إلى أن هناك مرحلتين في حياة المدينة.

- المرحلة الموريطانية التي حظي فيها الموقع بمكانة أو بوضعية المدينة.

- ثم المرحلة الامبراطورية السفلى التي حظي فيها الموقع بأهمية عسكرية أكثر من المدينة (Tarradell, 1949, p. 86 - 100 ; 1953, p. 28) يعتبر طاريديل قلعة أو معسكر (Castellum) تامودا إحدى منجزات الامبراطور ديوكليتيان (Dioclétian) وخاصة بعد أزمة القرن الثالث بعد الميلاد (Tarradell, 1955, p. 90 ; 1956, p. 84).

في سنة 1958 عندما زار سيسطون (W. Seston) موقع تامودا لاحظ بأن المعسكر قد بني على أنقاض المدينة الموريطانية المؤرخة بالقرن الثاني قبل الميلاد (M. Euzennat, 1960, p. 534) أما المعسكر نفسه فيؤرخ بالقرن الثالث بعد الميلاد. وقد شجعت ملاحظة سيطيون الباحث طاراديل على إجراء مجموعة من الاستبارات للمراقبة ومحاولة تدقيق وتحقيق المعطيات الأثرية. أجريت هذه الاستبارات سنة 1958 وعددها ثلاثة يقدم نتائجها كالتالي : "سمحت لنا هذه الاستبارات بأن نبين كما افترضنا ذلك قبل، بأنه يوجد مستوى بالمعسكر سابق لما هو بارز على السطح. هكذا وجدنا بقايا بعض الجدران وبعض اللقى خاصة الفخارية المؤرخة بالقرن الثاني وبداية القرن الثالث بعد الميلاد. نتوفر إذن على أدلة تبين أن معسكر تامودا ينتمي إلى فترتين مختلفتين. الأولى أسست في إحدى الفترات غير المضبوطة من القرن الثاني، وبدون شك في بدايته. وإلى هذه الفترة ينتمي السور خاصة في حالته البدائية، وبروجه وزواياه، كما يظهر من خلال مميزات المعسكرات التي تنتمي إلى الامبراطورية العليا. أما الفترة الثانية، فهي تنتمي إلى القرن الثالث بعد الميلاد، ودام التعمير بها غاية القرن الرابع بعد الميلاد، ممثلة بالمستوى الأعلى من هذا المعسكر" (Tarradell, 1958, p. 379). ويشير الباحث فيما بعد إلى مجموعة من الفرشات الأثرية التي تتدرج ما بين القرن الأول والثاني بعد الميلاد إلى غاية انتهاء السيطرة الرومانية (Tarradell, 1966, n° 16, p. 440).

لقد بينت الحفريات خارج المعسكر، وبالضبط فوق المدينة الماقبل رومانية، على مجموعة من البنايات التي تنتمي للفترة الرومانية، بدون أن يتم تأريخ الفترات التي تنتمي إليها بدقة. لا يستبعد أن تكون مجموعة من المنازل (Canabae) قد أسست أو أقيمت بجوار المعسكر (Lenoir, 1980, p. 171). يضاف إلى هذا وجود حمامات بجوار الباب الجنوبية، وكذلك خزان للمياه بمركز المدينة (Tarradell, 1953, p. 31).

أما الحفريات التي أقيمت في المدينة الموريطانية، فقد مكنت من إظهار مجموعة من المقابر الرومانية، وبالضبط غربي الساحة المستطيلة للمدينة. أبانت هذه الحفريات عن جبانة ذات مستويين من المقابر (Tarradell, 1953, p. 32).

وفي سنة 1963، أجرت مصلحة الآثار تنقية دقيقة للموقع، مكنت من العثور على قطعتين نقديتين ذهبيتين وأخرى من البرونز، تؤرخ بفترة الامبراطور أونوريوس Honorius (N. El Khatib, 1964, p. 367) وآخر بحث أجري بالموقع قام به لونوار (Lenoir) وذلك سنة 1979 في إطار دراسة عامة، موضوعها "المؤسسات العسكرية بإفريقيا"، مكنته من جمع الكثير من الملاحظات حول معسكر تامودا (Lenoir, 1980, p. 169 - 176).

يمكن أن نستخلص من خلال هذه المعطيات الأثرية المتفرقة المشار إليها، أن مدينة تامودا هي مدينة بونية موريطانية، أسست خلال القرن الثاني قبل الميلاد. إلا أننا لا نتوفر على كثير من الأدلة الأثرية عن هذه الفترة، وذلك لأن مستويات هذه المدينة لم يتم التنقيب عنها. لقد تم تحطيم هذه المدينة خلال النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد بدون شك، خلال الحرب التي دارت بين العاهلين الموريطانيين بوغود وبوكوس حوالي 38 قبل الميلاد (Euzennat, 1976, p. 876) وقد تم إعادة بنائها بعد ذلك بقليل (Tarradell, 1966, p. 344).

فيما يخص هذه المدينة، تساءل Thouvenot حول تصميم مدينة تامودا العمراني المنظم إذ اقترح أن يقربه من تصميم المستعمرة الرومانية "بناصا"، وأن يدخل ذلك ضمن إنجازات "يوبا الثاني" في بداية حكمه (Thouvenot, 1950, p. 140).

لقد وقع تحطيم مدينة تامودا ثانية، وذلك حوالي الأربعينيات بعد الميلاد، خلال ثورة أيدمون الشهيرة، التي كانت كنتيجة لاغتيال الملك بطوليمي، وضم موريطانيا للامبراطورية الرومانية. وحسب بعض الإشارات الواردة في أحد أبحاث طراديل (Tarradell, 1954, p. 237 - Tarradell 344)، فأن انعدام اللقى الأثرية التي يمكن أن تؤرخ هذه الفترة تحمل الدليل القاطع عن التحطيم النهائي الذي عرفته المدينة خلال هذه الفترة. وهذا يعني انعدام التعمير أو الاستقرار خلال القرن الأول بعد الميلاد.

والتساؤل الذي يطرح هو : هل بعد تحطيم موقع تامودا كنتيجة لثورة أيدمون، استمر التعميم والاستقرار بهذا المركز ؟ إذا كانت المعلومات التي أوردها مختلف الباحثين الذين اهتموا بالموقع لم تشر إلى هذه الفترة، فإن دراسة مختلف اللقى الأثرية وخاصة الفخار المستورد (H. Limane, 1988, p. 560) قد حملت الدليل على الاستقرار بهذا الموقع وخاصة خلال النصف الثاني من القرن الأول بعد الميلاد. ويكمن هذا الدليل في وجود مجموعة لا بأس بها من الأواني الفخارية االمستوردة والتي تؤرخ بهذه الفترة.

Pline, *Histoire naturelle*, V, 18 ; Ptolémée. *Géographie*, éd. Carl Muller, 4, 1, 3 ; Pomponius Mela, *Geographia*. éd. C. Frick, 3, 107 ; Besnier, *Géographie ancienne du Maroc. A.M.*. 1904 ; N. El Khatib,

L'archéologie marocaine de 1961 à 1964, *B.A.M.*, V, 1964 ; M. Euzennat, *Tamuda*, *The Princeton Encyclopedia of classical sites*, R. Stillwel éd., Princeton, 1976 ; *L'archéologie marocaine de 1958 à 1960*, *B.A.M.*, IV, 1960, p. 534 ; J. Gascou. *Inscriptions antiques du Maroc*. 2. *Inscriptions latines*, Paris, 1982 ; M. Lenoir, *Les établissements militaires romains d'Afrique*. mémoire de l'Ecole Française de Rome, Rome, 1980 ; H. Limane, *Contribution à l'étude des sigillées d'importation en Maurétanie Tingitane des Ier et IIème siècles*, *Etude du matériel de Lixus. Banasa. Tamuda*, Thèse présentée à l'Université d'Aix-Marseille, 1988 ; J. Mazard. *Corpus Nomurum Numidiae Mauretaniaeque*, Paris, 1955 ; P. Cesar Moran et C. Gimenez Bernal, *Excavaciones en Tamuda, 1946*, Tétouan, 1948 ; P. Quintero, *Excavaciones en Tamuda*, 1943, p. 12 - 13 ; M. Tarradell, *Estado actual de nuestros conociomientos sobre Tamuda y resultades de la campaña, 1948*, *Archivo Español de Arqueologia*, *74*, 1949, p. 86 - 100 ; *Guia arqueologia del Marruecos español*, Tétouan, 1953 ; *Datos sobre la guerra de los romanos contro Aedem*, *El primero congreso arquelogico del Marruecos español*, Tétouan, 22 - 23 Juin 1953, p. 237 - 244 ; *Tamuda* II, 1955, p. 90 ; *Excavaciones de Tamuda, 1949 - 1955* ; *Tamuda* IV, 1956 ; *Breves noticias sobre las excavaciones*, *Tamuda*, VI, 1958, p. 379 ; *Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc, région de Tétouan*, *B.A.M.*, VI, 1966 ; R. Thouvenot, *Promenade archéologique au Musée de Tétouan*, *R.E.A.*, LII, 1950, p. 140.

حسن ليمان

تامودا Tamuda، مجلة للأبحاث المغربية باللغتين الإسبانية والعربية، أحدثتها نيابة التربية والثقافة التابعة للإقامة العامة الإسبانية بتطوان في شهر يوليوز سنة 1953 حيث صدر العدد الأول منها، وكانت تصدر مرتين في السنة، فقد صدر العدد الثاني منها في ديسمبر من نفس السنة، ثم صدر في السنوات الخمس التالية عشرة أعداد (المجموع أثنا عشر عدداً).

وابتداء من سنة 1959 توحدت مع مجلة **هيسبريس** *Hespéris* الرباطية فأصبحت المجلة المنبثقة عنهما تحمل اسم **هيسبريس تمودا** *(Hespéris Tamuda)*. وكانت هيأة تحرير مجلة تامودا مؤلفة من نائب التربية والثقافة كرئيس (من عدد 1 إلى 7) ثم خلفه نائب وزير المعارف بالشمال السيد محمد عزيمان الذي كان من قبل عضواً بهيأة التحرير، وأما الكاتب فكان هو مدير الخزانة العامة بتطوان، وتضم هيأة التحرير إسبانيين ومغاربة، منهم : عبد الله گنون ومحمد ابن تاويت التطواني.

وكان للمجلة ملحق أدبي يصدر مرتين في السنة تحت عنوان كتامة (Ketama).

Tamuda, Revista de investigacion Marroqui, Tetuan ; Ibn Azzuz Hakim, *La prensa del Norte de Marruecos*, Tetuan, 1956.

محمد ابن عزوز حكيم

تامَوْرُوتْ، أهم قرية بقبيلة بني خالد الغمارية (إقليم شفشاون) يعقد فيها سوق كبير كل يوم خميس، سميت باسمها جماعة قروية. وقد لعبت هذه القرية دوراً مهماً في المقاومة المسلحة ضد الغزو العسكري الإسباني في عهد الحماية، ولم تسقط بيد الجيش الإسباني إلا يوم 27 غشت سنة 1926 واسترجعها المجاهدون يوم 7 شتنبر من نفس السنة، واستطاع الإسبان الاستيلاء عليها مرة ثانية بعد يومين. وقد قام المغاربة بعدة محاولات من أجل استرجاعها دون جدوى.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 108، 132، 133.

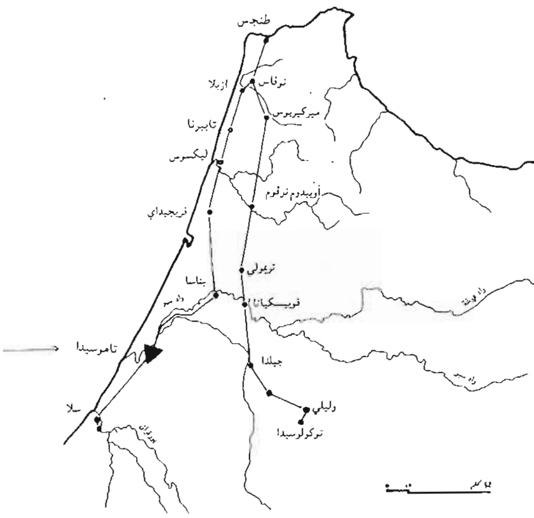
Comision historica, 40, 46, 95, 166 ; Martinez Campos, *España belica*.

محمد ابن عزوز حكيم

تاموسيدا أو تموسيدا (Thamusida) موقع أثري، كان لشارل تيسو السبق في اكتشافه ومطابقته بضريح سيدي علي بن أحمد على الضفة اليسرى لنهر سبو مستنداً في ذلك على "مسلك أنطونان". وقد أعيد النظر في هذه المطابقة من طرف الباحث لكنه وقع في خطإ حيث خلط بين تاموسيگا التي يتحدث عنها بطليموس جنوب سلا (IV, 1, 2) والتي طابقها كل من ڤيڤيان دوسان مارتان وتيسو بالصويرة، وبين تاموسيدا التي توجد شمال سلا، إلا أن الباحث روني ربيفا عاد ليؤكد على المطابقة التي قام بها شارل تيسو ولكنه أضاف بأنه "لا يمكن أن نقرها بصفة نهائية إلا بعد أن تكشف الحفريات عن شهادة إبيغرافية تدعم ذلك (IAM, 2, p. 159).

توجد تاموسيدا على الضفة اليسرى لنهر سبو حيث تبعد عن القنيطرة بأحد عشر كلم وقد اقترن موقعها باسم ضريح يحتل إحدى القمم وهو ضريح سيدي علي بن أحمد.

وقد ورد ذكر تاموسيدا في النصوص القديمة تحت



أشكال مختلفة، ففي مسلك أنطونان، 7 نقرا Thamusida وانها توجد على مسافة متساوية بين بناسا وسلا. أي 32 ميلا = 48 كلم تقريبا، (R. Roger, *Le Maroc*..., p. 40).

وعند جغرافي راڤينا، نجد الأشكال التالية : ,Tamadisa Thamasida وTamudisa.

فعند سرده لمدن الساحل الطنجي من الجنوب نحو الشمال (V,4) نجد شكل Tamusida.

وفي الفقرة (3.11) تيول في موريطانيا توجد عدة مدن سأذكر بعضها :

"... Tremulas, septem Fratres, Thamasida, Sala..."

أما الجغرافي بطليموسي (IV, 1, 7) فيوطنها بين خطي (34' ,7° و15' ,34°)، يعني شمال شرق سلا وجنوب غرب بناسا، وقد حدد موقعها بالمقارنة مع إحداثيات باقي المدن. وكتبت عند بطليموس تاموسيدا بالحروف اللاتينية.

إذن هناك اختلاف بين الكتاب القدماء حول كتابة

اسم الموقع إلا أن الشكل Thamusida يبدو أكثر قبولاً خاصة وأننا نجد مدناً أخرى في شمال إفريقيا تقترب إليها في طريقة الكتابة مثل : Thamugadi وThamallula كما أنه يمكن تسجيل كثرة الأسماء التي تبتدئ بحرف Th. على المستوى الابيغرافي لا نتوفر على أي نص منقوش يزيل هذا اللبس في الكتابة، كل ما لدينا هو نقيشة مبتورة (IAM, 266) تحمل حروف [...]Th والتي رمّمها الباحث ريفا على أنها بقايا كلمة Th (amusida) إلا أنها تبقى فرضية فقط في انتظار إثبات إبيغرافي أكثر ضبطاً.

أما ما يخص تاريخ الحفريات بالموقع : فقد سبقت مراحل التنقيب، مرحلةٍ تميزت بمحاولات للبحث عن الموقع انتهت سنة 1932 حيث عرفت تاموسيدا زيارة عدد من الباحثين في إطار مهمات مثل بعثة سنة 1913 تحت إشراف ضباط المصلحة الطبغرافية وهم Toutain, Fossard وVallassez، كما أرسلت بعثتان أُخريان سنة 1914، الأولى تحت إشراف المراقب المدني G. Rouger والثانية تحت إشراف Le Dautéc الذي قام بوضع أول تصميم للمدينة.

لقد اقتصرت الفترة الأولى على ملاحظات عامة كالتركيز على مطابقة ضريح سيدي علي بن أحمد بتاموسيدا والمطالبة بحماية الموقع من النهب وكذا وضع التصاميم الأولى التي استغلتها البعثات الأثرية اللاحقة. لكن الحفريات المنتظمة لم تبدأ بموقع تاموسيدا إلا سنة 1932 تحت إشراف A. Ruhlman وL. Chatelain وانتهت سنة 1935. ولحقتها حفريات ثانية ابتدأت مع سنة 1952 تحت إشراف R. Thouvenot وM. Euzennat وانتهت سنة 1955. أما المرحلة الثالثة والممتدة من 1959 إلى 1962 فقد كانت تحت إشراف المدرسة الفرنسية بروما وبقيادة كل من J.P. Callu, Euzennat وR. Rebuffat وJ.P. Morel، وشكلت نتائج هذه الحفريات المادة الخام لمؤلف هام حول هذه المدينة صدر في 3 مجلدات (Thamusida I, II, III) تحت إشراف المدرسة الفرنسية بروما.

- أسفرت حفريات 1932 عن نتائج هامة حيث تم الكشف عن عدد من المباني منها المعبد المربع والمذبح والمنزل المعروف تحت اسم منزل L. Nigidius Albanus وفي سنة 1933 شرع البحث في الحي الشرقي حيث عثر على عدد من الغرف المقامة على طول الطريق الرئيسي (Decumanus Maximus).

وفي سنة 1962 تم الكشف عن المنزل المبلط Maison au dallage ومكنت الاستبارات من التعرف على الطريق الرئيسي، ووسعت حركة الاستبارات حيث رأت النور عدد من المعالم الأخرى كالحمامات التي أثارت فضول Le Dautec والمراقب المدني G. Rouger.

أما تنقيبات سنة 1952 فقد اتخذت كمنطلق لها تنقيبات سنة 1932 ووسعتها نحو الشرق أسفرت عن إثبات وجود حمامات كبيرة. أما بعثات المدرسة الفرنسية التي ركزت أيضاً على الحمامات خلال فترة 1961 - 1962 فقد اهتمت بالأماكن التي تم حفرها وقامت باستبارات أخرى فأسفرت النتائج عن العثور على مدخل كبير (Grand exherdre) ومجمع المياه (Grand egout collecteur). إن أهمية هذه الحمامات تكمن في كونها تعتبر من "أوسع حمامات المغرب القديم" حسب الباحث توڤنو (BCTM, 1959 - 60, p. 150) كما أنها تنفرد بخصوصيات أخرى على المستوى المعماري.

اهتمت الأبحاث ابتداء من سنة 1935 بالمعسكر وعملت على كشف تخومه الجنوبية والشرقية إلى جانب أبراجه وبعض الغرف المجاورة للبريطوار (Braetorium).

- ونظراً لأهمية الاستبارات، فقد ارتأت المدرسة الفرنسية القيام بمجموعة اختلفت من حيث أشكالها وأحجامها، نذكر على الخصوص Sondage en croix واستبار النهر لكن أهمها هو الاستبار على شكل V الذي أقيم سنة 1960 جنوب الحمامات، ومكن هذا الاستبار من اكتشاف أولى الأواني الكامبانية ومواد خزفية وبرونزية ونقود بالإضافة إلى بعض النقائش ساهمت في الإجابة عن بعض الأسئلة المتعلقة بالعلاقات في إطار التبعية لروما أو مع مدن موريطانيا الطنجية.

مكنت إحدى المستويات الأثرية أثناء البحث عن تاريخ المدينة من اطلاعنا على وجود سكن للأهالي لا يمكن أن يتجاوز القرن الثاني ق م. وقد اقتصر مجتمع تاموسيدا في هذه الفترة على المقايضة وعرف نوعاً من الانكماش وظل نشاط المدينة ضعيفاً إلى حدود إلحاق موريطانيا من طرف الامبراطور كلوديوس (القرن I م) ثم أصبحت مدينة بكل مقوماتها فيما بعد.

عرفت تاموسيدا كقاعدة عسكرية (Garnison) على الفرق كما تطلعنا أيضاً على الفرق التي كانت في حالة عبور فقط.

أما الجانب الديني فيبدو أقل حضوراً يظهر ذلك من خلال العدد القليل من النقائش التي عثر عليها فلا نتوفر سوى على نقيشتين مهداتين للآلهة، الأولى موجهة إلى الربة جوتون (IAM, 2, 247) مؤرخة بالقرن I م والثانية عبارة عن صفيحة برونزية ذات طابع عسكري موجهة إلى جوستير الكابتولي من طرف إحدى الفرق العسكرية التي تطلب حمايته.

يمكن القول إجمالاً بأن أهم مجموعة ابيغرافية هي تلك التي أفرزتها حفريات 1959 - 1962 والتي تم نشرها من طرف J. Marion, Euzennat في النشرة الأثرية المغربية لسنة 1960 ومن طرف J.P. Callu, Morel وRebuffat في مؤلف تاموسيدا I.

M. Euzennat, J. Marion, *Inscriptions antiques du Maroc*, 2 - *Inscriptions latines*, CNRS, Paris, 1982 ; M. Euzennat, Les voies romaines du Maroc dans l'Itinéraire d'Antonin, *Hommages à A. Gunier*, II, p. 595 - 610 (partic. p. 598) ; Thamusida, *BAM*, IV, 1960, p. 544 - 550 ; J. Marion, Notes sur le peuplement de Thamusida à l'époque romaine, *Hespéris*, XXXVIII, 1950, p. 178-180 ; J.P. Callu, Remarques sur le trésor de Thamusida III, les Divo-Claudiens en Afrique, *MEFR*, LXXXVIX, 1974, p. 523-547 ; J.P. Callu, J. Marion, Rebuffat, *Thamusida I*, Paris, ed. de

Boccard, 1965 ; J. Marion. Briques estampillées, *BAM*, IV, 1960, p. 480 ; A. Ruhlman. A propos d'une plaquette à caractère militaire trouvé à Thamusida. *CRAI*, 1935, p. 67 - 78 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; Index de Topographie antique du Maroc, *PSAM*, 1938, p. 78 - 79 ; R. Rebuffat et autre, *Thamusida II*, ed. de Boccard, 1970 ; *Thamusida III*, ed. de Boccard, 1977 ; Les fouilles de Thamusida et leur contribution à l'histoire du Maroc, *BAM*, 1968 - 72, p. 51 - 65 ; Le batiment à barrages du quartier du fleuve à Thamusida, *BCTH*. N.S, 1965 - 66, p. 169 - 186 ; 4 ans de fouilles à Sidi Ali ben Ahmed, *MEFR*, LXXV, 1963, p. 67 - 78 ; R. Thouvenot, Rapport de 1950 - 1952, *BCTM*, 1959 - 90, p. 150.

بل الفايدة عبد العزيز، بنعبيد عطيل

تاموسيگا (Tamosiga)، مدينة على المحيط الأطلسي، لا نجد لها ذكرا إلا عند الجغرافي بطليموس، فهو يحدد موقعها حسب الإحداثيات التالية (8° - 29° - '55) بين رأس هرقلس (Heraklés) (رأس الحديد) في الشمال ورأس أوساديون (7° - '30 - 29° - '15) الذي يطابق رأس سيم في الجنوب.

يتفق الباحثون ڤيڤيان دوسان مارتان وتيسّو وبسنيي (Besnier) على مطابقة موقع تاموسيگا لموگادور حيث تحيط بها الجزر وتشكل حصناً منيعا لها. إلا أن بسنيي ذهب إلى أبعد من ذلك حيث حاول أن يوطّن لموگادور كذلك مستعمرة جيطّي (Gytté)، المستعمرة الثانية التي أسسها حانون جنوب رأس الشمس - رأس سوليس - Cap) Soleis ou Solis) وبالتالي ستكون جيطي مطابقة لموقع تاموسيگا حسب رأيه.

إن اللوائح الأسقفية حملت اسم أسقفية بهذه المدينة وإن كان مؤلف كتاب *أفريقيا النصرانية* لم يذكر شيئا عن هذه الأسقفية. ويبدو أن هذا المركز الأسقفي الذي وجد في وقت من الأوقات في مدينة موگادور هو من الاسقفيات التي كانت موجودة في افريقيا الرومانية والتي لم يرد اسمها عند المؤلفين القدامى ولا في وثائق المجامع الدينية (Conciles) وإن وردت فإنها ترد بتغييرات لحقتها من طرف الناسخين عند كتابة اسمائها، ويمكن أن يتصور أيضا أن أسماء تلك المواقع لحقتها تغييرات من طرف الكتاب الذين لَتَّنُوها. وهكذا فإن البعض يقولون تاموسيگا (Tamusiga) وآخرون يقولون تاموزيگا (Tamuziga).

M. Besnier, *Géographie ancienne du Maroc*, *A.M.* I, 1904, p. 342 ; R. Roget, *Index de topographie antique du Maroc*, *PSAM*, 1938, p. 76 - 77 ; *Mauritania Tingitana*, *Mauritania* n° 1, Mayo, 1928, p. 130 ; Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, p. 253.

عبد العزيز بل الفايدة

التامول، Le bouleau، يسمى خطأ عند المغاربة بالصفصاف (Le saule) نظراً لكونه يشبه الحور (Le peuplier) واسمه العلمي هو بتولا سلتاإبيريكا Betula celtiberica، وهو ينتمي إلى فصيلة البتوليات.

إنه نوع شجري يشبه الحور الأبيض، جذعه أبيض اللون يتقشر اعتراضا وهو مشقق في أسفله. أغصانه لينة ومتهدلة شيئا ما. أوراقه ثلاثية الشكل مسننة مزغبة ولزجة في صغرها ومرطاء عند بلوغها. أزهاره الذكرية على شكل قدة متهدلة أسطوانية، يبلغ طولها من ثلاثة إلى ستة سنتم. أما القدة الأنثية فهي قصيرة، إذ لا يزيد طولها عن سنتيمترين.

لا يوجد التامول في إفريقيا إلا في المغرب حيث يعيش على ضفاف العيون والوديان الرطبة والباردة من المنطقة الوسطى من سلسلة جبال الريف، أي في البيومناخات الشديدة الرطوبة والرطبة الباردة والقارسة، في الطابقين فوق المتوسطي والجبلي المتوسطي. ولا يُصادَف إلا فوق أتربة غير كلسية.

إن الوجود الطبيعي للتامول و"جار الماء" (Alnus glutinosa) بالمغرب، حتى وإن كانا يشكلان حاليا باقات قليلة الانتشار بالريف الأوسط، دليل على أن هذين النوعين يمثلان بقايا التشكيلات النباتية التي كانت تسود هذه المنطقة في الحقب الباردة من العصر الرباعي، والمعلوم أنهما يكونان حاليا غابات جد شاسعة في أوروبا وآسيا وأمريكا الشمالية حتى الحدود القطبية الشمالية للأشجار.

تحتوي قشرة جذع التامول على دباغ ومادة راتينجية تعطيه لونا أبيض جميلا وتجعله مقاوما للتعفن، وغير منفذ للماء.

يتميز خشب التامول بمتانته وصلابته وتعريقه الدقيق المتموج، وحسن منظره وقابليته الفائقة للتلميع.

وتتمثل استعمالات خشب التامول في البلدان التي يكثر بها، في صناعة البلاكاج والصناديق والمقابض وقوالب الأحذية وصناعة الزوارق وأدوات الزينة، كما يستعمل كوقود للتقطير.

والجدير بالذكر أن التامول كان يعتبر في القرنين العاشر والحادي عشر (16 ـ 17 م) من النباتات الطبية الرئيسية في أوروبا وأمريكا وآسيا.

أبحاث شخصية ؛ أ. هيل، *النبات الاقتصادي*، 1962، تر. د. ع. زاهر وآخرون، المكتبة الأنجلومصرية، القاهرة.

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938.

عبد المالك بنعبيد

تَامَيْسِينْ، موقع دافق المياه في قبيلة بني توزين بين ميضار الأعلى وتافرسيت على بعد حوالي 80 كلم غرب مدينة الناظور. تحيط به جبال تعرف بالكُدى الحمراء "تيورْينْ تيزواغينْ"، اشتهرت تاميسين بمعركة حامية بين قوات المجاهدين والجيش الاسباني أيام عبد الكريم الخطابي، يطلق عليها الأهالي معركة "الكدى الحمراء"، وذلك يوم عاشوراء 1342 / 23 غشت 1923 م، في الزحف الثاني لجيش الاحتلال الاسباني.

استشهد في هذه المعركة عدد من المجاهدين، منهم القائد حمو بن محمد بن قدور، قائد المجاهدين المكلف بإدارة مركز اغبال الذي يبعد بحوالي ثلاثة كيلومترات من هذا الموقع، والمجاهد أبْضارس بن علال بن الطاهر، وهما من أبناء عمومة الصوفي العالم الحاج مَحمد التوزاني

والمجاهد قُطاط بن يزْمار من قرية إباذَعَنْ المجاورة.

ويقع بالقرب من تاميسين مركز حربي آخر يعرف بأزرو، احتله الاسبان يوم 5 / 8 / 1920، اشتهر بمعركة أخرى فاصلة تعرف في الأدبيات الاسبانية بمعركة "أزرو" وذلك يوم 22 يوليوز 1921 بعد سقوط مركز "أنوال" مباشرة. وفي اليوم التالي 23 يوليوز، انتهت المعركة باحتلال المركز المذكور من قبل المجاهدين والقضاء على حاميته المكونة من ستة وثمانين رجلا.

روايات شهود عيان ؛ مقال عن العالم التوزاني في المعلمة ؛ ربائد وزارة الدفاع الاسبانية ؛ م. ابن عزوز حكيم، معارك الثورة الريفية : معركة أنوال ؛ معاينة ميدانية.

عبد الله عاصم

التأمين، عقدة بين المؤمِّن والمؤمَّن له يتعهد فيها المؤمِّن بتعويض ما قد يتعرض له المؤمَّن له هو نفسه أو جهة ثالثة تذكرها العقدة من الخسارة أو العجز يشرط أن يؤدي المؤمَّن له قسطا من المال معينا للمؤمِّن الذي تتوازن لديه أسباب الربح والخسارة بناء على حساب الاحتمالات بتعدد هذا النوع من التعاقد. ولئن كانت ظاهرة الاحتياط من الآفات قديمة فإن أساليب التأمين العصري انبثقت عن انتشار الاقتصاد النقدي في العصر الحديث وتكاثر المعاملات التجارية والصناعات الثقيلة وكثافة الرواج والتنقل وتضخم المدن وتفاقم الأخطار والأضرار الاجتماعية حيث بات من الضروري أن ترصد بعض الأموال لمواجهة كل الأعراض، ولذلك يعتبر التأمين تقنية من تقنيات الاقتصاد الراسمالي العصري، ولقد دخلت المغرب بعد انفتاحه على السوق العالمية بقوة الاستعمار، ودليل حداثة العهد بها في البلاد دخولها أول الأمر بأسمائها الأوربية إذ ورد ذكرها سواء لدى التجار أو الفقهاء أو في العهد الأول من الصحافة العربية بالمغرب، بل وحتى في بعض النصوص القانونية بالمصطلح الإسباني "السيگورطا" (Seguridad) أو بالمصطلح الفرنسي "لا سورانس" (Assurance) مع ترجمتها تارة "بالضمان" وتارة أخرى "بالتأمين" إلى أن تغلب لفظ التأمين بعد الاستقلال في النصوص المكتوبة على الأقل، أما في اللغة الدارجة فمازال لفظ "لاسورانس" هو الذي يتبادر على الألنس...

ويمكن الاستدلال على كونها دخيلة على المجتمع المغربي من جهة أخرى بما قام حولها من الجدل في العشرينات والثلاثينات في البلدان الإسلامية بين مؤيد للتأمين على أنه من ضرورات التكافل الاجتماعي ومناوئ له على أنه ضرب من المخاطرة ورجم بالغيب. وكان الفقيه محمد بن الحسن الحجوي قد استفتي في الموضوع سنة 1936 من قبل تاجرين من الدار البيضاء جاء في سؤالهما : "المرجو منكم جوابكم الشافي بالنصوص الواردة في مسألة "السگرته" (الضمان)"، فأجاب قائلا : "لم أقف على ما يمنع ذلك كتاباً ولا سنة ولا إجماعا ولا قياسا ولا اجتهادا وإني قد عالجت التجارة وحلبت أشطرها مدة ليست يسيرة ووقفت على حاجة التجارة للمعاملة على الضمان بل ضرورتها في الوقت الحاضر للسكورتاة (لاصورانس)". ولعل هذا الجدل هو ما دعى الإمامة المغربية إلى تفويض أمر التشريع للتأمين البري للصدر الأعظم إذ صدرت النصوص في هذا المضمار سواء القانوني منها أو التطبيقي بصيغة القرار الوزيري وليس بصيغة الظهير.

ومن علامات حداثة العهد بالتأمين في المغرب أيضاً أن أول ما تأسس من شركات التأمين على ترابه كان مجرد وكالات تنوب عن بعض الشركات الأوربية مع تخصص معظمها في التأمين البحري مثلا "لا إسبانيولا" (La Española) المنشأة سنة 1879 وهي إسبانية، ولا سانترال (La Centrale) ولا ريباراسيون (La Réparation) المنشأتين سنة 1883 مع تأمين هذه الأخيرة للحريق وكلاهما من فرنسا، ولا كالبيان (The Calpean) المنشأة سنة 1887 وهي أنجليزية ومانهايم (Manheim) المنشأة سنة 1886 ولويدس ألمان (Lloyds Aleman) المنشأة سنة 1893 وهما من ألمانيا.

أما أول شركة مغربية للتأمين مما كان مركزها الاجتماعي في المغرب وبالضبط في مدينة طنجة فإنها لم تؤسس إلا سنة 1916 تحت اسم "المغرب"، لكن سرعان ما تم حلها مع انتهاء الحرب العالمية الأولى، وظل التأمين في المغرب موقوفا على الشركات الأجنبية إلى أن اندلعت الحرب العالمية الثانية وانقطعت سبل التواصل مع أوربا فعندئذ تكاثرت الشركات القائمة على التشريع المغربي للتأمين وإن أقيم جلها على الرسمال الأجنبي باستثناء "الشركة الملكية المغربية للتأمين" المنشأة سنة 1950 من أموال مغربية صرفة، بحيث عندما استرجع المغرب استقلاله سنة 1956 كان عدد شركات التأمين لا يقل عن 230 شركة جلها في الأيادي الأجنبية، ولذلك تدخلت الدولة لتقليص هذا العدد الذي كان لا يطيقه السوق المغربي، كما تدخلت لفسح مجال التأمين أمام المغاربة فجعلت حداً أدنى للضمانة الواجبة على شركات التأمين، فتقلص عدد الشركات إلى أربع وخمسين في الستينات، ثم لما صدر قانون الاستثمار سنة 1973 بقصد مغربة المقاولات والمؤسسات الاقتصادية الخصوصية، انتقل قطاع التأمين برمته إلى أياد مغربية وانحصر عدد الشركات فكان لا يتجاور ثلاثا وعشرين شركة في طليعة التسعينات.

ومع أن التأمين دخيل على البلاد، فإن التشريع المغربي لم يتأخر عن باقي المعمور في هذا الشأن إذ أن أول قانون متكامل للتأمين وضع في بلجيكا سنة 1908، وأول من سبق إلى التشريع في التأمين البري من البلدان الإسلامية دولة تركيا وكان ذلك سنة 1926، أما المغرب فإنه شرَّع أول الأمر للتأمين البحري بظهير 31 مارس 1919 الذي كان بمثابة مدونة للمبادلات والنقل عبر البحار، كما شرَّع لتأمين العمال من آفات الشغل في المصانع وذلك بظهير صدر في تاريخ 25 يونيه 1927، ثم كان التفويض للصدر الأعظم

بالتشريع للتأمين البري فصدر القرار الوزيري بتاريخ 28 نونبر 1934 وكاد يكون نسخة شبه حرفية للقانون الفرنسي بشأن التأمين البري الصادر بتاريخ 13 يوليوز 1930. وبعد هذا القرار الوزيري صدر ظهير 8 يوليوز 1937 المتعلق بأداء المصارف والتعويضات المستوجبة بعد وقوع حوادث السيارات مع تحديد المسؤولية المدنية وأدوار المؤمن إزاء المتضررين وكيفية التعويض ومداه، ثم كان القرار الوزيري ليوم 6 شتنبر 1941 وهو من الأهمية بمكان لأنه فرض مراقبة الدولة على مؤسسات التأمين وإعادة التأمين وتكوين الرسمال مع إقرار إجبارية تأمين المسؤولية المدنية الناتجة عن استعمال العربات ذات المحرك، وكان المغرب بذلك من أول من سبق من الدول إلى إقرار إجبارية التأمين في هذا الميدان وتعزز هذا النص بقرار وزيري آخر بتاريخ 20 مارس 1942 بشأن كيفية التعاقد في التأمين البري. وحرصاً على المسؤولية المدنية وحتى لا تضيع حقوق المتضررين، أحدثت الدولة صندوق مال الضمان للتعويض عن حوادث السيارات وذلك بظهير 22 فبراير 1955 ليتم تعويض المتضررين من الحوادث لدى استحالة التعرف على مرتكب الحادثة أو عدم توفر المرتكب لها على التأمين اللازم.

ولقد ازدادت هذه القوانين تعمقا وتدقيقا غداة الاستقلال حيث اشتدت مراقبة وزارة المالية على قطاع التأمين بكامله فوضعت أساليب محصورة للتعاقد ألزم المؤمَّنون بأن يسيروا على نهجها (قرار وزيري ليوم 25 يناير 1965) ووضعت شروط نموذجية لعقد تأمين المسؤولية المدنية في حوادث السير وتعزز جانب التأمين الإجباري للسيارات بظهير 20 أكتوبر 1969، كما صدرت عدة قوانين بشأن كيفية إصدار شهادات التأمين الإجباري ألغي بعضها بعضا بقصد التصحيح ومواكبة تطور تقنيات التأمين في باقي العالم، وكان من أهم هذه القوانين ظهير 9 أكتوبر 1977 والقرار الوزيري ليوم 21 دجنبر 1977 المتعلقان بكيفية عرض عمليات التأمين وإعادة التأمين وتأسيس رأس المال ومزاولة وظيفة الوسيط في التأمين، وأيضا الظهير بمثابة قانون ليوم 2 أكتوبر 1984 المتعلق بطرق تعويض ضحايا الحوادث الناجمة عن العربات ذات المحرك.

وجدير بالذكر من جهة أخرى أن المغرب وافق بظهير 8 دجنبر 1959 على اتفاقية جنيف بتاريخ 19 شتنبر 1949 حول السير الدولي مما اضطره إلى إصدار قرار وزيري بتاريخ 21 أكتوبر 1969 المتعلق بتأمين الحدود وهو التأمين الخاص بالسيارات الأجنبية التي تجتاز حدود البلاد دون أن تكون حاصلة سلفاً على التأمين المعمول به في المغرب، كما وافق أيضا على أوفاق لندن لسنة 1952 التي وضعت بمقتضاها البطاقة الخضراء وهي بطاقة للتأمين الدولي وأدخل ذلك في التشريع المغربي بظهير 20 أكتوبر 1969 وتبنى المغرب كذلك البطاقة البرتقالية وهي بطاقة التأمين بين الدول الغربية وذلك بظهير 19 شتنبر 1977.

وغني عن البيان أن الأخطار التي يتعرض لها الإنسان في المجتمع العصري لا تقف عند أحداث السير ولذلك يميز الفقهاء في التأمين بين الأخطار الشخصية وأخطار الممتلكات وأخطار المسؤولية. والشخصي من الأخطار هو ما يقع للإنسان منها مباشرة في حياته أو صحته أو سلامة أعضائه مثل الحوادث الشخصية أو المرض أو البطالة أو الشيخوخة أو الوفاة، وأخطار الممتلكات ما تتعرض له ممتلكات الإنسان من الحريق أو السرقة أو الضياع أو الهلاك إن كانت الممتلكات ماشية مثلا، أما أخطار المسؤولية المدنية فما يصيب الغير في شخصه أو ممتلكاته ويكون المسؤول عنها أمام المحاكم الشخص الذي تسبب فيها بشكل من الأشكال، من ذلك المسؤولية المدنية الناجمة عن حوادث السير وأسباب النقل العمومي أو عن امتلاك مصنع أو متجر أو قاعة للعروض المسرحية أو السينمائية وكذلك المسؤولية المدنية الناجمة عن ممارسة بعض المهن كالطب والصيدلة والبيطرة والهندسة التي قد يترتب عليها أخطاء تؤدي إلى آفات جسدية أو خسارات مادية للغير، مما يبدي تشعب التأمين العصري ويثبت التحامه بأدق أسباب الحياة في المجتمع لدرجة أنه تطور إلى نوع من الادخار الصارخ في شكل التأمين على الحياة الذي يكاد لا يختلف في بعض جوانبه عن صندوق للتقاعد، ولذلك فإن للتأمين أدواراً متميزة منها ما هو قانوني ومنها ما هو اجتماعي ومنها ما هو اقتصادي مالي.

أما الأدوار القانونية فإنها تترتب على المسؤولية المدنية من جهة وتتصل من جهة أخرى بمدونة العقود والالتزامات مما يدخل في نطاق القضاء والمحاكم. وأما الأدوار الاجتماعية والاقتصادية والمالية فدليلها رعاية الدولة للتأمين ومراقبتها لأسباب ممارسته وذلك بواسطة إدارة متخصصة في هذه الأمور داخل وزارة المالية تدعى إدارة التأمين والوقاية الاجتماعية (مرسوم 22 نونبر 1978) التي لها ثلاث مهام، أولها صيانة مصالح المؤمَّن لهم والأغيار المستحقين من عقد التأمين، وثانيها صيانة المصالح المالية للبلاد بالحرص على قدرة شركات التأمين وإعادة التأمين في الأداء وتدعيم هذا النوع من الادخار وتوجيهه، وثالثها تقوية السوق الوطنية للتأمين على أمل أن تنفتح على السوق العالمية ويتعزز بذلك الرسمال الوطني وأسباب الاستثمار في البلاد، وتستعين الإدارة المذكورة نهوضاً بأعبائها باللجنة الاستشارية للتأمينات الخصوصية المحدثة بمقتضى الفصل 15 من القرار الوزيري ليوم 6 شتنبر 1941 وتتركب من وزير المالية أو نائبه ووزير الأشغال العمومية أو نائبه وممثلين عن شركات التأمين وتؤدي هذه اللجنة وظائفها بواسطة عشر لجان تقنية متخصصة في مختلف جوانب التأمين وهي لجان الإدارة والتنظيم ثم إعادة التأمين ثم السيارات ثم حوادث الشغل ثم النقل البحري ثم الطيران ثم البناء في حدود عشر سنوات ثم الحريق ثم الحياة وأخيراً لجنة الأخطار المختلفة.

وإلى جانب هذه اللجنة هناك الفيدرالية المغربية

لشركات التأمين وإعادة التأمين أقامتها شركات التأمين وإعادة التأمين العاملة في المغرب حماية لمصالحها وصونا لسمعتها في سوق التأمين وهي تعمل كذلك بواسطة عدة لجان متخصصة هي لجان الحريق فالأخطار التقنية فحوادث الشغل فمختلف الآفات فتأمين الأشخاص فالنقل فالطيران فالسيارات فالدراسات القانونية والجبائية، ولجنة أخيرة للإحصاء والإعلاميات، وأهم ما شغل بال الجميع التأكد من كفالة شركات التأمين المالية ومن قدرتها في كل وقت وحين على تعويض المستحقين، ولهذه الغاية فإن شركات التأمين ملزمة بأن يكون لها رصيد من الأموال في الاحتياط ويكون هذا الاحتياطي من الأموال على وجوه تقنية يميز بينها القانون فمنها ما هو رصيد الضمان الذي هو القاعدة الأولى لإقامة شركة للتأمين ومنها ما يدعى بالاحتياطي التقني ومنها الاحتياطي الحسابي ومنها الاحتياطي لما بقي بذمة المؤمِّن من التعويض والاحتياطي للآفات الجارية، ثم من هذا الاحتياطي ما هو معمم على جميع أنواع التأمين ومنها ما هو خاص ببعضها فقط، فالاحتياطي الحسابي مثلا خاص بالتأمين على الحياة وبحوادث الشغل وذلك لاعتماده حساب المحتملات وجداول الحياة التي تمكن المؤمِّن من تحديد قيمة أقساط التأمين بكل دقة كما تمكنه من أن يتوقع عدد الوفيات في سنين معينة على الإجمال بأتم وجوه المقاربة، ولذلك حرص المشرع على أن لا يرخي العنان للشركات في هذا المضمار فقيدها بهذا النوع من الاحتياط المالي.

على أن للمجتمع فائدة أخرى من حصر هذه الأموال في احتياطي الشركات وذلك لأن هذه الأموال وسيلة من وسائل الادخار الوطني فلا يمكن الاستخفاف بها لا في الدول الراقية ولا بالأحرى في الدول النامية التي تعوزها الأموال القابلة للاستثمار وبناء على ذلك فإن الأموال المرصدة للتأمين تعتبر مؤشراً من مؤشرات النمو العام، فعلى سبيل المثال لقد صرف الياباني والسويسري سنة 1988، 2320 دولاراً في التأمين وصرف الأمريكي في الولايات المتحدة 1751 دولاراً والفرنسي 933 دولاراً بينما لم يصرف المغربي من ذلك سوى 17 دولاراً، وهذا دليل على البون في النمو من خلال كثافة التأمين، ومع ذلك فإن السوق المغربية للتأمين لا تفتأ تتقدم ويقدر أنها نمت في الثمانينات بنسبة 15٪ سنويا مع تقدم مطرد في الاحتياطي التقني الذي ارتفع من 5،93 مليون درهم سنة 1983 إلى 11،345 مليون درهم سنة 1988، وهذه الأموال مما يغذي حركة الاستثمار في البلاد إذ تساهم شركات التأمين بإيعاز من الدولة إما في الاستثمارات العقارية وإما في سندات الخزينة العمومية وإما في الأسهم المعروضة في البرصة. ولكن السوق المغربي يبقى مع ذلك معرضا لسوء التوازن من جراء كثرة حوادث الشغل والسير وتعويضات الضمان الاجتماعي التي تزداد تفاقماً لما يشتد من آفاتها في ساكنة متواضعة الدخل فقيرة. وهكذا ليس التأمين مجرد مقياس للنمو فحسب وإنما هو أداة من أدواته بما يستثمر من الأموال المذخرة في صناديقه في القطاعات التي تحظى بالأسبقية.

الجريدة الرسمية المغربية ؛ عبد العزيز فهمي هيكل، *مقدمة في التأمين*، دار النهضة العربية، بيروت، 1980 ؛ إدريس الضحاك، *التأمين الاجباري للسيارات*، الطبعة الثانية، الرباط، 1989 ؛ سعيد بن سعيد العلوي، *الاجتهاد والتحديث : دراسة في أصول الفكر السلفي في المغرب*، منشورات مركز دراسات العالم الاسلامي، 1992.

Z. Nasri, *Le droit de l'assurance au Maroc*, Rabat, 1984 ; *Annuaire des assurances du Maroc*, 1991, Casablanca. 1992.

إبراهيم بوطالب

تَانَاسة، أسرة أصلها من الأندلس، كانت بتطوان وانقرضت سنة 1144 / 1732، وهي غير أسرة تْناسة.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 212.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres* ; Isidoro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)*. 1932.

محمد ابن عزوز حكيم

تَانَانْتْ، موقع بدائرة أبزُو إقليم أزيلال، يقع بالسفوح الشمالية للأطلس الكبير الأوسط، وتستقر به جماعة قروية تنتشر فوق منخفض واسع يمتد بين سفوح الجبال المتوسطة للأطلس الكبير ومتون مقدمة الأطلس، تشرف على الحوز الشرقي وسهل السراغنة. يتميز المنخفض بتوالي طبقات كلسية نافذة بالأعلى وطبقات غير منفذة من الحُثّ الجوراسي والطفل بالأسفل مما ساعد على ظهور عيون خاصة عند الحافات المشرفة على الوديان والمسيلات، تبلغ مساحة الجماعة 267 كلم^2 لكنها نقصت بعد تعديل إداري جديد سنة 1992 أدى إلى تكوين جماعة جديدة : أيت تاگلة التي كانت مشيخة بهذه الجماعة بعد ضم أراضي مشيخات أخرى لجماعات مجاورة.

ينتمي السكان إلى قبيلة هنتيفة إحدى قبائل اتحادية هسكورة الظل. وقد كانت مكونة منذ أيام الموحدين لكن ما عرفته المنطقة من أحداث صعبة وتوالي فترات رخاء ومجاعة وما ترتب عنهما من حركات توافد ونزوح أدى إلى اختلاط سكاني واللهجة البربرية المستعملة خليط من تاشلحيت وتامزيغت. وينعكس الاختلاط البشري على توزيع الأراضي والأنشطة، فالسكان القدامى يمتلكون الأراضي الزراعية وخاصة الرساتيق المروية بينما يحترف الوافدون الجدد تربية المواشي وأنشطة غير فلاحية.

ويواجه النشاط الفلاحي ظروفاً طبيعية صعبة تتمثل في فقر التربة الزراعية التي توجد على شكل رقع رقيقة بقعور الأحواض واستفحال الجفاف مما أدى إلى تدهور البيئة وتقلص المساحات الغابوية المتبقية على السفوح الوعرة والأراضي المحجرة. ويطرح الماء مشكلا حاداً، فالأمطار قليلة وغير منتظمة 250 ـ 400 ملم / سنة. وباستفحال ظاهرة الجفاف خلال عقد الثمانينات جف الكثير من العيون والآبار القديمة بالكثير من الأحواض فتحول كثير من البساتين إلى

أراض بورية جرداء، كما تناقص عدد قطعان المواشي كثيراً. ويمارس السكان زراعة بورية خفيفة للحبوب وزراعة أشجار اللوز البوري وفي بعض المنخفضات، خاصة منخفض تيرست بجوار مركز تانانت، حيث توجد تربة أغنى وفرشات محلية صغيرة ظهرت ضيعات صغيرة تهتم بزراعة القمح والخضر والأشجار المثمرة، خاصة اللوز والتفاح الذي عرف توسعاً كبيراً في السنوات الأخيرة، كما تربى بعض الأبقار الحلوب المستوردة والمهجنة، ومازالت تربية الأغنام والماعز تكتسي أهمية كبيرة إذ تقدم السفوح والأراضي الكلسية المحجرة والأحراج مراعي واسعة. وهناك تباين كبير في ملكية الأرض، فحوالي 35٪ من القرويين لا يملكون أرضاً، مما يوجههم لتربية المواشي الصغيرة وزراعة مشارات بالمشاركة ويدفع هذا الوضع الكثير من الشباب إلى الهجرة، وهذا ما جعل عدد سكان الجماعة ثابتا بين إحصائي 1971 و1982 إذ بلغ خلال الإحصاءين على التوالي: 13.617 نسمة و13.629 نسمة. يتوزعون في خمس عشرة قرية منها عدد من القرى الكبيرة مثل بوحرزان 2.789 ن وتانانت بلغت الكثافة بها 51 ن / كلم2 لكن السكان يتجمعون فوق جزء ضئيل من المجال : المناطق المستوية المروية بحواشي الحافات وضفاف الوديان وقعور الأحواض.

لقد اعتاد الشباب على الهجرة منذ عهد الحماية حيث هاجر بعضهم إلى العمل بفرنسا كما تجند الكثيرون بالجيش الفرنسي "الگوم"، ويوجد اليوم بالجماعات مآت المتقاعدين العسكرين. وما زال هذا التقليد مستمراً إذ يعمل الكثير من الرجال كجنود بالجيش وكعمال أو موظفين وأصحاب خدمات بالمدن الكبرى. ومع أن الكثير من المهاجرين لا يرجعون للاستقرار الدائم بقراهم فإنهم يرسلون أموالا إلى ذويهم مما جعل آباءهم يهملون زراعة المشارات الضعيفة المردودية. ويستثمر بعضهم أموالهم في إنشاء ضيعات خاصة بمنخفض تانانت حيث حفر أربعة عشر بئراً بمضخة وغرست الأشجار مما قلص مجال الرعي، وترتب عن هذا تفكك الهياكل القبلية وضعف التآزر العائلي ونمو مسلسل التمدين الاجتماعي المتمثل في تطور السكن بظهور منازل مبنية بالإسمنت وسكن متشتت ومراكز قروية جديدة بجانب طرق المواصلات المعبدة.

أنشأت سلطات الحماية مركز تانانت سنة 1916 كقاعدة عسكرية إدارية لمراقبة السكان والطرق، كان السكان المحليون يعرفونه باسم القشلة، وذلك بمنفسح غابوي كان يصنع به الفحم الخشبي غير بعيد عن قرية تعرف بنفس الاسم كانت في فترة ما مركزاً لقائد نتيفة. ويفسر السكان لفظ تانانت بمعنى الغابة أو منفسح غابوي. وكانت في المركز ثكنة لجنود الگوم وبه أيضاً ضابط عسكري فرنسي أيام الاستعمار للشؤون الأهلية ومطار عسكري صغير وسكن الجنود وبعض الموظفين.

يشرف المركز من موضعه الهضبي المرتفع على أحواض منخفضة وملتقى طرق مهمة ولا يبعد عن الواد الأخضر إلا ببضعة كيلومترات. واستفاد المركز مبكراً من تجهيزات إدارية كمقر القائد ومنازل الموظفين مازال بعضها محافظا على سقفه المزدوج الميل المصنوع من الآجر الأحمر ومدرسة ومستوصف ومركز بريدي ومحطة لبيع البنزين... وأقيم به مؤخراً مركز فلاحي ومركز الجماعة القروية كما زود منذ عدة عقود بالماء الشروب جلب من بئر عميقة مجهزة ببرج مياه وبالكهرباء وارتبط بطرق معبدة بدمنات وابزو وأزيلال، وأخيراً سد أيت شواريت "الحسن الثاني" الذي يبعد عنه باثنين وعشرين كلم.

وحافظ المركز على أهميته الإدارية في عهد الاستقلال لكن دون أن يكتسب أهمية تجارية، فمازالت دكاكين سويقته قليلة (20 دكانا) لا يفتح معظمها سوى يوم السوق، وربما يرجع هذا إلى قربه من مراكز مهمة عديدة كدمنات وفم الجمعة ومركز أيت ماجطن. وينعقد به سوق أسبوعي يوم الأربعاء نقل من مكانه القديم مؤخراً من سافلة المركز حيث أنشئت تجزئة سكنية إلى موضع بعاليته لا يتوفر على أي تجهيز فمازال السوق ينعقد فوق مساحة فارغة بها أكواخ بسيطة وتقام بها خيام يوم السوق.

بلغ عدد سكان المركز 1.055 نسمة (1982) منهم حوالي 120 موظفاً، لكن المنازل مازالت قليلة يتجمع جلها بجانب الطريق الثانوي المعبد الذي يكوِّن ثنية حادة صاعدة بالإضافة إلى مقهى ومحطة بنزين ومنشآت إدارية ودكاكين تجارية ومهن مما يعطي للمركز منظرا حضرياً. وكثير من الموظفين والتجار وأصحاب المهن يسكنون بدواوير مجاورة وبمنازل مشتتة بين المركز والدواوير على طول الطرق والمسالك، ويبدو أن المركز يعاني أزمة سكن مما دفع المسؤولين إلى تجهيز تجزئة سكنية بنيت بها منازل على الطراز المعماري الحضري، لكن معظمها في ملك المهاجرين وبعض الموظفين، كما أنشأ البعض سكنا وسط ضيعات صغيرة حديثة بجوار المركز.

بحث ميداني ؛ *معلومات* من المرشد الفلاحي بتانانت ؛ *بحوث طلبة السنة الرابعة في الجغرافية*، كلية الآداب، مراكش.

أحمد هوزالي

* * ترجع بداية ذكر تانانت في التاريخ إلى القرن الثاني عشر (18 م)، حيث غدت مركزاً صوفياً وعلمياً على أيدي بعض الأعلام الذين تتلمذوا على الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي منهم إبراهيم أشخر السوسي المتوفى سنة 1147 / 1735 (*الدرة الجليلة*، 266)، وإبراهيم الزينبي الذي لم يغادرها إلا تحت وطأة المجاعة التي ضربت المنطقة في السنة المذكورة (*الدرة الجليلة*، 267)، والعالم محمد بن أبي القاسم الهزالي المتوفى بالوباء الواقع في تلك الجهات سنة 1155 / 1642 (*الدرة الجليلة*، 270). وربما تأسست في تانانت زاوية تابعة للناصريين، ومحطة في طريقهم بين دمنات وباقي المراكز الصوفية الناصرية بكل من فم الجمعة وبزو وتاعزيت، قبل مواصلة الطريق نحو شمال البلاد.

وظلت تانانت منزلة في الطريق السلطانية المارة عبر

دمنات نحو تادلا. فقد نزل بها السلطان مولاي الحسن في نهاية سنة 1304 / 1887، وخيم بتيرست أطار، حيث استمع إلى شكاوي أعيان قبيلة أيت ماجطن، حول اعتداء هنتيفة الساكنين بتانانت عليهم، الشيء الذي جعله يصدر ظهيرا يقطع بمقتضاه البلدة المذكورة لآيت ماجطن (*المجتمع المغربي*، 132). ولعل في هذا العهد أصبحت تانانت مركزاً لقيادة عائلة أُشطو.

وبعد توقيع الحماية توقف بها الاكلاوي أثناء حركته الكبرى على المنطقة. وبها قدمت عليه أيضا وفود القبائل التي تم تطويعها (*المجتمع المغربي*، 610). ومن ثم صارت تانانت مركزاً لقيادة المنطقة، فتم نقل مقرها، تحت تأثير العامل الأمني، إلى المركز الحالي الموجود شرقي الموقع القديم - حيث منزل القائد أو شطو - بسبب إشراف الموقع الجديد على كل المنطقة تقريبا. وأسند النظر في أمورها إلى ضابط للشؤون الأهلية، تابع لمنطقة أزيلال العسكرية (*Répertoire*, 750).

كانت قرية تانانت المقام الذي مكث به "إميل لاووست"، حيث جمع معظم مادة كتابه *كلمات وأشياء بربرية* (*Mots et choses berbères*)، في السنوات الأولى للحماية (*المجتمع المغربي*، 38). وصنفت تانانت حسب إحصاء 1936 كقصر معظم سكانه من اليهود. ولعل المقصود هنا هو قصر تانانت القديمة. وماتزال تانانت إلى يومنا هذا تتكون من مركزين : النواة القديمة الكائنة في الغرب، والمركز الإداري الجديد، الواقع عند ملتقى الطرق، وهو الذي تم تأسيسه من طرف الفرنسيين لإدارة المنطقة (*Répertoire*, 467).

ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي*.

Répertoire.

أحمد عمالك

تَانْتَايَشْ، قرية مندثرة تحدثت المصادر البرتغالية عن غزوها ووجودها بحوز القصر الكبير بين مجرى واد اللكوس وواد وارُورْ، وذلك خلال النصف الأول من القرن السادس عشر، وآنذاك كانت تانتايش قرية آهلة وواقعة بالجانب الشرقي من حوز القصر، بجوار كدية عالية، تدعى اليوم سيدي أحمد الحَداجَل (165 م)، مشرفة على واد وارُور، عند أول انحرافه نحو الغرب، مما يقابل أولاد الطليگ من جهة وأولاد الحارثي من ناحية أخرى. تعرضت القرية للغزو البرتغالي بتعاون بين جنود كل من أصيلا وطنجة خلال سنة 921 / 1515، وبمساعدة من المتنصرين : الفكّاك و"گنْزالو دي ڤاز والگرفطي وپيرو دي منيسسْ العروسي"، فتم أسر خمسة وخمسين ساكناً وجمع أكثر من ألف رأس بقر، مما حث أحمد بن طلحة العروسي قائد القصر الكبير (1511 - 1530) وأمين الغرناطي (1510 - 1516)، قائد العرائش لتنظيم غارة على أصيلا في محاولة للحصول على الأسرى البرتغاليين لاستبدالهم بأسرى القرية.

ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري*، 2 : 433.

B. Rodriques, *Anais de Arzila*, 1 : 139 - 141 - 145 - 341 ; Damiao de Gois, *Cronica de Rei D. Manuel*, 2 : 10.

تَانْدَافْل أو تندافل، قرية مازالت محتفظة بنفس الاسم والموضع منذ أن عرّفنا بها صاحب حوليات أصيلا البرتغالي بِرْنَارْدو رُودْريكسْ في بداية القرن العاشر (16 م)، حينما كانت القريةَ ضمن ما كان يدعى بحوز أصيلا. والقرية واقعة جنوب أصيلا ضمن فرقة قبيلة الساحل الشمالي، بجوار قريتي الحُمُر والعقبة.

كانت قرية تاندافل، قبل استقرار البرتغاليين بأصيلا (876 / 1471) تحت نظر أسرة أحد أشياخ الخلط المدعو الشيخ ناصر. وفي سنة 920 / 1514 كان الشيخ بالمكان تحت حماية أصيلا البرتغالية. وعدّ حكام أصيلا قرية تاندافل (Tendefl) إحدى الطلائع الهامة المستغلة لاستطلاع ميدان قبيلة الساحل الجنوبي الذي منه مطلع رجال القصر الكبير لغزو أصيلا، كما أن المغاربة اعتادوا الوصول إليها لمراقبة ميدان أصيلا المتصل بواد الحلو ورافده بوگنون.

ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية، 51 ؛ ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 2 : 354.

B. Rodriques, *Anais de Arzila*, 1 : 107 - 108 - 143 - 145 - 178 - 201 - 204 - ; 2 : 37 - 53 - 154 - 218 - 262 - 266.

حسن الفگيگي

تانزولين ← تينزولين

تَانْسِيطَة، إمارة قامت بدرعة في مطلع القرن العاشر (16 م) وتنتَسب إلى بقايا الهساكرة، كما كانت تستند إلى قبائل أيت وَاوْزْگِيتْ التي كانت مجالات انتشارها آنذاك تتداخل مع القبائل الهسكورية في المناطق الممتدة من ورزازات شمالا إلى فم زاگورة جنوبا.

وردت أول إشارة إلى إمارة تانسيطة في كتاب *وصف إفريقيا* للحسن الوزان (ج 1 : 136 - 137)، والسؤال الذي يفرض نفسه هو كالتالي : أين وجد مقر هذه الإمارة ؟ هل يمكن القول إنها كانت توجد بترناتة على اعتبار أن قصرين من قصور هذه الواحة لا يزالان يحملان اسم تانسيطة إلى اليوم ؟ وهل كان موقعها بواحة تينزولين على اعتبار أن إحدى العائلات القديمة بقصبة المخزن ورباط تينزولين لا تزال لها بقية مزوارية بهذين القصرين ؟ وقد أفادتنا الوثائق التي جمعناها من العائلة المزوارية بهذين القصرين أن أسلافها كانوا يتوارثون حكم واحة تينزولين منذ القرن العاشر (16 م) ولم يخرج الحكم من حفدة المزواريين إلا مع بداية الاستقلال، إلا أن هذه المعطيات لا تسمح لنا بالخروج برأي قاطع حول وجود إمارة تانسيطة بواحة تينزولين. وأخيراً هل يمكن القول بأن مقر إمارة تانسيطة كان يوجد بواحة مزگيطة كما توحي بذلك بعض القرائن المحلية ؟. يذكر الحسن الوزان أن جبل تانسيطة يقع بين جبل دادس شرقا وجبل أيت واوزگيت غربا، ويعج بالسكان، ويشتمل على خمسين قصرا مبنيا بالصلصال والآجر النيئ، أُقيمت

على طول نهر درعة لكنها تبعد عنه. وينبت النخيل في معظم هذا الجبل (*وصف إفريقيا*، 1 : 136 - 137).

وانطلاقا من هذه المعطيات ندرك أن موقع إمارة تانسيطة، يوجد بنقطة مَّا بواحة مزگيطة الواقعة في أعلى درعة، حيث لا تزال الجهة الشمالية من هذه الواحة تعرف إلى اليوم بأفْلاَنْدْرَى (أعلى درعة)، بل إننا إذا ما حللنا المعطيات التاريخية وقارناها بالمعطيات الطبيعية لواحة مزگيطة نلاحظ أنه بالرغم من كل العناصر التي ترجح أن يكون موقع إمارة تانسيطة في قصر ما من قصور مزگيطة، فإننا لا نستبعد أن يكون مقرها أيضا بواحة تينزولين، ذلك أننا إذا ما أخذنا المواصفات التي حددها الحسن الوزان لجبل تانسيطة نلاحظ أنها قريبة الشبه أيضا بواحة تينزولين التي يحفها جبل بوزروال من الناحية الشرقية ويتصل كذلك بجبل دادس، كما يتصل من الناحية الغربية ببلاد أيت واوزگيت، ويقدر عدد قصورها بحوالي خمسين قصرا. ويجد هذا الافتراض ما يدعمه عند مارمول الذي ذكر بأن هذه الإمارة تحد من الجنوب بصحراء درعة.

هكذا يتضح أنه من الصعب الخروج برأي قاطع في تحديد موقع القصر الذي كانت تتخذه إمارة تانسيطة مقرا لها في مطلع القرن العاشر (16 م)، لكن الشيء المؤكد أن هذه الإمارة كانت تمارس نوعا من السلطة على سكان واحات ترناتة وتينزولين ومزگيطة. وقد كانت على قوة عسكرية يقدر عدد محاربيها بحوالي ألف وخمسمائة فارس ومثل ذلك من المشاة (*وصف افريقيا*، 1 : 136)، وهو جيش قوي كاف لإخضاع كل واحات درعة. كان رئيس هذه الإمارة في مطلع القرن العاشر (16 م) تربطه بالسلطان محمد الوطاسي علاقة ولاء شكلية، إذ كان هذا الرئيس يبعث إلى سلطان فاس بالهدايا السنية وتجديد البيعة، وبالمقابل كان محمد الشيخ الوطاسي يمده بالسلاح والخيل والسروج المطعمة بالذهب.

ونستفيد من إشارات الحسن الوزان أن إمارة تانسيطة كانت تتمتع برخاء اقتصادي كبير (*وصف افريقيا*، 1 : 137) مما يدل على أن رئيسها كان يتحكم في الطريق التجاري الذي يربط بين وادي درعة وبلاد السودان في مطلع القرن العاشر (16 م).

أما فيما يتعلق بعلاقة إمارة تانسيطة بالدولة السعدية فلا بد من الإشارة إلى أن السعديين كانوا يعيشون بواحة فزواطة قبل انتقالهم إلى سوس، ومن الصعب جدا استبيان ما إذا كان للسعديين قبل رحيلهم من درعة علاقة بإمارة تانسيطة أم لا، كما أننا لا نعرف أي شيء عن موقف أمزوار تانسيطة تجاه الحركة السعدية في بداية أمرها، وكل ما نعرفه أن المزوار ابن عمرو، رئيس إمارة تانسيطة، قد حاول مقاومة نفوذ السعديين بدرعة ووصل به الأمر إلى حد التحالف مع برتغاليي أگادير ضد الدولة السعدية الفتية (*L'Afrique*, 1 : 446). وليس من المستبعد أن يكون لموقف ابن عمرو وتحالفه مع البرتغاليين علاقة بولاء الإمارة لوطاسيي فاس، إذ يكون القصد من هذا التحالف هو التشويش على السعديين وإرغامهم على العودة إلى الجنوب لتخفيف وطأتهم على المتسلطين بفاس. كما أنه ليس من المستبعد أن يكون بدافع فردي للحفاظ على مصالح الإمارة بدرعة، أو أن البرتغاليين قد تحالفوا مع ابن عمرو للتشويش على السعديين بوادي درعة لصرف أنظارهم عن التفكير في محاصرة أگادير (*التاريخ الاجتماعي لدرعة*، 151). وكيفما كانت الأسباب والدوافع التي جعلت إمارة تانسيطة تحاول مقاومة السعديين بدرعة، فإن المزواريين قد أعلنوا ولاءهم في نهاية الأمر لسلاطين الدولة السعدية. ويظهر من بعض إشارات مارمول أن السعديين قد حاولوا الاستفادة من خبرة العائلة المزوارية في الميدان الإداري، حيث نجدهم قد عهدوا لحمو بن علي المزواري بإدارة مدينة تارگالة نظرا لموقعها بباب الصحراء ولأهميتها التجارية (*إفريقيا*، 3 : 150).

ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ مارمول، *إفريقيا*، ج 2 و3 ؛ أ. البوزيدي، *التاريخ الاجتماعي لدرعة*، د.د.ع. الرباط، 1988.
D.J. Meunié, *Le Maroc Saharien* ; Marmol, *L'Afrique*.

أحمد البوزيدي

تَانْسِيفْت، اسم نهر وحوض نهري واسم جهة اقتصادية بالجنوب المغربي الاطلنتي. وتانسيفت في لهجة الشلوح هي مؤنث أسيف أي النهر أو الوادي.

تبلغ مساحة حوض تانسيفت 17.600 كلم^2 وطول الوادي 270 كلم، ومعدل تصريف النهر السنوي 760 مليون م^3 ينبع من شرق الحوز برأس العين، ويتلقى أهم روافده بضفته اليسرى من السفوح الشمالية للأطلس الكبير الغربي الذي تتميز بنيته بتنوع صخور الزمن الأول وما قبل الكمبري وهي إما صخور صلبة اندفاعية وگرانيت وحث وتكوينات بركانية وبلورية تكون القمم والسفوح العليا 2000 - 4000 م وإما صخور هشة : طين وطفل وشيست ورصيص قاري تُكون الأحواض ومقاطع الأودية العريضة. وتُكون صخور الزمنين الثاني والثالث الجيولوجيين الهوامش الجبلية ومعظمها صلب : كلس وحث وشيست وكوارتزيت. وبسبب تهدل سهل الحوز في النيوجين تعمقت الأودية في مجاريها مكونة خوانق تنتهي عند خروجها إلى السهل بمخاريط انصباب واسعة تتلاقى غالبا مكونة حادورا ومنطقة فلاحية هي التي تعرف بالدير. والأودية هي اللاره الذي يعتبره البعض منبع تانسيفت الأصلي باعتباره أبعد مجرى عن مصبه، وأودية غدات والزات وأوريكا وإسيل وغيغاية ونفيس والمالح وشيشاوة، وهي أهم مغذ له لأن مجاريها الجبلية تتلقى أمطاراً كافية : 500 - 600 ملم / سنة. وتساعد الثلوج المتراكمة فوق القمم والغطاء الغابوي والصخور المسامية والمفتتات المتراكمة على بعض المنحدرات على ضمان تصريفات صيفية لا بأس بها. ويجتهد السكان في ابتكار أساليب استغلال مياهها في الري بحيث لا يصل منها شيء إلى تانسيفت صيفا. أما بالضفة اليمنى

الشمالية فلا يتلقى سوى مسيلات أهمها واد بوالروس الذي ينبع من الجبيلات وهي سلسلة هرسينية قديمة : شيست وكوارتزيت.. لا يتجاوز علوها 1000 م.

أما سهل الحوز، وهو أوسع جزء من حوضه، فإنه تغطيه رواسب قارية رباعية وسحنات من الكلس المستنقعي فوق طبقات رسوبية ترجع إلى الكريطاسي والأيوسين توضعت فوق ركيزة هرسينية من الشيست والكوارتزيت وتظهر في بعض الأماكن كجبل گيلز بمراكش. ولا يتلقى واد تانسيفت هنا سوى مسيلات قصيرة تجري مياهها بعد سقوط الأمطار عدة ساعات أو أيام لأن أمطاره قليلة : 200 ـ 300 ملم. بل إن الوديان الجبلية تفقد جزءا مهما من مياهها بالتبخر لجفاف الجو والتسرب، إذ تغذي مياهه الجوفية. ويظهر بحافة الضفة اليسرى بعض العيون التي تساهم في تغذيته صيفا إن لم تستغل في الزراعة. والواقع أن كل مياه الوديان والعيون بالحوز تستغل في الزراعة صيفا وفي تزويد المراكز الحضرية، وأقيمت عليها منشآت مائية متنوعة، إذ تحولت البراري السهبية للحوز إلى منطقة زراعية منذ أجيال، فلا يبقى بتانسيفت أي جريان صيفي إذ يتحول إلى برك متقطعة. ولم يعد يصل من مياهه إلى البحر سوى مياه الفياضانات الشتوية والربيعية القوية. وتتميز مياهه هنا صيفا بملوحتها نظرا لوجود سحنات ملحية بضفاف مجراه بسهل الحوز الأوسط.

ونظرا لفيضاناته القوية وكثرة الرواسب الذي يتلقاها من الوديان الجبلية فإن مجراه يتميز بسرير عريض (500 إلى 1000 م) تغطيه الرمال والحصى وتنبت به شجيرات "الطارفة" وغيرها على طول 130 كلم، من بنساسي إلى مركز جماعة العروسي. وعند خروجه من سهل الحوز يقطع هضبة الشياظمة : كلس جوراسي يتعمق فيه الوادي، ثم يعبر جزءاً من سهل عبدة وتلال ساحلية متحجرة أو متحركة، ولايتلقى هنا أي رافد باستثناء مسيلات صغيرة ذات جريان عرضي لأن حوضه هنا ضيق والأمطار قليلة، (300 ملم)، والتبخر والتسرب كبيرعبر سحنات مسامية ثلاثية ورباعية. ويصب تهر تانسيفت جنوب مدينة أسفي قرب قصبة الحمدوشية بمصب عريض تغلقه الرمال غالبا بشاطئ رملي منخفض تكتسحه أشجار غابوية، تحول إلى مصطاف لأهل أسفي في الصويرة القديمة.

تانسيفت جهة اقتصادية : أحدثت بالمغرب سنة 1971 في إطار تقسيم جهوي يهدف لتكوين وحدات مناسبة للتدخلات الاقتصادية والانتعاش الإقليمي. تتكون جهة تانسيفت من أربعة أقاليم هي مراكش وقلعة السراغنة وأسفي والصويرة، تبلغ مساحتها 38.445 كلم^2، وتضم مائة وعشر جماعات قروية وسبع جماعات حضرية. تتكون من أربعة مجالات جغرافية : منطقة جبلية تشمل معظم السفوح الشمالية والغربية للأطلس الكبير الغربي وسهلي الحوز والبحيرة وجزء من سهل تادلا، وجزء من الهضاب الأطلسية والسهول الساحلية حيث يشرف على واجهة بحرية (230كلم). وباستثناء المناطق الجبلية التي تعرف تساقطات معتدلة (400 ـ 600 ملم) فإن الجهة يسودها مناخ شبه جاف حار صيفا قليل الأمطار (200 إلى 400 ملم)، يضم أكثر مناطق المغرب الأطلنتي جفافا (قعر الحوز : 150 ـ 200 ملم). فهي جهة تتميز بتباين طبيعي كبير سواء من حيث الارتفاع أو الأمطار أو المؤثرات الصحراوية والمحيطية مما ينعكس على الموارد الاقتصادية والحياة الاجتماعية. ويكون حوض تانسيفت بروافده العديدة العنصر الموحد تضاريسيا للجهة، وإن كان أم الربيع يمثل كذلك عنصرا حيويا لأن الجزء الأكبر من الحوز الشرقي وتادلا يدخل ضمن حوض أم الربيع.

وتضم جهة تانسيفت مجموعات قبلية ضعيفة التجانس هي عبدة والشياظمة وحاحة بالغرب واحمر والرحامنة بالشمال والسراغنة بالشرق ومجموعات قبلية مجزأة من البربر بالجنوب الجبلي هي متوگة وگندافة وأوريكا ومسفيوة وفطواكة. يبلغ سكان جهة تانسيفت 3.345.000 نسمة (سنة 1988) بكثافة 87 ن / كلم^2 وهي كثافة تعرف تباينا كبيرا ما بين 150 ن / كلم^2 في الجماعات القروية بالدير والمناطق المسقية سواء بالسهول الداخلية أو الأطلنتية وضواحي المدن الكبرى خاصة مراكش إلى 30 ن / كلم^2 أو أقل بالتلال والسهول الجافة : الرحامنة وأحمر والجبيلات وبعض المناطق الجبلية العالية. وتتميز الجهة بهيمنة مدينتين كبيرتين هما مراكش (440.000 ن) وأسفي (197.000ن) (1982) ومدينتين متوسطتين : الصويرة والقلعة، وأربع عشرة مدينة صغيرة تكون شبكة حضرية غير متراتبة. وتبلغ نسبة الحضريين 31.77٪، وهي دون المعدل الوطني (42٪) مما دفع السلطات إلى تدعيم حركة التمدين وتحويل عدد من القرى إلى مراكز حضرية تلبي حاجيات السكان إلى التمدين أملا في كبح جماح الهجرة الريفية نحو المدن الكبيرة أو خارج الجهة.

يعتمد اقتصاد الجهة أساساً على الزراعة التي عرفت انتعاشا بنطاقات الري الحديث وعلى تربية المواشي الصغيرة بالمناطق الجافة والجبال والأبقار بالمناطق المسقية. أما الزراعة البورية للحبوب فإنها تعاني من شح الأمطار وتذبذب كمياتها من سنة لأخرى، وهناك نشاط معدني لا بأس به : فوسفاط باليوسفية وبنگرير، وباريتين بالأطلس الكبير والجبيلات ومعادن أخرى قليلة.

أما الصناعة العصرية فمازالت ضعيفة وهي تتمثل في الصناعات الغذائية بكل من مراكش : معالجة الفواكه والخضر، ومن الأسماك بأسفي والصويرة، والصناعات المرتبطة بالفوسفاط باليوسفية وبنگرير وأسفي حيث بني مركب مهم للصناعات الكيماوية. وتعاني الجهة بصفة عامة من ضعف إمكانياتها الطبيعية واضطراب أوضاعها الاقتصادية بسبب تعرضها لأزمات الجفاف وقلة المياه وانعدام موارد الطاقة وضعف التصنيع وضعف مستوى التكوين المهني. وقد كانت هذه المنطقة سابقا تابعة إداريا لمراكش : عاصمة الجنوب، لكن لوحظ أنه لم يبق بين

أطرافها علاقات قوية بعد تطبيق سياسة اللامركزية الإدارية وانفصال إقليم أسفي عنه سنة 1967، والصويرة سنة 1973، وقلعة السراغنة سنة 1975. إذ تتجه الأقاليم المكونة حديثا إلى ربط علاقات اقتصادية مع العاصمة الاقتصادية الدار البيضاء مباشرة. ولخلق نوع من الاندماج الاقتصادي الإقليمي والجهوي.

تتكون جهة تانسيفت من أقاليم طبيعية متنافرة : أودية جبلية ودير مسقي وسهول داخلية شبه جافة وهضاب أطلنتية وسهول ساحلية تتميز برطوبة نسبية وذلك بهدف خلق تبادل وتكامل بين الأقاليم، ولكن يلاحظ أن عملية خلق التيارات الاقتصادية بين أطراف الجهة لازالت تتعثر بين اجتذاب قطب الدار البيضاء وقطب الجنوب النامي : أكادير، كما أن شبكة المواصلات الحديدية والبرية ينقصها الطول والاندماج، فمحاورها الرئيسية تتجه إلى الدار البيضاء.

وعلى المستوى الفلاحي فإن تخلف أساليب الزراعة واضطراب أحوال الطقس من سنة لأخرى يؤدي إلى ضعف الاستثمارات بها وبالتالي ضعف الإنتاج الذي لا يسد الحاجيات المحلية في المواد الأساسية اللهم إلا في الفواكه والخضر التي يختص في إنتاجها، ضمن زراعة تسويقية، عدد من النطاقات المسقية الحديثة والتقليدية : 300.000 هـ، إذ يتميز كل من إقليم مراكش وقلعة السراغنة بتوفرهما على نطاقات مسقية واسعة ومنشآت ري مهمة : خطارات وسدود وشبكة القنوات وضخ ميكانيكي. وتتوفر الجهة على 1.5 مليون هـ من الأراضي الصالحة لزراعة الحبوب البورية، إلا أن قلة الأمطار وعدم انتظامها يجعل إنتاجها ضعيفا. لكنها توفر بالإضافة إلى المناطق الجبلية مراعي واسعة للمواشي الصغيرة : 3.5 مليون رأس.

وهناك تبادل تجاري مهم على مستوى المنتوجات الغذائية، وباستثناء الصناعات الاستخراجية المنحصرة بالمناجم فإن الصناعات العصرية وكذلك التقليدية تتركز في المدن الكبيرة والمتوسطة. فمدينة مراكش وحدها تستأثر بنصف عدد عمال الجهة لكنها تقتصر على صناعات غذائية وخفيفة وتقليدية كما تستأثر أسفي بثلث عدد العمال وهم يتركزون في نشاط رئيسي هو معالجة الأسماك، خاصة السردين وفي الصناعات الكيماوية. أما الصويرة فنسبة عدد عمالها في هذه الجهة هو الثُّمن وهم يعملون في معالجة الأسماك والصناعة التقليدية ومنها صناعة الجلود. وكل هذه الصناعات هشة وموسمية، لا تحتاج إلى خبرة عالية وهي تذر على العمال أجورا زهيدة، وتفتقر سلسلتها إلى حلقات مهمة كالصفيح بالنسبة للتعليب وحامض الفوسفور المستورد لصناعة الأسمدة الفوسفاطية والنسيج للخياطة ومواد متنوعة للصناعات الخفيفة. وتبذل جهود لتقوية التيارات التجارية بين الجهة ومينائها الكبير أسفي حيث صارت توجه إليه كل معادن الجهة.

وتعرف الجهة نشاطا سياحيا متزايدا لكنه يتركز أساسا في مدينة مراكش وجبالها وبنسبة بسيطة في مدينة الصويرة. وحقق هذا النشاط توسعا مهما في السنوات الأخيرة خاصة بمراكش حيث بلغت قدرتها الإيوائية 11.350 سريرا و59 مؤسسة مصنفة (1988) وهذا مقابل 368 سريرا بالصويرة و562 سريرا بأسفي. ويلاحظ أن السياحة الداخلية بدأت تلعب دورا متزايدا : اصطياف المراكشيين بالصويرة والوليدية، وزيارة مراكش وبعض المراكز الجبلية : مولاي إبراهيم وأوريكا وأوكايمدن من طرف سكان السهول والسواحل. لكن هذه الحركة لازالت تنحصر في معظمها بين الحضريين. ولازالت الجهة تعاني من تباين المعطيات الطبيعية، فهي تتكون من قطبين اقتصاديين مهمين بهامشها الغربي الاطلنتي والجنوبي الشرقي بالدير يفصل بينهما نطاق انتقالي شبه جاف قليل السكان، إلا أن تنوع المؤهلات والمنتجات يربط جهات المنطقة بعلاقات تبادل تكاملية تنمو باطراد، كما دعمت الجهة بعدد من الأجهزة الإدارية والقوانين لخلق شخصية إقليمية جهوية.

بحوث السنة الرابعة (جغرافية) لطلبة كلية الآداب بمراكش.

Région économique de Tensift, Ministère de l'Habitat, Rabat, 1981 ; O.R.M.V.A.H., *Les ressources naturelles et la mise en valeur de la plaine du Haouz*, *RGM*, n° 17, 1970 ; Bellaoui, *Un exemple de régionalisation au Maroc, la région économique du Tensift*, *Revue de la Faculté des Lettres, Marrakech*, n° 4, 1989 ; J. Pégurier, *Espaces urbains en formation dans le Tensift*, Rabat, 1981.

أحمد هوزالي

* * ذكر تانسيفت في التاريخ القديم ثلاثة مؤرخين بأسماء مختلفة، وأخص بالذكر بلين القديم وفلاڤيوس جوزيف ثم بطليموس.

يقول بلين القديم في الكتاب الخامس، الفقرة 13 من التاريخ الطبيعي : "إن الأهالي يحكون أنه يوجد على الساحل وعلى بعد 150 ميلا من وادي سلا (Salat)، نهر أسانا، ثم مجرى مائي يسمونه فُوتْ "Fut" بعيد عن ديريس (الأطلس) بحوالي 200 ميل".

ظهر اسم "فوت" في نفس الفترة في مؤلف المؤرخ اليهودي فلاڤيوس جوزيف (Flavius Josephe) ولكن بشكل مغاير بحيث نجد اسم Phoutés، وهذا الأخير حسب نفس المؤرخ، من أبناء حام ومؤسس ليبيا، ويقول أيضا إن هناك نهراً يحمل نفس اسم Phoutés في بلاد الموريين.

أما الجغرافي بطليموس فيعطينا اسم "فْتوت" Phtout ويحدد موقعه حسب الاحداثيات التالية (7° و30' - 30 °30') ويقول إنه يوجد جنوب رأس الشمس والذي قد يكون النسخ الاغريقي "لرأس سوليس"، وبما أن رأس سوليس يطابق عادة برأس كانتان، فسيكون من الطبيعي مطابقة "فوت" بأول نهر كبير يصب في البحر إلى الجنوب من هذا الرأس ونعني بذلك "تانسيفت".

وحسب الباحث دوزانج، يكون نهر تانسيفت قد حمل اسما مزدوجا، كوسة "Koucs" والذي يمكن مطابقته بنهر Kouz وهو اسم تانسيفت عند المصب ثم "فوت" الذي يطلق على المجرى المائي ككل. أما بطليموس فيرى أن الأمر

يتعلق بنهرين مختلفتين.

وفيما يخص المسافة التي تفصل بين "فوت" والأطلس فهي تقدر بحوالي 200 ميل وهي مسافة قدرت من المصب إلى رأس گير وهي أكبر مسافة بين تانسيفت والأطلس، ويبدو أن فيها مجازفة لأنها لا تتجاوز في الواقع 205 كلم أي 140 ميلا تقريبا. ويظهر أن الأهالي قد قدروا هذه المسافة حسب السير على الأقدام وبالتالي فرحلتهم كانت تعرف نوعا من الانعراج في اتجاه الداخل.

وكيفما كان الاسم الذي اطلق على النهر من طرف القدماء، فتجب الإشارة إلى أن الأمر يتعلق بواد تانسيفت أحد أكبر أودية المغرب الجنوبي.

Ch. Tissot, *Recheches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, p. 252 ; Dessau, *Real Encylopedia*, S.V. "Fut", Coll. 406 ; Pline l'Ancien, *Histoire Naturelle*, Livre V, ed. J. Desanges, 1980 ; Ptolémée, IV, 1, 2, p. 578, edit. Muller ;

Flavius Josephe, *Antiquités Judaïques*, I, 6, 2, I, 133.

عبد العزيز بل الفايدة

تَانْغَايَة، جبل توجد أعلى قمته بالمدشر الذي يحمل اسمه بقبيلة الأخماس (إقليم شفشاون) ثم يمتد من باب تازا إلى ثلاثاء قبيلة بني أحمد، وارتفاعه فوق سطح البحر 1712 متر.

Cabello, *Géo.*, 70 ; Domenech, *Zona Norte*, 29 ; Martinez Campos, *España belica*, 348, 352.

محمد ابن عزوز حكيم

تَانَغْمْلْتْ، وتكتب أيضا تناغملت وتنغملت (*ممتع الأسماع*، 161 ؛ *دوحة البستان*، 58 ؛ *مباحث الأنوار*، 144 ؛ *الدرة الجليلة*، 2 : 258 ...). وعلى الرغم من أن مبناها جاء على صيغة بربرية مألوفة، فإننا لم نستطع تفسير مدلولها. وقد تكون لفظة عربية مشلحة. ففي مادة غمل في اللسان، قال ابن منظور : "وقيل الغملول، هو الوادي الضيق الكثير الشجر والنبت الملتف، وقيل هو الوادي الطويل القليل العرض الملتف". يبدو هذا الوصف قريبا جدا من منظر الوادي الذي تشرف عليه زاوية تانغملت وفيه أيضا "الغملة: الأرض الكثيرة النبات التي يواري النبات وجهها". ويكاد هذا الوصف ينطبق أيضا على تانغملت، بما حواليها من أشجار وغابات، لعلها كانت أكثر كثافة مما هي عليه الآن. أما المعني البربري القريب من وصفها فهو من إغمر وهو الكتف والموقع الذي على كتف سفح جبل أو واد. أما قلب الراء لاما فهو أمر وارد عندهم حيث تأتي كلمة تانغملت من تانغمرت.

وتانغملت قرية تأسست حول زاوية، وهي تقع في منطقة الاتصال بين الأطلس الكبير والأطلس المتوسط على بعد حوالي مائة وأربعين كلم شرقي مراكش. أما من الناحية البشرية فإنها تقع على حدود ثلاث قبائل كبرى هنتيفة غربا، وأيت عتاب شمالا وأيت مصاض شرقا. وينتمي جل سكانها لأيت أُنـلْ ويُـكونون أحد أخماس هنتيفة الجبل. وكلهم من البيض باستثناء بعض العناصر الملونة المنحدرة من عبيد سود كانوا مرتبطين بخدمة الزاوية.

ويعتبر هذا الموقع الوسط ذا أهمية بالغة بالنسبة للزاوية، لأنه المكان المواتي لقيام مثل تلك "المؤسسة". ومن الناحية الثقافية والسكانية تقع تانغملت في منطقة الاتصال أيضا، بين مجالي الأمازيغ والشلوح. ويظهر ذلك من خلال لغة السكان اليوم، إذ هي خليط من تامزيغت وتاشلحيت. وتقع من حيث الموضع، غرب شلالات أزوض، على السفح الشرقي لجبل تَـغْـسْـوَادْ، عند ملتقى واد أمرصيد بواد العبيد.

وعلى الرغم من قربها من منطقة تادلا، التي تمر عبرها الطريق التقليدية الواصلة بين فاس ومراكش والتي وقعت فيها أغلب المواجهات بين جيوش الدول الناهضة وجيوش الدول الآفلة، فإن ذكرها لم يرد في أي نص من النصوص القديمة المعروفة أمثال البكري والادريسي والبيذق وابن عذاري وابن الزيات وابن خلدون وابن عسكر والوزان وغيرهم، خاصة وأن بعض هؤلاء يعرف المنطقة كالبيذق، والبعض الآخر قد تنقل في تلك الجهات. ولعل أشهر من زار تلك المناطق هو الحسن الوزان الذي وصف قرى أيت عتاب وهنتيفة ولتانة...

وتذكر الرواية الشفوية أن تاريخ تأسيس تانغملت يرجع إلى القرن الثامن الهجري (14 م)، ولا يوجد لهذا الرأي أي صدى في النصوص المعروفة لحد الآن ؛ ولعله وهم من الأوهام. وأول من ذكر تانغملت هو محمد المهدي الفاسي، في كتابه *ممتع الأسماع*.. فقد ارتبط ذكرها عنده بوفاة موسى البوگمازي دفينها (*ممتع الأسماع*، 161). لعل تأسيسها كان على يد هذا الأخير، وكان قد تتلمذ على يد الشيخ أبي عثمان سعيد بن علي الهشتوكي دفين واوزغت (*دوحة البستان*، 58) وانتقل البوگمازي أو البوجمازي بعد وفاة شيخه إلى تامصلوحت حيث أخذ الإذن عن الشيخ عبد الله بن حسين، ليتصدر للقيام بشؤون زاوية شيخه الأول (*ممتع*، 162) ؛ إلا أن مجيء الشيخ محمد بن محمد بن الحسن الدادسي إلى زاوية أبي عثمان بواوزغت جعل البوگمازي يغادرها. وقد كان الدادسي المذكور من أصحاب شيوخ من مؤسسي الزوايا أمثال عبد الله بن حسون السلاسي وعبد الله الهبطي وأبي بكر الدلائي. وأخذ عن هؤلاء الشيوخ وتتلمذ عليهم (*ممتع*، 188) مما رفع مقامه الصوفي في نظر البوگمازي الذي كان ما يزال مجرد مريد، الأمر الذي أفضى به إلى الهجرة ضاربا في الأرض وباحثا عن مستقر جديد، إلى أن ألقى عصا التسيار بتانغملت. كان ذلك حوالي الثلث الثاني من القرن الحادي عشر (17 م) ؛ على وجه التقريب. وتتحدث النصوص بعد ذلك عن ابنه عبد العزيز. كان هذا الأخير من جملة من لقيهم علي بن عبد الرحمن الدراوي المتوفى سنة 1091 / 1680.

يبدو أن حركة الاستقرار بالمنطقة بدأت تتوطد في عهد عبد العزيز بن موسى البوگمازي. وفي هذا الصدد يذكر محمد بن عبد الله الخليفتي أن هذا الرجل قام بمبادرتين في غاية الأهمية. ففي زمن إحدى المجاعات، لعلها مجاعة

سنوات 1070 / 1072هـ، بعث بأحد أبنائه ـ وهو محمد بن عبد العزيز ـ إلى درعة لجلب التمر. يقول الخليفتي : "وأتاه بالتمر وجعل يطعم الناس بالحساء مع التمر" (*الدرة الجليلة*، 305) أي أنه قام بإرفاق الناس في زمن المسغبة. ومن شأن الإطعام في مثل تلك الظرفية أن يرفع مكانة القائم به في أعين سكان المنطقة. كما عمد إلى غرس شجر اللوز بالمنطقة، الأمر الذي أفاد السكان حينما حلت بهم المسغبة خلال العقد الموالي، حيث قام أحد فضلاء ذلك البلد بصنع حساء من ثمر اللوز وتقديمه للجياع (*الدرة الجليلة*، 306).

وبناء على ذلك يمكن القول إن عبد العزيز بن موسى هو المؤسس الفعلي للزاوية التي بدأ أمرها ينتشر بين الناس لاسيما وأن شيخها اعتبر قضية إطعام الطعام نوعا من الغزو والجهاد، واتخذه شعارا. يشير الخليفتي إلى أن عبد العزيز بن موسى قد صار مقصودا بالزيارة "لكونه من كبار الأولياء". بل لقد قال على لسان أحد مترجميه : "رأيت بتافيلالت كتابا كبير الجرم، ضخما مملوءا بمناقب الشيخ عبد العزيز بن موسى، بالغ فيه مؤلفه وأطنب" (*الدرة الجليلة*، 277). وهكذا صارت تانغملت مقصودة بالزيارة، وأمدها الزائرون بالهبات والصدقات. وهذا من شأنه أن يدعم مكانتها في ذلك الوسط، ويهيئ للسكان شروط الاستقرار، عن طريق الوساطة والتحكيم في النزاعات، وترسيخ التعاليم الإسلامية، مما مكن للزاوية هنالك، وجعلها قطبا جاذبا بالنسبة لطلبة العلم وحملته. وفي هذا الإطار قدم إليها الفقيه المتصوف محمد بن مسعود المراكشي، تلميذ الشيخ محمد بن عبد الله السوسي، حيث اشتغل فيها بتدريس الحديث والتفسير حتى وفاته بالطاعون الجارف الواقع سنة 1090 / 1679 (*مباحث الأنوار*، 111 ـ 114 ؛ *إعلام المراكشي*، 46 ـ 47). ارتحل إلى تانغملت على إثر اضطراره إلى فراق صاحبه علي بن عبد الرحمن الدراوي الذي امتحن بدوره من قبل السلطان مولاي الرشيد في إطار الحملة التي شنها هذا السلطان على مختلف الزوايا (*دوحة البستان*، 213).

تفيد هذه الإشارات أن زاوية تانغملت أضحت ملاذا بالنسبة لبعض من يطلبون الملجأ في زمن المحنة ؛ ربما لأنها ما تزال لم تثر بعد انتباه حكام الوقت أو لأن الوصول إلى موقعها الجبلي كان يتطلب استعداداً خاصا. كما أن سوق العلم بها بدأت تروج، ومن ذلك أن ابن مسعود المراكشي أقام فيها مجلسا للتفسير والحديث.

إلا أنها سرعان مالفتت انظار المخزن. وفي هذا الصدد وردت وثيقة مؤرخة في حادي عشر رمضان سنة 1090 / 1679، تشبه تقريرا يوضح نظرة المخزن إلى مرابط تانغملت حيث تقول إن محمد بن عبد العزيز بن موسى ـ الذي قد يكون هو متولي شؤون الزاوية بعد أبيه ـ "مرابط خير"، وإنه "من أهل الجود والخير والوفاء، وفيه حسن الخلق للطائع والعاصي والرحمة والشفقة للمسلمين وإخوانه ..." "وباب دارهم مفتوح للطعام : من جاءهم يأكل ويشرب لوجه الله ورسوله ...". وفي هذا دليل قاطع على أن تانغملت أصبحت زاوية، تضطلع بمختلف الوظائف المنوطة بباقي الزوايا، خاصة وأن الوثيقة شهادة عدلية، ربما جاءت لتبرئة الذمة من التوق إلى الخوض في الشؤون السياسية وتنص على ذلك صراحة حيث تصف المرابط بالقول : "والفضول تركهم، بينهم وبين الفضول ما بين السماء والأرض". لعل هذه التبرئة كانت بطلب، استصدرها مقدم لإثبات بعده عن الخوض في الشؤون السياسية، الأمر الذي يفضي إلى الاعتقاد أن أمر تانغملت كزاوية بدأ يفشو، وأن حكام الوقت قد علموا بوجودها.

نذهب هذا المذهب ونحن نستحضر السياق التاريخي وموقف سلطان الوقت من الزعامات المحلية. كما يظهر من خلال الوثيقة المشار إليها أن زاوية تانغملت قد عرفت بسطة في الرزق، إذ توفرت فيها الزروع والمواشي والأموال وأصبح لها عبيد أي أنها اكتسبت دعامة مادية أهلتها لأن تصير مركز إشعاع في المنطقة، يتوافد عليها المعوزون والمنقطعون واللاجئون من طلبة العلم وغيرهم. فاضطلعت بتلقين السكان العلم والتعاليم الإسلامية ؛ بل صار مختلف نقبائها سدنة الإرشاد إلى الشعائر الدينية يدعون إلى الحفاظ على السنة المحمدية.

وقد تبلور ذلك حين تتلمذ الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد العزيز التانغملتي المتوفي سنة 1168 / 1755 على الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي. وعلى الرغم من أننا لانعرف الكيفية التي تم بواسطتها الاتصال بين الشيخين المذكورين، فإنه يمكن الجزم بأن الصلات بين تانغملت ودرعة ترجع إلى عهد عبد العزيز بن موسى، على الأقل. فقد أشرنا إلى أن هذا الأخير كان بعث بابنه محمد لجلب التمر إلى تانغملت من أجل إرفاق الناس زمن المسغبة.

هكذا دخلت زاوية تانغملت في بداية عزها لما انخرط شيوخها في سلك الطريقة الناصرية. فقد استناب شيوخ الناصريين محمد بن إبراهيم التانغملتي، في تلقين الذكر، وأذنوا له في إعطاء الورد، "وشهدوا له بالصلاح". يقول الخليفتي في ترجمة التانغملتي : "وسلك الطريق حق السلوك على نحو طريقة الأشياخ، على سبيل السنة المحمدية ... ونسج على منوالهم ..." (*الدرة الجليلة*، 278). أي أن تانغملت قد أصبحت منذئذ فرعا للزاوية الناصرية ذات الشهرة الفائقة آنذاك. فصارت ذات سند روحي دعم مكانتها في المنطقة. فقد صار شيخها يشتشهد بالرؤية، ويعقد المحبة مع شيوخ آخرين، مما يدل على أنه بلغ درجة معينة في سلم الصوفية. بل تواترت عنه المناقب والكرامات والخوارق. وينبغي أن نشير إلى أننا لا ندري هل تمسكت تانغملت بالطريقة كما تلقنها شيوخها من الناصريين أم أنها أحدثت وردا جديدا ؟

ومهما يكن من أمر فقد توطدت مكانتها بين سكان تلك المنطقة، كما يشهد على ذلك الخليفتي وهو معاصر

لمحمد بن إبراهيم التانغملتي. فقد لعب هذا الشيخ دورا حيويا في تلك المنطقة النائية وهي منطقة عبور واتصال وعدم استقرار، كثيرا ما سادها العنف والاضطراب لاسيما في فترات ضعف السلطة المركزية، مما جعلها أحيانا شاغرة من القائمين بالأحكام السلطانية"، لذلك تصدر شيوخ تانغملت للتحكيم في النزاعات والإشراف على عقد الصلح والوساطات بين الناس الشيء الذي هيأ ظروف الأمن وبالتالي خدمة الأرض وتوسع حركة الاستقرار فصار محمد بن إبراهيم التانغملتي "كثير العطاء للإخوان والشرفاء وأولاد الأشياخ وذوي الحاجات" بل كان "يعطي البقر والبغال والزروع والزيت والكسوة وغير ذلك .." (*الدرة الجليلة*، 278). مما يدل على أن تانغملت حققت نوعا من التراكم في الثروة، فصارت مركزا لجمع الثروة وإعادة توزيعها. وتشهد بطاقة من نفس الزاوية على أن الناس كانوا يقترضون منها المال، ومن الناس من كان يلتمس من شيوخها قضاء دينه.

ومن خلال عقد نكاح الشيخ محمد بن إبراهيم التانغملتي يبدو من الممكن تصنيف هذا الرجل ضمن الموسرين. بالإضافة إلى ذلك كان بعض موظفي المخزن يلتمسون من نفس الشيخ أن يتدخل لدى بعض من امتنع من القبائل لدفع مانابهم في خدمة السلطان".

لكن من خلال ترجمة عبد الرحمن التانغملتي المتوفى سنة 1182 / 1769، قد نستنتج أن زاوية تانغملت قد عرفت نوعا من التراجع في هذا العهد، حتى إنها لم تنج من أعمال النهب التي اشتغل بها أيت تاگلا جيرانها، فقد تنصلت بعض القبائل من التبعية لزاوية تانغملت، كقبيلة أيت وَزْطا، بل إن هذه القبيلة قد خرقت الهدنة التي عقدت على يد شيخ الزاوية. كما أن سوق العلم عندهم قد اعتورها بعض الكساد. ويتضح ذلك من رسالة بعث بها الشيخ التانغملتي إلى ابنه، ومن جملة ما جاء فيها : "وإن قدرت أن تجلس في موضعك وقراءتك فهو أحسن إليك، وإلا فالبلد هذه الساعة مافيه من يقول أعوذ بالله"... "ولاتقصر فإن المسجد بقي بلاعمارة".

لا نستطيع استجلاء مختلف الأسباب التي أدت إلى هذا التراجع في النفوذ دون وضعها في إطار الظرفية العامة التي طبعت المغرب آنذاك. وتتلخص بعض الأسباب فيما يلي :

1 - رغم عودة الهدوء في عهد السلطان محمد بن عبد الله ابتداء من سنة 1170 / 1757 فإن المناطق الجبلية ظلت مضطربة.

2 - سلك هذا السلطان سياسة الشدة إزاء الزوايا.

3 - انعدام الأمن في منطقة تانغملت وما جاورها بسبب التحركات القبلية، وخاصة أيت عطا الذين كانوا يقومون في زحفهم العنيف بدفع القبائل الواقعة في مجال تنقلاتهم، مما كان ينتج عنه اضطراب في علاقات القبائل، ويخل بالتوازنات التي تعمل الزاوية على الحفاظ عليها، بسبب وساطاتها.. ولربما تأثرت الزاوية بدورها من جراء الوضعية الجديدة. ولربما صعب على شيوخها أن يقوموا بأدوار الوساطة والتحكيم لدى العناصر الطارئة على المنطقة. ويروى لنا الخليفتي الشيء الكثير عما أحدثه أيت عطا من أضرار وتضييق على السكان وعلى زوايا المنطقة، حيث كانوا ينهبون السكان ويغرِّمونهم (*الدرة الجليلة*، 354 - 355). ولعل العداء كان مستحكما بين أيت عطا وبين أتباع الزاويا الناصرية هنالك. ويرجع ذلك إلى أن أيت عطا كانوا أتباعا لحنصالة المخالفين في الطريقة للناصريين.

وعلى الرغم مما طرأ على الزاوية من تراجع في الجانب المعنوي، وهو شيء ظرفي على ما يبدو، فإنها قد استرجعت نفوذها المادي وظل قائما في هذا العهد وفيما بعد. وأول ما يسترعى الانتباه أن الزاوية أصبحت لها خزانة تحوي عددا من مؤلفات ذلك العصر. ولعل مرد ذلك إلى كونها أضحت كحرم يستودع فيه طلبة العلم كتبهم خشية أن تتعرض للنهب. وما تزال خزانتها حتى الآن تحتفظ ببضع مئات من المخطوطات من بينها كتب أصلية نادرة.

ظلت الزاوية تتوصل بالهبات والزيارات المتنوعة من الخدام والأتباع الذين اتسع نطاقهم ليشمل أيت مصاض وأيت بوگماز وولتانة وأيت عباس بالإضافة إلى أيت عتاب وهنتيفة. فأصبحت الزروع تقدم بالأحمال ورؤوس الأغنام بالعشرات والنقود بمئات الريالات، كما تشير إلى ذلك وثائق الزاوية.

ولعل أوج النفوذ المعنوي بالنسبة لزاوية تانغملت قد أدركته في عهد الشيخ العباس بن محمد التانغملتي، هذا العهد الذي يصادف النصف الثاني من القرن التاسع عشر ؛ إذ لم تقتصر وساطات شيوخ تانغملت على القبائل والجماعات بل أصبحت تتوسط بين المخزن والقبائل. تشير وثيقة مؤرخة في تاسع ربيع الثاني سنة 1307 / 1890 إلى أن الشيخ قد توسط بين أيت إبراهيم وعامل إينولتان الجيلالي الدمناتي الذي وجه لهم "أمانة" على يد الشيخ التانغملتي؛ طالبا منه بذل المزيد من المساعي الحميدة، قائلا : "ها الأمان عليهم يصلك، فلابد بارك الله فيك كلِّمهم، وأرشدهم للجادة التي فيها صلاحهم مع المخزن، لأن بقاءهم على انحرافهم لا يفضي لهم بخير" الأمر الذي دعم مكانة الزاوية في تلك الجهات. حتى إن العامل المذكور قد لجأ طالبا الحرم بدوره، في أثناء ثورة إينولتان بعد وفاة السلطان مولاي الحسن، بزاوية تانغملت. وظل هنالك مقيما مدة، لم يمسسه أحد بسوء. ويشير الغجدامي إلى أن شيخ الزاوية آنذاك قد أكرم مثوى العامل المنفي ومكث هنالك معززا مكرما حتى انفرجت الأزمة (*التسلي*، 55 و66).

لكنها إذا استرجعت - إلى حد ما - مكانتها العلمية في بداية القرن الثالث عشر ، كما ألمعنا إلى ذلك سابقا، فإن هذه المكانة لم تعد مواكبة لنفوذها المادي والمعنوي بعد ذلك إذ اعتور مكانتها العلمية بعض التراجع. فقد طاف الغجدامي أثناء طلبه للعلم على مختلف مراكز تلك الجهات

في كل من إينولتان والسراغنة وأيت عتاب وهنتيفة وأيت ماجطن، ولم يعرج على تانغملت (الغجدامي، التسلي، 33) وعند ذكر مختلف شيوخ المنطقة لم يشر إلى أحد من أهل تانغملت (التسلي، 36. 67).

لعل هذه مرحلة حتمية في تاريخ الزاوية على العموم : يصبح الجانب العلمي والروحي في تراجع لحساب تراكم الثروة وتوثيق الصلات مع المخزن وممثليه، لتلوح في الأفق مرحلة الأفول. وهكذا لم تقتصر العلاقات بين الزاوية والمخزن على مستوى العامل، بل تعدى ذلك إلى السلطان نفسه. وفي هذا الإطار يوجه السلطان مولاي عبد العزيز، بدوره رسالة إلى الشيخ أحمد بن العباس التانغملتي في ثامن عشر رجب من سنة 1312 / 1995، يأمره بالتوسط بين عامل إينولتان وبين إيالته ؛ يقول فيها : "فنأمرك أن تزيد على عملك حتى يتم صلحكم معه ويزول ما بينهم وبينه من التنافر ويحصل الائتلاف وبذلك تزيد عندنا حظوة ومكانة...". يظهر أن الزاوية بدأت توظف ما تملك من نفوذ لخدمة المخزن على الرغم من أن هذا الموقف قد تستهجنه العامة أحيانا ؛ ذلك لأن المكانة التي استمدتها الزاوية من القاعدة صارت تسخرها ضدها، ومن ثم يشرع المخزن في توجيه الظهائر إلى القبائل في شخص ممثليه لتوقير الزاوية واحترامها. وكأن تلك الظهائر صكوك شهادة على مصادرة ما كانت تتمتع به الزاوية من نفوذ معنوي (البركة).

ولما قدم أحمد الهيبة إلى مراكش أثناء ثورته، بعد توقيع الحماية مباشرة ؛ بعث هو الآخر برسالة ثانية إلى أحمد بن العباس التانغملتي طالبا منه التدخل لدى القائد صالح أوراغ الذي يبدو أنه لم يكن مواليا لحركة الهيبة. فخاطبه قائلا : "فنحبك تتكلم معه وتعظه وتحرضه على التمسك بدينه وشد عضد اهله... فاسع في ذلك وفي غيره من مصالح المسلمين، ولا نحتاج إلى التأكيد عليك في ذلك". بل إنه يعتمد على مكانته في تلك المنطقة لاستمالة القبائل فيقول له : "ونحن اتكلنا في مصالح تلك الجهة عليك، فكن عند الظن بك وقف جهدك".

وسلك الفرنسيون نفس الاتجاه حين استيلائهم على مراكش، فقد وجه نائب الكولونيل مانجان إلى شيخ تانغملت رسالة يلح عليه في الانضمام إلى جانب المحتلين، وكان المرابط قد أظهر له عدم رغبته في التعامل معهم، معتذرا له بأنه "رجل مرابط ولا مدخل له في الأمور سوى أمور الديانة". إن إلحاح الضابط الفرنسي نابع من تقديره لمكانة الزاوية في المجتمع المغربي. كما يتضح من العبارة التالية الواردة في نفس الرسالة : "لكن نعرف لك اليد والكلمة في بلاد هنتيفة وأيت مصاط وأيت عتاب". وسعى إلى إقناعه قائلا : "ولا يخفاك أن الدولة الفرنساوية جرى الاتفاق بينها وبين المخزن بأن تطوع جميع البلدان الفاسدة". لذلك يعمد إلى الضغط عليه بشتى الوسائل قائلا : "وعلى هذا نحبك تعيننا على هذا الأمر" ؛ ما دام الفرنسيون عازمين على تطويع مختلف القبائل بدون تكاليف كبيرة : "ونحبوا الدخول إليها دخول الأخ عند أخيه من غير بكاء ولا إهراق دم، وتكون ملاقاتنا معكم بالفرح والسرور". من أجل ذلك حاول أن يستقطبه ويستعمله لأنه كان يدرك مكانة زاويته وتأثيرها على سكان تلك الجهات ؛ فيحثه على تهييئهم - كما حدث في مناطق أخري - وهو لا يخفى مقاصده : "فبسبب هذا أردنا معك المصارفة لأجل كلمتك نافذة في جميع تلك النواحي، وتقدر توجد نؤمن بأنك تستطيع أن تمهد إلينا تلك البلاد حتى ندخلوا إليها بالفرح وغاية السرور" وفي مقابل ذلك يعده ويمنيه : "وإنما أتكلم مع أحد الرجل ذي عقل وفطنة وسياسة وخيارة، الذي ستكون له مكافأة على خدمته...".

يتبين من خلال مقاطع هاتين الرسالتين أن زاوية تانغملت كانت في صدارة الأحداث بتلك المنطقة. لكن نجد شيخ الزاوية يلتزم الحذر إزاء الحالتين، مما يدل على سلوكه بمراعاة الأمر الواقع. فهو لم يعلن بعد عن موقفه الصريح مادامت الأمور لم تستتب لأي أحد.

لكن حين أصبح المخزن الجديد يسيطر علي الوضع مال شيخ تانغملت إلى التعامل مع هذا الوضع بلباقة، نستفيد ذلك من رسالة وجهها القائد عبد الله أوشطو إلى شيخ الزاوية يدعوه فيها إلى زيارته من أجل الاستجمام ويلوح إليه بالتوسط لدى بعض القبائل التي "ما تزال خارجة عن الطاعة".

وبعد وفاة الشيخ أحمد بن العباس التانغملتي سنة 1350 / 1932، دخلت الزاوية مرحلة واصلت فيها وظائفها في سياق الظروف الجديدة تحت سيطرة الاستعمار. ولعل ذلك راجع إلى الوضعية الجديدة التي عاشها المغرب عامة. فقد ذكرها جورج دراگ، فيما بعد، من بين الزوايا التي "استمالها" الفرنسيون (Drague, *Esquisse*, 107 note 6). وعلى الرغم من أن الوثائق والمستندات تصبح نادرة بعد سنة 1350 / 1932، وهو شيء يثير أكثر من تساؤل ؛ فإن الرواية الشفوية تفيد أن تانغملت عرفت نشوب نزاع بين بعض أبناء سيدي أحمد أ'لعباس وإخوته من أجل ولاية شؤونها. لكن يبدو من خلال ملاحظة ممتلكات الزاوية حاليا، وما يتوافد عليها من زوار من مختلف قبائل الأطلس - من إينولتان إلى أيت بوگماز - أنها ماتزال تتمتع بنفوذ كبير. فالوفود تترى عليها طوال السنة، حتى تضيق بمن فيها، بصفة خاصة خلال شهري شتنبر وأكتوبر من كل سنة، فترى عشرات الرجال والنساء - يتقدم كل جماعة مقدمها - يمثلون في السبعينات والثمانينات بين يدي الشيخ سيدي اليزيد بن الأمين بن العباس، في "المصرية" المعدة للاستقبالات ؛ من أجل التبرك واستمطار دعوات الشيخ وطلب الاستشفاء. ويستشف مما يحكيه الشيخ المذكور أن نجم الزاوية لم يأفل في عهد الحماية، خاصة لما استيقن الفرنسيون من "حيادها" تجاه الشؤون السياسية. وهذا الحياد - في نظره - هو الذي جعله من رفقاء القائد أوشطو، يتردد بين الحين والآخر على بعض الشخصيات المخزنية

المرموقة.

يتضح من هذه الرواية إذن أن جانب تدبير شؤون المؤسسة ذات الدور الاجتماعي قد صار مهيمنا على زاوية تانغملت - في هذا العهد - مما قد يدفع إلى الظن أن الجانب الروحي / الصوفي بدأ يتراجع، وهو أمر طبيعي في تطور الزوايا بصفة عامة.

ومازالت - اليوم - تتلقى هبات وزيارات متنوعة ومختلفة ؛ ومقابل ذلك تؤوي وتطعم كل من يلوذ بها أو يلجأ إليها أو يزورها. ومازالت تحسم في بعض القضايا اليومية التي تعرض على شيخها، بين الحين والآخر، ومايزال مسجدها الجامع بكل مرافقه - ومنها الحمام - يقوم بدوره على أحسن وجه. إلا أن دورها التعليمي قد اندثر، منذ انتشار التعليم الرسمي ؛ شأنها في ذلك شأن معظم زوايا المغرب ؛ على الرغم من أنها تحتفظ بعدد من المخطوطات النفيسة.

ومن شيوخ زاوية تانغملت : موسى البوگماري (بداية النصف الثاني من القرن الحادي عشر) وعبد العزيز بن موسى كان بقيد الحياة عام 1090 هـ ومَحمد بن إبراهيم بن عبد العزيز، توفي عام 1168 هـ وعبد الرحمن بن مُحمد بن مَحمد توفي عام 1182 هـ ومَحمد بن مُحمد بن مَحمد (النصف الأول من القرن الثالث عشر) ؛ العباس بن مَحمد توفي حوالي 1311 هـ ؛ أحمد بن العباس توفي عام 1350هـ. ومازال منهم أحياء اليوم.

وثائق زاوية تانغملت وزاوية كرول ؛ أحمد الولالي، *مباحث الأنوار*؛ م. م. الفاسي، *ممتع الأسماع* ؛ محمد المنالي الزبادي، *دوحة البستان* ؛ محمد بن عبدالله الخليفتي، *الدرة الجليلة*؛ م. الغجدامي، *التسلي*...

G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse.*

التانغملتي، أحمد بن العباس بن مَحمد بن مُحمد ابن مَحمد بن إبراهيم بن عبد العزيز بن موسى، البوگمازي. يعرف بـ "سيدي أحماد أُلعباس". لا نعرف تاريخ ميلاده، إلا أن أقدم وثيقة تذكره - حسبما نعلم - ترجع إلى العشرين من شوال سنة 1296/ 1879، يستفاد منها أنه كان مقدما على مرابطي تانغملت. وأنه كان في مرحلة من العمر تؤهله لأن يخاطب من طرف رجال المخزن. أي أنه بلغ الحلم على الأقل. وإذا كنا نعرف أن والده توفي حوالي 1311 / 1894، يمكن القول إنه كان ينوب أحيانا عن والده في شؤون الزاوية أو أن أباه قد أشركه في تدبير أمورها في حياته. إذ تكررت الإشارات إلى أنه كان خليفة والده.

ويظهر من خلال بعض الوثائق - وبعضها موقع بيده - أنه نال نصيبا من العلم، وقام ببعض الرحلات، وخاصة إلى مراكش. كما يستفاد من وثيقتين عدليتين أنه كان "مشارطا" لدى بعض القبائل لمدة سنتين وسبعة أشهر، أي أنه حافظ لكتاب الله وبعض المتون المتداولة. ويرجع له الفضل في بذل مجهودات محمودة من أجل المحافظة على كتب خزانة الزاوية ؛ كان يقوم بالإشهاد على كل من استعار بعض كتبها. ومما يدل على غنى تلك الخزانة أن الطلبة كانوا يترددون عليها لاستنساخ بعض المؤلفات.

ورغم ذلك يبدو أن مكانة الزاوية العلمية ظلت متواضعة في عهده، كما يتضح ذلك من رسالة وجهها المدعو علي ابن أبي جمعة إلى التانغملتي، قال فيها : "فحامله تلميذنا الفقيه... أحمد بن إبراهيم الهشتوكي وجهناه لحضرتكم بقصد عمارة مدرستكم بالتعليم والإرشاد، وغير ذلك مماله تعلق به ... واجعلوا خمسين ريالا له شرطا..."

لكن مكانة أحمد التانغملتي كمتصوف كانت أبرز من مكانته العلمية، كما يستفاد من مختلف الرسائل الموجهة إليه. ومعظم هذه الوثائق تنعته بـ"ولي الله"، "البركة العظمى"، "الخير البركة" والأمثلة متعددة. كما تفيد أن صيته قد علا أكثر من بعض أسلافه، ولاسيما في الفترة الممتدة بين 1312 / 1894 و1338 / 1919، حتى يمكن القول إن زاويته قد تصدرت الأحداث على مستوى تلك الجهات. ولعل السبب في ذلك راجع - إلى حد كبير - إلى ظرفية المغرب عموما.

فبعد وفاة السلطان مولاي الحسن سنة 1311 / 1894 انتفضت عدة قبائل، ولاسيما في المناطق الجبلية ؛ ومن ضمنها القبائل المجاورة لزاوية تانغملت مما جعل مترجمنا يضطلع بأدوار بالغة الأهمية. ولما انصب غضب المنتفضين على الحاج الجيلالي الدمناتي ممثل المخزن في إينولتان، لم يجد بدا من اللجوء إلى زاوية أبي العباس التانغملتي، طيلة مدة نفيه. فبذل هذا الأخير مساعي حثيثه لإصلاح ذات البين بين العامل وإيالته، وهذا ما يستفاد من رسالة بعث بها السلطان عبد العزيز إلى المرابط المذكور شاكرا له جميل صنيعه.

وظل التانغملتي يتبوأ المكانة المرموقة حتى بعد فرض الحماية على المغرب، فحين دخل أحمد الهيبة مدينة مراكش، كان مرابطنا من جملة من وجه إليهم المكاتيب. فقد استحثه على التدخل لدى القائد صالح أوراغ الذي لم يكن مؤيدا لحركة الهيبة حسبما يبدو، لذلك نجده يخاطبه قائلا : "فنحبك تتكلم معه وتعظه وتحرضه على التمسك بدينه... فمثله لا يناسبه ولا يليق به إلا العمل للآخرة وإعانة المسلمين. فاسع في ذلك وفي غيره من مصالح المسلمين".

وحاول الهيبة استعمال نفوذ التانغملتي لاستمالة قبائل المنطقة، قائلا : "ونحن اتكلنا في مصالح تلك الجهة عليك، فكن عند الظن بك، وقف جهدك..."

لكن يظهر أن أحمد التانغملتي لم يكن يبدي كامل الاستعداد لمساندة حركة الهيبة، لأن هذا الأخير قد استهل رسالته بعتابه على تأخير الجواب عن رسالته السابقة. وقد أبدي نفس التحفظ إزاء محاولات الكولونيل مانجان (Mangin) حاكم مراكش معتذرا "بأنه رجل مرابط ولامدخل

له في الأمور سوى أمور الديانة". غير أن مانجان ألح عليه إلحاحا قويا، لأنه اعتقد أن له اليد الطولى "في بلاد هنتيفة وأيت مصاض وأيت عتاب" ولأن فرنسا كانت تسعى إلى تطويع القبائل بدون كلفة. وفي هذا السياق خاطب مانجان التانغملتي قائلا : "وعلى هذا نحبك تعيننا على هذا الأمر غاية، فبسبب هذا أردنا معك المصارفة لأجل كلمتك نافذة في جميع تلك النواحي، وتقدر توجد (تهيئ) إلينا تلك البلاد حتى ندخلوا (ندخل) إليها بالفرح وغاية السرور".

ولعل موقف التانغملتي قد ساير الأمر الواقع. نستنتج ذلك من خلال العلاقة الحميمة التي أصبحت تربطه مع المخزن المحلي. فقد كتب إليه القائد عبد الله أوشطو رسالة يدعوه فيها للقدوم إلى بلدته من أجل الاستجمام، ويومىء إليه بالتوسط لدى أيت عباس الذين ما يزالون "خارجين عن الطاعة".

وفي عهد أحمد بن العباس التانغملتي تضاعفت موارد الزاوية، حيث ظلت الهدايا والزيارات تترى على شيخها. فقدم إليها السكان النقود والغلال والزروع والأغنام. وقدم الشيخ بدوره للسكان الدواب والمواشي والزيوت واللوز والأكسية، وناب عن البعض في تسديد الديون. يمكن القول بناء على ما تقدم إن الزاوية في عهد الشيخ أحمد بن العباس قد أدركت أوجها فيما يخص جمع الثروة.

توفي أحمد التانغملتي سنة 1350 / 1931 ودفن بضريح الشيخ أبي عمران موسى البوگمازي.

وثائق زاوية تانغملت.

التانغملتي، العباس بن مَحمد بن مَحمد بن مَحمد ابن إبراهيم بن عبد العزيز بن موسى البوگمازي، أبو جعفر. تشير وثيقة مؤرخة في رابع ربيع النبوي من سنة 1269 / 1853، إلى أن العباس التانغملتي كان ما يزال تحت تقديم أخيه، ولايعني ذلك بالقطع أنه ما يزال قاصرا. وهذه الوثيقة عبارة عن عقد شراء جاء فيها : "اشترى المرابط... السيد محمد البشير .. لنفسه ولأخيه ... ولأخيهما".

وفيها خصه الموثق بالمرابط وجعله يتصدر المشترين. ومعنى ذلك أن الأخوين كانا أصغر من أخيهما، ولعلهما كانا مايزالان قاصرين. وخاطب أحدهم العباس التانغملتي في وثيقة ثالثة مؤرخة في سنة 1276 / 1860، بـ"المرابط الخير البركة السيد العباس بن محمد ... سلم مني على أخاك [كذا] السيد عبد الرحمان...". ولاتذكر الوثيقة محمد البشير. أي أنه قد توفي قبل ذلك وأن العباس قد صار هو المتصدر لشؤون الزاوية. وانطلاقا من سنة 1302 / 1885 تتعدد الوثائق التي تؤكد أن العباس هو الذي أصبح متصدر أمور زاوية تانغملت.

ويستفاد من تلك الوثائق أن علمه لم يكن يتعدى علم طالب عادي. فقد عثرنا على رسالتين برسم خط يده : الأولى وجهها لأخيه عبد الرحمان، والثانية بعث بها لابنه أحمد. ويبدو أن الزاوية في عهده لم تكن خالية من طلاب العلم، فقد وجه إليه أحد الغرباء رسالة يلتمس منه أن يكسوه، ويخبره برغبته في متابعة دراسته بالزاوية التي كانت ماتزال مركزا له شهرة علمية.

والمؤكد أن الشيخ العباس لعب دورا بارزا للتوسط في النزاعات والتحكيم، والأمثلة متعددة في هذا المجال. فالأشخاص والقبائل يطلبون تدخل الشيخ التانغملتي لدى ممثلي المخزن، وهؤلاء لا يوثق في "أمانهم" إلا بعدما يوجه عن طريق الشيخ. وقد خاطبه أحدهم - في هذا السياق - قائلا : "ونحن استحرمنا بأولادك صغارا وكبارا أن لاتخيب ظننا بك ... وأن القائد السيد محمد (أوشطو) ملأوا سمعه وبصره بما لا يليق عنا حتى جفا بنا ولم يسمع منا". فكل المحاولات التي بذلها هذا الشخص ليتفادى ملاحقة القائد، لم تجد فتيلا إلا بعدما توسط في النزاع مرابط تانغملت.

ووجه العامل الجيلالي بن علي الدمناتي رسالة إلى العباس التانغملتي تفيد أن فخذة أيت إبراهيم من أيت بوولي استكتبوا قائدهم عبد الله أوشطو ليوجه لهم "الأمان" على يد نفس المرابط. وبصدد ذلك قال القائد الجيلالي : "ها الأمان عليهم يصلك فلابد بارك الله فيك كلمهم وأرشدهم للجادة التي فيها صلاحهم مع المخزن، لأن بقاءهم على انحرافه لايفضي لهم بخير..." (الرسالة مؤرخة في ربيع الثاني سنة 1307 / 1890).

لكل ذلك حظي التانغملتي بمكانة مرموقة لدى سكان تلك الجهات. فتعلقوا بأذياله واستحرموا بزاويته في أوقات الشدة، لاسيما وأن هذا العهد صادف نوعا من الضغط المخزني على سكان الجهات، تجلى ذلك في محاولات السلطان المولى الحسن تطويع تلك القبائل، وجباية الضرائب بسبب حاجة المخزن للأموال.

في هذه الظرفية صارت الزاوية حرما يلتجيء إليه المظلومون والخائفون من عسف إخوانهم أو من عسف ممثلي المخزن. وفي هذا الإطار خاطبه أحد السكان قائلا : "فها نحن وأولادنا في عار الله وعاركما (العباس وأحمد) وعار أسلافكما..."

ولم نعثر على ما يفيد في تحديد تاريخ وفاته بالضبط. لكن آخر رسالة - اطلعنا عليها - برسمه ترجع إلى سادس ذي الحجة سنة 1309 / 1892. وفي أثناء ثورة إينولتان ضد عاملهم الجيلالي الدمناتي سنة 1311 / 1894 على إثر وفاة مولاي الحسن، استحرم العامل المذكور بزاوية تانغملت والقائم عليها آنذاك هو الشيخ أحمد بن العباس التانغملتي (الغجدامي، *التسلي*، 55 و66). معنى ذلك أن الشيخ العباس توفي بعد سنة 1309 / 1892 وقبل وقوع الثورة في سنة 1311 / 1894. وتفيد الرواية الشفوية أن وفاته كانت في سنة 1311 / 1894 بتانغملت وبها دفن.

وثائق زاوية تانغملت.

التانغملتي، عبد الرحمان بن محمد بن إبراهيم بن

عبد العزيز، ترجم له مَحمد بن عبد الله الخليفتي وجعله من بين تلامذة الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي (*الدرة الجليلة*، 281). والمرجّح أنه أخذ عنه بواسطة والده محمد بن إبراهيم.

كان عبد الرحمان من رجال الصلاح بزاوية تانغملت التي تولى شؤونها بعد وفاة والده سنة 1168 / 1755 (*الدرة الجليلة*، 282) ويظهر أن الزاوية في عهده عرفت بعض التراجع من الناحية المعنوية. وعلى الرغم من عدم توفر الوثائق حول هذا العهد القصير، الممتد على أربع عشرة سنة فإن وفرة الرسائل الموجهة لأخيه محمد بن محمد بن إبراهيم ولابن هذا الأخير محمد بن محمد بن إبراهيم توضح أن هذا العهد كان بمثابة مرحلة انتقالية، إن لم تتسم بالتراجع فقد تميزت بالركود.

ويبدو أنه لم يبلغ درجة أخويه أو بعض أبنائهما في الجانب العلمي ؛ إذ لم يرد في ترجمته ما يفيد تبوأه مرتبة علمية معينة. يقول الخليفتي في ترجمته : "كان رحمه الله رجلا صالحا تاليا لكتاب الله تعالى، فاضلا متواضعا تقيا مجتهدا في دينه، مجتهدا في أمور الزاوية ..." وقد اقتفى آثار أسلافه في تكريس الوظائف التي اضطلعت بها الزاوية كإرفاق الناس في زمن الأزمات، والتوسط في النزاعات. ويذكر الخليفتي أنه كان .. صابراً لإذاية الخلق". مما يمكننا من أن نستشف ما أصبحت تتعرض له الزاوية من ضرر ناتج عن عدم الاستقرار الذي طبع ذلك العهد، قبل أن تستعيد البلاد بعض الهدوء مع تولية السلطان سيدي محمد بن عبد الله سنة 1171 / 1757.

توفي عبد الرحمان التانغملتي في فاتح ذي الحجة سنة 1182 / 1769، ودفن بمقبرة زاوية تانغملت.

وثائق تانغملت ؛ م. محمد بن عبد الله الخليفتي، *الدرة الجليلة*...

التانغملتي، محمد بن **إبراهيم** بن عبد العزيز بن موسى البوگمازي، ولد سنة 1089 / 1678 (*الدرة الجليلة*، 279) انفرد الخليفتي بالترجمة له، لكنه لم يتعرض لنشأته ولا لسني حياته الأولى. لذلك لا نعرف شيئا عن دراسته ولاعن مستواه العلمي ؛ فقد يكون المترجم أميا إلا أنه اشتهر كمتصوف، فقد حلاه الخليفتي بـ "الشيخ الصالح الولي الناصح، الرباني، فريد عصره، ومصباح أهل زمانه" (*الدرة الجليلة*، 277).

أخذ الورد عن الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي، وهو من أبكاره. مما قد يفيد أنه انخرط في سلك الناصريين في شبابه، كما يستفاد من عقد زواجه، إذ تزوج هو في سن السادسة والعشرين من عمره. ووسمه العدلان "بالمرابط" ؛ مما قد يفيد أنه تولى شؤون الزاوية قبل ذلك الأوان. والعقد المشار إليه محرر في عشرين من ذي الحجة عام 1115 / 1704.

استنابه الناصريون - لأنه عاصر خمسة من شيوخهم : أحمد وموسى وعبد الله وجعفر ويوسف - في تلقين الذكر والورد. أي أنه حصل على الإذن المطلق. وشهدوا له كلهم بالصلاح، لأنه سلك طريقتهم حق السلوك، ونسج على منوالهم، في العبادة والتقوى والزهد ؛ وهي أمور اشتهر بها شيوخ الناصريين الأوائل.

كل ذلك جعل زاويته - تانغملت - تستقطب العديد من المريدين والأتباع. ومن ثم أصبحت الهبات والزيارات تترى عليها. لذلك وصفه مترجمه بالسخاء وكثرة العطاء، حيث يقول : "يعطي البقر والبغال والزروع والزيت والكسوة وغير ذلك". (*الدرة الجليلة*، 278). مما قد يفيد أن الزاوية عرفت بسطة في جانبها المادي في عهده. ومن خلال عقد نكاح هذا الشيخ يمكن تأكيد ذلك. فقد تزوج محمد بن إبراهيم التانغملتي بفاطمة بنت حمي اليوسفية على صداق "نهايته عشرون مثقالا فضة سكة تاريخه". ويشير الخليفتي إلى أنه كان "نفاعا للمسلمين، فلا يبخل عنهم بماله ولا بنفسه".

بالإضافة إلى ذلك اشتهر التانغملتي بوساطاته المتعددة بين الناس، فكان "مجتهدا في إصلاح ذات بين المسلمين، فمن أتاه يطلب منه القدوم لأمر يساعفه بخطواته".

لهذه الأسباب ما فتيء صيت التانغملتي يعلو، حتى أصبحت تؤثر عنه المناقب والكرامات. ومن ذلك ما أخبر به عبد الله العتيقي، وهو "رجل صالح اشتهر بكثرة الرؤيا للنبي صلى الله عليه وسلم". يشير الخليفتي إلى أن العتيقي رأى النبي صلعم في قصة طويلة، وبعثه إلى تانغملت قائلا له : "بلغ سلامي لسيدي محمد بن إبراهيم، وقل لسيدي محمد بن إبراهيم جعلناك وكيلا، وفوضنا لك الأمر في كل ما تريد، جعل الله راحة المسلمين فيك، وجعل الحكمة على لسانك، لاتنتظر الدعاء عند أحد، أنت الذي تحتاج تدعو للخلق". (*الدرة الجليلة*، 278). يظهر هذا النص غنيا عن كل تعليق، لأن كل من تروج حول شخصه مثل هذه الأقوال في وسط كانت فيه الزاوية هي المؤسسة الوحيدة التي ترعى الشريعة الإسلامية وتعمل على نشرها، يعتبر من الصلحاء الكبار، مما يضفي على سدنتها - ومن بينهم مترجمنا - نوعا من التبجيل والتقديس. لذلك أقبل الناس في تلك الجهات على الشيخ محمد بن إبراهيم التانغملتي، حتى صار يلقن الأوراد ويعطي العهود، بل كان يستشهد بالرؤية. وقد عقد معه والد الخليفتي - عبد الله بن محمد - "عقد المحبة العظيمة التي لاتنقطع بالموت، واستشهدته بالروية ... فشهد لي بذلك، وكنت أقرب إليه... ورأيت له المناقب والكرامات والخوارق مالا يدخل تحت الحصر". (*الدرة الجليلة*، 279). فصار يخطب وده ويطلب صحبته.

وقد استمد هذه المكانة - بالإضافة إلى معطيات المنطقة ومؤهلاته الشخصية - من انتمائه إلى الطريقة الناصرية التي كانت في أوج عزها آنذاك، فتوثقت العلاقات بين زاويته وبين تامگروت التي مر بعض شيوخها بمنطقة تانغملت، لاسيما موسى الناصري (ت. 1142 / 1730) الذي كان كثير التردد على فروع الزاوية الناصرية بالمنطقة مثل

أُوزوض وأيت خليفت وغيرهما.

توفي الشيخ محمد بن إبراهيم التانغملتي سنة 1168 / 1755. ودفن بمقبرة زاوية تانغملت.

وثائق زاوية تانغملت ؛ م. الخليفتي، الدرة الجليلة.

التانغملتي، محمد بن مَحمد بن إبراهيم بن عبد العزيز بن موسى وهو أكبر بني أبيه. تلقى دراسته الأولى بزاوية تانغملت ثم انتقل طالبا للعلم إلى مدينة مراكش، حيث أخذ عن أشهر علمائها، منهم أحمد بن سليمان الرسموكي بجامع المواسين وعبد الله بوخريص ومحمد الصغير الإفراني وعبد الله بن عبد الواحد الفيلالي.

وقد عثرنا على رسالة بعث بها المترجم إلى المدعو محمد بن عبد الله يخبره بالقدوم إلى مراكش "قصد سرد *الشفا والكلاعي* في شهر رمضان". فأجابه هذا العالم معتذرا حيث قال : "فما ذكرت أعزك الله أثقل علي .. لأمرين : أحدهما أني لست أهلا لذلك .. وطول عهدي بالقراءة أكثر من أربعين سنة. والثاني ما بي من الضيقة وقلة الصحة ..". ولعله قد رجع إلى زاوية تانغملت بعدما أنهى دراسته، فتصدر بها للتدريس. يقول الخليفتي : "ولم يقطع رحمه الله تدريس العلوم إلى أن مات مجتهدا في التعليم" (*الدرة الجليلة*، 278). يبدو أنه كان من بين علماء الزاوية الذين عملوا على ترسيخ التعاليم الإسلامية ونشر الثقافة العربية في تلك المنطقة البعيدة عن المراكز العلمية الكبرى آنئذ، لذلك حلاه الخليفتي بـ "الإمام العالم التقي، الملازم لتدريس العلوم وبثها إلى أن مات". وخاطبه أحدهم قائلا : "ركن السيادة المؤسس على التقوى، والحصن الحصين الذي لا تخفر ذمة من تمسك بسببه الأقوى، هذا ولاغَرْوَ أنه من جهابذة الوقت الذين قربهم الباري جل جلالة..." وحلاه آخر بقوله : "الفقيه الأستاذ الأديب أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد بن إبراهيم التانغملتي...".

أما فيما يخص طريق القوم فقد ترجم له الخليفتي كواحد من بين تلامذة الشيخ أحمد ابن ناصر. لكن يبدو أنه أخذ عنه بواسطة والده، كما يستنتج من قول الخليفتي : "تلمذ رحمه الله على أبيه ونسج على منواله، تابعا لطريقة الأشياخ الناصرية على نحو فعل أبيه" (*الدرة الجليلة*، 280).

لذلك يمكن القول إنه جمع بين العلم والتصوف، إلا أنه - حسبما يبدو - لم يتصدر للقيام بشؤون الزاوية، على الرغم من أنه خدمها بواسطة نشر العلم. وكان والده يكلفه أحيانا للقيام بالوساطة أو التحكيم بين أهل تلك المنطقة (*الدرة الجليلة*، 278)، ويستفاد من رسالة بعث بها إلى أحدهم أنه قد قام بنفس الدور الذي اضطلع به والده، حيث توسل إليه ذلك الرجل أن يتدخل لدى بعض أيت مصاض لاسترجاع بعض ديونه، مخاطبا إياه بهذه العبارات : "ولا نريد بذلك تعبك .. في هذا الأمر ولا في هذا الزمن حتى خبطنا كثير الخبط. ولم نجد به شيئا". ويتوسل إليه أيضا عبد الله بن أحمد الهوزالي، في رسالة، أن يتدخل لدى السلطان ليطلق سراح إخوانه المسجونين في مراكش.

وعلى الرغم من إشادة مترجمه بمكانته العلمية، فلم نعثر على ما يفيد أنه خلف أثرا في ميدان التأليف. ولعل ذلك راجع إلى انشغاله بالتدريس، واضطلاعه ببعض مسؤوليات الزاوية. وقد يكون مرد ذلك، أيضا، إلى أن ما تزخر به تانغملت من تراث مايزال غير معروف.

توفي محمد التانغملتي بزاوية تانغملت عام 1149 / 1737 ؛ وبها دفن خلف قبر عم والده محمد بن عبد العزيز.

وثائق زاوية تانغملت ؛ م. الخليفتي، الدرة الجليلة ...

التانغملتي، مَحمد بن محمد بن مَحمد بن إبراهيم. أحد أعلام زاوية تانغملت ترجم له محمد بن عبد الله الخليفتي في كتاب *الدرة الجليلة*، وأشار إلى أنه درس بمراكش وتنقل بين بعض المدن والقرى في سبيل طلب العلم، فلقي عدة من شيوخ العلم أخذ عنهم واستجازهم. وبعدما نال حظا من العلم رجع إلى زاوية تانغملت حيث تزوج وانبرى لتدريس العلوم كما كان دأب والده. ولعل الزاوية قد شهدت قبيل رجوعه مرحلة من الركود، كما يستفاد من رسالة وجهها إليه والده، حين كان غائبا بمراكش من أجل الطلب. فقد استحثه على الاجتهاد في تحصيل العلم هنالك قائلا : إن "البلد هذه الساعة ما فيه من يقول أعوذ بالله غير طالبين (من) بوحسوسن، وطالب من كرول". ويضيف: "ولاتقصر فإن المسجد بقي بلاعمارة".

وقد حلاه الخليفتي بـ"الأستاذ الفقيه العالم العلامة... له معرفة تامة في العلوم، قرآنا وفقها ونحوا وحديثا وغير ذلك من الأصول" "حجة في كل شيء" لذلك سرعان ما استعادت الزاوية، في عهده، سالف مجدها من الناحية العلمية. ومن ذلك يرجع له الفضل في جمع عدد كبير من الكتب في خزانة تانغملت.

تولى شؤون الزاوية بعد وفاة عمه عبد الرحمان سنة 1182 / 1769 (*الدرة الجليلة*، 281). تلقى الإذن بتلقين الورد الناصري من الشيخ يوسف الناصري ؛ فاجتهد في أمور زاويته حتى تعدد أتباعها ومريدوها ؛ وصارت قبلة لمن أراد الاستزادة من العلم، من سكان تلك الجهات، وفي هذا السياق يذكر الخليفتي أن صاحب الترجمة كان من جملة شيوخها، بل لقد حصل على يديه كثيرا من العلوم. وفي ذلك يقول : "وهو الذي أخذنا عنه جل استفادتنا وعليه جمعنا كثيرا من نوازل العلم، وهو عمدتنا في ذلك، (*الدرة الجليلة*، 285 - 286)، لذلك حين انتهى الخليفتي من تأليف *الدرة الجليلة*، قدمه والده إلى شيخه التانغملتي. فقام هذا الأخير بتقريظه في يوم 22 ذي الحجة سنة 1183/30 مارس 1770 (*الدرة الجليلة*، 338 - 339) ويوجد هذا التقريظ على ظهر الكتاب المذكور، بخط التانغملتي هذا.

يظهر، من خلال ماذكر، أن العلاقات بين زاوية

تانغملت وزاوية أيت خليفت كانت وثيقة في هذا العهد. فقام نظم التانغملتي مقطوعة شعرية في مدح عبد الله الخليفتي، وذيلها بالتوسل إليه في الدعاء له ولأولاده (*الدرة*، 339 ـ 340). ولما مرض عبد الله الخليفتي مرض موته، استكتب ابنه للشيخ التانغملتي ليوصيه بأولاده قائلا : "فهو وصيي على أولادي، فآمره أن يستوصي بهم خيرا مادامو أحياء، ودام حيا..." (*الدرة الجليلة*، 341). وحين توفي الخليفتي المذكور لم يتم دفنه إلا بعدما قدم التانغملتي ليصلي عليه، الأمر الذي يجعلنا نظن أن الصلات الروحية بين الزاويتين كانت تتعدى مستوى نهلهما من منبع واحد، أي الاشتراك في السلوك وفي الطريقة.

لم نقف على تاريخ وفاة محمد التانغملتي، إلا أن وثيقة من تانغملت تفيد أنه كان بقيد الحياة سنة 1210 / 1796.

وثائق زاوية تانغملت ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*.

أحمد عمالك

تَانَقُّوبْ، مكان يقع بقبيلة الأخماس، وعلى إثر احتلاله يوم 4 غشت سنة 1926 أنشأ الجيش الإسباني ثكنة عسكرية بنيت حولها فيما بعد قرية لتكون في التقسيم الإداري الحالي مركز جماعة قروية تابعة لدائرة إقليم شفشاون.

Nomenclator cabila, 1953 ; Martinez Campos, *España belica*.

محمد ابن عزوز حكيم

تَانْكَارْفَا، ممر طبيعي لطريق القوافل منذ أقدم العصور، وهو عبارة عن شعب تعمق فيه الوادي بشكل مفاجيء ليربط بين تاسريرت تَازُوكَّاغْتْ شرقا، وبين تاسريرت تُومْليلْتْ غربا، أي الهضبة الحمراء والهضبة البيضاء بالنسبة لتربة الحمري والتربة الجيرية. ومن هذا الممر وحده كان التجار يسلكون بالقافلة الرابطة بين مدينة سيدي إفني وثلاثاء الأخصاص في عهد الحماية.

يحتوي هذا المكان على آثار لحضارة قديمة، وتدل القرائن والمقابر ووجود المياه والموقع المنيع على وجود بقايا ترجع إلى عهد بعيد، وأقدم حصن في عين المكان يرجع إلى عهد المرابطين حسب الروايات الشفوية، ومما يلفت الانتباه تركز عدد مهم من الصالحين حول تانگارفا، منهم صاحب الضريح عبد الله بن يحيى، وهو والد الصالح بوگارفا حسب ما يدعى حفدته. وهناك الصالح وامْلْحَافْتْ، ومسعود أُزَايْنَا صاحب الموسم التجاري السنوي حتى الآن، وسعيد أُعلي .. وفي تانگارفا تقع دار القائد المشهور ببُوحْلاَيْسْ وهو علي السيموري الباعمراني من قواد السلطان عبد العزيز، توفي عام 1340 / 1921، وكان مشهورا بلعبة الشطرنج في تلك الجهات، وأبراجه في تانگارفا ما زالت تدل على ما مر هناك من خير وشر.

وفي تانگارفا مدرسة عتيقة تعد من أقدم المدارس العلمية الباعمرانية، ومن أشهر أساتذتها صاحب الضريح هناك عبد الله بن يحيى (ت. حوالي 950 هـ). ولعل معظم الصالحين هناك من تلامذته، ثم خفت صوتها إلى أن شارط فيها الفقيه المفتي أحمد أُهميش الذي ولد حوالي 1255 هـ وقضى عمره كله في التدريس إلى أن دفن هناك حوالي عام 1330 / 1911 وخلفه في تلك المدرسة الروائي لحسن بن محند العبلاَوي الباعمراني، فصارت المدرسة متخصصة في تدريس القرآن ورواياته، إلى حوالي عام 1357 / 1938 حيث خلفه ابنه إبراهيم منذ ذلك الوقت حتى الآن، وعلى يده تخرج كثير من حفظة القرآن. وتقام في تانگارفا سوق أسبوعية يوم السبت حاليا، وقد حلت محل سوق فيدود.

ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مرقون ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 18 : 245 ؛ *طاقة ريحان من روضة الأفنان*، 29؛ *رسالة سلطانية إلى القائد علي بوحلايس*.

الحسين جهادي

تَانْكَرْتْ، اسم أمازيغي بمعنى النهضة من فعل (ءينكر) بمعنى نهض. وتدعى بتانكرت منطقتان كبيرتان متباعدتان إحداهما في إفران الأطلس الصغير بناحية تيزنيت، وثانيتهما بقبيلة إيداوتنان في الأطلس الكبير، لعل تسميتهما ترجع إلى خصوبتهما وكثرة مياههما الجارية التي يترتب عنها نبات الزرع وقيامه. (*خلال جزولة*، ج 2، ص 252). وقبيلة تانكرت التنانية التي نحن بصدد التعريف بها هي ثالثة قبائل إيداوتنان، وتقع تانكرت بجهة الشمال الغربي من جبال إيداوتنان التي تشكل الجزء الغربي للأطلس الكبير المطل على المحيط الأطلنتي. وتتكون قبيلة تانكرت التنانية من عشر فرق أحصاها حاكم فرنسي بالكوانين عام 1924 كما يلي :

1 ـ فرقة إيدا ومطاط : 110	6 ـ فرقة انجعاف : 200
2 ـ فرقة إيدا أُعمران : 160	7 ـ أيت تيديلي : 150
3 ـ أيت واعزرى : 410	8 ـ أيت بوغدا : 150
4 ـ أيت يحيا : 170	9 ـ أيت واعلا : 080
5 ـ أيت إيمسكر : 200	10 ـ أيت ناصر : 140

فيكون بذلك مجموع قبيلة تانكرت سنة 1924 هو 1770 كانونا، وكلها من أصل أمازيغي ينتمي إلى قبيلة مصمودة باستثناء بعض العائلات الإدريسية المنتسبة إلى الشيخ إبراهيم بن علي التغانميني التناني (989 / 1581). كما أن هناك عائلات أخرى في فرق إيداومطاط وتيديلي وأيت بوغدا تنتسب إلى أولاد أبي السباع بشيشاوة بناحية مراكش، في حين نجد فرقة إيداعمران ينتسبون إلى قبيلة بني زروال بالغرب، ومع ذلك فإن أهل تانكرت انصهروا كلهم في قالب إسلامي فتوحدت لغتهم الشلحة الأمازيغية وتشابهت عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية.

وقد توحدت قبيلة تانكرت حول مدرسة علمية عتيقة تدعى إيسيمنا واقعة قرب دار شيخها (أمغار) بُونَاگة، الذي تسلسلت رئاسة هذه القبيلة في أسرته منذ عصر محمد بن عبد الله. ولقبيلة تانكرت عدة أسواق مشهورة

تدل على نشاط حركتها الاقتصادية أهمها : سوق الأحد إيمسكر - وسوق جمعة إيدا ومطاط فوق غدير أهدار - وسوق ثلاثاء تانكرت الواقع قرب مركز تافركانت للمياه والغابات، وهو السوق الرئيسي عند أهل تانكرت، فإليه يحملون جميع منتجاتهم الفلاحية، وإليه يرفعون جميع الخصومات لعرضها على شيخهم الكبير بوناگة الموجود باستمرار في هذا السوق منذ ما قبل الحماية إلى اليوم. وبقبيلة تانكرت مآثر تاريخية منها برج أهدار أحمد، والمكان المنسوب إلى الشيخ محمد بن سليمان الجزولي (*خلال جزولة*، 4 : 89 ؛ *الإعلام*، 5 : 56).

ورغم ضعف الحركة التعليمية بنوعيها التقليدي والحديث - مؤخرا - بقبيلة تانكرت فان أهلها قد رادوا الآفاق فهاجروا إلى الدول الأوربية وإلى المدن المغربية الكبرى فاشتهروا في أگادير والدار البيضاء والرباط وفاس بنشاطهم التجاري وخاصة في بيع الأقمشة والملابس ومواد الأناقة وما شابهها مما يناسب أذواقهم. وقد أشاد المختار السوسي بما عاينه لدى التانكرتيين خاصة والتنانيين عامة من أناقة حضارية وحسن تدينهم إذ قال (وقد وجدنا أرباب مثوانا) (أيت بلعيد التجار) يبنون بناءً حضاريا أنيقا، ويا ماأحلى أناقة الحضارة في بحبوحة البداوة، وقد كنا عرفنا من قبيلة إداوتنان حبهم لحسن الرياش ولصقل الأواني وللأطعمة الفاخرة وللطيب فلا نكاد من قبل الاحتلال ندخل دار أحدهم إلا وجدنا عنده أثارة من ذلك على قدر ذات يده... زيادة على حسن نية وجميل اللقى وإكرام الضيف، فإن فيهم من السخاء ما يقل مثله في جبليي أُلْتيتَة وإنما الذي يسترعي النظر من التنانيين خفة حركة وكثرة الهذر، خلق جبلوا عليه قد يواخذهم عليه من لا يعرفهم، فلا يعرف حسن نياتهم ومقاصدهم، وقد كان الدين فيهم راسخا ولايزال. (*خلال جزولة*، 4 : 83).

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، الأجزاء 2-4 ؛ *دراسة ميدانية أنجزها حاكم فرنسي بدائرة انزگان يدعى لاتيرون عام 1924 حول إداوتنان* ؛ *تحريات ميدانية* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 5 : 56.

محند أيت الحاج

تَانْكْسْتِينْ، معدن. أصل الكلمة سويدي، وتعني "حجر ثقيل" ؛ رمزه الكمائي هو "W"، ثقله النوعي 12,2 ووزنه الذري 183,92. من أهم المعادن الخامة للتانكستين، الفولفراميت والشيليت :

1 - الفولفراميت : هو أوكسيد الفولفرام (W) والحديد (Fe) والمنغنيز (Mn)، (Mn, Fe)WO4 ؛ تتركب من WO4 = 76,46٪، FeO = 11,70٪ وMnO = 11,70٪، نظامها البلوري أحادي الميل، بلوراتها على شكل ألواح أو مواشير، أو ركامات ذات انفلاقات مصفحة ومتشعبة ؛ كثافتها 7,1 - 7,5 ؛ صلابتها 5,5-5 ؛ لونها أريد أسود إلى رمادي أسمر ؛ لمعانها شبه معدني إلى معدني.

تنفرد الفولفراميت بنقطة انصهارها البالغة 3390 سع والتي تتجاوز نقط انصهار سائر المعادن الأخرى. افتراضيا، توجد سلسلة متكاملة من الفيربيريت (Fe WO4) إلى الهوبنريت (Mn WO4)، تتوسطها الفولفراميت (Mn, Fe)WO4. نجد الفولفراميت إما في العروق المروية ذات حرارة مرتفعة، حيث تكون مجتمعة إلى الشيليت أو الأركزة الحرمائية الموجودة إما في الأعبل أو في حلقته التحولية.

2 - الشيليت : أصلها مشتق من اسم العالم السويدي "شيل" أول من اكتشف التنكستين ؛ أما تركيبتها الكيمائية فهي Ca WO4 حيث تمثل CaO = 19,47٪ وWO3 = 80,53٪. نظامها البلوري تربيعي، بلوراتها هرمية أو على شكل ألواح أو مواشير ؛ كثافتها 5,9 - 6,1 ؛ صلابتها 4,5 - 5 ؛ ذات لون أبيض أو أصفر ؛ مستشعة عند عرضها للأشعة ما فوق البنفسجية (U.V) ؛ لمعانها زيتي إلى ألماسي. نجد الشيليت في الأركزة المروية المرتبطة بالأعبل أو بحلقته التحولية، وبخاصة في الأحجار الجيرية التحولية ("سكارن") حيث توجد مجتمعة إلى معادن القصدير والنحاس. كما تصحب الشيليت الفولفراميت في الأعبل الغليظ الحبات (البجماتيت) ؛ والكاستريت والموليبدين، والفلورين، والزبرجد في الاركزة الحرمائية العالية الحرارة.

تتوزع أغلب رواسب التانكستين المعروفة بالمغرب على المجالات الآتية :

- المجال الأطلسي، حيث رواسب إحلالية حرارية في مناطق التماس، مرتبطة بالاعابل الهرسينية ونذكر منها رواسب أزگر بالأطلس الكبير الذي أنتج ثلاثين طناً من الشيليت قبل الانقطاع عن استغلاله، رغم أنه لا يزال يحتوي على احتياطات مرتفعة وهامة من الشيليت بنسبة 0,3٪ من التانكستين ؛ وكذلك رواسب تيشكا (أخدود تغني) والذي لا نعرف عنه إلا القليل.

- مجال وسط المغرب، حيث يوجد به التانكستين على شكل فولفرام، مرتبطا بكتل أعبل أُلماس وبلاد زعير وملوية العليا، أو في رواسب الاحلال الحراري في مناطق التماس، وذلك في الأحجار الجيرية التحولية بجنوب أعبل المانت.

ونشير إلى أنه لوحظ وجود الشيليت في سيدي بوعثمان بالجبيلات والرحامنة وذلك في مجاورة كتل الصخور المتداخلة.

يستعمل التانكستين في الفحم الثنائي، وخليطة المعادن الخاصة الشديدة الصلابة، وفي أسلاك المصابيح الكهربائية وذلك لارتفاع نقطة انصهاره 3390 سع.

عبد الله بوصحابة

تانگمرت وتانيمرت وتانجمرت تعني بالريفية الصيد بنوعيه البري والبحري. ولها أعراف يمكن اعتبارها عامة في جميع القبائل. فالصيد خصصت له أيام معلومة خلال الأسبوع ما عدا يوم الجمعة ويوم السوق. ويعتبر إجبارياً

لجميع الرجال المؤهين لذلك، إذ أنه كلما كان العدد كثيراً، كانت الحصيلة أوفر. وكل الغنائم المحصل عليها تصبح ملكاً جماعياً. ففي فخذة إزمّورن من قبيلة بقيوة خصص يوما السبت والاثنين موعداً للصيد من طرف الجماعة، وأما في فرقة بني حديفة من قبيلة بني ورياغل فكان موعد الصيد يومي الخميس والسبت، وهكذا فكل جماعة من قبائل الريف بصفة عامة لها وقتها المخصص للصيد البري وأماكنها الخاصة بها. وبخصوص أوقات الصيد ليس هناك وقت محدد، فالجماعة هي المسؤولة عن تنظيم الوقت، إذ تقوم بتحديد تاريخه ومكانه وهي المسؤولة أيضاً عن تقسيم الغنائم حسب الأعراف المتبعة لتفادي أي خلاف بين الأفراد، وغالباً ما يكون التوزيع بين المشاركين في حالة وفرة الصيد أما في حالة القلة فيكتفي بتنظيم مأدبة عشاء جماعية تضم المشاركين.

أما الوسائل المستعملة في الصيد فهي بسيطة وهي من صنع محلي كالفخ الذي ينصب في أماكن مختلفة لاصطياد مختلف الحيوانات البرية، وتستعمل الكلاب والبنادق التي تخصص لصيد الخنازير (إرْفَنْ). وفي حالة وقوع نزاعات بين الصيادين فإن الملكف بالمراقبة هو الذي يفصل بينهم. وإذا تعذر الأمر عليه ترفع القضية إلى شيخ القبيلة للفصل في المشكلة، بعد الأخذ برأي الملكف بالمراقبة. والغرامة المخصصة لمخالفة قوانين الصيد كانت تقدر في عهد الحماية بخمس وعشرين بسيطة حسب بلانكو (E. Blanco E.I.). وأهم الحيوانات التي يصطادها الصيادون هي الأرانب البرية (أيَرْزْ) والحجل (ثسكْرينْ) والثعلب (أوهارْ).

وبخصوص الصيد البحري فإن قبائل ساحل الريف عرفت هذا النوع من النشاط منذ القدم، فالوزان عندما تحدث عن مدينة بادس التاريخية أشار بأن السكان كانوا : "يقتاتون على الخصوص بالسردين وغيره من السمك لأن الصيادين يصطادون منه كميات وافرة". وكان بعض السكان يساعدون البحارة في جر شباكهم، فأغلب الفقراء من القبائل المجاورة يحضرون كل صباح لمد يد المساعة للصيادين مقابل كمية من السمك لهم وللحاضرين من الناس. ومازالت هذه الظاهرة موجودة في منطقة الريف الأوسط إلى اليوم خاصة في مرسى "يليش" التي تعرف حالياً بـ"قوس قزح" (Cala Iris) الواقعة بمجال قبيلة بني بوفراح.

وتعتبر قبيلة بقيوة من أهم قبائل الريف في مجال الصيد سواء في القرن الماضي أو في القرن الحالي، حيث تعددت فيها المراكب الصغيرة (ثَغَرْبُوتْ ج. تِغَرْبَ) والتي غالباً ما كانت في ملك بعض الأعيان أو مشتركة بين بعض الأشخاص. وجل هذه المراكب استغلت في تجارة التهريب خلال القرن الماضي. وإذا كان الصيد البحري قد لعب دوراً أساسياً في اقتصاد قبيلة بقيوة، فإن أهميته الاقتصادية بالنسبة لقبيلة بني ورياغل يبقى ضئيلا في القرن الماضي وبداية القرن الحالي، ويرجع السبب في ذلك إلى أن القبيلة كان ساحلها معرضاً لطلقات المدفعية الاسبانية المتمركزة في حجرة النكور مما حال دون تشجيع السكان على ولوج البحر واستغلال ثرواته السمكية، لكن لا يعنى هذا أن الورياغليين لم يستغلوا صيد السمك بل كان لهم نشاط مهم منذ بداية القرن الحالي حسب ما أشار الكتاب الاسبان مثل بلانكو الذي أورد قانوناً خاصاً بالبحر حيث حدد فيه مسؤولية الصيادين، بالإضافة إلى الوسائل المستعملة في الصيد. والملاحظ أن الورياغليين أقل جرأة لولوج البحر بخلاف أهالي قبيلة بقيوة الذين كانوا أكثر شجاعة وجرأة في ولوجه. وهناك مثل شعبي يشير إلى أن البقيوي عندما يولد يأخذ الأب سمكة ويضعها قرب أنفه ليشم رائحة البحر وبذلك يصبح مولوعا بالبحر بينما الورياغلي عندما يولد يقوم الأب بإطلاق رصاص بندقيته قرب أذنيه ليصبح مقاتلاً.

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. م. حجي وم. الاخضر، ط. 2، بيروت، الرباط، 1983 ؛ م. شفيق، *المعجم العربي الأمازيغي*، 1 : 696 ؛ *رواية شفوية*.

E. Blanco Izaga, *La Ley Rifeña*, Ceuta, 1939 ; A. Ghirelli, *Monografia de la Kabila de Bani It-Teft*, Madrid, 1956.

عبد الرحمان الطيبي

تانگيت أو تانقيت، اسم امرأة أمازيغية من غمارة بشمال المغرب، أول من تحدث عنها على ما يبدو، هو أبو عبيد الله البكري في كتابه المسالك والممالك. اشتهرت تانگيت، حسب ما نعرف عنها من خلال مصادر مناوئة، بالكهانة. ويبدو أنها لعبت دوراً أساسياً في الحركة التنبؤية التي تزعمها ابن أخيها حمّو بن منو المعروف باسم "حاميم" والتي ظهرت إلى الوجود في بداية العقد الثاني من القرن الرابع (10 م)، وهي حركة مشابهة للحركة البورغواطية من جوانب متعددة.

كانت قبيلة مَجْكَسَة أو مَجْكيسَة (إيمَاجْكاسَنْ) الغمارية، التي كانت تقطن بنواحي تيطّاون هي أولى القبائل التي آمنت بمذهب حاميم وعمته تَانْگيتْ. وقد ورد اسمها عند البكري بهذا الشكل "تانقيت" بالقاف بدل الگاف (المعقودة) على عادته في مثل هذه الحالة. ورغم أن جل المصادر الأخرى التي كتبت فيما بعد نقلت عن البكري، مباشرة أو بطريقة غير مباشرة، أخبار تَنْگيتْ، فإنها كتبت اسمها بأشكال مخالفة لما ورد في الأصل.، وهكذا كتبها مؤلف كتاب *الاستبصار* "تاليت"، وكتبها مؤلف *الاستقصا* - نقلا عن ابن خلدون - "تالية". ويبدو أن ابن خلدون نقل ما يتعلق بهذا الموضوع عن ابن أبي زرع أي من *القرطاس*. والذي كتبها "تاليت" كصاحب *الاستبصار*. والجدير بالذكر أن أحد أصحاب ابن تومرت العشرة كان اسمه هو يحيى بن تَنْجيتْ حسب ما ورد في كتاب الحلل المرشية.

أما عن معنى كلمة "تَانْگيتْ" فإن الحسم فيه يبدو الآن صعبا. ولكن هذا لا يمنع من إبداء بعض الملاحظات التي قد تكون صالحة في تقريب المعنى المطلوب.

لقد وردت كلمة "تانقيت" عند ابن البيطار في كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية. وقال عنها : "اسم بربري بافريقية وما والاها لنوع من النبات شوكي لا يسمو عن الأرض وعليه شهبة ظاهرة في أوراقه، وهي مشرفة وله أصول غائرة في الأرض..."(قارن مع لاووست في كتابه *كلمات وأشياء أمازيغية*، ص. 491).

ووردت كلمة "تامگيت" (ابدال الميم نونا والعكس، واقع مألوف في الأمازيغية) عند شارل دو فوكو في معجمه بمعنى التي تشتهر بأعمالها المتميزة خيراً أو شراً.

وأخيراً نشير إلى أنه لا يستبعد أن تكون كلمة "تانيت" التي هي اسم واحدة من الآلهة القديمة المعروفة في شمال افريقيا، هي نفس الكلمة "تانگيت"، إذا علمنا أن حرف الگاف (بثلاث نقط فوق) تنطق ياء كذلك في مجموع اللهجات الأمازيغية.

أ. البكري، *المغرب*، ص. 100، 107، 1965 ؛ ابن ابيطار، *الجامع*، ص. 134، 1291 هـ ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 99، 1973 ؛ مجهول، *الاستبصار*، ص. 191، 1985 ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، ص. 108، 1979 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 1، ص. 192، 1954 ؛ التقي العلوي، مجلة *البحث العلمي*، عدد 27 ص. 222 ؛ وعدد 31، ص. 29، 35 ؛ شارل دو فوكو، معجم (بالفرنسية)، ج 1، ص. 379، 1951.

G. Marçais, *La Berbérie*..., p. 128, 1946.

علي صدقي أزايكو

تَانْكِيسْتْ، قرية تقع بأراضي قبيلة إيدأوگارسموكت، إلى الشرق من جبل وارزمن على وادي والغاس (ماسة). تتفق الروايات على أهمية القرية قديماً. وكانت مشهورة بغناها الزراعي بفضل ساقيتها الكبيرة واعتناء سكانها بعملية تصريف المياه. وتعتبر أيضاً من المراكز العلمية المعروفة بقبيلة رسموكة الجبل، وتعرف بعلمائها الزعنونيين، ومرابطيها من أهل تيلگات. أما عن أسباب خرابها، فقد لاحظ المؤرخ الحسين الوجاني أنها توالت عليها صراعات محلية. ويوجد جزء كبير من ترابها الحالي مغموراً تحت مياه سد يوسف بن تاشفين.

تاريخ الوجاني الحسين بن الحسن (مخطوط).

أحمد بومزگو

تَانُوتْ، (أرض ـ) بمكناس. يرجع أصل تسمية هذه الأرض إلى الأمازيغية، ويعني اسم أنو، البئر في العربية، وجمعه أُونَا، ويقال في الزناتية أنوين، وتصغيره تانوت، وعليه فأرض تانوت المحاذية لأرض لعويجة قرب حي الزيتون بمكناس ـ قريبا من الحي الجامعي الواقع أمام باب كبيش ـ تنسب إلى بئر صغير كان موجودا بها. وقد استولى أربعة معمرين فرنسيين على أرض تانوت التي قدرت مساحتها بمائة وخمسين هكتارا، وهؤلاء المعمرون هم فيكتور فرانس Victor France وبيير پيري Pierre Perret ودوسطاديو Destadieu ولويس لرتيگ Louis Lartigue.

طالب المعمرون الأربعة السلطات الفرنسية بمكناس بمنحهم 75 ل/ث من مياه بوفكران لسقي أراضيهم بتانوت، واستجابت الدوائر التقنية المسؤولة بمكناس لرغباتهم، وعملت على مد ساقية من حوض تجمع مياه بوفكران جنوبا سيدي بوزكري ـ قرب المعمل الكهربائي ـ إلى هذه الأراضي وصولا إلى قصبة گدارة. بعد ذلك قدموا طلبا جماعيا لنفس الدوائر يلتمسون منها إضافة 1 ل/ث لسقي كل هكتار في ملكيتهم، ليصل مجموع ما طالبوا به 225 ل/ث من أصل 450 ل/ث الصبيب الكلي لوادي بوفكران أي النصف.

عقدت اللجنة التقنية المكلفة بتوزيع مياه بوفكران عدة اجتماعات للنظر في هذه النازلة ـ وفي توزيع مياه بوفكران بين المنتفعين بها ـ وكان آخرها يوم 28 أبريل سنة 1936 حيث رخص لثلاثة معمرين من تانوت بأخذ 20 ل/ث لسقي الأراضي التي استحوذوا عليها، وهي أصلا ملك للمخزن أو للأهالي، وهكذا أخذ Victor France 10.3 ل/ث من مياه بوفكران لري ملكيته التي سماها : أدولفين Adolphine والمسجلة بالمحافظة العقارية تحت رقم 42 ومساحتها 75 هكتارا، في حين منح لـ : Louis Lartigue 5.5 ل/ث لسقي ملكيته المسماة Ferme Atou ورقمها العقاري 722K وتبلغ مساحتها 10 هكتارات، ويملك نفس المعمر أرضا ثانية بتانوت وتسمى Ferme des deux couteaux ورقمها العقاري 256K ومساحتها 20 هكتارا.

كما كان المعمر Pierre Perret يملك الضيعة المسماة Ferme Odette المسجلة تحت رقم 1052K ومساحتها 30 هكتارا، وقد وهبته اللجنة المكلفة بتوزيع مياه وادي بوفكران 4.2 ل/ث.

هكذا كان نصيب 145 هـ من مياه بوفكران 20 ل/ث لمصالح ثلاثة معمرين فقط، في حين أسفر البحث الذي أجراه التقنيون الفرنسيون بالأشغال العمومية عن منح سكان مكناس الذين تجاوز عددهم سنة 1936 اثنين وستين ألف نسمة، 150 ل/ث، مما يوضح الحيف الذي لحقهم، فكان رد فعلهم ما حصل في فاتح وثاني شتنبر سنة 1937 فيما أصبح يعرف بأحداث بوفكران، التي انفجرت بسبب تحويل جزء من ماء بوفكران إلى ضيعات المعمرين في أرض تانوت.

بو. بوعسرية، *أحداث بوفكران بمكناس*، فاتح، ثاني شتنبر 1937، الرباط 1990 ؛ م. شفيق، *في أن أسماء الأماكن في المغرب جلها أمازيغية*، البحث العلمي، السنة 24، العدد 27، يناير يوليوز 1977.

بوشتى بوعسرية

تانوت ـ الأطلس الكبير ـ ← **إيمي نْ تانوت**

تَانُوتْ الرمّان، قرية تقع بفرقة بني فكلان من قبيلة بني سيدال (إقليم الناظور). وقد لعبت دوراً مهماً خلال الأيام الأولى من اندلاع الثورة الريفية بقيادة الأمير محمد

بن عبد الكريم الخطابي في شهر يوليوز 1921. ففي يوم 30 من الشهر المذكور وصل مجاهدو قبيلة بني ورياغل إلى ناحية مليلية من أجل اقتحام المدينة السليبة فتمكنوا من استرجاع مدينة الناظور يوم 2 غشت وقصبة سلوان في اليوم التالي، وهو اليوم الذي وصل فيه الخطابي إلى جبل ماورو بقبيلة بني سعيد الريفية، ثم توجه في اليوم التالي إلى قرية تانوت الرمان ولم يبق الخطابي بالقرية المذكورة سوى عشرة أيام حيث ألم به مرض أرغمه على الرجوع إلى مسقط رأسه بأجدير يوم 15 غشت.

وكان الغرض من وجود الخطابي بتانوت الرمان الحيلولة دون اقتحام المجاهدين لمدينة مليلية خشية أن يقوم المجاهدون بأعمال عنف وتجاوزات في حالة دخولهم للمدينة المذكورة التي لم يكن يوجد بها سوى المدني ؛ ويعترف الخطابي في مذكراته بأنه ارتكب بذلك خطأ كبيرا حيث ترك للجنرال بيرينْگير (Berenger) فرصة إعادة تنظيم قواته التي مكنته من استرجاع مدينة الناظور يوم 19 شتنبر ومركز تينغمرت (تاويما) يوم 23 من نفس الشهر.

ولم يعد الخطابي إلى ناحية مليلية إلا يوم 29 شتنبر، أي بعد غياب طال أربعة وأربعين يوما ؛ وقد حاول الخطابي استرجاع سوق سبت بني شيكر يوم 2 أكتوبر دون جدوى، فكان رد فعل بيرينگير أنه تمكن من استرجاع مركز أزغنغان يوم 8 ومن احتلال جبل گوروگو يوم 10 وقصبة سلوان يوم 14.

وظل الخطابي بتانوت الرمان إلى يوم 10 أبريل 1922 دون أن يتمكن من الوقوف في وجه الزحف العسكري الإسباني.

م. ابن عزوز حكيم، *معارك الثورة الريفية*، الرباط، 1983.
Berenger, *Rif y Yebala*.

محمد ابن عزوز حكيم

تانيجوت أو تينجوت، قصر قديم كان يجاور موقع مدينة سجلماسة بتافيلالت.. والقصر كلمة يقابلها لفظ الدُّوَّارْ أو الـدَّشَرْ بباقي مناطق المغرب الأقصى، وتستعمل للدلالة على السكن القروي في واحات زيز وغريس ودادس ودرعة وتسمى بالبربرية إغْرَمْ جمعه إغْرَمَانْ. كما تستعمل بعض الكلمات الأخرى كمرادفات لها كالگصْبَة والگصيبَة أي القصبة وصيغة تصغيرها أو الگصيرَة وهي القصر بصيغة التأنيث (*سجلماسة*، 101).

وتانيجوت أحد القصور التي كانت تجاور موقع مدينة سجلماسة. ولا نعرف الأصل في هذه التسمية ولا معناها فقد أثبت مترجم كتاب الوزان هذا اللفظ على الشكل التالي : تَـنـجْـيُـوتْ (*وصف افريقيا*، 2 : 25) وينطقه المحليون بتافيلالت إلى اليوم تَانجيوْتْ، ويشمل بالنسبة لهم كل المنطقة الواقعة في الشمال الشرقي لواحة تافيلالت بالمعنى المحلي للكلمة أي الواحات المحيطة بالريصاني. ثم إن تانيجوت اليوم هي إحدى المقاطعات الست التابعة من الناحية الإدارية للمركز المذكور أعلاه وهي : السيفة وبني امحمد وتانيجوت وواد إيفلي والغرفة والسفالات (*سجلماسة*، 106).

تضم المنطقة التي تعرف اليوم بتانيجوت قصورا عديدة أهمها القصر الفوگاني ـ الذي يقع في العالية بالنسبة للمجال ـ وقصر مزگيدة وأولاد يوسف، ولا يوجد بها قصر مأهولاً كان أم مهجوراً يحمل اسم تانيجوت. وقد ذهب كل من Jacques Meunié وD. Jacques Meunié إلى القول بأن القصر الفوگاني هو قصر تانيجوت الذي تحدث عنه الوزان في القرن العاشر الهجري (16 م) (*Abbar*, 50). وقد مكنتنا زيارتنا للمنطقة مرات عديدة أثناء اشتغالنا بالبحث في تاريخ سجلماسة من الوقوف على القصر الفوگاني، وأثار إنتباهنا كثرة الأبراج به حيث يبلغ عددها أربعة عشر برجاً، وهو ما يؤكد أهمية هذا القصر بالمقارنة مع غيره من القصور الكبيرة بتافيلالت. ويهمنا هنا أن لفظ تانيجوت لم يعد يدل اليوم على قصر من القصور وإنما يدل على منطقة شاسعة نسبيا يحدها مركز الريصاني وضريح مولاي علي الشريف من جهة الجنوب، والحد الشمالي لواحة تافيلالت بالمعنى المحلي للكلمة من جهة الشمال ووادي زيز من جهة الغرب والساقية المعروفة باسم الغرفية من جهة الشرق (خريطة أرفود). وقد اختفى هذا القصر ليترك أثره في تسمية المنطقة التي وجد بها، كما هو الحال بالنسبة لسجلماسة نفسها التي كانت اسما للمدينة ولإقليمها.

يرجع تاريخ تأسيس قصر تانيجوت إلى تاريخ خراب مدينة سجلماسة حسب رواية الحسن الوزان الذي قال بأن المرينيين عهدوا بحكم هاته المدينة الأخيرة إلى أبنائهم وأقرب الناس إليهم، إلى أن مات أبو العباس أحمد فثار سكان الإقليم وقتلوا الوالي المريني على سجلماسة وهدموا سورها فبقيت خالية وافترق سكانها وسكنوا قصورا ضخمة محصنة (*وصف افريقيا*، 2 : 121). وعليه فإن خراب مدينة سجلماسة قد تم مع ثورة أهاليها بعد موت أبي العباس أحمد المريني، أي في عهد خلفه أبي فارس عبد العزيز 796 هـ ـ 811 هـ / 1394 م ـ 1408 م بدليل أن آخر القطع النقدية التي نتوفر عليها والتي ضربت بمدينة سجلماسة تعود لفترة حكم هذا السلطان المريني (*سجلماسة*، 418) وما بعدها.

لقد انتقل سكان هذه المدينة بعد اندراسها إلى سكنى قصور كبيرة محصنة ذكر الوزان منها تانيجوت ـ وهو أقربها إلى موقع المدينة ـ وتَبُعْصَامْت والمامون (*وصف افريقيا*، 2 : 125). وقد أصبحت لهذه القصور أهمية كبيرة بعد اختفاء مدينة سجلماسة وصارت تمارس نشاطات تجارية وحرفية لم تكن من اختصاصها في السابق، خصوصا وأن القوافل التجارية الصادرة والواردة بين المغرب الأقصى والسودان الغربي لم تنس مجالات سجلماسة حتى بعد خراب حاضرة هذا الإقليم (*وصف افريقيا*، 2 : 125. 126).

كان لكل من تانيجوت وتبعصامت والمامون في القرن العاشر الهجري (16 م) أمير يدير شؤون القصر ويعمل على

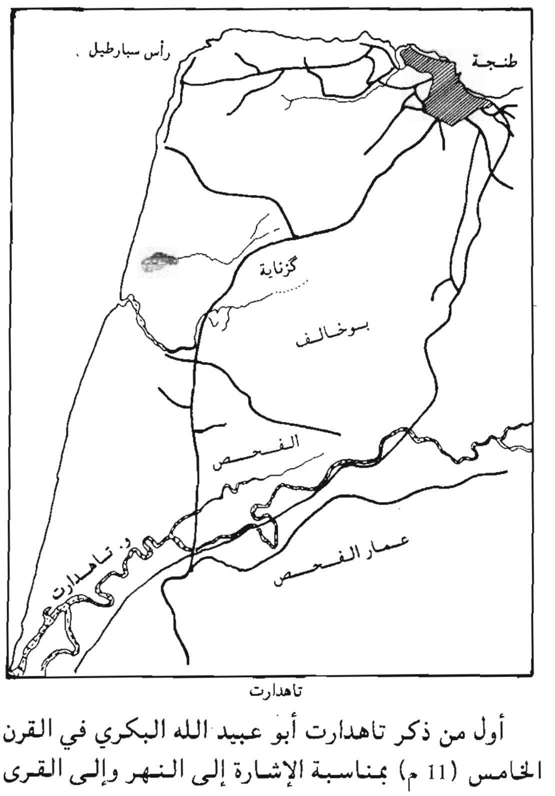
حمايته من غارات الأعراب. واستقر بهذه القصور الحرفيون والتجار المسلمون واليهود كما كان بكل منها دار سكة تضرب بها مثاقيل خفيفة من الذهب الرديء ونقود من الفضة، كان مثقال الذهب يساوي ثمانين قطعة منها. وقد ذكر الوزان أن بهذه القصور بعض الأغنياء الذين كانوا يسافرون إلى بلاد السودان لجلب الذهب والعبيد (*وصف افريقيا*، 2 : 126) وأن عدد سكان تانيجوت نحو ألف كانون (*وصف افريقيا*، 2 : 125).

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، ج 2، الرباط، 1982 ؛ *الخريطة الطبوغرافية لأرفود* 1 / 100.000 ؛ ح. حافظي، *سجلماسة وإقليمها في القرن 8 هـ / 14 م، مساهمة في دراسة مجتمع الواحات في العصر الوسيط*، د. د.ع، فاس، 1989.

D. Jacques Meunié, et Jacques Meunié, *Abbar et le Tafilalet d'après les textes, Hesp.*, 1er - 2ème Trim., 1959.

حسن حافظي علوي

تَاهْدَارْتْ، نهر جنوب طنجة، تنحدر مياهه أصلا من جبل وادراس، يخترق أراضي فرقة البگارة الوادراسية. وهو يتكون من نهرين : نهر المهرهر الذي يعرف في منبعه بفندق العين الجديدة (قبيلة وادراس) بالوادي الكبير، ونهر يعرف عند منبعه بجبل الريح (بني يدر) بوادي الخروب، ثم يتخذ اسم وادي الحشف عند لقائه بوادي المهرهر ليمر بفحص عمرو، من بني مصور، حيث يشكل مجراه منعطفات نهرية غير ثابتة المجرى، ثم تتجه مياهه نحو الجنوب الغربي إلى أن يصب في المحيط بالمرسى التي تحمل اسمه مارا بقرية المرس بين بريش الشمالية واختها الجنوبية. وطوله خمسة وستون كيلومترا.



تاهدارت

أول من ذكر تاهدارت أبو عبيد الله البكري في القرن الخامس (11 م) بمناسبة الإشارة إلى النهر وإلى القرى المستقرة بحوضه الأدنى واصفا الطريق الرابط بين أصيلا وطنجة. وحينما ذكر البكري أهل تاهدارت لاشك أنه كان يعني قبل كل شيء التجمع السكاني الذي تمثله اليوم قرية حجرة النحل الواقعة على الضفة اليسرى، عند أول انحراف النهر نحو الجنوب الغربي، مما يقابل قرية هوارة الساحل. وقد أشار مصدر برتغالي إلى وجود خمس قرى، لذا يمكن أن يضاف إلى حجرة النحل، قرية المرس الواقعة على الضفة اليسرى وقرية بريش الشمالية الكائنة بالضفة اليمنى وأخيرا بريش الجنوبية المشرفة على المصب من الجهة الجنوبية.

وفي بداية النصف الثاني من القرن التاسع (15 م) ازداد عدد سكان القرى بسبب ما تلقاه حوض تاهدارت من هجرة، أصلها من أهل قرى واد أليان الداخلة في أنجرة، وأهل طنجة البالية وفحصها، نتيجة الضغط البرتغالي انطلاقا من القصر الصغير المحتل سنة 863 / 1458. ويعود تاريخ تلك الهجرة إلى سنة 868 / 1463. وإلى تلك القرى وصل العاهل البرتغالي الفونص الخامس في نفس السنة، بقصد استطلاع أحوال تاهدارت ومدينة أصيلا التي كان بها محمد الشيخ الوطاسي، متحصنا من ملاحقة السلطان عبد الحق المريني.

ومن المرجح أن يكون قد طرأ على عدد سكان قرى تاهدارت نقصان إثر احتلال البرتغال لأصيلا وطنجة سنة 876 / 1471، إذ أن الطريق العسكري البري الرابط بين المدينتين المحتلتين كان خطه مارا بتلك القرى. وأول مكان يلجأ إليه السكان هو جبل الهوتة المشرف علي الممر، وهذا مما أتاح لهم مراقبة تحرك جنود المدينتين. وحدث كذلك أن اتخذت سفن تطوان والعرائش مصب واد تاهدارت مخبأ لها لاعتراض السفن البرتغالية المتوجهة إلى أصيلا أو العائدة منها إلى طنجة. ولم يعد الهدوء والاستقرار إلى قرى تاهدارت إلا بعد انسحاب البرتغاليين من أصيلا سنة 957 / 1550، دون أن تكون آمنة من عدوان طنجة.

البكري، *المغرب*، ص 113 ؛ ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبري بالثغور الشمالية المحتلة*، 2 : 366.

حسن الفكيكي

* * وهناك مرسى تاهدارت تقع بشاطئ قبيلتي الفحص والغربية حيث يصب نهر تاهدارت مياهه بالمحيط الأطلسي وينتج عن ذلك تكوين شبه بحيرة لفتت أنظار الأقدمين حيث نجد رحلة سيلاس Periplo de Scylax تسميها ببحيرة سيفسياس Céphésias ؛ ويقول مويط Mouette (ص. 306) إن تجار مرسيلية أسسوا سنة 1683م وكالة تجارية بهذه المرسى التي سماها تاگدارت Taguedarte.

Blazquez y Delgado, *Estudios geografico-historicos sobre Marruecos*, Madrid, 1913 ; (*Periplo de Scylax*, p. 112) ; G. Mouette, *Histoire des conquestes de Mouley Archid connu sous le nom de Rey de Tafilet et de Mouley Ismael ou Semein son frère...*, Paris, 1682, p. 306.

محمد ابن عزوز حكيم

التاهرتي، محمد بن عبد القادر (السوسي)، شخصية

مجهولة لم يذكرها ـ فيما نعرف ـ سوى عبد الرحمن التامنارتي. ولم يشر إلى أصله بغير نسبته إلى تاهرت ولا إلى متى قدم من بلاد الواسطة إن كان طارئاً على المنطقة. وإنما تحدث عنه كثائر قائم في مدينة تيزنيت يدعي المهدوية وينشر ناموسه في المناطق الساحلية الجنوبية. وقد حزرنا أن تكون ثورته امتدت من عام 1035 إلى عام 1039 / 1626 ـ 1630 لأنها فترة الضعف والانتظار في سوس الممتدة من موت يحيى الحاحي أمير تارودانت إلى استيلاء أبي حسون السملالي أمير إيليغ على شمال سوس.

ومن أجوبة التاهرتي عن المراسلات التي كان يتلقاها من القاضي التامنارتي ـ على افتراض أنه منشئها ـ يبدو أنه شاد في اللغة العربية والترسل والجدل، لا يقل درجة عن قرينه في دعوى المهدوية الفقيه الأديب أحمد بن أبي محلي. كانت مراسلات التامنارتي للتاهرتي نثرية وشعرية، ترغيبيّة وترهيبيّة، لكن المترجم ـ كما يبدو من أجوبته ـ كان مصمماً على السير قُدُماً في خطته الباطلة، يرى لنفسه الخصوصية وأحقية الحكم لإصلاح الفساد المنشر. يقول في أحد ردوده : "أنا حجاب النور، وسقف البيت المعمور. أنا هدية الرحمان، ومغضب الشيطان، وهازم السلطان" وهي طويلة أثبت نصها كاملا التامنارتي في *الديوان*. وبعدها قصيدة رائية طويلة كذلك تنتقد القاضي التامنارتي ومن معه لتواطؤهم على إسناد الإمارة إلى من لا تتوفر فيهم شروطها، يعني الملك السعدي القابع في مراكش والأميرين الصوفيين في إيليغ وتارودانت.

وآخر مراسلة بعث بها التامنارتي إلى التاهرتي يغلظ له القول وتنتهي بقصيدة رائية من بحر البسيط من تسعة وعشرين بيتاً جاء في آخرها :

نسجت بالهُجر يا ضلّ الاثام فخذ   جواب هُجرك منا والتقم حَجَرا

ثم يُسدل الستار فلا نعرف شيئاً عن نهاية هذا المهدي الدجّال.

ع. التامنارتي، *ديوان*، مخطوط، 11 ـ 17 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 1 : 231 ـ 235.

محمد حجي

تاويـالت، قبيلة بمنطقة الدورة وطرفاية. يفسح فقهاء القبيلة المجال أمام محمد صالح بن واندلوس السوسي الصوفي الأسود اللون ليجعلوا منه الجد الأعلى (م. السوسي، *خلال جزولة*، 4 : 192). أفرد كتاب *التشوف* لهذا الصوفي ترجمة مطولة تثبت أن صاحب الكتاب قد عرفه حيا وأنه كان "من أعاجيب الزمان وأخباره كثيرة" (*التشوف*، 347 ـ 349). إذا حاولنا أن نأخذ صورة مضبوطة عن هذا الصوفي من خلال ترجمته وجدنا المعطيات لا تفسح المجال إلا لبعض الاحتمالات. فقد توفي سنة 591 / 1194 بعد حياة مليئة بالكشوفات الباطنية. انتقل من موطنه بتارودانت إلى مراكش وأغمات أوريكة حيث استقر ليعود أخيراً إلى تارودانت حيث توفي. وواضح من مساندته لجيوش المسلمين في معركة الأرك أنه كان يتبنى المواقف السائدة في وسط المتصوفة الأفراد المتجولين. كان أهله يتوفرون على خوابي المسكر مما يؤكد انتماءهم الفعلي المتقادم للوسط الروداني المتميز. وفعلا فقد ورث عن أبيه من الأملاك ما يؤكد انتماء أهله للفئات الميسورة. كانت داره بمراكش حيث تعرف عليه صاحب كتاب *التشوف* مأوى الفقراء باستمرار. ومما يدل على أنه لم يكن يفتقر إلى المال أنه كان يخرج بصدقات أو يرمي إليهم الدراهم من بين الأبواب.

على أن كتاب *التشوف* لا يذكر ما إذا كان هذا الجد قد خلف فعلا أولادا. وإذا أضفنا إلى ذلك شهرة قبره حيث أصبح يعرف بسيدي أُوسيدي، وجدنا أن انتماء تاويـّالت إليه قد يدخل في نطاق التركيب الاجتماعي للملتفين حول زاويته. إن نزوع الأتباع إلى الالتحام والتوحد تحت لواء الانتماء إلى الشيخ المؤسس يُخضع تاريخهم إلى كثير من البلورة. نجد أيضا أن فقهاء تاوبالت بالطرفاية يربطون نسبهم بالنسب الشريف مما ينقلنا إلى أوصاف لا تستجيب لمتطلبات الملاحظة المضبوطة. فقبيلة تاوبالت قائمة الذات تماما كسلطة دينية متميزة بحملها الكتاب وابتعادها عن الصراعات الميدانية. فلا هي بخاضعة لسلطة المحاربين ولا هي مقطوعة الأواصر عنهم. يقوم إزرگيين مقام الساهرين على أحوال تاوبالت حيث يقتصر هؤلاء على الاحتكام إلى حلفها مع لف أيت الجمل القريب. وإذا كان إزرگيين يعترفون بالمكانة الدينية لتاوبالت كقبيلة لا تحمل إلا الكتاب، فإن فقهاء هذه القبيلة لا يتجاوزن ذلك إلى التعامل مع غير حلفائهم. وفي هذا الإطار جسد علي الليلي سلطة علمية بالصحراء استمرت شهرته وانتقلت بعد وفاته سنة 1300 / 1882 إلى أبنائه وأحفاده. اعتاد تاوبالت مصاهرة حملة الكتاب الصحراويين وخاصة منهم أولاد أبيري. إلا أن تتبع مراحل تنقل علمائهم وفقهائهم خلال العقود الأخيرة يكشف عن اندماجهم بالمدارس العتيقة والكبرى داخل مدن المغرب كالصويرة وفاس وتارودانت وتيزنيت. (السوسي، *خلال جزولة*، 4 : 192). وتعد الآن هذه القبيلة ضمن لوائح القبائل الصحراوية المشهود لها بالارتباط العضوي بالمحور الساحلي الرابط ما بين طرفاية والصويرة.

ي. التادلي ابن الزيات، *التشوف* ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج 4؛

P.Marty, *Les Tribus de la Haute Mauritanie*, 1914 ; F.C. De La Chapelle, *Les Tekna du sud ouest marocain* ; V. Monteil, *Les Tekna* ; A. Le Chatelier, *Les Tribus du sud ouest marocain*, 1891.

مصطفى ناعمي

تاوجدات أو تاوجطات (عين ـ)، أهم مركز حضري في بادية سهل سايس، يقع بين مدن فاس (20 كلم) ومكناس (41 كلم) والحاجب (33 كلم)، وربما يرجع أصل التسمية إلى العين التي وجدت هناك، وهي تقع عند مدخل المركز على الطريق المتجهة إلى الحاجب.

ليس هناك ما يدل على أن موقع تاوجدات لعب دوراً تاريخياً ذا بال. فالآثار التاريخية الشاهدة منعدمة، والأرجح أن استقرار السكان بها يرجع إلى عهد الحماية الفرنسية، وهم في الأغلب ممن اجتذبهم الاستغلال الاستعماري في المجال الفلاحي، إذ اشتهرت المنطقة بانتاج الحبوب وزراعة الكروم. وزاد من أهمية تاوجدات سهولة اتصالها بالمدن والمناطق المجاورة عبر شبكة من الطرق الثانوية وخاصة مرور خط سكة الحديد بها.

ينعقد في تاوجدات سوق أسبوعي - من أهم أسواق سهل سايس - تستفيد منه الفرق التابعة لقبيلة بني مطير الشمالية. ويحتوي المركز حاليا على مجموعة من البنيات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والرياضية، منها ما يعود إلى أيام استقرار الفرنسيين بها كمخزن الحبوب الضخم ومعصرة العنب والملاعب الرياضية والمسبح ومركز صحي، ومنها ما ظهر أو تطور في ظل الاستقلال كمعمل زيت الزيتون والفلفل الأحمر وغير ذلك.

لم تتوقف تاوجدات عن التوسع العمراني كنتيجة من نتائج التزايد المستمر في عدد السكان، ورافق ذلك توسع في مجال الخدمات حيث يوجد بها أربعة أطباء يشتغلون في القطاع الخاص وثلاث صيدليات وثلاث مدارس ابتدائية وإعدادية وثانويتان إحداهما فلاحية.

استطلاعات ميدانية.

محمد أمين

ابن تاودة، عبد الرحمن العمراني هكذا أورد اسمه مؤلف *الاستقصا*، ووصفه بـ "القائد المجاهد الشاعر الفاضل". أما مؤلف *تاريخ الدولة السعدية* ومؤلف *نزهة الحادي* فقد نعتاه بـ "القائد علي بن ودة" وغير خاف أن الخلاف لفظي، ذلك أن أيا من هؤلاء المؤرخين لا ينكر أن المترجم كان على وشك استرجاع البريجة (الجديدة) من أيدي البرتغاليين، فقد كان قائدا مغوارا، حاجبا للسلطان السعدي عبد الله الغالب بالله (965 . 981 / 1557 . 1574) ووزيرا له ولولده ولي العهد محمد الذي حمل اللقب الملوكي (المتوكل على الله) ثم اللقب الشعبي بعد خيانته وموته (المسلوخ). إن هؤلاء المؤرخين أو غيرهم لا يلقون على حياة ابن تاودة وتصرفاته كثيرا أو مزيدا من الأضواء، لذا ظلت معلوماتنا عنه ناقصة إلى حد كبير.

برز اسم هذا القائد في معركة تحرير البريجة التي كان البرتغاليون احتلوها في عهد السلطان الوطاسي محمد الملقب بالبرتغالي (910 . 931 / 1505 . 1525) وزادوا في بنائها، وأحكموا تحصيناتها منذ سنة 914/ 1509. وقع احتلالهم لها في عهد ملكهم ايمانويل (1495 . 1521) الملقب بالمحفوظ.

بدأت حملة (الجديدة) التي تحولت إلى حصار دام أكثر من شهرين يوم 27 جمادى الآخرة 969 / 4 . 3 . 1562، وأسند السلطان القيادة الفعلية للقائد ابن تاودة، أما ابنه وولي عهده، الذي رافق الحملة، فكان عمره لا يتعدى العشرين سنة، وكان حضوره يكتسي صبغة رمزية ليس إلا.

استعر أوار الحرب بين الفريقين : القوات المغربية من جهة، والقوات البرتغالية من جهة ثانية، وقد استعمل الأولون *"الحراقيات" على اختلاف أنواعها*، كما حصد رصاص رماتهم المهرة نفوس الذين كانوا يطلون من على السور، فيهوون إلى الأرض صرعى، أما الآخيرون فكانوا يستخدمون "المينات" فكانت تقذف بالخلق إلى عنان السماء، أو تهوي بهم في باطن الثرى.

وأحس البرتغاليون بحرج موقفهم وبتفاقم الأزمة وقرب الهزيمة، واستيقنوا ان القائد المغربي ابن تاودة يكاد يستولي على المدينة، ذلك لأن جنوده يحتلون أبراج الجديدة بالفعل، ولم يبق في أيدي عدوهم إلا قليل صمم القائد علي أخذه في الغد.

وتختلف الروايات في نهاية هذا الحصار الذي ترأسه ابن تاودة، فالمؤلف المجهول *لتاريخ الدولة السعدية* يتهم عبد الله الغالب بأنه "باع" الحصن للبرتغاليين وأمر برفع الحصار عنه. بينما تقول روايات أخرى إن المجاهدين لم يتمكنوا من اقتحام الحصن لمناعته فاغتم السلطان الغالب لذلك غما شديدا، فأنشده أحد المجاهدين المتطوعين في الحصار، وهو الشيخ محمد بن إبراهيم التامنارتي (ت. 971/ 1564) بيت امرىء القيس ليسري عنه :

وماجبنت خيلي ولكن تذكرت   مرابطها من بَرْبَعيص وميسرا

مجهول، *تاريخ الدولة السعدية التاگمارتية* ؛ ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، 71. 73 ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*.

عبد الله العمراني

تاودني والمغرب، هل يمكن القول بأن هذه الملاحة قد شكلت تهديداً مباشراً لملاحات تغازى حتى قبل أن يرد ذكرها بمصادر القرن العاشر (16م) ؟. مرد هذا التساؤل إلى موقع تاودني الذي لا يفصله عن جنوب شرق تغازى إلا حوالي 150 كلم. فالمتتبع لحركية تغازى يلاحظ بأن الطريق التي تربطها بتنبكتو عبر أروان تمر بموقع تاودني. كما أن كلمة سبخة التي تطلق على الملاحات توجد عادة على شكل بحيرات من الترسبات الملحية قد يتجاوز طول الواحدة 30 كلم وعرضها 12 كلم كما هو الشأن بالنسبة لتغازى وتاودني وإيجيل. من هنا فإن ملاحة تاودني الهامة لا بد أن تكون قد اكتسبت بالنسبة للمغرب منذ ما قبل القرن العاشر (16 م) صبغة استراتيجية غالبة. فهي أقرب إلى تنبكتو من تغازى علاوة عن كون لوحات هذه الأخيرة الملحية لم تعد خلال المرحلة الأخيرة من استغلالها بنفس السمك الذي وجدت عليه تاودني. ولا حاجة لنا هنا إلى التأكيد على ما نشأ من المبادلات بين تغازى وأروان وتنبكتو. كما أن طريق الحجاج المنطلقة جنوبا من ولاته كانت تمر من تغازى في اتجاهها نحو توات وورگلة ثم غدامس فليبيا ومصر (ابن بطوطة، *تحفة*، IV : 427 ؛ *تاريخ*

الفتاش، 34 ـ 37 / 59 ـ 64 ؛ *تاريخ السودان*، 7 : 13 ؛ ابن خلدون، *العبر*، VI : 415 ؛ *Histoire des Berbères*, II: 112).

تعد تيندوف التي أعاد بناءها العالم الجكاني الكبير بلعمش استاذ الشيخ ماء العينين سنة 1857 منطلق الطريق الرابطة بين الضفة الشمالية للصحراء الأطلسية ومدينة تنبكتو عبر تغازى ثم تاودني فأروان. تتجمع المسالك القادمة من الصويرة عبر وادي نون ومن مراكش عبر تامدولت وأقا ومن فاس عبر سجلماسة. ينطلق محور تندوف ـ تنبكتو عبر تاودني موازيا لمحور تابلبالا ـ توات ـ تغازى فتاودني. إلا أن المحورين يقطعان منطقتي الخنك وإيكيدي. هذه الكلمة الأخيرة تفيد ما معناه منطقة الكثبان الرملية التي يصعب اقتحامها. ومع ذلك فإن دائرة هيمنة قبيلة مسوفة التاريخية كانت تشمل تغازى وجارتها تاودني إلى أن تتجاوز تيندوف شمالا خلال القرن الثاني (8 م). وإذا كان البرابيش قد تمكنوا قرنا بعد ذلك من الاستيلاء على تغازى (*تاريخ السودان*، 25 : H. T. 42 Norris, Yeminis, 1962, 319 - 320)، فإن ابن حوقل لم يلبث أن وجدهم بنفس المواقع متميزين بقدرة خاصة على الممارسات التجارية. لن تتمكن الحركة المرابطية من إدماجهم بشكل حاسم حيث ظلوا بصحرائهم إلى أن أصبحوا أسياد محاور التجارة ومراقبي سلعها وضرائبها (ابن بطوطة، *تحفة*، IV : 338 ؛ Ibn Khaldun, *Histoire des Berbères*, II, 67) لذا نعتبر دور مسوفة في مراقبة هذا المجال قد ساعد نسبيا على تسليط الأضواء على أهمية تاودني قبل بداية استغلالها الفعلي من جهة وعلى دور قبيلة تجكانت المسوفية من جهة ثانية.

إن المتتبع لنهج الإخوان المقري خلال القرن السابع (13 م) يلاحظ بأنهم استقروا بسجلماسة وتلمسان وولاته. وهو ما يعني أن دور تلمسان وسجلماسة شمالا قد جعل منهما عاصمتين رئيسيتين لمراقبة محور تغازى. فمنذ انحطاط الموحدين ظهرت بتلمسان دولة بني عبد الواد حيث قام يغمراسن بمحاولة الاستيلاء على سجلماسة لمدة دامت أزيد من خمس عشرة سنة كما أوضح ذلك ابن خلدون. إلا أن منافسة الدولة الحفصية تسببت في ازدهار المحور الرابط بين تلمسان والنيجر عبر توات. هذا العامل أهل مملكة مالي لتمتين مراقبتها التجارية والظهور بمظهر الوسيط التجاري الفعلي بين ضفتي الصحراء. إذن هذه هي العوامل التي زعزعة الحركية التجارية بالمحاور الساحلية الرابطة بين الصحراء ووادي درعة. وقد زاد من حدة الأزمة أن أعادت مصر فتح محورها التجاري الذي يربطها بأدغال افريقيا حوالي سنة 1320 م. فلم يبق إلا دور انعدام الأمن بسبب انتشار الأعراب لتعرف منطقة درعة وسوس وباقي المحاور الأطلسية اختناقا تجاريا كاملا. يتجلى من هنا الدور السياسي الذي قد يكون لعبه ابن بطوطة كرسول للمرينيين إلى مملكة مالي. لن تزيد الفترة الفاصلة بين منتصف القرن الثامن (14 م) ونهاية القرن العاشر (16 م) هذه الوضعية المتأزمة إلا اختناقا. فدور مصر سينقل التجارة نحو المسالك الشرقية بينما تبدو الطريق الرابطة بين تندوف وتغازى كأنها فقدت سبب وجودها. هذه الطريق التي من أجلها أسس المرابطون تابلبالا لم يعد لها ذكر في المصادر رغم انفتاح المسالك الأفقية الواصلة بين الغرب والشرق.

ظهرت مملكة سنغاي لتوثق علاقاتها التجارية مع مصر وتونس على حساب الشمال الغربي للقارة. وباستيلاء هذه المملكة على ملاحات تغازى تكون قد أعلنت حرباً تجارية على جيرانها الشماليين. نقف هنا على أحد الأسباب الأساسية التي مهدت لحملة السعديين. لقد وصلت مملكة سنغاي من قوة تهميش محاور درعة وسوس لدرجة أن تجار هذه المنطقة لجأوا إلى الموانئ البرتغالية على السواحل لترويج سلعهم. فجاءت بذلك ضرورة التحرر من الهيمنة البرتغالية كدافع أساسي مكمل لضرورة فرض علاقات تجارية على مملكة سنغاي ابتداءً من سنة 957 / 1550.

يؤكد *تاريخ السودان* بأن مملكة سنغاي كانت تتسع شمالا لتشمل تغازى وتاودني (*تاريخ السعدي*، 73 / 84). وعندما أفشل الطوارق أول حملة للسعديين سنتي 950 ـ 951 / 1543 ـ 1544 ؛ فإن هؤلاء لم يترددوا مرغمين لإعادة المحاولة بعد سنتين، كانت النتيجة أن قُتل حاكم تغازى ومجموعة من أهلها فتركت مملكة سنغاي الموقع لتبدأ غير بعيد استغلال سبخة تغازى الغزلان (*تاريخ السودان*، ترجمة، 163 ـ 164). على أن أهم إشارة تنير فهمنا للأحداث تتلخص هنا في كون انتاج ملاحة تغازى القديمة كان قبل هذا التاريخ قد صار ضئيلا إذ أصبح سمك اللوحات المستخرجة جد رقيق (Valentin Ferhandès, *Description*, 91). بل الأهم هو كون هم مملكة سنغاي كان كله في مراقبة ملاحة تاودني التي أصبحت تنتج ما يكفي لسد حاجيات أروان وتنبكتو وموبتي. وإذا كانت أهمية مادة الملح يومها قد أصبحت جد نسبية اعتباراً لتعدد الملاحات المنتجة (V.M. Godinho, *L'Economie*, 109)، فأهمية تاودني هي أكبر بكثير من ملاحة إيجيل مثلا حسب ما أكد عليه P.H. Rey. فبينما كانت ملاحة إيجيل تنتج ما بين 20 و25 لوحة يومياً، كانت تاودني تعطي من 80 إلى 90 لوحة أي ما معدله 2.400 إلى 2.700 طن سنويا. وقد اقتصر P.H. Rey على أثمنة ابن بطوطة لكي يصل إلى ما قدره 1.200 كلغ من الذهب (*Le Sahara français*, 95).

عندما وصل قائد حامية أحمد المنصور السعدي إلى تغازى سنة 993 / 1585 اتضح بأن أهمية الموقع لم تعد تكمن في انتاجية الملاحة بقدر ما تساعد على تسليط الأضواء على استراتيجية المنطقة (*تاريخ السعدي*، 193 ـ 194). هكذا وانطلاقا عن تغازى وصلت جيوش أحمد المنصور سنة 960 / 1592 إلى تاودني التي تفصلها حوالي 450 كلم عن أروان. سار القائد جودر باتجاه الجنوب ليصعد حمادة الخنشيش التي تتميز بوفرة الأمطار وبئري عقلة والونان (O. Lenz, *Tombouctou*, 78). عند نهاية هذه الحمادة غادر طريق

أروان ليسلك مسلكا سريا (*تاريخ السعدي*، 139). فقد اجتاز الجنوب الشرقي ليقطع 160 كلم قبل أن يسامت أروان حيث لم تعد تفصله عن بئر الجبيبهة الوحيدة بالمنطقة سوى حوالي 90 كلم (الفشتالي، *مناهل*؛ گنون، 136). لم يكن هذا القائد يجهل مدى وفرة الغذاء الحيواني الذي يجعل من هذه المنطقة مجالا للانتاج وتربية الإبل. من هنا فإن خطته كانت تقتضي إيهام مملكة سنغاي والأعراب برغبته في السطو على القطعان. كان من الواضح يومئذ أن ازدهار تجارة الملح بتاودني مرتبط أساساً بفصول السنة الباردة كما سنرى. فقد كانت دائرة تنبكتو وحدها تستعمل ما يقارب خمسة وعشرين ألف رأس من الإبل في كبريات القوافل (أكبار ج. أكوابير، انظر *المعلمة*، 2 : 598 ـ 600) المتوجهة إلى تاودني عبر أروان. كانت السبخة تعرف علاوة على ذلك مقدم بضع مئات من الإبل القادمة من تيندوف وتاگونيت.

لم يكن بإمكان الطوارق (التوارگ) السيطرة على كل مناجم تاودني المتعددة بحكم نمط عيشهم الترحالي الذي كان يحد من أشكال المراقبة. فبدءاً من استخلاص الضرائب العينية إلى العمل الإلزامي المفروض على العبيد كان استغلال التوارگ (كَلْ انتصار وكَلْ سيدي اعلي) سيتحول بالضرورة إلى شكل علاقات إقطاعية لفائدتهم ولفائدة فئات من التجار المرابين. غير أن التطورات التي عرفتها المنطقة خلال القرنين التاسع والعاشر (15 ـ 16م) ارتبطت بما ينشأ عادة من صراعات بين أبناء القبيلة الواحدة، فسارت الفصائل التارگية في اتجاه معاكس لما من شأنه أن يزيد من سيطرتها على تاودني. لذلك فإن أنماط الملكية السائدة بتاودني ظلت متمثلة في استقلال الملكيات العائلية بعضها عن بعض. غير أن الجانب الاقتصادي لهذه التجارة لا يمكنه وحده أن يفيض في أسباب تعلق سكان الضفة الجنوبية وأدغالها بملح تاودني. ذلك أن الصراع والتنافس لا يسمحان بتفسير صمود حركية تاودني ومجابهتها للملح البحري الذي أصبح يمثل سنة 1954 ربع الثمن العادي. فمن يتتبع مراحل استغلال ملح تاودني عبر القرون الأربعة الماضية يدرك أن واقعها المحلي والجهوي يتضمن وحده عناصر الحسم. ذلك أن سبب القدرة الفعلية على المواجهة لا تعود إلى القدرة الغذائية أو الحرارية لملح سبخة تاودني بمقارنته مع الملح البحري بقدر ما تعود إلى المقدرة الاستيعابية للرموز العقائدية التي يختزنها ملح السبخة في حد ذاته.

إذا كان الذهب قد جسد دائما مقدرة الضفة الجنوبية على جلب ملح السبخات، فإن هذه المادة الصحراوية كانت تؤكد باستمرار قدرة أهالي هذه الضفة على جلب منتوجات الشماليين. كما أن استعمال لوحات الملح كعملة للتبادل يجسد قدرة هذه الضفة على مواجهة فقر الطبيعة وما كان يتهددها من مخاطر داخلية وخارجية. ندرك من هنا لماذا استعملت لوحات ملح تاودني كمهر خلال الزواج وكثروة يصعب اكتنازها من لدن كبار التجار المرابين. فقد كانت هذه اللوحات تشكل إسهاماً نقدياً ذا أهمية قصوى في أسواق تنبكتو وأروان وموبتي عاصمة ملح تاودني. واعتباراً لكون هذه العاصمة كانت محطة للتوزيع نحو الأدغال نجدها تشكل أهمية قصوى بالنسبة لتنبكتو شمالا وجنة (دجنبي) جنوبا حيث كان سعر اللوحة الواحدة يصل ثلاثة أضعاف ثمنه.

وهنا تتدخل الرواية الشفوية لتجعل من تنبكتو رأس الشجرة الكونية وموبتي بطنها بينما تمثل جنة الرجلين. كانت موبتي تقوم بتوزيع بضاعتها في اتجاه وگادوگو وڤولطا العليا حيث تكشف القيم الروحية المتداولة الأهمية الرمزية التي تتمتع بها مادة الملح كمصدر للقوة وكشكل مباشر من أشكال تداخل علاقات الشمال بالجنوب. فلا يوازي سيطرة الشماليين على الذهب إلا اقتران مادة الملح بالفاعليات الاقتصادية والدينية لمختلف الفئات الاجتماعية الجنوبية.

تتكون سبخة تاودني من عدة مناجم منها ما هو مهجور ومنها ما تم فتحه في فترات لاحقة. ويقيم أهل تاودني بقريتين متجاورتين هما سميرة وأگورگو. وإذا ما نحن وقفنا على إحصائيات 1957 وجدنا السلطات الإدارية لتنبكتو تحصي ما مجموعه 248 من السكان منهم 43 قاراً بعين المكان. يقيم هؤلاء السكان "الأصليون" بقرية سميرة حيث يولدون ويموتون ومن نسائهم من تقضي حياتها كاملة بعين المكان. على أن من السكان المتنقلين من جاء منذ 30 سنة ليقيم بأگورگو تتجاور مناجم الاستغلال. نلاحظ أن من بين 248 مقيما ومقيمة 36،26٪ ينتمون إلى مجتمع البيضان بينما ينتمي 63،84٪ إلى المحررين من عبيد أهل أروان والبرابيش الساحليين (أولاعيش) وأهل الساحل (تجكانت وتكنة) وكذا من خدم الطوارق (التوارگ) وسنغاي. يعود انتماء البيضان من أهل تاودني قارين كانوا أم متنقلين إلى القبائل المحيطة بتنبكتو بالإضافة إلى بعض تجار تجكانت وتكنة.

تعتبر الفصول الباردة من السنة فترة الاشتغال حيث يمتلئ المدشران ما بين منتصف شهر أكتوبر ومنتصف شهر ماي. أما الفترة الحارة فإن المتنقلين من أهل أگورگو يعودون إلى الضفة الجنوبية. واعتباراً لكون البيضان يحتلون سلم التراتبات الاجتماعية فإنهم لا يشتغلون باستخراج مادة الملح مكتفين باحتكار الإنتاج أو التجارة أو تعليم القرآن. وقد أكدت ڤيڤيان پاك (Viviana Pâques) بأن تملك المناجم خلال الستينيات ما يزال حكراً على ثلاث عائلات، الأولى من أهل أروان والثانية من تجكانت والثالثة من تكنة (*L'Arbre cosmique*, 282). تشغل هذه العائلات خدامها في استخراج الملح، ويقوم خدام أصحاب القوافل بالمساعدة في مهمة الاستخراج هذه. وتعتبر عملة الأداءات هي الملح الذي يصلح في عين المكان لشراء كل شيء. إلا أن تجار قوافل تندوف لا يقبلون مقابل ما

يحملونه من أثواب وزراب وشاي وسكر مادة الملح كعملة.

وتعتبر قبيلة تجكانت المسوفية أكثر القبائل تحكماً في المحور الرابط بين تاودني وتندوف (25 يوم من السفر). فهي تتحكم في قطاعي النقل والاتجار في آن واحد. كان منيرو القوافل جكانيين تربطهم عبر مختلف مراحل الطريق علاقات القرابة بأفراگ قبيلتهم في كل من بحر كليف وتافورين والترارزة وحمو الحاصل. على أن هذه المراحل تعد على صعوبتها أقل خطورة من تسعة أيام من السفر تفصل عادة بين تاودني وأروان. فتجكانت شأنهم شأن تجار تكنة لم يكونوا أقل حضوراً بتاودني من باقي بيضان أروان وتنبكتو نظراً لاستنادهم إلى روابط قرابية تجمعهم بتجار تنبكتو حيث تعتبر جالياتهم بالغة الأهمية إلى الآن. بهذا المعنى فإن بعض الوجهاء منهم كانوا ومايزالون يتوفرون على مناجم أوكلوا استغلالها إلى تابعيهم المحليين. ويكفي أن نذكر من بين أعيان تكنة أهل بركة وأهل عمار ولد احماد أو المهدي البليدي - Rita Aouad, *Les réseaux*, 113) .114)

على أنه في إطار هذا التغلغل التجاري والاجتماعي والسياسي لأهل وادي نون وأهل تيندوف ينبغي التمييز بين الحضور الذي ميز القرون الطويلة الماضية والفترات اللاحقة للسيطرة الإدارية الفرنسية. فهذه الإدارة سارت في اتجاه معاكس لم يعر أي اهتمام لطبيعة العلاقات بين المنطقتين عاملة على إجهاض كل الارتباطات القديمة. وباعتبار أن المسألة بالنسبة لهذه الإدارة لا تنحصر في مجابهة التماسك المجتمعي القائم بل تتجاوزه إلى محاولة إثبات قدرتها على تقسيم المجال والتحكم في من يخلون بأوضاعها الأمنية، كان عليها أن تعتمد مختلف أساليب التفرقة والتشتيت .(R. Aouad, *Les réseaux*, 110)

تقاييد ما اشتملت عليه إقليم توات من الإيالة السعيدة من قصور ووثائق أخرى، الرباط، المطبعة الملكية، 962 ؛ ابن بطوطة، *تحفة*، IV، 427 ؛ ابن خلدون، *العبر*، VI، 415 ؛ ابن المختار ومحمود كاتي، *تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس*، 1964، 34 ـ 37 / 59 ـ 64 ؛ ع. السعدي، *تاريخ السودان*، 73 / 84 ـ 139 ؛ فاطمة الزهراء طموح، *اكبار، معلمة*، 2، 598 ـ 600 ؛ الفشتالي، *مناهل الصفا*، ع. كنوت، 136.

Mougin, *Les premiers sultans saadides et le Sahara*, *ROMM*, 1975, 169 - 187 ; O. Lenz, *Tombouctou, Voyage au Maroc, au Sahara et au Soudan*, Paris, 1886- 1887 ; R. Aouad, *Réseaux marocains en Afrique sub- saharienne*, *R.M.E.*, n° 4, 1993, 93 - 114 ; G. Salvy, *Tawdanni*, *Le Monde*, 31 / 1 / 1976 ; H.T. Norris, *Yeminis scholars of Timbuctoo*, *J.A.H.*, III, 1962, 19 - 335 ; V. Pâques, *L'arbre cosmique dans la pensée populaire et dans la vie quotidienne du N-O Africain*, Paris, 1964, 702 p.

مصطفى ناعمي

التاودي، محمد بن يعلى، من صلحاء فاس. يعرف بالمعلم وبالخياط. اختلف في نسبه فقيل إنه أندلسي الأصل. وقد رجحت أغلب المصادر نسبته إلى بني تاوُدا من أعمال فاس. ومدينة تاودا كانت واقعة على مقربة من جبال غمارة، شيدها المرابطون لمراقبة الغماريين، على مرحلتين من فاس شمال وادي سبو. ومعنى تاودا باللغة الأمازيغية : الرعب والخوف.

أخذ التاودي التصوف عن شيخه علي بن حرزهم، كما صاحب أبا يعزى يلنور *الذي كان يشهد له بالفضل والتقدم*، ويطلق لسانه بالثناء عليه، كان للتاودي في طريق القوم قدم راسخ، قطع مقامات أبي يزيد البسطامي في أربعين يوماً. وأخذ عنه جمع من الأولياء والعارفين.

اشتهر الشيخ محمد التاودي بالبذل والجود، وكثرة الصدقات وهذه أهم خصوصيات التصوف المغربي في تلك الفترة. يقول عنه صاحب *التشوف* : "كان يعلّم الصبيان، فيأخذ الأجر من أولاد الأغنياء ويرده على أولاد الفقراء. ويغسل أثواب الصبيان في قصعة كانت عنده في المكتب. ويخيطها إذا احتاجت إلى ذلك. ولا يأخذ على ذلك أجراً".

وقد أشار سليمان الحوات، في *الروضة المقصودة* : "أن سكنى صاحب الترجمة فيما يقال بزقاق الماء عدوة فاس القرويين. وعمله في المكتب القائم بها إلى الآن. كان يعلم الصبيان، وخلوته التي كان يتعبد بها باقية في مسجدها قبلة مصونة عن كثرة الدخول بها يتبرك بها الخاصة ممن وصله خبرها".

توفي الشيخ التاودي بفاس سنة ثمانين وخمسمائة (1184 م)، ودفن بخارج باب عجيسة، وقبره معروف يستشفي به الناس، ويقصدونه للزيارة في مهماتهم خصوصاً يوم السبت.

وقد ذكر صاحب *الروضة* في معرض حديثه عن سبب تسمية شيخه أبي عبد الله محمد ابن سودة بالتاودي : "أن أهل المغرب، وخصوصا أهل فاس يتمنون في تسمية أبنائهم "بالتاودي يطلقونه على من اسمه محمد وربما اقتصروا عليه في الغالب". جدد بناء مزارة الشيخ محمد بن يعلى التاودي، السلطان سيدي محمد بن عبد الله، حيث شيد عليه قبة في أبدع صنع ووسع رحاب الضريح.

ي. ابن الزيات، *التشوف*، تح. أحمد التوفيق، الرباط، 1984 ؛ الساحلي، *بغية السالك في أشرف المسالك*، م. خ. ع. 2630 ك ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، ص. 185 ؛ ابن عيشون الشراط، *الروض العطر الأنفاس*، م. خ. س. رقم 647، ص. 311 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 3 : 110 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 2 : 188.

عبد العزيز تيلاتي

تَاوَرَا، بفتح الواو والراء كما ضبط نطقها الأصلي ابن غازي (*الاتحاف*، 1 : 52)، متحدثا عن تاورا مدينة مكناس، إذ أن المواقع التي تعرف بهذا الاسم كثيرة ؛ فيشير البكري مثلا إلى قرية تَورَة ومرساها على الطريق بين طنجة وسبتة (*المغرب*، 163)، والإدريسي إلى قرية تَاوَرَت بالجزائر (*نزهة المشتاق*، 163) بينما يتحدث لاوست E. Laoust عن قرية تاوار Tawâr بمسفيوة وقرية تاورت Tawart بتگانة، ويفترض كمدلول يحمله الجدر "اور" (Aur) عند الطوارق هو "الوجود إلى القرب من نقطة الماء" (*Contribution*, 139) ؛ الشيء الذي قد يقبل بالنسبة لتاورا

مكناسة الزيتون المتسمة في القديم بعيونها المنبجسة. لاسيما عين أبي الخيار، وكان لها دور في سقي أملاك السكان وانعاش أزقتهم ودورهم (*الروض*، 11. 12) ويعني هنا ارتباط اسم تاورا بخصوصية طبيعية بارزة، بأن اسمها كعلم، لايمت بصلة إلى جماعة بشرية معينة ذات أصل مشترك، وأن تقسيماتها التي يعرِّف بها كتاب *الروض* وهي بنو عيسى وبنو يونس وبنو أبي نواس وبنو زغبوش وفاس الصغيرة، لايفهم منها أنها فروع لوحدة بشرية كبرى بقدرما هي أقسام سكنية تخفي وراءها أصولا مختلفة، من هذه الأصول ما أفصح عنه المؤلف، أي بنو زغبوش الذين كان يعتقد أنهم من بني عيسى (*الروض*، 12) ثم عبيد الحرمة الوافدين من السودان (*الروض*، 31).

كانت تاوَرَا تحتل موقعا متميزا ؛ فبأعلى نقطة ينحدر منها ماء نهر فلفل (بوفكران) وتنساب منها العيون، كانت تبسط امتدادها على ضفتي النهر الشرقية والغربية بخلاف المراكز الأخرى التي لم تكن تحتل سوى إحدى الضفتين. وإلى جانب هذا الموقع الذي يتيح لها التحكم في مصدر المياه، كانت قريبة إلى قصر الأمير المرابطي المعروف بقصر تورزگين، كما أنها صارت أقرب مركز لتاگرارت بعد تأسيسها (*الروض*، 11). وقد انعكس هذا الموقع على مظهرها وأنشطتها وتجلّى ذلك من خلال كثرة أرحائها وحماماتها بالمقارنة مع بقية المراكز (*الروض*، 12)، ثم إنها بشهادة الإدريسي، كانت جامعة عامرة والأسواق بها نافقة (*نزهة المشتاق*، 147)، وليس هناك أكثر تعبيرا عن حيويتها ومكانتها من انتساب كثير من العلماء والفقهاء الذائعي الصيت إليها، لاسيما بنوزغبوش الذين علا شأنهم في عهد الموحدين (*مدائن مكناسة*، 181).

تضررت تَاوَرَا، في فترة الانتقال الموحدي / المريني ونالها من التخريب والخلاء ما نال بقية مراكز مكناسة الزيتون الأخرى (*الروض*، 36)، غير أن النسبة إليها ظلت قائمة إلى أواخر الدولة المرينية في القرن التاسع (15 م)، ونعلم هذا من خلال اسمين يحملان النسبة إليها : طلحة التاورتي، وقد ذكره ابن الخطيب كأحد البارزين في أحداث مكناسة أيام ثورة عبد الحليم بها سنة 763 / 1362م (*نفاضة*، 1 : 324)، ثم إبراهيم بن أحمد التاورتي، مؤرخ أبي سعيد الثالث، في مطلع القرن التاسع (15 م) (*الجذوة*، 1 : 87).

دخلت تاوَرَا على عهد السلطان المولى إسماعيل، في نطاق المجال الذي حازه السور الوقائي الذي رفعه السلطان حول قسم كبير من المجال الزراعي لمدنية مكناس (*تاريخ*، 46)، وبأعلى تاورا، شيد السلطان قنطرة دَرْدُورَة الشهيرة (*الإتحاف*، 1 : 158)، ونقل في نطاق تعديلاته العمرانية وإعادة تنظيم أسواق المدينة إلى أسفل هذه القنطرة مقر صناعة الخزف (*الإتحاف*، 1 : 225).

فحمل هذا المكان منذئذ، اسم الفخارين وهو مستمر الوظيفة والاسم إلى اليوم.

أ. البكري، *المغرب* ؛ ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق*، نشر بعنوان، *القارة الافريقية وجزيرة الأندلس*، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983 ؛ ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، نشر وتعليق أحمد مختار العبادي؛ م. ابن غازي، *الروض الهتون* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس* ؛ ع. الريفي، *زهر الأكم*، مخطوط ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*.

E. Laoust, *Contribution*, Paris, 1942.

محمد اللحية

تاوْرارْت، إحدى قرى قبيلة الخلط الهبطية، مندرجة ضمن فرقة ثلاثاء ريسانة الشمالية بجوار الزراهنة وأولاد بوحميدة، معروفة هناك بصوالح تاورارت، نسبة إلى المجموعة السكانية المستقرة بالبسيط الممتد بين واد البريري رافد واد المخازن، ودشر الجديد من قبيلة الساحل الجنوبي. وارتفاع السطح هو الذي يعبر عنه اللفظ الأمازيغي الأصل "تورارت أو تاووريت".

ولتورارْت الصوالح تاريخ يعود إلى فترة الوجود البرتغالي بمدينة أصيلا بين سنة 1471 وسنة 1550. إذ كانت القرية ضمن مجالات الخلط قبل الاحتلال البرتغالي للمدينة، وكانت إحدى محطات القوافل الآتية من القصر الكبير في اتجاه الشمال الغربي، تعرض أهلها للهجرة نحو جنوب واد المخازن، ولم يعودوا إلى موطنهم إلا بعد الجلاء البرتغالي عن أصيلا. وقد اعتاد مجاهدو القصر الكبير اتخاذ المكان طالعا لاستكشاف الطريق الواصل من تاوْرارْت إلى قرية ميجلاو، من قبيلة الساحل الشمالي، بحثا عن جنود أصيلا، وآنذاك كانت ضمن ما سماه البرتغاليون بحوز أصيلا.

ضابط الأمور الوطنية للمنطقة الخليفية، 5. 5 ؛ حسن الفگيگي، *مقاومة الوجود الايبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 2 : 352.

B. Rodrigues, *Anaïs de Arzila*, p. 1 : 29, 66, 83, 154, 204, 252, 244, 2 : 21, 57, 149, 229.

حسن الفگيگي

التاورتي، إبراهيم بن أحمد. لا نعرف عنه إلا الترجمة القصيرة التي خصه بها ابن القاضي في *الجذوة* حيث يصفه بمؤرخ الدولة المرينية على عهد السلطان أبي سعيد عثمان بن أحمد بن أبي سالم وأنه ألف كتابا يؤرخ فيه لهذه الفترة (*جذوة*، 87). غير أن ابن القاضي لم يطرح بعنوان الكتاب كاملا بل ذكره مختصرا هكذا : "ذكرة التاورتي في تاريخه"، أما المنوني فسماه "تاريخ أيام السلطان المريني أبي سعيد "الثاني" (*المصادر*، 1: 116). ومن حسن الحظ أن ابن القاضي لم يقتصر فقط على ترجمة التاورتي بل يبدو أنه وقف أيضا على كتابه واقتبس منه بعض التراجم مما يجعلنا نخرج بانطباع أوّلي قد يساعدنا في معرفة طبيعة الكتاب ومحتواه. ومن بين هذه التراجم نذكر : ترجمة عبد الرحمن الزرهوني فقيه جامع القرويين وخطيبه (*جذوة*، 403)، وترجمة أبي زكرياء يحيى بن أبي دلامة الكاتب وصاحب العلامة عند السلطان أبي سعيد المذكور (*جذوة*، 539)، وترجمة الحاجب عبد العزيز بن أحمد اللبابي الزرهوني (*جذوة*، 451) وترجمة قاضي فاس عبد

الله بن الأشقر (*جذوة*، 424) ثم ترجمة الوزير صالح بن عمر (*جذوة*، 358) ولعله صالح بن حمو الياباني الذي ذكره ابن الأحمر ضمن وزراء عدد من ملوك بني مرين المتأخرين بدءاً باحمد بن أبي سالم فعبد العزيز بن أحمد ثم عبد الله بن أحمد، وانتهاءً بعثمان بن أحمد المكنى بأبي سعيد، الذي عاش في أيامه المؤرخ التاورتي (*روضة*، 38 - 41 ؛ *الاستقصا*، 4 : 94).

وإذا كان هذا الاقتباس هو كل ما وصلنا من كتاب التاورتي، الأمر الذي يؤكد أنه كان معروفا حتى زمن ابن القاضي أيام السعديين ثم جهل مصيره بعد ذلك، فإننا لا نعرف لولادته ولا لوفاته تاريخا محددا. كل ما هنالك أن ابن القاضي ومن نقل عنه أشاروا إلى أن التاورتي بقي على قيد الحياة بعد المائة الثامنة للهجرة (800 هـ / 1398م)، مع العلم أن السلطان الذي أرخ لأيامه حكم المغرب بين سنتي 800 هـ و823 هـ تاريخ وفاته. ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الباب أن الناصري ذكر اسم التاورتي في معرض حديثه عن واقعة استيلاء البرتغال على مدينة سبتة سنة 818 هـ، وأن كتاب هذا الأخير تحدث عن تلك الواقعة وتناول أخبار دولة أبي سعيد. لكن ذلك لا يعني أن الناصري وقف على هذا الكتاب ونقل عنه تلك الأخبار، فالأمر كان مجرد إشارة إلى وجود مصدر معاصر للأحداث، والدليل على هذا كون الناصري نقل جل معلوماته في موضوع احتلال سبتة وأيام السلطان أبي سعيد من مصادر متأخرة كـ*جذوة الاقتباس* وكتاب المؤرخ الاسباني منويل باولو القشتيلي وغيرهما (*الاستقصا*، 4 : 93). كما يلاحظ من جهة أخرى أن معاصر التاورتي ابن الأحمر الذي كان أيضا مؤرخ دولة أبي سعيد المريني لم يذكر زميله ولا كتابه فيه أي من مؤلفاته الكثيرة، فلا ندري سببا لهذا الصمت!.

ابن الاحمر، *روضة النسرين*، المطبعة الملكية، الرباط، 1962 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، 88 و451 و539 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 4، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955 ؛ ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1960، الجزء الأول، ص. 250 ؛ المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، الجزء الأول، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1983 ؛ ابن منصور، *أعلام المغرب العربي*، المطبعة الملكية، الرباط، 1979، الجزء الأول، ص. 136.

رشيد السلامي

تاوْرزا، بالأمازيغية والعشار أو الكرنك بالعربية، نبات برِّي يعرف علميا بكالوطروبيس بروصيرا Calotropis procera، وهو ينتمي إلى فصيلة الصقلابيات التي تنتشر أجناسها غالبا في المناطق المدارية.

تبلغ شجرة أو شجيرة تاورزا من مترين إلى أربعة أمتار. جذعها ذو قشرة فلّينية مشققة وسميكة. لها أوراق دائمة عريضة مستديرة خشنة، مكسوة بزغب قطني جد كثيف جعل لونها الأخضر المزرق يميل إلى البياض. أزهارها كبيرة الحجم (2.3 سم) ومزركشة، إذ نجد ألوانها تختلف من الأبيض إلى الأزرق والبنفسجي والأرجواني. ثمارها كروية الشكل ومنتفخة لكونها تحتوي على ألياف قطنية تسهل انتشار البذور عند هبوب الرياح.

تُصادف تاورْزا طبيعيا في المناطق البيومناخية الجافة والصحراوية من المغرب حيث تنبت في الوديان بجانب أشجار الطلح والأثل، كما توجد في نفس الظروف البيئية من دول شمال إفريقيا وآسيا.

تنحصر استعمالات هذه الشجيرة بالمغرب وشمال افريقيا في التطبيب التقليدي لكن يزرع في بعض المناطق من أميركا الجنوبية لإنتاج قطن حريري له بعض الأهمية ولو أن أليافه أقل جودة من الكابوك، إلا أن الناتج منهما كثيرا ما يستعمل مخلوطا.

أبحاث شخصية ؛ أ. هيل، *النبات الاقتصادي* 1962. تر. د. ع. زاهر وآخرين - المكتبة الأنجلو مصرية - القاهرة.

P. Quézel et S. Santa, *Nouvelle flore de l'Algérie*, Paris, 1963.

عبد المالك بنعبيد

تاوَرْصَة أو تَاوَرْصَ، بصاد مشمومة زايا على مايبدو، قرية قديمة معروفة منذ العصر الإسلامي الأول بناحية تطوان، حسب البكري الذي هو المصدر الوحيد لمعلوماتنا عنها. ولم يبق لهذه القرية أثر اليوم إلا ما كان من لفظ تاورزا وهو نوع من الشجر القصير المزهر، ولعله كان سائداً هناك في ذلك الوقت.

ويمكن مقاربة موقع القرية مما جاء عند البكري الذي جعلها، أثناء التحدث عن الطريق البري الرابط بين سبتة وتطوان، في مرحلة وسطى بين رأس قَبْ مُنْتْ (الرأس الأسود الحالي) وبين تطوان، بعد اجتياز واد أليلى (الواد المالح) الذي لايزال محتفظاً بهذا الاسم حتى اليوم. وقد حاول التعرف على موقعها جاك كاني ولكنه أخطأ الموضع، كما أن القراءة غير الدقيقة جعلته يقرأ لفظ "طور" بدل تاورص.

إننا متأكدون من أن موضع قرية تاوص لا يمكن أن ينطبق إلا على البقعة التي تحتلها أراضي جماعة الملاليين، ولا يستند هذا التأكيد إلى الموقع فقط، بل إلى الأوصاف التي خصه به البكري، حين أخبر بتوفر القرية على أراض ومياه جارية وعليها الأرحاء. فتفحص الخريطة ومعاينة المكان يجعلنا نوجه أنظارنا إلى قرية الملاليين وواد الشجرة الحاليتين، فهنا كانت تستقر - فيما نظن - قرية تاورصة التاريخية، بجوار مياه رافد واد أليلى الجنوبي والمسيلات العديدة المتصلة به.

كانت القرية في القرن الرابع الهجري تابعة لتطوان، وتشارك بالتحكم في الطريق التجاري البري الرابط بين تطوان وسبتة، ويشرف عليها أحد وجهاء بني سكين يدعى عبد الرحمن بن فحل، وواسطة العقد بين تطوان وقب منت فيما يخص أراضي بني سكين.

أ. البكري، *المغرب*، 106 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 247 ؛ ج.

كاني، *المغرب الشمالي في أواسط القرن الخامس الهجري*، مجلة البحث العلمي 1973، 130 . 143 ؛ *خريطة طبوغرافية لحوز تطوان*، 1958 ؛ *بحيث ميداني*.

أحمد قدور

تاوريرت، مدينة بالمغرب الشرقي واقعة على واد "زا"، وهي زاي مفخمة، وعلى الطريق الرئيسي الرابط بين وجدة وگرسيف، يعود أصلها إلى ما قبل القرن الثالث الهجري، بناء على الإشارة الواردة عند ابن حوقل البغدادي، والمستخلص من مصادر البكري. ويعني اسم تاوريرت الأمازيغي الكدية، إشارة إلى إحدى الموائد الصخرية المتصلة بالمدينة وهي نوع تضاريسي منتشر بالمنطقة الشرقية، يميزها في الوسط الطبيعي ارتفاعها وإشرافها على واد زا.

يعود تأسيس مدينة تاوريرت إلى قبائل زناتة المسيطرة على تلك الجهات منذ ما قبل الفتح الإسلامي للمغرب، ولاسيما قبيلة بني واسين. وفي أواخر القرن الثالث الهجري كان سكانها من بني مراسن، زعيمهم قاسم الواسِّنَاني. وحينما مرَّ بها ابن حوقل البغدادي بعد عام 331 هـ. قال عنها : "مدينة صا (زا) صغيرة ولطيفة"، كانت مشيدة أسفل الكدية (تاوريرت) من الجهة الغربية بمحاذاة مجرى واد زا. ويرجع أول تصريح باسمها الحالي إلى البكري. ولا شك أن المساعد على ظهور المدينة وتطورها خلال القرون الهجرية الأولى عائد إلى موقعها الذي أهلها للقيام بدورها في نطاق التجارة الصحراوية بمجرد وصول القوافل السجلماسية إليها، فهي محطة رئيسية لها في اتجاهها نحو الشمال الشرقي. ومدينة تاوريرت نقطة اتصال مع وجدة شرقا، وفاس غربا عبر أگرسيف. ومنها تتجه القوافل نحو الشمال وجهة جراوة بني أبي العيش ببني إزناسن ومرساتها "تـفْرجنِّيت"، ثم نحو قلوع گرط، ومليلة، ونحو النكور ومرساتها المزمَّة.

ويظهر أن الموحدين هم الذين خربوا تاوريرت، أثناء جولات عبد المومن بن علي الگومي بتلك النواحي، عند ملاحقته لتاشفين بن علي المرابطي حوالي 536 / 1141، بدليل أن الشريف الإدريسي وجدها خرابا حين سجل أخبارها. غير أن تاوريرت لم تلبث أن استعادت وجودها على العهد المريني، لتمر بأعنف لحظات تاريخها، كنتيجة من نتائج الصراع المريني العبد الوادي على تخوم المغرب الشرقي. فمدينة تاوريرت كانت تخما بين المغرب المريني وتلمسان الزيانية. ففي منتصف القرن السابع (13 م) كان في جانبها الغربي عامل يعقوب المنصور المريني وفي جانبها الشرقي عامل يغمراسن بن زيان العبد الوادي. بقي الأمر كذلك إلى سنة 694 / 1294، حينما طرد يوسف بن يعقوب المريني عامل يغمراسن، واختط هناك حصن المدينة، بناه تحت إشرافه المباشر، وأنزل به بني عسكر من بني مرين، وعقد عليهم لأخيه أبي يحيى بن يعقوب، مما جر على المدينة سلسلة من الغارات الزيانية على يد خلفاء يغمراسن، استغرقت سنوات الثُلث الأول من القرن الثامن (14 م). وحينما مر أبو الحسن المريني بالمدينة اعتنى بشأنها وأنزل بها عسكره وعقد عليها لابنه تاشفين، بينما جعل حصنها إلى نظر وزيره منديل بن حمامة بن تربعين، غير أن ذلك لم يَحُلْ دون مهاجمة أبي تاشفين الزياني للمدينة سنة 733 / 1332.

وإلى الفترة المرينية أشار الحسن الوزان في *وصف إفريقيا* إلى ازدهار عمران تاوريرت وكثرة سكانها، إذ أن تقديره لساكنة المدينة بلغ نحو ثلاثة آلاف كانون، أي ما يساوي بالتقريب خمسة عشر ألف نسمة. وهو الذي أخبرنا الخبر الأخير عن تخريبها سنة 780 / 1378، خلال النزاع الأسروي المريني والتدخل التلمساني في الصراع على عهد السلطان أحمد بن سالم بن أبي الحسن المريني (775.786) وأصبحت المدينة منذ ذلك الحين خالية بعد هجرة أهلها إلى ندرومة الجزائرية، وبقيت خرائب المدينة تحت نفوذ عرب بني معقل وإقطاعهم من الأحلاف وأشجع.

وعاد أمر تاوريرت إلى الظهور مرة أخرى منذ العهد الإسماعيلي، حينما نقل إلى سهل أنگاد عرب زرارة والشبانات، قوم كرُوم الحاج من حوز مراكش، وذلك سنة 1090 / 1683، إذ أنه في السنة الموالية أمر السلطان ببناء قصبة تاوريرت على الضفة اليسرى من واد زا، على بعد أربعة كيلو مترات من موقع المدينة الحالي، ولاتزال آثارها قائمة إلى الآن، وأنزل بها مائة فارس من عبيده وعيالهم، في مهمة حراسة الحدود للحيلولة دون التسرب التركي إلى المغرب الشرقي من تلك الجهة. كما تم في نفس الوقت نقل قسم من زرارة والشبانات إلى المدينة، وما يزالون إلى اليوم بضواحيها الجنوبية يعرفون بالكرارمة.

وتاوريرت اليوم دائرة كبرى ألحقت بها مدينة العيون وحوزها (بني محيو وأولاد سيدي الشيخ وسجع وبني وكيل وحدوين وبني بوزگو)، كما أضيف إليها قسم من الأحلاف (مربع، أولاد سليمان، أولاد مهدي وقسم من سجع). وأدخلت ضمن دائرة تاوريرت مدينة دبدو و وحوزها أيضا (بني فشت ورشا وزوا وأولاد سيدي محمد والحاج بن أحمد).

ابن حوقل، *وصف الأرض*، 88 ؛ أ. البكري، *المغرب في ذكر أخبار المغرب*، 90 . 93 ؛ ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق*، 247 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 6 : 119 . 125 . 7 : 227 . 681 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1 : 271 ؛ أحمد الناصري، *الاستقصا*، 4 : 67 . 7 : 62 ؛ *خريطة الدائرة*، 1973 ؛ *زيارة ميدانية*.

حسن الفگيگي

تَاوْرِيرْت. جغرافيا . تقع بين مدينتي وجدة (108كلم) وتازا (120 كلم)، في ممرّ واسع موجّه نحو الشمال الشرقي، بين سهل تافراطة وحوض العيون وبين جبال بني إزناسن ومرتفعات المقام والگعدة. على تلّ يعرف بالكدية (تاوريرت) وهو يشرف على الضّفة اليسرى لوادي زا أحد روافد نهر ملوية.

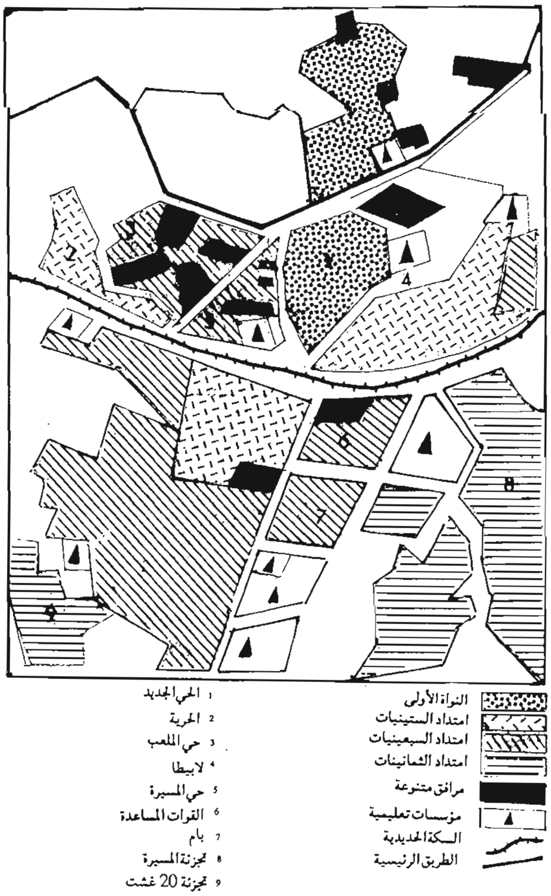
تحولّت تاوريرت من قرية سنة 1936 كانت تحتضن 1652 نسمة إلى مدنية صغيرة في الأربعينيات لإيواء الوافدين إليها من القبائل المجاورة بسبب الضغط الاستعماري والظروف الاقتصادية الرديئة. فارتفع حجم سكانها ثلاث مرات سنة 1952 (4655 ن)، ثم ناهز المرتين سنة 1960 (7343 ن) وتضاعف مرتين كذلك سنة 1971 (15581 ن) وبنفس القدر سنة 1982 (32667 ن). أما الآن فيقدر عدد سكانها بأكثر من 60000 نسمة، بعد أن توسّع نطاق استقطابها للهجرة القروية التي تمثل نسبتها ما يقارب 65٪ من النمو الاجمالي والتي تهمّ أساساً جماعات مستگمر ودبدو والعطف وسيدي لحسن بالإضافة إلى سكان القبائل المجاورة وحتى آخرين من إقليم تازا.

تنمو المدينة بشرياً وعمرانياً بوتيرة لاتساير سرعة تطور التجهيزات والمرافق الضرورية لتلبية حاجيات مدينة متوسطة من حجم خنيفرة أو صفرو وتارودانت وقلعة السراغنة وبرشيد ... والتراكم الضخم والمستمرّ لأفواج النازحين من الأرياف يكسب جلّ أحيائها طابعاً عشوائياً وقروياً يطرح عدّة مشاكل تنظيمية واجتماعية تكاد تكون مستعصية.

لجعلها مركزاً للمراقبة الترابية أقامت السلطات الاستعمارية سنة 1908 ـ 1909 محطة لاسلكية قرب القصبة مرتبطة بالإدارة العسكرية العامّة بفرنسا، وهي مازالت تعدّ من أهمّ محطات الإرسال بالمغرب. ثم أضيفت ثكنة عسكرية ظهر بجانبها أول حيّ صار يسمّى دوّار المخزن، وأنشئ "الحي القديم" ابتداءً من سنة 1920 بمثابة مركز للمعمّرين ولاستقبال الجزائريين واليهود المتعاطين للتجارة والصناعة التقليدية، انضمّ إليهم بعد ذلك أهل فگيگ. من ثمّة أخذت تتوسّع المدينة نحو الجنوب فقط، نظراً لوجود أراض مسقية في الشمال والشرق حول وادي زاَ. فشيّد الحي الجديد ابتداءً من سنة 1940، وكان أغلب سكانه من قبيلة الكرامة. وفي السّتينيات ظهرت ثلاثة أحياء حول الحيّ الجديد : الهندية والحرّية والحلْفا الذي كان عبارة عن مجمّع للخيام. أمّا أكبر زحف مجالي فستشهده المدينة خلال السّبعينيات. حيث امتدّ حي السوق (الهندية في السّابق) شرقاً ثم غرباً (حي لأبيطًا : وزارة السّكنى) ومُلِئ الفراغ بين الحي الجديد وحي الحرية بإنشاء حيّ الملعَب والمسيرة اللذين خصّصا للموظفين والعمّال بالخارج. وزاد الامتداد خصوصاً مع توسّع حي التقدم (الحلفا سابقاً) في الجنوب (الحرشة) وفي الشرق (القوات المساعدة وبَام : برنامج التّغذية العالمي). وأخيراً تشكلت ثلاثة أحياء منذ بداية الثمانينات وهي تجزئة المسيرة المخصّصة للموظفين والخواصّ وتجزئة 20 غشت والمحاريگ اللذان لجأ إليهما النازحون.

لقد زحفت المدينة على مئات الهكتارات وكأنّها بدون تخطيط عمراني مسبق. وذلك رغم وضع مخططات بعد تحديد المدار الحضري سنة 1933 في الحيّ القديم والتي

تاوريرت



تستهدف توجيه التوسّع وكذا احتواء الأعداد المتزايدة للوافدين من البوادي ؛ منها التصميم الأول للمدينة سنة 1947 ودراسة سنة 1951 ومراجعة التصميم الأوّل سنة 1967. ويجب انتظار سنة 1991 لكي تقرّر وزارة السّكنى الإشراف على دراسة تصميم التهيئة الذي مازال قيد المراجعة والتشاور.

يعزى النمو السريع للسكان إلى الهجرة والتطور العشوائي للأحياء، وإلى الوضعية القانونية للأراضي التي كانت تشكل عاملاً إيجابياً في البداية والتي أصبحت تمثل أحد أهمّ العوائق أمام الحدّ من الهجرة واتخاذ السكن القانوني ؛ إذ أن أكثر من 90٪ من العقار جماعي ومخزني، وهو بالتالي قابل لأن يكون حلاً سهلاً لتوزيع الأراضي أو السّكوت عن احتلالها. فرغم عدّة عمليات لاقتناء المسؤولين أراضي واسعة، رغبة في القضاء على السكن المتستر والفوضوي وفي إعادة هيكلة المدينة من الناحية الوظيفية، قد وزعت في بداية الثمانينيات 550 قطعة مجاناً مكان تجزئة 20 غشت الحالية بعد أن نصبت 531 خيمة كانت تأوي 2930 نسمة من سكان القبائل الرعوية المجاورة المتضرّرة من الجفاف. فتفاقمت عملية المضاربة في القطع المسلمة، حيث توضع الخيام ثم تقتني الأراضي فتباع للحصول على قطع أخرى مجّاناً أو بأقل ثمن. والأراضي التي اشتراها المجلس البلدي سنتي 1983 و1984 هي الآن

محتلة بدون مقابل من طرف السكان ومن دون ترخيص قانوني.

باستثناء النواة الأولى (الحي القديم والحي الجديد) وتجزئتي وزارة السكنى (لابيطا والمسيرة) وجوانب الطريق الرئيسية التي تتبع تصميماً مهيأً وتتوفر على التجهيزات الأساسية، من أزقة معبدة وماء شروب وكهرباء وواد حارّ، فإن باقي الأحياء الهامشية تتميز بعشوائية التصاميم وبناء متواضع وتفاوت في المرافق الضرورية، خصوصاً وأنها تنمو على سفوح تلية عسيرة الاستصلاح. ممّا اضطر السلطات إلى محاولة استدراك جزء من نقص التجهيز أولاً في الأحياء القريبة من المركز (أحياء التقدم والملعب والمسيرة).

لقد أفرز هذا النوع من النّسيج الحضري تركزاً للوحدات الاقتصادية ومؤسسات الخدمات الكبرى بوسط المدينة وحوله. ومن الطبيعي أن تتنوّع الأنشطة والوظائف بهذه المدينة المتوسطة بعد أن كان اقتصادها يعتمد بالأساس على مردود الهجرة الخارجية ومعاشات المتقاعدين من الجيش. وطبيعي كذلك أن يكون قطاع البناء هو الأكثر انتعاشاً وتوظيفاً للنشيطين. وفي المرتبة الثانية نجد التجارة والنقل بما يقرب ألف محلّ تجاري وإحدى عشرة حافلة بالمدينة وستاً وعشرين حافلة عابرة. ومع أن جلّ الدكاكين العائلية مخصّص للموادّ الغذائية فإن المدينة معروفة بسوق الأحد الذي يعدّ أحد أهمّ الأسواق الوطنية للماشية، وبتوزيعها على أكبر مدى الألبسة المستعملة القادمة من ميناء الناظور، إضافة إلى ازدهار الاقتصاد الموازي المرتبط بتجارة التهريب.

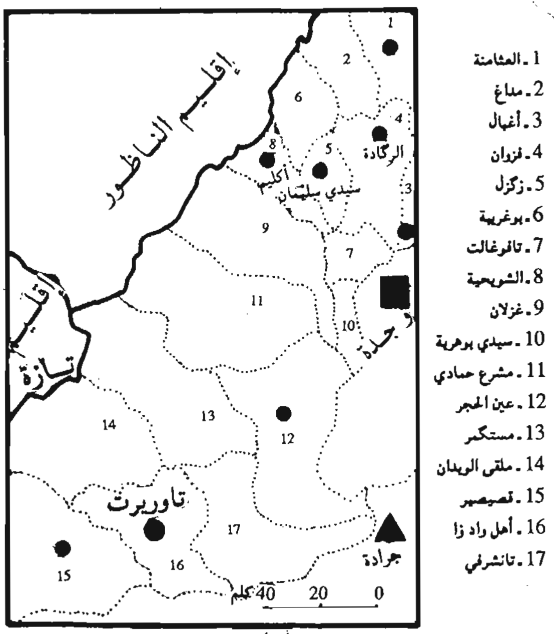
أمّا النشاط الموالي من حيث عدد المشتغلين به فيهمّ الخدمات العمومية المتنوعة التي تتميز بأهمية خاصة لقطاعي التعليم والإدارة العمومية بعد تقلص عدد الجنود بالثكنة عقب انتقال الحامية إلى كرسيف بعد سنة 1975. ذلك أن المدينة تتوفر على ست مدارس وأربع إعداديات وثانوية (1981) ومدرسة للتكوين المهني، وتعتبر أيضاً بلدية ومقر جماعة ودائرة. ومن المحتمل أن تظل كذلك بعد إنشاء إقليم بركان - تاوريرت سنة 1994 الذي تحتضن المدينة الأولى مقرّه. وأمّا الصناعة بشطريها فتأخذ مكانة لايستهان بها. بالإضافة إلى الوحدات الصغيرة للصناعة التقليدية وللإصلاحات، قد تمّ إنشاء مجمع تقليدي نظراً لوفرة المادّة الخام من صوف وجلد، وبعد تدهور مصنوعات الحداءة والحلفاء على إثر انتهاء تجميع وتصدير المادة الأخيرة إلى الخارج سنة 1981. كما تمت عصرنة ست وحدات لتصبير الزيتون من بين 17 وحدة. وأهمّ مؤسسة صناعية تشغل ما بين 250 و600 عامل حسب الفصول تتمثل في معمل تصبير وتصدير السمك الذي عوّض سنة 1984 معمل تصبير النيورة.

أخيراً تتوفر المدينة على خدمات متنوعة بعضها من النوع النادر محلياً (قاعة سينما وخمسة أبناك وفندق من صنف ثلاثة نجوم). ويشغل قطاع الخدمات حوالي 10٪ من السكان النشيطين.

كما تجدر الإشارة إلى أنّ جزءاً من السكان يزاولون الفلاحة بوادي زَا الذي توجد على مدرجاته دائرة مسقية متعدّدة المزروعات تبلغ مساحتها حوالي 4000 هكتار بناحية مدينة تاوريرت.

* * إقليم بركان - تاوريرت، إقليم إداري فتيّ أحدث في بداية سنة 1994 لمّا انبثق عن إقليم وجدة، كما هو الشأن بالنسبة لإقليم جرادة، وعندما أنشئت ولاية وجدة التي صارت تتألف من هذين الإقليمين إضافة إلى إقليم وجدة - أنكاد.

يضمّ إقليم بركان - تاوريرت سبع عشرة جماعة قروية وثمان جماعات حضرية. ويتكوّن من شمال دائرة تاوريرت السابقة، بعد أن انشطرت بعض جماعاتها القروية إلى قسمين بتاريخ 30 يوليوز 1992. حيث تفرعت جماعة القطيطير، إلى جماعتي ملقى الويدان والقطيطير، وجماعة العاطف إلى جماعتي أولاد محمد والعاطف. أمّا الجماعات الجنوبية التي ألحقت بإقليم جرادة فهي سيدي علي بلقاسم وسيدي لحسن والعاطف وأولاد محمد بالإضافة إلى جماعة دبدو الحضرية. كما يتكوّن الإقليم من دائرة بركان السابقة بأكملها، بعد أن عرفت بعض جماعاتها القروية نفس التقسيم : مداغ (العثامنة ومداغ) وأكلميم (بوغريبة والشويحية) وتافوغالت (سيدي بوهرية وتافوغالت).



إقليم تاوريرت

ينقسم إقليم بركان - تاوريرت إلى ثلاث مناطق متوازية وواضحة المعالم. تشمل الوحدة الجنوبية أحواضاً واسعة حول مدنيتي تاوريرت والعيون تمتدّ من نهر ملوية إلى سهل

أنگاد بدون حاجز تضاريسي، وتشرف عليها جنوباً جبال جرادة وشمالاً جبال بني إزناسن. نظراً للمناخ السائد شبه الجاف، يعتمد سكان الأرياف على زراعة الحبوب المتقطعة والخفيفة وبالخصوص على الرعي التكميلي للأغنام الذي يتخذ طابعاً انتجاعياً في الجهة الغربية. وعلى الزراعة المسقية المتعدّدة المحاصيل في بعض القطاعات الصغيرة قرب العيون وعلى طول نهر ملوية ورافده واد زاَ. في هذه الظروف تعرف الهجرة القروية إلى العيون وتاوريرت وتيرة سريعة. كما تسجّل المدينة الأخيرة تضخماً كبيراً لايساير نمو وظائفها وأنشطتها التي ترتكز على التجارة والخدمات أساساً. أمّا معمل الإسمنت قرب العيون فهو قليل المردود عليها.

تتوسط الإقليم وحدة ثانية مكوّنة من جبال بني إزناسن التي تكتسي صبغة جبلية ضخمة رغم ارتفاعها الأقصى المتوسط (1500) بسبب إشرافها على منخفضات ولا سيّما في الواجهة الشمالية الأقرب إلى البحر. ونظراً لوعورة التضاريس ولأهمية المساحات الغابوية على القمم والسفوح فإن الحياة البشرية والاقتصادية قد ورثت ارتباطاً بالأودية، حيث يمارس تكامل الرساتيق اعتماداً على الزراعة المسقية المتنوّعة.

وأخيراً ينبسط سهل تريفة من أقدام جبال بني إزناسن إلى البحر على مساحة متقلصة نسبياً، ولكنها تعدّ من القطاعات المسقية الكبرى في المغرب. وتتميّز بزراعات تسويقية وصناعية متنوعة أهمها الحوامض. بل حتى هوامش السهل تعرف زراعة كثيفة نسبياً نتيجة توفّر مؤهلات زراعية ملائمة ؛ مما يخلف كثافة سكانية مرتفعة. وباستثناء مدينة السعيدية التي يرجع نموها أساساً إلى السياحة فإن باقي المدن الأخرى تستمدّ بروزها وحيويتها من النشاط الفلاحي ؛ إذ ارتقت سنة 1992 ثلاثة مراكز إلى صف البلديات (عين الرگادة وسيدي سليمان الشراعة وأگلميم) وعرفت مدينة أحفير انتعاشاً جديداً وتوسّعت مدينة بركان بشكل سريع. وتحتضن هذه الأخيرة جلّ الصناعات الغذائية والخدمات والمصالح الإدارية الحديثة. وهذا يؤهلها لكي تصبح بحق قطباً إقليمياً.

وثائق مصالح دائرة تاوريرت ؛ ولاية وجدة، *رسم توضيحي لولاية وجدة*.

Plan d'Aménagement, Taourirt Ahl Oued Za, Province d'Oujda, Ministère de l'Intérieur, Juin, 1992.

مصطفى عياد

* * وهناك قصبة تاوريرت بمدغرة تافيلالت تقع جنوب الراشدية وتبعد عنها بحوالي سبعة كيلمترات على يمين الطريق الرابطة حاليا بين الراشدية والريصاني وعلى الضفة اليسرى لوادي زيز. وقد سكنها منذ القرن العاشر (16 م) أولاد الشريف علي بن طاهر بن الحسن وبنوعمهم.

أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، 401 ؛ القادري، *الدر السني*، 54 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 231.

عبد العزيز بوعصاب

تاوزّاگت، اسم يطلق على الجبل الذي يوجد في أسفله منجم معدن إميدْر أو إميضْر للفضة، على السفح الشمالي لجبل صغرو من بلاد تُدغة بإقليم ورزازات على بعد حوالي مائة وخمسين كيلومترا شرقي هذه المدينة. ومعنى هذا الاسم : العُرف وهو ما يشبه الجبل المذكو.

تشهد الدلائل الأثرية على استغلال مكثف. لهذا المنجم منذ القرن الثاني (8 م). وقد أكد أوسطاش D. Eustache على أهمية منجم الفضة هذا أيام الأدارسة ووجود عملة إدريسية فضية ضربت في تدغة. ويبدو أنه حصل اتفاق بين الإمارة الخارجية في تدغة و الدولة الإدريسية لتزويدها بالنقود التي كانت تضرب في تدغة وبمعدن الفضة الذي كان يحول إلى نقود في وليلي، وذلك فيما بين عام 175 وعام 200 هـ.

وتمكن بعد ذلك يحيى بن إدريس الثاني حوالي عام 223 /837 من السيطرة على منجم تاوزّاگت فغدت الدولة الإدريسية تراقب وتشغّل منجم الفضة بشكل مكثف. وحسب الرواية الشفوية تم إعادة اكتشاف مناجم تاوزّاگت عن طريق الصدفة من طرف الرعاة سنة 1950، إذ سقط أحدهم في منجم وعثر على أدوات قديمة للاستغلال وتم إخبار السلطات في ذلك الحين. فبدأت الدراسات وتمت به أشغال بحث ودراسة أولية لتقدير الاحتياطي وضبط أهمّيته، وبدأ بعد الاستقلال استغلالُ معدن الفضة هذا من طرف شركة معادن إميضر.

دراسة ميدانية ورواية شفوية.

عبد القادر بوراس

تاونات، ـ جغرافيا ـ تقع تاونات في الجزء الأوسط من منطقة الاتصال بين جبال الريف شمالا وما يُدعى بتلال مقدمة الريف جنوبا، وتشغل قمة تل يناهز علوه 660 م فوق مستوى سطح البحر. وتجزأ هذا المرتفع تحت تأثير التعرية المائية إلى مجموعة قمم متفاوتة الحجم، تشرف على منخفضات تتجه نحو أودية عميقة أهمها واد ورغة جنوبا ورافده واد أسرا شرقا، وهذه الخصائص الطبوغرافية للموضع الذي استقرت به نواة المدينة يشكل عرقلة أمام التوسع العمراني بها.

وبحكم الموقع الداخلي توجد تحت هيمنة مناخ قاري يتسم عموما بالحرارة المفرطة صيفا والبرودة القارسة شتاء، أما كميات الأمطار التي تتباين من سنة إلى أخرى فإن معظمها يتهاطل خلال فصلي الشتاء والربيع بمعدل سنوي يقدر بحوالي 600 مم.

اقترنت نشأة مدينة تاونات ونموها بدخول الاستعمار الفرنسي لمناطق ورغة العليا والوسطى في أوائل العقد الثالث من القرن الحالي، وذلك على حساب أطماع الاستعمار الإسباني في هذه المناطق. ففي بداية سنة 1924 تدخل جيش الاحتلال الفرنسي بشكل مسلح عنيف للتصدي للمقاومة الشديدة التي واجهها من لدن القبائل التي تقطن ضفاف ورغة وأهمها قبائل صنهاجة ومرنيسة ومتيوة وبني

زروال، وهي قبائل ظلت في مواجهة مستمرة مع المحتل الأجنبي وقدمت كل أوجه الدعم والمساندة للمجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي في كفاحه ضد الاستعمار الإسباني بجبال الريف. ولتدعيم مواقعه الاستراتيجية بحوض ورغة العليا والوسطى قام جيش الاحتلال الفرنسي ببناء ثكنات عسكرية في كل من ظهر السوق وبني وليد والورتزاغ ... إلا أن الإدارة الاستعمارية الفرنسية وجدت في موقع تاونات أنجع نقطة للسيطرة على المنطقة كلها، لكون هذا الموقع عبارة عن مرتفع يتوسط حوض ورغة ويساعد على مراقبة تحركات قوات المقاومة. ولذلك فإن الثكنة التي شيدت به كانت من أكبر الثكنات بمقدمة الريف. وحول هذه الثكنة انطلق تعمير مركز تاونات ببطء طيلة فترة الاستعمار، لكنه عرف انتعاشة قوية مع بداية عهد الاستقلال خاصة مع تشييد طريق الوحدة في النصف الثاني من الخمسينيات لربط تاونات بالحسيمة عبر كتامة. وقد ساهمت هذه الطريق في فك العزلة التي فرضها الاستعمار بين جبال الريف والمناطق التي تجاورها من جهة الجنوب. وبذلك أصبحت تاونات مركز عبور أساسي نحو مدن وبوادي الأقاليم الشمالية انطلاقا من مدينة فاس، الأمر الذي انعكس على الرواج التجاري بتاونات، حيث تزايد عدد المتاجر والمقاهي حول الطريق المؤدية إلى الشمال مكونة المركز التجاري للمدينة.

وعرفت مدينة تاونات طيلة العقدين الأخيرين نموا ديمغرافيا متسارعا قل نظيره في المدن المغربية الصغرى، إذ انتقل عدد سكانها الاجمالي من 3101 ن سنة 1971 إلى 10.836 سنة 1982، مسجلة بذلك نسبة تزايد سنوي قياسية يناهز 12٪. وهذه الزيادة لا ترتبط بدينامية اقتصادية جديدة بقدرما ترتبط بارتقاء المدينة سنة 1977 إلى مستوى مقر إقليم إداري وما رافقه من استقرار مجموعة من مندوبيات مختلف الوزارات بالمدينة وتوافد بعض العمال بالخارج الذين ينحدرون من جهات مختلفة بمقدمة الريف للاستقرار بالعاصمة الإدارية الجديدة للإقليم، الأمر الذي جعل قطاع البناء يشهد حركة قوية قصد الاستجابة لحاجيات السكن الجديدة، مما أدى إلى ارتفاع مفاجئ في ثمن الأرض نتيجة المضاربة العقارية التي استفادت من ندرة الأراضي الصالحة للبناء بفعل الخصوصيات الطبوغرافية المحلية.

وفي غياب تصميم للتهيئة المعمارية، راح البناء العصري ينتشر بشكل عشوائي داخل الدواوير المجاورة للمركز التجاري للمدينة وعددها تسعة دواوير أهمها : الدمنة، القلعة، حجر دريان، حجر المطاحن، الدْشيَار. وهذا التوسع العمراني يتم في ظل عجز كبير في شروط التطهير وباقي التجهيزات العمومية من إنارة وطرق معبدة ومرافق تعليمية وصحية، حيث لا تتوفر المدينة إلا على أربع مدارس ابتدائية وإعداديتين وثانوية ومركز للتكوين المهني ومستشفى واحد لا يحتوي إلا على ستة وأربعين سريراً رغم أن المرضى يقصدونه من مختلف أنحاء الإقليم.

وعموما فان مدينة تاونات التي لاتتوفر على مؤسسات إنتاجية من شأنها أن تعطى دينامية للاقتصاد المحلي، ولاتتوفر مجالاتها الخلفية على فلاحة مزدهرة، فضلا عن مشكل الموضع الذي لا يسمح بالتوسع العمراني، فإن آفاق نمو هذه المدينة اقتصاديا وسكانيا وحضريا تبدو محدودة في ظل الظروف العامة الراهنة وذلك رغم ترقية المدينة إلى عاصمة إقليم إداري على حساب مراكز أخرى كانت تطمح إلى ذلك وخاصة قرية أبًا امحمد. ورغم أن التقسيم الجماعي الجديد لسنة 1992 صنف تاونات ضمن الجماعات الحضرية.

* * أحدث إقليم تاونات سنة 1977 وأصبح نفوذه الإداري يشمل مجالات جغرافية كانت في معظمها تابعة لإقليم فاس، وهي مجالات عرفت تعميراً قديما من قبل وحدات بشرية متعددة أهمها قبائل الحياينة وصنهاجة وبني زروال وشراگة. وهكذا أصبح الإقليم الإداري لتاونات يمتد على مساحة تقدر بحوالي 5.585 كلم^2، يحده شمالا إقليما شفشاون والحسيمة، وشرقا إقليم تازا، وغربا إقليم سيدي قاسم، وجنوبا إقليم فاس.



إقليم تاونات

ويضم إقليم تاونات على صعيد التنظيم الإداري أربع دوائر هي دوائر غفساي وقرية ابًا محمد وتيسة وتاونات. وبمقتضى المرسوم المتعلق بالتقسيم الجماعي الجديد الصادر في 28 من ذي الحجة 1412 / 30 يونيو 1992 فإن عدد الجماعات القروية بإقليم تاونات قد انتقل من ثلاثين إلى أربع وأربعين جماعة قروية، كما ارتقى كل من مركز تاونات ومركز قرية أبًا محمد إلى مصاف الجماعات الحضرية.

خضع الإطار المجالي لإقليم تاونات لتطور جيومورفولوجي طويل أفضى إلى وجود أشكال طبوغرافية تطغى عليها التلال الطفلية التي يتراوح ارتفاعها عموما

ما بين 400 و800 م فوق مستوى سطح البحر، وتمتد ما بين واد إنّاون جنوبا وواد ورغة شمالا، وهي جزء مما اصطلح على تسميته بتلال مقدمة الريف، في حين يطغى الطابع الجبلي على الهوامش الممتدة شمال واد ورغة حيث يتجاوز علو بعض القمم 1800 م فوق مستوى سطح البحر.

يهيمن على إقليم تاونات المناخ المتوسطي المتسم بالحرارة المفرطة والجفاف صيفا والبرودة الشديدة والرطوبة شتاءً، لكن هناك عوامل خارجية أهمها انفتاح الإقليم على المؤثرات المحيطية غربا وعلى المؤثرات القارية عبر ممر تازا شرقا، وأخرى محلية كالارتفاع وانتشار بعض المساحات الغابوية في الاجزاء الشمالية، تجعل المناخ متذبذبا في نظامه العام ومتباينا على صعيد مختلف أنحاء الإقليم. فمثلا إذا كان تهاطل الأمطار بالأجزاء الجنوبية ما بين تيسّة شرقا وقرية ابّا محمد غربا يقع في حدود 500 مم موزعة على 65 يوم مطر كمعدلات سنوية، فإن الأجزاء الشمالية حول واد ورغة تستقبل 904 مم موزعة على 80 يوم مطر كمعدلات سنوية، يتركز معظمها في فصلي الشتاء والربيع، وغالبا ما يكون تهاطل هذه الأمطار مركزا وعنيفا مما يؤدي إلى حدوث بعض الأضرار المتمثلة أساسا في تحطيم أجزاء من المسالك والطرق وانجراف التربة واقتلاع بعض الأشجار وجرفها نحو أهم أودية الإقليم وهي إنّاون واللبن، وخاصة ورغة الذي يرتفع صبيبه في بعض الفترات المطيرة من الشتاء والربيع إلى ما يربو عن 10.000 م^3 /ث، الأمر الذي ينجم عنه فيضانات خاصة بسهل الغرب بعد انضمام حمولة واد ورغة إلى حمولة واد سبو. لذلك شرعت الدولة منذ سنة 1971 في التخطيط لبناء سد من الحجم الكبير على واد ورغة بموقع المجاعرة، على الحدود بين إقليم تاونات وإقليم سيدي قاسم، لتكون إحدى مهامه الأساسية : تعديل نظام تصريف واد سبو، ومن ثم الحد من فيضاناته، إلا أن شروط بناء هذا السد لم تتهيأ إلا بعد عقدين من الزمن حيث تم البدء في أشغال تشييده سنة 1991 باسم سد الوحدة.

كما أن التهاطل المركز والعنيف للأمطار بجبال الريف وهوامشها الجنوبية وما يترتب عنه من مشاكل على صعيد التربة والطرق الخ.. كان وراء استفادة الأجزاء الشمالية لإقليم تاونات من منجزات ما سمي بمشروع تنمية الريف الغربي "ديرو" الذي شرع في تنفيذه في أواخر الستينيات، وكان من أهدافه الرئيسية محاربة انجراف التربة عن طريق التشجير، ثم تحسين دخل الفلاحين للحد من هجرتهم، خاصة الشباب منهم، وذلك عن طريق إحداث تعديلات في استعمال التربة للأغراض الزراعية والرعوية وفتح أوراش للعمل ذات طابع موسمي، لكن تنفيذ هذا المشروع لم يحقق كل الأغراض المتوخاة منه على صعيد إقليم تاونات لأنه لم يتضمن برنامجا متكاملا لتحسين الظروف العامة التي يتم فيها الإنتاج الفلاحي مثل إجراء تعديلات في الهياكل العقارية المطبوعة بالتنوع والتفاوت الكبير في حجم ملكية الأرض الفلاحية، ثم تطوير البنيات الاقتصادية الأساسية وتحسين الخدمات الاجتماعية وخلق مناصب شغل دائمة الخ.. خاصة وأن الوضع الديمغرافي لإقليم تاونات يتسم بأهمية نمو عدد السكان الذي انتقل من 449.912 نسمة سنة 1971 إلى 535.972 نسمة سنة 1982، لا يمثل الحضريون منهم الازهاء 4٪، مع الإشارة في هذا الصدد إلى أن توسيع تيار الهجرة من الإقليم يحد من حجم النمو السكاني، حيث أظهرت بعض الأبحاث بأن 40٪ من الأسر بإقليم تاونات لها فرد أو أكثر يوجد في حالة هجرة، وأن 80٪ من هؤلاء المهاجرين تتراوح أعمارهم ما بين 16 و25 سنة، وأن أبرز دوافع هذه الهجرة هي البطالة ونقص التشغيل وعدم توفر الأسرة على أرض فلاحية أو توفرها على أرض لا يكفي استغلالها لتلبية حاجيات أفرادها الأساسية.

إن فقدان إقليم تاونات لجزء من سكانه وخاصة منهم الشباب لا يعني أنه إقليم فقير من حيث الموارد الاقتصادية، خاصة وأن هذه الأخيرة، من الناحية النظرية، ليست مطلقة ولكنها تخلق. فإقليم تاونات، فضلا عن ثرواته البشرية يتوفر على مؤهلات طبيعية هائلة، وفي مقدمتها الموارد المائية ومساحات ذات تربة غنية ... إضافة إلى امكانياته السياحية المهمة وخاصة بالأجزاء الشمالية من الإقليم كجبل أوْدكا قرب غفساي، وكبلاد صنهاجة الظل شرق مدينة تاونات، بعيونها الغزيرة وخاصة عين بوعادل، وببساتينها ذات الأشجار المثمرة الكثيفة خاصة بمنطقة بني قرة.

ولكن رغم ما يحتضنه إقليم تاونات من ثروات بشرية وإمكانيات اقتصادية وغيرها، فلا يزال يعاني من قلة النمو على عدة مستويات، إذ كان ولايزال ينظر إليه من زاوية التخطيط وإعداد التراب الوطني بمثابة العمق الاستراتيجي الذي يزود السهول الغنية المجاورة كسهل الغرب والأقطاب الحضرية الكبرى كفاس والدار البيضاء بالماء واليد العاملة وبعض المنتجات الفلاحية ولاسيما زيت الزيتون، دون أن يستفيد من استثمارات اقتصادية وبشرية من شأنها أن تشكل عامل تحول إيجابي لتنمية الإقليم اقتصاديا واجتماعيا، ومن ثم العمل على الحد من الهجرة الكتلية التي تعتبر بمثابة نزيف مافتئ يعاني منه إقليم تاونات.

تحريات ميدانية ؛ *نتائج إحصاءات السكان لسنتي* 1971 و1982 ؛ مديرية الإحصاء، *النشرة الإحصائية السنوية للمغرب*، الرباط، 1990.

G. Lazarev, *Structures agraires et grandes propriétés au pays Hayaïna, R.G.M.*, n° 9, 1966 ; *Ressources en eau du Maroc*, T. 1, Rabat, 1971 ; M. Ennaji, *L'émigration rurale intérieure : causes et incidences*, Actes du colloque *"Population et développement rurale"*, Rabat, 1989.

المختار الاكحل

تاونات، **.** تاريخ **.** مدينة على ضفاف وادي سبو شمال فاس. وكلمة تاونات أمازيغية ذات أصل مصمودي، يظهر أنها انصهرت في اللهجتين الصنهاجية والزناتية، وهي

تعني الصعود أو الصعدة، وتتطابق مع وعورة التضاريس. والأماكن التي يطلق عليها اسم "تاونات" هي :

1) تاونات المدينة، مقر عمالة الإقليم. 2) تاونات لقشور، وهو تجمع سكاني صغير يقع على بعد حوالي ثلاثين كيلومتراً من المدينة يمين طريق الوحدة المؤدية نحو كتامة والحسيمة. 3) تاونات لوطا، وهو تجمع صغير يقع شرق مدينة تاونات، ويخضع إدارياً لسوق سبت متيوة (بوهودة).

أغلبية سكان منطقة تاونات مزيج من أصل عربي - بربري (مونوغرافية تاونات، ص 1) إلا أنه من الصعب تحديد تاريخ وظروف استقرار مختلف التجمعات البشرية بهذا الإقليم الشاسع الأطراف، المتنوع الأصول، وقد وفدت كل من قبيلة بني زروال وقبائل شراگة من الشرق عبر الجزائر سعياً وراء استغلال الأراضي الفلاحية التي كان يملكها سيدي محمد (فتحا) بن الحسن صاحب الضريح الشهير، كما توافدت جماعات أخرى من مناطق سوس على إثر غزو مولاي إدريس للمنطقة سنة 175 هـ، كما وفدت قبائل بني ورياگل وبني عمار وصنهاجة من الريف. والثابت أن المرتفعات الوسطى من سلسلة جبال الريف، عرفت وجود عناصر صنهاجية منذ زمن عريق في القدم، لا يعرف تحديده ولو بصفة تقريبية، غير أنه من المؤكد أن القادة الأولين للفتح الاسلامي وجدوا صنهاجة في طليعة قبائل المنطقة (*العبر*، 6 : 282). وقد وردت الإشارة إلى وجود هذه العناصر الصنهاجية عند البكري في غير ما موضع من *المسالك*، كما أشار إلى عناصر قبيلة أوربة التي ماتزال على ضفاف نهر ورغة، وذلك مثل رغيوة ومزيات، وهم في مجاورة صنهاجة (البحث العلمي، 27 : 203 - 204) وباستثناء قبيلة سي سليمان التي تندرج ضمن صنهاجة الشمس، فإن تجمعات أولاد إزم وبني قرة وعين مديونة وبوعادل تصنف ضمن صنهاجة الظل. وتسكن الضفة اليسرى لنهر ورغة عناصر صنهاجية وقبائل مختلطة مثل الحياينة وشراقة (أو شراگة) (*البحث العلمي*، 27 : 211).

أشهر قبائل منطقة تاونات خمس : 1) بنو وليد، وهو تجمع قديم ورد له ذكر في كتابات البكري وابن خلدون والوزان، ولو أن هذا الأخير جعلهم من إخوة مرنيسة النفزاويين. وقد عرف هذا التجمع سعة في أرزاقه المعيشية وكثرة قراه.... (*البحث العلمي*، 27 : 212). 2) مزراوة، قبيلة صغيرة من قبائل صنهاجة ورغة، موقعها الحالي فيما بين لجاية ومزيات الأوربتين على الضفة اليمنى لوادي ورغة الذي يفصلها عن قبيلة سلاس. وقد كانت مواقعها القديمة بالأطلس الأعلى قبل الانتقال إلى حوض ورغة على عهد المرابطين، حسب ما يظهر. وقد ورد ذكر هذه القبيلة منذ القرن السادس في كتاب *المقتبس من كتاب الأنساب* للبيذق (ص. 45 - 46). كما ورد ذكرها في كتاب *العبر* لابن خلدون (6 : 195). 3) سلاس، وهي قبيلة متوسطة من قبائل صنهاجة ورغة، كانت مواقعها القديمة بالأطلس الأعلى، قبل الانتقال على عهد المرابطين على ما يظهر، وهي من جماعة هنكافة مثل مزراوة وفشتالة (*البحث العلمي*، 27 : 212). ويقال إنهم وفدوا من الأندلس في القرن الثالث عشر الميلادي. 4) فشتالة (أو إيفشتالن)، وهو تجمع صنهاجي يقع حالياً على الضفة اليسرى لورغة، يضرب بعروقه القديمة إلى جماعة هنكافة، إحدى التجمعات الكبرى لصنهاجة القبلة. والظاهر أن وصول الفشتاليين إلى منطقة ورغة كان قد تم على عهد المرابطين ضمن زحف إخوانهم من قبائل الجنوب، ومن أبرزهم لطمة الذين كانوا يشنون الغارات على هاته النواحي مما حدا بعامل المرابطين إلى تأسيس حصن بني تاودا الذي تحول اسمه بعد تحطيمه على يد الموحدين إلى اسم فاس البالي لسبب غير واضح، وهذا الحصن واقع قرب حصن آخر قديم بجبل أمرگو الذي صار يحمل بدوره اسم مولاي بوشتى الخمار. 5) بني ورياگل (بالجيم المعقودة)، وهي قبيلة صغيرة على الضفة اليمنى لنهر ورغة فيما بين الرافدين : أولاي وأوضور، وقد ورد ذكر القبيلة عند ابن خلدون، ويصفهم الحسن الوزان بأنهم أقوياء شجعان بطبيعتهم، وهم في عداء مستمر مع جيرانهم بني زروال. ومن ضمن فرقهم بنو كيسان وجبالة وتافرنوت وتازارين ودرادر والهاوتة (البحث العلمي، 27 : 214).

مهما كان أصل هذه القبائل صنهاجياً فإنها تعربت تماماً منذ ما يزيد عن سبعة قرون، وصارت تتحدث بلهجة من لهجات اللسان العربي الدارج المعروف بلهجة جبالة، ذات الرطانة الخاصة التي يميزها نطق حرف الضاد طاءً.

يضاف إلى ساكنة تاونات، بنو سنون، الشرفاء الحسنيون.

أ. البيذق، *المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب*، الرباط 1971 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6، طبعة الجزائر ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، ج 1 تع. م. حجي وم. الاخضر، الرباط 1980 ؛ التقي العلوي، *أصول المغاربة*، القسم البربري - صنهاجة الشمال - البحث العلمي، عدد 27 - 1977 ؛ م. شفيق، *في أن أسماء الأماكن في المغرب أمازيغية*، *البحث العلمي*، عدد 27 ؛ *مونوغرافية* عمالة إقليم تاونات، ماي 1991.

الحسين البعاوي

* * أسهمت تاونات في المقاومة المسلحة وانتقلت إلى مقدمة الأحداث إبان الحرب الريفية التحررية ضد القوات الاستعمارية الفرنسية، وذلك بسبب موقعها الاستراتيجي الهام في مقدمة الريف على الطريق المؤدية إلى فاس. فبعد معركة أنوال سنة 1921، عرفت المواقع الإسبانية في شمال المغرب انهياراً، وأخذ البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي يحرر المنطقة الشمالية بحيث لم تصل سنة 1925 حتى أصبحت هذه المنطقة باستثناء الحصون العسكرية الصغيرة في ضواحي سبتة ومليلية والعرائش وطنجة تحت سيطرة جيش ابن عبد الكريم.

أربك هذا التطور الإقامة العامة الفرنسية التي كانت تتابع بقلق كبير الهزائم المتوالية للجيش الاسباني، لهذا

سارعت منذ سنة 1924 إلى تحصين مواقعها في مقدمة الريف وتعزيز حامياتها العسكرية من حوض ملوية السفلى شرقاً إلى أعالي حوض ورغة غرباً. وكانت تاونات قاعدة عسكرية متقدمة حيث أمر المقيم العام ليوطي القوات الفرنسية بالتمركز على الخصوص بتاونات وتافرانت ولو اقتضى الأمر التخلي على المراكز الأخرى. وأسندت قيادة تاونات للعقيد "بارباصا Barbassant" يساعده المقدم "سان جوليان Saint Julien" بينما كلف الكولونيل فريدنبرغ Freydenberg بتنسيق العمليات العسكرية في المنطقة حيث أقام مركز قيادته بعين عيشة.

ومع بداية سنة 1925 أعلنت قبائل بني زروال الواقعة في أعالي حوض ورغة الانضمام إلى الثورة الريفية فوجدت فرنسا الذريعة للدخول إلى الحرب، ذلك أن الاتفاق بين اسبانيا وفرنسا على إثر توقيع معاهدة الحماية ينص على تقسيم قبائل ورغة إلى قسمين، شمالها للإسبان، وجنوبها للفرنسيين. وطالما ندد محمد بن عبد الكريم الخطابي بهذا التقسيم التعسفي في تصريحاته العديدة.

أدرك ابن عبد الكريم النوايا العدوانية للاستعمار الفرنسي فقام خلال ربيع 1925 بكنس النفوذ الفرنسي في المراكز التي حصنوها سنة 1924 خاصة تاونات وأسطار وأسكار وتافرانت وعين مديونة... وكبد الفرنسيين خسائر فادحة في الأرواح، وتدخلت الطائرات الاستعمارية مغيرة على المداشر والقرى الآهلة بالسكان، ووضع جيش الاحتلال عدداً كبيراً من الأسراب رهن إشارة الغزاة تقوم بطلعات متعددة المرامي، منها الطلعات الاستطلاعية لرصد تحركات المقاومين وتحديد مواقعهم، وأخرى لقنبلة السكان، وثالثة لإحراق الغلات، ورابعة لتزويد الجيوش الاستعمارية المحاصرة بالمؤونة والمواد الغذائية. ورغم عدم توفر المقاومة المغربية على طيران بالمقابل، وعدم وجود نظام للدفاع ضد الغارات الجوية، كان التحليق فوق المقاومين يعرض الطيارين الفرنسيين وطائراتهم للدمار والقتل.

وأمام تأزم وضعية الجيوش الفرنسية ألقت فرنسا بأكبر عدد من الجيوش لم يسبق لها أن استعملتها في حرب من حروبها الاستعمارية، وأحكمت التنسيق العسكري مع إسبانيا التي خارت قواها. فأخذ الصراع يتجه إلى حرب حقيقية بين القبائل المتحالفة مع الزعيم الريفي والقوات الاستعمارية الفرنسية الإسبانية.

وقبل شن الحرب العدوانية على الريفيين قام وزير الحربية الفرنسي پانلوفي Painlevé في يونيو 1925 بزيارة تفقدية لمقدمة الريف وزار تاونات المحاصرة التي استرجعتها القوات الفرنسية مؤقتاً ثم حررها من جديد المقاومون. وقد مكنت هذه الزيارة الحكومة الفرنسية من تقييم الوضعية واستخلاص النتائج.

وهكذا عين الجنرال نولان Noulin كقائد عام للعمليات العسكرية كما نودي على بيتان Pétain للقيام بدور المنسق. وفي نفس الوقت وصلت الإمدادات العسكرية الضخمة عن طريق البر انطلاقا من الجزائر وعن طريق البحر انطلاقاً من مارسيليا لتصل إلى ميناء الدار البيضاء. والملاحظ أنه في هذه المرحلة الثانية من الحرب الريفية ونضال محمد بن عبد الكريم الخطابي، لم يكن الفرنسيون يواجهون الريفيين وحدهم بل كانوا يواجهون أيضاً قبائل بني زروال وبني مستارة وسائر قبائل حوض إناون، ويقذف الفرنسيون إلى المعركة بحشود هائلة من السنغاليين والهنود الصينيين واللفيف الأجنبي وسائر المرتزقة بقيادة علية الضباط الاستعماريين المصابين بحمى المغامرة والفتح والترقيات السريعة في أعقاب الحرب العالمية الأولى.

أسفرت هذه الحرب عن عزل المقيم العام ليوطي يوم 17 شتنبر 1925 وتعيين تيودورستيگ Th. Steeg مكانه. لتطبيق خطة القيادة الاستعمارية التي تميل إلى استعمال حرب الإبادة ضد المقاومين المغاربة.



تاونات
بريشة ضابط الشؤون الأهلية ج. تيوفيل دولاي J. Théophile Delay

وقد تمكنت القوات الاستعمارية من استرجاع تاونات خلال صيف 1925 وكذلك المراكز المحيطة بها. واتخذها الجنرال بيلوط Billotte مركزاً لقيادته في اتجاه الريف. ورغم التحصينات التي أقامها الاستعمار في تاونات وضواحيها ظلت تتعرض باستمرار للهجومات، غير أن جيش الاحتلال لم يتورع، لأجل كسر شوكة المقاومة، من استعمال كل وسائل الدمار كإحراق الغلات وتسميم المياه. ومع ذلك لم يتمكن الاستعمار من السيطرة النهائية على تاونات والمراكز المحيطة بها إلا في نهاية ماي 1926.

وقد حولت الإقامة العامة تاونات إلى دائرة عسكرية تابعة لمنطقة فاس، وأقامت بها حاميات قوية، إلا أن ذلك لم يمنع تاونات من القيام بدور فعال أثناء اندلاع المقاومة المسلحة من جديد خلال سنوات 1954 و1955، وكانت من أهم مراكز التنسيق بين أعضاء جيش التحرير والمقاومة في مقدمة الريف.

ميكيل مارتيل، *الاستعمار الاسپاني في المغرب* 1860 ـ 1956 تر. ع. لوديي، منشورات التل، الرباط 1988 ؛ جورج أوفيد، *اليسار الفرنسي والحركة الوطنية المغربية* 1905 ـ 1955، تر. محمد الشرگي وعبد الجليل ناظم، دار توبقال الرباط 1988.

Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris 1939 ; J. Saulay, *Histoire des goums marocains*, Tome I, Paris, 1986 ; H. Bordeaux, *Henry de Bournazel*, Paris, 1935, *Revue de l'Aviation Française* ; *Le Mémorial du Maroc*, Tome 5, *Revue Icare* n° 121 (1981), *Salon de l'année 1907 : la guerre du Rif*, pp. 50 - 105.

عبد القادر بوراس

تَـاوُوتّـي، هكذا رسمت الكلمة في المصدرين اللذين وردت فيهما، وهما كتاب "*التشوف*، 304 ـ 313" لابن الزيات التادلي، وكتاب القاضي ابن عبد الملك "*الذيل والتكملة*، سفر : 8 ـ 170" ولم يشر محققا الكتابين إلى وجود رسم مخالف في نسخ المقابلة.

والكلمة أمازيغية تنطق حسب قراءة الأستاذ أحمد التوفيق لها بتاء مثناة، بعدها ألف مد، واو مشددة مضمومة بعد واو مد، وتاء مثناة مكسورة بعدها ياء مد.

وهي علم على موقع جغرافي يقع قرب مراكش نعته ابن الزيات بالقرية (*التشوف*، 304)، وأقدم إشارة لذكر هذا الموقع حسب المصادر المتداولة ترجع إلى نهاية القرن السادس الهجري (12 م) عند ابن الزيات، وأشار إليه ابن عبد الملك في القرن السابع الهجري (13 م). لكن في سياق أخبار تعود إلى أواخر القرن السادس وبداية السابع الهجريين (12 م و13 م). وهذا يفيد أن الموقع يرجع إلى زمن سابق من غير المستعبد أن يبدأ على الأقل مع بداية حكم الموحدين، وهو الأرجح على اعتبار ذكره بالمنطقة قبل هذا التاريخ، ولكون نشاطه الصوفي يبدو هو الآخر غير بعيد زمنيا.

أما من حيث الدلالة، فإن اسم تاوّوتّي يفيد معنى الضرب أو الحدود (*التشوف*، 304). ومن الطريف أن الموقع الذي أرجحه كمكان لهذا الاسم، يعرف حاليا تحت اسم سَقَـرْ، ودلالة هذا النعت تجعل الجزاء والعقاب قاسماً مشتركاً بينه وبين معنى الضرب المشار إليه سابقاً. ومن جهة ثانية فإن معنى الحدود، يجد هو أيضا ما يدعمه في المكان نفسه. ذلك أن هذا الأخير يوجد في موقع كان فيما يبدو أحد نقط الالتقاء بين مجال قبيلة إيلان شرقا ومجال قبيلة هزميرة غربا.

أما فيما يخص تحديد الموقع الجغرافي لتاووتّي، فبفضل إشارة دقيقة وجدت عند ابن عبد الملك، يتبين أن هذا الموقع كان يوجد شمال سور مدينة مراكش من جهة باب فاس ـ باب الخميس حاليا ـ. ومن خلال النص التالي لابن الزيات، يمكن الوصول إلى توطين أكثر دقة، يقول : "وحدثني محمد بن سعيد قال : قعدت مع أبي علي في بستان خارج المدينة إلى أن مالت الشمس للغروب. فقلت : لعله يريد المبيت في قرية تاوّوتّي وباب المدينة عازم على أن يغلق. فقال لي : أتطيق الاسراع في الجري ؟ وكان نحيفاً وأنا أقوى منه. فأشفقت عليه لضعفه. فما التفت إلا وقد غاب عني. فأجهدت نفسي في الاشتداد إلى أن وصلت إلى باب المدينة وقد سبقني إليه ورغب البواب أن يحبس علي الباب إلى أن أصل. فنظر إلـيَّ وهو يبتسم. فدخلنا المدينة وأغلق البوأب الباب وقضيت العجب من ذلك" (*التشوف*، 304 ـ 305).

إن معطيات الزمن الموجودة في هذا النص، يمكن أن تسهم في تحديد مكان موقع تاوّوتّي، ذلك أن أقصى المسافة التي يمكن قطعها بالجري السريع بين المدة الزمنية الفاصلة بين ميل الشمس للغروب، وغروبها التام يمكن تقديرها بحوالي ثلاث كيلومترات، وهي بالتحديد المسافة الفاصلة بين باب فاس والموقع المسمى حاليا بسَقَـرْ، الذي أرجحه كمكان لتاوّوتّي. إن الجمع بين الوقت الأول، والوقت الإضافي الذي بقي فيه الباب مفتوحا بصفة استثنائية في انتظار وصول رفيق الصوفي أبي علي عمر بن علي ابن عبد العزيز الهزرجي، قادها من تاوّوتّي، يسمح بإمكانية قطع المسافة المذكورة، مع الاسراع في الجري في نطاق شروط تتحكم في هذه السرعة منها نوع اللباس الذي يكون في غالب الاحيان عائقا، ونوع النعلين، والحالة الصحية للمعني بالأمر.

تسمح المعلومات المتوفرة بعدم استبعاد أن تاووتّي كانت تمثل مركزاً للاستقرار في المجال الريفي القريب من شمال مراكش، ولعل هذا ما يفيده نعت ابن الزيات لها بقرية (التشوف، 304) ويبدو أنها كانت تتوفر على طاقة سكنية ذات اعتبار وهو أمر تدعمه مجموعة من القرائن منها :

1 ـ وجود دور بالموقع، ومن الحجم الكبير الذي يستجيب لاستيعاب الجماعات الوفيرة.

2 ـ اعتبارا لأهمية الامكانيات الفلاحية للموقع، فإن مستوى هذا النشاط يتطلب طاقة بشرية مهمة، من غير المستبعد أنها تشكلت من سكان المنطقة أنفسهم.

3 ـ اعتبارا لمكانة تاوّوتّي الصوفية، فقد كانت مقصد المريدين من مجالات مختلفة. يقول ابن الزيات في ترجمته لأبي محمد عبد الحليم ابن اسماعيل الأيلاني الاسود "زرته مرات بداره... يقصده المريدون ويجتمعون عنده، فنفع الله به خلقا كثيراً" (*التشوف*، 313) إن هذا الحضور البشري بهذا الحجم وإن كان يتميز بعدم الاستقرار الدائم، فإنه يتطلب وجود طاقة سكنية معينة تلبي هذا الإيواء المؤقت.

4 ـ اعتباراً لوقع تاوّوتّي في خريطة المسالك والطرق الخاصة بمراكش، يبدو أن هذه الخصوصية الجغرافية، تجعل منها أول مركز استقرار يستقبله القادم من المدينة في اتجاه الشمال، وآخر محطة قبل الدخول إلى المدينة بالنسبة للقادم من الاتجاه المعاكس، وهذه الوضعية تجعلها فيما يبدو ذات وظيفة مركز خدمات ومركز عبور بشري بين مراكش وشماليها القريب والبعيد، وتكون في نفس الوقت الملجأ لقضاء الليل بالنسبة للأفراد والجماعات الذين يصلون إلى المدينة من الشمال بعد أذان المغرب.

ومن غير المستعبد أن منطقة تاوّوتّي كانت تشكل جزءاً من المساحات المسقية الفلاحية التي تم إحداثها خلال القرن السادس الهجري (12 م)، وتدخل ضمن البساتين التي نشأت خارج أسوار المدينة زمن حكم الموحدين، ولعلها كانت تمتد بين بحيرة يطّي جنوبا (*البيان*، قسم الموحدين، 434) وتاقيطت شمالا (*أخبار المهدي*، 63).

وإذا أفادت هذه العناصر باتساع المساحة الفلاحية، فإن إشارات يستفاد منها قيمة إمكانيات الإنتاج التي كانت

تتوفر عليها المنطقة، يعكس ذلك مصطلحات فلاحية تحمل دلالة الاتساع وأهمية عناصر الإنتاج مثل : الضيعة (*الذيل*، سفر 8، 170) ومرور نهر ماء بنفس الضيعة، ومكانة الشخص الذي يملكها وهو ابن القطان الذي "كان معظما عند الخاصة والعامة من آل دولة بني عبد المومن، حظي كثيراً عند المنصور منهم فابنه الناصر فالمستنصر بن الناصر فأبي محمد عبد الواحد أخي المنصور ثم أبي زكرياء المنعم ابن الناصر حتى كان رئيس الطلبة، مصروفة إليه الخطط النبيهة مرجوعا إليه في الفتاوي" (*الذيل*، سفر 8، 169)، يضاف إلى ذلك مناظر زراعية أخرى تمثل البستان (*التشوف*، 304)، ومعلوم أن هذا المصطلح قد أطلق خلال هذه الفترة وفي المجال نفسه على الملكيات الفلاحية، الكبيرة أيضا. (*الحلل*، 6 : 145).

ومن خلال الأخبار الواردة عن تاووّتّي في كتاب "*التشوف*"، يبدو أن هذه القرية عرفت خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري - إن لم يكن بعدها أيضا - نشاطاً صوفياً بارزاً تتجلى أهم مكوناته في العناصر التالية :

1 - وجود صوفي شهير بها يعرف بأبي عبد الحليم بن إسماعيل الايلاني، توفي سنة ثلاثة وتسعين وخمسمائة هجرية، كمركز لدائرة هذا النشاط.

2 - وجود هياكل صوفية : مريدون، خاصة التلاميذ.

3 - مكان مقصود من طرف أهل الولاية والصلاح من المدينة والبادية على السواء، وعلى اختلاف مستويات وصفات المتصوفة الزائرين، أمثال الصوفي الشهير أبي علي عمر بن علي بن عبد العزيز الهزرجي توفي عام اثنين وتسعين وخمسمائة (*التشوف*، 303) من أهل الجانب الشرقي من مراكش، وابن الزيات نفسه (*التشوف*، 313)، وعلى مستوى المجال وبصفة خاصة نفيس ومراكش. وهي إشارة أيضا لطبيعة العلاقات الصوفية التي كانت قائمة بين تاووّتّي ومجالها.

يمثل مركز تاووّتّي إذاً بهذا النشاط الصوفي، مع مركز تاقيطت، المركزين الصوفيين اللذين يقعان خارج شمال مراكش، ويشكلان كذلك المجموعة الشمالية لمراكز التصوف الموجودة بالحوز الأوسط، والمحيطة بمراكش.

ورغم أهمية هذه الوظيفة الدينية وحجمها بالمنطقة فإن ابن الزيات لم ينعتها بأية صفة من صفات المواقع الصوفية التي استخدمها بالنسبة لعدد مهم من مركز التصوف بمجال الحوز والأطلس الكبير، كالرباط والرابطة.

البيذق، *أخبار المهدي*، طبعة الرباط ؛ ي. التادلي، *التشوف*، تح. أحمد التوفيق، البيضاء ؛ م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، سفر 8، قسم 1، تح. محمد بن شريفة، الرباط، 1984 ؛ ابن عذاري، *البيان، قسم الموحدين*، تح. محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، البيضاء 1985 ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، تح. زكار وعبد القادر زمامة، البيضاء 1979.

محمد رابطة الدين

ابن **تاويت**، أسرة أصلها من الأندلس استقرت حقبةً من الزمان في وادراس قبل أن تدخل إلى مدينة تطوان. وأقدم نص بيدنا ورد فيه ذكر ابن تَوَيْت هو *معجم السَّفْر* - بفتح السين وسكون الفاء - اسم جمع سافر مثل صَحْب بالنسبة لصاحب - لأبي طاهر أحمد السِّلفي الأندلسي نزيل الاسكندرية ومعاصر القاضي عياض. والكتاب من مخطوطات الخزانة العامة بالرباط (حرف الكاف) وقد لخّص بعض ما فيه إحسان عباس ونشره في بيروت بعنوان *أخبار وتراجم أندلسية*. وهذا نص ما ورد فيه عن "تويت" بالبربرية وأخوين كلاهما يدعى بن تويت

قال السلفي في سياق ذكر توءمين ملتصقين خلقةً : "سمعت أبا محمد عبد الله بن تويت بن الوزان اللمتوني بالثغر الاسكندري يقول، وجربته وكان ثقة يتحرّى الصدق، سمعت أخي الأمير أبا يعقوب ينتان بن تويت الفقيه وغيره من المرابطين الثقات بالمغرب يقولون : وُلد في بني نورت - بطن من الملثمين - جسمان كاملان برأس واحد، فعاشا زمانا، ثم مات أحدهماوثقل الآخر، فراموا قطعه منه، فشاوروا الفقهاء فقيل لهم : يصبر أياماً، فلم يمض قليل حتى مات الآخر. قال أبو محمد عبد الله بن تويت : وولد بالأندلس في أيامنا مولود برأسين ... وقد رأيت بحمص الأندلس (اشبيلية) امرأة ولدت أول ولادتها ولداً ثم في المرة الثانية ولدين وفي الثالثة ثلاثة وفي الرابعة أربعة وفي الخامسة خمسة وفي السادسة ستة وفي المرة السابعة سبعة في بطن واحد.

قال السلفي : أبو محمد هذا رجل صالح من أمراء المرابطين قدم المشرق للحج وطلب العلم وكان يحضر عندي ويقرأ. ومن جملة ما قرأه *الملخص* لابن القابسي. وأما أخوه ينتان فكان فقيها وذكر لي أخوه أبو محمد أنه توفي في زبيد من مدن اليمن، وأنه كان قرأ على ابن عتاب وأبي بحر وابن رشد وآخرين بقرطبة، وعلى ابن أبي جعفر بمرسية، قال وتويت اسمه محمد ولكن غلب عليه لقبه هذا وتفسيره صياح.

وبالأصل المخطوط : "وسألته عن معنى تويت، فقال إن معناه صياح بالبربري، فهو مصدر". ومازال في عاميتنا هذا الوزن خصوصاً في المهَن التي تُعدُّ مستهجنة مثل تگزُّرْت وتحَجَّمت وتحدُّدَت وتنجُّرت وكلمات أخرى قبيحه الذكر. وليس صياح بتشديد الياء كما ظن.

والملاحظ أن تَـوَيْـت ذكرت بدون الألف وهو ماكنا نعرف، ثم زيدت الألف ضبطاً للنطق بالتاء مفتوحة. والدليل على صحة الأول في الأستعمال أننا نجمع هكذا "تَوَيْتْش" وهو اسم أيضاً للأسرة والمقر.

تقع هذه البقعة في قبيلة وادراس بين تطوان وطنجة متاخمة لأنجرة. فقبيلة وادراس تبعد عن تطوان بنحو خمسة عشر كيلومتراً وعن طنجة بنحو ذلك أو دونه بقليل، تشقُّها الطريق السيارة ويتاخمها الجبل الواقع به ضريح وليّ.

ويلاحظ في هذه القبيلة أن السكان يجمعون بزيادة السين كما بالإسبانية، فيقولون - تَوَيْتَشْ، بنطق السين شيناً، كما في البرتغالية، وكما في نحوسين اشبيلية. ويقولون أيضاً عَلالّش، جمعاً لابن علال، وحليمَشْ جمعاً لابن حليمة، وعبّودَشْ جمعاً لابن عبود وزيّانَش، لزيان، والطويلش للطويل، ولاغرابة في هذا التاثير الإسباني الذي جاء بمجيئ مهاجرة الأندلسيين أواخر القرن التاسع (15 م) فيذكر صاحب *نبذة العصر* لهؤلاء المهاجرين أنهم نزلوا بوادراس ثم انتقل منهم من انتقل إلى بني سعيد في غمارة الساحل الشرق، ومازالت عقبة بغرناطة تذكر بعقبة غمارة (Cuesta de Gomara) ويقول مارمول الذي تكلم عن وادراس بإسهاب وذكر شجاعتهم في القتال إنّ المقصود بهم هم سكان وادراس، هكذا يقول، وإن كانت وادراس انفصلت من غمارة وصار حلفهم مع قبيلة الأخماس بينما المتاخمون لهم شرقاً وهم قبيلة أنجرة حلفهم مع غمارة، وبعبارة فإن الساحل الممتد من الريف إلى سبتة فطنجة وأصيلا والمنتهي عند القصر الكبير لغمارة، وعبد الكريم المنسوب إليه القصر الكبير غماري. أما الداخل وفيه وادراس وبني يدر وبني مصور وجبل حبيب (الفهري)، والأخماس داخل. ومن مدنه مدينة الشاون، ومازالت حتى الآن بها عصبية ومواجهة بين الأخماس وغمارة.

محمد ابن تاويت التطواني

ابن **تاويت، أحمد** بن محمد بن عمر التطواني. ولد بتطوان عام 1322 وحفظ القرآن في كتاب والده محمد بن عمر شيخ المقرئين، كما حفظ على يده المتون العلمية الأولى في اللغة والدين قبل أن ينتقل إلى حلقات شيوخ تطوان أمثال عبد الرحمن أقشار ومحمد الركيك وأحمد الزواقي الحسيني وأحمد الرهوني وغيرهم آخذاً عنهم علوم التفسير والحديث والأصلين والفقه واللغة وقواعدها. ثم توجه إلى فاس ليدرس بالقرويين، ومن شيوخه فيها عبد الرحمن ابن القرشي، وأحمد بن الجيلالي، وعبد الله الفضيلي وأحمد بن المامون البلغيثي.

وبعد عودته إلى تطوان تولى بها عدداً من الوظائف، فكان أستاذاً بالمدرسة الاسلامية سنة 1930، وقاضياً بالمحكمة الشرعية سنة 1952، ومفتشاً بوزارة العدل، ثم مديراً للمعهد الديني، فأستاذاً بكلية أصول الدين. وقد درس خارج تطوان بدار الحديث الحسنية بالرباط، وبالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لمدة سنتين. ولما أحييت الكراسي العلمية أسند إليه كرسي التفسير بالجامع الكبير بتطوان.

كان أحمد بن تاويت من المؤسسين لرابطة علماء المغرب وعضو الأمانة العامة للرابطة، وعضو المجلس العلمي بتطوان. واشتهر بالتواضع والتودد لإخوانه وخلانه، ممن يألف ويؤلف.

توفي بمسقط رأسه صبيحة يوم السبت تاسع ربيع الأول عام 1414 / 28 غشت 1993.

معلومات شخصية، وأخرى شفوية من تلاميذه.

المهدي الدليرو

ابن **تاويت، محمد** بن **عمر** بن عبد السلام بن عمر ابن علي بن مَحمد بن موسى بن محمد الوادراسي ثم التطواني، ولد عام تسعين من القرن الثالث عشر (19 م) وتلقى تعليمه الأول من خاله الفقيه محمد بن حمزة غالبا، ويذكر أنه كان بتطوان عند إتيان الملك مولاي الحسن إليها، وسنه آنذاك عشرون. وبعد حفظه القرآن الكريم صار يتلقى مبادئ العربية والفقه على فقيه عصره، والشهير فيما يمتد من تطوان إلى *طنجة* مباشرة السيد محمد بوتفّاح، وكان يرافقه في الأخذ عنه والد محمد بن تاويت الطنجي. وفي الربع الأول من القرن الرابع عشر كان قد حطّ الرحال نهائياً بتطوان. وبعد هجرة خاله إلى طنجة عند الاحتلال الإسباني بتطوان، كان يخلفه في تعليم القرآن الكريم بها، فظل يقوم بهذه المهمة ما يزيد على نصف قرن، فصار بذلك فقيه تطوان، لا يُذكر إلا بهذا النعت ولايوجد متعلم إلا وقد تخرج على يديه.

كان يعلم القرآن، وإلى جانبه مبادئ النحو وفقه العبادات والتوحيد وما ينضم إلى ذلك مما تشمله منظومة ابن عاشر المعروفة، كما كان يزاول العدالة التي كان شأنها محترما لايضطلع به إلاّ مَنْ يتّسمُ بالعلم والاستقامة الخلقية.

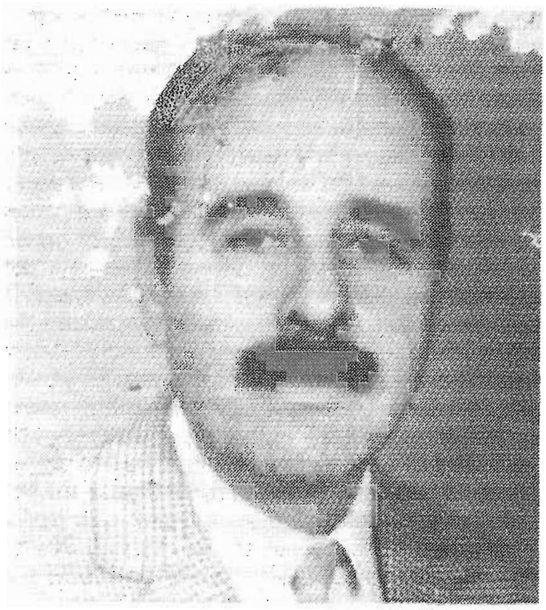
وممن تعلموا على يديه الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي، ثم الزعيم عبد الخالق الطريس، ومن الوطنيين الكبار الفقيه محمد داود مؤرخ تطوان والحاج مَحمد بنونة. وإلى جوارهم جميعا مَحمد عزيمان والطيب بنونة ومحمد الفاسي الحلفاوي وغيرهم كثير لا يحصون عدداً. ومن ناحية الدولة فقد كان مبجلا من القصر الخليفي والوزارة التي كان على رأسها الصدر الأعظم الفقيه ابن عزوز. وكان الخليفة مولاي المهدي يعزّ الفقيه محمد ابن تاويت، كما كان ابنه مولاي الحسن بعده يعظمه لدرجة أنه كان يُحيي معه صلاة التراويح التي كان يفتحها ويختمها ثم يصلي صلاة الصبح ويبقي الخليفة في المسجد ينصت إلى قراءة الحزب فيعود مودعاً إلى قصره في حفل رسمي.

محمد بن تاويت التطواني

ابن **تاويت التطواني، محمد** بن محمد بن عمر بن عبدالسلام. والده من شيوخ حفظة القرآن ومعلميه المبرزين، وأسرته عريقة تنتسب لقبيلة "ودراس" من أحواز تطوان، عرفت بالجهاد والتقوى، رحل فرع منها أولا للاستقرار بالمدينة المجاورة تطوان، وتلاه بعد عقود فرع استقر بالمدينة البوغاز القريبة بطنجة. ومترجمنا عالم أديب، اشتهر بالبحث والتأليف والترجمة في الأدب والتاريخ والتشريع الاسلامي والفلسفة والمنطق والتصوف. ولد بتطوان عام 1329 / 1911. استظهر القرآن الكريم على والده ولم يتجاوز سن العاشرة، شرع بعدها في حفظ المتون بدءاً بمقدمة ابن أجروم المرشد الصغير لابن عاشر إلى الأحزاب المنتشرة في العبادات من مختصر خليل. وقد أهله ذلك للانتقال إلى

حلقات الدرس حيث تتلمذ على كل من الفقهاء عبد الكريم بن محمد الدليرو، ومحمد بن عبد السلام الريسوني، وعبد الله مراريش، ومحمد الكحاك، ومحمد الفرطاخ، ومحمد الزرهوني، ومحمد القاسمي، وعبد الرحمن بن رحو، ومحمد أقلعي، ومحمد اعمير، ثم عن شقيقه الأكبر أحمد ابن تاويت.

وبداية من مرحلة تكوينه تلك، شرع يعنى بتلقي الدروس الأولية في اللغتين الإسبانية والفرنسية، مستمداً هذا التوجه من وصلة الطفولة الرابطة بينه وبين قرينه في الكتاب وفي حي "الاترنكات" الاستاذ عبد الخالق الطريس، والذي ظل حريصاً في زعامته للحركة الوطنية بشمال المملكة المغربية أثناء الحماية الاسبانية، على استثمار ثقافة "ابن تاويت" الجادة في صياغة المطالب التعليمية بخاصة، وترشيد تكوين الأجيال الصاعدة، وتخطيط آفاق مستقبلها العلمي.



وفي عام 1348 / 1929، التحق محمد ابن تاويت التطواني بالقرويين، فجلس إلى حلقات الدروس، داخل المسجد وخارجه، واستمع إلى الشيوخ الطائع ابن الحاج، ومحمد ابن الحاج ومحمد بن عبد الرحمن العراقي والعباس بناني ومحمد الزرهوني ومحمد العلمي وأبو الشتاء الصنهاجي ومحمد الصنهاجي ومحمد السايح ومحمد بن عبد المجيد أقصبي وعبد الرحمن ابن القرشي والحسن بن عمر مزور وعبد الرحمن بن الصديق الغريسي ومحمد بن عثمان الشامي والحبيب بن أحمد المهاجي وأبي بكر الدرقاوي ومحمد ابن سعيد المكناسي وإدريس المراكشي وعمر ابن سودة ومحمد ابن عبد الله وعبد الله الفضيلي ويصفه بعالم فاس في زمانه.

وموازاة مع دروسه هذه كان يحضر دروس اللغة الفرنسية، بين العشاءين، بثانوية مولاي إدريس، كما كان يتصل ببعض الجزائريين والارجنتينيين المقيمين بفاس يجلس إليهم مستزيداً من اللغتين الاسبانية والفرنسية.

ولما أعلنت الحرب الأهلية الاسبانية سنة 1936 واستعصت بنتيجتها الاتصالات بين شمال المغرب وجنوبه، عاد مضطرا إلى تطوان، حيث عينه صديق الصبا الأستاذ الطريس الذي كان يشغل أثناءها مهمة وزارة الأحباس في الحكومة الخليفية كاتباً له. وكان إلى جانب ذلك يزاول مهمة التدريس بالمدرستين القرآنية والحسنية، ويلقي محاضرات بنادي حركة الوحدة المغربية في تاريخ التشريع الإسلامي، ويعقد حلقات في بعض مساجد المدينة، درس فيها للطلبة المختصر والألفية والمنطق والبلاغة والحساب بالقلصادي.

ولما تهيأت البعثة الحسنية للدراسة في مصر سنة 1938م استقال من وظيفه والتحق بها، طموحاً منه لاستكمال دراسته، وقد انتظم طالباً بكلية الآداب قسم اللغة العربية بجامعة فؤاد الأول، حيث نال شهادة الإجازة وتابع بعدها إعداد دبلوم الدراسات العليا في اللغات الشرقية في ذات الكلية. ومن أساتذته خلال هذه الفترة طه حسين ومصطفى السقا وأمين الخولي وأحمد لطفي السيد وأحمد أمين وأحمد ضيف ومحمد زيادة وحسن إبراهيم حسن ومحمد شفيق غربال وعبد الحميد العبادي وعبد الوهاب عزام وإبراهيم أمين الشواربي ويحيى الخشاب.

ولرغبته في الحصول على شهادة الدكتوراه سجل موضوعها تحت إشراف أستاذه عبد الوهاب عزام، وعمل خلالها ببعض مؤسسات القاهرة الثانوية، غير أن الظروف عاكست رغباته، فعاد إلى وطنه سنة 1949 ليستقر في مسقط رأسه تطوان باحثاً في معهد فرانكو مدة سنة، ثم أستاذاً للبلاغة بالمعهد العالي للتعليم الديني، ثم مديراً لنفس المؤسسة، ثم مفتشاً لكل مستويات هذا التعليم بالمنطقة الخليفية. وقد كان ينطلق في تدريسه لمادة البلاغة من كتاب دلائل الإعجاز للجرجاني، والذي عني بإعادة طبعه مفتتحاً بمقدمة دسمة وغير قصيرة تلقى كاشف الضوء على علم البلاغة. ومع استقلال المغرب عين سنة 1956 مديراً لمعهد مولاي الحسن للأبحاث بتطوان، خلفاً لعبد الله كنون.

وقد دشن إشرافه على المعهد بإصدار الدورية المرجعية المتخصصة في الدراسات المغربية والأندلسية مجلة *تطوان*، فإليه يعود فضل أجزائها العشرة. وفي سنة 1958 التحق بشعبة الدراسات التاريخية بلندن للتخصص في موضوع : "العلاقات التاريخية بين المغرب وانجلترا" عاد بعد سنة أمضاها بها أستاذاً للتعليم العالي بالمدرسة العليا للأساتذة وفي كليات آداب الرباط وفاس ووجدة وتطوان وأكادير، كما درَّس بكلية أصول الدين في تطوان.

ارتبط مترجمنا بالكلمة، فوهب لها حياته، بحثاً وتنقيباً، كتابة وتأليفاً، فاتسعت معارفه، وتشعبت اهتماماته، وهذا ما جعله أستاذاً لأكثر من مادة، فقد ألقى محاضرات في علوم البلاغة، وفقه اللغة بنوعيه الخاص والمقارن، وفي مادة النحو، كما درس الادبين المغربي

والأندلسي، وكتب في مواضيع عديدة من الأدب المشرقي، إلى جانب ذلك كله اشتهر بأستاذيته *للغة الفارسية*. وترجم الكثير من الأعمال إلى العربية من اللغات الشرقية الفارسية والتركية نثراً ونظماً، ومن اللغات الحية الانجليزية والاسبانية والألمانية. وشارك في عدة مؤتمرات واستدعي محاضراً في عدة جامعات عربية وأجنبية.

تميز الأستاذ ابن تاويت بين أفراد البعثة من مرافقيه بتنوع وغزارة الإنتاج والانقطاع للبحث والتكوين، فقد ألف وحقق ونشر في شتى المجلات والجرائد الوطنية، وفي الكثير من الدوريات العربية والدولية. ولما عرف عنه من صرامة في الميادين المعرفية فقد أثارت بعض كتاباته سجالات عنيفة في اللغة والأدب شعره ونثره، رافقت حياته العلمية التي امتدت خمساً وخمسين سنة، في إعداد الأجيال، وفي الكتابة والنشر، إلى أن وافته المنية بمصحة في الرباط صبيحة السبت ثامن رجب عام 1413 / ثاني يناير 1993 عن سن يناهز الثمانين.

مؤلفاته المنشورة :

1 ـ *محاضرات في تاريخ التشريع الاسلامي*. 2 ـ *الاستشراق والإسلام*. 3 ـ *كتاب في التربية الوطنية*. 4 ـ *تاريخ سبتة*. 5 ـ *ابن زيدون*. 6 ـ *الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى*، في ثلاثة أجزاء. 7 ـ *تاريخيات* : دراسات وتعريب وتحقيق. 8 ـ *الأدب المغربي* بالاشتراك مع الصادق عفيفي.

مؤلفاته المخطوطة :

1 ـ *فن جلال الدين المثنوي*، وهو عنوان الموضوع الذي كان اختاره لنيل شهادة الدكتوراه، وقد أهدى نسخته الأصلية للمكتبة الصبيحية بمدينة سلا. 2 ـ *العلاقات المغربية الانجليزية*. 3 ـ *مذكراته*. 4 ـ *المغرب والمعترك الدولي في العهد السعدي*. 5 ـ قصة قصيرة بعنوان "*صريع العزاز* : قصة واقعية مؤلمة". 6 ـ شعر موزع بين بعض ذويه وتلاميذه. 7 ـ *رسائل* يحتفظ بها بعض معاصريه وثلة من تلاميذه.

تحقيقاته :

1 ـ *دلائل الإعجاز*، في جزأين. 2 ـ *شعر ابن عبد ربه*. 3 ـ *اختصار الأخبار عما كان بثغر شبتة من سني الآثار*، لأبي عبد الله محمد بن قاسم الانصاري. 4 ـ *وثيقة تاريخية عن تطوان*، لرجل جزائري. 5 ـ *وثائق سعدية لم تنشر*. 6 ـ بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب، لعبد المهيمن الحضرمي. 7 ـ *أوراق من تاريخنا مجهولة*. 8 ـ *ديوان الأمير أبي الربيع سليمان الموحد*، بالاشتراك مع محمد ابن تاويت الطنجي ومحمد بن العباس القباج وسعيد أعراب. 9 ـ *البيان المغرب* لابن عذاري المراكشي ـ قسم الموحدين، حققه أولا بالاشتراك مع المستشرق الاسباني هويسي ميراندا، وثانية بالاشتراك مع المستشرق السالف، ومحمد إبراهيم الكتاني، وأخيراً بالاشتراك مع الكتاني السالف ومحمد زنيبر وعبد القادر زمامة. 10 ـ *مستودع العلامة ومستبدع العلامة*، لأبي الوليد ابن الاحمر بالاشتراك مع محمد التركي التونسي. 11 ـ *أزهار الرياض في أخبار عياض* ـ الجزء الرابع ـ بالاشتراك مع سعيد أعراب.

من مترجماته عن الفارسية :

1 ـ *جهار مقالة*، للشاعر أحمد بن عمر بن علي النظامي العروضي السمرقندي. 2 ـ *زين الاخبار*، لأبي سعيد عبد الحي الكرديزي. 3 ـ *رباعيات عمر الخيام*.

عن التركية :

1 ـ *قبقجي مصطفى*، قصة للكاتب أحمد رفيق التركي. 2 ـ *أجر وصبر*، قصة للكاتب التركي حسين رحمي. 3 ـ *نظيفة*، مسرحية لعبد الحق حامد. 4 ـ *أولو*، ملحمة شعرية لعبد الحق حامد. 5 ـ مقبر، ملحمة شعرية لعبد الحق حامد.

عن الانجليزية :

1 ـ *رسالة تاريخية من ملك أنجلترا إلى حاكم تطوان النقسيس*. 2 ـ *من زوايا التاريخ المغربي*، نشر تباعا بمجلة تطوان. 3 ـ *العدالة في بريطانيا*، مخطوط. 4 ـ *العلاقات المغربية البريطانية*، مخطوط.

عن الاسبانية :

1 ـ *علي ابن سينا*، ترجمه وقدمه إلى معهد فرانكو قصد الطبع. 2 ـ *الدول الصغرى بالمغرب*، أو بني صالح بالنكور، تأليف أسدرو دي لاس كاخيكاس.

عن الألمانية :

1 ـ *ترجمته لحياة المؤرخ عبد الرحمن ابن اخلدون* عن الأصل الألماني من كتاب كارل بروكلمان "تاريخ الأدب العربي" وهي مرقونة على الآلة الكاتبة.

محمد ابن تاويت التطواني نفسه، *مذكراته* ؛ *معلومات شفوية من شقيقه الأكبر الفقيه أحمد بن تاويت*.

عبد القادر الغالي الخراز

ابن **تاويت، الطنجي محمد** بن محمد، أصله من تَـوَيْـتْـشْ من قبيلة وادراس بين تطوان وطنجة. من أسرة عرفت بالصلاح والجهاد منذ أمد بعيد، فقد كان الناس يعتقدون في جده محمد بالولاية والصلاح، وكان أبوه وأعمامه الأربعة من المجاهدين للمحتلين الإسبان طيلة اثنتي عشرة سنة. استشهد عمه أحمد ثم أخوه الأصغر عمر مجاهدين. وظل عمه محمد الزكاري يحارب الإسبان والفرنسيين حتى بعد انتهاء حرب الريف، فلجأ إلى بني مَسَّارَة حيث أسلمه الفرنسيون للإسبان، وكذلك فعل عمه الرابع.

التحق والده محمد، وكان معروفاً بالفاسي لأنه درس بفاس، بالأمير ابن عبد الكريم الخطابي، وكان الأمير قد درس عليه القرآن ولكن تخلى عنه لما تغيرت الأمور وكان ذلك سبب تعرض داره بوادراس للمداهمة وإحراق ما بها من كتب ومخلفات.

ولد ابن تاويت الطنجي في حدود عام 1330 / 1911

بوادراس القبيلة، والتحق بطنجة وهو شاب يافع متابعاً لتعلمه قواعد العربية والدين بعد حفظه القرآن الكريم وبعض المتون، والأسرة تعيش في شظف من العيش إذ لم يكن دخْل الوالد إلا عشرين ريالاً مغربية "حسنية" مرتباً كان له على *نُظارة الأحباس الناصرية* التي تنتمي إليها أسرة ابن تاويت. وكان ينضمُّ إلى الأجر المذكور أربعة ريال أخرى يتقاضاها محمد الفاسي عن إمامة "جامع الجديدة" بطنجة.

طلب الشاب محمد ابن تاويت من أبيه أن يتوجه إلى فاس للدراسة بجامع القرويين فأسعفه في رغبته، فتوجهنا معاً إلى فاس وظهرت نجابة المترجم في دروس النحو بالألفية على عباس المكناسي والفقيه أقصبي. وفي دروس التوحيد بأم *البراهين* على عبد العزيز ابن الخياط. وطلبنا بواسطة أخي من سيدي جواد الصقلي أن يتطوع بإقرائنا *منظومة الاستعارة* لابن كيران بجامع الرصيف باكراً. فنحضر حلقته التي لم يكن يحضرها غيرنا الاثنين.

كان سيدي مَحمد العلمي يدرس آنذاك *كتاب القلصادي* في الحساب، قبيل النظام الدراسي، ثم التوقيت بعد فرض هذا النظام، فحصل تحول في مواد الدراسة التي انكب عليها مترجمنا إلى الفنون التي يدرِّسها العلمي. كان الشيخ مَحمد العلمي ذا ذهنية رياضية، وقد أخذ هذه العلوم العقلية، وبخاصة حساب اللوغاريتم، عن أحد طلبة البعثات الحسنية إلى أوربا. وكان هذا العالم الرياضي قد أفضى به الإهمال الذي لقيه هو وزملاؤه أعضاء البعثات إلى أن أصبح دركياً مرابطاً بباب بوجلود بفاس.

انقطع مترجمنا إلى شيخنا العلمي انقطاعاً كلياً. يخدمه حتى بانتساخ كتبه التي تسلك إلى المطبعة الحجرية بمجرد انتساخها، وما أكثرها بخطه الذي حافظت عليه المطبعة الفاسية، وأصبح متمكناً في علوم التوقيت على اختلافها بالدرجة التي كان عليها الشيخ العلمي. ومن الذين درسهم التوقيت من الكبار الفقيه محمد بن سعيد المكناسي وعبد الله گنون وهو زوج أخته.

فلما عدنا من فاس أثناء الحرب الإسبانية الأهلية، توظفنا كلانا بتطوان. وبعد سنتين ذهبنا معاً في بعثة علمية إلى مصر حيث التحقنا بكلية الآداب، كان هو بقسم التاريخ وكنت بقسم اللغة العربية. ثم بدا لَهُ أن يتحول إلى قسم اللغة العربية وابتدأ التشابه يضايقنا، فكلانا محمد بن محمد ابن تاويت، فكان أن وقعت إدارة الكلية في خلط عند إعلان نتائجنا في آخر السنة، فقر القرار منا أن نتميز بعضنا عن بعض هو بالطنجي وأنا بالتطواني.

أحرزنا شهادة الليساس، وكان هو ضمن الخمسة الأوائل فنال جائزة الشرف من الملك فاروق. ثم عرض على استاذنا أحمد أمين أن يتولى الإشراف عليه في موضوع ينال به درجة "ماجيستير" فاختار له موضوع تحقيق *مقدمة ابن خلدون*. فدخل المعركة ونسي نفسه فيها. ووجهته الجامعة العربية إلى تركيا للبحث عن المخطوطات، وتفتحت له الأبواب كلها فدخلها وأصبح بعد ذلك المرجع الأول فيما يخص ابن خلدون.

سألني في جامعة لندن سنة 1958 الأستاذ برناردلويس، ماذا يكون نسب الطنجي منك ؟ أجبته : ابن عمي، فقال لي : إنه خلدوني. والحقيقة أن تحقيقاته تشهد بما له من اطلاع واسع، نأخذ مثلا تحقيقه *لجذوة المقتبس* وللجزء الأول من *ترتيب المدارك* أو *اختصار الزبيدي لكتاب العين*، كل ذلك يقدم لنا مجهوده فيه.

لم يكن في محمد ابن تاويت الطنجي عيب إلا أنه كان ينشد الكمال في الناس. فهو رجل قد قدر الناس قدره وأحبه علماء الأتراك واحترموه في وزاراتهم وجامعاتهم، فأصهر إليهم وأقام بين أظهرهم إلى أن مات عندهم غريباً عن بلده بتاريخ رابع عشر ذي الحجة عام 1394 /29 دجنبر 1974.

معلومات شخصية.

محمد بن تاويت التطواني

تاوية. هضبة. ← **تينگمرت**

تـاوينْـخْتْ أو تاوينغت، كلمة أمازيغية تطلق اسماً على شجيرة مشوكة تنبت في المناطق الجافة، وهي التي يسميها لاووست Laoust باسم Aubépine saharienne.

تستعمل قشرة أغصان هذه الشجيرة في دبغ الجلود وتلوينها باللون الأحمر. وهي معروفة بنفس الاسم في منطقة درعة وتافيلالت وأيت واوزگيت وسوس الأعلى والأطلس الصغيروفي جبال أوراس على ما يبدو، وربما في مناطق أخرى.

ويغلب علي الظن أن الكلمة من "وين" ومعناها الذي يصلح لكذا أو الذي يستعمل في كذا ... و"أغيت" وتعني الجلد المتين الذي يصلح لصناعة الاحذية. كما يمكن أن تكون قد أخذت من كلمة "تاويناغ" التي تعني عند الحيوانات العيون ذات اللون الأسود والرمادي الفاتح.

ولعل نوارة الشجيرة المشوكة المشار إليها أعلاه تشبه في لونها العيون التي تتوفر فيها الشروط المذكورة، فسميت شجرتها باسم المشبه به بعد تأنيثه.

استعملت كلمة "تاوينخت" كاسم علم جغرافي، حسب ما نعلم في جنوب شرقي تازناخت، حيث توجد قرية تحمل اسم "تاوينخت" عند أيت حاميدي. وفي جنوب شرق بويزاكارن حيث يوجد جبل تاوينخت.

كما توجد الكلمة في أيت سْمَّگْ الذين يسكنون السفوح الجنوبية لجبل تيزي ن تاست حول مركزهم الإداري تافينگولت. غير أن "تاوينخت" هنا تطلق على مجموعة من القري متقاربة الموقع، وكل واحدة منها تحمل اسمها الخاص وهي على التوالي : فرناط، وإيگران وأزرو وأگادير ن ـ ءومزيل. وترجع أهمية "تاوينخت" إلى موقعها الجغرافي الذي يمكِّن من مراقبة الطرق المؤدية إلى جبل إيدأوزداغ انطلاقاً من سهل سوس الأعلى. فهو إذن يعتبر صلة وصل

ضرورية بين السهل الذي كثيراً ما تطرقه الجيوش المخزنية المتمركزة في تارودانت التي لا تبعد عن الموقع المذكور إلا بحوالي ستين كيلومترا، وبين جبل إيدأومساطوگ وإيدأوزداغ الذين لاتطأ جنود المخزن بلدهم إلا نادراً.

ففي أوائل القرن الثاني عشر (18 م) حينما حاصر باشا مراكش جبال إيدأوزداغ انهزمت جيوشه وتراجعت إلى تاوينخت، وبقيت في المنطقة إلى أن اضطر لمصالحتهم مقابل أداء ضريبة رمزية فأدوها ورحل عنهم دون خضوع فعلي.

وفي نهاية القرن الثالث عشر (19 م) وبداية الذي يليه كانت منطقة تاوينخت محل صراع بين القائد الگنتافي الذي كان يحاول بسط نفوذه على سوس الأعلى، وبين قائد تالگجونت المجاورة الذي ينتمي إلى عائلة أيت بازي.

وهكذا نلاحظ أن "تاوينخت" عرفت زيادة عن الصراعات اللّفية المحلية، صراعات أخرى تنحو بها انتماءات سياسية تربطها أكثر بالسهل ليتراجع المجال الجبلي بأنظمته نحو القمم.

عبد الله بن إبراهيم التاسافتي، *رحلة الوافد*، تح. صدقي علي أزايكو، ص 134 (نشر كلية الآداب بالقنيطرة).

Ch. de Foucauld, *Dictionnaire Touareg-Français*, 1951, T. III, pp. 143 sqq ; T. IV, p. 1788 ; E. Laoust, *Contribution à une étude de la toponymie du Haut Atlas*, Paris, 1942, p. 101 ; Id., *Mots et choses berbères*, 1920, pp. 478 - 490 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, Paris, 1930, pp. 279 sq., 317 - 318.

علي صدقي أزايكو

التايب أو التائب، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن المختار السعيدي، نسبة إلى قبيلة بني سعيد الشرقية بشمالي المغرب، قدم والده منها أوائل هذا القرن، واستقر بناحية فاس. ولد المترجم عام 1935، وحفظ القرآن الكريم وهو صغير على والده الذي كان إماماً بأحد مساجد فاس والتحق بالقرويين فأحرز على الشهادة الثانوية الأولى سنة 1957 وأشتغل بالتعليم في مدينتي ميدلت وفاس، وفي سنة 1960 انتسب إلى كلية الشريعة بفاس، وحصل على الإجازة منها عام 1964، وهي السنة التي التحق فيها بدار الحديث الحسنية بالرباط، فتخرج منها سنة 1965، وفي سنة 1968 تم إلحاقه بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (مصلحة إحياء التراث) وعهد إليه بمهمة تحقيق كتاب التمهيد للحافظ ابن عبد البر الذي أنجز منه تحقيق الجزء الثالث، وشيئا من الرابع، وأثناء عمله بالوزارة كان يخطب بأحد مساجد الرباط ويقوم بإلقاء دروس الوعظ والإرشاد، ويلقي أحاديث دينية في الإذاعة والتلفزة، وانتدبته الوزارة مرات نائبا عنها في تدشين بعض المشاريع التابعة لها، وأسهم في الدروس الحسنية بخمس محاضرات وبواسطتها اشتهر ولفت إليه الأنظار، لفصاحته وقوة حافظته وحسن استيعابه للمادة العلمية.

كان محمد التائب لا يجد لذته إلا في الكتاب، بحيث لا تراه إلا قارئاً أو مذاكراً لا يمل من المطالعة ولا يفتر عن القراءة. وهو من الموقعين على وثيقة المطالبة بالتعريب. من إنتاجه العلمي، إضافة إلى المحاضرت الخمس التي شارك بها في الدروس الحسنية ؛ تحقيق الجزء الثالث وبعض الرابع من *التمهيد* لابن عبد *البر* ؛ وكتاب *دليل مناسك الحج* (بالاشتراك) وعدة مقالات نشرها في بعض المجلات وقد كان شرع في تحقيق كتاب *الإلماع للقاضي عياض* الذي اختاره موضوعاً لرسالته الجامعية لا ندري القدر الذي أنجزه منه.

توفي بضواحي الرباط يوم 16 جمادى الأولى عام 1391 / 10 يوليوز عام 1971.

آثار المترجم المكتوبة ؛ معلومات شفوية من أبنائه وأصدقائه.

عمر الجيدي

تايدالت، قرية واقعة بأعالي وادي صياد، القسم الشرقي من وادي نون، تتميز بأنها مقر أولاد بوعشرة. وهذه القبيلة تدخل في نطاق أيت النص الذين تتصدرهم قبيلة أيت إبراهيم التكنية (انظر أولاد بوعشرة - أيت إبراهيم، *بالمعلمة*). تتميز تايدالت بأنها تجمع الفصائل المحلية المتصارعة نظراً لقدرة أهلها على تنظيم التعايش ونظام التحالفات. ولعل هذا السبب هو الذي يفسر احتواءها لقبر سيدي مَحمد بن أحمد الجماني الهاشمي القادم من قبيلة اجمامين بمنطقة الهده على أهل ازريويلة من قبيلة أزوافيط. فقد قام بدور شريف أهل ازريويلة وجزء من قبيلة أزوافيط مرتبطاً بالمخزن الذي كلفه ببعض المهام، لعل أشهرها حمل ظهائر تعيين أربعة عشر قائداً صحبة ابن عم السلطان مولاي عبد الحفيظ إلى الشيخ ماء العينين بالسمارة. ومازالت عائلته تتوفر على ظهائر حسنية وحفيظية للتوقير والاحترام سُلم بموجبها عزيبا بحوز مراكش. وقد أهله ارتباطه بالمخزن إلى مباشرة شؤون أهل عزيبه بكامل الاطمئنان، فلم يكن في تدخله يقتصر فقط على الشؤون الدينية بل نجده يختص أساسا في مباشرة الأمور السياسية والاجتماعية لما فيها من محافظة على أمن الجماعة التي مازالت تشهد له بردع الفساد والمتجاسرين على الأحكام.

Mordoché Abi Serour, *De Mogador au Djebel Tabayoudt, le Rabbin Mordoché Abi Serrour*, résumé du journal du voyage par Henri Duveyrier, Extrait du *Bulletin de la Société de Géographie* (Décembre 1875), Paris, Société de Géographie, 3 - 1875, 13.

تايسا (واد نون)، يتعدد استعمال هذه الكلمة بتعدد أماكن الرعي الجماعية التي تخضع لأعراف محلية ولتقنين تقسيم المجال وحق إقامة أفراگ الوحدات المتحالفة. تمثل سلسلتا جبال تايسا وگير بمنطقة وادي نون ما يشابه حداً طبيعياً فاصلا بين لـفـيْ اتحادية تكنة أيت عثمان شرقا وأيت الجمل غربا. وغني عن القول أن تربية الجمال التي تميز لف أيت الجمل تقتضي مبدئيا الابتعاد عن الجبل وتركه لمربي الأغنام والماعز، وهو فعلا ما يؤكد التصاق سكان مداشر وادي نون بسلسلة تايسا. فهذه السلسلة تعتبر بحق أول مجموعة جبلية تستقبل القادم من مرتفعات إيگني

إمغارن بالأطلس الصغير. فيتضح أن الطريق الرابط بين بويزكارن وكلميم يمر بمحاذاة السلسلة التي تتراجع قليلا عن هذه الطريق المخترقة لبسيط وادي نون. كما يتجلى بوضوح أنها مجموعة جيولوجية تحتوي على أرصفة واسعة مكتنزة ومتتابعة تنتصب بموازاة الطريق المؤدية إلى سرير وادي نون.

وإذا كانت مدينة كلميم وتيغمرت وأسرير تقع أسفل جبل تايرت أعلى قمة بهذه السلسلة، فذلك لأن السلسلة تجسد بهامتها واعتدال مناخها الجاف مَمر فايجة وادي نون، علاوة عن كونها تنتهي في شبه انخفاضات قليلة العلو تأخذ السلسلة شكل أسرّة صالحة للرعي والترحال القروي. والملاحظ أن وفرة المداشر عبر انفراجاتها تزيد من نوعية النباتات الغنية بفعل تأثير المحيط الأطلسي. كما أن استغلال الممرات المائية يزيد من مرابطة الأهالي حول أراضيهم المحروثة والمسقية. هكذا تجد الأغنام والماعز موفور الكلأ بتايسا وقد تصاحبها الأبقار إلى حيث تحافظ النباتات على اخضرارها.

تتمثل أهمية تايسا في كونها المرطب الرئيسي لمناخ جاف والمنعش الأساسي للترحال القروي وتربية الأنعام حيث تزداد أهميتها حسب قلة الأمطار التي عادة ما تنقطع لأزيد من خمس سنوات متتابعة. وإذا كان دور تايسا يكمن في ترطيب المناخ بفعل التأثيرات البحرية حيث تحد من التبخر، فإنها تلعب بذلك دوراً أساسياً ومحورياً في بلورة عوامل التحالف القبلي بمنطقة وادي نون عبر مختلف مراحل تطور هذه الاتحادية التي مرت منها الفصائل والمداشر بعضها ببعض. الملاحظ هنا هو أن تايسا تتميز عن سلسلة جبال گير بعدم وجود مساحات هامة من أكناري الذي يستقطب الأفراگ المصيفة من سكان المداشر.

انظر مواد أكاوس وأسرسي وتيغمرت والتوبيبع وتغاط بالمعلمة ؛

مصطفى ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة*، دار عكاظ، 1988.

M. Naïmi, *Cinétique des leffs, fléxibilité et mobilité sociale*, étude inédite.

مصطفى ناعمي

تايمز أوف موروكو *(The Times of Morocco)*، (أزمنة المغرب) أول جريدة صدرت باللغة الإنگليزية بالمغرب. أسسها بطنجة الكاتب والصحفي البريطاني إدوارد ميكن Edward Meakin في 5 يوليوز سنة 1884. نصبت الجريدة نفسها تحت إدارة إدوارد ميكن ونجله بودجيت Budgett Meakin مدافعة عن مصالح الجالية الإنگليزية بالمغرب، دون أن يجعلها ذلك مسايرة للسياسة الرسمية البريطانية. وعندما طرحت قضية الصحافة الأجنبية بإقدام المخزن على طلب منع صدورها بطنجة، كانت *تايمز ـ أوف ـ* موروكو قد انفردت بموقف يبرئ ساحة المخزن وينحي باللوم على مفوضيات أوروبية تعمل في الخفاء على إطفاء شعلة الصحافة المستقلة. ومن جهة أخرى، لم تتردد *تايمز ـ أوف ـ* موروكو في التنديد بالشطط الذي يسفر عنه نظام الحمايات والحيف الذي يلحق المستضعفين نتيجة ذلك.

لم تلبث جريدة ميكن أن دفعت ثمن نزعتها الاستقلالية عندما رفضت مطبعة أبرينس Abrines، تحت ضغط المفوضية الإنگليزية، الاستمرار في إصدارها (صيف سنة 1885) فتعثرت الجريدة من جراء ذلك ولم تتدارك الموقف إلا بإنشائها لمطبعة خاصة بها (يناير سنة 1886).

تمكنت إدارة *تايمز ـ أوف ـ* موروكو في ماي سنة 1889، من إصدار صحيفة *المغرب* التي تعتبر أول جريدة صدرت باللغة العربية في المغرب، وبذلك كانت *تايمز أوف موروكو* سباقة إلى الاهتمام بالقراء المغاربة في وقت تكاثرت فيه بطنجة الصحف بلغات أجنبية مختلفة. ومن جهة أخرى، اعتنت الجريدة على صفحاتها بتلقين بعض مبادئ اللغة العربية لأفراد الجاليات الأجنبية المقيمة بالمغرب.

استطاعت الجريدة أن تحافظ على استقلالها حتى سنة 1893 عندما اضطرت إدارتها، تحت وطأة مشاكل مادية مستعصية، إلى بيعها للناشر "أبرينس" الذي تولى أمرها فأدمجها مع صحيفته *Al Maghreb al Aksa (المغرب الأقصى)*.

ج. بيضا، *قضية الجوازيط الأجنبية بطنجة خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر*، مجلة *دار النيابة* (طنجة)، ع. 18، ربيع 1988.

B. Meakin, *The Moorish Empire : A historical epitome*, London, 1899 ; J.-L. Miège, *Journaux et journalistes à Tanger au XIXème siècle, Hesp.*, 1er sem. 1954, p. 1991 - 228.

جامع بيضا

التبادل (أنثروبولوجيا)، لعل مما يتشكل منه نسيج المجتمع المغربي ما يجمع بين الأفراد والجماعات من علاقات تبادلية مكثفة، غلب عليها تارة الطابع الاقتصادي، وأخذت تارة أخرى أبعاداً شمولية. لقد عمد المغاربة منذ أزمان بعيدة إلى تنظيم مبادلاتهم إما وفق نموذج تماثلي مستند إلى العطاء المضاد، أو نموذج مركزي ينهض بموجبه مركز معين بإعادة توزيع ما تلقاه من هبات ومداخيل، أو نموذج الاكتفاء الذاتي المتمثل في التبادل القائم بين مختلف أطراف الوحدة المنزلية. إن كل هذه المبادئ التي نظمت الإنتاج والتبادل في المجتمع المغربي ـ أو على الأقل اثنين منها ـ كثيراً ما تعايشت في نفس المجال الاجتماعي، وإن كان أحدها هو الذي ينفرد دائماً بالسيادة على المبادئ الأخرى.

لقد سادت العلاقات التبادلية بين طرفين أو حليفين بصفة خاصة في المجالات الاجتماعية التي عرفت مساواتية نسبية فيما بين أوضاع الأفراد والجماعات ؛ أما المبادلات المتمحورة حول مركز قائم فوجدت بالأساس حيث برزت سلطة قائدية أو إقطاعية ؛ بينما التبادل في نطاق الوحدة المنزلية اقتضته في آن واحد متطلبات الاستمرار الاجتماعي وشروط الإنتاج الاقتصادي.

لقد شكل فعل العطاء ورد العطاء وقبوله ممارسة عبّر بها المغاربة تجاه الطرف الآخر عن مودتهم وصداقتهم

وتحالفهم. وظفوا هذا المنطق في تبادل الهدايا والخدمات والنساء والدعوات والمناصرة ... سعياً منهم لإقامة أو توطيد علاقات اجتماعية قائمة، وحرصوا، عن طريق رد الهبة بأكثر منها، على ألا تكون عملية التبادل مجرد تصفية لحساب سابق بل منطلقا لمبادلات جديدة.

وعمد سكان القبائل، إما جماعياً أو فُرادى، إلى تقديم الهبات و"الزيارات" لمقدم الزاوية أو لبعض أفراد الأسرة المشرفة عليها، التي تقوم من جهتها بإعادة توزيع تلك المداخيل إما على المعوزين من أعضائها، أو على بعض أتباعها ممن هم في حاجة إلى بذور لحرث أراضيهم أو مساعدات لتحصينها أو ما شابه ذلك. هذا فضلاً عما يمنحه صلحاء الزاوية من حماية رمزية ومساندة وبركة لكل من يلجأ إليها من الزوار بمن فيهم السلطان والمقربون إليه.

لقد شكلت المرأة ولازالت أداة ثمينة للتبادل الاجتماعي. فكلما قبل طرفان متحاربان تزويج إحدى بناتهما لدى الطرف الآخر، نجم عن ذلك - ولومؤقتاً - جنوحهما إلى السلم وإقامة علاقات صداقة وتحالف بدل التطاحن السابق. إلا أن الزواج قد يعني، في سياق بعض الثقافات الجهوية، كما هو شأن المجتمع الريفي بشمال المغرب، تبادلاً غير متكافئ وإخلالاً بالتوازن بين عائلتين أو جماعتين، ما دامت العائلة المانحة للبنت تعطي في نفس الوقت للعائلة المستقبلة خلفاً ومحاربين محتملين، مما يحمل العائلة الخاسرة في هذا التبادل إلى تعْويض ما أصاب عرضها من مساس باعتماد أساليب عنيفة، سواء في شكلها المادي كالجرح والقتل، أو في شكلها الرمزي كالتفوق الخطابي ومنح الهبة التي يعجز الخصم عن ردها. وهذا يجرنا إلى إبراز شكل آخر من أشكال التبادل ألا وهو تبادل العنف.

أبرز ريمون جاموس Raymond Jamous دواعي وأبعاد هذا التبادل في المجتمع الريفي عند أوائل القرن العشرين حيث كان حدوثه ناجما بالأساس عن الدفاع أو عن الهجوم على ما كان يُعتبر من ضمن المحرمات التي لايحق المساس بها كالمرأة أو الدار أو الحقل، بحيث صار المجتمع الريفي، حسب هذا المؤلِّف، حلبة لتبادل التحديات، وموجات مستمرة من الهجوم والهجوم المضاد، لا يلطف من حدتها مؤقتاً سوى التوسط السلمي للصلحاء. وعلى خلاف ما يتميز به تبادل الهبات والنساء من عجز عن تجاوز اللاتوازن الذي ينجم عنه، يسمح تبادل العنف في صورته القصوى، أي القتل، بتحقيق نوع من التوازن بين الطرفين المتصارعين.

على أن المؤسسة التي تجسد أكثر من غيرها عملية التبادل وتحتضن مجمل أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والرمزية هي بلا منازع مؤسسة السوق التي تشكل، في المجتمع المغربي، إحدى أبرز لحظات التفاعل والترابط بين الأفراد.

إن ما يجري في نطاق السوق من ممارسات لا ينحصر في البيع والشراء، بل يتعدى ذلك إلى فض الخصومات، والتعبير عن موقف جماعي، وبلورة مشاريع الزواج، إضافة إلى تبادل التحيات والخدمات والاستدعاءات والأخبار. إنه المجال الذي يجسد بامتياز مجمل العلاقات والسيرورات التي يتميز بها المجتمع بصفة عامة.

إن المدة الزمنية التي يقضيها الإنسان القروي المغربي في السوق تتراوح عموماً ما بين خمسة وأربعين وخمسة وسبعين يوما في السنة ؛ وارتياد أكثر من سوق واحدة في الأسبوع سلوك شائع في الوسط القروي. ومع التعقد المتزايد لتقسيم العمل تكاثرت الأشغال التي تدفع الأفراد إلى ارتياد السوق لذا تشعبت أغراضهم ومقاصدهم. إلاّ أنّهم جميعاً، بائعون ومشترون، منتجون ومستهلكون، يندرجون ضمن خانة "السواّق"أو "السواّقة" بصيغة الجمع. إن هذا التعبير الدارج لا يميّز بين عمليتي البيع والشراء، بل يطرحهما وكأنهما وجهان مختلفان لنفس النشاط وعنصران لا يتميزان عن بعضهما باختلاف في المهنة أو مهارة في المساومة وإنما فقط بالتركيز على غاية خاصة.

إن الأفراد الحاضرين في السوق يميلون مع ذلك إلى خلق صلات متكررة فيما بينهم يتبادلون عبرها المنتوجات والخدمات، بحيث تنشأ علاقات زبونية بين مجموعات من البائعين والمشترين، ويصبح تعامل "السوق" من جراء ذلك قائماً على أساس الانتقاء والألفة والمعرفة. ولعل من مبررات صغر حجم المعروضات التجارية الرغبة في الحفاظ على صلات مباشرة بين الطرفين، مع ما يرتبط بها من عناية خاصة وتوثيق للروابط الشخصية. وتعتمد بالإضافة لذلك المساومة من جهة لتزيح عن جودة السلعة وثمنها ما يعتريهما من شكوك وتقيم على أنقاضها جواً من الثقة قابلاً لأن يصبح علاقة زبونية قارة، ومن جهة أخرى لتسمح للبائع أن يميّز بين الزبون الجديد بالثقة وغير الجدير بها.

والملاحظ أيضاً أن التبادل في المجتمع القروي كثيراً ما يأخذ شكل المقايضة. نلمس ذلك عندما يعتبر الفلاح أن بعض منتجاته المنزلية كالعسل والزبدة والجبن مثلاً "فائضة" لديه، فيعمد إلى بيعها في السوق بقصد شراء مواد يعتبرها ضرورية أكثر لإشباع حاجيات أسرته ؛ أو عندما يعمد، بعد الحصاد مباشرة، إلى شراء خيل ليبيعها بعد ذلك مع بداية فترة الحرث وظهور البوادر الأولى لمصاعب إيجاد الغذاء للماشية، ساعياً من وراء ذلك توظيف هذا التوفير المؤقت في مجرى الدورة الفلاحية الجديدة.

على أن أهم تحول حصل في هذا المجال اتساع نطاق وتأثير السوق الذي انتقل من مجرد عنصر تابع للمجتمع وعاكس لمقتضياته إلى مؤسسة تشعب وجودها وامتد منطقها إلى مجالات شتى في الحياة الاجتماعية، بحيث أصبح، أكثر من أي وقت مضى، هو النموذج المرجعي السائد في تحديد أشكال التبادل الاقتصادي والاجتماعي، والنسق المؤثر في التنظيم الكلي للمجتمع. مما أضعف ما كان يستند إليه التبادل من عفوية وصدق وسمعة وتعارف

شخصي، ليصبح العَقْد هو البديل عن تقلص الثقة، ويصير التفاوض المسبق حول شروطه هو التعبير الجلي عن الحذر المتبادل واختلال التواصل الإنساني بين المتعاقدين.

ديل إيكلمان، *الإسلام في المغرب* (1)، دار تويقال للنشر، الدار البيضاء 1989.

C. Geertz, *Suq : the bazar economy in Sefrou, Meaning and order in Moroccan society*, Cambridge, USA, 1979 ; R. Jamous, *Honneur et Baraka*, Paris, 1981 ; P. Pascon, *La Maison d'Iligh*, Rabat, 1984 ; J.-F. Troin, *Les souks marocains*, Aix-En-Provence, 1975.

المختار الهراس

التبّاع، عبد العزيز، عالم صوفي، قيل "إن سلفه كانوا يهوداً"، (*تحفة*، 1 : 453) دون تحديد لدرجة هذا السلف في سلسلة نسبه. كما لا نعلم عن والده سوى أن اسمه عبد الحق. وهذا يعني أن المترجم له كان وراء شهرة عائلته وسلفه وليس العكس، بحيث لم يرث عنهم لا مجداً ولا علماً بل ولا اسماً عائلياً شهيراً. فهو أبو فارس عبد العزيز بن عبد الحق المراكشي المعروف بالحرّار، نسبة إلى صناعة الحرير، "إذ كانت حرفته في أول أمره" (*دوحة*، 136).

ويبدو أنه درس وتعلم بمراكش. وقد بلغ في هذا المجال مستوى جعل كتاب التراجم يصفونه "بالشيخ العالم" (*ممتع*، 29)، هذا قبل أن تنزع همته إلى الانخراط في طريق القوم الصوفية. وفي هذا الصدد تذكر كتب التراجم أنه صحب الشيخ الشهير محمد بن سليمان الجزولي مؤسس الطريقة الجزولية الشاذلية. بل، وتجعل منه وارث حاله، وخليفته في الطريقة "وشيخ المشايخ فيها" (*دوحة*، 136ـ137 ؛ *ممتع*، 29ـ30).

ومرد هذه المكانة التي حظي بها أبو فارس عبد العزيز بن عبد الحق الحرار، دون سائر رفاقه من مريدي الشيخ الجزولي، إلى حيويته ونشاطه الملحوظ في نشر مبادئ الطريقة الجزولية، "حتى إن أكثر الجزوليين ينتسبون إليه". (*ممتع*، 29ـ30). ومن ثم، لا عجب إذا اشتهر هذا الشيخ باسم : عبد العزيز التّباع، لكثرة أتباعه في الطريقة الجزولية (*ممتع*، 29) ولا عجب أيضا إذا سمّى محمد المهدي الفاسي كتابه الشهير *"ممتع الاسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع"*.

وفي هذا الإطار، يلاحظ أن الشيخ التباع أولى عناية خاصة لنشر التصوف الجزولي في الأقاليم المغربية الشمالية وعلى رأسها مدينة فاس عاصمة بني وطاس زمنئذ، وحجتنا على ذلك، الزيارة التي قام بها الشيخ التباع إلى فاس قبيل نهاية القرن الخامس عشر (9 هـ)، حيث استقبل بحفاوة من قبل أهالي المدينة، حتى إنهم ألحوا عليه كي يقيم بمدينتهم (*ممتع*، 46ـ47).

وإذا لم يستطع التباع تلبية رغبة الفاسيين، فقد كان لزيارته أثرهاالكبير والمباشر في تركيز النفوذ الجزولي بحاضرة المولى إدريس. فخلال تلك الزيارة عين بفاس خليفة له، وهو الشيخ علي بن محمد صالح الأندلسي الفاسي (ت. 903 / 1494) (*سلوة*، 2 : 208). وقد كان لهذا التعيين أثره في توسيع النفوذ الصوفي الجزولي بفاس وشمال البلاد عموما بعد انتشاره في الجنوب زمن الشيخ الجزولي نفسه ولا غرو، فقد أصبحت زاوية علي بن محمد صالح المذكور والتي أسسها بحومة وادي الزيتون بعدوة الأندلس من فاس، المقر الأول والرسمي لتجمع وتربية مريدي الطريقة الجزولية من أبناء فاس (*سلوة*، 2 :213ـ214).

وفضلا عن فاس، استعان الشيخ التباع بمريديه في نشر أو إعادة نشر الطريقة المذكورة بشتى نواحي البلاد مركزاً على المناطق الشمالية كما ذكرنا. وفيما يلي لائحة بأسماء أشهر مريدي الشيخ التباع معززة بأمكنة الزوايا التي أقاموها بإذنه (*الأولياء*، 1 : 141ـ144).

ـ الشيخ عبد الله الغزواني المعروف بمول القصور، دفين مراكش. ،هو خليفة التباع في الطريقة الجزولية.

ـ الشيخ عبد الكريم بن عمر الحاحي المعروف بالفلاح، دفين مراكش.

ـ الشيخ أحمد الأمين بن قاسم القسطلي، دفين مراكش.

ـ الشيخ أبو السداد الغازي، دفين مراكش.

ـ الشيخ أبو العزم رحال البدالي المعروف بالكوش، دفين أغماي بحوز مراكش.

ـ الشيخ أبو الحسن علي بن محمد صالح الأندلسي الفاسي نزيل فاس وخليفة شيخه بها.

ـ الشيخ أبو عثمان سعيد الداعي الدغوغي، دفين مدشر المقرمدة على وادي إيناون من حوز فاس.

ـ الشيخ أبو يشو مالك بن خدة الصبيحي، نزيل حوز فاس ناحية الأوداية.

ـ الشيخ أبو السرور عياد بن يعقوب الفرجي الدكالي (والد عبد الرحمن المجذوب)، دفين الربوة التي فوق القنطرة بالمهدومة بين فاس ومكناس.

ـ الشيخ الكامل محمد بن عيسى الفهدي المعروف بالهادي بنعيسى، دفين مكناس.

ـ الشيخ أبو حفص عمر الخطاب، دفين جبل زرهون.

ـ الشيخ أبو القاسم بن محمد بن عمر الزعري الجابري، دفين دير تادلا ببلاد ورديغة.

ـ الشيخ أبو عثمان سعيد أمسناو، دفين الصومعة بتادلا.

ـ الشيخ أبو عبد الله محمد بن داود البوزيري الشاوي، دفين أگرض بتادلا.

ـ الشيخ أبو الحسن علي بن إبراهيم، دفين أگرض بتادلا.

ـ الشيخ إبراهيم الهراوي الصومعي، دفين الصومعة بتادلا.

ـ الشيخ أبو القرينات، دفين طريق أبي يعزى بتادلا.

ـ الشيخ أبو عثمان سعيد بن أحمد الدلائي، دفين الدلاء بالأطلس المتوسط.

ـ الشيخ أبو الحسن علي بن موسى البوخصيبي، نزيل

موضع تيزغوين ببلاد أزغار بالغرب.

- الشيخ أبو زكرياء يحيى بن علال البوخصيبي العمري، وراث والده في زاويته الواقعة بموضع تيزغوين ببلاد أزغار، وضريحه بفاس.

- الشيخ أبو عبد الله محمد بن منصور المصباحي السفياني، دفين جزيرة البسابس ببلاد الخلط بالغرب.

- الشيخ أبو عثمان سعيد بن السائح المالكي دفين المرجومة من بلاد أزغار بالغرب.

- الشيخ أبو عبد الله محمد بن الزبير المصباحي، دفين القصر الكبير.

- الشيخ أبو عثمان سعيد بن عبد المنعم الحاحي، دفين أيت داود بحاحا.

- الشيخ أبو عبد الله محمد كانون المطاعي، دفين أولاد مطاع ببلاد عبدة.

- الشيخ أحمد أوموسى السملالي، دفين تازروالت بسملالة سوس الأقصى.

هؤلاء هم مشاهير مريدي الشيخ التباع، بل أكثر أولياء مغرب العصر الحديث شهرة على الإطلاق، والذين كانوا وراء مبادئ شيخهم التباع في شتى نواحي البلاد، تلك المبادئ التي لا تختلف في شيء عن أصول الطريقة الجزولية، كما وضعها شيخها وشيخ التباع محمد بن سليمان الجزولي.

ويمكن تلخيص تلك المبادئ في النقط التالية :

- التوبة النصوح على النهج الجزولي من خلال تطبيق الطقوس المرتبطة بقبول التائب مريداً في الطريقة مثل قص شعر التائب والاغتسال... وما شاكل ذلك من الشعائر الصوفية العامة أو الخاصة بالطريقة الجزولية في هذا المقام.

- الاقتداء بشيخ عالم بالظاهر والباطن.

- مجاهدة النفس بقصد تحقيق القرب من الله.

- الالتزام بذكر الأحزاب الشاذلية عموماً والجزولية خصوصاً وبالأخص الإكثار من الصلاة على النبي (ص). وذلك كله في أوقات معينة وبأعداد محددة، مع مراعاته آداب وتقنيات الذكر في الحضرة الجزولية من تلحين ومناوبة.

- اتخاذ شارات خارجية مميزة يعبر عنها "بشياب الفقراء"، وهي في مجملها مرقعة وعكاز أو عصا وسبحة، الهدف منها تميز الطائفة عن غيرها وتحقيق التواصل بين أفراد الطائفة نفسها.

- وفوق هذا وذاك الالتزام بالكتاب السنة في العقيدة والسلوك (*التصوف*، 152 ـ 153).

نريد القول إن الشيخ التباع ـ وهو وارث حال شيخه الجزولي ـ حرص على تبيلغ الطريقة الجزولية في حلتها التقليدية البسيطة دون تعقيد ولا إضافات، لأن قصده الأساسي كان هو نشر وإعادة نشر الطريقة الجزولية وعلى نطاق واسع، لا سيما في المناطق الشمالية، كما لاحظنا.

وفي سبيل الغاية نفسها، يبدو أن الشيخ التباع استغل بنجاح قيام نظام جديد بمملكة فاس (والمغرب عامة) بقيادة بني وطاس، على أنقاض حكم بني مرين، خصوم زعيم الجزوليين، لتدعيم موقف الطائفة التباعية صوفيا وسياسيا أيضا في البلاد، سواء في الجنوب أو الشمال، لاسيما وأن مؤسس الدولة الجديدة، محمد الشيخ الوطاسي (1471 ـ 1505) وعلى عكس بني مرين الأواخر، أبدى رغبة ملحاحة في التعاون مع أولياء البلاد وصوفيتها قاطبة، بل وتحقق له ذلك فعلا كما حدث في معارك الجهاد ضد الغزو الإيبيري وفي تسيير شؤون الأقاليم، وهذا التعاون استحق عليه الأولياء ظهائر إنعام وتوقير وإعفاء من الضرائب من لدن محمد الشيخ الوطاسي (*الأولياء*، 1 : 556 ـ 560).

وإذا علمنا هذا، أدركنا الآن كيف دخلت الجزولية التباعية مدينة فاس وبصفة رسمية خلال فترة حكم السلطان المذكور بالذات (1471 ـ 1505 م) وبالضبط بين 1471 و1498م، وأدركنا بالتالي لماذا زار التباع بنفسه العاصمة الوطاسية، وكيف استقبل فيها بترحاب كبير، كما رأينا. بل يخيل إلينا أن قدوم زعيم الأولياء الجزوليين إلى فاس "بعد أن غمر ذكره الجنوب" (*المعسول*، 12 : 8) وتنصيبه لممثل عنه في عقر دار بني وطاس، ما كان ليتم بتلك الصورة لولا موافقة السلطان الوطاسي. هذا إذا لم نقل بأن السلطان نفسه قد مهد السبيل إلى ذلك كله، بعد أن طال انتظار الجزوليين رفاق التباع في طريق القوم في البوادي والمدن المجاورة لعاصمة الشمال منذ أيام بني مرين، كتأكيد على رغبته في التعاون مع أولياء وصوفية البلاد وعلى رأسهم أتباع الطريقة الجزولية وشيخها عبد العزيز التباع، سيما وأن الدولة الوطاسية في بدايتها وكان عليها مواجهة مشاكل جمة على رأسها الغزو الايبيري للمغرب وتشتت وحدة البلاد.

وهكذا، إذا كان الشيخ محمد بن سليمان الجزولي هو مؤسس الطريقة الشهيرة باسمه وواضع أصول مبادئها، فالأكيد أن الشيخ عبد العزيز بن عبد الحق التباع هو "داعيتها الأول" وناشر تلك المبادئ، فاستحق بذلك لقب "الخليفة" في هذه الطريقة الجزولية. هذا وقد توفي الشيخ عبد العزيز التباع سنة 914 / 1509، ودفن بمراكش، وقبره بها مشهور.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، الرباط 1396 / 1976 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الاسماع*، طبعة حجرية بفاس، 1313 / 1896 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج. 2، طبعة حجرية بفاس، 1318 / 1900 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 12 ؛ ع. الشادلي، *التصوف والمجتمع، نماذج من القرن العاشر الهجري*، البيضاء 1989 ؛ أ. الوارث، *الأولياء ودورهم الاجتماعي والسياسي في المغرب خلال القرن 16 م*، رسالة لنيل د. د. العليا في التاريخ، 1988، مرقونة بخزانة الآداب بفاس.

أحمد الوارث

التبانين (جامع ـ) من جوامع مدينة سبتة الإسلامية. ذكره الأنصاري عند حديثة عن مقبرة الربض الأسفل من

المدينة. في صحن الجامع قبران أحدهما لأبي الربيع سليمان بن سبع العجميني، صاحب كتاب *شفاء الصدور*، وثانيهما لأبي عبد الله بن حرزوزة، أحد الشهداء. يعد الجامع من مساجد المدينة الكبرى.

م. الانصاري، *اختصار الأخبار*، ص. 22.

زليخة بنرمضان

التّبّين، أبو محمد عبد القادر بن محمد الاندلسي القرشي العثماني.

انتقل جده أبو عبد الله القرشي العثماني من المشرق إلى الأندلس عام 126 هـ في العقود الأولى للفتح الإسلامي. واستوطن قرطبة إلى أن توفي بها، وفي القرن الرابع انتقلت أسرته إلى غرناطة بعد الفتنة، وولد الشيخ عبد القادر بها ودرس وتعلم، وتأثل والده الفقيه الشيخ محمد أموالا بها وبقرطبة والجزيرة الخضراء وسبتة.

وفي سنة 540 هـ انتقل عبد القادر إلى سبتة، وبها لقي الشيخ أبا عبد الله الفخار (يسميه العامة بتطوان سيدي عبد الله الفخار، ومازال ضريحه معروفا بها إلى الآن قريبا من ضريح صاحبه التبّين المترجم له) واصطحبا وخرجا في سياحة يرتادان موضعا صالحا للعبادة والانقطاع حتى بلغا تطوان، فوجداها عامرة بالأجنة والبساتين والمياه، فاختارا موضعا منها هو المسمى الآن (قاع الحافة) و(المنجرة). وبهذا الحي يقع مسجده العتيق المسمى (لَلاّ افْريجة) ولعله سمي بذلك للفرجة التي به لإشرافه على مزارع كيتان وبسيط مرتيل إلى البحر ولكونه يحتل رَبوة، وبقرب مسجد السوق، ومازال يسمى السويقة. وبهذا الحي عدة أفران قديمة وأرحاء لطحن الحبوب، تأخر وجودها إلى أواخر عهد الحماية.

وبعد نزول الشيخين بهذا المكان قصدهما الناس وبنوا الدور واتسع العمران وذكروا أن الشيخ أخذ بقرطبة عن أبي الوليد ابن رشد الجد وابن الفخار القرطبي وأبي علي الصدفي وطبقتهم والأموي السبتي كما أنه رافق القاضي عياض والمفسر ابن عطية في الطلب. وأنه جرت بينه وبين القاضي أبي بكر ابن العربي مناظرات في عدة علوم كما جرت بينه وبين أبي حامد الغزالي مراسلات، والله أعلم بذلك.

ألف التّبين كتبا في الحديث والفقه والتاريخ والأنساب، منها:

اختصار الصحيحين: البخاري ومسلم وسماه: *حسن التبيين*؛ كتاب في *قواعد الإسلام*؛ *منهاج السلوك فيمن حل بالدنيا من الملوك*؛ *درة الأحساب فيمن حل بالأندلس من ذوي الأنساب*؛ و*تنقيح الأفكار، في معرفة رجال الآثار*.

وفي ترجمة الشيخ التبين وصاحبه الفخار ألف بعض تلاميذهما: *نزهة الأفكار، وحلة الأبرار في مناقب الشيخ عبد القادر وشيخه الفخار*. أقول: والتاريخ محتمل لكل هذا إلا أن هذه الكتب لم يبق لها عين ولا أثر، ولم نقف حتى على من سماها إلا ما ورد في أوراق عتيقة وجدت عند بعض حفدة الشيخ كانت معتمد كل من ترجم للشيخين من أهل تطوان وغيرهم. وقد يتساءل المرء: إذا كان الشيخ عبد القادر بهذه المثابة فَلِمَ لَم يذكر في تواريخ الأندلس ولم يقصد للأخذ والاستجَازة، ولم يشتهر بالعلم بل ولم يذكر حتى اسمه في الفهارس والأثبات؟ والجواب: أن للشيخ وصاحبه نظراء كثيرين طواهم الإهمال، وعفى على ذكرهم الزمان، نقف أمام اسمائهم حيارى أو نردد اسم بعض آثارهم دون أن نعرف عينها متأسفين على ما جره الجهل أو التفريط وربما كان لاعتزال الشيخ وصاحبه للعبادة وانحياشهما عن الخلق للحق وتنكبهما في الهجرة حواضر المغرب المزدهرة بالعلم العامرة بأهله كفاس وسلا وغيرهما، يد في اندثار آثارهما العلمية وسمعتهما وأخبارهما في هذا الباب خصوصا مترجمنا التبين.

وقد كان له رحمه الله عقب بتطوان عرف بعضهم بالعلم والعدالة كالفقيه السيد عبد العزيز التبّين المتوفي في 21 ربيع النبوي عام 1192 هـ.

وضريح الشيخ مشهور بتطوان. وعليه قبة بناها السلطان اليزيد في حدود سنة 1204 لما ورد تطوان مبايَعاً.

توفي بتطوان عام 566 / 1170.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، (4 : 34 ؛ 5 : 138)، ((نسخة مخطوطة خاصة) ؛ م. داود، *تاريخ تطوان* (1 / 72-75. 167).

محمد بوخبزة

التبر، لعبت هذه المادة النفيسة دوراً بارزاً في التقلبات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي عرفتها منطقة شمال إفريقيا عموماً، المغرب بصفة خاصة، عبر تاريخه الطويل، فقد وردت أولى الإشارات عن الذهب في تجارة المقايضة بين الفينيقيين وسكان المغرب في القديم (*Histoire du Maroc*) إلا أن تحكمها في تاريخ البلاد ازداد حدة في العصر الوسيط وما بعده (كل المصادر الوسيطية أشارت إلى جلب المغرب للتبر من بلاد السودان). فتدفق التبر على المنطقة كان يعني قوة الدولة وتحكمها في الاوضاع الداخلية بإغداق العطاءات على الجند وأعوان المخزن، وقلة تدفقه أو اضطراب وصوله بانتظام، كان يعني بداية متاعب السلطة الحاكمة ثم التعجيل بزوالها إذا انضافت عوامل أخرى.

مصدر التبر كان بلاد السودان أو ما يعرف حاليا بافريقيا الغربية جنوب الصحراء، والتعرف على التبر تم بشكل ساذج. فالإدريسي (*نزهة المشتاق*، 26) يقول: "كانوا (أهل السودان) يتجولون في الليالي التي يضعف فيها ضوء القمر، ويعلمون على المواضع التي يرون فيها شيئاً مضيئاً علامة يعرفونها، ويبيتون هناك فإذا أصبحوا حملوا كوام الرمل التي علموا عليها ومضوا بها إلى آبار هناك فغسلوها بالماء واستخرجوا التبر ..."

ويبدو من المصادر نفسها أن السودانيين كانوا يستخرجونه بكميات كبيرة، وعليه كان يعول صغيرهم

وكبيرهم حسب تعبير الإدريسي، وهذا ما أكده الحسن الوزان بعد أزيد من أربعة قرون تفصله عن زمن الإدريسي، إذ أشار إلى أن السودانيين يأتون إلى سوق كاغو محملين بالذهب وعددهم لا يحصى ـ حسب تعبيره ـ فيعودون بنصف كمية الذهب أو ثلثه لأنهم لا يجدون ما يشترون بها، كما تتجلى وفرته عندهم في الكميات الكبيرة التي كانوا يدفعونها منه في مقابل بضائع رخيصة في أماكنها عادة. وأكبر دليل نجده في تبادل التبر بالملح، فمناجم تغازى للملح شهدت قريتها تبادل القناطر المقنطرة من التبر رغم حقارتها ـ حسب تعبير المؤرخين ـ فالملح كانت أحياناً تباع بالتبر وزناً بوزن. بل إنها أحياناً تفوقه قيمة لدرجة أنها اتخذت عملة في بعض المناطق (*المغرب*، 160) لكن هذه الوفرة الزائدة عن الحد ـ كما تبدو لنا اليوم ـ لا تعني أن التبر كان معروضاً على السطح ومباحا للجميع، فالندرة مثلاً خاصة بملوك المنطقة ولا يحق لغيرهم حيازتها، كما أن التبر خاص بفئة معينة من السودانيين (الأعيان) الذين يتاجرون فيه وبه ويسخرون العبيد وباقي السكان لجلبه. ويبدو أن فترة ازدهار استخراج التبر في السودان ترجع إلى العصر الوسيط الأوسط والأدنى ويتوافق ذلك والعوامل التالية :

1 ـ توفر التبر على السطح وفي المناجم السهلة الاستخراج.

2 ـ ارتباط السودان بشمال افريقيا عن طريق التبادل التجاري.

3 ـ توفر الأمن والاستقرار في طرق القوافل وفي الاسواق وأماكن التبادل (العهد المرابطي والموحدي والمريني الأول) وبصفة أقل بعده.

4 ـ ظهور كيانات سياسية في المنطقة. (مملكة مالي ومملكة سنغاي وغان ...).

5 ـ تعزيز الروابط التجارية عن طريق علاقات دبلوماسية مع المرينيين (النصف الأول من القرن الثامن الهجري (14 م) وما بعده.

تراجع الانتاج والرواج بعد ذلك لفقدان عاملين مهمين من العوامل المسطرة أعلاه : قلة المناجم السطحية وانعدام الامن في الطرقات والأسواق.

كانت أبواب دخول هذا المعدن النفيس إلى المغرب على التخوم الصحراوية، وهي حسب أهميتها والدور الذي لعبته في اقتصاد المغرب : سجلماسة وتامْدُولْتْ ونول. ضعفت أو اندثرت (في العهد المريني الأخير) لتحل محلها مدن وأبواب أخرى في نفس المنطقة، وكان التبادل في معظم العصر الوسيط يتم بالتبر خاماً، وفي العصر الوسيط الأدني بدأت سبائك الذهب ومسكوكاته تحل محل التبر الخام دون أن تلغيه (*التشوف*، 275 ؛ *وصف افريقيا*، 2 : 166) وفي نفس الوقت قلت المسكوكات الذهبية.

استفادت الدولة الإدريسية والدول التي تعاقبت على حكم المغرب من تبر السودان فضربت بعض نقودها من الذهب (المثقال والدينار ...) وبتتبعنا ودراستنا للعملة ودور السكة نستطيع أن نخرج ببعض الاستنتاجات الأولية منها :

ـ ارتبط العصر الذهبي في كثير من هذه الدول بالتبر السوداني الذي بلغ تدفقه على المغرب ورواج النقود الذهبية فيه أوجه (العصران المرابطي والموحدي والعهد المريني الأول) ليضطرب بعد ذلك (العهد الوطاسي، السعدي، وإمارات الزوايا) باستثناء فترة قصيرة تم فيها استرجاع تدفق الذهب السوداني بكيفية أكبر (فترة أحمدالمنصور الذهبي الذي تدخل في المنطقة).

أدى عدم الاستقرار وضعف الدول وانعدام الأمن إلى تدهور دور السكة واغلاق الكثير منها لتوقف تدفق الذهب، وعدم استغلال مناجم الفضة والنحاس وضعف التبادل التجاري أو توقفه، أدى بالتالي إلى تحول تدفق التبر السوداني نحو جهات أخرى.

ارتبط العصر الذهبي المشار إليه أعلاه أساساً بعامل الطرق التجارية في العهود المذكورة، فقد بلغ الانتاج الفلاحي والصناعي في المغرب آنذاك نمواً لا يستهان به جعل التبادل معه من طرف السودانيين مسألة لا مفر منها.

ـ سهل وصول قبيلة لمتونة (من عصبة صنهاجة الصحراء) إلى الحكم مهمة تنقل الأشخاص والبضائع من السودان وإليه.

استطاع الموحدون بعدهم توحيد المغرب الإسلامي تحت حكمهم، وتقدم الانتاج الفلاحي والصناعي أكثر، فاحتووا بذلك كل المسالك التجارية وطرق التبر المتوجهة نحو شمال افريقيا، والأندلس (قلة دور السكة عندهم في المغرب حسب دراسة (أوستاش D. Eustache, *H.T.* XI, 1970) لا تعني قلة تداول العملة بل العكس. أما دور السكة فكانت موزعة على الامبراطورية في عهدهم.

ـ استمر تدفق التبر بشكل أقل في العهد المريني الأول، وقد كانت القوافل التجارية الخاصة بالسلاطين المرينيين أو بشركائهم من التجار نشيطة، وتعزز هذا النشاط التجاري بإقامة روابط ودية بينهم وبين ملوك السودان (*الاستقصا*، ج 3 : بنو مرين). لكن العملة الذهبية توقفت مع أبي الحسن المريني وابنه أبي عنان (*الاستقصا*، ج 3 : بنو مرين). لم تكتف الدولة التي أتت بعد المرينيين بالعلاقات الدبلوماسية ـ فالسودانيون أصبحت لهم ارتباطات مع المشرق أكثر من المغرب ـ ولم تكتف بالوسائل التجارية ـ لانعدام الأمن في الطرقات، مما أدى إلى تحول تلك التدفقات من التبر إلى الشرق ـ فقام أحمد المنصور بالاستحواذ على أهم منجم ومركز للتبادل (ملح تغازى) ثم احتل مصادر التبر ببلاد السودان مباشرة. لكن محاولات أحفاده وأمراء الزوايا كانت متواضعة وداخلة في إطار تنافسي بين الكيانات السياسية التي تقاسمت المغرب من جهة وبينهما وبين الدول الأوربية والأتراك من جهة ثانية. وفي فترة تالية نجد تيار التبر يميل نحو الغرب وبالذات

نحو الجنوب الغربي من المغرب فتصبح إيليغ عاصمة له بدل منطقة تافيلالت التي لم تسترد دور سجلماسة القديم في جلب التبر إلا مع بداية العلويين (*تاريخ الضعيف*، ج 3، ص 4 مرقون)، ولم يكتف المولى إسماعيل بوصول القوافل التجارية المحملة بالتبر صدفة، بل حاول احتلال مفترق الطرق، الذي تتجمع فيه القوافل الآتية من السودان والمتجهة نحو المغارب (توات) واستطاع تحويل تيار تدفق التبر في عهده إلى المغرب.

استمر هذا التيار في التأرجح بعد ذلك تارة نحو المغرب أو منطقة منه وتارة نحو الشرق، إلا أن المؤكد هو تضاؤل الكميات الواصلة منه إلى المغرب، فحتى بداية القرن العشرين، بل وفي نصفه الأول، كان الكثير من أعيان واحات الجنوب وخاصة اليهود منهم - منطقة درعة - يجهزون قوافل إلى السودان لمحاولة التقاط بقايا التبر أو المكسور من سبائك الذهب وحلي السودانيات مقابل بضائع في معظمها مصنوعات جديدة مستوردة (D.J. Meunier, *Le Maroc Saharien*).

هذا التدفق للذهب السوداني على المغرب لم يفده كثيراً، إذ كان مجرد قنطرة عبر منها إلى أوربا بأشكال وطرق متعددة منها : المعاهدات الجائرة - والتهريب، والمبادلات غير المتكافئة، ومقتنيات الأعيان والخاصة من البضائع الأوربية إلى غير ذلك من الوسائل التي أفرغت المغرب من هذا المعدن النفيس منذ أن بدأ اقتصاد أوربا يتطور، حتى إذا نضب معين السودان بدأ يعوضه معين العالم الجديد.

البكري، *المغرب*، 1911، 1965 ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ مجهول، *الاستبصار* ؛ التادلي، *التشوف* ؛ ابن سعيد المغربي، *بسط الأرض* ؛ الحميري، *الروض المعطار* ؛ العمري، *مسالك الأبصار*، 1924 ؛ م. ابن بطوطة، *رحلة ابن بطوطة* ؛ الحسن الوزان، *وصف افريقيا*، 1980.

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; J. Meunier, *Le Maroc Saharien...*, 1982, n° 17, 1970, pp. 71 - 108 ; B. Rosenberger, *Les anciennes exploitations minières...*, *R.G.M.* ; D. Eustache, *Les ateliers monetaires du Maroc*, *H.T.*, VXI 1970 ; B. Boutaleb [et al...], *L'histoire du Maroc*, 1967.

محمد حجاج طويل

التّبر، أسرة إدريسية شريفة يتصل نسبها بإدريس الأزهر مؤسس مدينة فاس عن طريق ابنه عبد الله الذي تولى إمارة مدينة أغمات وبلاد نفيس والمصامدة ودكالة. وأولاد التّبر أبناء عمومة مع العمرانيين غير الجوطيين من أهل الفحص وبني شداد وتالنبوط وغيرهم. وقد ذكرهم إدريس الفضيلي في *الدرر البهية* (2 : 166) وقال إنهم "بفاس قليلون غير أنهم مشهورون بالشرف، وبأيديهم ظهائر عديدة لملوك مراكش السعديين وغيرهم، وقفنا على أعيانها". ويوجد أولاد التبر في مدن مغربية أخرى، وبخاصة مراكش التي استقر بها أحد أفراد هذه الأسرة في مطلع القرن العشرين، وأنجب أبناء وأحفادا يعيشون بها حتى اليوم.

التبر، أحمد بن أبي بكر الحسني الفاسي، صوفي صالح كأبيه آتي الترجمة. توفي بفاس عام 1378 / 58 - 1959.

التبر، أبو بكر بن عبد الملك الحسني الفاسي. صوفي كبير، ومرب شهير. سلك طريق القوم على يد العارف الشيخ عمر الصقلي، وهو عمدته. وأخذ عنه عدد من العلماء والصلحاء بفاس وغيرها وتباهوا بالأخذ عنه، حلاه في *إتحاف المطالع* بقوله : "العارف الكامل الواصل الخير الذاكر".

توفي بفاس عشية يوم الخميس قبل أذان المغرب تاسع جمادى الأولى عام 1320 / 14 غشت 1902 ودفن بعد صلاة العشاء بروضة الشيخ ميارة بالدرب الطويل.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1920 ؛ إ. ابن الماحي الادريسي، *وفيات*، ص. 35.

محمد حجي

التبر، الحبيب بن الهادي بن مَحمد الإدريسي المراكشي. ولد عام 1357 / 1938 ودرس بثانوية محمد الخامس بمراكش واشتغل بالتدريس لفترة قصيرة من الزمن (1955 - 1956) وقد عرف من بين الطلبة النجباء خلال دراسته وأهّله مستواه العلمي إلى الالتحاق بالمعهد العالي للسينما بباريس حيث قضى به ثلاث سنوات، وبعد تخرجه منه عين بوزارة الأنباء بالرباط بصفته صحافياً مصوراً، فكان من الأطر العليا المتخصصة، وقد انتدب للمشاركة في مؤتمر الصداقة المغربية التشيكية المنعقد في براگ (Prague) في يوليوز 1961، وعند عودته ارتطمت الطائرة "إليوشين" بعمود كهربائي ببوسكورة قرب الدار البيضاء فاشتغلت فيها النيران فاحترق جميع ركابها، وتوفي شهيداً في 12 / 7 / 1961 ودفن بساحة ضريح الامام السهيلي بمراكش.

معرفة شخصية ورواية شفوية.

محمد ماگامان

التبراع، فن شعري حساني. يتميز المجتمع البيضاني الناطق بالحسانية بأنظمته الشعرية الغنية والمتنوعة. من بين هذه الأنظمة يمثل التبراع فناً عاطفياً خاصاً بشابات فئة ذوي حسان اللذين يقبعون على أعلى سلم التراتبات الاجتماعية والسياسية خلال مجتمع ما قبل القرن العشرين.

يمثل فن التبراع في صيغه وأشكاله وأغراضه العاطفية شعر عينة الشابات الحسانيات. تتقوى أغراض هذا الفن الشعري في إطار هو أشبه ما يكون بالسري انطلاقاً من التواصل الكلامي الذي يذكي أخلاق التخاطب العاطفي وأحاسيسه. فذات الأنثى المعبرة تكشف عن أشكال تفاعلها مع أبناء فئتها المجتمعية. كما أن صيغ وأشكال خطابها موقوفة على كنه علاقتها بمخاطبها. جلي إذن أن هذا الفن الشعري النسوي يخدم أغراضاً محدودة تعبر عن

الذات وتطور خطاب الشابة للرجل بفئة مجتمعية محددة. بهذه الكيفية يصير تاريخ التبراع تاريخاً للصيغ النسوية الحسانية الشابة التي تنمو وتترعرع كصيغ منفصلة عن باقي الأنظمة الشعرية البيضانية وخارج كل تدخل للرجل.

ولعل بإمكان الدراسة المتأنية أن تقارن بشكل تقريبي وعام تاريخ التبراع كما يبينه السرد المتسلسل لأبياته المتفرقة بتاريخ تداخل العلاقات المجتمعية بين شابة ورجل هذه الفئة الحسانية. كما أن بإمكان الدراسة المتخصصة أن تكشف من خلال تاريخ التبراع بين تطور المقاييس الحضارية من لباس وتجميل وأدوات الاستعمال النسوي والقوائم المرتبة زمنياً من مفردات وكلمات التخاطب اليومي وأفكار سائدة وقيم مجتمعية.

لاشك أن التطور الفعلي لهذا الفن الشعري يتم حسب تطور العلاقات المجتمعية إذ يتطور التواصل والتفاعل الشعري وتتطور أشكال الصيغ الشعرية بسبب التفاعل المجتمعي وأخيراً تنعكس سيرورة التطور الشعري في تغير صيغه وأشكاله.

دراسة ميدانية : السلطانة بنت شيخنا، *"الشعر الشعبي في تگانت حتى نهاية الاستعمار"*، المعهد العالي للدراسات والبحوث الاسلامية، نواكشوط، 1990.

مصطفى ناعمي

التبريز، نظام تربوي يهدف إلى انتقاء وتكوين وتوظيف أساتذة ذوي كفاءات عالية ومهارات مهنية تمكنهم من التدريس بفعالية في مختلف التخصصات المحدثة. والتبريز نظام قديم بفرنسا، وعنها اقتبسه المغرب في نطاق معاهدة التعاون المغربي الفرنسي الموقعة في 31 يوليوز 1984، حيث عمدت وزارة التربية الوطنية إلى خلق أسلاك تحضير التبريز بشكل تدريجي في المدارس العليا للأساتذة، ليسند العمل إلى المبرزين في الأقسام التحضيرية للمدارس العليا للمهندسين ـ مراكز التكوين : (المدارس العليا للأساتذة ـ المراكز التربوية الجهوية ـ مراكز تكوين مفتشي التعليم... الخ). الأقسام النهائية للتعليم الثانوي. ومستقبلا بالسلك الأول من التعليم الجامعي. ويشترط في المرشح أن يكون قد تابع تكوينه بشعبة تحضير التبريز لمدة سنتين. أو تابع سلكاً دراسياً معترفاً بمعادلته لشعبة تحضير التبريز. أو حاصلا على دبلوم الدراسات العليا أو ما يعادله. أو دبلوم التخصص بالسلك الثالث أو ما يعادله.

تستغرق مدة التكوين بسلك تحضير التبريز للتعليم الثانوي سنتين دراسيتين، يتلقى المترشحون خلالهما تكويناً علمياً تخصصياً وتكويناً تربوياً نظرياً وعملياً تمكنهم من :

ـ تعميق معارفهم على المستوى النظري والتطبيقي.
ـ إكسابهم منهجيات العمل، تستجيب لمتطلبات مباراة التبريز.
ـ تزويدهم بالمعارف التربوية لمزاولة مهامهم التدريسية.
ـ إطلاعهم على مختلف منهجيات التدريس والتنشيط التربوي.

وللوصول بهؤلاء المتدربين إلى المستوى المنشود تم تزويد أسلاك تحضير التبريز بأساتذة مغاربة ومتعاونين أجانب مؤهلين علمياً وعملياً لتأطير المتدربين.

تخضع مباريات التبريز لاختبارات كتابية وشفوية. وهناك اختلافات بسيطة في طريقة اجتياز هذه الاختبارات حسب اختلاف المواد. فمثلا بالنسبة لمباراة التبريز في مادة الرياضيات والعلوم الفيزيائية والصنع الميكانيكي : يقوم الطلبة المغاربة باجتياز نفس الاختبارات التي يجتازها زملاؤهم الفرنسيون في نفس الوقت ونفس الظروف. ويتم تصحيح أوراق الامتحان دون أي تمييز بين المرشحين المغاربة والفرنسيين، وتحصر لائحة المقبولين في الاختبارات الكتابية بحضور رئيس لجنة التبريز الذي يمثل الجانب المغربي.

أما بالنسبة لمباراة التبريز في اللغة الفرنسية والتربية البدنية والرياضية والعلوم الطبيعية مثلا، فإن الاختبارات الكتابية توضع من طرف رؤساء اللجان بالتنسيق والتشاور مع أعضاء اللجان المشتركة المغربية والفرنسية.

وتجري المباريات في مراكز مخصصة لذلك، ويتم التصحيح مزدوجاً بكل من المغرب وفرنسا.

وبعد توحيد النقط تقوم اللجان المشتركة بإجراء مداولات الشطر الكتابي، وحصر لائحة المقبولين لاجتياز الاختبارات الشفوية والعلمية.

وتجرى الاختبارات الشفوية للمقبولين في الكتابي بالمغرب من طرف لجان مشتركة، وبعد تقييم أداء المرشحين، وتنقيطهم، يصادق وزير التربية الوطنية على لائحة المقبولين نهائياً في المبارة.

ونظراً للنتائج الإيجابية التي تحقق على مستوى المباريات الوطنية للتبريز، فإن وزارة التربية الوطنية تعمل سنة بعد أخرى على توسيع نظام التبريز ليشمل باقي المواد التعليمية.

وثائق مديرية تكوين الأطر بوزارة التربية الوطنية.

المفضل دوحة

التبشير أو التنصير بالمغرب، عاش بالمغرب مسيحيون أجانب اختلفت أهميتهم العددية حسب العصور، ولكن سياق تاريخ العلائق الخارجية للمغرب في القرن التاسع عشر جعل وجود أجانب من المسيحيين أوضح وأكثر ارتباطا بجوانب السياسة والاقتصاد.

لا يظهر من المصادر المتعلقة بالعصر الوسيط أن الوجود المسيحي كان على درجة تلفت النظر بالمغرب. وكل ما هنالك إشارات تدل على بقايا مسيحية من العصر القديم. ولربما التحق بالمغرب جماعات أخرى من الخارج. كانوا في مناطق جبلية وفي سهول مثل تامسنا ومدن مثل فاس، وقد تحول بعضهم إلى الإسلام على عهد الأدارسة. وفي عهد المرابطين انضاف إلى من لم يسلموا من كان بجيش الدولة من المرتزقة أو من نفي إلى المغرب من الأندلس أو من أسر

في الحرب. وقد كان منهم أفراد بالحرس الاميري بمراكش وقوامه أربعة آلاف جندي، كما كانت مجموعة منهم بمكناس يقدر عددها بثلاثة آلاف نسمة. كما استقبلت سلا عدداً من هؤلاء المبعدين من الأندلس.

كان من النصارى حرس وعساكر وجباة ضرائب ومزارعون. ومن المهمات التي وكلت لهم ما ينطوي على مخاطر الاصطدام والتوتر بينهم وبين المسلمين، ولا سيما إذا استعملوا في جباية الضرائب وصدر من بعضهم سلوك يخدش حرمة المسلمين الدينية.

وفي عام 628 / 1230 كانت بمراكش كنيسة لا ندري ما إذا كانت في العهد السابق، سميت بكنيسة القديسة مريم، وكان المسيحيون المقيمون بالمغرب يؤدون شعائرهم الدينية بكامل الحرية. واختص الفرنسيسكان بسكنى بعض مدن السواحل. وقد كانت البابوية تظهر اهتماماً بشئون هؤلاء المسيحيين الموجودين بالمغرب. وكذلك ملوك إسبانيا حيث إن ملك قشتالة اشترط مقابل تقديم بعض المساعدات للمأمون الموحدي أن يسمح هذا الأخير ببناء الكنيسة المذكورة وبإقامة شعائر المسيحية جهاراً وأن يتعهد بمنع إسلام المسيحيين وعدم التعرض لمن أراد التنصر من المسلمين.

وتذكر مصادر العصر المريني أن عدد الجالية المسيحية قدر بأربعة آلاف فرد كان منهم حراس بقصر السلطان، وكان للمسيحيين ربض خاص يسكنونه، ومن أسباب قيام السلطان يعقوب بإخراجهم من داخل فاس ما كان يرد من أخبار استفحال حركة التنصر بالأندلس وما وقع من استيلاء الإسبان على مدينة سلا ومباركة البابوية لهذا الاحتلال الذي قد تكون المليشية المسيحية بالمغرب متورطة فيه، يضاف هذا إلى جملة متاعب أخرى كانت تتسبب فيها الفئة المذكورة.

ولربما نشط التبشير في هذا السياق بعد إخراج المسلمين من الأندلس ونقل الغزو الايبيري إلى أرض المغرب في بدايات العصر الحديث. حيث وردت الإشارة إلى ارتداد طائفة من المغاربة الواقعين تحت ضغط الاحتلال البرتغالي. ولربما كانت هذه الردة موضوع مراسلات بين الوطاسيين والبرتغاليين، وقد كتب القبطان "ليط" إلى ملك البرتغال يخبره بأن مسلمين "متنصرين" يظهرون المسيحية ويخفون الإسلام ولهم اتصالات بالسلطان الوطاسي لتدبير نقلهم. فاقترح ليط نقلهم إلى إحدى جزر البحر حتى لا يطمعوا في العودة إلى الإسلام.

أما في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فقد كان الفرنسيسكان ما يزالون مقيمين بعدد من مدن السواحل، وقام السلطان المولى اليزيد بالحد من التجاوزات في أنشطتهم، ولكنهم عادوا إلى نشاطهم في العهد السليماني، ففتحوا المدارس في القرن التاسع عشر لتعليم الإسبانية والفرنسية للأطفال شريطة حمل الصليب. وأنشأوا مطبعة عربية إسبانية، كما أنشأوا مستشفى بإدارة الفرانسيسكان، وقرنوا التبشير بالعمل الإحساني. ارتبط التبشير بالاستعمار وتعتبر رحلة شارل دوفوكو داخل المغرب من علامات هذا الارتباط ومن نشاط التبشير. فقد كان يعتقد أن السبيل الوحيد لبقاء سكان شمال إفريقيا على الولاء لفرنسا هو إدخالهم إلى المسيحية. ولكن هذا المبشر لم يتردد في الاعتراف بفشل سعيه الشخصي في تنصير من استهدفهم بدعوته في أوساط الفقراء. ويتجلى من تقارير البعثات، ولا سيما بعثة طنجة النشيطة، أن العمل التبشيري لم تكن له نتائج إيجابية سواء في أوساط المسلمين أو اليهود.

أما التبشير البروتستاني فقد بدأ محاولاته في النصف الأول من القرن التاسع عشر في كل من الصويرة وتطوان مستهدفاً اليهود. وكانت جماعة التبشير اللندنية هي متولية هذا العمل وهي : The London Society for Promoting Christianity Amongst the Jews. وقد أسس الأب ماكنتوسن Makintosin جماعة الانجيل البريطانية British and Foreign Bible Society لتوزيع الانجيل مترجماً إلى العربية والبربرية، وبها عرف التبشير البروتستانتي دفعاً جديداً، وكانت الطبعة الأولى للانجيل باللهجة الريفية سنة 1885، وتمكن مبشرو جماعة الانجيل من توزيع كميات من نسخ الانجيل المترجم. وتفرعت عن هذه الجماعة بعثات فرعية لتنصير البربر. وكان لبعثة الصويرة إشراف على مبشري مراكش والجديدة. وبلغ عدد مبشري الدار البيضاء وحدها خمسة وعشرين مبشراً. ونشطت "بعثة كنيسة انجلترا الانجليكانية" England Presbyterian Church Mission لربط علاقات يهود فاس بيهود دمنات والجنوب، وذلك بمساهمة مسيحيين سوريين. ويتلخص عمل هؤلاء المبشرين في التنصير وتوزيع الإنجيل ومناقشته وتفسيره، كما تثار المحادثات في الأسواق والديار، وتعزز هذه الاوجه من النشاط بالأعمال الاجتماعية كالتطبيب.

ومن نشاط البروتسنانت أيضاً فتح المدارس : مدرسة الصويرة للبنات سنة 1878 ومدرسة طنجة للبنات سنة 1892 ومدرسة للذكور سنة 1893 ومدرسة تطوان للذكور سنة 1893. وقد وقفت انجلترا بوضوح وراء التبشير البروتسانتي منذ سنة 1890، خاصة بعد أن ثبت أن العملية أصبح لها بعد سياسي خطير، مما أدى إلى استفحال أمرها، فقرر المخزن إذ ذاك إيقاف النشاط التبشيري بجميع أصنافه، وتمثلت إجراءاته في منع ربط العلاقات مع المبشرين وتهديد كل من يرسل ابنه إلى مدارس البروتستانت وتقديم احتجاج رسمي إلى حكومة انجلترا بتاريخ ماي سنة 1891 وغلق مدرسة بعثة شمال إفريقيا بفاس سنة 1898.

كان جهد الجمعيات التبشيرية الأوروبية ضئيلا إذا ما قورن بالمجهودات التي بذلت في مناطق أخرى، ونتيجة لذلك حاولت هذه الحركات التبشيرية أن تغير وسائل عملها فلا تدعو مباشرة إلى اعتناق المسيحية بل ركزت جهودها

على الأعمال الخيرية والطب، علها تستقطب بعض المغاربة، لكن النتيجة ظلت سلبية.

أما فيما يرجع بالبعثات التبشيرية الأمريكية فقد بدأ بعض المبشرين الاميريكيين المتحمسين لنشر النصرانية في الوصول إلى المغرب خلال السبعينات من القرن التاسع عشر، وكان من أوائل القادمين "إدوار بَلْدوين" Edward Baldwin الذي وصل إلى طنجة برفقته عائلته.

وفي منتصف العقد الأخير من القرن التاسع عشر وصلت إلى المغرب بعثات تبشيرية أمريكية منظمة كان على رأسها أحد اليهود تم تنصيره في الولايات المتحدة وأصبح من المتحمسين للدين الجديد، وهذا الداعية هو "البرت ناثان" Albert Nathan وقد استطاع الحصول على منزل في طنجة جعل منه مركزاً للعمليات التبشيرية في المغرب حيث تمكن من استخدامه سكنا للمبشرين القادمين أو الذين يرغبون في البقاء في طنجة والدعوة إلى المسيحية في تلك المدينة وبالإضافة إلى ذلك قام ناثان بفتح مركز صغير بالمدينة لهدف إعلامي، حيث أخذ في توزيع النشرات التي تدعو إلى المسيحية وبيع كتب دينية بأسعار منخفضة، كان الغرض منها استدراج المغاربة خاصة اليهود الذين أخذت البعثة التبشرية الأمريكية في التركيز عليهم.

لم تكن تلك البعثات هي الوحيدة التي أرسلت من اتحاد البعثات التبشيرية بل كانت هناك بعثة أخرى، مكونة من اثني عشر شخصاً، قدمت إلى المغرب في دجنبر 1890. قام القنصل الاميركي جون باركلي (John Barcly) عندما وصلت بعثة سنة 1890 بالضغط على محمد الطريس نائب السلطان في طنجة لكتابة رسالة تسمح لاولئك المبشرين بالإقامة والتجوال في المغرب دون التعرض لهم. بل إن القنصل قام بإرسال تعليمات إلى نوابه في عدد من المدن المغربية التي اتجهت إليها تلك البعثات التبشرية لتقديم المساعدات إليها.

وقد كانت تلك البعثات تلح على أن هدفها هو نشر المسيحية (المذهب البروتستاني فقط وأنها ليست لها أي أهداف استعمارية بالمنطقة على عكس بعثات الدول الاوربية. والواقع أن عدداً من المبشرين تستروا بأهداف دينية للحصول على كثير من المعلومات عن المغرب، لذلك لم يترددوا لقبول وظائف في السلك الدبلوماسي، وتجميع الثروات ؛ فالارتباط كان هنا أيضاً وثيقاً بين التبشير والمصالح الأجنبية.

ومن أهم المراكز التبشرية الاميريكية في المغرب مركز مكناس الذي افتتح سنة 1890، ويعتبر مقراً لإعداد المبشرين القادمين من الولايات المتحدة يتم فيه تعليم القادمين الجدد اللغة العربية وتزويدهم بالكثير من المعلومات عن العادات والتقاليد المغربية والطريقة المثلى والأسلوب الصحيح في الدعوة إلى المسيحية، إضافة إلى ذلك قام المبشرون الاميريكيون فيما بعد بافتتاح مركز صحي صغير بقصد تقديم الخدمات الصحية للمغاربة وهي خدمات استطاع من خلالها المبشرون الوصول إلى غرضهم الأساسي وهو الدعوة إلى المسيحية، خاصة عندما أخذوا في الربط بين شفاء المرضى بالطب وبركة المسيح.

قام المبشرون الاميريكيون بافتتاح عدة مراكز في كل من فاس والجديدة والقصر الكبير والعرائش. لكن المبشرين الاميريكيين وجدوا عدة صعوبات منها : عدم معرفة اللغة العربية والعادات والتقاليد المحلية وعدم تمكنهم من إيجاد السكن اللائق ومواجهة مشاكل أمنية في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) وانتفاض القبائل ضد العمليات التبشرية.

كان من وسائل البعثات التبشيرية الاميريكية العمل بين الاقلية اليهودية وتشجيع النزعة الإقليمية والأعراف القبلية والاتجاه إلى الأعمال الخيرية مثل إنشاء المستشفيات والمدارس ومراكز لإيواء اليتامى. وقد كان موقف المخزن المغربي من هذه الأعمال حازما وذكيا، غايته تجنب الاصطدام مع الاميريكيين، إذ أشار إلى أنه لا يستطيع أن يضمن أمن المبشرين الأميريكيين الذين يتجاوزون *المناطق المسموح لهم بها*. وقد *ظهر عداء الشعب* لهؤلاء المبشرين، بلغ في بعض الحالات إلى الإقدام على تصفية المتنصرين غير أن ذلك كان يسبب مشاكل للمخزن.

كانت نتائج الحركة التبشيرية الأمريكية بالمغرب هزيلة مثل سابقتها الاوروبية، فلم يتنصر إلا عدد محدود جداً من الأطفال اليتامى واللقطاء الذين قام المبشرون بإيوائهم وتربيتهم على النصرانية وعددهم حوالي ثلاثة وثلاثين طفلا قبيل الاحتلال الفرنسي حول معظمهم إلى النصرانية.

وظل التبشير مستمراً بالمغرب في عهد الحماية بل وبعد الاستقلال كذلك سنة (1959)، فقد جاء في تقرير لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية : "إن المؤسسات التبشيرية التي تعمل بالمغرب لها وسائل عمل على الأخص في بعض المدن والقرى الكبرى : ثلاثة مستشفيات وعشرون عيادة ومستوصف طبّي واثنا عشر ملجأ وستة عشر نادياً ثقافياً وأحد عشر نادياً للتكوين المهني النسوي وستة عشر مدرسة ابتدائية وثلاث مدارس ثانوية وثلاث مكتبات عمومية وإحدى عشرة جمعية أخرى مختلفة. وهذا ما مجموعه خمسة وتسعون مؤسسة. (عبد الله گنون، *التبشير ودلالته عن الحركات التبشرية*، ص 40).

أما عن التبشير إلى غاية سنة 1978 فقد سجل تقرير گريگوري. م. لفنگْسْتون عدة نقط حيث يقول عن عدد المتنصرين المغاربة : "يوجد بالمغرب سبع مجموعات تقيم شعائرها، ويقدر عدد المتنصرين المغاربة بحوالي مائتي متنصر، يلتقون في هذه المجموعات الصغيرة ... ويظن البعض بأن مجموعات منعزلة من البربر لديها استعداد للتنصير الجماعي وذلك إذا توفرت لهم الظروف الملائمة..." (*التنصير*، ص. 377). وحول الوضع الكنسي بالمغرب يذكر التقرير : "توجد مجموعات من المسلمين الذين دخلوا النصرانية في الدار البيضاء وطنجة ولكنهم غير مقتنعين

بفكرة إنشاء كنيسة، فبعضهم يرى أن مثل هذا العمل غير قانوني وكفيل بأن يثير عملية انتقام... فالشكاية من كون أهل البلد لا يسيرون ولا يشاركون في تسيير الكنائس مخافة الانتقام وبالتالي لا يستطيعون الدعوة إلى المسيحية..." (*التنصير*، ص. 381). ويصرح صاحب التقرير في مكان آخر بقوله : "فكروا دائماً في الكنيسة، فما لم تكن هناك كنائس ذات قيادة وزعامة وطنية محلية في المغرب فلن تبلغوا أهداف الرب ..." (*التنصير*، ص. 385).

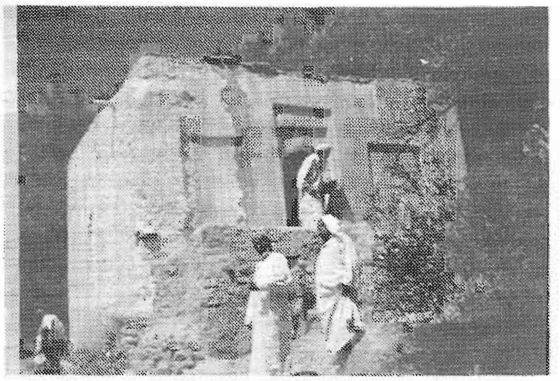
أما عن توزيع الإنجيل وباقي المنشورات المسيحية فيقول التقرير : "تتوفر في المكتبة الوحيدة الموجودة بالمغرب كتب قليلة ضمن مجموعة من الكتب العلمانية من أجل بقائها مفتوحة قانونيا. وقد بدأ عدد من المسيحيين بالمغرب يوزعون صناديق بلاستيكية تحتوي على الكتاب المقدس وبعض المطبوعات التنصيرية على عدد من الأصدقاء الموثوق بهم ..." (*التنصير*، ص. 381).

بلقاسم الحناشي، *الحركات التبشرية في المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر*، زغوان، تونس، 1989 ؛ ع. الفاسي، *التبشير المسيحي وبعض الوثنيات الطائفية الهندية*، الرباط، 1973؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، جزآن، بيروت، 1985 ؛ ع. گنون، *شؤون إسلامية*، الدار البيضاء، دون تاريخ ؛ م. الخالدي، ع. فروخ، *التبشير والاستعمار*، بيروت، 1970 ؛ *التنصير، خطة لغزو العالم الإسلامي*، منشورات Marc للنشر، الولايات المتحدة الاميريكية، 1978 ؛ م. عبده (الإمام)، *الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية*، تقديم وتعليق رشيد رضا، الجزائر 1978 ؛ رامون لوريدو دياز، مادة البابوية، *معلمة المغرب*، 3 : 954 ـ 957 ؛ تركي عجلان الحارثي، *البعثات التبشيرية الاميريكية في المغرب الأقصى قبيل الحماية الفرنسية*، *المجلة التاريخية المغاربية*، تونس، ع. 63 ـ 64، يوليوز 1991، ص 267 ـ 289 ؛ إبراهيم بن الجنوي، *أبناؤنا بين أيدي المبشرين*، *صحيفة الميثاق* (لسان رابطة علماء المغرب)، ع. 72، السنة 6، 1963 ؛ ع. الخمليشي، *إعلام المسلمين بمقاصد المبشرين*، *صحيفة الميثاق* (لسان رابطة علماء المغرب)، الجزء الأول العدد 80، دجنبر 1968 ؛ والجزء الثاني بالعدد 107 مارس 1970 ؛ امحاند علال، *خطر المبشرين في المغرب*، *صحيفة الميثاق*، ع. 8 مارس 1970 والجزء الثاني في العدد 23 نونبر 1970؛ ع. التميمي، *التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر خلال القرن 19*، *المجلة التاريخية*، تونس، ع. 1، يناير 1974 ؛ *دور المبشرين في نشر المسيحية في تونس*، *المجلة التاريخية المغربية*، تونس ؛ ع. 3 يناير 1975 ؛ خديجة بقطاش، *الحركة التبشرية في الجزائر من سنة 1860 إلى سنة 1879*، *مجلة الثقافة* (الجزائر)، ع. 61 صفر / ربيع الأول، 1401، ص 67 ـ 72 ؛ عزت محمد إبراهيم، *حقيقة التبشير*، *مجلة الوعي الإسلامي* (الكويت)، العدد 180، السنة 15، أكتوبر 1979.

G. Goyau, *Le christianisme sur la côte Babaresque jusqu'au XIXème siècle*, Paris, 1930 ; *Lettre Pastorale aux Fidèles et Prêtres repandus dans le royaume du Maroc*, Paris, 1936 ; J. Crétineau-Joly, *Histoire religieuse, politique et littéraire de la compagnie de Jésus*... Paris, 1844 ; A. Pons, *La nouvelle église d'Afrique ou le catholicisme en Algérie, en Tunisie et au Maroc depuis 1830*, Tunis, 1930 ; G. Deverdun, *Les chrétiens à Marrakech des origines à 1912*, Rabat, 1966 ; Ch. De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc, 1883 - 1884*, Paris, 1888 ; J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1830 - 1894, Paris 1961 - 1964 ; *Les missions protestantes au Maroc, 1875 - 1900*, *Hesp*. 1955, 153 - 192 ; M. Pablo Castellanos, *Los hijos de San Francisco en Marruecos*, *La Cruz*, Barcelona, 1882, T. 2, pp. 307 - 318 ; *Las misiones en Marruecos*, *Revista Fransiscana*, Barcelona, T. 3, pp. 122 - 124 y 148 - 154.

محمد رزوق

تَبَطكُوكْتْ أو تابطكوكت، من أقسام قبيلة مسگينة شرقي مدينة أگادير. من مصادر معيشة أهلها تربية الماشية وزراعة الحبوب واستغلال شجر أرگان. توجد في الوثائق إشارات إلى إسهام هذه القبيلة في مجاهدة الاحتلال البرتغالي، وربما أقنع أهلها بعض البرتغاليين بدخول الإسلام. بها أضرحة عدد من الصلحاء أشهرهم



تبطكوكت
ضريح سيدي هارون

سيدي هارون الذي أورد الباعقيلي نسبه الشريف في *تبيين الأشراف*، وقد جعله والد عمرو بن هارون دفين رأس الوادي، وعلي بن هارون دفين الشاوية ويوسف بن هارون دفين واد نون ومزال بن هارون (ت. 588 هـ) دفين أيت إلوگان بهشتوكة، وقد تأسست قرب ضريح سيدي هارون في منتصف القرن الماضي مدرسة عتيقة تصرف عليها القبائل المجاورة وتخرج منها عدد من الطلبة.

البعقيلي، الاحسن بن محمد، *تبيين الأشراف* : أهل دائرة الوسائل وقبله توجه لكل سائل، المطبعة العربية، الدار البيضاء، 1358 / 1939 ؛ *عقود ورسوم عائلة جبارة في ملك السيد الحسن بن عمر نايت عبل* ؛ *روايات شفوية* لكل من أحمد أوبهى والعيسي الحسن أو محمد والحسن بن أحمد أوفراضن والحاج الحسن بن محمد أوعلي أودود.

R. Montagne. *Les Berbères et le Makhzen*, Paris, 1930, pp. 148 - 159.

عمر أفا

التبغ، يسمى أيضاً طابا أو طباق أونيكُوتْيانا طابَاكُوم، (Nicotiana Tabacum) نسبة إلى جون نيكوت الذي كشف عن استعمالات هذا النوع بفرنسا. وهو نبات يعطي مواد تستعمل للتدخين أو المضغ أو السعوط. ينتمي إلى فصيلة الباذنجيات (Solanaceae) المحتوية على الباذنجان والطماطم والبطاطا والفلفل وغيرها.

والموطن الأصلي للتبغ هو أمريكا الحارة، ولا يعرف

الصنف البري لأنه زرع بها منذ قرون قبل دخول الرجل الأبيض. ومنها أدخل إلى أوروبا في عام 1557 من طرف كُولُمْبس وذلك لقيمته العلاجية وكنبات للزينة في بداية الأمر. ثم انتشر إلى بقية بلدان أوروبا وإفريقيا وآسيا واستراليا. ومنذ نهاية القرن السادس عشر بدأت عادة التدخين في الانتشار بالرغم من معارضة رجال الدين والحكومات التي فرضت ضرائب باهظة على التبغ.

ومصدر صفات التخدير والنكهة والطعم المتوفرة بالتبغ هو وجود مواد قلوانية تسمى بالنيكوتين ومواد أخرى تُنتج أثناء عملية المعالجة والتخمر، وزيوت عطرية طبيعية.

تتجاوز أنواع التبغ الخمسين لكن نوعين منها فقط لهما أهمية تجارية :

ـ التبغ المنزرع، وهو مصدر أغلب الأصناف المستعملة، وعددها يفوق المائة. وهو نبات حولي غير متفرع، قد يصل ارتفاعه إلى مترين. له أوراق كبيرة بيضاوية الشكل، وأزهار أرجوانية، وثمار علبية.



ـ التبغ البري وهو أصغر حجماً، وله أزهار صفراء. يزرع في بعض المناطق من أوروبا وشمال آسيا ويستعمل في صناعة المبيدات الحشرية، بالإضافة إلى صناعة بعض أصناف السجائر.

ومعلوم أن نوعاً من هذا الجنس وهو نيكوتْيانا گْلوكا (Nicotiana Glauca)، أدخل إلى المغرب بصفة عفوية، وانتشر طبيعيا على طول السواحل وخاصة ساحل المحيط الأطلسي. ينمو هذا النوع على الكثبان الرملية والساحلية والانقاض والردوم بجوانب الطرق أوبضواحي المدن. وهو معمر يتراوح ارتفاع شجيرته من خمسة إلى سبعة أمتار. أوراقه رمحية، خضراء ضاربة إلى اللون الأزرق، أزهارها صفراء. وللتذكير فإن هذا النوع الواسع الانتشار بالسواحل لا يزرع ولا يستعمل في صناعة السجائر، وإنما يلعب دوراً مهماً في تثبيت الكثبان الرملية والأنقاض والردوم.

يزرع التبغ حاليا بشمال المغرب وبالغرب وسايس. ونظراً لكون زراعته حساسة ومكلفة وتحتاج إلى عناية كبيرة فإن الفلاح المغربي قليلا ما يقبل عليها. تزرع البذور في المشتل أولا ثم تنقل الباذرات إلى أتربة رملية خفيفة وغنية بالدبال وكثيرة السماد.

تجمع الأوراق عندما تنضج وتترك بعد جمعها لتذبل، ثم تعلق مقلوبة ومدلاة حتى تجف، في ظل حضائر المعالجة المعدة لذلك. وتتم المعالجة بالهواء تحت ظروف طبيعية، وفي حالة معالجة التبغ بتيار الهواء الساخن فإنه يكتسب لونا أصفر زاهيا. وقد تستغرق عملية التجفيف الطبيعي مدة تزيد عن الشهر، وبعدها تختار الأوراق وتوزع حسب الرتب، ثم تخمر وتجمع في كومات كبيرة لمدة تستغرق بعض الشهور أو تتجاوز السنة.

تعطي عملية معالجة نوعي التبغ المغروسين بالمغرب عدة أشكال من مواد التبغ : تبغ التدخين، تبغ السعوط، تبغ المضغ.

فإذا كانت عادة التدخين منتشرة في جميع أنحاء المغرب، فإن عادة السعوط تبقى خاصة بشماله، وعادة المضغ بشرقه.

استطلاعات ميدانية ؛ ألبرت خيل، *النبات الاقتصادي*، ترجمة عبد المجيد زاهر وآخرين، القاهرة. 1962.

عبد المالك بنعبيد

* * دخل التبغ إلى المغرب بعد اكتشاف أميركا، حمله الأوربيون إلى إفريقيا الغربية ومنها انتقل إلى المغرب. تذكر الروايات التاريخية أن السودانيين الذين رافقوا الفيلة إلى مراكش عامي 1005 ـ 1006 / 1597 ـ 1598 جاؤوا بالتبغ يدخنونه ثم دخلوا به إلى فاس مع الفيلة عام 1007 / 1599.

انتشر التبغ في المغرب بسرعة، وتعددت أسماؤه فدعاه بعضهم الطبغ وطابة وطباق والتوبغة والدخان، وأصبح بعد سنوات معدودات بضاعة رائجة في الأسواق تحمله من السودان القوافل التجارية المنتظمة بين تنبكتو ومراكش، وتجلبه السفن الانجليزية والهولاندية المترددة على مراسي سلا وأسفي وأگادير. وأقبل على تدخينه مختلف الطبقات، وبخاصة الرعاع والسفلة الذين تعاطوه في مجالس اللهو والقيان، فزاد ذلك في تنفير أهل الورع منه، سواء العلماء وشيوخ التصوف الذين رأوا فيه بدعة سيئة تتعين محاربتها ومنكراً يجب تغييره.

ولما توجه أحمد المنصور إلى فاس لآخر مرة أوائل جمادى الأولى عام 1011 / أواسط أكتوبر 1602، استفتى الفقهاء في التبغ ـ وقد تعالت أصوات الاستنكار ـ، فأفتاه كل من مفتي فاس محمد بن قاسم القصار، وصالح سلا عبد الله ابن حسون بتحريم التبغ ووجوب إتلافه، فأمر المنصور بانتزاع التبغ من باعته في فاس، وكدّس أكواماً في الديوان وأحرق على رؤوس الملأ، وضاعت بذلك أموال

كثيرة. غير أن موت أحمد المنصور المفاجئ في السنة التالية أفسح المجال لتجدد رواج التبغ على نطاق أوسع في غمرة الفتن التي دامت عقوداً من السنين.

وفي أواسط رمضان عام 1026 / شتنبر 1617 بدأت في فاس حملة عنيفة جديدة لانتقاد المدخنين بسؤال كتبه أديب الفقهاء علي بن أحمد الشامي وجهه إلى قاضي فاس أبي القاسم ابن أبي النعيم ومفتيها أحمد المقري وسائر الفقهاء يعرض عليهم الحالة المزرية الفاشية التي آل إليها أمر تدخين التبغ ويستفتيهم في العشبة الخبيثة الشهيرة على الألسنة بطابة. وقد ركز السؤال على مقايضة التجار الأوربيين الذين يجلبون التبغ للمغاربة بمواد محرمة على المحاربين كالقوت والسلاح. وقد أجاب عن هذا السؤال كل من قاضي فاس ومفتيها وسبعة عشر فقيهاً آخر اتفقوا كلهم على استقباح التبغ واستقذاره. وفي جواب المفتي أحمد المقري توجيه للحاكم ليضرب على أيدي مروجي التبغ ومتعاطيه. ولإعطاء هذه الاستشارة صبغة رسمية حرر شهود من سماط العدول رسمين عدليين عقب الفتاوى التسع عشرة، نص الرسم الأول على صحة نسبة كل فتوى إلى صاحبها والتعريف به وإثبات كتابتها بخطه، وسجل الرسم الثاني حكم قاضي فاس بتحريم التبغ اعتماداً على الفتاوى المذكورة، ومما جاء فيه : "... حكم ـ القاضي ابن أبي النعيم ـ بتحريمها ومنعها وفساد المعاملات في شرائها وبيعها، وإلحاقها في سائر الأحكام بغيرها من المنكرات، وسائر المفسدات والمسكرات... حكماً أنفذه وأمضاه، وأوجب العمل بمقتضاه في أواخر شوال عام 1026".

لم يوقف هذا الحكم سيل التدخين العارم، وظل الصراع حاداً بين فقهاء بلاد المغارب طوال القرن الحادي عشر (17م) ومصر وما وراء الصحراء من بلاد السودان بين محلل ومحرم ومتردد. وكان بعض الفقهاء والأدباء يدخنون ولايترددون في ذكر منافع هذه العشبة في فتاواهم وقصائدهم. وقد ألّف في تحريم التبغ أو تحليله نحو ثلاثين كتاباً لفقهاء هذا القرن من مغاربة ومشارقة، منها : *نصيحة الإخوان باجتناب الدخان* لشيخ المالكية بمصر إبراهيم اللقاني ؛ و*غاية التبيان لحل شرب مالا يغيب من الدخان*، عقّب فيه الفقيه المالكي عليّ الأجهوري على كتاب اللقاني ؛ و*محدد السنان في نحور إخوان الدخان* لعبد الكريم الفكون القسنطيني ؛ و*سهم الإصابة في حكم طابة* لمحمد العربي الفاسي. وجمع الفقيه أحمد بن يحيى الفشتالي في ربيع الأول عام 1096 / فبراير 1685 فتاوى الفاسيين المشار إليها آنفاً مع السؤال وحكم القاضي في كتاب سماه : *فتاوى علماء فاس في الدخان*، كما جمع فقيه آخر لم يذكر اسمه فتاوى أخرى وقصائد ومحاورات ورسائل في كتاب بعنوان *مجموع الدخان*.

وقد خفت صوت الفقهاء بعد ذلك وإن ظلوا يتعرضون لذكر التبغ ويستنكرونه في مولفاتهم الفقهية وغيرها. ولم يعد يقف في وجه التدخين بفعالية إلاّ بعض الطرق الصوفية التي حرمته على أتباعها تحريماً باتاً، كالطريقة التجانية ذات الانتشار الواسع في شمال افريقيا والصحراء وماوراءها. وفي عهد الحماية قننت زراعة التبغ في المغرب ومراقبته وجعل الاتجار فيه حكراً على السلطة وأنشئ لذلك إدارة خاصة بالدار البيضاء : وكالة التبغ Régie de tabacs مازالت قائمة حتى اليوم.

أ. ابن أبي محلي، *الحكاية الأدبية والرسالة الطلبية مع الاشارة الشجرية*، مخطوط ؛ *إصليت الخرّيت*، مخطوط ؛ أ. باب التنبكتي، *اللمع في الاشارة إلى حكم طبغ*، مخطوط ؛ إبراهيم اللقاني، *نصيحة الإخوان باجتناب الدخان*، مخطوط ؛ علي الأجهوري، *غاية التبيان لحل شرب ما لا يغيّب العقل من الدخان*، مخطوط ؛ أحمد البوسعيدي، *بذل المناصحة في فعل المصافحة*، مخطوط ؛ م. العربي الفاسي، *سهم الاصابة في حكم طابة*، مخطوط ؛ ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط ؛ عبد الكريم الفكون القسنطيني، *محدد السنان في نحو إخوان الدخان*، مخطوط ؛ أ. بن يحيى الفشتالي، *فتاوى علماء فاس في الدخان*، مخطوط ؛ مجهول، *مجموع الدخان*، مخطوط ؛ ح. اليوسي، *المحاضرات*، تح. محمد حجي، وأحمد الشرقاوي اقبال ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 1 : 246 ـ 266 ؛ ع. القدوري، *ابن أبي محلي الفقيه الثائر ورحلته الاصليت الخريب*، الرباط، 1991.

محمد حجي

التبليغ، جماعة تقوم بالدعوة الإسلامية تأصلت من الهند. وانتشر أتباعها بالمغرب وقد تأسست في دلهي بالهند على يد الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي (1883 ـ 1944)، وهو من أسرة صوفية، انتسب في صغره إلى الطريقة الحبشية. وهو الذي وضع مبادئ هذه الجماعة ورسم أهدافها وحدد منهج عملها. وبعد وفاته آل أمر تسييرها إلى ابنه الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (1917 / 1965) الذي تنقل كثيراً لطلب العلم والدعوة، وتوسعت الجماعة في عهده وانتقلت إلى أقطار أخرى، وبعد وفاته أصبح رئيسها الثالث الشيخ إنعام الحسن. ويقع مقرها الرئيسي في "نظام الدين" بدلهي، ومنه تدير الجماعة شؤون الدعوة في العالم، وتعقد في دلهي بانتظام تجمعات ضخمة لأتباعها يجتمع فيها حوالي مليون شخص من الهند وباقي المناطق.

هذه الجماعة في الأصل ذات نفس صوفي حيث ترد على ألسنة أتباعها الهنود أسماء أعلام التصوف أمثال الشيخ عبد القادر الجيلاني والسهروردي وجلال الدين الرومي، والأساس الذي تعتمد عليه هو تزكية النفس وإصلاحها وعدم الاشتغال بما لا يعني. من هنا فإنها لا تعطي للجانب الفقهي مثلا تلك الأهمية التي نراها عند بعض الدعاة السلفيين، وإنما ترى بأنه على أتباعها تقليد أئمة الفقه، لذلك فإن أتباعها يتمذهبون بالمذاهب المنتشرة في بلدانهم.

يعتمد منهج الجماعة على "الأصول الستة" التي وضعها مؤسسها الشيخ محمد إلياس رحمه الله، ويعتبر

التزام هذه الأصول أمراً ضرورياً في الانتساب إلى الجماعة، وهي :

الكلمة الطيبة لا إله إلا الله محمد رسول الله ؛ إقامة الصلوات ؛ العلم والذكر ؛ اكرام كل مسلم ؛ الإخلاص ؛ النفر في سبيل الله.

ولكل أصل من هذه الأصول "مقصد" و"فضل" و"كيفية تحصيل"، ويتم تفصيل هذه الأصول الستة لمن يرافقون الجماعة في جولاتها المعتادة، وهناك من الباحثين من يرى أن هذه الأصول قد أخذت من كتابات الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي مؤسس حركة النور بتركيا. وليس لجماعة التبليغ أدبيات مكتوبة.

وفي المغرب بدأ نشاط جماعة التبليغ في أوائل الستينات، وكان محدوداً في المدن الكبرى كالدار البيضاء والرباط التي كان بعض دعاة الجماعة من الهند وباكستان يزورونها، وقد استطاعت هذه الزيارات استقطاب أعداد من المغاربة إلى مبادئ الجماعة، وكان المغاربة قبل ذلك يتعرفون على مبادئها خلال مواسم الحج.

بدأت قاعدة جماعة التبليغ تتوسع بفضل نشاط الدعاة المغاربة إلى أن تأسست رسمياً في المغرب سنة 1964، على يد رئيسها الأول الشيخ محمد الحمداوي رحمة الله (1935 - 19 مارس 1987)، وهو من إقليم بولمان، وتخرج من القرويين ثم اشتغل بالتعليم، وكان قد التحق بجماعة التبليغ سنة 1962 والتقى بأميرها الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي رحمه الله.

بدأ نشاط الجماعة ينتقل إلى مختلف المدن والبوادي المغربية، عبر الرحلات المنتظمة (الخروج في سبيل الله) التي يقوم بها أفرادها في مجموعات صغيرة، ولم يكد عقد الستينيات ينتهي حتى كانت كثير من المناطق المغربية قد تعودت على رؤية الدعاة التبليغيين، وكان نشاطها قد ازداد وتوسع في عقد السبعينيات ازدياداً ملحوظاً. فأصبحت مراكز / مساجد الجماعة تستقبل بانتظام جماعات قادمة من دول أخرى، خاصة من شبه القارة الهندية (الهند - بنگلادش - باكستان) وبعض الجماعات من الدول العربية التي سمحت لهذه الجماعة بالعمل كالأردن ومصر وتونس وكذا السعودية قبل أن يتم حظر الجماعة فيها. وجدير بالذكر أنه من حين لآخر كانت المجموعات التبليغية تضم بعض المسلمين الأمريكيين أو الأوربيين خاصة من فرنسا وبلجيكا حيث تنشط الجماعة أكثر في صفوف العمال المغاربة والمسلمين عموماً، ولها مراكز نشيطة هناك ودعاة مغاربة مشهورون خاصة ببروكسيل.

من أهم مراكزها النشيطة بالمغرب مسجد النور في بوسجور بالدار البيضاء ومسجد دوار الحاجة بحي التقدم بالرباط حيث كان رئيسها السابق الشيخ محمد الحمداوي يقوم بالدعوة، ومسجد الفتح بالقصر الكبير حيث الرئيس الحالي الشيخ البشير اليونسي الذي انتسب إلى الجماعة في أوائل الستينيات وكان يشتغل بالتعليم لكنه تفرغ بعد ذلك للدعوة. وتكاد مراكز جماعة التبليغ تغطي حاليا أغلب المدن المغربية، أما بالقرى فإن دعاتها يقومون بأنشطتهم في المساجد الأهلية أو الرسمية.

اعتادت الجماعة أن تقيم من حين لآخر تجمعات ضخمة بمقر المعرض الدولي بالدار البيضاء في بداية العطلة الصيفية تحضرها وفود من مختلف المناطق المغربية وكذا من خارج البلاد، تستغرق هذه التجمعات ثلاثة أيام تلقى خلالها الخطب والكلمات من طرف عدد من الضيوف والمدعوين الذين يمثلون جمعيات العلماء كرابطة علماء المغرب وعدد من الجمعيات الإسلامية المغربية، كما تلقى دروس حول فضائل العقيدة والأخلاق والآداب الاسلامية، ويتم عرض أصول الجماعة والترغيب في الخروج في سبيل الله وما يترتب عنه من إصلاح للأمة ورجوع العديد من الناس إلى الالتزام بشعائر الدين، ثم تتم الدعوة التي تشكل الجماعات التي ستنطلق للخروج في سبيل الله إلى مختلف المناطق داخل البلاد وخارجها حسب المدة التي يحددها كل شخص لنفسه، وهي تتراوح بين يوم واحد كحد أدنى وأربعة أشهر كحد أقصى.

تتلخص طريقة جماعة التبليغ في الدعوة لتشكيل مجموعات صغيرة، يلتزم كل فرد منها بتحمل نفقات طعامه وتنقله، وتوزع كل مجموعة الأعمال اليومية بين أفرادها بإشراف الرئيس الذي يدعى "الأمير"، فيقوم البعض بتنظيم أماكن الإقامة وعادة ما تكون بملحقات المسجد، كما يقوم البعض بشراء الطعام وطهيه، والتقشف والبساطة هما السمتان الغالبتان عليهم. وبعد التفرغ من هذه الأعمال يقوم الأفراد بتعلم آيات من القرآن الكريم أو ذكر الله أو قراءة بعض الكتب *كرياض الصالحين* للإمام النووي أو *حياة الصحابة* للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي. ويلتزمون خلال مدة الخروج في سبيل الله بإقامة الصلوات في أوقاتها وفي جماعة مع الاجتهاد في الدعوة والتعليم. وبعد صلاة العصر تخرج مجموعات صغيرة من المسجد تضم ثلاثة أو أربعة أشخاص إلى شوارع المدينة والأسواق لدعوة الناس إلى المسجد للاستماع "للبيان" وهو درس وعظي يلقيه أحد دعاة الجماعة يبين فيه احتياج الأمة إلى الدعوة ويرغب فيه في الخروج في سبيل الله. وأثناء الجولة لاستدعاء الناس يكون من واجب أفراد المجموعة الالتزام بمجموعة من قواعد الأخلاق كإلقاء السلام وغض البصر وكف الأذى وتحمل الصبر في الدعوة وعدم الرد على الاعتداء أو التهكم، كما يتم تجنب دعوة الناس المنهمكين في أشغالهم أو المرافقين لأهلهم، والتركيز فقط على الأشخاص المتجولين أو الذين لا يبدو عليهم القيام بشغل ما في حينه. وعند أذان المغرب تلتحق جميع المجموعات بالمسجد، وتكون كل مجموعة عادة قد دعت بعض الأفراد، فيتم الاستماع إلى "البيان" الذي يشرح حكمة الخروج في سبيل الله. ثم يتم تشكيل المجموعات الجديدة التي ستنطلق صباح الغد.

ومن بين ما يلاحظ في طريقة جماعة التبليغ اهتمامهم

في الدعوة بالأحياء الشعبية بالخصوص، وعدم إجابة الدعوة إلى الولائم أثناء الخروج حتى لا ينشغلوا بغير أمور الدعوة والذكر، وسلوك سبيل اللين والرفق في تعاملهم مع مدعويهم.

يعتمد منهج جماعة التبليغ على الدعوة الفردية المباشرة، وعلى أسلوب الوعظ والترغيب والترهيب والتأثير العاطفي، وحصر الاهتمام بدائرة الأصول الستة، وهكذا فإن أعضاء الجماعة يتجنبون الخوض في القضايا السياسية كيفما كانت، وكذا في الخلافات والتفريعات الفقهية. كما لا تعتمد الجماعة في الدعوة إلى مبادئها على أي أسلوب آخر من الأساليب المعتمدة في التواصل كنشر الكتب أو الجرائد أو المجلات أو تنظيم المحاضرات والندوات وغيرها. وليس في الجماعة عضوية رسمية، إذ المهم عندها هو الالتزام بمبادئها، ولا تفرض على أتباعها أي التزامات أخرى. وهي بذلك تختلف عن باقي التنظيمات الإسلامية المعاصرة من حيث الهيكلة.

ومن الملاحظ أن جماعة التبليغ في الأقطار العربية قد اضطرت إلى تبني العقيدة السلفية والالتزام بفقه السنة أمام الانتقادات التي وجهها لها العلماء السلفيون بالمشرق، بينما ظل أتباعها في الهند وغيرها من البلدان الأسيوية ملتزمين بالعقيدة الاشعرية والمذهب الحنفي، وقد هاجم أحد العلماء الوهابيين بالمغرب هذه الجماعة وأفكارها ونشر في ذلك كتابا وهو الشيخ تقي الدين الهلالي في كتابه *السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم* سنة 1979، ولكن جماعة التبليغ لا تهتم بالرد على ما يكتب حولها كيفما كانت طبيعة ذلك.

تقي الدين الهلالي، *السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم*، الدار البيضاء، 1979 ؛ *الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة*، الرياض، الندوة العالمية للشباب الاسلامي، 1982، ص. 113 - 121 ؛ فتحي يكن، *الموسوعة الحركية*، عمان، دار البشير، 1983، ج 2، 145 - 146 ؛ حسين بن محسن جابر، *الطريق إلى جماعة المسلمين*، الكويت، 1984 ؛ أبو الحسن الندوي، *الشيخ محمد إلياس وحركته الدينية*، د. ت ؛ *في مسيرة الحياة*، دمشق، دار الحكم، 1987، ج 1 ص. 185 - 194 ؛ محمد ضريف، *الاسلام السياسي في المغرب*، الدار البيضاء، 1992، ص. 210 - 215 ؛ جريدة *الاصلاح (الرباط)*، من 1/ع 2/ 27 مارس 1987، ص. 2 ؛ الدكتور صادق أمين، *الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية*، عمان، 1978.

محمد المغراوي

تَتَلْتْ (فم -)، هكذا يكتبها معربةً التامنارتي في *الفوائد* والحضيگي في *الطبقات*. ويُنطق بها محلياً إيمي نْ تتَلْت. وتكتب أيضاً بمدّ وبتثليث التاء الثانية : تاتلَت وتثلت. تقع قرية تتَلْت في منبسط قليل من الوادي بعد الدخول من منفتح في الجبلين بقبيلة سكتانة في حدور الأطلس الكبير شرق تارودانت، وبها زاوية ومدرستان علميتان قديمة وحديثة. وقد أنجبت تتَلْت خلال القرون الأخيرة علماء وصوفية صالحين من أبناء وحفدة الشيخ محمد بن يعقوب التتلتي الصنهاجي السكتاني، ترجم المختار السوسي في *المعسول* لأربعة وخمسين منهم "رفعوا راية العلوم والإرشاد أزمانا منذ أربعة قرون" بعضهم درس إلى أن مات في تتَلْت، وبعضهم شارط في مدارس أخرى ودفن هناك، ومنهم من لازال حياً يرزق وسنجتزئ هنا بذكر أربعة نماذج من مشاهير تتلت :

التتَلْتي، أحمد بن محمد بن يعقوب الصنهاجي السكتاني يدعى أحمد أمغار. خلف والده الشيخ آتي الترجمة في تعليم القرآن وتربية المريدين وإطعام الزائرين والمنقطعين بزاوية تتَلْت، وعنه كانت تُروى أخبار والده الشيخ ابن يعقوب.

عمر أحمد أمغار كثيراً فكان مقصد القبائل عند الشدائد يصلح بينها، ويُطفئ نيران الفتن الموقدة في تلك الجبال بعد وفاة أحمد المنصور، ويذكرون في سبب موته أنه ذهب إلى قبيلة إداوْزكري ليصلح بينها وبين جيش مخزني حاصرها، فُرفع علم الهدنة ومشى الشيخ أحمد أمغار بين صفوف المتحاربين لإبرام الصلح، لكن بعض المخزنيين أطلق عليه الرصاص متعمداً. وكانت وفاته عام 1037 / 27 - 1628، ودفن في تيمولايْ بقبيلة إداوْزكري، وبُنيت عليه قبة يقام حولها موسم سنوي. وبإزاء مشهده مدرسة يشارط فيها عالم باستمرار.

التتلتي، الحسن بن مَحمد الصنهاجي السكتاني الملقب مومو، من حفدة الشيخ ابن يعقوب، وُلد في 14 ذي الحجة عام 1290 / 2 فبراير 1874 ونشأ في زاويتهم بتتلت، حيث أخذ القرآن على مُقرئ الزاوية الاستاذ الكبير محمد ابن عبد الرحمن الكنسوسي، ودرس اللغة العربية والعلوم الشرعية على شيوخ الزاوية المتوافرين، كعلي بن عبد الله المغارتي السكتاني قرأ عليه في مدرسة تتَلْت السفلى العتيقة، وخاله الحسين بن محمد اليعقوبي وعبد الله بن واحمان السكتاني بمدرسة تتلت العليا وغيرهم، كما درس في مدرسة تيميشْا بسكتانة، وانتهى من طلب العلم عام 1318 / 1900 فتصدر في مسقط رأسه للقضاء والفتيا، إذ كان الفقه أكبر بضاعته، وتلقين الطريقة التجانية التي أخذها عن شيخه الناسك أحمد ابن موسى التيكاني الطاطائي في زاوية تيميشا. وشارط في عدة مدارس يعلّم القرآن ومبادئ العلوم اللغوية والدينية. ولما تقدمت سنه أقبل على الحديث الشريف وصار يسرد *صحيح البخاري* ويختمه في كل رمضان في زاويتهم بتتلت، أو بزاوية تيميشا التي درس فيها إلى أن توفي في شهر محرم عام 1366 / نونبر - دجنبر 1946.

التتَلْتي، الحسين بن محمد بن عبد الله الصنهاجي

السكتاني، من حفدة الشيخ محمد بن يعقوب آتي الترجمة "علامة جليل، كبير القدر، فذ من أفذاذ العلماء" بهذا حلاه محمد المختار السوسي.

درس في سوس على الأستاذ محمد بن يوسف الركني قبل أن ينتقل إلى مراكش للأخذ عن علماء جامع ابن يوسف "حيث أقام حتى ارتوى من المعارف".

تصدر للتدريس في مدرسة تتلت، كما درّس في مدرسة علي بن منصور، وتخرّج على يده جماعة من الفقهاء المشهورين بسوس. وكان في نفس الوقت يفتي ويقضي بين الخصوم، على صلة بكبار شيوخ التصوف المعاصرين له.

توفي حوالي عام 1316 / 1898.

التتلتي، محمد بن **يعقوب** الصنهاجي السكتاني، أحد مشايخ سوس الكبار في القرن العاشر، عاصر الشيوخ أحمد بن موسى التازروالي، ومحمد بن ويسعدن السكتاني وأضرابهم، وهو جد الأسرة اليعقوبية التي توالى فيها العلم والصلاح حتى اليوم. قال عنه صاحب *الفوائد الجمة* : "من أرباب المجاهدات، وأصحاب المقامات، له تربية نافعة في عصره، وبركة فائقة، وأحوال صافية صادقة".

حفظ محمد ابن يعقوب القرآن - بعيداً عن قريته - على يد الأستاذ الشهير حسين بن مسعود الأنماناري الگدميوي في منزله بضاحية أمزميز، وشارط ابن يعقوب في مدرسة الحجر (دوزْرُو) خمسة عشر عاماً يعلّم القرآن، وربما شارط وعلّم في قرى أخرى تُذكر. وأخذ التصوف عن عدد من شيوخ عصره، وتخرج على يده كثيرون ممن أدركوا منزلةً عالية في الصلاح والتربية والتدريس، أمثال محمد بن مسعود النظيفي شيخ عبد الرحمن التامنارتي، والحسن بن أبي بكر التيزگيني، ومحمد بن أبي بكر التيسينتي.

أسس ابن يعقوب زاويته في فم تتلت بمكان لازرع فيه ولا ماء إلا بُويرة صغيرة، ومع ذلك كانت تردُ عليه فيه المآت من المريدين والزائرين فيطعمهم بين الليل والنهار أربع مرات في اليوم والليلة. وفي زاويته قال السلطان عبد الله الغالب حين طلب منه بعض المتصوفين ساقية يقيم بها زاوية : "الزاوية بالله لا بالساقية" فصار مثلاً بين أرباب الزوايا حتى الآن. وكرامات الشيخ محمد ابن يعقوب كثيرة ألف فيها أحمد بن إبراهيم الركني كتاباً سماه، *شفاء القلوب ومواهب علام الغيوب في مناقب الشيخ سيدي محمد بن يعقوب*، لخص بعضها المختار السوسي في خمس عشرة صفحة من *المعسول*، وقال : "لم نجد بداً الآن إزاء هذه الشخصية الغريبة إلا أن نبرزها للقراء كما هي في بيئتها وفي محيط المعتقدين لها. وليت شعري بماذا يعرف مثل ابن يعقوب إن لم يذكر في أخباره مواد الهالة التي تكونت حوله مما ذاع وشاع ..."

وما تزال زاوية ابن يعقوب قائمة إلى اليوم في تتلت، وقد زارها المختار السوسي ووصفها بتوسع في *خلال جزولة* و*المعسول*، وقال "هي العامرة وحدها إلى الآن بما تعطيه لها القبائل من بين زوايا الشيوخ الذين عاصروا ابن يعقوب ... فإن زاوية فم تاتلت لم تزل مقصودة آهلة بالمنحاشين إليها، والعادة المتبعة أن ياوي إليها كل مسكين شاء فيأكل الوجبتين الغداء والعشاء، وكذلك من ورد أياً كان ... وكل ما كان معهوداً أن يعطي إلى زاوية الشيخ من القبائل لايزال يعطي كما هو لا يقدر أحدٌ أن يتملص منه".

يقام في زاوية تتلت موسمان كبيران في مارس وأبريل، تساق إليهما مآت الذبائح من الغنم والبقر. وفيها مدرستان، سفلى وهي القديمة التي يقال إنها من عهد الشيخ ابن يعقوب، وعليا محدثة بعده، وقد درس فيهما بتعاقب الأزمان عدد من فطاحل علماء سوس. وتقوم أهراء الزاوية العامرة بالحبوب والإدام بإطعام المعلمين والمتعلمين. وفيها خزانة كتب قد تكون فيها كتب قيمة.

توفي الشيخ محمد بن يعقوب يوم الجمعة سابع شوال عام 963 / 15 غشت 1556 بمسقط رأسه فم تتلت وقبره شهير يترك به.

ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، 58 ؛ أ. الركني، *شفاء القلوب ... في مناقب الشيخ محمد بن يعقوب*، مخطوط ؛ الرسموكي، *وفيات*، 44 ؛ م. الحضيگي، *طبقات*، تح. أ. بومزرگو، مرقون د. د. ع كلية آداب الرباط، 1 : 208 - 209 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 3 : 121 - 130 ؛ *رجالات العلم*، 24 ؛ *المعسول*، 16 : 49 - 71 ؛ 72 - 76 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 1 : 129.

محمد حجي

التجارة المغربية في القديم، لا يمكن الخوض في الحديث عن التجارة في المغرب القديم دون الإشارة إلى النصّ الشهير الذي كتبه هيرودوت المؤرخ اليوناني حيث قال : "يوجد في ليبيا، فيما بعد أعمدة هرقل، قطر إذا ما وضع القرطاجيون بضائعهم فيه، طوال الشاطئ، يلتحقون بمراكبهم ويوقدون ناراً لانتاج الدخان. وعندما يشاهد أهالي القطر الدخان، يأتون إلى الشاطئ ويضعون الذهب بجانب البضائع المعروضة للبيع ثم يبتعدون ... لا يمس القرطاجيون الذهب مالم يقتنعوا بأن الكميات المطروحة منه تكفي لمقايضته بسلعهم، كما أن الأهالي لا يمدون أيديهم إلى تلك السلع ما لم يأخذ القرطاجيون الذهب".

لكن ما يسوقه لنا هذا المؤلف من معلومات، يظل مشكوكاً في صحته، وبالتالي لايمكن تزكيته. وبالمناسبة، نشير إلى أن المؤرخين الذي جاؤوا بعد هيرودوت، لم يعالجوا موضوع التجارة في غرب شمال افريقيا إلا بصورة غير مباشرة، وأن ما يمكن استنتاجه من أخبار في هذا الشأن يبقى بعيداً عن الايفاء بالحقيقة ولايسمح مطلقاً برسم صورة وافية غن المبادلات التجارية.

ما كان بوسع المغرب القديم أن يقيم علاقات تجارية مع الأقطار العُظمى إلا عبر شواطئه الطويلة الاطلنتية والمتوسطية على السواء. ولم يكتشف إلى اليوم أي ميناء مغربي كان له دور تجاري في القديم، وهذا لا ينفي أن

المراكز الحضرية الشاطئية كانت تتوفّر على تجهيزات مرسوية متباينة الأهمية لاستقبال السفن، لاسيما على ضفاف خليجي طنجة وسبتة وعلى مشارف مصب الأنهار (مثل تاهدارت، الأقواس، ليكسوس، ثاموسيدا، شالة ...)، كما يبدو أن بعض المراسي كانت على ضفاف الانهار (مثل ثاموسيدا وبناسة بجوانب واد سبو).

لكن معلوماتنا تبقى زهيدة للغاية في موضوع ما إذا كانت الشواطئ المتوسطية المغربية تتوفّر أو لا تتوفّر على مراسي أخرى غير مرسى مليلية / روسادير (؟) والمرسيين المذكورين أعلاه.

إن المدن الداخلية والمواقع القروية التابعة لها كانت تستقطب نشاطاً تجارياً هاماً بفضل ما مضى يربطها من شبكة طرقية ورد بيانها في الرسم الذي وضعه أنطونان، كما تعرّفنا على مدن أخرى على ضوء الاكتشافات الآثارية. وهكذا اتبيّن أن طريقين رئيسيتين كانت إحداهما تربط طنجة بوليلي والأخرى تربط طنجة بشالاً، تفرّعت عنهما طرق إلى أمهات القرى. ومما يثير الانتباه أن أبراجا للحراسة شيّدت على جوانب الطرق والمسالك، تتخلّلها محطات للمسافرين رفعت الأبحاث الآثارية الحجاب عن الكثير منها.

الشبكة الطرقية المذكورة التي كانت تدعّمها أشكال من التجهيزات المرسوية، ظلت حينا من الدهر تسمح للمدن والبوادي التابعة لها بترويج منتجاتها ومقايضتها ببضائع أخرى، سواء على المستوى القطري أو على المستوى الخارجي عبر الثغور المتوسطية المغربية.

تكاد النصوص القديمة لاتزودنا بما يشفي الغليل فيما يتعلق بالبضائع المحلية كما ان الأبحاث الآثارية لم تكن من جانبها لتفيدنا بشيء من الأخبار عن طبيعة المبادلات وحجمها. نعم، تتوفّر لدينا الشهادات الدالة على ما كانت تجود به ممارسة الزراعة وتربية الانعام، يشخّصها ما اكتُشف من أرحاء لطحن الحبوب ومعاصر الزيتون ومكوايات لوسم الأنعام. ومع ذلك، لايتأتي لنا تقدير أهمية هذه الانشطة. إن معاصر الزيتون التي تمّ احصاؤها بوليلي وناحيته تقيم الدليل على تطور زراعة الزيتون في هذه المنطقة من المغرب خلال عهد الرومان، كما أن أرحاء الحبوب والمكوايات المذكورة التي تمّ العثور عليها بمراكز تقع بناحية الغرب وبناسا وتاموزيدا، لدليل آخر على ممارسة زراعة القمح وتربية المواشي في سهول الغرب الطميية، الأمر الذي يحمل على الاعتقاد أن المراكز المحادية لغابة المعمورة لم تكن لتجهل فوائد الاستغلال الغابوي. وفي هذا الصدد، يفيدنا بلين الأول أن بطوليموس، ملك المغرب العتيق كان يفتخر بامتلاك أكبر طاولة من الخشب يعرفها أهالي ضفاف البحر المتوسط، كما أن أولئك الأهالي كانوا يصطادون الوحيش.

وعثر علماء الآثار، على امتداد الشواطئ الاطلنتية والمتوسطية، على أطلال لمعامل تمليح الاسماك ولإنتاج مرق مفلفل مصنوع من حواياها، إذ كان الرومان يقبلون على استهلاكه. وكانت هذه المعامل تقع بالخصوص بإيمسا والرأس الأسود والقصر الصغير وكوتا وتاهدارت والقواس، وليكسوس وثاموسيدا وبجزيرة الصويرة ...، وكلها تشكّل حجة لنشاط بحري مكثّف، سواء في ميدان التجارة أو ميدان الصيد وتحويل منتجات البحر.

ومنذ الفترة التي سبقت العهد الروماني بالمغرب، كانت هذه المنتجات تصدّر إلى العديد من الجهات التي تقع على ضفاف البحر المتوسّط. من ذلك ان أمفورات - وهي قلل ذات عروتين - مصنوعة بالقواس خلال القرن الرابع قبل ميلاد المسيح، وجدت بأقاليم شرق حوض البحر المتوسط وبكورانثة بالضبط، كما أن جزيرة الصويرة أثارت الانتباه بوجود المُرّيق حولها، فاستجلب الفنيقيين إليها لاستغلاله في إنتاج الأرجوان، وهو صبغ استعمله القدامى لصباغة النسيج المستخدم من طرف الأغنياء. ولهذا السبب، أطلقوا على جزيرة الصويرة والصخور المحيطة بها اسم الجزر الأرجوانية، وقد ثبت أن هذا الاستغلال تواصل إلى القرن الرابع بعد الميلاد.

وفيما يخص الواردات تطلعنا التنقيبات الآثارية التي أجريت في عدة مواقع عتيقة بالمغرب على التيارات التجارية بين المغرب وغيره من الأمصار، وذلك منذ العهد الفينيقي، غير أنه يبقى من المستحيل وضع لائحة شاملة للمستوردات المغربية في تلك الحقبة من الزمن، لأن المنتجات الاستهلاكية لم تكن قابلة للتصبير، وبالتالي يتعذّر التعرف عليها من خلال الحفريات. ومع ذلك، فإن تطور الأبحاث الآثارية التي جرت تحت الماء ساعدت على وضع خريطة تحظى بقدر من المصداقية حول ما كانت عليه المبادلات التجاريّة في الشواطئ المتوسطية خلال تلك الفترة القديمة.

وخلال العهد الفينيقي، أي أثناء القرون الثامن والسابع والخامس قبل الميلاد، مضى البحّارة الفينيقيون يُنزلون بالشواطئ الأطلنتية المغربية الممتدّة من ليكسوس إلى جزيرة الصويرة منتجات خزفية ممتازة الصنع، خرجت من معامل في عدة أقاليم شرق متوسطية ومن الجزر اليونانية، حتى إن القلل الكورانتية التي عثر عليها بجزيرة الصويرة، لدليل على أن الزيوت والخمور اليونانية كانت ترد إلى ذلك الموقع.

ويعني هذا ان المادتين الغذائيتين المذكورتين، إضافة إلى الاسماك المصبرّة بالملح وغيرها من المملّحات، شكّلت القسط الأوفر من الواردات الثابت تسويقها في المدن المغربية وبواديها حتى العهد الروماني.

وخلال القرنين الأول والثاني بعد الميلاد، كانت الأسواق المغربية تستقبل الزيوت الإسبانية دون غيرها، كما كان الحال في القرن الأخير قبل الميلاد، مع بعض الاستثناء حيث كانت الزيوت تأتي كذلك من إيطاليا، ولاسيما من إقليم بريندس الواقع على شواطئ بحر الادرياتيك. وكان الزيت

الإيطالي ينقل في القلل المستديرة والاسباني ينقل في قلل من صنف دريسيل 20. ويبدو أن تطور انتاج الزيوت في المغرب خاصة وشمال افريقيا عامة، ابتداءً من القرن الثاني بعد الميلاد، مكّن من تقليص حجم واردات الزيوت الإسبانية إلى المغرب.

أما استيراد الخمور، فإنه سار على درب الحركة التجارية التي طالت المنتجات الزيتية. وبات من المؤكّد ان هذه الخمور كانت تنقل في قلل من صنف دريسيل 1 وتأتي من منطقة الفيزوف الايطالية خلال الفترة التي كان المغرب يسمى فيها موريطانيا الطنجية. وانطلاقاً من عهد القيصر أغسطس، صارت الخمور الايطالية تنقل إلى المغرب في قلل من صنف هالْتْرينْ 70 ودريسيل 4 ـ 2.

الأسماك المجفّفة والمملحات كانت هي الأخرى تستورد بكمّيات كبرى، وقد سمحت الاكتشافات الآثارية بالتعرف على أعداد وافرة من القلل المصنفة بدريسيل 18 ودريسيل 11 ـ 7 وبلتران 2 ـ ب التي كانت تستعمل في نقل منتجات البحر التي يُستورد أغلبها من المواقع الإسبانية من أرباض جبل طارق. لكن وجود عدد وافر من معامل الأسماك على طول الشواطئ المغربية وأكبر مركّب للتمليح في العالم الروماني الذي عثر على أطلاله بمدينة ليكسوس، علاوة على اكتشاف معامل لصناعة القلل بالقواس لنقل الأسماك، كلها عناصر تدفع إلى الظن أن المغرب كان يصدّر منتجات البحر.

وإلى جانب مواد الاستهلاك، كانت مملكة المغرب ـ التي أصبحت إقليماً تابعاً للأمبراطورية الرومانية في سنة 40 بعد الميلاد ـ تستورد كميات وافرة من الخزفيات النفيسة، ضمنها المزهريات اليونانية والمنتجات الخزفية المختومة البيضاء من صنف د، وغيرها من المتنوعات الطينية والخزفية الخاصة بالبحر المتوسط.

وكانت البورجوازية المحلّية والمدن الحضرية تستورد المنتجات الفنّية، مثل التماثيل الكبرى والصغرى وغيرها من التحف الرخامية أو النحاسية التي كانت تزين البيوت والمؤسسات العمومية.

Hérodote, *Histoires* ; A. Akerraz, V. Brouquier et E. Lenoir, *L'occupation antique de la plaine du Gharb, VIème Colloque International sur l'archéologie et l'histoire de l'Afrique du Nord*, (à paraître) ; Rebuffat, *L'implantation militaire en Maurétanie Tingitane*, idem ; A. Akerraz et M. Lenoir, *Les huileries de Volubilis*, *BAM* 14, 1982 - 1983 ; Pline l'Ancien, *Histoire Naturelle* ; M. Ponsich et M. Tarradell, *Garum et industries de salaisons en Méditerranée occidentale*, Paris, 1965 ; P. Rouillard, *Le commerce grec du Vème et IVème siècles av.J.-C. dans les régions de Lixus et Gadès*, *Lixus, Actes du colloque organisé par l'Institut des Sciences de l'Archéologie et du Patrimoine* (Larache 8 - 11 novembre 1989), Rome, 1992, p. 207 - 215 ; M. Ponsich, *Note préliminaire sur l'industrie préromaine en Tingitane*, *Karthago* 15, 1960 - 1970 ; *Nouvel aspect de l'industrie préromaine en Tingitane*, *BCTH n.s.* 4, 1968 ; M. Lenoir, *Lixus à l'époque romaine*, *Lixus, Actes du Colloque organisé par l'Institut National des Sciences de l'Archéologie et du Patrimoine*, (Larache, 8 - 11 novembre 1989), Rome, 1992, p. 274.

عمر أكراز، ترجمة أحمد بنجلون

* * وفي العصر الوسيط، شهد المغرب نشاطا تجاريا مهما بفعل تنظيمه للمبادلات مع المناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى. ويعود تاريخ العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي إلى عهود ضاربة في القدم، غير أن المرحلة الممتدة بين القرن الرابع (10 م) والقرن الثامن (14م) تمثل العهد الذهبي لهذه العلاقات نظرا لما عرفته من انتظام في عملية الاتصال والتواصل وما ترتب عن ذلك من تفاعل حضاري في مختلف المجالات.

كانت المبادلات التجارية بين المغاربة والسودانيين تتم في بداية الأمر عبر ما يسمى بالتجارة الصامتة. وقد ذكر القزويني أن هذا الأسلوب في التبادل التجاري استمر العمل به في القرن السادس (12 م) بحيث كان التجار يضعون بضائعهم ويضربون طبولا ليعلموا القوم ثم يتراجعون فيأتي السودانيون بالتبر ويضعون بجنب كل متاع شيئا من التبر وينصرفون، ثم يأتي التجار ويأخذ كل واحد ما وجد بجنب بضاعته، ولا يذكر أحد من هؤلاء التجار أنه رأى أحداً منهم (*آثار البلاد*، 19). وما ذكره هذا المؤلف لا ينطبق على المرحلة التي عاش فيها بقدر ما يعبر عن الكيفية التي كان يتم التعامل بها في العهود القديمة خصوصا وأن بلاد السودان الغربي كانت في العصر الوسيط خاضعة لنفوذ ممالك مسلمة ويوجد بمدنها وقراها عدد مهم من التجار المغاربة والفقهاء والقضاة حتى إن منهم من تولى الوزارة في مملكة غانا كما جاء عند البكري.

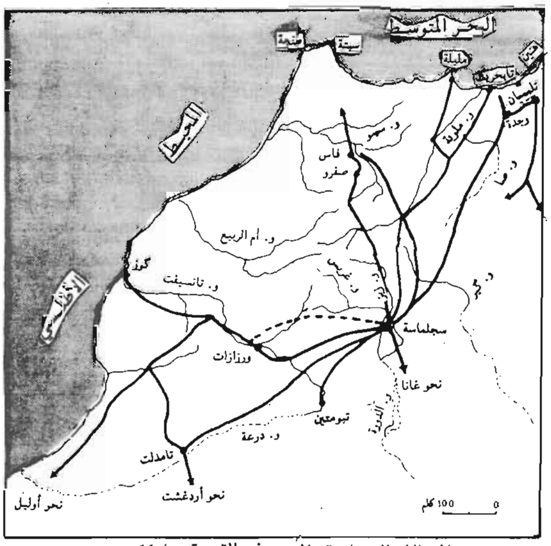
لعبت مناطق واحات المغرب الأقصى دوراً مهما في عملية ربط الاتصال بين مناطق الشمال والسودان الغربي بحكم موقعها على أبواب الصحراء الكبرى. غير أن تأسيس مدينة سجلماسة وازدهارها السياسي في عهد المدراريين وبني خزرون ثم المرابطين ومن أتى بعدهم جعل من مجالاتها منطقة فاعلة في المبادلات التجارية وأثر على أولويتها مقارنة مع مجالات درعة وواد نون مدة طويلة من الزمن لأن موقعها يتوسط المجال الواحي والمسافة ما بينها وبين تلمسان وفاس ومراكش على حد سواء، فمن حيث قصدت إليها من أحد هذه البلاد كان ذلك مسافة عشر مراحل (*المعجب*، 357).

ارتبطت واحات المغرب خاصة منها سجلماسة ببلاد السودان عبر شبكة مهمة من الطرق. وابتداءً من القرن الرابع (10 م) شرعت المسالك التجارية الصحراوية في الميل نحو الغرب بفعل العامل المناخي (*صورة الأرض*، 143 ـ 144). وكان لا بد من انتظار القرن الموالي لتعرف المسالك الغربية استقراراً واضحاً في اتجاهها وهو ما لم يحدث عليه تغير كبير في المراحل اللاحقة. يشهد على ذلك تطابق أوصاف البكري لهذه المسالك مع أوصاف الذين أتوا بعده إلى حدود القرن الثامن (14 م).

والمسالك التجارية الغربية التي ربطت المغرب الأقصى بالسودان الغربي في العصر الوسيط ثلاثة : الطريق الساحلي، طريق سجلماسة غانا عبر أودغست وهو الطريق الوسط، وطريق سجلماسة ـ تمبكتو عبر ملاحة تغازى الذي يمر في العروض الشرقية للمغرب الأقصى والذي انتهت إليه

الأهمية في الاستعمال قبل أن يفقد المغرب أوليته في التجارة الصحراوية أمام حيوية التجار المصريين في القرن الثامن (14 م).

إن الطريق الساحلي هو أقدم هذه الطرق من حيث الاستعمال، كانت له أهمية كبيرة في العهود القديمة والفترة المبكرة من التاريخ الوسيط إلى حدود القرن الخامس (11 م) حيث قل استعماله بسبب اكتشاف ملاحة "تاتنتال" التي عرفت باسم تغازى فيما بعد (انظر مادة تاتنتال). ويتخذ هذا الطريق شكل مثلث ما بين سجلماسة وملاحة "أوليل" وأودغست (انظر الخريطة) وكان السير عبره يتطلب من التجار مسيرة ستين يوما (*صورة الأرض*، 91).



المسالك التجارية بالمغرب في القرن 5 هـ / 11 م

لم يكن هذا الطريق يتوفر على نقط الماء في المسافة الفاصلة بين نول لمطة وأوليل لأن التربة بهذا المجال عبارة عن صفا يصعب حفره بالمعاول (*المسالك*، 172 ؛ *الاستبصار*، 213-214). لكن التجار استمروا في استعماله رغم اكتشاف ملاحة تاتنتال في القرن الخامس (11 م) بدليل ما ورد في المصادر الجغرافية في القرنين التاليين السادس والسابع عن دور ملاحة أوليل في تزويد بلاد السودان بمادة الملح. وعليه، فإن التخلي عن استعمال هذا الطريق لم يتم قبل زمان ابن سعيد المغربي (*سجلماسة*، 324-326).

أما الطريق الوسط فكان يربط سجلماسة بغانا عبر وادي درعة ووادي ترج (تارگا = الساقية)ا الذي من المحتمل أن يكون المقصود به الساقية الحمراء ثم أودغست فغانا. وهذا الطريق لا يمر بالمراكز الحضرية المهمة في الجنوب المغربي كتامدولت ونول لمطة، لكن ميزته أنه مباشر تقل مسافته عن مسافة الطريق الساحلي (البكري، 164)، ونميل إلى الاعتقاد بأن هذا الطريق لم تكن له أهمية كبيرة في ربط بلاد المغرب ببلاد السودان وأنه كان مستعملا في طريق العودة من بلاد السودان أكثر من استعماله في طريق الذهاب (*سجلماسة*، 327 والخريطة رقم 1).

أما الطريق الثالث الذي كان يربط سجلماسة بغانا عبر تامدولت، تاتنتال، أودغست فغانا في القرن الخامس فهو الذي استمر التجار في استعماله للوصول من سجلماسة إلى ايولاتن وتنبكتو في فترة سيادة مملكة مالي. ويظهر أن استعماله أثر على حيوية الطريق الساحلي والطريق الواقع إلى الشرق منه، أي الطريق الوسط دون أن يبعد التجار عنهما بصفة نهائية، وقد اتخذ أهمية التجارة بفعل استغلال ملاحة تاتنتال في القرن الخامس (انظر مادة تاتنتال والخريطة رقم 1).

تزامن نشاط هذا الطريق التجاري أيضاً مع ما عرفته الخريطة الحضرية ببلاد السودان الغربي من مستجدات بعد اندراس مدينة أودغست على يد المرابطين في منتصف القرن الخامس و"كومبي صالح"، عاصمة غانا في أواخر نفس القرن ثم تأسيس مدينة إيولاتن في أواخر ثلاثينيات القرن السادس لتضطلع بمهمة الإشراف على المبادلات بين الشمال والجنوب (*سجلماسة*، 328-334).

كانت الرحلة عبر هذا الطريق تتطلب إحدى وخمسين مرحلة، ونظراً للأهمية التي كانت له في مجال المبادلات ذكر البكري مراحله بدقة متناهية (*المغرب*، 156-158). وهذا الطريق هو الذي سلكه ابن بطوطة في ذهابه إلى مالي سنة 752 هـ / 1351 م (*الرحلة*، 2 : 773-776) وهو ما يؤكد استمرار اتجاه الطرق على ما كان عليه منذ القرن الخامس. وقد شهد النصف الثاني من القرن الثامن (14 م) تغيرات مهمة في هذا المجال، وهذا ما نلمسه من خلال تتبع طريق عودة ابن بطوطة من بلاد السودان عبر تگدا، غات، رفقة تجار مصر ثم توات فالهگار فسجلماسة، أي عبر مجالات تقع إلى الشرق من مجالات المغرب الأقصى. وتجب الإشارة هنا إلى أن النشاط الذي عرفه *طريق* سجلماسة مالي عبر تغازى في القرن الثامن لم يكن معزولا عن ميل الطريق التجارية مجددا نحو الشرق فكان لما عرفته بلاد الصحراء من ظروف انعدام الأمن في هذه الفترة بالذات بالغ الأثر في توجه التجار شيئا فشيئا نحو الشرق بحثاً عن مناطق آمنة، وهذا ما أثر على مناطق سجلماسة وتامدولت بشكل سلبي وأدى إلى خراب المدينتين معا في أواخر القرن الثامن (*سجلماسة*، 328).

وارتبطت مناطق الواحات أيضا بشبكة مهمة من الطرق مع مختلف جهات المغرب عبر ثلاثة محاور رئيسية، أولها محور سجلماسة - فاس وباقي مدن الشمال، وكان يُستعمل فيه *طريقان*، واحد يتبع مجرى وادي زيز ومسافته مسيرة ثمانية أيام، والثاني يمر بتالسينت ومطماطة أمسكور ومسافته ما بين إحدى عشرة مرحلة واثني عشر يوماً (*المغرب*، 147 والخريطة رقم 2). وثانيهما محور سجلماسة - الشمال الشرقي وقد عرف استعمال *طريقين* أيضا : واحد كان يمر بوادي زيز ثم وادي گير ثم وادي صاع (زا) فوجدة ومنها إلى تلمسان، وهذا الطريق كان يستعمل في القرن الخامس (*المغرب*، 38) والثاني وصفه الإدريسي في القرن السادس وذكر أنه قليل الاستعمال لأن أغلب مراحله مفازة

وأهم محطاته بين تلمسان وسجلماسة غير معروفة الآن (*نزهة المشتاق*، 56) وهذا الطريق الثاني أقل مسافة من الأول لأنه يتجه من الشمال إلى الجنوب في اتجاه عمودي تم استعماله بكثرة في الفترة التي كانت فيها سجلماسة خاضعة للزيانيين سلاطين تلمسان (*سجلماسة*، 340 والخريطة رقم 2). كما ارتبطت مدن الواحات أيضا بالمدن الجنوبية الواقعة على الواجهة الغربية لجبال درن كأغمات ونفيس ثم مراكش عبر وادي درعة وممرات جبال درن (البكري، 152). وقد لعبت الممرات الطبيعية التي توفرها أودية جبال درن دوراً بارزاً في تسهيل عملية الاتصال بين المدن الشمالية ومدن الواحات، لذلك كان طريق سجلماسة ـ فاس يمر عبر تيزي ـ ن ـ تالغمت وطريق سجلماسة ـ تادلا عبر تيزي مقورن كما سمحت ممرات تيزي ن بجو وتيزي ن تلكاز وتيزي ن تافيلالت بربط سجلماسة بمناطق درعة والسوس (انظر المسالك التجارية الداخلية في الخريطة رقم 2).

سمحت هذه الشبكة من الطرق بتنظيم العملية التجارية على الصعيدين الداخلي والخارجي وكانت النتيجة ازدهار الرواج التجاري بالمغرب في العصر الوسيط. وهذه الطرق التجارية الداخلية منها والصحراوية لم تكن تتبع دائما المسالك السهلة الاجتياز أو الجهات التي تتوفر على مصادر الماء أو غير ذلك من العوامل الطبيعية المساعدة على تسهيل التنقلات والأسفار بل ارتبط اتجاهها أيضا بالعامل الأمني والسياسي ،وهكذا كلما بدا خطر ضعف الخفارة واحتمال اعتراض العير في جهة من الجهات ابعد التجار عن المسير في تلك الطريق بحثاً عن سبل أخرى آمنة، والأمثلة كثيرة في هذا الباب سواء تعلق الأمر بالمسالك التجارية الداخلية أو المسالك التجارية الصحراوية.

وقد خضع التجار في العصر الوسيط لتنظيم محكم كانت الغاية منه التغلب على الصعوبات التي تعترضهم بالصحراء الكبرى حيث شدة الحر وقلة الماء وهبوب الرياح الغبارية التي تغير من الآثار الطبيعية التي يتم الاعتماد عليها في تحديد اتجاه الطرق بسبب نقلها كثبان الرمال من مكان إلى آخر (*نزهة*، 9 ؛ *الرحلة*، 2 : 774).

ويصعب الحديث عن تنظيم القوافل وخضوعها لتسيير محكم قبل القرن الثامن (14 م) لأن الإشارات التي وصلتنا في هذا الموضوع كانت عبر ما كتبه ابن بطوطة عن رحلته إلى مالي، لكن انعدام هذا النوع من المعلومات في المصادر السابقة لا يعني أن هذا التنظيم هو وليد القرن الثامن بل ليس هناك ما ينفي اعتماده من قبل التجار منذ أن شرعت المسالك التجارية الغربية في اختراق المجابة الكبرى الواقعة إلى الشرق من الطريق الساحلي.

كان المسؤول عن القافلة في العصر الوسيط يعرف باسم القائد وهو الناطق والمفاوض باسم التجار والمشرف على كل ما يتعلق بتنظيم رحلتهم، وكان له أعوان يساعدونه في مهامه كالدليل والتكشيف، فالأول كان يستأجره التجار بأوفر الشروط ليدلهم على اتجاه المسالك لدرايته بها من كثرة تردده على المفازات (*العبر*، 7 : 77 ؛ ابن بطوطة، *الرحلة*، 2 : 775). وأما الثاني أي التكشيف فهو اسم لكل رجل يكتريه أهل القافلة ليتقدم بكتبهم إلى أصحابهم بإيولاتن حتى يكتروا لهم الدور ويخرجوا للقائهم بالماء. ومهمة التكشيف صعبة للغاية لأن نجاح القافلة في الوصول إلى إيولاتن متوقف على نجاحه في مهمته (ابن بطوطة، *الرحلة*، 2 : 775) وقد كان التكشيف يستأجر بمائة مثقال في القرن الثامن مقابل تقدمه أمام القافلة من قرية تاسرهلا إلى إيولاتن.

ولا نعلم الطريقة التي كان قائد القافلة يعتمدها في إدارة شؤون التجار كما لا نعلم شيئا عن الكيفية التي كانت تتم بها عملية تأدية أجور كل من الدليل والتكشيف، خاصة وأن بضائع التجار لم تكن متساوية في القافلة. فهل كان التجار يؤدون أجور هؤلاء الأشخاص تبعا لقيمة سلعهم أم تبعا لحصول إبلهم أم أن هذه المصاريف كانت تقتسم على الرؤوس بالتساوي دون مراعاة لتجارة كل واحد منهم على حدة ؟

وعرفت التجارة الصحراوية إلى جانب هذا التنظيم المحكم الذي أملته صعوبة التنقل في القفر تنظيماً آخر لا يقل أهمية، ويتعلق الأمر بالشركات التجارية كما هو الحال بالنسبة لشركة أسرة المقري التي أسست في القرن السابع (13 م) واستمر نشاطها إلى ما بعد نهاية النصف الأول من القرن الثامن (14 م) وكان لها ممثلون بتلمسان وسجلماسة وإيولاتن. وقد سجل لسان الدين بن الخطيب كيفية العمل في هذه الشركة التجارية وعنه نقل المقري مادته في هذا الموضوع مع إضافات قليلة لا تخلو من فائدة (*الإحاطة*، 2: 192 ـ 194 ؛ *نفح الطيب*، 5 : 205).

كانت التجارة الصحراوية تدر أرباحاً كثيرة على المشتغلين بها وقد فسر ابن خلدون ذلك ببعد الطريق ومشقته وقلة سلع بلاد السودان بالمغرب واختصاصها بالغلاء، وكذلك سلع المغرب لديهم، وقال بأن المترددين في أفق واحد بين أمصاره وبلدانه فائدتهم قليلة وأرباحهم تافهة لكثرة السلع وكثرة ناقليها (*المقدمة*، 497). وقد نقل بن الخطيب عن أبي مدين الغوث قوله في نفس الموضوع : إن تجار الصحراء يذهبون بخبيث السلع ويأتون بالتبر الذي كل أمر الدنيا له تبع (*الإحاطة*، 2 : 193).

وليس من السهل تحديد القيمة الحقيقية للمبادلات التجارية بين المغرب وبلاد السودان وكذلك بينه وبين أوربا في العصر الوسيط، لأننا لا نعرف كمية ولا ثمن السلع المصدرة والمستوردة نتيجة إغفال المصادر الجغرافية للمعلومات المساعدة على معرفة ذلك. وقد تعددت سلع بلاد المغرب التي تم نقلها إلى السودان الغربي حسب الفترات التاريخية وتشكلت في غالب الأحيان من مواد مصنعة ومنتجات فلاحية وقلما تم نقل المواد الخام باستثناء الأصواف والخشب، ويمكن تتبع تطور أنواع السلع المتاجر

فيها حسب الفترات التاريخية من خلال الجدول التالي :

سلع بلاد المغرب المتاجر فيها ببلاد السودان ما بين القرنين 5 / 11 م و8 / 14 م

مواد مصنوعة	مواد غير مصنوعة	انتاج فلاحي	المرحلة الزمنية	مصدر المعلومات
ـ الأواني النحاسية ـ ثياب زرقاء وحمراء ـ الودع	الملح		القرن 5 هـ / 11 م	البكري ص. 159
ـ النحاس الأحمر والملون ـ الخرز ـ الأكسية وثياب الصوف ـ العمائم ـ المازر ـ النظم الزجاجية ـ الأصداف والأحجار الكريمة ـ الأفاويه والعطر ـ آلات الحديد	الصوف الملح	التمر الحناء	القرن 6 هـ / 12 م	الإدريسي ص. 4 و42
ـ خرز الزجاج ـ الأسورة والخواتم والحلق النحاسية	خشب الصنوبر خشب الأرز الملح		" "	القزويني ص. 19
ـ الودع ـ النحاس المسبوك	الملح	التاكوت	" "	*الاستبصار* ص. 222
ـ الأصداف ـ الأسورة النحاسية	الملح	التمر	القرن 7 هـ / 13 م	*نتائج الحفائر الأركيولوجية* D.T. Nian, p. 155
ـ النحاس ـ الودع	الملح	التين	القرن 8 هـ / 14 م	أبو الفدا ج. 1، ص. 96
ـ حلي الزجاج ـ السلع العطرية ـ عطر القرنفل ـ تاسرغينت	الملح	التمر	" "	ابن بطوطة ج. 2 ص. 779

يتضح مما سبق أن بعض السلع لم تختف من قائمة البضائع المتاجر فيها طيلة العصر الوسيط كالمصنوعات النحاسية والملح. وهذا ما يؤكد ما كانت تلقاه من رواج في الأسواق السودانية، كما أن بعض السلع الأخرى، لم تستطع لسبب من الأسباب أن تضمن لنفسها مكانا ضمن صادرات بلاد المغرب إلى بلاد السودان كما هو الحال مع المصنوعات الصوفية التي لم يرد لها ذكر ضمن سلع التجارة الصحراوية بعد القرن السادس (12 م) وقد نجد لذلك تفسيراً فيما وصلنا عن سوق المنسوجات القطنية ببلاد السودان في القرن الثامن (14 م) من خلال شهادة ابن بطوطة التي أكدت إقبال الماليين على المنسوجات المصرية، وابن فضل الله العمري الذي أشار إلى أن امبراطورية مالي كانت تنتج القطن وتصنع منه ثيابا ناصعة البياض (ابن بطوطة، *رحلة*، 2 : 799 والعمري، ص. 65).

وقد ظهرت المنتجات الفلاحية ضمن قائمة السلع المتاجر فيها ابتداء من القرن السادس (12 م) كما أن سلعا أخرى تم نقلها إلى بلاد السودان لم يرد ذكرها في المصادر الجغرافية وأكدت نتائج البحث الأثري وجودها كما هو الحال بالنسبة للأواني الفخارية.

أما السلع التي تم نقلها من بلاد السودان إلى المغرب فيأتي على رأسها التبر والعبيد ومواد أخرى يمكن رصدها في الجدول التالي :

سلع بلاد السودان إلى المغرب	المرحلة الزمنية	مصدر المعلومات
ـ العنبر ـ الذهب الإبريز	القرن 5 (11 م)	البكري، ص. 159
ـ التبر ـ عبيد للم	القرن 6 (12 م)	الادريسي ص. 5 ـ 7
ـ الذهب ـ الشب	القرن 6 (12 م)	القزويني ص. 25 ـ 26
ـ الذهب ـ الأسواط التي تسمى بالسراقيات	القرن 6 (12 م)	*الاستبصار* ص. 114
ـ التبر ـ عبيد للم	القرن 7 (13 م)	ابن سعيد المغربي ص. 92
ـ الذهب ـ العبيد	القرن 8 (14 م)	ابن فضل الله العمري ص. 61
ـ التبر ـ العبيد	القرن 8 (14 م)	ابن بطوطة ج 2، ص. 773
ـ الجلد ـ العاج ـ الجوز ـ التبر	القرن 8 (14 م)	ابن الخطيب *الإحاطة*، ج. 2 ص. 192

نظم المغاربة تجارتهم في العصر الوسط مع الأوربيين أيضا، ولم يؤثر الصراع الذي دار بين المسلمين والمسيحيين على الرواج التجاري بالحوض الغربي للبحر المتوسط كما يزعم البعض، بل على العكس من ذلك انتظمت المبادلات بين الجانبين في الموانئ المتوسطية التي شهدت حضوراً مستمراً للتجار الأوربيين أو شركائهم من اليهود (M. Lombard, *L'or*, p. 150 ; Mas -Latrie, p. 83 - 84 ; Ch. E. Dufourcq, *L'Espagne*, p. 126 و*سجلماسة*، 372 ـ 375).

ويمكن رصد مختلف السلع التي تمت فيها المتاجرة بين المغاربة والأوربيين في العصر الوسيط بناء على ما ذكره ماص ـ لاتري Mas - Latrie في الجدول التالي :

السلع المغربية	السلع الأوربية
الشمع الزبيب التمر المنسوجات الصوفية الشب الأبيض المعروف باسم السجلماسي الحوت المجفف جلود الحيوانات بمختلف أنواعها	المنسجات الصوفية التوابل الأغطية الصوفية الانجليزية الأواني النحاسية الأصداف النحاس المسبوك : قضبان وصفائح الحديد

السلع المغربية	السلع الأوربية
الأصواف	الأسلحة : الخودات، الأقواس، السيوف الورق عظام الحيوانات الخمر

وإذا كان التجار الأوربيون قد اندفعوا نحو موانئ بلاد المغرب من أجل الحصول على الذهب فإن أهم ما يمكن تسجيله هنا هو أن صناع الذهب الذي كان يصل إلى المغرب بواسطة التجارة الصحراوية لم يتم نقل القليل ولا الكثير منه إلى البلاد الأوربية، وإنما صنع بالمغرب ووصل المضروب منه نقداً إلى أوربا بفعل استبداله بسلع كان المغرب في حاجة إليها لسد حاجيات الطلب الداخلي أو الخارجي جنوب الصحراء الكبرى.

وقد تطورت التجارة المغربية في العصر الوسيط عبر مراحل كان فيها للعامل السياسي والأمني دور بارز، لذلك يمكن تتبع هذه المراحل بموازاة مع التطور الذي عرفته إمارات ودول بلاد المغرب في المرحلة المعنية بالدراسة. ومما يؤكد ذلك أنه كان لا بد من انتظار القرن الرابع (10 م) لتصبح معلوماتنا عن تجارة بلاد المغرب مع السودان الغربي واضحة نسبيا مقارنة مع ما نعرفه عنها في الفترات السابقة لهذا التاريخ حيث نجد معلومات كل من الاصطخري وابن خرذادبة والمقدسي واليعقوبي عن تجارة الذهب مليئة بالأساطير والخرافات الأمر الذي يدفع إلى تفسير كل هذا التناقض والتضارب في المعلومات بضعف العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي وجهل رجالات تلك العصور بحقيقة ما كان عليه الأمر في المناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى (الاصطخري، 37. 38 ؛ المقدس، 164 ؛ اليعقوبي، 110).

وقد أصبح لواحات بلاد المغرب الأقصى خلال القرن الرابع (10 م) الأهمية التي عرفت بها في مجال التجارة الصحراوية في العصر الوسيط، يؤكد ذلك الشهرة التي تمتعت بها سجلماسة في هذا المجال بعد أن جلبت إليها الطرق التجارية الصحراوية مؤثرة بذلك على نشاط غيرها من المدن في المغربين الأوسط والأدنى ومدن فزان ومصر، فقصدها التجار من جميع الآفاق خاصة من بلاد المشرق كتجار البصرة والكوفة وبغداد (*صورة الأرض*، 65).

وبذل المرابطون في القرن الخامس جهوداً كبيرة من أجل تمهيد الطرق التجارية لتشجيع المبادلات مع بلاد السودان مستفيدين في ذلك من جهود سابقيهم من الإمارات التي حكمت مناطق الواحات كبني مدرار وبني خزرون فنشطت الحركة التجارية بين المغرب وبلاد السودان بكيفية لم تشهد البلاد مثله من قبل (حافظي، *سجلماسة*، ص. 380).

ولم يغير انتقال الحكم من المرابطين إلى الموحدين شيئاً فيما يتعلق بالتجارة مع بلاد السودان رغم امتداد مجال نفوذ الموحدين على كل بلاد المغارب لأن القسم الأكبر من هذه التجارة كان يتوجه نحو العاصمة مراكش، فحافظت بذلك واحات المغرب الأقصى على نشاطها وحيويتها. ومع حلول القرن السابع الهجري وضعف سلطة الموحدين توزع نشاط المسالك التجارية الصحراوية الغربية بين ثلاثة محاور : واحد يربط امبراطورية مالي بالمغرب الأقصى وثان يربطها بالمغرب الأوسط وثالث يربطها بالمغرب الأدنى، وتوزعت الاستفادة من التجارة الصحراوية عبر المسالك الغربية بين القوى التي اقتسمت الإرث السياسي الموحدي.

ورغم ما عرفه القرن السابع من صراع بين المرينيين والموحدين من جهة وبينهم وبين الزيانيين والحفصيين من جهة ثانية فإن تجارة المغرب الأقصى مع بلاد السودان لم تعرف تراجعا ملحوظا إلا مع حلول القرن الثامن (14 م)، حيث تضافرت عوامل كثيرة منها ما هو خارجي كانفتاح مالي على المشرق وإقبالها على التعامل مع تجار مصر وما ترتب عن ذلك من ميل تدريجي للمسالك التجارية مجددا نحو الشرق ؛ ومنها ما هو داخلي ويأتي على رأسه ضعف سلاطين بني مرين بعد منتصف المائة الثامنة وتحكم القبائل القوية في مجالات نفوذها خاصة عرب المعقل الذين سببت ثوراتهم ضد بعض سلاطين بني مرين انقطاع السبل وابتعاد التجار عن السير في صحاري المغرب الأقصى إلى غيرها من صحاري المغربين الأوسط والأدنى (*سجلماسة*، ص. 381 . 389). وبذلك ضعفت تجارة المغرب عبر الصحراء غير أنها لم تنقطع تماماً إلى نهاية العصر الوسيط.

أ. البكري، *المسالك* ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض* ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ ابن بطوطة، *الرحلة* ؛ مجهول، *الاستبصار* ؛ ح. ح. علوي، *سجلماسة*.

حسن حافظي العلوي

* * نشطت التجارة البرتغالية مع المغرب ابتداء من القرن العاشر (16 م)، إذ كانت منطقة الغرب الأندلسية، التي تناسب اليوم جنوب نهر التاج، كثيرة الارتباط من الناحية التجارية بالمغرب. فقد اعتادت الاعتماد على قمحه بالخصوص. ووصلتنا إشارة إلى إقبال الأزموريين على التعامل مع البرتغال بعد انتهاء فترة الحكم الإسلامي به، تعود إلى عهد السلطان أبي الحسن المريني. ولم تنقطع الروابط التجارية بين المغرب والبرتغال بعد استكماله لحروب الاسترداد. ولم يعد التجار البرتغاليون يقتصرون على الموانئ الشمالية، بل تعودوا، ابتداء من القرن الثالث عشر، الإقبال على أنفا إلى حين تخريبها، وعلى أزمور وأسفي وماسة، وذلك لجلب سمك شابل أم الربيع، وحبوب تامسنا ودكالة وتبر السودان. وارتفعت أعداد التجار البرتغاليين بالموانئ المغربية ليصبحوا أكثر التجار عدداً بها بعد القرن المذكور، ومعلوم أن عدداً من المؤرخين البرتغاليين ربطوا اهتمام بلادهم بالمغرب، وشرعوا مبكراً في احتلال ثغوره لحرص المسؤولين على ضمان تزويد بلادهم بسلع أساسية كانت بلادهم في أمس الحاجة إليها واعتادوا

اقتناءها بالمغرب، كالحبوب والتبر. ومعلوم أن البرتغال عانى خلال القرن الرابع عشر وبداية القرن التالي من أزمة نقدية حادة تولد عنها تضخم خطير. (أحمد بوشرب، *دكالة والاستعمار البرتغالي*، ص 155).

وقد نتج عن احتلال الثغور الشمالية بالمغرب(سبتة عام 1415، القصر الصغير عام 1458، أصيلا وطنجة عام 1471) تحولها إلى مجرد ثكنات جامدة تعيش على ما تتوصل به من البرتغال. وانتقل الرواج الذي كانت تعرفه من قبل إلى موانئ السهول الغربية ذات الظهير الغني كأنفا قبل تخريبها (1469)، أو أسفي، أو أزمور أو ماسة. كما استفادت مرافئ صغيرة كتيط، وأخرى لم يكن لها ذكر كدار الفارس، (شمال الوليدية الحالية) التي اشتهرت بتصدير الحبوب والأسماك (الشابل) والجلود، والشمع والعسل والتبر الذي اقتنى منه التجار البرتغاليون كميات هامة بأسفي وأزمور قبل احتلالهما.

عرفت التجارة البرتغالية بالمغرب تطوراً هاماً بعد اكتشاف سواحل غرب إفريقيا، وتنظيم التجارة بها، وخصوصا بجزيرة أرغين(Arguin)، قبالة الساحل الموريطاني (عام 1455)، ولامينا (عام 1481)، بساحل الذهب فضلا عن نقط أخرى كثيرة بمصاب أنهار السنغال، وغامبيا، وغيرهما. فقد نتج عن تنظيم تلك التجارة واحتكارها من لدن الملك البرتغالي، تزايد إقبال وكلاء الملك بأسفي وأزمور وماسة على بعض السلع الضرورية للحصول على التبر والعبيد، وكانت الأنسجة الصوفية من حياك وحنابل وعبائن أهمها. فقد أصبحت تلك السلعة تعرف في الوثائق البرتغالية "بأثواب أرغين" لكونها كانت أهم ما يعرض بغرب إفريقيا، وكانت تمثل السلعة التي تضمن أهم ربح. لذا لم يعد إنتاج أسفي والمناطق المرتبطة بها كافيا لتلبية الطلب المتزايد عليها، الأمر الذي دفع الملك البرتغالي، الذي كان يحتكر تلك السلعة، إلى الاعتماد على إنتاج المناطق الداخلية كنواحي مراكش أو تادلة التي تعاقد قائدها أحمد العطار مع الملك البرتغالي سنة 1530 على إنتاج كميات معينة مقابل مقادير من الصمغ توصل بها مسبقاً. كما تعاقد الملك مع يهوديين من أسفي سنة 1512 قصد إنتاج كميات محددة خلال فترات معينة حسب نماذج وعينات يقدمها الملك أو وكلاؤه التجاريون.

وتزايد إقبال البرتغاليين على حبوب المغرب تبعا لتزايد حضريبهم وتكاثر أفران إنتاج البسكويت الموجه للسفن ولتغطية حاجيات حاميات الثغور الشمالية المحتلة، وكذا لعرض القمح المغربي بسواحل غرب إفريقيا غير الاستوائية. وقد امتص البرتغاليون كميات هائلة من الحبوب المغربية إما بالشراء أو عن طريق النهب أو استخلاص الضرائب (أحمد بوشرب، *دكالة*، 287.284) واقتنى البرتغاليون كذلك كميات كبرى من مواد زراعية أخرى كالشعير أو الذرة البيضاء، وعشرات الآلاف من رؤوس الأنعام، وكميات هائلة من جلودها وقرونها، ومن الشمع والعسل الذي بلغت شهرته العالم الجديد، وأصبح يضرب به المثل هناك (أحمد بوشرب، *دكالة*، 292)، ومن الشابل (أزمور) والسردين (أسفي) الخ. كما تهافت البرتغاليون على الإنسان المغربي وجعلوا منه، لشدة حاجتهم إلى الأيدي العاملة ببلادهم وبالمناطق المكتشفة، سلعة رائجة نظموا لها أسواق النخاسة بالثغور المحتلة، وخصوصاً أگادير التي كانت تجارة الرقيق بها تمثل أهم نشاط. وكان البرتغاليون يحصلون على المغاربة قصد الاسترقاق من الغارات، ومن اختطاف العزل ومن الشراء خلال السنوات العجاف، وخصوصاً خلال مجاعة سنة 1521 الكبرى (نفسه، ص. 315.319).

وبالطبع، نتج عن تزايد إقبال البرتغاليين على السلع المذكورة إغراق الأسواق المغربية بسلع مستوردة. وهكذا تزايد عرض الكتان الأوروبي الذي عرضت منه بأسفي وأزمور وأگادير كميات هائلة روجت فيما بعد بمناطق داخلية كمراكش وتدنيست (الوزان، 1، ص. 78). ووصلتنا عدة إشارات بالمصادر المغربية (الوزان) والبرتغالية (De Gois) تخص إقبال المغاربة على تلك الأثواب. وكان أشهرها ما كان يعرف بالوثائق البرتغالية بـ"البُرْدات" (Bordates) التي كان بيعها بالمغرب حكراً على الملك البرتغالي لكونها كانت تباع بسرعة وتضمن أهم الأرباح، وتؤدي بها رواتب الجنود. وإلى جانب هذه الأثواب عرض وكلاء الملك أثوابا إنجليزية. وقد كانت أثواب "أنتونا" (Antona)، المصنوعة بميناء سوثمپتون (Southampton)، أشهرها وأكثرها رواجا، والتي كانت توفر ربحا يقارب 100٪. ونظراً للإقبال الكبير الذي كانت تحظى به تلك الأثواب بالأسواق المغربية، فإن الملك البرتغالي اعتاد تخصيص قسم من مبيعات التوابل والعقاقير بشمال غرب أوروبا، وخصوصا بأنفير (Anvers) لاقتنائها.

وعرض البرتغاليون كميات هائلة من العقاقير ومستلزمات الصباغة كالصمغ الهندي الذي كان بيعه حكراً كذلك على الملك، وكانت تؤدي به الرواتب، وكان الإقبال عليه بأسفي مهما إلى حد أن تقريراً حرر في مطلع القرن السادس عشر أكد أن تلك المدينة كانت قادرة على ترويج كل الصمغ المستورد من الهند. ووصلتنا إشارات تخص إعادة بيعه بفاس. كما عرض التجار الأحرار، ووكلاء الملك كميات من حجر الشب والكبريت وحب القرمز الطرطر. وقد تزايد عرض هذه الكميات بشكل سريع : فمن عام 1498 إلى عام 1516 ارتفع عرض التوابل بنسبة 3900٪ بينما ارتفع عرض الصمغ بنسبة 2200٪ فيما بين 1491 . 1516. وتعكس هذه النسب الرواج الذي أصبحت تعيش عليه بعض الموانئ المرتبطة بالامبراطورية التجارية البرتغالية، ومدينة أسفي على وجه الخصوص. وللاستفادة أكثر من تلك الموانئ المفتوحة في وجه التجارة البرتغالية، أعطاها المسؤولون البرتغاليون نوعاً من التخصص، فقد أصبحت أزمور تختص في المواد الفلاحية وصيد الشابل، في حين سيطرت عمليات الصرف (الفضة مقابل التبر) على أنشطة أگادير.

أما أسفي فقد غدت أهم سوق بالمغرب للتوابل ومستلزمات الصباغة من جهة، وللأنسجة الصوفية الموجهة لسواحل غربي أفريقيا من جهة أخرى.

غير أن استفادة البرتغال من تجارته بالمغرب لم تدم طويلا. فقد تبين لنا من خلال تتبع الأوضاع السياسية بالمنطقة، واعتماداً على ما وصلنا من وثائق (أحمد بوشرب، *دكالة*، 322) أن تلك الاستفادة اقتصرت على العقدين الأخيرين من القرن الخامس عشر اللذين يناسبان فترة ولاء أسفي وأزمور واعترافهما بسلطة التاج البرتغالي. وحالت الاضطرابات التي عرفها المغرب إثر احتلال ثغور السهول الغربية، وتزايد نفوذ الشرفاء السعديين، ونجاحهم في محاولاتهم الجادة والمبكرة قصد إحياء تجارة القوافل وإنعاشها وتنشيط التجارة مع التجار المسيحيين المتضررين من الاحتكار البرتغالي، دون استمرار تلك الاستفادة، إذ سرعان ما كسدت التجارة البرتغالية بالمغرب، واختفي ما كانت تعرفه أسفي وأزمور وأگادير من رواج لتصبح مجرد ثكنات تعيش على ما تبعثه لشبونة من أقوات ورواتب (أحمد بوشرب، *دكالة*، 410).

واستمرت مازيغن (الجديدة)، التي احتفظ البرتغاليون بها بعد اضطرارهم إلى إخلاء أگادير وأسفي وأزمور (1541) وأصيلا والقصر الصغير (1550) في التوصل ببعض السلع كالصمغ خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر، كما تشهد على ذلك محاكمة بعض "المهربين" البرتغاليين من لدن محكمة التفتيش بلشبونة. ووقفنا بوثائق القنصلية البرتغالية بطنجة (وزارة الخارجية، قنصلية طنجة، صناديق 299. 300. 301) على إشارات تخص استيراد البرتغال لبعض الأبقار ولكميات محدودة من الحبوب. غير أن تلك المبادلات لم تصل خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر إلى ما كانت عليه خلال المرحلة التي أشرنا إليها آنفاً.

أحمد بوشرب، *دكالة والاستعمار البرتغالي* ؛ *من مصادر تاريخ الدولة العلوية في البرتغال*، ضمن أعمال الدورة الأولى جامعة مولاي علي الشريف، نشر وزارة الثقافة 1990، ص. 97 وما بعدها؛ *محاضر محاكم التفتيش الدينية*، مصدر من مصادر التجارة البرتغالية بالمغرب خلال القرن السادس عشر ؛ ضمن أعمال ندوة التجارة والمجتمع بالمغرب التي نظمتها كلية الآداب بالدار البيضاء (تحت الطبع).

V.M. Godinho, *L'économie de l'empire portugais aux XVème et XVIème siècles*, Paris, 1969 ; *Os Descobrimentos e a economa mundial*, Lisbonne, 1965, Tome I ; R. Ricard, *Le commerce de Berbérie et l'organisation économique de l'empire portugais*, *Etudes sur l'histoire des Portugais au Maroc*, Coimbra, 1954, pp. 98 et sq.

أحمد بوشرب

* * وفي العصر الحديث عرف المغرب منذ سقوط مدينة سبتة بيد البرتغال سنة 818 / 1415، مجموعة من التطورات السياسية والاقتصادية التي أثرت بعمق على أوضاعه الاقتصادية. وقد تأثر النشاط التجاري على الخصوص، لأن هذه المدينة كانت المنْفذَ الرئيسي لتجارة المغرب مع أوربا.

ومن المعلوم أن المغرب استفاد لقرون طويلة من الوساطة التي كان يقوم بها بين السودان وأوربا، وكانت سبتة قبل سقوطها مركزاً تجارياً نشيطاً، يقصده التجار الأوربيون ـ وخاصة الايطاليين ـ لشراء السلع المغربية والإفريقية، وبيع المنتجات الأوربية. وكان اقتصاد الدول المغربية يعتمد في جزء كبير منه على مداخيل هذه الوساطة.

وخلال القرن التاسع (15 م)، وبعد إغلاق منفذ سبتة، حاول التجار الايطاليون تعويض هذا المنفذ بموانئ أخرى، وخاصة أصيلا، إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل نظراً للحصار الذي ضربه الايبيريون على الموانئ المغربية، وسقوط مدن أخرى في شمال المغرب مثل مليلة والقصر الصغير وأصيلا وطنجة (R. Ricard, *Contribution*, 53 - 73).

وهكذا دخل المغرب مرحلة العصور الحديثة محروماً من أهم موانئه في الشمال، ومن شريان تجاري حيوي كان يدر على الدولة مداخيل هامة، ويساهم في تغطية مصاريفها المتعددة. ونتج عن ذلك ضعف الدخل، وتقلص المساحة الخاضعة للمخزن، وقيام عدد من الكيانات الصغيرة والضعيفة في أجزاء مختلفة من البلاد.

وقد حاول الوطاسيون خلال مدة حكمهم القصيرة إعادة الحياة إلى النشاط التجاري، واعتمدوا في ذلك على ميناء العرائش، إلا أن محاولتهم لم تعط أكلها بسبب الحصار الذي ضربه البرتغاليون على التجارة مع المغرب وعدم سيطرة الوطاسيين على الطرق الصحراوية.

وخلال القرن العاشر (16 م) تمكن البرتغاليون من بسط أيديهم على مدن ومواقع ساحلية أخرى مثل مازيغن، وأمگدول، وأسفي، وأگادير وعملوا على خلق نوع من الارتباط بين هذه المناطق والبرتغال من الناحية السياسية والاقتصادية.

وقد أدرك السعديون جيداً خطورة الوضعية، فعملوا من جهة على طرد المحتلين عن طريق شراء السلاح واستنفار المجاهدين. كما عملوا من جهة ثانية على ضرب المصالح الاقتصادية البرتغالية، عن طريق حصار الثغور المحتلة، ومنع التعامل معها، وفتح منافذ جديدة، وتشجيع التجار الأوربيين على ارتيادها عن طريق تزويدهم بعدد من المنتجات الرائجة والمربحة وعلى رأسها السكر (ع. المنصوري، *انعكاسات*، 135 - 158).

وقد نجح السعديون في طرد المحتلين، وإعادة الحياة للتجارة المغربية مع الخارج. وحلت مراكش محل فاس كمركز تجاري رئيسي، بعد فتح طريق التجارة مع السودان. وأصبحت أسفي أهم ميناء للتبادل مع أوربا. كما تراجع دور التجار الإيطاليين والإيبيريين لصالح تجار جدد من انجلترا وهولاندا وفرنسا. واستغل السعديون إقبال هؤلاء التجار على السلع المغربية الرائجة مثل السكر وملح البارود والجلود، إضافة إلى التبر السوداني من أجل الحصول علي الأسلحة والمواد العسكرية لتقوية نفوذهم.

وعملوا من جهة أخرى - وخاصة في فترات الاستقرار - على تهييئ الظروف المناسبة لإنعاش التجارة الداخلية عن طريق ضبط الأمن، وتيسير المواصلات، وتشجيع بعض الصناعات، وفتح المجال أمام تصدير المنتجات المغربية.

وقد ضاعت جل هذه الجهود بعد وفاة المنصور حيث دخل المغرب في مرحلة طويلة من الانقسامات والحروب الناتجة عن صراع أبنائه على الحكم ثم التنافس بين عدد من القوى السياسية على السلطة. وفي هذه الفترة تراجع النشاط التجاري، ومالت كفة المبادلات لصالح أوربا التي كان الفرقاء يعولون عليها في الحصول على الأسلحة والذخيرة الحربية.

استمرت هذه الوضعية بنتائجها السلبية ما يقرب من ثلثي القرن الحادي عشر (17 م) إلى أن استتبت الأمور للمولى رشيد في حدود سنة 1670 م، ثم خلال عهد المولى إسماعيل الذي عمل خلال مدة حكمه (1672 م - 1727 م) على إعادة الأمن والاطمئنان، واهتم بالتجارة الداخلية، وبالتبادل مع الخارج، وأعاد للمخزن هيبته، وحاول إعادة التجارة الصحراوية إلى سابق نشاطها عن طريق تأمين الطريق الصحراوي. إلا أن جهوده تعثرت بسبب منافسة الأتراك في الجزائر والفرنسيين في السنغال. (Brignon [et al...], *Histoire du Maroc*, 247).

وبوفاة المولى إسماعيل، عانى المغرب من جديد من فترة طويلة من الفوضى السياسية الناتجة أساساً عن تدخل عبيد البخاري في تولية وعزل السلاطين، مما كان له تأثير سلبي عصف بجل منجزات هذا السلطان، وبعد ثلاثين سنة من الفوضى، عرف المغرب من جديد استقراراً وأمناً في عهد السلطان محمد بن عبد الله الذي تمكن بمجهود قوي من إعادة الروح إلى الحياة الاقتصادية عن طريق إعادة الأمن والاهتمام بالمواصلات والمراسي وخاصة مرسي الدار البيضاء والصويرة، وعقد اتفاقيات تجارية مع الدول الأوربية على الخصوص، لكن المبادلات التجارية ظلت لصالح الأوربيين، لأن المغرب لم يفلح في التغلب علي مخلفات سنين طويلة من الفوضى والخسائر، ولم يستطع تدارك الفارق بينه وبين دول أوربية أصبح أكثر تنظيماً وتفوقاً على المستوى التقني والعسكري، وأكثر سيطرة على المواصلات البحرية والأسواق العالمية.

تمتاز الفترة الحديثة بالتحول الكبير الذي طرأ على التجارة العالمية بفضل الاكتشافات وانتقال الأهمية من البحر المتوسط إلى المحيط الأطلسي وما رافقه من تحولات عميقة بدول شمال غرب أوربا على الخصوص. إلا أن المغرب لم يستفد من هذه التحولات رغم وقوعه على المحيط الأطلسي وقربه من أوربا. ويرجع ذلك إلى أسباب بعضها قديم، وبعضها الآخر مرتبط بالفترة الحديثة نفسها. ويمكن أن نتبين ذلك من خلال العناصر التالية :

- دور المخزن : عمل السلاطين السعديون ثم العلويون بعدهم على إنعاش الاقتصاد وتوفير الظروف الملائمة لازدهار النشاط التجاري في الداخل والمبادلات مع الخارج، عن طريق بناء الطرق والقناطر وإحلال الأمن، وتنظيم المبادلات والضرائب، وتشجيع المنتجات المطلوبة في التبادل، وعقد الاتفاقيات مع الدول الأخرى. إلا أنهم من جانب آخر كانوا يساهمون في إضعاف التجارة، وخاصة في فترات الاضطراب والحروب، حيث تتأثر المواصلات، وينعدم الأمن، ويثْقُلُ كاهل التجار بالضرائب، إضافة إلى الخسائر البشرية والمادية. كما أن احتكار المخزن لبعض السلع الرائجة كالسكر، أو المهمة كالأسلحة، ودخوله كمنافس في تجارة النسيج، وإنفاقه لمداخيل وأرباح هذه التجارة في مجالات غير منتجة اقتصادياً، كاقتناء الأسلحة وتجهيز الجيش، وإقامة البناءات الضخمة ... الخ، كان يؤدي إلى حرمان التجار من رؤوس أموال ضرورية لنمو أرباحهم وتطور حجم معاملاتهم.

- نوع البضائع : لم يقع تطور كبير في طبيعة المواد المتبادل بها مع الخارج، إذ ظل الإنتاج المغربي المعد للتصدير في مجمله معتمداً على المواد الأولية الفلاحية مثل الحبوب والمواشي والعسل والشمع والتمور واللوز أو المواد المعدنية مثل ملح البارود والنحاس والحديد والملح، مع بعض المواد المصنعة التي تناقصت أهميتها بعد الفترة السعدية مثل السكر والجلود والنسيج (الحنابل والحياك والزرابي).

وفي المقابل كان المغرب يستورد بعض المواد الأولية الأكثر أهمية مثل التبر وريش النعام والتوابل والعنبر والصمغ والخشب ومعادن الفضة والحديد والرخام ... الخ. إلا أن أهم وارداته على الإطلاق هي المواد الحربية من أسلحة بيضاء ونارية وذخيرة وتجهيزات السفن، إضافة إلى الأثواب من مختلف أنحاء أوربا. وهي مواد أغلى من المواد الخام المغربية، وكانت تخضع غالبا لاحتكار المخزن.

وكثيراً ما كان الانتاج المغربي لا يفي بحاجيات التصدير بسبب الظروف الداخلية المؤثرة سلبا على الإنتاجية، كالحروب والأوبئة والجفاف، فيكتفي المخزن بتصدير ما يحصل عليه من ضرائب عينية، بدون أن يكون لذلك أثر إيجابي على التجارة.

- المواصلات : لم تتطور المواصلات البرية كثيراً رغم الجهود التي بذلها المخزن، فقد ظل الاعتماد في نقل السلع على الدواب بصفة رئيسية، بدون استعمال العربة في نقلها، كما أن استعمال الطرق ظل محفوفاً بالمخاطر والصعوبات المتعلقة بالتضاريس إضافة إلى الاخطار المتعلقة بالظروف الطبيعية كالثلوج وفيضانات الأنهار، ناهيك عن الأخطار الأخرى التي تفاقمت مع تدهور سلطة المخزن والمتعلقة بأمن التجار على أنفسهم وأموالهم.

كما أن المغرب لم يعرف ظهور مؤسسات متخصصة في نقل السلع تأخذ على عاتقها مسؤولية نقل السلع في الآجال المحددة، وتحافظ عليها كما كان الشأن بالنسبة لبعض الدول الاوربية، حيث مكنت هذه المؤسسات من

توفير الوقت، والاطمئنان على الانفس والأموال.

وتكتسي المواصلات في الصحراء صبغة خاصة، وتتضاعف فيها المخاطر والمصاعب، بحيث يتطلب ذهاب القوافل ورجوعها شهوراً عديدة. وبتضاؤل أهمية هذه التجارة لم يعد هناك مبرر قوي يشجع التجار على تجشم مشاق الصحراء.

أما المواصلات البحرية، فلم تكن مؤهلة للقيام بدور رئيسي في النشاط التجاري العالمي، لأن الموانئ المغربية كانت في معظمها مراسي طبيعية، غير قادرة على استقبال السفن الكبرى وخضع جلها للاحتلال الأجنبي لمدة طويلة خلال القرن العاشر (16 م)، كما عانت من الحصار المضروب في البداية من طرف الإيبيريين، ثم من خطر القراصنة فيما بعد. وتراجعت تبعاً لذلك صناعة السفن، رغم الجهود الكبيرة لتي بذلها السلاطين المغاربة للتوفر على أساطيل عسكرية وتجارية واعتماد متزايد من التجار المغاربة على السفن الأجنبية وعلى التجار الأجانب في نقل سلعهم.

- الحروب والكوارث : كانت الفترة الحديثة مليئة بالحروب والكوارث، ورغم عدم توفر إحصائيات مضبوطة فقد أمكن بالنسبة للقرن العاشر (16 م) مثلا رصد (أكثر من مائة وستين معركة فقط، وسبع إصابات بالوباء واثنتي عشر فترة مجاعة وجفاف، وغزو للجراد ثلاث مرات... الخ) (المنصوري، *التجارة*، 2 : 381). وكان لهذه الحروب والكوارث تأثير سلبي واضح على ساكنة المغرب، وعلى النشاط التجاري، حيث نتج عنها نقص في الأمن، وجمود في المبادلات بالأسواق وتدهور في الإنتاج، وضعف للقدرة الشرائية. وزعزعة لهيبة المخزن. وقد أدى تكرار الحروب والكوارث خلال القرنين العاشر والحادي عشر (16-17 م) على الخصوص إلى تعميق هذه المشاكل.

- المعاملات المالية : لم يرق مستوى التعامل بالنقود إلى المستوى الذي يدفع بالتبادل التجاري إلى التطور والتقدم. ويرجع ذلك إلى كون كمية النقود المسكوكة كانت قليلة، بسبب نقص المعادن وخاصة الفضة. وعدم ضبط هذه المسكوكات داخل السوق المغربية، بحيث كانت تروج نقود عدد من السلاطين في نفس الوقت رغم أوزانها المختلفة : (الدنانير الوازنة وغير الوازنة). وأدى ذلك إلى حدوث مشاكل مرتبطة بالصرف والرد، إضافة إلى مشكل التعامل بالنقود الاوربية وصرفها واختلاف الموازين والمقاييس، سواء في التجارة الداخلية أو الخارجية.

وبسبب نقص الأمن، كان التجار يتخوفون من الانتقال بأموالهم، ويضطرون إلى دفنها، فتفقد رواجها في السوق مؤقتا، أو نهائيا عند موت أصحابها، ولم يعرف المغرب في هذه الفترة نظام المؤسسات البنكية التي تقوم بحفظ الودائع والنقود وإعطاء القروض. كما لم يعرف التعامل بالأوراق التجارية مثل الصك والكمبيالة ...الخ.

ان الملاحظات المذكورة أعلاه، تفسر لنا إلى حد ما بعض الأسباب التي كانت عائقاً أمام التجارة المغربية عن الانطلاق ومواكبة التطورات التي عرفتها التجارة في البلدان الأوربية المجاورة، إلا أن المقارنة لا ينبغي أن تنسينا أن التجار المغاربة تمكنوا بالرغم من هذه العراقيل من مجابهة التحديات، ووصلوا إلى السودان والشرق، وحاولوا عدة مرات الاستفادة من التطورات التي عرفتها المنطقة وكان لهم وعي باهميتها، كما ان معاملتهم مع اوربا رغم ما ذكرنا من الملاحظات لم تفقد أهميتها خلال الفترة الحديثة.

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. محمد حجي، ومحمد الأخضر - الرباط 1980. ج 1 ؛ أ. بوشرب، *دكالة والاستعمار البرتغالي*، الدار البيضاء، 1984 ؛ م. ابن تاويت، *من زوايا التاريخ المغربي، مجلة تطوان*، الأعداد من 5 إلى 9، ما بين سنتي 1960 و1964 ؛ ع. المنصوري، *التجارة والتجار بالمغرب في القرن السادس عشر*، رسالة مرقونة، كلية الآداب، عين الشق، الدار البيضاء ؛ *انعكاسات الاحتلال البرتغالي على الأوضاع الاقتصادية بالمغرب القرن 16*، *حوليات كلية الآداب*، العدد 7-1990، ص. 135 ؛ *أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالسلطة والمجتمع عبر تاريخ المغرب*، منشورات كلية الآداب، عين الشق - الدار البيضاء - جزآن. مطبعة فضالة، 1992.

S.I.H.M. ; J. Brignon [et al...], *Histoire du Maroc*, Paris - Casa, 1967 ; J. Caillé, *Le commerce anglais avec le Maroc pendant la seconde moitié du XVI siècle : importations et exportations*, *R.A.*, Tome LXXXIV, 1940, pp. 186 - 219 ; R. Ricard, *Le commerce de berberie et l'organisation économique de l'empire portugais aux XV et XVI siècles*, *A.I.E.O.*, Alger, 1936, T. II, pp. 266 - 285 ; *Contribution à l'étude du commerce gênois au Maroc durant la période portugaise : 1415 - 1550*, *A.I.E.O.*, Alger, Tome III, 1937, pp. 53 - 73.

عثمان المنصوري

تجار السلطان، خلافاً لما قد توحي به بعض الدراسات فإن ظهور تجار السلطان لم يكن وليد القرن التاسع عشر ولا مرتبطاً فقط بالتغلغل الأوربي. بل يمكن القول إن "تاجر السلطان" ظهر إلى الوجود منذ كان السلاطين وكان التجار، فالظاهرة عرفتها كل المجتمعات البشرية ومنذ أقدم العصور.

أما في المغرب فإن ظاهرة تجار السلطان لم تكتسب أهمية كبيرة إلا في العصور الحديثة عندما أصبحت الدولة تعتمد بشكل متزايد على التجارة والتجارة الأوربية بشكل خاص. ففي القرن السابع عشر استعمل المولى إسماعيل التجار اليهود في تسيير ما له علاقة بالمال والتجارة وحتى الدبلوماسية عندما أرسل مثلا حاييم طوليدانو سفيراً إلى انكلترا والبلاد المنخفضة (1691).

وبانفتاح المغرب على المحيط الأطلسي في القرن الثامن عشر ازداد اعتماد الدولة على التجارة الأوربية، وبالتالي ازدادت أهمية بعض كبار التجار كوسطاء بين المخزن والدولة الأوربية. وبمدينة الصويرة التي أصبحت المرسى الأولى للبلاد منذ إعمارها في سنة 1765 وحتى أواخر القرن التاسع عشر، تجمع عدد من التجار المهتمين بتجارة التصدير والاستيراد، وكان قسم هام منهم مكوناً من التجار اليهود الذين شجعهم السلطان سيدي محمد بن عبد الله

على الاستقرار بهذه المرسى. وفي صفوف هؤلاء التجار، مسلمين ويهود، كان المخزن يختار شركاء ووسطاء يستعملهم في التجارة وفي تسيير شؤون المخزن المالية.

كانت العلاقة بين السلطان والتاجر علاقة مباشرة تقوم على تبادل الخدمات والمصالح. فالتاجر كان يتوفر على تجربة واسعة في شؤون التجارة وكانت له علاقات تجارية مع شركاء أوربيين تجعله على اطلاع بأحوال البلدان الأوربية وطبيعة مصالحها التجارية، وبالتالي بسياستها، وهو ما أهل هؤلاء التجار في كثير من الأحيان لأدوار سياسية ودبلوماسية. فالسلاطين كانوا عادة ما يرسلون التجار لاقتناء السِّلع والعتاد الحربي من أوربا، لكنهم كانوا في نفس الوقت يكلفونهم بمهمات سياسية، كأن يسلموا خطابات رسمية أو يتفاوضوا مع مسؤولي الدول الأوربية حول القضايا المختلفة. كما أن التجار اليهود بصفة خاصة كانوا جزءاً من شبكة تجارية واسعة تقوم على أساس الانتماء الديني أو العائلي أو مجرد الشراكة التجارية، وهذه الشبكة التجارية كانت تغطي أحياناً مجالاً واسعاً يشمل أوربا وحوض البحر المتوسط. وهذه الارتباطات كانت بالطبع تخدم مصالح هؤلاء التجار وتجعلهم يتوفرون على امتيازات لم تكن مُتاحة للتجار المسلمين ولا حتى التجار الأوربيين.

وفي المقابل كان المخزن يقدم للتجار الذين اختارهم لتسيير شؤونه التجارية والمالية عدة امتيازات تجعل منهم فئة محظوظة بالمقارنة مع التجار العاديين. من هذه الامتيازات أداء رسوم جمركية مخفضة مع إمكانية تسديدها على دفعات، والاستفادة من القروض المخزنية المعفاة من كل فائدة. كما أن تجار السلطان كانوا يستفيدون من دعم الجهاز المخزني سواء بالداخل أو الخارج. فقنصل المغرب بجبل طارق على سبيل المثال، وقد يكون هو نفسه من تجار السلطان، كان يقوم بدور المراسل لهؤلاء التجار ويمدهم بأخبار الأسواق الأوربية وبأسعار المواد، وقد يتوسط لهم كذلك في عقد الصفقات التجارية لاقتناء أو تصدير سلع معينة. وهذه الامتيازات كانت بطبيعة الحال تُضايق التجار الآخرين وغالباً ما كانت تؤدي إلى احتجاجات قوية للتجار الأوربيين وحكوماتهم. وكان تجار السلطان يستفيدون كذلك مما يسمى بالكُنْطرادات أي الاحتكارات التي كانت تسمح لتاجر مُعين باحتكار تجارة بعض المواد مقابل مبلغ يدفعه لبيت المال. وكانت هذه الاحتكارات تشمل بالأساس استيراد مواد أساسية كالشاي والقهوة والسكر أو تصدير مواد مغربية كالصوف والجلود وغيرها. وهنا كذلك كان التجار الأوربيون يتضايقون من نظام الاحتكارات الذي يمارسه المخزن عبر تجار السلطان ويلحون على ضرورة إلغائه، وهو ما حدث بالفعل عندما وقع المغرب على المعاهدة المغربية - الانجليزية في سنة 1856.

لكن ماذا مثَّل تجار السلطان خلال القرن التاسع عشر الذي تميز بازدياد التسرب الأوربي ؟ لقد رأى فيهم بعض الدارسين مثل ميج Miège نواة لما سماه ببرجوازية تجارية نمت وترعرعت بدعم ومساندة المخزن. بينما رأى باحث آخر مثل شرويتر Schroeter أن هذا الدعم المخزني بالذات هو الذي حال دون تطور برجوازية مغربية مستقلة، لأن هؤلاء التجار ظلوا مرتبطين بالدولة ومدينين لها في ثرائهم، بل وفي مجرد استمرارهم كتجار. ذلك أن المخزن كان يوفر لهم الأموال والحماية الضرورية وبالتالي يجعل منهم مجرد وكلاء عنه في خدمة مصالحه. وأخيراً هناك سؤال آخر يطرح بشأن تجار السلطان، وهو ماذا كان دورهم بالضبط في تنمية التجارة الأوربية بالمغرب. فهل ساعدوا على تغلغل المصالح الأوربية بالمغرب أم أنهم عكس ذلك استُعملوا من طرف المخزن كدرع واق ضد تغلغل الرأسمال الأوربي ؟

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1830 - 1894, 4 vols, Paris, 1961 - 1962 ; D. Schroeter, *Merchants of Essaouira*, Cambridge, 1988.

محمد المنصور

التجّام أو الدّجّام - بصيغة المبالغة - أسرة سلوية عريقة اشتهرت بالثراء والجهاد في سبيل الله. وإن كان لايعرف لهذا الاسم أصل في العربية ولا في الأمازيغية، إذ لا توجد مادة "تجم" أصلاً في العربية إلاّ أن تكون التاء المثناة مصحفة عن المثلثة فيكون الثّجام بمعنى السريع الدائم. أما الدجام فله في الفصحى صلة بالعشق والصحبة والملاطفة.

يتأكد قدم استيطان أسرة التجام لمدينة سلا أنها صاهرت عدداً من الأسر العريقة بهذه المدينة، وأنها كانت تمتلك بستاناً "سانية" من أكبر بساتين المدينة وأهمها تقع داخل السور المريني يمين الداخل من باب المريسة أكبر أبواب المدينة. وتحتل "سانية التجام" تقريباً موقع دار صناعة السفن المعروفة أيام الموحدين والمرينيين. ولعل دار الصناعة بعد خرابها أصبحت أرضاً تفلح. لكننا نتساءل كيف انتقلت إلى ملك المجاهدين من آل التجام، أهو إقطاع من أحد الملوك السعديين أو العلويين الذي كانوا يعزّون هذه الأسرة الشجاعة ويغدقون عليها من ضروب التكريم والانعام ؟ إننا لم نطلع بعد على ما يمكن أن يكون قد تخلف من رسوم قديمة عند أقرباء آل التجام السلويين مما يمكن أن يلقي أضواء على هذا الجانب وغيره من مسار هذه الأسرة الماجدة.

التجام، أحمد (الحاج -) من أبطال الجهاد السلويين في القرن الثالث عشر (19 م). كان رئيس الطبجية (رجال المدفعية) برتبة باشا أثناء الهجوم الفرنسي الغادر على سلا يوم الأربعاء ثاني صفر عام 1268 / 26 نونبر 1851.

وللتعرف على بطولة هذا المجاهد المحنك المقدام نورد معلومات موجزة عن دوره في مواجهة الاسطول الفرنسي بصمود وكفاية حربية نادرة اعتماداً على رسالتين لمجاهد سلوي آخر عمل يوم الهجوم تحت إمرة التجام وهو التهامي ابن العباس الجعيدي. تتفق رواية الجعيدي في خطوطها

الكبرى مع ما في المصادر الفرنسية.

كان الأسطول الفرنسي بقيادة الكونطر اميرال دوبورديه Dubourdieu يتركب من خمس أو ست سفن حربية كبراها تدعى هنرى الرابع وهي ذات مائة مدفع. وبدأ الهجوم الغادر على الساعة العاشرة واستمرار أكثر من ثماني ساعات كانت مدافع سلا بقيادة الحاج أحمد التجام ترد في الحال ضرباً بضرب. وقد ألحق هذا العدوان أضراراً جسيمة بأسوار المدينة والمسجد الأعظم ومناره وتهدمت عدة دور واشتعلت النيران في أخرى حتى منتصف الليل. وقد قتلت مدافع المجاهدين ـ حسب الرواية الفرنسية ـ أربعة من رجال الأسطول وجرحت ثمانية عشر، وأصابت إحدى القذائف التي أطلقها الحاج أحمد التجام سفينة العدو العظمى فحطمت صاريها الكبير وقتلت قائد الحملة حسب المجاهد الجعيدي، ولو أن الرواية الفرنسية لم تبين إن كان القائد من جملة القتلى. وحصلت أعطاب للفركاطة ساني، وأغرقت سفينتان حسب شاهد عيان. ولم يسدل ظلام الليل ستاره حتى انسحب الاسطول الفرنسي من مصب أبي رقراق إلى جهات مختلفة ـ حسب قول جاك كايي ـ .

وقد استقدم السلطان الطبجية إلى حضرته واستقبل الباشا الحاج أحمد التجام والرئيس الحاج عبد العزيز عواد وأربعة من الطبجية "ففرح بهم غاية الفرح وأعطى لكل واحد كسوة محتوية على الملف والحرير والصقلي، والباشا والرئيس كسوتهما كلها ملف جيد بنديقي في غاية الحسن والصقلي ... وأعطى لكل واحد منهما خمسين مثقالاً، والآخرين الكسوة المذكورة وخمسا وعشرين مثقالاً ـ رسالة الجعيدي 2 ـ ولم نقف على تاريخ وفاته.

التجّام، حجي بن عبد الله (الحاج ـ) السلوي مجذوب ساقط التكليف، كأن يعيش عازباً مع إحدى أختيه في دارهم الكبرى بباب حساين ويمشي في الأسواق حافياً لا يكلم أحداً. وقد بيع جزء من سانية التجام في حياته، وبيع القسط الأخير من سانيتهم بعد وفاته بواسطة أبي الواريث، لأنه لم يعقب.

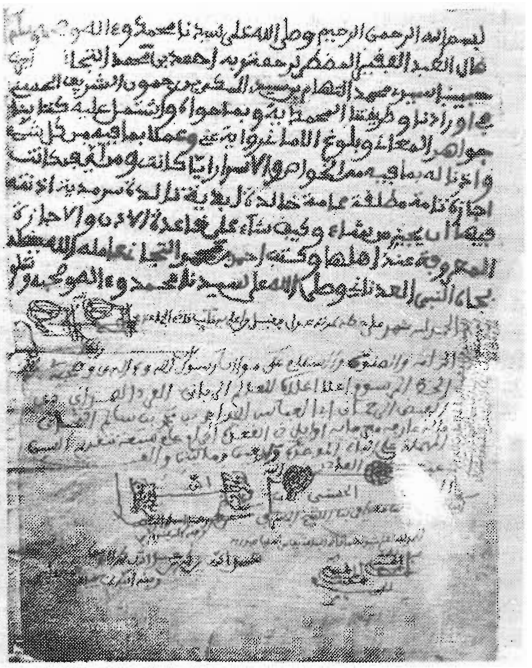
وكانت وفاته في الستينات من هذا القرن، ودفن في الركن الأيمن من الخلوة بزاوية سيدي أحمد بن مبارك بباب حساين. وبموته وموت أختيه انقرضت أسرة التجام بمدينة سلا.

التّجام، عبد الله (الحاج ـ) لعله ابن المجاهد الحاج أحمد، كان ذا سمت حسن وثروة وسخاء. ولايعرف كذلك تاريخ وفاته.

التهامي بن العباس الجعيدي، *رسالتان تتعلقان بهجوم الاسطول الفرنسي على سلا عام 1268 / 1851*. مخطوط، خ. ص ؛ أبو بكر الصبيحي، *مختصر تاريخ سلا*، مخطوط، خ ص ؛ م. بوشعراء، *ملاحق الاتحاف الوجيز*.

محمد حجي

التجاني، أحمد بن محمد بن المختار الشيخ الشهير. ولد بعين ماضي (الجزائر) عام 1150 / 37 ـ 1738، ونشأ بها. وقد تمادى في طلب العلم حتى تبحر في المعارف الأصولية والفرعية. وهو من أصل مغربي، لأن رابع آبائه هاجر من مراكش لعين ماضي وتوطن بها وتزوج من تجان فكانوا أخوالا له، ولهذا ينتسب للتجانية عن طريق المصاهرة. وقد دخل إلى فاس لأول مرة عام 1181 / 1767 بعدما أزعجه صاحب وهران الباي محمد بن عثمان ومكث خمس سنين في البلد الأبيض بالصحراء الشرقية، وكان فراره من الجزائر مظهراً لتمسكه بأهداب الشريعة الإسلامية وعمره لا



إجازة علمية بخط الشيخ أحمد التجاني

يتجاوز الثلاثين. وبقدر ما كان الشيخ التجاني متفتحاً يستعمل السماع بكلام ابن الفارض بطبوع الموسيقيين وآلاتهم من عود ورباب وكمانجة (*كشف الحجاب*، 275) بقدر ما كان يناهض البدع. وقد ذكر سكيرج في *كشف الحجاب* أيضا (ص. 310) أن أحد أمراء قبيلة الأحلاف بالمغرب الشرقي سجن قوماً من القبيلة فاستجاروا بالشيخ وعرقبوا على بابه فاستنكر عملهم وتعذيبهم للحيوان وأبى التوسط لهم عند الأمير. وتوجد بالخزانة العامة بالرباط *رسالة* مخطوطة لسيدي العربي السائح الرباطي التجاني اتهم فيها بالفسوق والكفر كل من يقدم القرابين لأضرحة الأولياء. وقد أجمع المؤرخون من المسلمين والأجانب على أن سبب هذه الهجرة راجع لاستبدال الجزائر القوانين الوضعية بالشرع وتهالكها على المنكرات، فوفد على عاصمة فاس مهبط رواد المعرفة وملتقى أقطاب الفكر في القارة الافريقية حيث تقبله الكثير من علمائها أجود اقتبال وعلى رأسهم إمام السلفية أبو الربيع السلطان المولى سليمان الذي كان يناهض الطرق الصوفية وقد أثارها شعواء على المواسم في *رسالة* مطبوعة فلم يسعه إلا التنازل والانصياع لهذا

الإمام فأنزله على الرحب في دار المرايا بفاس وصار يتردد للاقتباس من علمه والغرف من معين هديه، ووفد إليه في هذا الالتفاف ثلة من شيوخ العلماء في المغرب العربي منهم :

إمام شنقيط محمد الحافظ العلوي وشيخ الشيوخ عبد الرحمن الشنقيطي (الذي كان يحضر بفاس علماء وقته) وشيخ الإسلام بتونس أبو إسحاق سيدي إبراهيم الرياحي والإمام سيدي عبد السلام بن الشيخ المعطي بن صالح الشرقي والعلامة محمد بن أحمد السنوسي والعلامة علال بن عبد الله بن المجذوب الفاسي الفهري وفريد عصره وعلامة مصره مولاي الزكي المدغري والعلامة محمد بن عاشور السمغوتي والعلامة المختار بن الغالب التلمساني وغيرهم. والتحق بهؤلاء أفواج بلغت عشرات الآلاف شرقاً وغرباً من السودان إلى العراق إلى الهند في طليعتهم الشيخ محمد گنون (وهو أول من أقرأ *المطول* في الحديث) والشيخ محمد بن جعفر الكتاني (وهو أول من أقرأ *المسند* لابن حنبل) والشيخ حمدون بن الحاج الذي أفرد لمدحه قصيدة في كتابه المخطوط *"الإشراف على ما بفاس من العلماء والأشراف"* (مخطوط خ. ص. بسلا) وقد منحه العلامة ابن الحاج وهو إمام أهل فاس بقصيدة نونية أوردها في *سلوة الأنفاس* (1 : 183).

وقد انبهر هؤلاء العلماء الأفذاذ بغزارة علم هذا الإمام، كما تدل عليه استنباطاته العميقة والأصيلة من القرآن، نشر بعضها في كل من *جواهر المعاني* للشيخ حرازم برادة *والجامع* للعلامة محمد بن المشري، فهو عالم أصولي محدث سني تدل أجوبته على علو كعبه في الظاهر والباطن.

ومما ساقه صاحب *كشف الحجاب* (ص. 491) تدخل الشيخ سيدي أحمد بطلب من السلطان المولى سليمان في أحد مجالس قراءة التفسير بحضرته حيث تصدى الشيخ الطيب بن كيران (المتوفي عام 1227 هـ) لشرح جوانب غامضة من بعض الآيات، فطلب السلطان من الشيخ التجاني رأيه في الموضوع فقرر ما بهر العقول تعقيبا على ما نقله الشيخ ابن كيران، فانقاد كل الحاضرين لرأي الشيخ سيدي أحمد وعلى رأسهم السلطان الذي نوه بغزارة مادة الشيخ من المعقول والمنقول والظاهر والباطن. والسلطان مولاي سليمان ممن أخذ الطريقة التجانية عن صاحبها (ص. 425).

وللشيخ التجاني رسائل عديدة منها *وصية لجميع الإخوان* (مخطوط خ.ع. 2106د) *وإملاءات* (خ.ع. 1699د) *ورسائل موجهة إلى بعض الفقراء والفقهاء والأمراء* (خ. ع. 2425 د) *وأجوبة عن الحروف اللفظية والرقمية والفكرية* (خ. ع. 2106 د) *وياقوتة المحتاج في الصلاة على صاحب المعراج* (خ. ع. 2447 د) *وفصل القضية في مسألة المعية* (خ. ع. بتطوان 5 / 460).

وقد تعرضت لترجمة هذا الإمام عشرات المصنفات، في طليعتها *سلوة الأنفاس* و*شجرة النور الزكية*، كما نشرت عن مناقبه دراسات منها :

- *جواهر المعاني وبلوغ الأماني*، لسيدي علي حرازم برادة الفاسي، وبهامشه كتاب *رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم* لسيدي عمر الفوتي - دار الفكر - بيروت 1383 (راجع ترجمته في *كشف الحجاب* مع قصائده في مدح الشيخ التجاني (ص. 266).
- *ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية*، لسيدي عبيدة الشنجيطي، طبعة مكتبة القاهرة 1371 / 1951، وقد مدح الشيخ بقصيدة لامية تشتمل على أزيد من ستمائة بيت (راجع نصها في *كشف الحجاب*، ص. 358).
- *الفيض الرباني في مدح السيد أحمد التجاني*، للطيب بن أحمد بن هاشم، المطبعة الحسنية - مصر، 1327 / 1909 (فهرست دار الكتب المصرية).
- *المعيار المعرب في فضيحة التحلي بين أهل المشرق والمغرب*، (ذكره في كتابه *تحلية الآذان والمسامع*) لأحمد بن عبد السلام بناني.
- *الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية*، مخطوط خ. ع 2106 د (تنقصها المقدمة) (م = 95. 101) خع 900 د وهي لسيدي الطيب السفياني جمعها من إملاءات الشيخ سيدي أحمد التجاني (1206 د).
- *بشارة الجاني ومزيلة ترح العاني في مدح القطب الرباني سيدنا ومولانا أحمد التجاني*، نظم في سبعمائة بيت. راجع بعض نصها في *كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب*، طبعة المكتبة الشعبية، بيروت (ص. 176 - 184)، ضمنه قصائد في مدح الشيخ التجاني.
- *مناقب التجاني*، لمحمد بن المشري السائحي السباعي الشنجيطي، (خ. ع 1354).
- *الجامع لما افترق من العلوم الفائقة في بحار القطب المكتوم التجاني للمشري*، خ. ع 2444 د (48 ص).
- قصيدة في مدحه، لابن إدريس العمراوي الوزير، (خ.ع 1071).
- *روضة المحب الفاني فيما تلقيناه من أبي العباس التجاني*، (خ. ع 2028 م = 78 - 322).
- *بلوغ الأماني في مناقب الشيخ سيدي أحمد التجاني*، لأحمد المكي بنعبد الله (خ. ع 2462 د).
- *ديوان قصائد في مدحه غير منسوبة*، طبعت بفاس عام 1903.
- *الصلاة الغيبية في الحقيقة الأحمدية*، مكتبة تطوان (890).

إبراهيم بن الحاج عبد الله بن محمد بن الشيخ التجاني، *كاشف الالتباس، عن قضية الختم أبي العباس*، طبع على الحروف بالدار البيضاء.

- *شمائل أهل الحقيقة في التعريف بأكابر أهل الطريقة*، لسيدي أحمد بن محمد بن العباس العلوي الشنقيطي.
- *بغية المستفيد في شرح منية المريد*، لأبي المواهب

سيدي العربي بن السائح، طبعة القاهرة 1304 هـ، ثم طبعة بيروت - دار الجيل.
- جميل أبو النصر، *طريق صوفية في العصر الحديث : الطريقة التجانية*، طبعة 1965.
أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن القاضي العلوي الشنقيطي (1300 هـ / 1882 م)، *العضب اليماني في الذب عن الشيخ أحمد التجاني*، (مخطوط خ. ع. 2460 د (م = 236 - 319) خ. ع 2135 د (م = 102 - 173) طبع على الحجر بفاس في 72 ص.
توفي الشيخ سيدي أحمد التجاني بمدينة فاس صبيحة يوم الخميس سابع عشر شوال عام 1230 / 22 شتنبر 1815، وضريحه بها شهير يزار، من جميع الأقطار.

التجاني، محمد الحبيب ابن الشيخ سيدي أحمد التجاني. فقيه لغوي متبحر، وصالح عارف. كان سبب قراءته للعلم وخاصة النحو خوفه من اللحن، فحفظ الألفية وقرأها على العلامة أحمد بن عاشور السمغوني، وقبل وفاته استدعاه الفرنسيون إلى عاصمة الجزائر وكان مستقراً بعين ماضي متعللين برؤيته والتبرك به فلم يجبهم إلى ذلك ولم تمض أيام قليلة حتى قبضه الله إليه وكان يقول : "أسأل الله أن لا أرى وجه نصراني ولا جوابا منه" (ص. 202). أعقب ولدين هما مولانا أحمد ومحمد البشير. وقد طمع الفرنسيون في احتلال عين ماضي ونواحيها فحصل لسيدي محمد الحبيب اهتمام بهذا الأمر وضاق منه الصدر وكاتب في شأنه بعض أهل فاس، وقد طلب سيدي محمد الحبيب من شيخه أحمد بن عاشور السمغوني نظم قصيدة ضد العدو الفرنسي المغير تتلى بعد قراءة الوظيفة والحزب من جملتها :

وانصر عصابة الهدى على العدا   ونجنا من كل من قد اعتدى

(راجع نصها في *كشف الحجاب*، ص. 384)
ومن تواضع سيدي محمد الحبيب أنه أجاب عندما طلب منه بعضهم إعطاء ورد والده الشيخ سيدي أحمد التجاني : "نحن لا إذن لنا في التقديم ولا في إعطاء الأوراد لأننا لم نكن أهلا لذلك". (*كشف الحجاب*، ص. 219).
وصاحب الترجمة هو الذي أشرف على تمرد التجانيين في الجزائر العاصمة عام 1259 ضد الاحتلال. وكانت عين ماضي في حل من الوجود الفرنسي، يخشى المستعمر الدخول إليها. وقد ساعد السلطان المولى عبد الرحمن ابن هشام هذه الطائفة الثائرة بالمؤن والعتاد عن طريق رجال المقاومة في تازا ووجدة وخنق المستعمر على التجانيين فمنعهم من تأسيس زاويتهم بالعاصمة التي ظلت خلال قرن كامل خلواً من كل حركة تجانية لأن هذه بقيت محصورة في الصحراء. وظل التجانيون مع ذلك يكافحون إلى ما قبل الاستعمار حيث انضم أحد أحفاد المترجم وهو الشيخ سيدي الحاج ابن عمرو التجاني إلى جبهة التحرير الجزائرية فحكم عليه بالإقامة المحروسة طوال عشر سنوات (1953 - 1963) إلى أن تحرر بعد استقلال الجزائر فلجأ إلى المغرب.
توفي محمد الحبيب التجاني عام 1269 / 1852.
أ. سكيرج، *كشف الحجاب*، ص. 55 وما بعدها.

التجاني، محمد الكبير ابن الشيخ سيدي أحمد التجاني وخليفته من بعده. قال في حقه وحق محمد الحبيب أبو المواهب سيدي العربي بن السائح في *بغية المستفيد* :
"وخلّف سيدنا رضي الله عنه بعد انتقاله إلى الدار الآخرة والمنازل القدسية الفاخرة ولدين جليلين كريمين أحدهما العارف بالله تعالى سيدي محمد الملقب بالكبير، والثاني صنوه سيدي محمد الملقب بالحبيب ذو الفضل الشهير والجاه الخطير، خلفاه من بعده في الهداية والإرشاد والنفع العميم للعباد، وقد سبق أن فر سيدي محمد الكبير من الأتراك إلى أرض تماسين بينما لجأ أخوه سيدي محمد الحبيب إلى أبي سمغون بالصحراء الشرقية، وقد قام الأتراك بتخريب عين ماضي فجدد أولاد الشيخ بناءها" (*كشف الحجاب*، ص. 2170).
توفي محمد الكبير التجاني عام 1238 / 1822 أو ما بعدها بيسير.
العربي ابن السائح، *بغية المستفيد* ؛ أ. سكيرج، *كشف الحجاب*، طبعة بيروت.

عبد العزيز بنعبد الله

التجاني بن **مولاي المصطفى**، مقاوم من شباب خنيفرة، ولد سنة 1926، وعمل في صفوف المقاومة السرية بمدينة الدار البيضاء. قام بعدة أعمال فدائية أهمها إحراق مصالح الاستعمار، وألقي عليه القبض سنة 1954، وظل في المعتقل إلى أن توفي ضحية التعذيب.
وثائق المندوبية السامية للمقاومة ؛ *كتاب الشهداء*، ج. III.

عز الدين العلام

التجانية، *طريقة* صوفية أسسها سيدي أحمد التجاني أواخر القرن الثاني عشر (18 م) وهي لا تنتمي للشاذلية ولا لأتباعها الزروقية والتباعية، فهي طريقة سنية جديدة أسست - كما يقول أبو المواهب سيدي العربي بن السائح في *البغية* (ص. 4) - على تقوى من الله ورضوان، وشيدت من العلمين الظاهر والباطن على أقدم القواعد وأقوى الأركان. فكان الشرطان الأساسيان للانخراط في سلكها ضمن اتباع السنة والتمسك بهدي القرآن :
1) قيام الليل.
2) رفع الهمة عن الخلق اكتفاء بالملك الحق واعتبار الشيخ التجاني مجرد عبد من عبيد الحضرة.
"وقد سرى ذلك لأصحابه (*البغية*، ص. 390) فاتصفوا به بين الخاص والعام حتى صار الناس ينسبونهم إلى الغنى ولو لم يكونوا أغنياء".
وقد أكد هذا الشيخ الإمام تنحية لكل افتراء وحياد عن الشريعة قولته المأثورة : "إذا سمعتم عني شيئاً فزنوه

بميزان الشرع فما وافق فخذوه وما خالف فاتركوه" (*كشف الحجاب*، ص. 177) وقديما قالها قبله الأئمة أبو حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل (*فتاوى ابن تيمية*، ج. 20، ص. 211).

وقد انتشرت الطريقة التجانية في القارة السوداء كلها وعرفت عاصمة دكار وحدها ما يناهز مائة زاوية، وأكد بوني موري (G. Bonet Maury) في كتابه *الاسلام والمسيحية* *L'Islamisme et le Christianisme*. حسب نقل الأمير شكيب أرسلان في *حاضر العالم الاسلامي* (ج. 2 ص. 398) أن افريقيا كادت أن تكون كلها إسلامية لولا قضاء فرنسا على سلطنة التجانية هذه، كما أن أوربا كادت تكون إسلامية لولا انتصار شارل مارتل على العرب في بواتيي (بلاط الشهداء). وقد ذكر الأمير شكيب أرسلان (ص. 396) أن الشيخ سيدي أحمد التجاني كان يتظاهر بالتسامح مع غير المسلمين قبل تكالب الآباء البيض في النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) حيث استعملت التجانية القوة في نشر العقيدة الإسلامية فكانت سيدة السودان طوال أربعين سنة وخلف لها الأمير الحاج عمر الفوتي (وهو العلامة الكبير صاحب كتاب *الرماح*) سلطة إسلامية عظيمة في وسط بلاد الزنوج الوثنيين هددت وجود فرنسا. والسلطان الفوتي هذا أخذ الطريقة التجانية بالحرمين الشريفين عن أحد تلامذة الشيخ التجاني وهو العلامة الفاسي سيدي الغالي أبو طالب.

وقد أشار المؤرخ الفرنسي أندري جوليان في كتابه *المغرب تجاه الدول الاستعمارية* إلى قيام الطائفة التجانية بالجزائر العاصمة بمقاومة الاستعمار الفرنسي معززة بالمقاومين في المغرب الشرقي الذين كان السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام يمدهم بالمؤن والعتاد عن طريق تازا ووجدة.

فبهدي الشيخ التجاني حارب الأفارقة الاستعمار وبهدي الشيخ التجاني انتشر الإسلام بين الزنوج وسقط في أيدي دعاة التبشير من المسيحيين وواصل الدعوة إلى الهدي شيوخ أعلام أمثال الشيخ مالك الحاج سي والشيخ إبراهيم نياس والشيخ عبد العزيز سي، ولا تزال عشرات الآلاف من الزوايا بين القارة الإفريقية وفي قارات أخرى لا نستثني منها أمريكا وأوربا معمورة بالذكر وقراءة القرآن حافلة بشعائر الدين لا تعرف الكلل ولا الملل في الدعوة إلى الله وفي إحياء معالم السنة المطهرة خالية من كل وقف أو حبس، يعمل الأئمة والمؤذنون والحزابون والعلماء مجانا لعمرانها ليل نهار بالعلم والهدى.

العربي ابن السائح، *بغية المستفيد لشرح منية المريد*، الطبعة الأولى، القاهرة ؛ أ. سكيرج، *كشف الحجاب فيمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب*، بيروت ؛ علي حرازم برادة، *جواهر المعاني وبلوغ الأماني*، وبهامشه كتاب *رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم* لسيدي عمر بن سعيد الفوتي الطوري، بيروت، 1383 هـ ؛ عبيدة الشنقيطي، *ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية*، القاهرة (1371 هـ / 1951 م) ؛ جميل أبو النصر، *طرق صوفية في العصر الحديث : الطريقة التجانية*، 1965، 204 ص.

عبد العزيز بنعبدالله

التجبير طب تقليدي، لا شك أن الحاجة إلى هذا النوع من الطب ظهر منذ أقدم العصور التي نشط فيها الإنسان، لأن حركة هذا الأخير، وأعماله اليومية، تعرض عظامه للكسر. وإذا عظم كسر الانسان أو الحيوان أسرع الناس إلى معالجته. ولعل الرغبة الملحة في شفاء المكسور هي التي حذت بالإنسان إلى تعلم مهنة التجبير.

ولهذا المصدر أصل في اللغة العربية. ويستشف من ذلك معرفة العرب لهذه المهنة. ففي لسان العرب ويقال جَبَّرت الكسير أُجَبِّرُه تجبيراً وجَبَرته جَبْراً عن اللحياني وأنشد :

لها رجْل مجبَّرةٌ تَخُبُّ (تسرع)

وأخرى ما يسترها وَجَاح (غطاء ساتر)

والمُجَبِّر الذي يجبر العظام المكسورة، والجبائر العيدان التي تشد على العظم لتجبره، وواحدتها جبيرة أو جبارة.

دخل هذا النوع من العلاج في اهتمام الأطباء المسلمين، إلا أنه لا ينبغي خلطه بالجراحة التي اشتهر بها عدد من الأطباء في التاريخ الإسلامي كابن القف في كتابه "العمدة في صناعة الجراحة" وخلف ابن العباس الزهراوي المتوفي سنة 427 هـ / 1035 م. حين فرق بين الجراحة وغيرها من المواضيع الطبية. فتجبير العظام المكسورة أو الخارجة عن موضعها ليس عندهم من تخصص الجراحة. وقد عالجه الأطباء المسلمون بالتكميد من الخارج دون اللجوء إلى عمليات جراحية واشتهر المهتمون بهذا الميدان بالإتقان، وعملوا على تطوير التجبير مع مرور الزمن.

وإلى عصرنا اشتهر في المغرب بعض الناس - وليسوا أطباء بالمفهوم المعاصر للكلمة - بامتهان التجبير، وبرعوا فيه حتى ضاهوا الطب الحديث، وتخصصه علم جراحة العظام Traumatologie، بحيث مازال الناس بعد التجبير الذي يجرى لهم بالمستشفيات - في بعض الحالات - يلجؤون إلى المجبرين ويجدون راحتهم بعد التجبير التقليدي.

وطريقة هذا التجبير أن يقوم "لْمْعَلّم" برد العظم إلى مكانه ثم تغطية العضو المكسور بالصوف، وإحاطة الصوف بكاغيد مثل السكر الأزرق، أو الياف الدوم، ثم خلط الدقيق مع أصفر البيض، وطلي ذلك العجين على الكاغيد، ثم وضع انصاف القصب التي تعد حالا، لكي تدار على العضو المكسور مرصفة، النصف إلى جانب والنصف إلى جانب آخر، ثم يشد العضو. وقد تختلف أدوات العمل من منطقة إلى أخرى بعض الشيء، فإذا اشتكى المكسور أرخى لْمْعَلم أو أهله رباطه قليلا، وهكذا يستمر ذلك أسبوعا فأكثر حسب تعليمات المجبر. ومنهم من يلجأ إلى تكسير

المريض من جديد إذا ما مضى وقت على الكسر وصار العظم ينجبر على اعوجاج، ثم يصلح العضو ويجبره كما يفعل أحد المتفننين في هذه المهنة ببني زروال وهو محمد بن حليمة الذي يسكن بفرقة أولاد قاسم.

الهوني فرج محمد، *تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية*، بنغازي، دار الكتب الوطنية، 1986، ص. 78، 148 ؛ *تحريات ميدانية*.

العربي الحمدي

تَجْدْرارْتْ، من مستقرات اليهود المشهورة بمنطقة الأطلس الصغير الأوسط. تقع بأراضي أيت مزال إلى الشمال الغربي من قبائل إيلالن. وكانت معروفة بملاحها الكبير، وسوقها الذي ترتاده قبائل أملن، وإيلالن، وإيسندالن... تأثرت عمارتها بالوباء الواقع عام 1214 هـ / 1799 م.

البقدوري، *إتحاف أهل البدو والقرى...*، ص. 101.

أحمد بومزگو

تُجْكَانْ، زاوية تقع في أقصى الشمال الشرقي لقبيلة بني منصور إحدى قبائل غمارة الوسطى، على بعد نحو خمسة عشر كلم من شاطئ البحر المتوسط ؛ وتذكر بعض الروايات الشفوية أن أول مؤسس لها هو : الشيخ علي الشلي (ت. 981 / 1573) دفين قرية بوجديان بقبيلة أهل سريف ـ قرب القصر الكبير، وتعرف إلى الآن ـ بزاوية تاسفت ـ وتاسفت شجرة ذات أغصان سامقة من نوع شجر البلوط الحلو.

وعندما قدم عليه في حدود منتصف القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي عبد السلام بن محمد بن عبد المومن المعروف بعبد المومن الصغير، وتتلمذ له وأقام في خدمته مدة، أرسله إلى زاويته بتجكان فجددها، واشتهر أمره بها، وكانت وفاته في حدود أوائل القرن الحادي عشر الهجري (17 م) وكان معاصراً للشيخ أحمد الفلالي (ت. 998 / 1589) دفين قبيلة بني بوزرا الغمارية.

ثم جاء بعده ولده أحمد الشهير بالحاج أحمد الغماري، ولد سنة 1200 / 1785، تعلم ببلده فحفظ القرآن بالروايات السبع، وأقرأ بجامع أناري بقبيلة بني بوزرا ـ مدة، وكان يصلي الفجر بزاوية الشيخ الفلالي ؛ ويقال إنه ختم بها أربعين سلكة من القرآن العظيم. وهناك تعرف على شيخ غريب فتلعم عليه، وأخذ عنه أكثر العلوم والفنون. ومن هناك اتجه إلى الشيخ العارف محمد بن خمريش (خمليش) الزرقتي، فأخذ عنه الطريق الناصرية، ثم رحل إلى المشرق ومر بمصر فأخذ عن العارف الصاوي (ت. 1241 / 1825) الطريق الخلوتية تبركا. وبعد أن أدى فريضة الحج بدأ يبحث عن شيخ التربية، فدل على الشيخ مولاي العربي الدرقاوي بالمغرب (ت. 1239 / 1823)، فتتلمذ له، ولم يلبث أن أذن له في التربية، فأسس زاويته على مقربة من زاوية والده، وتلمذ له كثيرون، فنالت زاويته هذه شهرة عريضة، تنوسيت معها زاوية أبيه، وهي المعروفة ـ إلى الآن ـ بالزاوية التجكانية ؛ ومن أشهر تلاميذ الشيخ أحمد بن عبد المومن:

محمد الغالي أيوب دفين فاس، (ت. 1275 / 1856) ؛ إدريس الزعري الفاسي، (ت. 1291 / 1874) ؛ الصادق بن عجيبة، (ت. 1294 / 1877) ؛ الهاشمي بوزيد المتوفى في حدود نيف وتسعين ومائتين وألف / ق 19 م ؛ الشيخ عبد القادر بن عجيبة، (ت. 1313 / 1895).

ومن المظاهر التي تطبع هذا العصر بجبال غمارة وقبائل الجبل عامة إقبال الناس على القراءات السبع والعشر، وإهمالهم طلب العلم والتفقه في الدين، الأمر الذي جعل الشيخ مولاي العربي الدرقاوي يكاتب تلميذه الشيخ أحمد ابن عبد المومن وينبهه إلى هذا الخطر الذي يبعد المريد عن حظيرة الإسلام، فضلا عن الحضرة الإلهية "ونصحي إياكم وغيركم أن لا تنكبوا على القرآن العظيم كما انكب عليه سائر أجيالنا نحن وغيرنا، حتى لا ينتهي أحدنا إلا إن حفظ رواية السبع والعشر، وكانت عنده نصب عينيه ؛ وكثيرنا لا يحسن قراءة الفاتحة، ولا يحسن الأذان والإقامة، ولا يعرف الفرائض والسنن .. والصواب أن تقرؤوا ما تيسر من القرآن، وتتفقهوا في الدين".

وكان للزاوية التجكانية إشعاعها الفكري والروحي، وممن أنجبتهم في هذا الميدان :

1 ـ الحاج الصديق بن الحاج أحمد بن عبد المومن، ولد سنة 1246 / 1830، ولم يكد يحفظ القرآن حتى توفي والده، فتتلمذ للشيخ العارف الهاشمي بوزيد، تلميذ والده، كما أسلفنا، فقام بشئون الزاوية، وكان له نفوذ روحي في قبائل غمارة، (ت. 1331 / 1912).

2 ـ محمد بن الصديق، ولد سنة 1295 / 1878 تعلم ببلده فحفظ القرآن وهو صغير، وشرع في حفظ بعض الروايات، فقد ختمه برواية مكي على شقيقه أحمد، ثم درس على أخيه محمد القاضي، وعلى ابن عمه زين العابدين محمد المؤذن، وقرأ بجامع تِنْدمان على أحمد السوري وكان في رفقته ابن عمه أحمد البركة، ثم رحل إلى فاس وأنهى بها دراسته، وأخذ على كثير من مشايخها ؛ وتلمذ للشيخ المربي محمد ابن إبراهيم، ولازمه مدة، ثم أمره بالعودة إلى بلده، فاستوطن طنجة وأسس بها الزاوية الصديقية التي هي فرع من زاوية تجگان، (ت. 1354 / 1935).

3 ـ محمد الغالي رجل الفضل والصلاح، تولى رئاسة المحلة بدار ابن قريش، وشارك في كثير من المعارك ضد الإسبان، وكان مسموع الكلمة في قبائل غمارة. (ت. 1360 / 1941).

4 ـ مولاي الحبيب، من كبار علماء تجگان، درس بفاس ومصر، ثم عاد إلى بلده فاشتغل بالتدريس وإرشاد الناس. (ت. 1377 / 1957).

5 ـ محمد المودن، اشتهر بالتقوى والصلاح وكان ذا أحوال خاصة ؛ ضريحه مشهور بالزاوية، عاش أواخر القرن الثالث عشر الهجري وأوائل الرابع عشر (19 م).

6 ـ الفقيه محمد بن محمد أقشقاش، لقب بذلك لكثرة حفظه ومهارته في علم القراءات، توفي أوائل القرن الرابع عشر الهجري (19 م).

7 ـ الفقيه محمد بن آمنة الملقب بالعتوق، تولى الإفتاء والقضاء ببلده، وكان له تضلع في نوازل الفقه، خلف مجموعة فتاوى، توفي بسلا أواخر القرن الرابع عشر الهجري (20 م).

أ. ابن الصديق، *التصور والتصديق* ؛ ع. التليدي، *حياة الشيخ أحمد بن الصديق* ؛ عبد العزيز التجكاني، *تقييد عن تجكان وزاويتها* ؛ *روايات شفوية وبعض وثائق خاصة*.

سعيد أعراب

تجكانت، والنسبة إليها جكاني. ماتزال مواصفات قبيلة تجكانت تؤكد ارتباطها العضوي بماضي بعيد جسدت خلاله إحدى أهم تجزؤات مسوفة (إيمسوفن) الصنهاجيين. ارتبط ماضي هذه الفصيلة الإيمسوفية بالمنطقة الواصلة بين وادي درعة شمالا وتاودني جنوبا عبر تيندوف القديمة (تندافين : تيندوفين) وتغازى. هذا المحور الذي لن تظهر تمبكتو في نهايته الجنوبية إلا ابتداء من عام 494 / 1100، سيعرف تسلط البرابيش على ملاحة تغازى خلال القرن الثاني (8 م) (*تاريخ السودان*، 25 ـ 42). على أن مهارة مسوفة التجارية ومقدرتهم الحربية ستجعل ابن حوقل النصيبي يشهد على مقدرتهم الاحتكارية لحركة القوافل بعين المكان خلال القرن الرابع (10 م) (*صورة الأرض*، 98). هكذا، انطلاقا من نموذج متكامل على المستويات التجاري والمجالي والحربي نتبين سبب تفوق مسوفة ودورهم في تعميق أسباب التلاحم الاقتصادي عبر محاور الصحراء الأطلسية. جسدت هذه المساهمة يومها أداة مجمل قبائل إزناگن (صنهاجة) الوحيدة في مواجهة المد التجاري الزناتي الخارجي العبادي. وهي حقيقة لن يلبث أبو عبيد البكري أن يكرسها خلال القرن الخامس (11 م) حين وصف قدراتهم التجارية والحربية في آن واحد (*المغرب*، 149 ـ 284). ولنا في حوادث الدعوة المرابطية أدلة على أن مسوفة سيعملون على مجابهة المد اللمتوني مساهمين بذلك في عجز عبد الله بن ياسين على دمج باقي صنهاجة (البافور ـ إيگدالن). الأكثر من هذا أن هجرة لمتونة (إيويليميضين) نحو الشمال قد سهلت مأمورية مسوفة في مراقبة جل المحاور الموازية لمحورها غربا فارضة المكوس والإتاوات ومحددة قوانين المرور حتى مشارف أزوگي بأدرار التمر. ندرك من هنا أن الهيمنة المجالية والتجارية ستؤثر بشكل ملحوظ في انتشار فصائل مسوفة عبر مختلف المراكز الاستراتيجية الفاعلة. وهذا شيء طبيعي، مادام ظهور مدينة تينيگي على مقربة من شنقيط بأدرار ستجسد منذ القرن السادس (12 م) ثاني قاعدة جكانية بعد تيندوف.

لئن كانت جل المصادر المحلية لا تعود إلا إلى القرن العاشر (16 م)، فإن النتائج التي أدت إليها هيمنة مسوفة على جل المحاور الغربية وفرت نموذجاً للقبيلة التي شمل اسمها باقي فصائل صنهاجة. لقد أصبحت فصائل إزناگن كلها تقتصر في تحديد هويتها على صيغة المسوفي كقاسم مشترك. علينا أن نتذكر هنا أن المنظومة الخلدونية مبنية على تلخيص المصادر حين تؤكد يومئذ على ما شاهده ابن بطوطة بعين المكان (*تحفة*، IV : 338 ؛ *Hist. des Berb.*, II : 67). ما يميز الفترة الفاصلة بين القرنين السادس والثامن (12 ـ 14 م) إذن هو تشخيص سيادة إيمسوفن ومن ضمنهم تجكانت على تجارة الصحراء ومدنها مجسدين بذلك استقلالهم عن مملكة مالي. على أن هجرة لمتونة ودور التسرب المعقلي إلى مسالك المنطقة بالإضافة إلى تشتت فصائل إيمسوفن قد ساهمت في تمفصل هذه الفصائل كل واحدة حسب موقعها الجديد. من يطبق قوانين التقسيم هذه يدرك أن مسومة ومشظوف ما هي إلا تحريفات لكلمة مسوفة كما أوضح ذلك *تاريخ السودان* نقلا عن *الحلل الموشية* (*تاريخ السودان*، 25 ؛ *الحلل*، 1979، 17). ومن يأخذ بعين الاعتبار تداخل المصالح التجارية والمجالية يدرك أن مصالح مسوفة اقتضت اندماجهم النسبي بمملكة سنغاي. لقد اضطرت السياسة الاقتصادية الحمائية لهذه المملكة فصائل إيمسوفن على محور تمبكتو ـ تيندوف إلى تطوير أساليب التعامل (E. M. Sartain, *Jlal Ad-Did*, 195). فقد حصل فعلا في مجال دراسة تجكانت بتينيگي أن جرت حركية المسالك الشرقية أسباب الاضمحلال التجاري مسببة بداية مرحلة الانحطاط (انظر مادة تاودني *بالمعلمة*).

ما مدى تحالف تجكانت وسنغاي خلال القرنين التاسع والعاشر (15 ـ 16 م) ؟ تعد الرسالة التي بعث بها محمد بن محمد بن علي اللمتوني إلى جلال الدين السيوطي خلال شهر شوال عام 898 / غشت 1493 من أهم الوثائق التي تساعد على تحديد العناصر البنيوية لمجتمع ما قبل الهيمنة الحسانية خلال القرن الحادي عشر (17 م). فإذا كان تحقيق (J. Hunwick, *Notes*, 19) لهذه الوثيقة لم يرق إلى المستوى المطلوب شأنه في ذلك شأن دراسة (H. T. Norris, *The Touaregs*, 42 - 47)، فإن تحليل عبد الودود ولد الشيخ قد حدد من خلالها المعطيات الأساسية التي تكشف النقاب عن طبيعة المجتمع الصحراوي (*Eléments*, 23 - 39). لقد كان المسوفيون محتكري تينيگي عاصمة تجكانت ووادان (إن والان) وتشيت وولاتة يجعلون من النظام الأميسي نظام قرابتهم الوحيد ومن حملة الكتاب الزوايا فئة اجتماعية تلتزم المرابطة وتصحيح المعتقدات. تكمن الدلالة البليغة لوجود هذه الفئة المرابطية في شمولية القيم المجتمعية القديمة التي تجسد التطابق التام بين مسوفة (إيمسّوفن) ومجمل توارگ الصحراء الأطلسية والوسطى. لم تكن الصحراء الأطلسية قد تعربت بعد ولا ممارسة الطرب والغناء قد أصبحت حكراً على إيگوان. فما يميز مراسل السيوطي كحامل كتاب من الزوايا هي رغبته في

تهذيب الطباع والقيم المتوارثة راسما بذلك العناصر التي لم تكن تميز تجكانت عن غيرهم من مسوفة أو باقي الغور الصنهاجي الأقدم. فلا يمكن إذن أن نتطرق بأي حال من الأحوال إلى مسألة الفصل في نطاق التاريخ الوقائعي بين الشماليين من سنغاي وتجكانت محتكري محور تجكانت التجارية ومصالح سنغاي. فلا نتصور بسهولة أن صيغة وحدة المصالح وتقابلها قد تقتضي مواجهة تجكانت لتطور تجارة المحاور الشرقية التي تمر بجزء كبير من ترابهم وتمنحهم كثيرا من الصلاحيات.

تدهورت حركية المسالك الساحلية للصحراء الأطلسية لتتسبب في احتداد الصراع بين فصائل تجكانت المقيمة بتينيگي. ولا شك أن مختلف باقي تجزؤات الغور المسوفي والصنهاجي قد عانت من مضاعفات هذا التدهور التجاري ومن ضغوط المد الأعرابي الحساني آخذة في الهجرة ابتداءً من منتصف القرن العاشر (16 م) انطلاقاً من الشمال الغربي في اتجاه الجنوب الشرقي. نلاحظ هنا أن التنافس حول مراقبة مراعي الهدة الخصبة قد أفرغت منطقة الركيز حيث لم يبق بها سوى إيجمان وفصائل تگداوست المقيمة بنودش اشتعلت أسباب الحرب المدمرة بين تجكانت تينيگي لتسرع بهدم المدينة وانقسام الفصائل المحلية إلى مهاجرين شمالا وآخرين جنوبا. وإذا كان إيجمان هم المؤسسين الحقيقيين لمدشر تغبة فإن وصول فصائل تجكانت المهاجرة ستسبب في صراع انتهى بهجرة إيجمان وتگداوست عن الركيز.

كان الأغلال أول من دشن خلال منتصف هذا القرن عملية الهجرة من شنيقيطي بأدرار في اتجاه تشيت واصلين بعد ذلك إلى ولاتة ومنها إلى الهدة الشرقية في نهاية القرن. هذه المعطيات التي تفقد عندها *الرسالة الغلاوية* وكتاب *الطرائف والتلائد* لا تفيدنا في شأن هجرة الفصائل المتجهة شمالا. فقد وصلت فصائل تجكانت إلى أرض طاطا حيث تقع قصبة انكارف مقر إقامة الحسن ابن الطالب عامل أحمد المنصور الذهبي. لم تجد هذه الفصائل أية صعوبة في الوصول إلى عين المكان مروراً بتيندوف حيث مضارب فصائل تجكانت القديمة. ولم يلبث التساكن مع إدا أوبلال أن جسد أحد العوامل الأساسية في تمتين جبهة الحد من هيمنة أولاد دليم (R. Caillé, *Journal*, 213).

إذا نظرنا إلى تطور فصائل تجكانت الشماليين على امتداد المحور تمبكتو - تيندوف وجدناها تنقسم خلال القرن العاشر (16 م) إلى أربعة فروع محورية هي أولاد إبراهيم ورماحتين والموساني وأولاد سيدي علي. نجد في مواصفات كل فصيلة ملاحظات كثيرة تتعلق بازدواجية حمل الكتاب وامتهان التجارة. فعلاوة عن كون جل تجكانت محاربين، نجدهم يتوخون العلم والتجارة. ولنا في حوادث القرن الحادي عشر (17 م) أدلة على تصور زعمائهم لبنية قبلية تجمع بين المقدرة الحربية والتجارية والعلمية. فقد اتضح منذ حملة السعديين إلى تمبكتو أن تجربة تجكانت تهدف بالضرورة إلى المحافظة على احتكار محورها التجاري وعلى توازن فصائلها على اختلاف تخصصاتهم الاجتماعية والمهنية. الحملة السعدية لا تعد الوحيدة التي وجدت العون والمؤازرة من تجكانت حيث تكشف المصادر والوثائق الخاصة عن دورهم في مساندة المولى إسماعيل وولاته على الصحراء. فتحسبا لكل التحالفات يومها بين إدا أوبلال واتحادية أولاد دليم القوية ركزت كل مراسلات المولى إسماعيل إلى ولاته على ضرورة التعاون مع تجكانت. ولن نمر بسرعة على هذا الجانب دون أن نركز على دور تجكانت الأساسي في تطوير المبادلات عبر محورهم التقليدي. فبالإضافة إلى استئثارهم باهتمام المخزن نجدهم يجسدون أكبر منافس حقيقي لتجارة تكنة بأسواق سوس ومراكش. نجد بأن تسرب تجكانت إلى أسواق إليغ ومراكش وسجلماسة دفع بتجار تكنة إلى الارتباط بالمرافئ الساحلية بأگادير وماسة وأيت باعمران. وقد أظهرت تجكانت من الحنكة السياسية والتجارية ما جعل منها قوة متصرفة في موانئ الضفة الشمالية وقوة حربية قادرة على الحد من تحرشات البرابيش وأولاد دليم والبرابر وغيرهم (م. ناعمي، *جوامع المهمات*). غير أنه تحسبا من تكنة الذين يمثلون عصبية متغلبة على سواها بوادي نون وباني والساقية الحمراء، لمخاطر المنافسة، أغلقوا أسواقهم عن قوافل تجكانت. وهو ما أدى بالمنافسة إلى تحسين حركية المحورين التكني والجكاني فكان من أبرز مضاعفات هذا التحسن النسبي إلى حدود النصف الثاني عشر (18 م) أن تصاعدت وتيرة المبادلات الحرة مع المرافئ. هذا ما أدى بالسلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى إغلاق مينائي أگادير وماسة سنة 1765 معلنا عن انفتاح ميناء الصويرة. وجه هذا الميناء الجديد ضربة قاضية لتجارة وادي نون والساقية الحمراء نظراً لبعدهما عنه. وبالمقابل أصبح على القوافل المتوجهة إلى الميناء الجديد أن تمر بمراكش القريبة مما اضطرها إلى هجر المحاور الساحلية وتفضيل محور تجكانت عبر تيندوف. استطاعت بذلك تجكانت أن تنمو بشكل مطرد بين وقت ظهور ميناء الصويرة والقرن الثالث عشر (19 م) لتصطدم خلال النصف الأخير منه بتطورات الأحداث بالصحراء الأطلسية.

تأتي أهمية هذه المكونات من كونها تبرز الأدوار الأساسية البارزة التي لعبها تجار تجكانت وممتهنو مرافقة القوافل منهم. ولا يخفى أن هذا الجانب على أهميته لا يكفي وحده لرصد الحياة الاقتصادية والاجتماعية لباقي الشرائح الجكانية بهذه المنطقة البعيدة عن العمران القروي وعن مرافئ التجارة الساحلية. من هنا يكون لزاما علينا التركيز على أهمية الترحال وتربية الإبل في تنمية حجم القطيع الجكاني كمقياس حقيقي لمدى غنى جل الفصائل المنتجعة يومها من تيندوف إلى تاودني.

صادف القرن الثاني عشر (18 م) ظهور وتطور الرگيبات تحت حماية لفي اتحادية تكنة. لم تكن فصائل

الركيبات الساحلية تقترب من حمادة تندوف باستثناء أولاد موسى في بعض الأحيان. أما الفصائل الشرقية فقد تعودت على الانتجاع بجوار فصائل تجكانت، بحكم تربيتها للإبل خلافا للفصائل الساحلية. واعتباراً لكون الركيبات كانوا مسالمين لا يحملون السلاح مكتفين بحماية تكنة لهم، فإن تجكانت كانوا يغزون إبلهم بصفة منتظمة. هذا ما أكدته بعض المخطوطات الركيبية التي اطلع عليها J. Larribaud . لم يكن من شأن مقدرة الركيبات الاستيعابية على احتواء أكبر قدر من الدخلاء أن يقلل من حجم قطيعها من الإبل. وبالرغم من النمو الديمغرافي المتزايد الذي كانت تعرفه فصائل الركيبات الساحلية والشرقية، فإنها ظلت تعتبر نفسها في موقف دفاعي ضد تحرشات تجكانت إلى أن ظهر مع بداية القرن الثالث عشر / نهاية (18 م) السلاح الناري الوروار. ففي سنة 1211 / 1796 . 1797 انفجرت أول معركة بالعريضة، الموقع المعروف بالساقية الحمراء، لتمتد إلى فم تازرٌ حيث انقسمت حامية تجكانت إلى قسمين. انسحب الأول شمالا نحو أيت أوفلمان واتجه الثاني إلى إيگيدي جنوبا حيث تجنب شر الركيبات (*جوامع المهمات*، 84). أدت ثاني معركة بين الطرفين بعد ربع قرن من هذا التاريخ إلى مقتل عدد كبير من تجكانت وسلب كثير من ممتلكاتها. تأكدت يومها خطورة الركيبات كقوة متنامية اتفق تجكانت وإدا أوبلال وامريبط واعويب على محاربتها. توجهوا إلى الاحميديات حيث أكدت إحدى كبريات المعارك على تفوق الركيبات الذين أصبحوا يتوفرون يومها على أسلحة نارية بلجيكية وفرنسية وأنجليزية.

تسببت هذه التعقيدات السياسية في تدهور العناصر القادرة على توفير أمن وسلامة المحور تاودني ـ تيندوف. وقد اضطر الشيخ محمد المختار بلعمش عالم تجكانت الأكبر وتلميذ محمد بن المختار الكنتي إلى إعادة بناء تيندوف حوالي سنة 1256 / 1840 خلافا لما تورده بعد المصادر (*المعسول*، XVIII : 159) التي تركز على سنة 1270 / 1853 (*جوامع المهمات*، 87) كان هدفه هو الحد من اختلال الأمن والعمل على مواجهة مختلف قضايا التبادل التجاري ونظام التحالفات. وفعلا، فإن تيندوف لم تلبث أن أصبحت عاصمة دينية وبرصة التسعير الأولى بالضفة الشمالية الغربية للصحراء الأطلسية كما شهد على ذلك Camille Douls. فعلى المستوى التجاري والسلعي تكشف صلاحية المحتسب والقاضي عن قدرة تيندوف على التخزين كأول مستودع جهوي. أصبحت القاعدة هي أن يقف تجار الشمال والجنوب بأنفسهم على عمليات التقليب والتسعير. وتعتبر شهادة C. Douls الذي زار تيندوف سنة 1887 بالغة الأهمية لإبراز دور الموقع التجاري الاستراتيجي. فهو يميز الموقع كملتقى للطرق عن عين صالح بمنطقة توات مسجلا بأن ستة محاور تصل إليه من گلميم وأقا وتافيلالت وتوات والجنوب الجزائري والساقية الحمراء. كما أن من الإشارات الهامة التي سجلها نلاحظ تعريف تيندوف كعاصمة أولى لتجارة الرقيق.

علم الركيبات بإعادة بناء تيندوف سنة 1256 / 1840 فأرسلوا وفداً للتهنئة. ويضيف محمد سالم بن لحبيب ابن الحسين بن عبد الحي بأن تجكانت قد بنوها بناء جيدا (*جوامع المهمات*، 86). هنا نسجل بأن مساهمة المسجد الجامع الذي اختطه بلعمش تعد بالغة الأهمية من الناحية الدينية والسياسية، فعلاوة على تخرج مجموعة لا يستهان بها من الفقهاء والعلماء خصهم الأمين الشنقيطي ومحمد المختار السوسي بمؤلفين خاصين (*الوسيط*، 277 . 284 ؛ *المعسول*، XVIII : 158). نجد أعلاما مشهورين بالمشرق كمحمد محمود بن التلاميذ التوركزي (*الوسيط*، 380 . 396) يدرسون شأنهم في ذلك شأن محمد المختار بلعمش وابنه محمد وتلميذه الشيخ ماء العينين. وإذا كان محمد المختار بلعمش قد توفي مبكراً (حوالي سنة 1285 / 1868) حسب ما أورده السوسي (*المعسول*، XVIII : 160) فقد تجلت مساهمته العلمية في حجم ما خلفه من آثار ومؤلفات السوسي (*سوس العالمة*، 199 ؛ الأمين الشنقيطي، *الوسيط*، 321). أما مساهمته التاريخية السياسية فقد تجلت في قدرته على سن قوانين المعاملات القبلية بعين المكان، لقد واجه مجمل القبائل المتصارعة صنهاجية كانت أو حسانية بفتاوى تقول بقتل قطاع الطريق منهم. بل ونلاحظ أن صرامته قد أسهمت إلى حد بعيد في تطبيع العلاقات يومها بين تجكانت والركيبات إلى أن وقعت معركة غزي تيگي ومعركة منهل وادي واين تاركت. يومها حرض الشيخ محمد المختار بلعمش الجكاني قبيلته قائلا : "قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار وجهادهم واجب". ويضيف مخطوط *جوامع المهمات* بأنه أفتى كتابة بجواز قتال الركيبات مما دعا محمد بن يوسف بن عبد الحي عم صاحب المخطوط إلى الاعتراض عليه بتأليف آخر. قام العالمان بإرسال المؤلفين للسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن قصد الحسم في الخلاف، فاستفتى بدوره علماء مراكش وفاس. وإذا كان العلماء قد رجحوا مقولة قاضي الركيبات بن عبد الحي سنة 1295 / 1878 فهو ما يعني أن وفاة محمد المختار بلعمش قد تكون لاحقة للتاريخ الذي أوردناه سابقا (*جوامع المهمات*، 89). لقد رفض عالم تجكانت حكم العلماء فأغار تجكانت على ركيبات الساحل وآل عبد الحي بالموقع المعروف برگ المحون بالمنطقة الساحلية. فما كان من آل عبد الحي إلا أن رفعوا شكوى إلى السلطان بعد أن رفض تجكانت إعادة ما انتزعوه منهم. كلف السلطان سبعين عالما بمهمة الحسم وحضر الفقيه الحاج البشير ممثلا للركيبات وآل عبد الحي بينما مثل محمد المختار بلعمش قبيلته، وما أفتى به في هذا الشأن : "فغلب أهل عبد الحي تجكانت وأمره طويل لكن اقتصرت على ما كتب منه" (*جوامع المهمات*، 89). دخل الطرفان بعد ذلك في سلسلة أخرى من الحروب والمساجلات الشعرية انتهت سنة 1303 / 1886 بانتصار الركيبات واستسلام

تجكانت المرحلي. خلال هذه السنة عين المولى الحسن الشيخ أحمد بن محمد المختار بلعمش قاضيا على تجكانت بظهير 24 . 8 . 1303 / 28 . 5 . 1886 (*مجلة صحراء المغرب*، XX : 8). انطلقت السلسلة الأخيرة من المعارك بين الطرفين سنة 1314 / 1895 لتنتهي بغزو 1200 ركيبي لتيندوف حيث مكثوا سبعة أيام خربوا خلالها جل القصر ولم يبقوا منه إلا على ديار أهل العبد وأهل المرابط (*جوامع المهات*، 94 ـ 95).

نلاحظ أن هذه المعطيات تكشف ضمنيا عن مدى وعي محمد المختار بلعمش بعمق المشكل الرگيبي القائم. نجد في تحليله قدرا من الواقعية والعقلانية يستهدف تجنيد مختلف فصائل تجكانت والسلطان والعلماء وباقي القبائل المجاورة إلى حقيقة الخطر المحدق بالوجود الجكاني، وهو ما يؤكد أن تأطيره لذويه وحثهم على مواجهة الأخطار الخارجية لم يأت من باب العصبية القبلية ولا النزعات القومية الساذجة. لقد تعاقبت فعلا على تراب تجكانت منذ هدم تيندوف أحداث متتالية صبت كلها في نفس الاتجاه السلبي. فلا الظهائر العزيزية ولا قرارات المقيم العام الفرنسي في 11 . 1 . 1935 بمغربية تيندوف، أعادت لفصائل تجكانت سابق تماسكها. بل إن الوقوف المطول عند مضاعفات التطورات السياسية على هذه الفصائل يعود بها إلى دور العوامل الخارجية الاقتصادية والسياسية الفرنسية والإسبانية كمؤطر لدور الصراعات المحلية. إن عملية الجنرال ترانكي Trinquet القاضية سنة 1353 / 1935 بضم تيندوف إلى التراب الجزائري لا تفي وحدها بالغرض التحليلي المطلوب إلا إذا توغلنا في تفاصيل التناقضات القبلية في ارتباطها بمضاعفات استراتيجية المد الفرنسي الاسباني. برر القائد السنهوري تعامله مع الإدارة الفرنسية كممثل لتجكانت بضرورة العمل على إعادة التماسك الجكاني إلى ما كان عليه، وهي مقولة تركز على دور العوامل الخارجية كعقبة أساسية في وجه التماسك والتساكن. وإذا كان السنهوري قد أعلن مغربيته سنة 1962 حاملا بيعة أهل تيندوف، فإن دعائم البنيان الجكاني كانت يومها قد عرفت كثيراً من التعلل لم تترك لها إلا تشبثا راسخا بمبادئ وقيم الانتماء إلى مجتمع الصحراء الأطلسية.

جلال الدين السيوطي، *الحاوي للفتاوى*، القاهرة، د. ت، جزآن ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الجزء الثامن عشر ؛ *سوس العالمة* ؛ *جوامع المهمات في أمور الرقيبات* ؛ الأمين الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط* ؛ المختار ولد حامدون، *حياة موريتانيا*، جغرافيا ؛ سيدنا بابا بن محمد بن سيدي، *تاريخ امارتي إدا وعيش ومشظوف*، مخطوط ؛ ابن بطوطة، *تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار*، دار التراث 1968 ؛ الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي، *الرسالة الغلاوية* ؛ *الطرائف والتلائد في مناقب الشيخين الوالدة والوالد*، مخطوط ؛ عبد الله بن الحاج إبراهيم، *يسر الناظرين في روضة النسرين*، مخطوط.

A.W. Cheikh, *Eléments d'histoire de la Mauritanie*, Centre Culturel Français, Nouakchott, 1988 ; R. Caillé, *Journal d'un voyage*, Paris, 1965 ; C. Douls, *Voyages dans le Sahara Occidental et le Sud marocain*, *Soc. Normande de Géographie*, Janvier - Février 1888 ; S. Caratini, *Les Rgaybat* ; J. Hunwick, *Notes on a late fifteenth century document concerning Al Takrur*, in Allemand Jonhson (ed). *African perspectives*, Cambridge, 1970 ; H. T. Norris, *Saharian Myth and Saga : The Touaregs*, Warminister, 1975 ; J. Larribaud, *Tindouf et le Sahara Occidental*, *Archives de l'Institut Pasteur d'Algérie*, XXX, n° 3, Alger, Sept. 1952 ; V. Paques, *L'arbre cosmique dans la pensée populaire et dans la vie quodidienne du nord-ouest africain*, Paris, 1964.

مصطفى ناعمي

التجكاني، محمد بن عبد الصمد الحسني التطواني. تنتسب أسرته إلى إدريس بن إدريس، هاجر أحد أجداده في القرن التاسع (15 م) من دار مُقامهم في بني إزناسن إلى تجگان ببلاد غمارة. وبها ولد المترجم عام 1317 / 1899 وحفظ القرآن على الاستاذين أحمد بن عبد الله ابن زهرة، ومحمد بن الشاهد التجكاني.

ولما بلغ عشرين سنة انتقل إلى تطوان لإتمام دراسته (ذو القعدة 1337 / غشت 1919) فأخذ عن شيوخها أمثال الأمين بوخبزة، وعبد الرحمن أقشار، ومحمد الفرطاخ وأحمد الحداد. وفي فاتح ربيع الأول عام 1340 / 2 نونبر 1921 انتقل إلى فاس فأخذ عن أعلامها، أمثال الحسين العراقي، وإدريس المراكشي، وعبد الله الفضيلي وغيرهم. ولما اكتمل تكوينه توجه إلى بني إزناسن فمكث بها مدة وبطنجة قبل أن يعود إلى تطوان ليشتغل بالتدريس في الجامع الكبير، وقد عين مدرساً بهذا الجامع بعد إصلاح نظام التعليم الأصيل بالشمال، كما كان خطيبا بزاوية علي بن ريسون ثم بجامع العيون.

توفي بتطوان يوم السبت سادس رمضان عام 1411 / 23 مارس 1990 ودفن بباب المقابر.

م. ابن الحاج، *إسعاف*، 253 ـ 254.

التجكاني، المهدي بن محمد بن الشاهد المومني التطواني. ولد بمدينة طنجة عام 1337 / 1919 وبها نشأ وحفظ القرآن في الزاوية الصدّيقية، وانتقل إلى تطوان ليتابع دراسته بالجامع الكبير على الشيخين العربي الخطيب والتهامي الوزاني الذي أجازه، وبالمعهد الخليفي. شارك في الحركة الوطنية منذ نعومة أظفاره. وفي أواخر عهد الحماية عُين مدرساً في مدرسة أزغنغان بالريف، لكنه ما لبث أن استقال للمضايقات التي لقيها من رجال السلطة الاستعمارية الإسبانية بسبب نشاطه الوطني، ثم عين معلماً بطنجة، ومنها انتقل إلى مدرسة حجر النحل في ضاحيتها. وقد ألف بطلب من المرحوم محمد حسن الوزان كتاباً حول *المقارمة الريفية للاحتلال الإسباني*، وهو مايزال مخطوطاً.

وبعد الاستقلال اختطفه خصومه السياسيون من هذه المدرسة القروية وهو يتهيأ في بداية العطلة الصيفية للرجوع إلى طنجة زوال يوم 28 يونيو 1956 وذهبوا به إلى جنان بريشة أحد المعتقلات الحزبية الرهيبة بضاحية تطوان فذاق من ألوان التنكيل والعذاب ما سجله في كتابه *دار بريشة*

أو قصة مختطف الذي نشر بالدار البيضاء سنة 1408 / 1987.

وقد خرج - بأعجوبة - من هذا المعتقل الجهنمي مصاباً بعاهات جسمية لم تفارقه حتى أسلم الروح إلى باريها في تطوان يوم 5 جمادى الأولى عام 1403 / 19 يبراير 1983.

المهدي التجكاني نفسه، *حركة المقاومة بالريف*، مخطوط؛ أ. معنينو، *تقديم دار بريشة*، 14 - 19.

محمد حجي

التجمع الوطني للأحرار (حزب -)، أسس هذا الحزب سنة 1977 بتكوين فريق الأحرار بمجلس النواب يضم 140 عضواً. وعقد المؤتمر التأسيسي الأول سنة 1978 بالدار البيضاء والمؤتمر الوطني الثاني سنة 1983 بالدار البيضاء أيضاً والمجلس الوطني الثالث سنة 1986 بالرباط واللجنة المركزية للحزب سنة 1983.

يتركب المكتب التنفيذي للحزب من 18 عضواً إلى 24 عضواً، وتضم اللجنة المركزية من 60 عضواً إلى 115 عضواً بينما يتألف المجلس الوطني من 460 عضواً.

- المؤتمر الوطني للحزب.
- الاتحاديات على صعيد الأقاليم (الشعب والفروع).

المقاعد التي حصل عليها التجمع في الانتخابات التشريعية: في الفترة التشريعية 1977 - 1982 حصل حزب التجمع الوطني للأحرار على مائة وأربعين مقعداً، وفي سنة 1981 أصبح للتجمع الوطني للأحرار ثلاثة وثمانون مقعداً بعد تكوين الفريق الديمقراطي. وفي الفترة التشريعية 1984 - 1992 حصل الحزب على واحد وستين مقعداً، وفي الفترة التشريعية الأخيرة 1993 - 1999 حصل التجمع الوطني للأحراء على ثلاثة وثلاثين مقعداً.

العياشي الزيتوني

التجميل التقليدي، نوعان: حديث يتم بالعقاقير الكيماوية والمستحضرات الطبية والأدهان الصيدلية، وتقليدي بالبثور والعطور والأعشاب والنباتات المدقوقة والمحروقة والمقطرة. ويختلف هذا الأخير عن الأول في أنواعه وأدواته وطرق استعماله التي كانت أهلية محلية تنتقل بالتوارث من جيل إلى جيل عبر مئات السنين.

وقد شاع بين الناس خطئاً أن التجميل كان يقتصر على النساء دون الرجال مع أن لكل منهما نوعه الخاص به. إلا أن اعتناء النساء بالتجميل كان أكثر وأظهر للعيان لأنه كان وسيلة المرأة الأساسية للحفاظ على أنوثتها وإثارة وإعجاب زوجها وتأجيج تعلقه بها. إنه كان إحدى المرتكزات التي تستند عليهما للتعامل مع مجتمع الذكور الذي تلعب فيه الأنوثة وجمال المرأة دوراً كبيراً.

لذلك كانت المرأة تعتني اعتناء كبيراً بشعرها الذي تتركه طويلا لأنها تعتبره تاجا على رأسها فكانت تحافظ على صيانته وتنظيفه كلما دعت الضرورة إما بالغاسول (وهو طفل صابوني) أو بالصابون البلدي وتخضبه بالحناء أو الزعفران أو الحديدة الزرقاء أو الحرقوص. وبعد الاعتناء بتنظيفه وتسريحه وتسفيفه كانت تلفه مجتمعا على رأسها وتغطيه بمناديل وسبنيات بديعة ولا تشكف عنه إلا في مناسبات قليلة حتى ولو كانت بين أهلها ومحارمها.

وكانت المرأة تذكي سواد عيونها ورموشها بالكحل، وتشص فمها ولثة أسنانها بالسواك وتؤجج حمرة شفاهها وخدودها بأحمر شفاه تقليدي يدعى العكار يحتفظ به عادة في وعاء من خزف صغير بحجم كف اليد يباع عند العطارين. أما عنقها ويداها وبشرة وجهها فكانت تدهنها بماء الورد أو القطرة الصافية من زيت الزيتون أو بغيرهما من الأدهان والزيوت المستنبطة من القرنفل والزهر والريحان. كما كانت تعطر ملابسها وذاتها بالطيب الطبيعي الأصيل الذي كانت رائحته تثير الخياشم وتلفت حاسة الشم والنظر. وفي العديد من المناسبات الدينية والاجتماعية كانت تخضب يديها ورجليها بالحناء مستعينة في ذلك بحنايات متخصصات في الرسم بالحناء. وأهم المناسبات التي كانت النساء تضعن فيها الحناء في أيديهن وأرجلهن هي يوم السابع والعشرين من رمضان وأيام الأعياد الدينية وخاصة عيد الفطر والمولد وكذا بمناسبة الأعراس والخطوبة والعقيقة والختان.

وكان الكثيرات من نساء البوادي والمرتفعات الجبلية والقليلات من الحضريات يلجأن إلى تنصيع خدودهن وإبراز ملامح جمال وجوههن باستعمال خليط من المواد النباتية والمعدنية المسحوقة والممزوجة بكيفية محددة ودقيقة يدعى الحرقوص. كان بعضهن تشم ذاتها وتصل شعرها وتقص بعض جوانبه الأمامية والجانبية وتستعمل غير ذلك من أساليب الاثارة والتجميل وإخفاء كل قبيح باد في وجهها للناس مما لا يمكن ذكره ولا تداوله إلا في عالم النساء الذي لا تنفتح أسراره للذكور. وقد لاحظ العديد من الرحالين في مغرب القرون السالفة انتشار الوشم بشكل كبير في البلاد بين النساء البدويات. وكان الوشم وسط الجبهة وملتقى الحاجبين وبين الأنف والفم وبين هذا الأخير والذقن أمراً عادياً عند سائر النساء. وكانت بعضهن تشمن أعناقهن وظاهر أيديهن وأسافل سيقانهم وأفخاذهم ومطلع خصورهن ووسط بطونهن وفوق نهديهن وبينهما على يد واشمات متخصصات ولا يندثر الوشم أبداً إلا بموتها.

وكانت النساء في الحواضر والبوادي على السواء يكملن زينتهن بلبس الخواتم والدمالج وتقلد الأساور والأقراط والخلاخل وغيرها. إلا أن استعمال الحلي والمجوهرات لاستكمال الزينة والتجميل لم يكن سائد الانتشار إلا في المدن. وحتى إذا لجأت نساء البوادي إلى ذلك فإن حظهن منها لا يتعدى بعض الحلي البسيطة من الفضة. أما الحلي الذهبية المتنوعة الأشكال فكانت لا تتجاوز أسوار المدن باستثناء نساء الأعيان والأثرياء والعمال والقواد في البوادي.

أما التجميل عند الرجال فكان يختلف عنه عند النساء

لأنه كان يندرج بالنسبة إليهم ضمن طهارة الثوب والبدن مما كانت السنة تدعو إليه. لذلك كان الرجال يقلمون أظافرهم ويقصون شواربهم ويحلقون شعور لحاهم ورؤوسهم ويصبغونها إذا شابت ويكتحلون ويستاكون ويتطيبون أيام الجمعة وليلة السابع والعشرين من رمضان وفي الأعياد الدينية الكبرى. لكن انشغال الرجال بأمور المعاش وارتباط حياتهم بالفلاحة والحرف وغيرها صرفهم بالتدريج عن ذلك إلا في مناسبات قليلة فبدا التجميل وكأنه خاص بالنساء دون الرجال. ومع تطور الزمن أصبح الرجل من عامة الناس لا يهتم بتقليم أظافرة وقص شاربه وشعر لحيته ورأسه إلا قليلا ولا ينظف ذاته وملابسه إلا نادراً مما أدى بالكثير من الرجال إلى كشط اللحية واعفاء شريط صغير منها ملامس للفكين فقط وحلق شعر الرأس كاملا على الرغم من أن إسدال شعر الرأس واللحية كان عند المسلمين الأوائل "زينة وكان تركه سنة وحلقه بدعة". لذا أصبح الخلف يحلق شعر الرأس ويعوضه بالعمامة باستثناء سكان المناطق الصحراوية الذين حافظوا على شعورهم الطويلة. وقد استنكف كثير من الرجال أيضا عن معالجة شعر رؤوسهم ولحاهم بالصباغة بالحناء والزعفران وغيرهما. واعتبر بعضهم الشيب وقاراً وامتنعوا عن معالجته عكس ما جرى به العمل عند النساء حيث كان من المناظر المألوفة في المغرب أن ترى شعر المرأة أسود أو أصفر مزعفراً وشعر زوجها إلى جانبها أبيض اللون. أما استعمال الطيب في صفوف الرجال فكان قليلا بالمقارنة مع استعماله عند النساء. لكن معظم الرجال إن لم يكونوا كلهم يفرطون في حليهم وقلائدهم الخاصة بهم من كميات وخناجر وحقائب جلدية (شكاير) وجرابات دلائل خيرات وغيرها.

ع. ابن إبراهيم، *الاعلام*، الجزء السابع، الرباط، 1974 ؛ ع. بن زيدان، *العز والصولة في معالم نظم الدولة*، الجزء الأول، الرباط 1961 ؛ م. الصبيحي، *في بعض العادات المغربية*، فاس 1925 ؛ م. القاضي، *اللباس والزينة من السنة المطهرة*، القاهرة 1989 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الجزء الثالث، الدار البيضاء 1960 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، الجزء السادس، تطوان 1978.

L. Bouvat, *La parure, les vêtements et le voile*, *R.M.M.*, vol.4, 1908 ; Assy, *La vie familiale à travers ses rites chez les Ziyayda du Maroc*, D.E.S, Sorbonne 1980 ; A. Pignol [et al..], *Costumes et parures dans le monde arabe*, s. l, 1987 ; H. A. Franceshi, *Costumes et bijoux au Maroc*, *L'œil*, n° 294 - 295, Janvier - Février 1980 ; K. Herber, *Les tatouages de la face chez la marocaine*, *Hesp.*, vol. 33, 1946 ; *Les peintures corporelles au Maroc*, *Hesp.*, vol. 9, 1929 ; *Les tatouages des bras de la marocaine*, *Hesp.*, vol 38, 1951.

محمد بوسلام

التجهيز، لاجدال في أن القرن العشرين عصر ثوري في تاريخ المغرب، ولا جدال في أن مصدر ذلك هو تجهيز البلاد بكل ما كانت تفتقر إليه من أدوات التواصل العصري سواء منها البرية والبحرية والجوية أو السلكية واللاسلكية. والمجتمع الذي تنحصر أسباب مواصلاته عند المسالك الضيقة المتآكلة وعند قوافل الإبل والبغال والحمير يختلف حتما عن المجتمع الذي اتسعت فيه الطرق وتوطأت وتعددت فيه أحواض الموانئ وتعمقت وبات الاتصال فيه بين الناس يتم بسرعة، ولا يمكن أن تتغير أدوات التواصل والتبادل السريع دون أن تتغير من جرائها الذهنيات وما يخطر بالألباب من الخواطر، ولذلك فإن التجهيز من أخطر الأمور شأناً في بلد يسير كالمغرب في طريق النمو بخطى حثيثة ويتزايد عدد سكانه بوتيرة ترغمه على تلبية حاجيات الشعب من المياه ومن الكهرباء ومن السكن بل ومن كل التجهيزات الاجتماعية الضرورية مثل المدارس والكليات والمستشفيات والمحاكم والسجون والملاعب وقاعات الترفيه والرياضة، مما كانت تقوم به كل وزارة في ميدانها إلى أن تقرر جمع كل ذلك سنة 1977 في قبضة وزارة الأشغال العمومية التي أطلق عليها اسم وزارة التجهيز وهي مازالت تتحمل هذه المسؤولية الكبرى وإن كانت قد عادت منذ سنة 1987 إلى اسمها السابق فهي اليوم وزارة الأشغال العمومية والتكوين المهني وتكوين الأطر.

هذه الوزارة من أهم الوزارات من حيث الأعمال المنوطة بها ومن حيث الأموال الطائلة التي عليها أن تتصرف فيها وأيضا من حيث النخبة الطلائعية من المهندسين والموظفين الذين يسيرن دواليبها. وإن نظرة ولو عابرة على تركيب هذه الوزارة لمن شأنها أن توحي بتشعب مهامها وبما تكتسيه من حيوية في نمو البلاد. فإلى جانب الوزير وديوانه والكاتب العام هناك المجلس العام للتجهيز الذي هو هيأة تنظيرية واستشارية، ثم يأتي بعد ذلك أربع مديريات كبرى للتسيير العام وهي : 1) مديرية الشؤوة الإدارية 2) مديرية الموظفين والتكوين 3) مديرية الشؤون التقنية 4) مديرية التخطيط والدراسات، ثم هناك بعدها ست مديريات تقنية وهي : 1) مديرية التجهيزات العمومية 2) مديرية مينائي الدار البيضاء والمحمدية 3) مديرية الموانئ الأخرى 4) مديرية السدود 5) مديرية الطرق والرواج السياري 6) مديرية الأرصاد الجوية.

أما خارج الوزارة فهناك سبع مؤسسات كبرى تعمل تحت إشرافها ولكن مع الاستقلال المالي وهي : 1) المكتب الوطني للماء الصالح للشرب 2) مكتب استغلال الموانئ 3) مكتب التكوين المهني وإنعاش الشغل 4) شركة تجريف أحواض الموانئ 5) الشركة الوطنية للطرق السيارة في المغرب 6) المختبر العمومي للتجارب والدراسات 7) المدرسة الحسنية للأشغال العمومية.

وحيث إن تفاصيل المسؤوليات المنوطة بهذه المكاتب والشركات مدرج في مكانه من هذه *المعلمة* فإننا نكتفي فيما يلي بالإيجاز بأهم مراحل التجهيز في تاريخ المغرب المعاصر وذلك من خلال ثلاثة أبواب : باب المواصلات مع إغفال التواصل السلكي واللاسلكي وينظر إليه في مادة البريد والتلغراف والتليفون، ثم باب النهوض بالخيرات المائية وبناء السدود مع الإشارة إلى الأرصاد الجوية، ونختم هذا العرض بالإشارة إلى ما يبذل من مجهودات في باقي

التجهيزات العمومية.

فلقد مر تاريخ التجهيزات الأساسية في المغرب من مرحلتين اثنتين أولاهما مرحلة الحماية الممتدة من سنة 1912 إلى سنة 1956 وثانيتهما مرحلة الاستقلال من سنة 1956 إلى سنة 1994 الجارية. ولاجدال في أن اهتمام الدولة في كلتا المرحلتين قد انصرف لإعطاء الأولوية للتجهيزات الكبرى، إلا أن الفرق واضح بينهما، إذ كانت البلاد منقسمة في عهد الحماية إلى أربع مناطق. ولئن اعتنت فرنسا بتجهيز المنطقة التي كانت خاضعة لها فإن إسبانيا عجزت عن ذلك في مناطق احتلالها في الشمال والجنوب وانحصرت تجهيزات المنطقة الدولية حول ميناء طنجة عند محيطها الضيق، ثم إن الأشغال العمومية التي أنجزت في تلك المرحلة كانت لا ترمي للنهوض بالبلاد بقدر ما كانت ترمي لفتح السوق المغربية جبراً أمام الرأسمال الأجنبي وتمكينه من الاستحواذ على خيراتها وربطها بالأسواق العالمية بحيث كانت التجهيزات يومئذ تكتسي طابعا عدديا وسياسيا فلم تشارك فيها الجماهير المغربية إلا مضطرة إليها مغلوبة عليها في أموالها وسواعد أبنائها مما يميز هذه المرحلة الاستعمارية عن مرحلة الاستقلال التي يطبعها إضافة إلى متابعة المجهود العددي طابع الكيف والاستعداد الوطني والإدراك العام على جميع المستويات بضرورة إيلاء التجهيزات الأساسية كل عناية لا على اعتبار مردوديتها الاقتصادية وحسب، ولكن على اعتبار وقعها على أدنى حيثيات الفرد والجماعة، وواضح ما لتعزيز شبكة المواصلات مثلا من انعكاس على انتشار الوعي في عموم الجمهور واستدراجه بالتي هي أحسن للمشاركة في القرار ولذلك أسند المشرع أمر النهوض بالتجهيزات المحلية للجماعات القروية والبلديات، مما لم يكن منه شيء في عهد الحماية وبات من المسلمات منذ الاستقلال وساعد البلاد على توحيد ترابها وعلى التغلب على الكثير مما خلفه الاستعمار فيها من أسباب التفاوت الجهوي من حيث التجهيز. وهكذا اطردت وتيرة التقدم وأضحى المغرب بتجهيزاته الأساسية من البلدان الطلائعية في القارة الإفريقية.

فلقد تضاعف طول شبكة الطرق منذ سنة 1956، فهو حالا يناهز 60.000 كلم منها 29.626 معبدة و29.900 من الطرق السالكة غير المعبدة، وهي مفتوحة لما لا يقل عن 956.000 عربة من مختلف الأحجام مما كان منذ سنة 1992 يساوي معدل 29.5 عربة في الكيلومتر كل يوم مع زيادة قدرها سنويا 8.5٪ والعلم أن 90٪ من أعداد المسافرين بالكيلومتر تستعمل الطريق في تنقلاتها و75٪ من أعداد الأطنان بالكيلومتر تنقل عبرها باستثناء الفوسفاط الذي ينقل على السكة الحديدية، وفي ذلك إيماءة كافية لما حصل من التقدم في شبكة الطرق التي اتسعت على محاور النقل الرئيسية وشق منها الكثير في المناطق الهامشية والنائية. وأحسن دليل على التقدم النوعي في هذا المضمار برنامج شق الطرق السيارة على المحاور الكبرى التي شرعت في تنفيذه منذ بضع سنوات، الشركة الوطنية لبناء الطرق السيارة في المغرب، ويقتضي بناء 1000 كلم من هذا الصنف الرفيع من الطرق من الآن إلى سنة 2004.

أما طول السكك الحديدية فإنه يبلغ 1907 كلم سنة 1993 مع كثافة في الرواج بين 1.5 و5.5 مليون وحدة من الرواج بالكيلومتر الحديدي. والمجهود النوعي في هذا الميدان ملموس منذ الاستقلال، لا في نقل المسافرين حيث ازدوج خط القنيطرة الدار البيضاء عبر الرباط بسكة ثانية منذ ما يناهز عشر سنوات مما زاد في الرواج ويسّره في آن واحد، ولا أيضا في نقل البضائع حيث ارتبط ميناء الجرف الأصغر بخط نقل الفوسفاط بين خريبكة والدار البيضاء من خلال محطة النواصر.

ومن حيث الموانئ فإن المغرب يتوفر على 24 ميناء من مختلف السعات، وكانت الحماية الفرنسية قد اختارت أن تجعل من ميناء الدار البيضاء النافذة الرئيسية على البحر غير مبالية بما كان في ذلك من تهميش لباقي المرافئ، فكان على المغرب المستقل أن يصحح هذا الاتجاه لتستفيد البلاد من كل موانئها ولتنتعش جميع الجهات من الرواج التجاري، وهكذا فإن 98٪ من المبادلات المغربية مع الخارج تتم عبر الموانئ وأهمها يبقى ميناء الدار البيضاء بمختلف أنواع الرواج واحتكاره لتصدير الفوسفاط الخام، يليه ميناء المحمدية لاستيراد النفط والزيوت ثم أسفي والجرف الأصفر للمعادن ومشتقات الفوسفاط ثم طنجة كبوابة للاتصال بأوربا. وتتعاطى باقي الموانئ أساسا الصيد البحري الذي عالج 550.000 طن سنة 1991 كما تتعاطى الملاحة السياحية التي تعيرها الدولة والجماعات المحلية منذ منتصف الثمانينات عناية متزايدة.

ولقد تعزز الأسطول المغربي كماً وكيفاً منذ الاستقلال، وكان النقل البحري كله في عهد الحماية بقبضة الأجانب، وهو وإن كان مازال منحصراً بالنظر إلى الحاجيات المغربية وبالنظر لطول شواطئنا التي تبلغ 3400 كلم إلا أنه يتوفر الآن على 60 سفينة تغطي 18٪ من التجارة الخارجية من حيث الشحن و30٪ من حيث القيمة المالية.

أما في النقل الجوي فإن المغرب يتوفر على شبكة من المطارات كثيفة بالنظر إلى حاجياته، فإن عشرة من هذه المطارات مفتوحة للنقل الدولي وسبعة للنقل الوطني، ويضاف إليها 30 أرضية قابلة للرواج الجوي العادي وكلها مزودة بالأجهزة الضرورية للاتصال الجوي وتستغلها شركة الخطوط الجوية الملكية إلى جانب عشرين شركة أجنبية تربط طائراتها المغرب بالخارج. ولقد بلغ عدد المسافرين سنة 1990 أربعة ملايين مسافر وارتفع الشحن إلى 47.340 طن.

ويتصل بالملاحة البحرية والجوية مصلحة الأرصاد الجوية التي تتجاوز محطاتها 700 محطة لرصد الطقس و40 محطة للرصد الشامل وهي تعمل بأحدث أساليب الرصد سواء تقنيا باستعمال الرادار أو علميا باللجوء إلى حساب

الاحتمال وهي قادرة اليوم على استمطار السحب عند الاقتضاء مما يعد فاتحة خير في بلد فلاحي كالمغرب معرض للجفاف بشكل موسمي.

ولذلك فإن التجهيزات الخاصة بالتنقيب عن الماء وبخزنه لا تقل خطورة عن تجهيزات التواصل، فإن النمو الديمغرافي السريع للبلاد وتحولاتها الاقتصادية والاجتماعية وما واكب ذلك من تحولات في أشكال العيش كل هذه العوامل تجعل من ضبط المياه المغربية أمراً حيوياً، ولذلك ما فتئت المصالح الوزارية والمكتب الوطني للماء الصالح للشرب يعملان سويا لكي تستنبط كل المناهل ويتم استغلالها بما يضمن تزويد كل المواطنين في البوادي والمدن بلا إفراط ولا تفريط، وهكذا بات من الممكن سنة 1992 تزويد 79٪ من سكان المدن بالماء الشروب في منازلهم والأحياء الفقيرة تزود بينابيع عمومية، أما في البوادي فالتزويد المنزلي مازال دون المستطاع ولكن 30٪ من أهل البادية مزودون بفضل التجهيزات العمومية.

ومن علامات ضبط الرصيد المائي المغربي سياسة السدود التي وضعت بعض مخططاتها الأولى في عهد الاستعمار للمعمرين لكن صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني خلصها من كل تلك الشوائب وأضفى عليها صبغة القرار الوطني المسؤول ابتداء من سنة 1967 عندما قرر أن يُبنى سد كل سنة إلى حدود سنة 2000 م. وعدد السدود 80 سدا سنة 1993 تختزن 10 ملايير متر مكعب من الماء يتأتى معها سقي 850.000 هكتار وتضمن حجما من المياه الصالحة للشرب وللأعمال الصناعية قدره ما لا يقل عن مليار واحد من الأمتار المكعبة ويتولد منه 1500 كيلواط / الساعة من الكهرباء.

أما التجهيزات العمومية فيمكن الاستشهاد عليها بما أنجزته الوزارة المسؤولة من المدارس للتعليم الثانوي سنة 1992 وعددها 18 وبما شيدته من المباني الإدارية المختلفة لباقي الوزارات بلغ عددها 82 في نفس السنة.

ويمكن في الختام الاستدلال على المجهودات المبذولة في التجهيز بذكر نسبة نفقات الخزينة العمومية في هذا الميدان من نفقات الدولة على العموم وذلك في السنوات العشر الأخيرة وهي كما يلي :

1984 ـ 22،7٪ 1985 ـ 22،2٪ 1986 ـ 31،1٪
1987 ـ 23،8٪ 1988 ـ 23،6٪ 1989 ـ 27،4٪
1990 ـ 26،7٪ 1991 ـ 24،3٪ 1992 ـ 25،3٪
1993 ـ 25،7٪.

مما يثبت أن معدل ربع ميزانية الدولة يصرف كل سنة على التجهيز.

ألبير عياش، *المغرب حصيلة الاستعمار*، تر. عبد القادر الشاوي ؛ بنك المغرب، *التقارير السنوية* ؛ *عشر سنوات من الاستقلال : المغرب بين 1956 و1966*، منشورات وزارة الأنباء ؛ *دراسات غير منشورة* لمديرية التخطيط والدراسات لدى وزارة الأشغال العمومية.

A. Belal, *L'investissement au Maroc 1912 - 1964*, Paris - La Haye, 1968 ; *Le Ministère des Travaux Publics, de la Formation Professionnelle et de la Formation des cadres*, Publications du Ministère, 1993 ; *Mobilisation et développement*, Publications du Ministère de l'Information, 1983.

إبراهيم بوطالب

التجيبي، أسرة مغربية جاءت من الأندلس. من قبيلة عربية أصيلة من نسل السّكون بن أشرس بن مندة، ينسبون إلى أمهم تجيب بنت ثوبان بن سلم بن رهاد بن مدحة. وقد دخل التجيبيون الأندلس مع الفتح الإسلامي، واستوطنوا منطقة الثغر الأعلى القديمة، أو ما كان يعرف في عصر ملوك الطوائف بمملكة سرقسطة، وتمركزوا بالعاصمة سرقسطة وقلعة أيوب وذروقة. ثم سكنوا بلنسية في ظروف غير واضحة. ومنها انتقلوا إلى سبتة فكانت مستقرهم النهائي، وربما كان هذا الانتقال بسبب العدوان المسيحي الذي انتهى بسقوط بلنسية في يد القشتاليين سنة 488 / 95 ـ 1096.

محمد حجي

التجيبي، أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عياش، يكنى أبا جعفر (*التكملة*، 157)، من أصل برشاني (برشانة سرقسطة قديما). سكن مراكش وتتلمذ بها عن أبيه الكاتب محمد بن عياش وأبي الخطاب أحمد بن أبي الحسن محمد بن واجب وأبي القاسم أحمد بن يزيد بن بقي. اهتم بالأدب، فبرع في فن الكتابة والخط مما أهله للكتابة عن عدد من خلفاء آل عبد المؤمن منذ عهد المستنصر أبي يعقوب بن الناصر إلى أيام المأمون (*الذيل والتكملة*، 2 : 464 ؛ *الإعلام*، 2 : 138). وقد نظم قصيدة شعرية يمتدحه فيها عقب انتصاره على ابن هود في الأندلس عام 625 / 1228.

استقضي أحمد التجيبي بتلمسان وسبتة، كما اشتغل بالتدريس. فكان منزله ملتقى لطلبة العلم حيث كان يناظرهم وحيث كانوا يحتكمون إليه في شتى أمورهم العلمية. توفي متلبسا بالكتابة عن المأمون أو حسب رواية أخرى بسبتة مستقضيا بها له في محرم عام 629 / 1232 (*الذيل والتكملة*، 2 : 464 ؛ *التكملة*، 157 ؛ الاعلام، 3 : 138).

ابن الآبار، *التكملة لكتاب الصلة*، تح. إبراهيم الإبياري، القاهرة / بيروت، ط. 1410 / 1989 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الاعلام*، الرباط، 1974، الجزء الثاني ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، قسم الموحدين، تح. محمد إبراهيم الكتاني وآخرين، الدار البيضاء، 1406 / 1985.

زليخة بنرمضان

التُّجيبي، القاسم بن يوسف بن محمد بن علي السبتي، يكنى أبا القاسم، وبهذه الكنية عرف عند معاصره وكل من ترجموا له.

ولد بمدينة سبتة. وقد اختلف في ضبط سنة ولادته. لكن من الأرجح أن تكون سنة 670 / 1271 أقرب إلى الصحة، وذلك استناداً إلى مارواه التجيبي نفسه أثناء حديثه عن السند العالي الذي روى به موطأ الإمام مالك بن

أنس بدمشق، يقول التجيبي : "وهذا الإسناد أيضاً إسناد جليل في غاية العلو، وليس يوجد اليوم على وجه الأرض من عنده إسناد إلى الإمام مالك رحمه الله تعالى أعلى من هذا، لا في *الموطأ*، ولا في منثور الحديث، وهو أعلى الممكن ولاسيما لأمثالنا، ولمن ولد في أحواز سبتة سنة سبعين وستمائة". (*البرنامج*، 64) وبسبتة أيضاً شب وترعرع. إلا أن المصادر شحت بالتفصيلات عن مرحلة طفولته ومكانة أسرته وسط المجتمع السبتي. فأهم ما نستشفه من خلال برنامجه عن هذه المرحلة أنه كان مولعا بعلوم القرآن منذ نعومة أظفاره. وأول من أخذ عنه القرآن كتابة وقراءة بحرف نافع هو الشيخ عبد الرحمن بن أبي الأصبغ الورياغلي القصري المعروف "بابن صاحب رزقه" وعند بلوغه السادسة عشرة من عمره، كان حافظاً للقرآن بقراءاته المأثورة عن القراء السبعة المشهورين، بالإضافة إلى علوم القرآن، انصب التجيبي على دراسة الحديث والفقه والتصوف وعلوم العربية (*البرنامج*، 16).

عرف التجيبي هذه المعارف من منابع علمية مختلفة ومتباعدة، أخذ بسبتة عن عدد من المشايخ من جملتهم عبيد الله بن أبي الربيع، وأبو بكر محمد بن منظور القيسي وأبو بكر بن عبيدة الأنصاري وأبو العباس العزفي (*البرنامج*، 17، 34، 76). لكن التجيبي لم يقنع بما عرفه عن مشايخه بسبتة، بل شد الرحال إلى الأندلس عام 694 / 95-1296. فسمع بها على عدد من العلماء من بينهم أبو عبد الله بن عياش بمالقة وعبد الله بن شعيب القيسي (*البرنامج*، 47-146). لكن رحلته الأندلسية هذه لم تشف أيضاً غليله إلى العلم والمعرفة، فرحل إلى المشرق حوالي سنة 696 / 97-1298. وأثناء رحلة الحجازية، جلس للسماع على شيوخ علماء المراكز العلمية التي عبرها، كبجاية وتونس والإسكندرية والقاهرة ومكة ودمشق. وقد أثبت مروياتهم ومؤلفاتهم وحلقات علمهم في برنامجه وكذا في رحلته. من بين العلماء الذين أخذ عنهم بالمشرق : أحمد بن عبد المحسن الحسيني العراقي الغرافي بالاسكندرية (*الرحلة*، 395) وأبو محمد عبد المومن بن خلف التوني الدمياطي، وابن دقيق العيد بالقاهرة (*الرحلة*، 313) وابن عساكر مؤرخ الشام وابن تيمينة بدمشق (*الرحلة*، 13 ؛ *البرنامج*، 83-192) وقد رافقه في رحلة الحجازية هذه، خلف الغافقي القبتوري، صاحب ديوان الغرفيين (*البرنامج*، 35).

بعد عودة التجيبي إلى سبتة، قعد للدرس والتحديث بمسجد زقاق ابن الشراك. فتقاطر عليه طلاب علوم القرآن والحديث من مختلف الآفاق. من جملة طلبته محمد ابن عبد المهيمن الحضرمي وأبو عبد الله محمد بن سعيد الرعيني الفاسي وأبو عبد الله محمد بن قاسم الأنصاري المعروف بالشديد وأبو عبد الله ابن الدراج (*بلغة الأمنية*، 177 ؛ *فهرس الفهارس*، 1، 191 ؛ *الإحاطة*، 3، 199؛ *Les notes*, 2 : 30).

وجد التجيبي في الدرس والتحصيل ضالته المنشورة كما وجد في سبتة منزلا محمودا دون غيرها من المدن، بحيث لم يبرحها إلى أن وافته المنية بها سنة 730 / 1329 (*نيل الابتهاج*، 362 ؛ *بلغة الأمية*، 177).

من آثار التجيبي مؤلفان، أولهما *مستفاد الرحلة والاغتراب*. يتكون في الأصل من ثلاثة كتب (*الدرر الكامنة*، 3، 240 ؛ *نيل الابتهاج*، 362) لكن لم يصلنا منها إلا الجزء الثاني.

تعد *الرحلة* فهرسا ضمنه التجيبي ذكر مشايخه ومروياتهم وتصانيفهم في مختلف الاتجاهات العلمية. كماضمنها أسماء الكتب المتداولة في الشرق على اختلاف مضامينها. بالإضافة إلى ذلك، اعتبرت الرحلة أيضاً وصفاً للبلدان لما احتوت عليه من وصف مشاهد عمرانية وذكر أخبار اقتصادية واجتماعية. وقد حذا في ذلك حذو ابن جبير، بل اعتنى بتصحيح الكثير من أخطاء هذا الرحالة المشهور.

أما المؤلف الثاني فهو *البرنامج* الذي اعتنى فيه بذكر الكتب التي قرأها، وقد صنفها حسب مواضيعها، فأعطى الأولوية لعلوم القرآن، وختم مولفه بعلوم اللغة والآداب.

ومن أعماله الثانوية، مستدركاته على *الذيل والتكملة* لشيخه ابن عبد الملك المراكشي (السفر السادس، 505-512). أما مؤلفه *في الجهاد* وقد احتوى أربعين حديثا، فلا نعلم له أثراً باستثناء ما ورد عنه في المصادر (*بلغة الأمنية*، 177 ؛ *Les notes*, 2 : 30).

الأنصاري، *اختصار الأخبار* ؛ *بلغة الأمنية ومقصد اللبيب* ؛ التجيبي، *برنامج التجيبي*، تح. عبد الحفيظ منصور، ليبيا - تونس، 1981 ؛ التجيبي، *مستفاد الرحلة والاغتراب*، تح. عبد الحفيظ منصور، ليبيا - تونس، 1395 / 1975 ؛ أ. بابَ التنبكتي، *نيل الابتهاج*، طرابلس، 1989 ؛ ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة*، بيروت، الجزء 3 ؛ ابن حزم، *جمهرة أنساب العرب*، بيروت - لبنان 1403 / 1983 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. عبد الله عنان، القاهرة، الجزء 3 ؛ ع. عنان، *دول الطوائف*، القاهرة، 1380 / 1960 ؛ عبد الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، المطبعة الجديدة، 1346، الجزء الأول ؛ حسين مؤنس، *فجر الأندلس*، الدار السعودية للنشر والتوزيع، 1405 / 1985 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، السفر السادس، تح. إحسان علي، بيروت - لبنان، 1973.

A. L. de Premare, *Les notes de voyage d'Ibrahim b. Al-Hadjdj an-Numayri en l'année 745 / 1344*, Lyon 2, 1978, T. II.

زليخة بنرمضان

التجيبي، محمد بن **أحمد** بن محمد بن محمد بن مطرف المعروف بابن عزيز، المنسوب إلى تجيب بطن كبير من بطون كندة الواقعة شرق اليمن من أحفاد منذر بن يحي بن منذر بن منصور، أحد ثوار سرقسطة.

ولد بفاس سنة 954 / 1547 وأخذ العلم عن مشايخها : أمثال أحمد بن قاسم القدومي، ويحيى بن محمد السراج،

وعبد الواحد بن أحمد الحميدي، وأحمد بن علي المنجور، وأبي القاسم ابن عبد الجبار الفكيگي. وبواسطة هذا الأخير أخذ التصوف عن الشيخ أبي الحسن البكري بن الذي لقيه ابن عبد الجبار أثناء رحلته إلى الحج. ومن أشهر تلاميذ التجيبي الفقيه عبد الواحد بن علي بن عاشر وبه تخرج.

توفي بفاس سنة 1022 / 1612، ودفن بالدرب الطويل من عدوة القرويين.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 2 : 235 ؛ م. ابن عيشون، *الروض*، 354 ؛ ع. الفاسي، *الإعلام بمن غبر*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 51 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، 1 : 177 ؛ *التقاط الدرر*، 1 : 60 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 152 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور*، 1 : 297.

نفيسة الذهبي

التجيبي، محمد بن **عبدالرحمن** بن علي بن محمد ابن سليمان عالم إشبيلي، درس على عدد من علماء الأندلس أمثال أبي عبد الله بن عبد الرحيم ولازمه، وعن العلامة إبن بشكوال، وعن قريبه محمد بن معطي التجيبي، ويوسف بن إبراهيم الثغري، وغيرهم.

رحل إلى الحج، والتقى بجملة من علماء المشرق وأخذ عنهم، مثل أبي طاهر السلفي بالإسكندرية، وحماد بن هبة الله الحراني، وعبد الرحمن بن محمد بن منصور اللخمي وأحمد بن طارق بن سنان، وأبي محمد بن بري، وشهدة بنت أحمد بن أبي الفرج الأبرية، وجماعة آخرين ضمنهم معجم شيوخه الذي يعتبر مفقوداً.

دخل المغرب، وحل بمدينة فاس عام 594 هـ فروى بها عنه خلق كثير، وكذلك بسبتة وتلمسان التي استقر بها إلى وفاته.

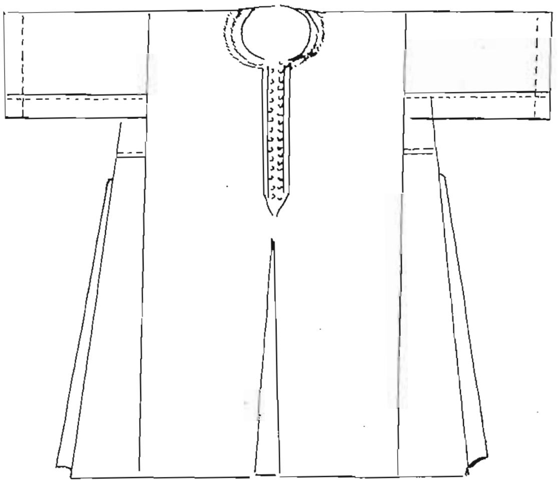
ألف بعض الكتب مثل معجم شيوخه، أكثر فيه من الآثار والحكايات والأخبار، واعتمده ابن الآبار في *التكملة*، كما ألف معجم شيوخ شيخه الحافظ *أبي طاهر السلفي*، *وأربعين حديثا*، وغير ذلك. كان عالما فاضلا، معتنيا بالتواريخ. روى عنه خلفه منهم أبو العباس العزفي السبتي وأبو عبد الله الأزدي وأبو الحسن الغافقي الشاري وأبو عبد الله بن جعفر، وأبو جعفر بن فرتون، وتحدث عنه في كتابه المفقود *"الذيل"*. وتوفي التجيبي بتلمسان في جمادى الأولى عام 610 / 1213.

ابن الآبار، *التكملة لكتاب الصلة*، القاهرة 1955، ج 2 : 588 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط 1973، 276، 277.

محمد المغراوي

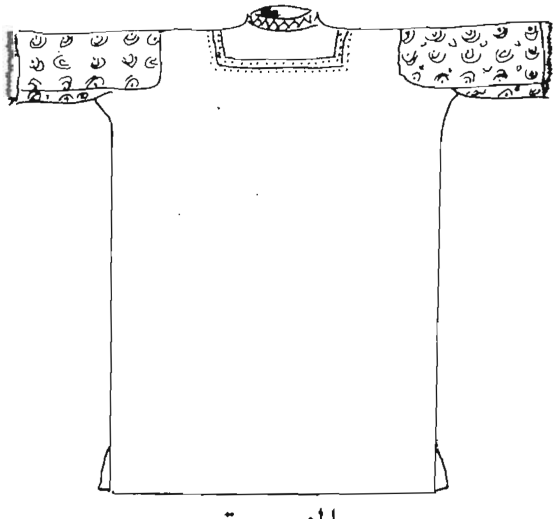
التحتية، لباس داخلي عند النساء، يقابل التشامير عند الرجال، وهي لباس داخلي تحتي مندفن تحت الملابس التي ترتديها المرأة. لذا فهي تسمى في البوادي والمدن عند سائر الناس التحتية كما يسميها بعضهم الدفين أو الدفينة.

والتحتية قميص طويل يمتد على طول الجسم من العنق إلى الكعبين، تتخذ إما من قطن أو كتان أو طلس أو ساتان أو ملف أو حرير. تكون أكمامها عادة طويلة تصل إلى حد المرفقين ولا تكون مفتوحة من الصدر. كانت المرأة



التحتية

في القرن الثالث عشر (19 م) وما قبله ترتديها مباشرة فوق جسمها بعد السراويل الفضفاضة، فكانت بمثابة التبان العصري والقميص النصفي الذي أصبحت المرأة الحديثة لا تستغنى عنه إلا نادرا (La combinaison). وغالبا ما تكون حواشي أكمام التحتية مطروزة أو مشبكة أو مضرسة، ويكون لونه عادة في مثل رداء آخر يلبس فوقها ومكملا لها يدعى المنصورية أو الفوقية. وتختلف هذه الفوقية النسوية عن فوقية الرجال في أنها تكون مفتوحة من الصدر من الأمام إلى مطلع الصدر وتتخذ من قماش رفيع منمق بالرسوم والأشكال المشجرة البديعة وتكون خياطتها بالسفيفة والمجدول.



المنصورية

كانت النساء في القرن الماضي يلبسن التحتية والمنصورية أو القفطان وحده فوق التحتية. ونظراً لارتفاع تكلفة القفطان ساد استعمال التحتية والفوقية لدى نساء

الفئات المتوسطة. أما الفقيرات منهن فكن يكتفين بالسروال والتحتية ثم يرتدين الحائك فوق ذلك إذا أردن مغادرة منازلهن. أما داخل المنازل فلا جناح عليهن في أن يلبسن الضروري مما يسترهن وهن بين محارمهن. وكان معظم ما كانت النساء تلبسه وهن داخل البيوت لا يتعدى تحتية بسيطة تشدها إلى الخصر بواسطة حزام بسيط ترتدي أسفلها سروالا واسعا. كان السروال البلدي والتحتية في كل الحواضر المغربية والبوادي هما اللباسان الأهليان السائدان قبل أن تغزو الملابس الرومية النسوية الحديثة الأذواق وأصبحت تهدد بإقصاء التحتية وما يرتبط بها من ميدان التداول لدى النساء الحاليات من الجيل الجديد.

أحمد بن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط 1973 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الجزء التاسع، الدار البيضاء 1960 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط 1974 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الجزء الرابع، الرباط 1931 ؛ عثمان بن عابد بوفتاس، أمانوز، *لمحات تاريخية واقتصادية واجتماعية*، الدار البيضاء 1991 ؛ م. الشياظمي، *مدينة أزمور وضواحيها*، الرباط 1987.

J. Besancenot, *Costumes du Maroc*, Rabat, 1988, réédition ; *Le Dictionnaire Colin d'arabe dialectal marocain*, vol. 1, Rabat 1993, *A. M.*, vol. 17, 1911 ; De Segonzac, *Voyage dans le Sous*, Paris, 1900 ; E. Doutte, *Marrakech*, Paris 1905 ; Ch. Didier, *Promenade au Maroc*, Paris, 1844.

محمد بوسلام

التحديث القروي، يقصد به مجموعة من الإجراءات السياسية والقانونية والتقنية التي اتخذتها فرنسا أيام الحماية قصد تحويل البادية المغربية وإنشاء فلاحة عصرية بها.

كان التحديث القروي يستهدف أساساً ما كانوا يسمونه بالمغرب النافع، المنتج للحبوب، والمتأثر بالوجود الفرنسي (ضيعات المعمرين، مضاربة عقارية، تسجيل عقاري ...)، أي مناطق الغرب وسايس والشاوية ودكّالة وتادلا وملوية السّفلى وزمّور وزعير، وهي مناطق كانت تتميز بهيمنة الرعي، وعتاقة وسائل الإنتاج، وضعف المردودية.

يهدف التحديث القروي إلى إعادة صنع البادية المغربية ودمج الفلاحة في نمط الإنتاج الرأسمالي، وذلك بخلق فلاحة عصرية تنتج من أجل السوق وطبقة من الفلاحين على النمط الأوربي، أي طبقة وسطى تكون دعامة للسياسة الاستعمارية بالأرياف.

لتحقيق هذه الغاية، اعتمدت فرنسا مجموعة من المؤسسات أهمها جمعيات الضمان الاهلية (Les Sociétés Indigènes de Prévoyance) "والپيْزانا" (Paysannat) (انظر هذه المادة).

أنشئت جمعيات الضمان الأهلية بظهير 8 غشت 1918 المعدل بظهير 28 يناير 1922 ثم بظهير فاتح يناير 1928 وتحدد الظهائر أهداف هذه الجمعيات وتنظيمها. ويتعلق الأمر بمؤسسات ذات شخصية مدنية تُسيّر من طرف مجلس إداري يتكون من ممثلي السلطات الاستعمارية وبعض الأعيان. وتتوخى هذه المؤسسات حماية صغار الفلاحين من المرابين، وذلك بتسليمهم القروض التي قد يحتاجون إليها، وتبسيط التقنيات الزراعية قصد تحويل العامل القروي إلى مزارع ويمكن لمجموعة من هذه الجمعيات، طبقا لظهير 24 أبريل 1937، إنشاء تعاونيات أهلية فلاحية (Coopératives Indigènes Agricoles) تعمل للإنتاج من أجل السوق وفق الشروط التي تخضع لها كل المؤسسات الصناعية (مضاربة، احتكار الإنتاج، تحقيق القيمة المضافة ...)، وذلك بعد موافقة إدارة الداخلية لتفادي ظهور رأسمالية أهلية قد تنافس المقاولات الأجنبية.

سعت فرنسا من وراء كل هذه الإجراءات علاوة على خلق طبقة متوسطة من الفلاحين المغاربة الذين يدعمون سياستها، إلى الحفاظ على حشود الفلاحين الصغار الذين قد يتم استثمارهم في ضيعات المعمرين، وإلى الاستيلاء على أقصى ما يمكن من الأراضي بطرق "شرعية".

وبما أن هذه السياسة لم تعط ثمارها، فقد ارتأت فرنسا، في الأربعينات، أن تتخلى عن فلسفة التغيير التدريجي للعمل على تغيير البادية المغربية بطريقة سريعة وكلية، وذلك في إطار "الپيْزانا" التي تهدف إلى تحقيق تحديث كلّي يشمل الجوانب المادية والاجتماعية والأخلاقية، وذلك بتركيزها على الجوانب التقنية المتعلقة بالمردودية، ولاهتمامها بالتعليم والصحة والسكن، الشئ الذي يتطلب إحداث تغييرات على مستوى الدوار، وعلى مستوى وسائل الإنتاج التقليدية والتجهيزات الاجتماعية.

ومن الإنجازات التي حُققت في هذا الإطار يمكن أن نذكر استصلاح الأراضي وزرعها، وإدخال مزروعات جديدة، وتحسين أجناس الماشية وإدخال أنواع جديدة، وإنشاء تجهيزات سقوية ؛ هذا بالإضافة إلى المنشآت ذات الطابع الاجتماعي (تعليم، صحة). ولتحقيق هذه المنجزات، اعتمدت "الپيْزانا" على طاقم من الموظفين والتقنيين الذين يؤطرون الفلاحين ويسهرون على تكوينهم.

ورغم الإنجازات المادية الإيجابية التي حققها التحديث القروي بالمغرب، فإن سياسة التحديث القروي كانت تستلزم تدمير التوازن الاجتماعي القديم وتعويضه بتوازن جديد، عبر إحداث ما سماه "جاك بيرك" منظّر هذه العملية، بالصدمة النفسية.

انظر مادة الپيْزانا.

C.H.E.A.M., *Textes et documents sur les S.I.P.* ; Greilsammer, *La modernisation du Paysanat*, C.H.E.A.M. ; A. Guillaume, *L'œuvre des S.I.P. au Maroc depuis la guerre*, *B.E.S.M.*, XIV, n° 50, 1951 ; J. Le Breton, *La modernisation rurale du Maroc 1945 - 1946*, mémoire de l'I.I.A.P.

عبد الجليل حليم

التحرر والاشتراكية (حزب.) ← **التقدم والاشتراكية** (حزب.)

التحرير، جريدة يومية صدر أول عدد منها بمدينة الدار البيضاء في ثاني أبريل سنة 1959 بإدارة محمد

البصري، واضطلاع عبد الرحمن اليوسفي برآسة تحريرها، وذلك على إثر الصراع الداخلي الذي عرفه حزب الاسقلال بين جناح علال الفاسي وجناح المهدي بنبركة مما أدى إلى الانشقاق بعد قيام حركة يناير 1959.

أصبحت جريدة التحرير لسان الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، ثم توقفت عن الصدور بقرار إداري من دجنبر 1959 إلى دجنبر 1960. وابتداءً من العدد 1088 (15 غشت 1963)، صارت جريدة أسبوعية ثم توقفت بعد ذلك بحيث إن آخر ما يوجد منها في الخزانة العامة بالرباط هو العدد 1096 (16.10 أكتوبر 1963).

A. Benyoussef, *Répertoire des publications des partis politiques au Maroc : 1956 - 1980*, Mémoire présenté en vue de l'obtention du diplôme d'informatiste spécialisé, Ecole des Sciences de l'Information, Rabat, 1983.

محمد جادة

التحفيظ العقاري، المغربي أو التأريف القانوني، يستند إلى ظهير 12 غشت سنة 1913، وإلى النصوص القانونية المعدّلة والمكملة له الواردة على شكل ظهائر أو قرارات ومراسيم وزارية في 2 و3 و4 يونيه سنة 1915 وفي 29 دجنبر سنة 1953 وفي 29 يوليوز سنة 1969.

ونظام التحفيظ العقاري المغربي نظام طوعي يعتمد على الكنانيش العقارية (Livres Fonciers) ويهدف إلى تفريد الملكية العقارية عن طريق تحديدها طبيعياً (Physiquement) وقانونياً. ويتلخص التحديد الطبيعي في التوطين الجغرافي للعقار، وضبط حدوده ومقوماته (محتواه). بينما يتلخص التحديد القانوني في وضع رسم عقاري نهائي غير قابل للطعن. وهذا ما يفرض الاعتماد على مبدإ الإشهار الحقيقي، بغية تطهير العقار وإثبات الحقوق القائمة عليه (عينية كانت أم تحملات أو حقوق ارتفاقات ...).

وبعد إقامة الرسم، تضاف به كل التغييرات اللاحقة المتعلقة بالعقار وبالحقوق عليه. ويعد الكناش العقاري بمثابة الحالة المدنية للعقار المسجل. يعرِّف بأصوله وبتاريخه ووضعيته القانونية. ويُصَاحَبُ كل رسم عقاري بتصميم للعقار.

وتبقى الكنانيش العقارية مفتوحة في وجه العموم. ولاَ يعترف سوى بالحقوق المسجلة بها، وهي ضامنة لأمن المعاملات بفضل التحديد الطبيعي والقانوني للعقارات.

ورغم ما للتحفيظ العقاري من مزايا اجتماعية واقتصادية. فالمعلومات المتوفرة بها ناقصة كمّا ونوعاً وجغرافياً بالنسبة لما تحتاج إليه مشاريع تنمية الأرياف، وذلك ما يفسر ظهور التأريف الوطني (انظر مادة التأريف). انطلق التأريف المغربي كتأريف قانوني قبل أن يظهر التأريف الوطني أو التحفيظ العقاري عملية طوعية ظل إنجازها من اختصاص الدولة المثلة في مصلحة المحافظة العقارية وحدها. لكن منذ الستينات سمح للقطاع الخاص بالمساهمة في الأشغال الطبغرافية (مرسوم عدد 2. 59. 061 بتاريخ 7 شوال 1379 موافق 4 أبريل 1960). ومرسوم 11. 11. 1972.

وبجانب المصلحة المركزية للمحافظة العقارية المتمثلة في مديرية المحافظة العقارية والأشغال الطبغرافية التابعة لوزارة الفلاحة والإصلاح الزراعي، نجد مَصَالح إقليمية، تطور عددها في إطار تقريب الخدمات من المواطنين واللامركزية. فبعد ما كان عدد هذه المصالح الجهوية تسعاً سنة 1960 وَصَل إلى ثلاث وأربعين مصلحة في مطلع التسعينات موزعة على مجموع التراب الوطني.

أما مهام المديرية وملحقاتها الجهوية فكثيرة، وتتمثل أساساً في ما يلي :

- التحفيظ العقاري للملكيات بالمدينة وبالبادية.
- وضع التصاميم المشارتية قبل عمليات تجميع الأرض.
- إنجار التأريف الوطني والمحافظة عليه.
- تحديد أملاك الدولة والأملاك الجماعية، والغابات ...
- مراقبة الأشغال الطبغرافية المنجزة لحساب المصالح العمومية من طرف المقاولات المرخص لها.
- وضع جذاذية مفصلة لأراضي الدولة بالبلديات والمراكز المستقلة والمراكز المحدَّدَة وهوامشها.
- إنجاز التصاميم المديرية للبلديَات والمراكز المستقلة والمراكز المحددة وهوامشها.

إن القيام بهذه المهام يتطلب وسائل بشرية وتقنية ومالية متزايدة. فالتطور الاجتماعي والاقتصادي السريع للبلاد يفرض معرفة البنيات العقارية وتوفير أمن المعاملات الاقتصادية المبنية على العقار ...

وبالرغم من تطور المهام، فإن المديرية ظلت تعاني من النقص في التمويل نظراً لكون مداخيل خدمة التحفيظ كانت موجهة إلى الخزينة العامة وما كانت ترصده الدولة لإنجاز العمليات ظل محدوداً. ومن انعكاسات هذا النقص نشير إلى تأخر إنجاز العمليات وَتأخر معالجة الملفات. وأمام الخصاص المادي والبشري والتقني تم اللجوء إلى حلين، يتمثل أولهما في تحسين ظروف العمل بالمجمعات العقارية التابعة للمديرية، ويتمثل ثانيهما في توسيع نشاط القطاع الخاص.

أما فيما يخص الحل الأول، فقد تم تزويد مديرية المحافظة العقارية منذ 1983 بميزانية ملحقة مكوَّنة من عائدات التحفيظ ومتنامية بـ15٪ سنوياً. وبموازاة هذا الإجراء التمويلي، تم رفع عدد الأطر والمستخدمين مع إعادة تكوين بعضهم، وتم تجهيز المصالح بوسائل تقنية متطورة.

وفيما يخص الحل الثاني، تم فتح الباب أمام القطاع الخاص للمساهمة في عملية التحفيظ العقاري عن طريق إعداد الملفات التقنية والتصاميم التأريفية وذلك في إطار الصفقات الطبغرافية الطويلة الأمد (5 سنوات). وهكذا ارتفع عدد المقاولات الطبغرافية بشكل سريع ليصبح 180 مكتبا في مطلع التسعينات بَدَلَ 66 في سنة 1971 (منها 46 مرخص لها آنذاك و20 مرخص لَهَا مؤقتا).

ظل نشاط مصلحة المحافظة العقارية منحصراً في جانب التحفيظ العقاري الذي كان عملية طوعية مما جعل العقارات المحفظة مشتتة والمعلومات المتوفرة حولها غير مراجعة. ومنذ مطلع الستينات، وضعت الدولة مخططاً طموحاً للري بواسطة مياه السدود الكبرى. وقد بدأ تطبيق هذا المخطط تحت إشراف المكتب الوطني للري (ONI) ثم تواصل منذ منتصف الستينات تحت إشراف المكاتب الجهوية للاستثمار الفلاحي (ORMVA). ومنذ السبعينات زاد الاهتمام بالبوادي خارج مناطق نفوذ هذه المكاتب عن طريق إنعاش مشاريع مندمجة للتنمية.

وسواء تعلق الأمر بإعداد المناطق السقوية أو المناطق البورية، فالحاجة إلى المعلومات الخاصة بالبنيات العقارية تبقى كبيرة. وتعتبر هذه الحاجة حافزاً على الإسراع بعمليات التحفيظ. ولهذا الغرض ظهر إطار التحفيظ الجماعي، وإطار ضم الأراضي بجانب إطاري التأريف الوطني والتحفيظ الاختياري.

يستند التحفيظ الجماعي إلى ظهير رقم 1.96.174 بتاريخ 10 جمادى 1389، الموافق لـ 25 / 07 / 1969. (الصادر بالجريدة الرسمية عدد 2960 مكرر، الصادرة بتاريخ 29 / 07 / 1969. ويتعلق الأمر بقيام وزارة الفلاحة والإصلاح الزراعي لتحديد مناطق للتحفيظ العقاري. خارج المدارات الحضرية تُسَجَّل وتحفظ العقارات الواقعة داخلها. وتتبع في ذلك المسطرة التالية :

- صدور قرار وزاري بالجريدة الرسمية يحدد منطقة التحفيظ.
- القيام بجميع إجراءات تحفيظ العقارات الموجودة داخل المنطقة المحددة بدون مصاريف، شريطة تقديم طلبات التحفيظ في أجل لا يتعدى سنة مع إمكانية تمديده إلى ستة شهور.
- وضع المحافظ للملف يتضمن حالة وتصميم المشارات بمقر السلطة المحلية ويعلن بالجريدة الرسمية عن هذا الإجراء. وفي نفس الوقت تتوصل هذه السلطة بلائحة لأصحاب الطلبات وأرقام هذه الأخيرة، ويمكن للعموم الاطلاع على هذه الوثائق. وتتميز هذه المسطرة بكونها غير إجبارية وتواصل بطريقة جماعية حتى صدور قرار التحفيظ.
- عملية ضم الأراضي : هي عملية حديثة ظهرت بمقتضى الظهير رقم 1.62.105 بتاريخ 20 / 06 / 1962 ومرسوم التطبيق عدد 2.62.240 بتاريخ 25 / 07 / 1962. مع تعديلاتهما وتكميلاتهما. ويبقى الهدف منها هو تحسين استغلال الأرض عن طريق تجميع مشارات الملكية المتشتتة وإعادة توزيع الأرض على شكل قطع أرضية كبيرة تقدم ظروفا أحسن للاستغلال. وتتلخص مسطرة ضم الأراضي كالتالي :
- صدور قرار وزاري بالجريدة الرسمية يحدد المنطقة المزمع ضم أراضيها ويأذن بانطلاق العمليات بعد استشارة المجالس الجماعية.
- صدور قرار للسلطة المحلية أو الإقليمية، بناءاً على مقترح لجنة الضم، يحدد تاريخ انطلاقة العمليات ومساحة القطاعات المعنية.
- إنجاز حالة وتصاميم المشارات بالقطاعات المعنية بعد البحث الطبغرافي والقانوني في عين المكان (الإشهار).
- صدور إعلان وضع الحالة والتصميم المشارتيين بمقر السلطة المحلية بالجريدة الرسمية (معلنا عن منع بيع وتفويت وتقسيم وتبادل الأرض داخل قطاعات الضّم إلى غاية صدور مرسوم المصادقة.
- موافقة لجنة الضم على مشروع الضم.
- صدور مرسوم الموافقة (Homologation) بالجريدة الرسمية.
- تثبيت الأرض للملكيات المجمّعة في غضون الستة أشهر اللاحقة لمرسوم المصادقة.
- مواصلة المسطرة العادية للتحفيظ إلى مرحلة تسليم الرسوم العقارية.

التحفيظ العقاري : مكتسبات كبيرة : سجلت الإدارة خلال فترة الحماية (1915 - 1955) إقبالاً كبيراً على التحفيظ العقاري. فقد وصل عدد الرسوم العقارية إلى 58.500 بالبادية وإلى 30.500 بالمدينة. أما مساحة الأراضي المحفظة فقد بلغت 1.920.000 هـ منها 16.400 هـ فقط بالمدينة. والملاحظ أن كل الأراضي المعنية بالتحفيظ آنذاك كانت داخل ما كان يعرف "بالمغرب النافع" حيث تركزت ملكية المعمرين. وبالرغم من هذه النتائج الايجابية، فقد انتهى عهد الحماية مخلفا وراءه تأخراً كبيراً في إنجاز التأريف القانوني يعكسه وجود 40.000 طلب للتحفيظ في الانتظار.

وبعد الاستقلال، تواصل العمل بالتحفيظ العقاري الطوعي وتعزز التأريف القانوني بخلق إطارين جديدين للإسراع بالتحفيظ العقاري : إطار التحفيظ الجماعي وإطارضم الأراضي.

فعلى مستوى التحفيظ الجماعي، ساهمت مجانية العملية، وتحسن الظروف التقنية - التي أصبح من الممكن معها إنجاز قطاعات واسعة قد تصل مساحتها إلى 3.000 هـ سنوياً كما حدث ببني يخْلَف بخريبگة - في تحقيق نتائج مشجعة. فمنذ بداية العمل بهذا الإطار في 1969 وإلى 1992، همّ التحفيظ قرابة 100.000 هـ موزعة على 43.500 مالك.

أما على مستوى التحفيظ في إطار عملية ضم الأراضي، فالبرغم من قصر مدة العمل في هذا الإطار، فالنتائج المحصل عليها مهمة. ففي 1992 وصلت المساحة الإجمالية الموجودة في طريق الضم إلى 724.788 هـ موزعة كالتالي :

616.920 هـ مسقية صودق منها على 71.5٪

107.868 هـ بورية صودق منها على 33.2٪

وحسب معطيات مديرية المحافظة العقارية لسنة 1991

(الجدول والشكل صحبته) كانت الأراضي المعنية بالضم توجد في معظمها بمناطق نفوذ المكاتب الجهوية للاستثمار الفلاحي. وهو ما يؤكد على الأولوية المعطاة للزراعة المسقية من طرف الحكومة.

المكاتب الجهوية	المساحة بالهكتار	المديريات الإقليمية	المساحة بالهكتار
دكالة	98.352	بولمان	949
الغرب	182.447	فاس	3.534
الحوز	36.631	الخميسات	9.500
اللوكوس	88.472	مكناس	36.318
ملوية	64.573	الناظور	450
سوس	35.182	وجدة	1.306
تادلة	78.935	الرباط ـ سلا	1.450
-	-	طنجة	1.242
-	-	تطوان	2.002
المجموع	584.592	المجموع	56.751
المجموع العام		641.343	

قطاعات ضم الأراضي حسب المكاتب الجهوية للاستثمار الفلاحي والمديريات الاقليمية للفلاحة

وبصفة عامة، وصل عدد طلبات التحفيظ بين 1915 و1990 إلى 404.813، أربعة أخماسها (4/5) بالأرياف. أما المساحة المرغوب في تحفيظها خلال نفس الفترة فقد بلغت إلى 4.209.892 هـ، منها 98,9٪ بالأرياف. والملاحظ هو تزايد طلبات التحفيظ بالمدينة خلال العقدين الأخيرين.

وإذا كان عدد الطلبات كبيراً والمساحة المراد تحفيظها كبيرة كذلك، فما تم تحقيقه نهائياً يبقى نسبياً محدوداً. فنسبة الطلبات التي تمت معالجة ملفاتها وتسليم رسومها لا تمثل سوى 56٪ ولاتمثل نسبة الأراضي التي حفظت برسم عقاري سوى 55,5٪. وتدل هذه المعطيات على بطء عمليات إنجاز التأريف القانوني. ويؤكد لنا هذا البطء ما تم تحقيقه منذ الاستقلال. حيث لم يصل عدد الرسوم المسجلة بالأرياف سوى 110.000 رسم ولم تشمل المساحة المحفظة سوى 410.000 هـ.

محمد كربوط

التُّخس أو الدُّخس أو الدَّلفين، وأيضاً درفيل ودنفيل ـ كما هو في المعاجم ـ كما ينطق به في المغرب وفي باقي الدول العربية، جنس حيوانات بحرية ذات أسنان صغيرة تنتمي إلى طائفة الثدييات (Mammalia) ورتبة الحيتان أو الحوتيات (Cetacea) وتحت رتبة الحيتان المسننة أودونتوسيت (Odontocètes) وفصيلة التخس أو الدرافيل دلفيندي (Delphinidae). كنيته في البحر الأحمر أبو سلهام ويطلق العرب على أنواع التخس خنزير البحر دون أن يميزوا بين الأنواع. ويسميه البحارة المغاربة تُخْس ودنفيل المأخوذة من الفرنسية (Dauphin).

يتنفس التخس الهواء خارج الماء من خلال فتحة أنفية واحدة تقع على الجانب الأيمن بأعلى الرأس ويحدث التنفس نتيجة لخروج التخس إلى سطح الماء في حركة التفافية وينفتح الصمام الذي يغلق الفتح الأنفية فيندفع الهواء المختزن بالرئتين بسرعة ليحل محله هواء نقي ثم يقفل الصمام مرة أخرى قبل أن يغوص الرأس ثانية.

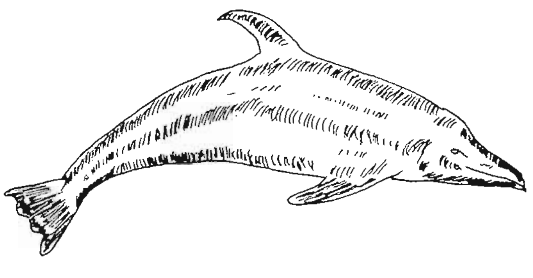
تبدو أذنا التخس كنتوءات ضيقة على جانبي الرأس وتعتبر هذه النتوءات قنوات سمعية منقرضة تُذكر بذلك الوقت عندما كان هذا الحيوان برياً. يتمتع بحاسة سمعية قوية وذلك بتمييزه لكل الموجات الصوتية التي تنتقل خلال الماء أو العظم أو اللحم إلى الأذن الداخلية.

تنمو للتخس الأطراف الأمامية وتتخذ هيئة المجاذيف ولكنها تمثل في تركيبها أذرع اللبونات المخمسة الأصابع. توجد على الظهر زعنفة واحدة مقوسة إلى الوراء ويتكون الذنب من شعبتين مستعرضتين. أكدت الدراسات التشريحية والبقايا المتحجرة للدلافين والحوت انتماءهما لأسلاف ثديية، كانت تعيش فوق سطح الأرض ومرت بطور شبيه بعجل البحر قبل أن تصبح حيوانات مائية بحتة.

للتخوس أو الدلافين قصص عديدة تذكر أنها حيوانات أليفة ويرجع تاريخها إلى أيام اليونانيين والرومان القدامى، وهناك العديد من العملات وقطع النحت من ذلك العهد تصور صبيا يمتطي ظهر تخس. وقد اعتبرت هذه القصص حتى عهد قريب ضرباً من الأساطير بيد أنه في عام 1956 تكرر وقوعها ثانية على ساحل البحر قرب مدينة أوبونيني (Oponini) في نيوزيلاندا.

يحدث قبل التزاوج بين الذكور والإناث تلاطف طويل (رقص) في الماء ويولد صغير واحد بعد عشرة أشهر. يتنفس الصغير الهواء منذ لحظة ولادته ويتم ذلك بدفع الأم وليدها إلى سطح الماء حتى تتأكد تماما من قيامه بالتنفس والسباحة. ومن المحتمل أن تكون قصص إنقاذ الدلافين للغرقى بدفعهم فوق الماء صحيحة وأن يكون هذا المسك نتيجة لغريزة الأمومة التي تتمتع بها إناث التخس.

تُعرف لفصيلة التخس عشرة أنواع تعيش في البحار المحيطة بالمغرب :



يسمى التخس الشائع علميا دلفينوس ديلفس (Delphinus delphis) وبالفرنسية Dauphin commun أو Dauphin des anciens وبالأنجليزية Common dolphin

وبالإسبانية Delfin comun. يتراوح طوله عند الولادة ما بين 0.8 و0.95 متر وعند البالغ ما بين 1.6 و2.8 متر. يبلغ وزنه ما بين 75. 110 كلغ. مُتْكه طويل ومنعزل عن الجبين. يحتوي كل فك على 80. 130 سنا صغيرة مخروطية الشكل وحادة. جسمه مغزلي، ظهره وزعانفه بنية سوداء داكنة. الجوانب مخططة بالأصفر وبالرمادي، البطن أبيض والعينان محفوفتان بالسواد.

إنه حيوان شائع في البحر الأسود والبحر المتوسط وفي المياه الأطلنطية الدافئة. يعيش وسط مجموعات متعددة الأفراد يتراوح عددها ما بين 10 و50 فردا وأحيانا تفوق 10 فرد. غوصاته وجيزة لا تتعدى 70 مترا من العمق. يسبح غير بعيد عن سطح البحر وكثيراً ما يقفز عاليا خارجا الماء. يعيش أحيانا منفردا أو مزدوجا وكثيرا ما يقترب من البواخر ويتلاعب معها مدة طويلة. يعد من أسرع الحيوانات سباحة وتصل سرعته أحيانا 50 كلم في الساعة. يعيش بالقرب من السواحل ويدخل أحيانا في البحيرات وبعض الأنهار ولا يبتعد عن المياه المالحة. حياته الاجتماعية منظمة جدا.

تضع الأنثى صغيرا واحد كل سنة خلال فصل الصيف في أغلب الأحيان. تدوم هذه المدة عشرة أشهر ومدة الرضاعة أربعة أشهر. يصير بالغاً بعد سنتين حيث يتعدى طولة 1.5 متر ويعمر ما بين 25 و30 سنة. يتكون قوته من سمك السردين والأنشوفة والاخطبوط وغيرها من الأسماك والقشريات والرخويات الأقيانوسية والحبارة.

تحدثت عن التخس معظم الحضارات القديمة وخاصة منها الإغريقية التي وصفته بالحيوان الأقرب ذكاء من ذكاء الانسان. ويرجع هذا التاريخ إلى سنة 2000 ق. م.

يدعى التخس المخطط علميا ستينلا سيروليوآلبا (Stenella coeruleoalba) وبالفرنسية Dauphin bleu et blanc وبالأنجليزية Streped dolphin وبالإسبانية Delfin azul. كثير الشبه بالدلفين الشائع Delphinus delphis ويبلغ طوله عند الولادة ما بين 0.8. 1 متر وعند الكبار 1.7. 2.1 متر ونادراً ما يبلغ 2.7 متراً. المتك قصير ويحمل كل فك ما بين 72 و90 سنا مخروطية الشكل وحادة. الزعانف الصدرية حادة ومنحنية إلى الخلف. الجوانب مخططة بالأبيض والأزرق. الظهر رمادي أزرق داكن والبطن أبيض.

شائع في المياه الدافئة لكل من البحر المتوسط والمحيطين الأطلنتي والهادي. يتنقل وسط مجموعات متعددة الافراد (أكثر من 50 فرداً في فصل الصيف) ويفضل العيش في أعالي البحار. تبلغ سرعة سباحته أحيانا 50 كلم في الساعة. يصير بالغا بعد خمس سنوات ويحتمل توالده كل ثلاث سنوات وتدوم مدة الحمل 21 شهراً. تولد الصغار غالبا في شهر شتنبر وتنقطع عن الرضاعة بعد سنة كاملة. يعمر 20 سنة ويتغذى من الأسماك والرخويات والحبارة. يُصادف أحيانا في شباك سمك التون وقد كان يُصاد قديما لأكل لحومه.

تخس ريسو يسمى علميا Grampus griseus وبالفرنسية Dauphin de Risso وبالأنجليزية Risso's dolphin وبالإسبانية Grampo. يبلغ طوله عند الولادة 1.5 متر وعند البالغ أربعة أمتار. رأسه بدون متك ويحمل الفك الأسفل 6. 14 سنا مخروطية الشكل وغير حادة. الفك العلوي خال من الأسنان ونادراً ما توجد به 2. 4 أسنان. الزعنفة الصدرية طويلة (50. 60 سم). الجسم رمادي مصفر داكن جهة الظهر ورمادي مبيض جهة البطن.

يوجد في جميع البحار الدافئة المياه ونادراً في البحر المتوسط. يتنقل وسط مجموعات متعددة الافراد (5. 10 فردا) وغالبا ما يقفز عاليا خارج المياه ويتلاعب مع الأمواج ومع البواخر. تتعدى سرعة سباحته أحيانا 25 كلم في الساعة.

التخس المرشد يُدعى علميا Globicephala Meleana وبالفرنسية Dauphin pilote أو Globicéphale وبالأنجليزية Pilot whale وبالإسبانية Calderon comun. يعد من أكبر التخس طولا وحجما بعد الأركة. جسمه أسود داكن تتخلله بقعة بيضاء على شكل مرساة ممتدة من العنق إلى مؤخرة البطن. الرأس ضخم ودائري يتقدمه متك صغير يحمل كل فك منه 14. 26 سنا مخروطية الشكل.

إنه حيوان اجتماعي يعيش في معظم بحار العالم ويتنقل وسط مجموعات تتكون من 10 إلى 100 فرد وأحياناً يعيش مزدوجاً. يسبح عادة ببطئ (5 كلم في الساعة) ولا تتعدى سرعة سباحته 35 كلم في الساعة. يغطس في أعماق تتعدى أحيانا 600 متر.

يبلغ طوله عند الولادة 1.5. 2 متر وطول البالغ يفوق 8 أمتار أحياناً. وتعتبر الإناث أقل طولا من الذكور. تزن الذكور البالغة من الطول 4.5 متر 400 كلغ. يتوالد غالبا في فصل الربيع وتدوم مدة الحمل 16 شهراً وتفطم الصغار عن الرضاعة بعد 20 شهرا. يتوالد مرة كل ثلاث سنوات ويعمر 20 عاما. متواجد بكثرة قرب مضيق جبل طارق ونادر في جنوب المغرب.

التخس فوصينا فوصينا (Phocena phocoena) يسمى بالفرنسية Marsouin وبالأنجليزية Harbour porpoise وبالإسلانية Marsopa. يسمى في المعاجم خنزير البحر وفي المغرب الدنفيل الصغير. لا يتعدى طوله 1.80 متراً في البحر الأسود والبحر المتوسط ومترين في المحيط الأطلنطي. يتراوح وزنه ما بين 45 و65 كلغ. رأسه صغير ومستدير. المتك قصير جدا وغير واضح. يحمل كل فك 38. 52 سنا صغيرة غير حادة. الزعنفة الظهرية مثلثة الشكل وصغيرة. الظهر والجوانب بنية سوداء والبطن أبيض.

يعيش منفرداً أو وسط مجموعات صغيرة لا تتعدى 10 أفراد. لا يقفز خارج الماء إلا نادراً ويسبح ببطئ غير بعيد عن السواحل ولا يقترب من البواخر. يصير بالغا بعد 3. 4 سنوات ويتوالد في أيام الصيف. تدوم مدة الحمل 9. 11 شهرا وتمتد مدة الرضاعة 4 أشهر. تزن الصغار أثناء الولادة

6 - 8 كلغ ويبلغ طولها 70 - 90 سنتمترا. يعمر خنزير البحر 16 سنة على الأقل ويتكون قوته من الأسماك والقشريات والرخويات والحبار. إنه حيوان نادر في السواحل المتوسطية وشائع في المحيط الأطلنتي. تتراوح مدة غطساته ما بين 3 و6 دقائق ويسبح غير بعيد عن سطح البحر.

التخس الكبير أو النفاخ والتخس أنف القنينة كما يسميه علماء الحيوان، يدعى علمياً Tursiops truncatus وبالفرنسية Souffleur أو Grand dauphin وبالأنجليزية Bottlenosed dolphin وبالإسبانية Delfin mular. متكه قصير وواضح، رأسه ضخم وقوي. يحمل كل فك 40 - 52 سنا مخروطية الشكل وحادة. الزعنفة الصدرية قصيرة، الزعنفة الظهرية كبيرة ومستقيمة. الظهر رمادي داكن والجوانب رمادية بيضاء والبطن أبيض. يبلغ طوله عن الولادة متراً واحداً ويتراوح طول الكبار ما بين 2،5 و3،5 أمتار بالنسبة للذكور و2،3 - 3،2 بالنسبة للإناث.

يعد من التخس الأكثر وجوداً في البحار المحيطة بالمغرب وشائع أيضا في البحر الأسود والبحر المتوسط وفي سائر البحار الدافئة. يتنقل وسط مجموعات متعددة الأفراد (5 - 8) وكثيراً ما يدخل في البحيرات وخاصة منها بحيرة الداخلة وبحيرة الناظور. لوحظت عدة تجنحات لهذا النوع على الشواطئ الأطلنطية المغربية. يصير بالغاً بعد خمس سنوات ويتوالد مرة كل سنتين. يعمر ما بين 25 و30 سنة ويتكون قوته اليومي من الأسماك وخاصة منها سمك البوري ومن الإربيان ومن الحبارة.

تمت تربية التخس تورسيوبس ترانكاتوس وإكثاره أزيد من عشرين عاما في أحواض كبيرة بمعهد الأحياء المائية بفلوريدا وأوضحت الدراسات الخاصة بسلوك هذه الحيوانات أنها تتمتع بذكاء لا يقل عن مثيله للكلاب وهي تحب اللعب بكرة أو اطار من المطاط ويبدو أنها تستمتع بمداعبة الكائنات الأخرى في أحواض التربية كالأسماك الكبيرة والسلاحف دون أن تصيبها بأيِّ ضرر. كما أنها تتعلم بسرعة الخدع كالقفز خارج الماء لإلتقاط السمك من يد الحارس. يمكنها التفاهم مع بعضها بمجموعة متباينة من الأصوات كالصفير والعواء، كما يمكنها تحديد أماكن الأشياء تحت الماء نتيجة لإنبعاث نبضات فوق صوتية والتسمع إلى صداها مثلما يحدث للخفافيش أثناء طيرانها في الهواء تساعد هذه الوسيلة التخس من تجنب العوائق وعلى اصطياد الأسماك يمكنها بواسطة صدى الصوت تجنب شباك الصيد، خاصة إذا كانت ثقوبها صغيرة. لقد اقترح تدريبها أثناء الحروب لتحديد أماكن غواصات العدو وقامت بحرية الولايات المتحدة الأمريكية بدراسة هذه الإمكانية.

تخس توزي يدعى علميا Sousa teuszii من عشيرة Stenidae يعيش في مصبات أنهار افريقيا الغربية ولا يتعدى توزيعه الجغرافي شمالا بحيرة الداخلة. وقد لوحظ وجوده في الداخلة لأول مرة من طرف Beaubrun في شهر دجنبر من سنة 1990 وفي سنة 1993 من شهر أكتوبر لاحظت وجود قطيع في نفس المكان يتكون من 10 أفراد.

الرأس دائري والجبين ضخم وواضح. المتك طويل والزعنفة الظهرية مثلثة قائمة. الظهر رمادي والبطن أبيض. لا يتعدى طوله 2،10 متراً يتغذى من الأسماك ومن الرخويات والحبارة.

يوجد في كل من الكاميرون وأنكولا ونجيريا وغينيا وكامبيا والسنيغال وموريتانيا.

نوعان من الأركة Orcinus orca وPseudorca crassidens (أنظر أركة).

W. Fischer, M. Schneider et M.L. Bouchot, *Méditerranée et mer noire*, 2, *Vertébrés fiches FAO d'identification des espèces*, 1987, 1529 p. ; A. Bayed & P.C. Beaubrun, *Les mammifères marins du Maroc : Inventaire préliminaire, Mammalia*, 1987, 51 (3) : 437 - 446 ; P.C. Beaubrun, *Un cétacé nouveau pour les côtes marocaines : Sousa teuszii* (kukenthal, 1892), *Mammalia*, 1990, 54 (1) : 162 - 164 ; J. Maigret, *Données nouvelles sur l'écologie du Sousa teuszii (Cetacea, Delphinidae) de la côte ouest africaine*, *Bull. IFAN*, 1980, (A) : 619 - 633 ; N. Valée, *Mammifères d'Europe*, Paris, 1972, 273 p.

محمد رمضاني

التخطيط، من الخط وهو أصلا كتابة، قال تعالى "ولا تخطه بيمينك" (العنكبوت، آية 48)، والتخطيط رسم من الرسوم الهندسية، يقال اختط داره لمن جعل لها حدودا فتعرف.

والتخطيط في المجتمع العصري برنامج للعمل موضوع وتوقع لنتائجه بكل أوجه الاستدلال والاحتمال وهو ما يعنينا هنا، وإن سيطرة التخطيط في سياسة الدول لها أسباب بعيدة وأخرى قريبة، فمن الأسباب البعيدة ازدهار التجارة والصناعة في العصر الحديث وانشغال الانسان بالمنافع المادية والمشاريع المربحة لدرجة جعلته شيئا فشيئا يقيس الأمور لا بأصولها يعني بسوابقها ولكن بمردوديتها يعني بالمرتقب منها، ولما توطدت أسباب الثورة الصناعية ابتداء من القرن التاسع عشر اشتدت حاجة رجال الأعمال إلى وضع البرامج المدققة لأعمالهم فحاولوا ترجيح أسباب الربح على أسباب الخسارة وانبثق عن حركة التصنيع نظريتان : أولاهما، وهي النظرية الليبرالية ترى أن لا دخل للدولة في أمور الصناعة والمبادلات على اعتبار أن مجموع المبادرات الحرة الرامية إلى المنفعة الخاصة كفيلة بأن تؤدى الى المصلحة العامة وأن تخطيط كل امرئ لمصالحه هو تخطيط ضمني للمصلحة الجماعية، أما النظرية الثانية، وهي النظرية الاشتراكية، فإنها كانت ترى أن النهوض بالكتلة الاجتماعية على ثقلها أخطر شأناً من أن يترك للأنانية الفردية وأن لا بد للجهاز الحكومي من التدخل في شؤون الاقتصاد ومن التخطيط لمستقبل الأمة بإحصاء خيراتها ومقدراتها واستثمارها في الغايات المنشودة على مراحل وبناء على الأسبقيات، ولذلك ما أن أقيمت أول دولة اشتراكية في روسيا سنة 1917 حتى صار التخطيط ركنا من أركانها، ولقد مكنها من قطع مراحل هائلة في التصنيع والنمو في وقت وجيز، مما أثار انتباه العديد من

رجال الاقتصاد ومن السياسيين إلى نجاعة التخطيط الشامل حتى في البلدان الملتزمة بالنظرية الليبرالية التي اهتزت اقتصادياتها أيما اهتزاز من جراء الحربين العالميتين ومن جراء الأزمة الاقتصادية الكبرى لسنة 1929، ولذلك فإن الأسباب القريبة للعمل بالتخطيط تعود إلى حاجة الاقتصادي العالمي غداة الحرب العالمية الثانية إلى بناء صرحه من جديد فوضعت الولايات المتحدة لتلك الغاية مخططا يعرف بمخطط مارشال وكان عبارة عن تخطيط لإخراج بلدان أوربا الغربية مما أصابها من الدمار، وتبنت الحكومة الفرنسية بعد 1945 بما كان لأحزاب اليسار الاشتراكي والشيوعي فيها من النفوذ سياسة التخطيط لإصلاح جهاز إنتاجها على اعتبار أن التخطيط تقنية من تقنيات الاقتصاد السياسي ولا سبيل لأي دولة بأن تغض الطرف عنه مهما كان من اختياراتها الإيديولوجية إذا كانت هذه الدولة تسعى في النهوض بمجتمعها وبأحوال رعاياها.

ولما كانت فرنسا آنذاك مازالت تحتل المغرب فإنها أدخلته في نطاق تخطيطاتها الأولى ضمن ما كانت تسميه "بالاتحاد الفرنسي" فصار المسؤولون الفرنسيون عن الحماية وأرباب المقاولات الاستعمارية يُخططون لتجهيز المغرب واستثمار خيراته على ضوء ما كانوا يترقبون من مردودية استغلالها فوضعوا تخطيطاً رباعيا أولاً فيما بين 1949 و1952 وأردفوه بآخر رباعي أيضا فيما بين 1954 و1957، لكن هذا التخطيط الثاني سرعان ما تغيرت ظروفه العامة بسبب حصول المغرب على استقلاله في شهر نونبر 1955 فتغيرت النظرة إلى التخطيط وانصرفت الدولة المغربية المستقلة إلى أسبقيات أخرى كان من فحواها بناء صرح السيادة الوطنية المسترجعة بالتخلص من أسباب النفوذ الاستعماري مما جعلها تدرك من توها أن لا سبيل للانعتاق ولفتح سبل الرقي والتقدم أمام الجماهير المغربية بدون تدخل الدولة في المجالين الاقتصادي والاجتماعي ورصد الأموال لذلك شأنها في ذلك شأن الدول النامية كلها التي لا معوَّل في الاستثمار فيها على الرأسمال الوطني الخاص لنذرته وهزاله، ولذلك صدر ظهير 25 يونيه 1957 القاضي بإحداث المجلس الأعلى للتخطيط وإقرار مبدأ التخطيط في مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية بناء على ما يتقرر من اختيارات اللجان المتخصصة التي يتفرع إليها المجلس المذكور وهي لجان الفلاحة والإعداد القروي والحضري ثم الصناعة التقليدية والمبادلات التجارية والاقتصاد والتعليم والتربية والتجهيز الإداري والمياه والصناعة والمعادن والشغل والبريد والطب والصحة والسياحة والنقل والمواصلات، ومنذ ذلك التاريخ والحكومات المغربية لا تشكل أو لا تعدل إلا ويكون من أهم الوزارات فيها وزارة التخطيط تارة بشكل مستقل عن غيرها وتارة أخرى كوزارة أو كتابة في الدولة ملحقة بالوزارة الأولى أو بوزارة الاقتصاد. وكان من وظائف هذه الوزارة إعداد التخطيط وعرضه على المجلس المختص ثم على البرلمان والسهر بعد ذلك على مراحل التنفيذ، ولا أدل على أهمية التخطيط في سياسة الدولة المغربية من جعل الدستور باباً خاصاً بالمجلس الأعلى للإنعاش الوطني والتخطيط تنص على تأسيسه وعلى رئاسة الملك لجلساته ودراسته لمشاريع التخطيط قبل عرضها على أنظار البرلمان (فصول 90 إلى 93 من دستور 1962). كما نص ظهير 30 شتنبر 1976 المتعلق بالتنظيم الجماعي على أن "وضع مخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية للجماعة طبقاً للاتجاهات والأهداف المقررة في المخطط الوطني" من المهام الأساسية للجماعة المحلية، وتعززت مشاركة الأقاليم في التخطيط بإحداث الجهات الاقتصادية الكبرى سنة 1979 بقصد أن تكون جلقة وصل وسطى بين الرؤيا الشمولية للتخطيط التي هي من اختصاص الدولة المركزية والرؤيا المحلية الضيقة التي لا تتجاوز حدود القرية أو المقاطعة الحضرية.

وهكذا وضعت منذ 1958 وحتى سنة 1992 ثمانية تخطيطات، أولها كان ثنائياً على مدى سنتي 1958 و1959، وكان مخططا مرحليا للانتقال من عهد الحماية إلى عهد الاستقلال، والثاني كان خماسيا فيما بين 1960 و1964، وكان هو أول تخطيط مغربي لا من حيث ما تبنى من الأسبقيات ولا من حيث ما رصد للمشاريع المقررة من وسائل الإنجاز. وكان التخطيط الثالث ثلاثيا فيما بين 1965 و1967، والرابع خماسيا فيما بين 1968 و1972، والخامس خماسيا أيضا فيما بين 1973 و1977، والسادس ثلاثيا فيما بين 1978 و1980، والسابع خماسيا فيما بين 1981 و1985، والثامن خماسيا فيما بين 1988 و1992. ولكن بغض النظر عن الحقب الزمنية المتفاوتة تارة والمتناسبة تارة أخرى لهذه التخطيطات وبغض النظر أيضا عن التقلبات الظرفية التي واكبتها على مدى أربع وثلاثين سنة والاختلافات النسبية في الأسبقيات التي ترتبت على ذلك، فإن الفلسفة العامة للتخطيط المغربي والتوجهات البنيوية في المدى البعيد والأهداف الأساسية ظلت ثابتة مسترسلة على الاجمال، وذلك لأن المغرب المستقل اختار منذ اللحظات الأولى من استقلاله أن يسير على النهج الليبرالي في الحكم والاقتصاد بحيث لم يكن التخطيط لديه أداة من أدوات الاستبداد المطلق على غرار ما جرى في البلدان الاشتراكية ولكنه كان أداة من أدوات التحرر من الهيمنة الاستعمارية ووسيلة للوقوف على مقدرات المغرب بالإحصاء الدقيق والبحث عن الأموال الضرورية للاستثمار، إما في الداخل من الرسمال الوطني الخاص والعام كلما أمكن ذلك، وإما في الخارج من الرسمال الأجنبي شريطة أن لا يمس ذلك بالسيادة الوطنية بحيث يعتبر التخطيط المغربي حلا وسطا بين البيروقراطية المحصورة الآفاق التي آلت في الختام إلى انهيار المعسكر الاشتراكي عند حلول التسعينات وبين الليبرالية المطلقة التي لا تتحملها البنيات الهشة للمجتمع المغربي، وهذا الأسلوب المرن من التخطيط

يوحي بما للدولة المغربية من الإحساس المرهف بمسؤولياتها، فهي تتدخل حيث لا سبيل لأي جهة أخرى أن تتدخل مكانها مثل جرد الخيرات ووضع الأسبقيات وتدعيم البنيات التحتية كبناء السدود وتشييد الطرق ومد أسباب التواصل والسهر على صحة الجماهير وتهذيبها وإعداد السكنى لها، وتترك للمبادرة الشخصية حرية استثمار أموالها حيثما أرادت من مختلف قطاعات الإنتاج حتى ولو وظفت أموالها في غير الأسبقيات على أمل أن يساعد ذلك على إقامة الرسمال الوطني وتقويته.

وبناء على هذه المرونة في التخطيط وجدت الدولة المغربية نفسها في تمام الانسجام مع التيارات الاقتصادية التي هيمنت منذ مطلع الثمانينات والرامية إلى نبذ كل تدخل من قبل الجهاز الحكومي وإلى ترك مطلق المبادرة في الاستثمار للخواص، ولم يجد المغرب أدنى معاناة في التفاهم مع الهيئات المالية الدولية ولا مع كبريات الأبناك العالمية التي أمدته من القروض الضرورية لتمويل مشاريعه الأساسية ومنحته كل التسهيلات لاستهلاكها وأداء فوائدها مدركة مع ذلك أن وقت تخلي الدولة المغربية عن التدخل والتخطيط على الإطلاق لم يحن بعد وإن كان الرسمال الوطني قد اشتد صلبه شيئا ما وانتعش في التسعينات بالنظر إلى ما كان عليه، ولكنه مازال في حاجة إلى أن تأخذ الدولة بيده وتدعم مقاولاته بأن توفر له أدق الإحصاءات وتوجهه إلى ما فيه ضمان للربح له وفائدة للمجتمع.

ونظراً لما أصبحت تتوفر عليه إدارة التخطيط من الكفاءات والخبرات العليا فإن آلة التقويم والاحصاء ارتفع مستواها كمّاً وعدداً وتقلص التفاوت بين التوقعات والمنجزات، إلا في السنوات التي يكون فيها المناخ غير مناسب على غرار ما حصل وسط الثمانينات من جراء الجفاف، وآخر تخطيطات الدولة لسنوات 1988 - 1992 يثبت مدى استعدادها للتخلي عن أهم المقاولات للخواص كلما كان هؤلاء بأموالهم وحيويتهم في مستوى مسؤولية الإنجاز والإنتاج. وفي هذا الاتجاه تحولت وزارة التخطيط السابقة إلى وزارة التنشيط الاقتصادي في الحكومة المغربية المشكلة في خريف 1993.

مخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية، نشر مديرية التخطيط، 1960 - 1964 ؛ 1965 - 1967 ؛ 1968 - 1972 ؛ 1973 - 1977 ؛ 1978 - 1980 ؛ 1981 - 1985 ؛ 1988 - 1992 ؛ فتح الله ولعلو، *الاقتصاد السياسي*، الجزء الأول، الدار البيضاء، 1974.

Cinq ans d'exécution du plan de coordination et d'équipement de l'Union française, Réalisation 1947 - 1951 et Programmes 1952, Paris, 1952, Commissariat général du plan ; Aziz Belal, *L'investissement au Maroc*, Paris - La Haye, 1968 ; A. Cherkaoui, *Indicateurs socio-économiques du Maroc*, Casablanca, [s.d].

إبراهيم بوطالب

التخطيط العائلي، أو تنظيم الأسرة، سياسة لعبت بالمغرب خلال العقود الثلاثة السالفة دوراً أساسياً في مجال حماية صحة الأم والطفل معاً. فمنذ سنة 1966 أصبحت هذه السياسة قائمة الذات في جميع مخططات التنمية المتعاقبة. وهكذا تم وضع أسس قانونية صريحة لها عن طريق :

- المرسوم الملكي رقم 180 - 66 المؤسس لهيئة السّكان العليا (في 26 غشت 1966).
- التوقيع الملكي على عريضة رؤساء الدول والحكومات بالأمم المتحدة الخاصة بالسّكان سنة 1967.
- إصدار المرسوم الملكي رقم 181 - 66 بتاريخ يوليوز 1967 المغير لظهير 10 يوليوز 1939 والذي يقرّ الترخيص بإشهار موانع الحمل وبالإجهاض الطبي لإنقاذ حياة الأم وببيع أدوية موانع الحمل. كما تم تأسيس الجمعية المغربية لتنظيم الأسرة سنة 1971 وكذا قسم السّكان سنة 1972 التابع لوزارة الصحة العمومية والذي يضمّ المصلحة المركزية لتنظيم الأسرة.

	تستعمل حاليا		استعملت		تعرف المصدر		تعرف الوسيلة	
	ن.م	ج. ن	ن.م	ج. ن	ن.م	ج. ن	ن.م	ج. ن
على الأقل وسيلة	41.5	22.9	66.2	38.9	93.9	57.1	99.0	97.3
على الأقل وسيلة عصرية	35.5	19.7	62.7	36.8	93.8	57.1	98.9	97.3
أقراص	28.1	15.5	95.5	34.9	92.4	56.2	98.8	97.0
لولب	3.2	1.8	9.4	5.5	73.8	45.1	87.3	83.9
حقن	0.1	0.1	1.6	1.0	39.2	23.8	62.3	54.8
مبيدات	0.2	0.1	2.1	1.2	23.8	14.2	31.4	28.1
عازل	0.9	0.5	5.6	3.2	58.8	35.7	71.8	64.5
تعقيم نسوي	3.0	1.6	3.0	1.7	69.9	42.5	84.8	79.8
تعقيم ذكوري	0.0	0.0	0.1	0.0	3.3	2.0	6.8	7.6
على الأقل وسيلة تقليدية	6.0	3.3	17.1	10.0	30.5	18.6	73.1	63.9
العزوف عن الجماع المرحلي	3.0	1.7	9.4	5.5	30.5	18.6	61.1	55.3
عزل	2.6	1.5	8.7	5.0	0.0	0.0	53.5	41.1
وسائل أخرى	0.3	0.2	2.3	1.4	0.0	0.0	14.3	10.4
المجموع	5118	9256	5118	9256	5118	9256	5118	9256

وسائل منع الحمل واستعمالها

(ج.ن. : جميع النساء ؛ ن. م. : نساء متزوجات)

وقد أعطت هذه السياسة نتائج إيجابية تتمثل في عدّة مؤشرات. بحيث تطوّر الاستعمال الحالي لموانع الحمل من 1٪ من مجموع النساء في سن الخصوبة سنة 1970 إلى 19٪ منها سنة 1979 وإلى 41.5٪ سنة 1992، مما أدّى إلى انخفاض المعدل الإجمالي للخصوبة من 7.10 أطفال للمرأة الواحدة في أواخر الستينات إلى 4.15 سنة 1992.

وتجدر الإشارة أولاً إلى أن البرنامج المعروف "بالزيارة إلى مقرّ السّكنى للتحفيز المنهجي" قد لعب دوراً كبيراً في هذا الاتجاه. حيث انطلق في البداية (سنة 1977) بمثابة عملية نموذجية في إقليم مراكش، قبل أن يشمل باقي العمالات والأقاليم. واستفادت منه بالخصوص المناطق القروية والنائية والتي شملتها التغطية لأول مرة فيما يخص التخطيط العائلي.

كما تمّ تكوين الأطر اللازمة مواكبة لسير البرنامج. إذ استفادت من هذا التكوين مختلف الهيئات المهنية التابعة

المواصفات		العدد	المجموع	لا تستعمل حاليا	وسائل تقليدية				وسائل عصرية						على الأقل واحدة	على الأقل وسيلة
					أخرى	العزل	العزوف المرحلي	على الأقل واحدة	تعقيم نسوي	عازل	المبيدات	حقن	لولب	أقراص		
فئة السن	15 ـ 19	253	100،0	76،7	0،0	0،4	0،8	1،2	0،0	0،0	0،0	0،0	1،6	20،6	22،1	23،3
	20 ـ 24	677	100،0	64،8	0،3	1،0	1،8	3،1	0،0	0،9	0،1	0،3	1،8	29،0	32،1	35،2
	25 ـ 29	883	100،0	60،5	0،0	1،8	2،4	4،2	0،2	0،7	0،1	0،1	2،6	31،6	35،3	39،5
	30 ـ 34	1098	100،0	54،6	0،1	3،2	3،4	6،6	1،4	1،1	0،1	0،1	3،9	32،2	38،8	45،4
	35 ـ 39	1009	100،0	52،2	0،3	3،2	4،9	8،3	4،2	0،6	0،5	0،1	4،5	29،6	39،4	47،8
	40 ـ 44	645	100،0	53،0	0،5	4،0	3،3	7،8	7،8	1،9	0،6	0،2	4،2	24،7	39،2	47،0
	45 ـ 49	553	100،0	64،9	1،3	3،3	2،2	6،7	7،6	0،7	0،0	0،2	2،0	17،9	28،4	35،1
محل الإقامة																
	وسط حضري	2222	100،0	45،5	0،4	3،1	5،3	8،7	4،3	1،6	0،5	0،0	5،7	33،7	45،8	54،5
	وسط ريفي	2896	100،0	68،4	0،3	2،3	1،3	3،9	1،9	0،4	0،0	0،2	1،3	23،8	27،7	31،6
الجهات																
	الشمال الغربي	1052	100،0	56،4	0،5	6،4	5،1	12،0	3،1	1،2	0،3	0،1	3،9	23،0	31،7	43،6
	الشمال الوسط	640	100،0	66،4	0،3	2،0	4،1	6،4	1،7	0،3	0،0	0،3	2،5	22،3	27،2	33،6
	الوسط	1463	100،0	53،0	0،3	1،4	2،7	4،4	4،1	1،0	0،4	0،1	3،5	33،6	42،6	47،0
	الشرق	320	100،0	51،6	0،3	0،3	3،8	4،4	1،6	1،9	0،6	0،3	2،5	37،2	44،1	48،4
	الجنوب الوسط	417	100،0	54،0	0،5	1،0	2،2	3،6	2،6	0،7	0،2	0،2	1،3	35،5	42،4	46،0
	تانسيفت	578	100،0	56،9	0،0	2،1	0،9	2،9	2،6	0،7	0،0	0،2	4،0	32،7	40،1	43،1
	الجنوب	648	100،0	74،2	0،2	2،8	1،4	4،3	2،5	0،6	0،0	0،0	2،0	16،4	21،5	25،8
المستوى الثقافي																
	بدون	3932	100،0	64،3	0،4	2،4	1،5	4،3	2،8	0،6	0،1	0،2	2،2	25،5	31،4	35،7
	ابتدائي	644	100،0	43،0	0،0	3،9	5،6	9،5	4،7	1،2	0،6	0،0	5،0	36،0	47،5	57،0
	ثانوي	542	100،0	35،1	0،0	2،8	10،9	13،7	1،8	2،6	0،7	0،0	8،3	37،8	51،3	64،9
عدد الأطفال الأحياء																
	0	591	100،0	94،4	0،0	0،3	1،7	2،0	0،0	0،2	0،0	0،0	0،2	3،2	3،6	5،6
	1	693	100،0	60،9	0،1	1،2	3،3	4،6	0،0	1،0	0،3	0،1	2،3	30،7	34،5	39،1
	2	716	100،0	53،1	0،1	1،5	3،1	4،7	0،4	0،8	0،4	0،3	3،8	36،5	42،2	46،9
	3	676	100،0	50،1	0،4	2،5	4،3	7،2	1،6	2،1	0،1	0،0	4،4	34،3	42،6	49،9
	+ 4	2442	100،0	53،0	0،5	4،0	2،9	7،3	5،6	0،7	0،2	0،2	3،7	29،2	39،7	47،0
المجموع		5118	100،0	58،5	0،3	2،6	3،0	6،0	3،0	0،9	0،2	0،1	3،2	28،1	35،5	41،5

الوسائل الحالية لمنع الحمل حسب الخاصيات الاجتماعية والديمغرافية

لوزارة الصحة العاملة بمصالح تنظيم الأسرة، وصحة الأم والطفل وخاصة منها تلك العاملة بالوحدات المتنقلة. وفي هذا الصدد، وضع سنة 1982 رهن إشارة العاملين في هذا البرنامج دليل حول تنظيم الأسرة وصحة الأم والطفل، والذي تم تعديله وتتميمه سنتي 1985 و1987.

وعلى واجهة أخرى، وبالضبط في سنة 1982، فتح "المركز الوطني للتكوين في التزايد السّكاني" أبوابه وكان له الأثر الكبير على تحسين وتعميق التكوين في مجال التخطيط العائلي. إذ منذ 1983 (سنة بعد انطلاقه) أدخلت التقنية الكوليوسكوبية فيما يخص "برنامج منع الحمل الجراحي الإرادي".

بصفة عامة، يتطلب تحسين نوعية الخدمات المقدّمة في مجال التخطيط العائلي الزيادة في مهارات وقدرات رجال الصحة، وهذا ما يفسّر تعاقب سلسلة المناظرات والدراسات الميدانية في هذا الشأن.

مصدر وسائل منع الحمل العصرية.

Ministère de la Santé, *Enquête nationale sur la population et la santé au Maroc*, Rabat, 1987 - 92 ; Ministère de la Santé, *Visite à domicile de motivation systémique*, Rabat, 1988.

السعدية صريح

تُدَة (ابن)، أسرة تطوانية يقول عنها كاخيگاس (Cagigas) إنها نفس أسرة ابن تودة، غير أنه عندما ساءت سمعة هذه الأسرة النبيلة بسبب وقوف بعض رجالاتها بجانب السلطان محمد المتوكل السعدي وموت هذا الأخير غريقاً بوادي المخازن بجانب الملك البرتغالي اضطر أفراد الأسرة الذين ظلوا بالمغرب إلى تغيير اسم أسرتهم فاتخذوا اسم ابن تدة، ولازالت هذه الأسرة بتطوان يتعاطى أفرادها التجارة.

Delegacion Asuntos Indigenas, *Familias* ; Cagigas, *Familias I* ; Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos I*.

محمد ابن عزوز حكيم

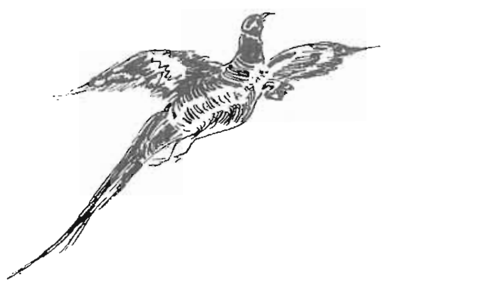
التَّدْرُج، طائر أرقش شبيه بالحجل جميل المنظر والصوت، لذيذ الطعم. ينتمي إلى فصيلة التدرجيات فازياندي (Phasianidae) ورتبة الدجاجيات كاليفورم (Galliformes) الذي تشمل الدجاج والتدرج والغرغر والطاووس والديك ويدعى علميا Phasianus ويشمل هذا

الجنس عدة أنواع موطنها الأصلي القوقاز وآسيا الجنوبية الغربية (خراسان وبلاد الفرس وبلاد الأناضول والصين). نذكر من بين هذه الأنواع :

تدرج امخرت (Phasianus amherstiae) وتدرج ياباني (P. versicolor) وتدرج ذهبي (P. oratus) وتدرج فضي (P. silver) وتدرج مطوق (P. torquatus) وتدرج معروف أو تدرج الصيد (P. colchicus) وهو النوع الذي تأقلم في أوربا منذ العصور الوسطى ثم أُدخل إلى المغرب ويعد حالياً من الطرائد المهمة في ميدان الصيد. يقال له بالفارسية "تذرو" والتدرج المغربية مشتقة من هذه اللفظة. يدعى بالأنجليزية Pheasant وبالفرنسية Faisan de chasse وFaisan de colchide.

يختلف الزوجان كثيراً في الحجم وفي ألوان الريش. يسمى الزوج الديك ويبلغ طوله 75 ـ 87 سم ويزن 1,2 ـ 1,6 كلغ، ريشه مختلف الألوان، لامع يجلب الأنظار بجماله، لون رأسه وعنقه أخضر معدني لامع، تعلو رأسه خصلتان من الريش الأخضر وتحف عينيه من الأسفل نتوءات لحمية حمراء. ظهره أشقر ضارب إلى الصهبة، الجناحان بنية شقراء ريشها محفوف بالبنفسجي المسود، الذيل طويل وحاد في مؤخرته لونه أشقر رمادي مخطط بالأسود.

يبلغ طول الأنثى ما بين 53 ـ 63 سم ولا يتعدى وزنها 1200 غ. ريشها رمادي مصفر مزركش بالسواد وبالبني. وأكثر الإنسان من تزاوج تدرج الصيد مع الأنواع الأخرى من نفس جنسه فأدى ذلك إلى تنوع كبير في الألوان.



يحسن هذا الطير المشي ويجري بسرعة فائقة ويتميز عن باقي الطيور بطيرانه العمودي. الديك متعدد الزوجات في الغالب وفي حالة وجود ديكين آخرين وسط المجموعة يشتد الصراع بينهما فيتقابلان وجهاً لوجه وينفخان ريش العجز ويتبادلان ضربات المناقر، يرفعان الرأس تارة ويخفضانه تارة أخرى وينفرد الفائز بالإناث.

يتوالد خلال شهر أبريل وشهر ماي وتختار الزوجة العش على الأرض وسط الغابات والأماكن المتشجرة الغنية بالأعشاب وبين القصب وفي المزارع أحياناً. يتكون العش من أوراق الشجر والأعشاب اليابسة تضع فيه الأنثى من 7 إلى 16 بيضة بنية مخضرة يبلغ طولها 35,9 x 36 سم. تدوم مدة الحضانة 23 ـ 27 يوماً ويغادر الفراخ العش بعد التفقيس مباشرة ويتعلمون الطيران منذ اليوم الرابع عشر من عمرهم. تقضي الصغار الليل على الأراضي مختفية بين الأعشاب وعند بلوغها نصف حجم الآباء تنام وتستريح فوق الأشجار كما يفعل الكبار. تشبه الصغار الأمهات في لونها ولا ينمو الريش الطويل الذي يُكون الذيل عند الديك إلا بعد عدة شهور.

يكثر نشاط التدرج في الصباح الباكر وفي المساء قبل غروب الشمس ويستريح أو ينام في الأوقات الأخرى. يتغذى من الحبوب من الفواكه اللحمية ومن الحشرات والديدان وأوراق النباتات الخضراء والعساقيل. يعيش وسط مجموعات متعددة الأفراد وينعزل مع زوجاته خلال فترة التوالد.

أطلقت شركات الصيد السياحية هذا النوع في عدة مناطق لتنمية هواية الصيد في البلاد وقد وُفّقت هذه المحاولة في النواحي الغابوية لكل من الرباط والقنيطرة وعرباوة والعرائش ووزان وبنسلمان حيث أصبح التوالد طبيعياً. يُربى أيضاً في البوادي مع الدجاج ومتواجد في كل الحدائق الحيوانية المغربية.

يصاد التدرج عن طريق الإحاشة (en battue) إلا أن قانون الصيد في المغرب لا يرخص بذلك ويبقى صيد هذا النوع فردياً أو مزدوجاً ويتطلب هذا الصيد مجهوداً جسمانياً قوياً نظراً لكثرة اختفاء التدرج وسط الأدغال وبين الأشجار الكثيفة ولشدة حذره. يشترط في الكلاب أيضاً قوة المهارة والخبرة.

لا تتعدى نسبة الصيادين الذين يتعاطون لصيد التدرج في المغرب 10٪ من مجموع الصيادين ومعظمهم أجانب.

أ. المعروف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة 1932.

P.C. Beaubrun et M. Thevenot, *Recencement hivernal d'oiseaux d'eau au Maroc : 1980*, Rabat, 1981 ; W. Reade & E. Hosking, *Les oiseaux, leurs œufs et leurs nids, Reproduction, œufs et jeunes*. Paris, 1968, p. 191 - 192 ; H. Heinzel, R. Fitier & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and Middle East*, London, 1984, p. 124 - 125.

محمد رمضاني

تُدْغَة ـ جغرافيا ـ ينتمي واد تدغة إلى نظام حوض غريس، وينبع من السفح الجنوبي للأطلس الكبير الكلسي. ويتجه عموماً من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي ليتخذ اسم فريكلة قبل اتصاله بواد غريس. وهو نهر موسمي الجريان إلا في جزئه الأوسط عند تلقيه لمياه عين تزگي وعين الشيخ سيدي محمد بن عبد الله وعين السمك المَقدس. يخترق النهر في جزئه الأطلسي خوانق ضيقة وجدّ متعمقة ثم يتسع مجراه عند خروجه نحو المنخفض الجنوبي للأطلس.

وواحة تدغة منفتحة على التأثيرات الصحراوية، لذا يتميز مناخها بقلة التساقطات وعدم انتظامها وبالمدى الحراري المرتفع. وقد حتمت هذه الظروف منذ القدم التصاق السكان بالشريط الأخضر المحيط بالنهر.

عرفت الواحة تعميراً قديماً تحدث عنه الوزان خلال القرن السادس عشر (*افريقيا*، ص 432) بل أثارت كثافة السكان وتمركزها استغراب دوفوكو (ص. 222) حيث قدر عدد قصور الواحة بستين قصراً، موزعاً كالتالي : ستة وأربعون قصراً يسكنها صنهاجة أهل تدغة، وتوجد القصور في عالية النهر، وثمانية قصور تسكنها قبائل عطاوية الأصل.

تزايد سكان الواحة بسرعة خلال العقود الأخيرة حيث انتقلوا من حوالي 15.600 نسمة 1936 إلى 42.157 نسمة 1982، الشيء الذي شكل ضغطاً كبيراً على الثروات الاقتصادية الضيقة، والمتكونة أساساً من الفلاحة. فمساحة 89٪ من الاستغلاليات لاتزيد عن هكتار واحد، ومعدل مساحة الاستغلاليات لا يتجاوز 0،2 هـ.

تعتمد الزراعة داخل الواحة على السقي التقليدي بواسطة السواقي في العالية والخطارات في السافلة. ويتم توزيع حقوق الماء بشكل جد معقد. يتمحور الإنتاج حول زراعة الحبوب الشتوية والربيعية إذا توفرت مياه السقي. بالإضافة إلى أشجار مختلفة تطغى عليها الثمور والزيوت والتين واللوز والرمان، بينما لايلعب الرعي إلا دوراً ثانوياً خصوصاً بالنسبة لسكان أهل تدغة رغم شساعة المسارح.

لقد ساهم الضغط على المجال الفلاحي الضيق، وظروف الموقع على أحد المحاور الرئيسية بين تافيلالت ودرعة وبين قبائل أيت عطة وأيت يَفلمان في تجمع السكان داخل مركز تينغير. حيث برزت أهميته إدارياً عندما أسست فيه قصبة الأكلاوي عام 1919، فأصبح نقطة جذب لعدة أنشطة تجارية وسياحية وحرفية، فانتقل عدد سكانه من 114 نسمة 1936 إلى 10.527 نسمة عام 1982. وقد مكن هذا الاحتكاك بالمدنية وضيق الموارد الاقتصادية من خلق تيار هجروي قوي في المنطقة خاصة نحو الخارج، حيث دفعت المنطقة حتى سنة 1976 بما ينيف عن 10.824 عامل نحو الغربة، أي حوالي 36٪ من سكان الواحة، وبمعدل 2،6 عامل لكل أسرة. فأدى هذا التيار إلى خلق دينامكية وتحولات تظهر آثارها على السكن ودخول النمط الحضري في الاستهلاك بشتى أصنافه.

حسن مرواني، *حول البنية الزراعية في تدغة*، بحث لنيل الإجازة في الجغرافيا، كلية الآداب بالرباط 1979.

محمد أيت حمزة

** اشتهرت تدغة بمنجم للفضة، وقد حرفت بعض النسخ اسم تدغة إلى درعة وترغية وترغة، ونجد أول إشارة إلى تدغة عند ابن خرداذبه (القرن الثالث الهجري (9 م)) في كتابه *المسالك والممالك*، إذ يقول : "وفي يد الخارجي الصفري درعة (تدغة في نسخة أخرى، الإحالة h - صفحة 88) وهي مدينة كبيرة كثيرة الأهل وفيها معدن فضة وهي مما يلي الجنوب إلى بلاد الحبشة" (*المصدر*، ص. 88)، ويذكر المسعودي (القرن الرابع الهجري (10 م)) تدغة بقوله : "وفي هذا الصقع من بلاد المغرب خلق من الصفرية الخوارج لهم مدن ممدودة مثل مدينة ترغية وفيها معدن كبير من الفضة وهو مما يلي الجنوب..." (*المصدر*، ج 1، ص. 156).

ويخبرنا البكري (القرن الخامس الهجري (11 م)) عند الحديث عن سجلماسة، وعن معادن درعة، "فولي أبو المنتصر (174 هـ - 208 هـ) وكان جبارا عنيدا فظا غليظاً، فظفر بمن عانده من البربر وذلهم فأخذ خمس معادن درعة وأظهر الصفرية..." (*المغرب*، ص. 150).

وبناء على هذه النصوص يمكن القول إن تدغة (درعة، ترغية،....) كانت مشهورة في القرنين الثاني والثالث الهجري (8 ـ 9 م)، بإنتاجها للفضة وبأنها مدينة كبيرة ومأهولة، ونلاحظ أن ذكر المدينة يأتي مقرونا بمنجم الفضة وبسيادة الخوارج الصفرية عليها، أي أن موقع تدغة لن يكون خارج ما كان يعرف سابقا بإقليم سجلماسة، موطن الصفرية.

ووجدت إلى جانب النصوص، مجموعة من الدراهم التي سكت بتدغة، يرجع أقدمها إلى سنة 164 هـ / 781م بالإضافة إلى درهمين إدريسيين سكا على التوالي سنتي 172 هـ / 788م و174 هـ / 790 م، كما عثر على دراهم سكت باسم خلف بن المضا سنوات 175 هـ / 791 م و176 هـ / 792 م و177 / 793 م، وقد يكون خلف بن المضا قد سك الدراهم تحت إمرة الخوارج الصفرية، ونص البكري حول اليسع أبي المنتصر (174 هـ - 280 هـ / 790 م - 823 م) الذي كان يأخذ مكوسا عن معادن درعة يسير في نفس سياق نصي ابن خرداذبه والمسعودي.

بناءً على دراسة ميدانية للعديد من المواقع المنجمية في منطقة ما كان يعرف سابقاً بإقليم سجلماسة (1984 ـ 1985)، يوجد موقع واحد يستجيب للأوصاف المذكورة في النصوص المكتوبة من خلال مخلفاته الأثرية ومن نتائج بعض التحليلات المختبرية، نعتقد أن منجم ومدينة تدغة يوجدان بموقع إيمضر، الذي يعتبر أكبر منجم للفضة بالمنطقة، على الطريق الرابطة بين بومالن فالرشيدية (انظر الخريطة الطبغرافية بومالن 1 / 100.000). ومنجم إيمضر للفضة يحمل اسم القرية وواد إيمضر الذي يصب في واد تدغة، ولا يستبعد أن يحمل واد إيمضر اسم تدغة في الفترة التي تعنينا. والمنجم متحف نموذجي للتقنيات المنجمية والتعدينية القديمة، إذ لا زالت موجودة عشرات الآبار والخنادق والدهاليز الباطنية، وتتناثر في الموقع الرئيسي للمنجم شظايا من الكواجل (أواني فخارية على شكل شهد عسل النحل) كانت تستعمل لتصفية معدن الفضة من الشوائب ولصنع كويرات من الفضة الخالصة، موجهة أساسا لسك النقود، بالإضافة إلى هذا نجد في الموقع مئات الرحي وقطع الزجاج والفخار والخزف والأشكورية (خبث المعدن) كما توجد مغسلة للأحجار المعدنية بالقرب من واد نتاشراكاشت، وخطارة تصل الخندق "أ" بأقا المعدن الموجود على بعد مائة متر شمال الخندق، والتي تعكس في هندسة حفرها مستوىً تقنياً جيداً.

وقد تم حساب كميات الردم المعدني في الموقع الرئيسي بما يناهز المليون طن من الأحجار المعدنية التي اعتبرها المنجمون القدامى عقيمة. وتتخلل الاستغلالية المعدنية بقايا بنايات.

إن هذه المخلفات المادية تعكس نشاطا منجميا وتعدينيا هاما طوال فترة ليست بالقصيرة، بالإضافة إلى وجود تجمع سكاني، على الأقل، في الموقع الرئيسي والذي يغطي ما يقارب ستين هكتاراً.

إن كل هذه المعطيات المادية تدعونا إلى مطابقة موقع إيمضر مع المدينة القديمة تدغة، المذكورة في المصادر التاريخية، وما يعزز افتراضنا هذا، العثور على ثلاث قطع نقدية أثناء إفراغ الخندق "أ" من الردم المعدني، ويتعلق الأمر بدرهمين إدريسيين وفلس نحاسي، ونعتقد أن مركز المدينة يوجد بالجنوب الغربي من الخندق "أ". وتدل المخلفات أن الموقع عرف نشاطات إنسانية متعددة، فقد عثر مثلا على أشكورية تحمل نسبا هامة من الرصاص، وهذا معناه وجود عمليات صهر للفضة والرصاص لإعطاء ليونة تسهل عملية تكييف شكلها حسب رغبة الصانع.

إن هذه الدلائل المادية مجتمعة غير متوفرة - حسب معرفتنا - في أي موقع، يوجد بمحيط سجلماسة القديمة، فإذا عدنا إلى النصوص، نجد أن ابن خرذاذبه يقول إن المدينة كانت تحت سيطرة الخوارج الصفرية أي مدراريي سجلماسة، وهذه المعلومات نجد لها استمرارية، بطريقة غير مباشرة عند البكري الذي يذكر المكوس التي وضعها اليسع على مناجم درعة (واد درة عند البكري يشمل أيضا دادس الذي يقع في محيط إيمضر) أواخر القرن الثاني / (8 م)، لكن البكري لم يذكر تدغة، بل تحدث عن ترغة التي خلت بعمارة سجلماسة (*المصدر*، ص. 148)، لكن السياق التاريخي للمنطقة وسك النقود بتدغة يؤكدان أن المدينة لم تختف، اللهم إلا إذا كان الأمر يتعلق بمدينة حقيقية أخرى تسمى ترغة أو أنه كان يقصد بكلمة "عمارتها" ازدهار سجلماسة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (10 م)، وهذا الافتراض الأخير له كذلك ما يبرره.

من خلال المعطيات السالفة الذكر، يمكن التأكيد أن تدغة كانت مزدهرة أواخر القرن الثاني وفي القرن الثالث الهجري (8-9 م)، ونعتقد أن المنجم بدأ يفقد أهميته ابتداءً من القرن الرابع الهجري (10 م) وربما كان هذا سببا في إغفال البكري لذكر المنجم خصوصا وأنه كان ينقل أخباره عن التجار والمسافرين وعن كتابات القرن الرابع الهجري. وسك النقود بتدغة يبرز لنا عدة معطيات عن تاريخ المدينة، فنلاحظ مثلا أن دار السكة بهذه المدينة أصدرت نموذجين لردهمين إدريسيين سنتي 172 هـ / 788 م و174 هـ / 790 م ثم نجد بعد ذلك إصدارات لدراهم "خارجية" من سنة 175 هـ إلى 177 هـ/ 791 م - 793 م)، ويمكن أن نقدم فرضية في هذا الباب، مفادها أن المدينة كانت قبل سنة 175 هـ / 791 م تحت سيطرة الأدارسة لتنتقل بعد ذلك إلى سيطرة الخوارج الصفرية ابتداء من سنة 175 هـ ولا يستعبد هذا في إطار الصراع الذي كان قائما بين الأدارسة والخوارج. وفي السياق السالف الذكر، يمكن وضع ما ذكره البكري، حول اليسع وسيطرته على معادن درعة وفرضه المكوس عليها وكما ذكرنا، فقد تولى السلطة سنة 174 هـ / 790 م، كما أننا لا نتوفر على دراهم إدريسية سكت بتدغة بعد 174 هـ.

أما عن أسباب اختفاء مدينة تدغة فيمكن أن نقدم عدة احتمالات :

- الاحتمال الأول : أن المغرب دخل في القرن الرابع الهجري (10 م) في حركية جديدة من المبادلات مع السودان عقب توقف الخط التجاري مصر - غانا أواخر القرن الثالث الهجري (9 م) (ابن حوقل، *صورة الأرض*، ص. 65). وأن هذه الحركية كانت وراء اختفاء مجالات تبادل أو بروز أخرى، ولا شك أن الخط التجاري سجلماسة أودغست أحيى المجالات الاقتصادية المخترقة ومن بينها تامدولت ومنجمها للفضة، فظهور هذه المدينة ابتداء من القرن الثالث الهجري (9 م) تحت سيطرة الأدارسة يمكن أن يفسر تقهقر تدغة، فلم تعد المنجم الوحيد في المغرب الجنوبي، بل إن وجود تامدولت على الخط التجاري الذي سيأخذ أهمية خاصة في القرن الرابع الهجري، سيعطي لها فرصة تموين التجارة المغربية السودانية بالفضة.

- الاحتمال الثاني : أن النشاطات المنجمية والتعدينية اتجهت نحو الشرق من الموقع الرئيسي لإيمضر، وتشتت الاستغلاليات في جبل صاغرو - كما تدل على ذلك الصور الجوية - ساهم في تفكيك التركز السكاني، مما أدى إلى الاختفاء التدريجي للمدينة، وقد تتزامن هذه العملية مع القرن الرابع الهجري.

- الاحتمال الثالث : أن سكان إيمضر (تدغة) استغلوا المياه الجوفية الموجودة في الخندق "أ" بواسطة خطارة نقلت الماء إلى أقا المعدن الذي يخترق مجال التجمع السكاني الموجود إلى الجنوب الغربي من الخندق "أ"، ودلت التحليلات المختبرية أن المياه الجوفية تحمل نسبا عاليا من الزرنيخ، واستعمالها يؤدي حتماً إلى انقراض الحياة بصورة تدريجة.

إن القيام بحفريات منتظمة مع تحاليل مختبرية في موقع إيمضر، يمكن أن يكشف عن ماضي تدغة في تفاصيله الدقيقة، وبالتالي يمكن لهذه المعطيات الكشف عن جزء هام من تاريخ الأدارسة والخوارج الصفرية بالمنطقة.

ابن خرذاذبه، *المسالك والممالك*، ليدن 1889 ؛ المسعودي، *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، بيروت 1983 ؛ البكري، *المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب*، باريز 1965 ؛ الخريطة الطبغرافية بومالن 1 / 100.000.

الموساوي العجلاوي

* * تذكر كتب التاريخ أن تدغة عرفت في القرن الثاني والثالث للهجرة ازدهاراً اقتصادياً في ظل إمارات محلية حتى إن تدغة أصبح لها شأن أكثر من سجلماسة حسب

الباحثة "جاك مونيي" (Jacques Meunié). وقد ترددت بين الاستقلال تحت حكم أمير خارجي ثم تحت التبعية لحاكم دمنات من بني إدريس، حسبما تبين من الأبحاث الأخيرة للباحث دانييل أوستاش (D. Eustache). كما حكمتها الأميرة زينب التي ضربت السكة باسمها هناك. وقد كانت تدغة خلال الفترة الممتدة فيما بين 175 هـ و200 هـ تُمِدُّ الدولة الادريسية بالدراهم حيث وجدت عملة إدريسيَة ضربت بتدغة، كما كانت تزود هذه الدولة بمادة الفضة التي يوجد معدنها فيها. وهذا ما دفع بالأدارسة لمد نفوذهم إلى تدغة حوالي عام 223 هـ في عهد يحيى بن إدريس الثاني. ويستفاد من كلام البيذق أن تدغة دخلت في طاعة الموحدين أيام خلافة عبد المومن حيث جاء في أخبار المهدي (ص. 51) : "...ثم وصلنا لموضع يقال له "تدغت" ووجد به أيت علي وسكور ومنكور ووجد موسا بن حماد متاع أسامرن أيت سنان فترك بها ابن وظيب..." وقام أبو حفص الموحدي بنفس الحركة إلى أيت سنان بتدغة بعد وفاة عبد المومن. ويذكر الناصري في *الاستقصا* (7 : 80) "أن أهل تدغة شاركوا في جيش المولى إسماعيل لقتال قبائل فزاز البربرين سنة 1104". وقد كانت تدغة بعد ذلك من المناطق الآهلة بالسكان حيث يذكر "أبو القاسم الزياني" في *الترجمانة الكبرى* (ص. 67) : "... وما قابل إدخسان وفازاز خلف جبل درن أقاليم ثلاثة : تدغة وفركلة وغريس غير متصل بعضها ببعض، وبها قصور وقرى ونخيل وبساتين ومزارع وأمم لا تحصى".

ويذكر في *البستان الظريف* المعارك التي دارت بين جيوش المولى سليمان وقبائل أيت عطا في الواحات. وجهوده لإخضاع هذه الواحات ومن جملتها واحة تدغة حيث يقول : "... ووجه المولى سليمان محلة أخرى مع عامل سجلماسة محمد السريري فنزل ملوية... فتوجع لسجلماسة ومنها فرق المحلة على أقاليم الصحراء درعة والفائجة وتدغة وفركلة وغريس وزيز ومدغرة والرتب فجنى أموال تلك النواحي وقرر عماله وخلائفه بكل إقليم ومهد طرق الصحراء ورجعت العساكر".

وفي عهد السلطان الحسن الأول ولى "الجيلالي الدمناتي" قبائل بوگمّاز وتدغة وأيت عطا ومغران ودادس،



تدغة
قصر تاوريرت ن إيمزلن

غير أنه لم يتمكن من التصرف فيها. والذي يهمنا هو أن الوزير المعطي بلعربي كتب إلى الجيلالي الدمناتي بتاريخ 9 ذي القعدة 1310 هـ في شأن تدغة كتابا على لسان السلطان الحسن الأول يأمره فيه أن يباشر الأمور معهم على مقتضى إيلافهم واستياقهم للخدمة، وأن يسوسهم بالحسنى وأسلوب الحكمة.

وبعد توقيع معاهدة الحماية واندلاع المقاومة في تافيلالت بزعامة مبارك بن حسين التوزنيني وخليفته بلقاسم النگادي أصبحت تدغة تكتسي أهمية بالغة من الناحية الاستراتيجية بالنسبة للقيادة العامة للأركان الفرنسية، ذلك أنها ترى في احتلال تدغة ضربة لمقاومة تافيلالت إذ يحرمها ذلك من قاعدة خلفية ويمنع هذا الاحتلال قبائل أيت عطا من المساهمة في المقاومة. وفي هذا الإطار نظمت حملة باشا مراكش التهامي الاگلاوي إلى تدغة في أواخر 1918 وبداية 1919.

وقد كان الاگلاوي على رأس جيش بلغ تعداده عشرة آلاف جندي يؤطرهم ضباط الشؤون الأهلية برئاسة الجنيرال "دو لا مـوط" (De La Mothe). وأنشأ الاگلاوي حامية عسكرية مقرها تينغير، كما شيد قصبة له وعين خليفة بتدغة وبذلك تم تطويق المقاومة بتافيلالت. كما أن احتلال تدغة مكّن الاستعمار الذي حلت جيوشه بشكل نهائي بتدغة سنة 1931 من قاعدة لتوسيع الاحتلال نحو الأطلس الكبير والأوسط وصغرو. وظلت تدغة خلال العهد الاستعماري مركزاً هاماً للشؤون الأهلية لمراقبة تحركات قبائل أيت عطا المجاهدة.

البيذق، *أخبار المهدي*، الرباط 1971. ؛ ح. الوزان، *وصف افريقا*، ج 2، 1983 ؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن 19*.

G. Raclot, *La vallée de Todra*, Rabat, 1936 ; D. Eustache, *Le corpus des dirhams Idrissites*, *B.S.H.M.*, n° 2, 1969, p. 27.

عبد القادر بوراس

التدغي، عبدالكريم بن علي بن محمد بن علي بن عمرو الدرعي، نسبة إلى تَدْغُوتْ. عربت إلى تَدْغَة ؛ وهو مدشر قديم يقع على الطريق الواصلة بين تافيلالت ومراكش. ومن ثم عرفت، طوال التاريخ ؛ كمرحلة رئيسية في تلك الطريق، وسوق جهوي هام يَلتقي فيه أهل دادس وأهل درعة بقبائل أيت سدرات وأيت عطا.

أخذ التدغي عن جماعة من علماء وقته من أشهرهم أبو الحسن علي المراكشي، وأبو علي اليوسي. ورحل إلى المشرق، حيث أدى فريضة الحج ولقي علماء أخذ عنهم، كما زار بلاد الشام.

قدم إلى زاوية تامگروت الناصرية قبل أعوام التسعين وألف ؛ وحظي لدى الناصريين بمكانة مرموقة، بسبب علو كعبه في ميدان العلم. فكان من بين من استقطبهم الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي، عن طريق المصاهرة، إذ زوجه أخته سارة بنت مَحمد ابن ناصر. فاستقر بالزاوية وعكف على التدريس والإفتاء طوال حياته.

ومن بين أشهر تلامذته محمد المكي بن موسى

الناصري، ومحمد بن عبد الله الحوات قاضي شفشاون ؛ وهو الذي رثاه عند موته بقصيدة مطلعها :

سل الطالع الغربي من نحو درعة
سؤال الشجي المشتاق عن جودة الأنس

(*نشر المثاني*، 3 : 240)

ومنهم أيضاً أحمد بن صالح الدرعي الذي قال عنه : "وقد أقام عندنا مدة تزيد على العشرين يوماً، أفادنا فيها ما هو أهل له من العلوم التوحيدية والأحاديث النبوية، وغير ذلك من العلوم والإشارات الأدبية" (*الدرر المرصعة*، 314 ـ 315 ؛ *الدرة الجليلة*، 218 ـ 220).

وكان محمد بن عبد الله الحوات كاتبه المختص به.

توفي عبد الكريم التدغي بتامكروت ليلة الخميس التاسع عشر من جمادى الأولى سنة 1132 / 1720 ؛ ودفن بمقبرة أبي القاسم الشيخ على مقربة من الزاوية الناصرية.

محمد المكي الناصري، *الدرر المرصعة* ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، ج 3 ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*.

أحمد عمالك

التدميري، أحمد بن عبد الجليل بن عبد الله. أصله من تدمير بشرقي قرطبة، نشأ بألمرية، وأخذ عن جماعة من العلماء منهم أبو الحجاج ابن يسعون وأبو محمد بن الدبيري وأبو محمد بن عطية ومحمد بن عمر، وأبو الوليد ابن الدباغ وأبو علي الصدفي، لقيه بمرسية سنة 510 هـ.

انتقل إلى بلاد المغرب، وسكن مدينة بجاية مدة، وفيها ألف كتابه *نظم القرطين*، وضم *أشعار السقطين* جمع فيه أشعار الكامل للمبرد، والنوادر لأبي علي البغدادي، ألفه برسم محمد بن علي ابن حمدون وزير بني الناصر الصنهاجيين.

استقدمه عبد المؤمن بن علي الكومي بعد ذلك إلى مراكش لتعليم أبنائه وتأديبهم، فصار من مرافقي الخليفة وعلماء القصر السلطاني، وقد رافق الخليفة في حركته الشهيرة إلى إفريقية سنة 555 هـ، وحضر معه فتح مدينة المهدية.

كان عالماً لغوياً نحوياً أديباً منكباً على التأليف في اللغة والنحو، فزيادة على الكتاب السابق، ألف كتاب *تسديد قواصر الميز في شرح شواهد ابن عزيز* وهو في شرح شواهد كتاب *نزهة القلوب* في غريب القرآن لمحمد ابن عزيز، كما ألف كتاب *التوطئة* في النحو، وكتاب *التصريح لشرح غريب الفصيح* الذي لايزال مخطوطاً، وكتاب *الفوائد والفرائد*، وكتاب *شفاء الصدور* شرح به أبيات الجمل للزجاجي، وفرغ من تأليفه سنة 538 هـ، ويصفه ابن عبد الملك بأنه "كتاب جم الفائدة كثير الإمتاع"، واختصره صاحبه بكتاب سماه *المختزل*.

توفي بمدينة فاس بعد رجوعه من حركة إفريقية سنة 555 / 1160.

ابن الآبار، *التكملة لكتاب الصلة*، القاهرة، 1955، ج 1 : 65 ؛ ابن الآبار، *المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي*، القاهرة، 1967، ص 39 ؛ م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، تح. إحسان عباس، بيروت، ج 1 : 236 ؛ القفطي، *إنباه الرواة*، القاهرة، ج 1 : 154 ؛ ج. السيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، القاهرة، 1964، ج 1 : 321 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص 138 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط 1974، ج 2 : 68 ؛ عمر رضا كحالة، *معجم المؤلفين*، دمشق 1957، ج 1 : 260 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، بيروت ؛ م. عبد الله عنان، *عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس*، القاهرة، ج 1 : 469 ؛ ع. ابن منصور، *أعلام المغرب العربي*، الرباط، 1983، ج 3 : 287.

محمد المغراوي

ترابة نادرة (Terres rares) (أو لانتانيد Lanthanides)، مجموعة من خمسة عشر عنصراً معدنياً ذات خاصيات كيميائية متقاربة، موزعة على الصخور الصهارية بكثافة جد ضئيلة. حسب الرقم الذري المتزايد يمكننا تمييز ثلاث مجموعات من الترابة النادرة :

1 ـ السّكنديوم Scandium، والإيتْريوم Yttrium (الرقم الذري من 21 إلى 39).

2 ـ لانتان Lanthane، سريوم Cerium، پرازيوديم Praseodyme، نيوديم Neodyme، پْروميثْيوم Prometheum، سَمَرْيوم Samarium (الرقم الذري من 57 إلى 62).

3 ـ أوروپْيوم Europium، غادُلِنْيوم Cadolinium، تِرْبْيوم Terbium، دسْپْروزْيوم Dysprosium، هولْميوم Holmium، أرْبيوم Erbium، تليوم Thallium، إيتّربيوم Yttrium، لوتيسْيوم Lutecium (الرقم الذري من 63 إلى 71).

تدخل عناصر مجموعة اللانتانيد في تركيبة عدة بلورات كالصوانات والكربونات والفوسفاطات. والتنكستينات، وخصوصاً المونازيت التي تعتبر أهم معدن للانتانيد (وخصوصاً اللانتان والسريوم) وأحياناً التوريوم.

استعمالات الترابة النادرة عديدة وجد مهمة، ونذكر منها على سبيل المثال، صنع أسلاك النرنست (مصابيح تستعمل في المختبرات) ؛ والخزف العازل ؛ وصقل الزجاج، وصنع ماصات الزجاج، والزجاج الاستشعاعي والضيائي ؛ وصنع القوس الكهربائي ؛ وصناعة المعادن، والالكترونيات، والكيمياء العضوية، وتصوير القطع المعدنية بالأشعة، والفحص الطبي بالأشعة، والطب الصيدلي (كمُطَهِّر، وكمضاد للتَّقَيُّوء، وضد المُخَثِّرات، ولمعالجة داء السل، والمعالجة بالأشعة)، وأخيراً في ميدان الفلاحة حيث تساعد على نُموِّ النباتات، ومعالجة الخشب بالتمعدن.

نجد الترابة النادرة بالمغرب في مستويين رمليين رفيعين وتابعين للأكادي بالأطلس الصغير، وكذلك في صخور

الكربوناتيت المصاحبة لصخور السّيينيت في تمازيرت بالأطلس الكبير عند ميدلت. وتشتمل هذه الأخيرة على كميات لا بأس بها من النيوبيوم والمونازيت. ولقد عرفت المونازيت في الصخور الأعبلية ببنگرير، وأغبال تافراوت (الأطلس الصغير).

A. Foucault et J.F. Raoul, *Dictionnaire de géologie*, 3ème Paris, 1988 ; E. Saïdi, *Lexique de géologie et de géomorphologie (Français - Arabe)*, Rabat, 1990 ; J. Kourimsky, *Encyclopédie des minéraux*, Paris, 1986 ; R. Duda et L. Rejl, *La grande encyclopédie des minéraux*, Paris, 1989 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains : Substances métalliques et non métalliques*, 2ème ed. t. 1, Rabat ; P. Lapadu-Harpes, *Précis de minéralogie*, Paris, 1954 ; R. Fouet et Ch. Pomerol, *Minerais et terres rares*, Paris, 1954 ; D.A. Mineyev, *Geochimical differentiation of the rare earths*, *Geochemistry* 12, 1963 ; L. H. Ahrens, *Distribution of the elements in our planet*, New-York, 1965.

عبد الله بوصحابة

تراث الإسلام، (Legadu del Islam). عنوان نشرة شهرية ثقافية كان يصدرها القسم العربي للمكتبة العامة بتطوان بالعربية والإسبانية، في خمسين صفحة من حجم 215 × 160 م م. ولم يصدر منها سوى أحد عشر عدداً من شهر يناير إلى شهر نوفمبر 1948 ؛ وكان مديرها أحمد المكناسي ورئيس تحريرها محمد ابن عزوز حكيم.

م. ابن عزوز حكيم، *فهرس خزانة الصحف العربية بتطوان*، 1953 عدد 107 ص 35.

محمد بن عزوز حكيم

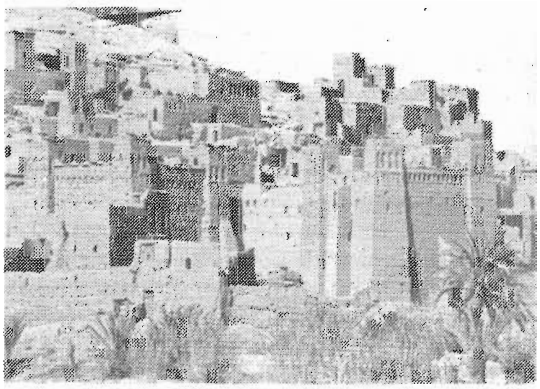
التراث المغربي، منه تراث إنساني يندرج فيه كل معلمة أو موقع أثري يتميز إما بجانب أو جوانب ترتبط بالمساهمة في الحضارة الإنسانية وتطويرها بالشكل الذي جعل من الإنسان ومن الجماعات البشرية تلك المجموعات الذكية الخلاقة والمتطورة الإبداع.



تراث وطني . منارة الكتبية بمراكش

ولما كثرت هذه المآثر وأصبحت مهددة بالإتلاف الجزئي أو الكلي أمام تحديات العصر، عملت منظمة اليونسكو منذ سنة 1972 على وضع اتفاقية أممية تجمع مائة وأربعاً وثلاثين دولة من الدول الأعضاء (إحصاء 1993) وتجند طاقاتها من أجل الحفاظ على هذا التراث وصيانته. ومن أجل أن تتوفر الفعالية اللازمة عملت اليونيسكو على خلق أدوات إدارية هي "لجنة التراث العالمي" المكونة من واحد وعشرين عضواً ينتخبون من بين ممثلي الدول الموقعة على الاتفاقية، و"صندوق التراث العالمي" الذي يجمع المساهمات والتبرعات ويوزع المساعدات على من يحتاجها من الدول.

على أن هذه الاتفاقية لا تنحصر في التراث الثقافي أي ذلك الذي يعود لخلق الانسان وإبداعه، وإنما تجمع كذلك التراث الطبيعي الذي أبدع فيه الخالق جاعلا منه مواقع جذابة، أو مَوَاطِن لأنواع من مخلوقاته الحيوانية أو غير ذلك.



تراث إنساني : قصبة أيت بن حدو (ورزازات)

ويتوفر المغرب على مجموعة هامة من المواقع المقترحة للتسجيل في لوائح التراث الإنساني أو العالمي، سجل منها إلى اليوم في إطار المواقع التراثية الثقافية كل من مدينة فاس ومدينة مراكش وقصبة آيت بن حدو القريبة من ورزازات، وفي لائحة المواقع الطبيعية المتميزة موقع سيدي بوغابة بالقرب من المهدية وموقع ماسة بمنطقة سوس، وكلاهما يعتبر مسكناً متميزاً لأنواع من الطيور.

أما التراث الثقافي فهو كل ما خلّفه الآباء والأجداد وما تركته الأجيال السالفة من مقومات مادية وروحية تتميز بها الجماعات والشعوب بعضها عن بعض.

وقد تعمقت الرؤى وتعددت الأفكار حول الموضوع في ضوء الاهتمامات التي ظهرت وتطورت مع نشر المعرفة وتقوية الوعي بقيمة الخاصية التراثية وقوتها في حياة المجتمعات. هكذا نجد المقاربات والتعريفات تتراوح ما بين من يرى في التراث الثقافي أنه توارث الممتلكات من جيل إلى جيل، ومن يرى فيه كل ما يعبر عن "العبقرية الخلاّقة" للشعوب، ومن يحدد مفهومه في قيمة الأشياء بغض النظر عن أثمنتها، أو يوسعه ليجعل منه ضمان الحاضر بفضل الارتكاز على الماضي، أو إبداعاً مقدساً لا يمكن تغييره دون أسباب قاهرة، أو مجموعة متميزة من الممتلكات الموروثة الخ...

ومهما يكن فمفهوم التراث ينبثق من فكرة الإرث والتوارث، بمعنى أن حضور الماضي لا ينفي البعد الآتي ولا البعد المستقبلي حتى إن علاقة جدلية ما بين هذه الأبعاد

الثلاثة يكون الأول فيها المصدر والأساس، ويبرز الثاني المظهر والارتباط ليبقى الثالث عنوان الاستمرار والبقاء تبقى سارية ما دامت الأصالة هي التي تتحكم في كل مستوى من مستويات التعامل مع الموروث وما انبثق عنه.

وتختلف الاشارة إلى هذا الموروث من جهة إلى أخرى باختلاف النظرة إلى ما يختزنه مفهومه كما سلف. على أننا لا نجد سوى لفظين لا ثالث لهما في معجم المصطلحات الدالة عليه وهو "التراث" أو "الممتلكات" الثقافية.

ويتميز التراث الثقافي المغربي بتنوعه وغنى مقوماته. ويمكن تقسيم هذا التراث إلى ما هو مادي وإلى ما هو غير ذلك. أما المادي فتدخل في تعداده المواقع الأثرية وما تخبئه من آثار، والمعالم التاريخية وما تحمله من ثقل تاريخي وحضاري، والمباني المتميزة كالقصبات والقصور الترابية المنتشرة في المناطق الجنوبية للمملكة والمخازن *الجماعية المعروفة "بالأگاديرات"*. **وتدخل كذلك في هذا** الباب المنشآت الأخرى كالمدارس والمساجد والأضرحة والقصور والدور الخصوصية، والمرافق التي ترتبط بهذه البنايات كالكتاتيب القرآنية والخزانات والسقايات العمومية، والمطاحن المائية المنتشرة في أزقة المدن وفي البوادي، والحمامات. ويدخل ضمن التراث المادي كذلك التحف الأثرية والفنية التي خلفتها الأجيال. ومن أهم ما قد يغيب عن فكر العامة في هذا الباب المسكوكات والنقود. وكذا المخطوطات التي تحمل بين طياتها عصارة الفكر الوطني في كل الحقول المعرفية.

أما التراث غير المادي فيجمع كل ما يدخل في خانة العادات والتقاليد الشعبية من كيفية عيش الناس، وتعاملهم فيما بينهم ومع محيطهم الاجتماعي والطبيعي، وكيفية إقامة حفلاتهم وتخليد أعيادهم وذكرياتهم... كما تدخل فيها كذلك الحرف والصنائع من باب التعليم والتوراث التقني والمعرفي، وكذلك الفنون الاستعراضية والموسيقى الشعبية التي تستمد مادتها وروحها من المجتمع الذي يبدعها. ويبقى التراث اللغوي الأداة الأساسية التي بواسطتها تنتقل المعارف المتعلقة بكل ما سلف، والتي تتميز بها أكثر من غيرها الشخصية والثقافة الوطنيتان.

معلومات خاصة.

A. Adam, *Bibliographie critique de sociologie, d'éthnologie et de géographie humaine du Maroc*, Alger, 1972 ; A. Bourdin, "Le patrimoine culturel et les systèmes de valeurs", dans *Droit du patrimoine culturel immobilier*, Tours, 1986, p. 9 - 16 ; C.R.E.S.M., *Culture et société au Maghreb*, Ed. du C.N.R.S., 1975.

عبد العزيز توري

تـرارة، عين غزيرة المياه تبلغ سرعة تدفق مياهها خمسة لترات مكعبة في الثانية، وتقع بقبيلة بني شكر (إقليم الناظور) ؛ وقد سميت بترارة نسبة إلى أسرة أتت من جبل ترارة بالجزائر ونزلت بالقرب من العين المذكورة في القرن الثامن الهجري (14 م)..

وفي عهد الحماية استبدت السلطات الاستعمارية الإسبانية بمليلية بالعين المذكورة وجلبت مياهها إلى المدينة السليبة ؛ وإلى يومنا هذا لازال هذا الوضع الغير قانوني على ما كان عليه، في الوقت الذي كان فيه المغرب تحت الحجر والحماية.

ملف سري كان بأرشيف نيابة الأمور الوطنية بتطوان في عهد الحماية.

محمد بن عزوز حكيم

التربة المغربية (مدخل منهجي). اتساعُ رقعة المجال الجغرافي المغربي وتوفرُه على الخصوص على تنوع نادر المثال من القواعد الصخرية من حيث طبيعتها وأعمارها وبنياتها، واشتمالهُ على فسيفساء هائلة من الأوساط الطبوغرافية والبيومناخية، قد أهله إلى تطوير شبكة من الأتربة المتعددة. تختلف هذه الأتربة إذن باختلاف جباله وهضابه وسهوله وسواحله وصحاريه، وتعكس تأثير الركائز *الصخرية التي تنطلق من الرواسب الحديثة والحالية*، لتتوغل في المواد القديمة المنتمية لما قبل الزمن الأول إلى حدود ثلاثة ملايير من السنين، عبر كل الأحقاب ممثلةً تمثيلاً وافياً.

يتوفر التراث المغربي على تصنيفات لهذه الأتربة.

ومن جملة التسميات الشائعة : الدَّهْس، المْطيل، القَرْشَاش، الطُّوگ، التِّيرْس، المرْجَة، الملاّحة، المرُّاق، الرَّمل، الحرْش، الحصْبة، البيَّاضة، الحَمْري ... لكن مضامين هذه المصطلحات وغيرها تختلف بصفة متفاوتة من إقليم لآخر. كما أن نفس الكيان الترابي يحتمل أسماء مختلفة حسب الأعراف واللهجات، لذا يصعب اعتماد هذه التصانيف ما دامت لم تُضبط مضامينُها ضبطاً علمياً كافياً، ولم تحصر لائحتها قصد التعميم على أساس الأصلح.

صحيح أن هناك بعض المصطلحات التي ارتقت إلى مستوى العالمية مثل التيرس وأخرى أقل منها مثل الحمري والبياضة والرّمل. لكن معظم الدراسات والخرائط الموضوعة من طرف مختلف الأجهزة التقنية والجامعية قد اعتمدت لحدّ الآن التصنيف الفرنسي للأتربة. مع انفتاح قليل في الآونة الأخيرة على التصنيف الأمريكي.

التصنيف الفرنسي للأتربة تصنيف تطوري خلافاً للأمريكي الذي يعتمد الخاصيات التشكيلية. وهو يشتمل على اثنى عشر قسماً تتفرعُ إلى تحت أقسام ومجموعات وتحت مجموعات، وغيرها من التجزئات (فصيلة، سلسلة، صنف، مرحلة) التي تُطرق حسب الحاجة إلى الزيادة في التخصيص.

المفروض أن هذه الأقسام تغطي كل الأتربة الموجودة في العالم. ومن المثير للاهتمام أن الأتربة المغربية تقدم نماذج لعشرة من هذه الأقسام الاثني عشر. حيث نجد بالمغرب قسم الأتربة المعدنية الخام، والضعيفة التطور، والمتقلبة، والآندوتربة، والكلسمغنيزية، والسيدبالية، والمسمَرَّة، وذات أكسيد نصفات الحديد والمنغنيز، والميهة والصودية.

وحتى بالنسبة للقسمين المتبقيين (الرَّمْدات والأتربة المتحدِّلة) فهناك ما يدل على وجود آثار لها، حيث يُظن أن بعض أتربة الريف الغربي قد عرفت تطوراً رمدياً (البودزول). في حين أن الأتربة المتحدِّلة التي لا تنتشر إلا في النطاق الاستوائي الشديد الرطوبة والحرارة، لا نعرف لها في المغرب إلا بعض النماذج الأحفورية المتخلفة عن فترات بيومناخية قديمة، والتي احتفظت بجل خصائصها بفضل دفنها من طرف مواد رسوبية أو بركانية لاحقة.

صحيح ان المغرب لا يتوفر إلا على بعض مستويات التخصيص الداخلة في هذه الأقسام وليس كلها : فمثلاً الأتربة المتقلبة لها خصوصيات محلية تجعل مصطلح التيرس المشتق من التصنيف البلدي أنسب للواقع المغربي.

الأتربة السيدبالية تنقصها أصناف البلاد الباردة على الخصوص. أما الأتربة ذات أكسيد نصفات الحديد فهي ممثلة هنا بأحد شقيها الكبيرين المدعو بالمتحدْسل، في حين الشق المتحدِّد المنتسب للبلاد المدارية لا يوجد إلا في صيغته الموروثة والمحدودة الانتشار. جل أتربة هذا القسم مصبوغة بحُمرة أكاسيد الحديد، لذا فهي معروفة في المغرب حسب التصنيف البلدي بمصطلح الحمري، الشديد التعميم.

لم تَحْظَ الآنْدُو تُربَة بالعناية الكافية من حيث الدراسة، وهي أتربة تتطور على حساب القواعد البركانية، يَكُون جزءٌ من عناصرها ذا طبيعة غير متشكلة. تشغل فصيلة متخصصة منها حيزاً واسعاً في الأطلس المتوسط الغربي مثلاً على أساس المواد البازلتية الشديدة الصلابة وتراكمات الرماد البركاني المنتمية للرباعي الأوسط، وذلك في مجالات متروكة للغابة وبوارات الرعي، تكاد تكون فارغة من السكان. يتطلب استثمارُها معرفةً أفضل للقاعدة الترابية.

أما الأتربة المُسْمَرَّة فهي مبدئياً لا تتطوروتنتشر إلا في البلاد المعتدلة. لكن يبدو أن السلاسل الجبلية الرئيسية (الريف والأطلسين المتوسط والكبير) تضم فصيلة خاصة من فصائلها لم يَتوقعها الترتيب العلمي المعتمد، وهي موجودة على ارتفاعات متفاوتة حسب طبيعة الصخور وتوجيه السفوح. وجود هذا النوع من الأتربة الرفيعة في المناطق الجبلية التي تفتقر في الغالب إلى التربية الجيدة يمثل احتياطياً جديراً بالعناية.

تَحَفُّظٌ آخر يُمليه واقع الدراسات. ذلك أن مُدرّج السهول والهضاب الزارعية المنفتح على المحيط في الشمال الغربي للبلاد، هو وحدَه الذي حظي بالدراسة الكافية مع بعض الإضافات الأخرى مثل سوس وطريفة.

معرفة أتربة الجبال ما زالت في بداياتها مع أنها أمر ضروري وملحّ للثروات التي تختزنها هذه المناطق والدور الذي تلعبه في إيواء وتعهد القسط الأوفر من الغابات المغربية، كما أنها تحافظ على توازن السفوح وصيانتها من تأثير عوامل التعرية. وهي كذلك تضمن تسرب المياه إلى الفرشات القريبة والعميقة التي تغذي العيون وتضبط توازن أنظمة الجريان في الأنهار، ملطفة بصفة متفاوتة الأوضاع المتطرفة للجفاف والفيضان. هذا العمل الحيوي لا يخص الجبال ذاتها ولكنه يمتدّ إلى كل المناطق الزراعية الغنية والآهلة بالسكان، على الخصوص عبر شبكات سبو وأم الربيع وملوية وسوس وزيز.

أما المناطق الصحراوية والهضاب العليا الشرقية فهي من هذا المنظور تعتبر مجاهل، يقتضي تحسينُ ظروف العيش فيها المسحَ الميداني الشامل بحثاً عن المواطن المعزولة التي تتركز فيها التربة المستقرة، بالإضافة إلى الموارد المائية بالطبع، مع تحليل خصائصها ونماذج الاستعمال الملائمة.

موضوع بهذا المستوى من الشساعة والشمول، تصعب معالجتُه في مقال واحد. لذا، توخياً لبعض التفصيل والدقة، وتحاشياً للتكرار فإن كل نوع من الأتربة الأساسية يأتي في مدخل خاص به. يعرض كل مدخل لتعريف التربة المعتبرة وتحليل خصائصها التشكيلية والتحليلية والتطورية، وتوزيع نماذجها عبر التراب الوطني. يتم الاعتماد على التصنيف الفرنسي بالدرجة الأولى وكذلك على المصطلحات البلدية ذات الضبط الكافي، مع الربط بينهما حسب الإمكان.

تتحقق جل الإحالات انطلاقاً من المصطلحات الترابية الواردة في هذا التقديم. كما أن الأنواع القليلة الشيوع يأتي التعرض لها بمناسبة دراسة المظاهر الطبيعية لمختلف الأقاليم المغربية وظروف استعمال التربة فيها.

C.P.C.S., Commission de Pédologie et de Cartographie des Sols, Classification des sols, 1967 ; MAMVA-DCFCC, *Carte des sols du Maroc* (1 : 2 000 000), 1994 ; Soil Survey Staff,1975, *Soil Taxonomy : a basis system of soil classification for making and interpreting soil survey*, USDA-SCS Agri. Handb. 436, Washington DC.

إدريس الفاسي

* * استغلال التربة في المغرب. كثيراً ما تستعمل في نعت المجالات الريفية عبارتا "استغلال التربة" ، "استعمال التربة" بدون تمييز. في حين أن الاصطلاح الأخير يعبّر عن توطين المجالات حسب كيفية تنظيمها الإنتاجي أو الوظيفي (فلاحة، صناعة، سياحة ... أو مزروعات وسكن ومروج ومرافق ومراعي ...). بينما يتضمّن اصطلاح استغلال التربة مفهوماً من جهة أضيق، لأنه ينحصر في المجال الفلاحي، ومن جهة أخرى أوسع، لأنه يتطرق في آن واحد لخصائص المشهد والنظام الزراعيين. إذ يتمّ تحديد الخطوط العريضة للأشكال المرتبطة بالحقول، من سكن ودبر وسياج وشبكات المواصلات والريّ ... وكذا تعيين بعض عناصر النظام الزراعي (أنواع المزوعات وأسلوب الانتاج والكثافة الفلاحية ...) في تفاعلها مع الظروف البشرية والعوامل الطبيعية.

تفضي دراسة استغلال التربة إلى تقسيم مجالي تشبه وحداته إلى حدّ بعيد "المزروعات" على مستوى محلي و

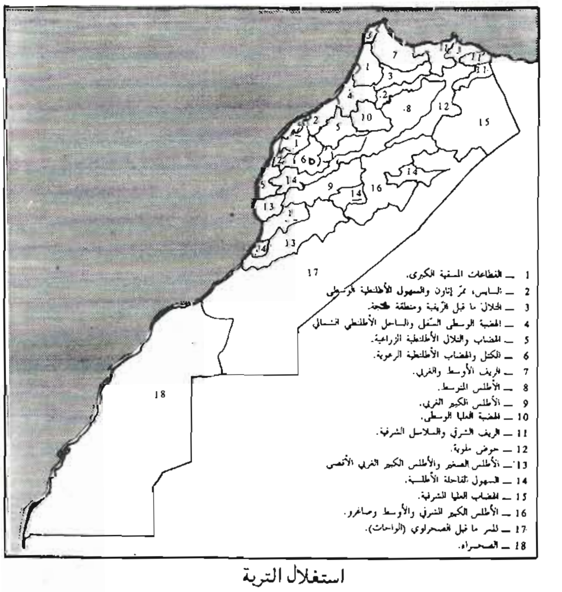
"المناطق المتجانسة" على صعيد جهوي أو وطني. من هذا المنطلق يمكن تقسيم المغرب إلى 18 منطقة متجانسة تعتبر إطاراً لوصف يـمـهّد للبحث والتنقيب عن العوامل الحاسمة في تحديد الخصوصيات المحلية. وتجدر الإشارة إلى أن تغيير المقياس، من المحلّي إلى الجهوي، يدعو بالضرورة إلى تحويل التصوّر المجالي المتجانس، حيث تصير الوحدات الكبرى أكثر شمولية وتعميماً (بل وغموضاً)، نظراً لاتساع نطاقاتها واعتمادها على أمثلة ونماذج مختلفة الدّقة. كما أن بعض المناطق المتباعدة قد تضمّ فيما بينها إلى نوع واحد من المناطق المتجانسة إذا كانت تتسم بخاصيات تنظيمية ومؤهلات فلاحية مماثلة.

تتألف المجموعة الأولى من ثلاث مناطق متجانسة تعتبر أُولاها أغنى المجالات الفلاحية على الإطلاق، وتتميّز بمؤهلات وبزراعة متنوعة وعصرية كثيفة في إطار حيازات متوسطة وكبيرة يملكها الخواصّ والدّولة والشركات والتعاونيات. كما تتميّز بسكن مفكك على العموم وذي كثافة مرتفعة. يتعلق الأمر من جهة بالقطاعات المسقية الكبرى المكوّنة من الغرب واللوكس وملوية السفلى ودكالة وتادلة والحوز وسوس، ومن جهة أخرى بالسايس وممرّ إناون وبعض السهول الأطلنطية الوسطى (الشاوية السفلى وغرب عبدة). وتليها منطقة غنية نسبياً تشمل التلال ما قبل الريفية ومنطقة طنجة التي تعدّ وحدة طبيعية واقتصادية انتقالية بين جبال الريف والسهول المجاورة. ويتخذ سكانها بنية متجمّعة حول الحيازات الصغيرة التي يسود فيها رعي الأبقار والحبوب وقليل من المغارس ذات المردودية المرتفعة.

تتكوّن المجموعة الثانية من منطقتين متجانستين إحداهما متقطعة أيضاً. تتسم الهضبة الوسطى السفلى والساحل الأطلنطي الشمالي بموارد مائية ضعيفة نسبياً ورعي غابوي وزراعة بعلية تستغلّ بتقنيات متواضعة داخل حيازات مجهرية. كما تتسم بسيادة الحبوب ذات المردود المتوسط وبالسكن المتفرّق ذي الكثافة المتوسطة. وتتركب الهضاب والتلال الأطلنطية الزراعية من الشاوية العليا وهضبة الفوسفاط والبحيرة وساحل دكالة والشياظمة وحاحة، وتنتمي إلى منطقة تطبعها خصائص مماثلة نسبياً للمنطقة السابقة، مع مساحة أكبر للذرة والشعير وتعميم أوسع لمراعي الأغنام وكذلك المعز في التلال الأطلنطية التي ترعى في ما تبقى من غابة العرعر والأرگان. كما تشتهر بوجود أغنى شريط شاطئي (الولجة) مخصّص للزراعات البقلية المغلالة جداً والمسقية بطريقة الضّخ.

تتسع وسط أجزاء المنطقة السابقة منطقة الكتل والهضاب الاطلنطية الرعوية التي تتألف من الرّحامنة والجبيلات والگنطور، التي تتوفر على مقومات غير ملائمة. نتيجة لذلك نتيجة نشاطها الموروث إلى الانتجاع المُرتق محلياً بزراعة الشعير الخفيفة على حيازات صغيرة جداً نصفها جماعي أو گيش. رغم ذلك فالكثافة السكانية تقترب من المتوسط. وفي أقصى شمال المغرب يمثل الريف الأوسط والغربي منطقة مغايرة تغطي الغابة والمراعي نصف مساحة جبالها المرتفعة التي تعاني سفوحها تعرية سنوية نتيجة للتساقطات الغزيرة. من مميّزاتها مغارس الزيتون الممتدّة بين وزان وتاونات وزراعة الحبوب والقطاني في الأودية والسفوح السفلى، مع رعي تكميلي للمعز على الخصوص. ويتوزع السكن الكثيف في هذه المنطقة وفق بنية متجمعة على العموم.

يتميز الأطلس المتوسط بتنوع كبير لرساتيقه المحلّية خارج غابات البلوط التي تمثل نصف مساحته وتكسو السفوح الشمالية والغربية. كانت تعرف المنطقة إلى عهد قريب بالترحال، لكن الاستقرار يسود اليوم لصالح تملك الأراضي الزراعية في السفوح والأودية وبعض الأجزاء الهضبية وبالأساس لصالح تربية الماشية التي تحظى بأكبر قطيع في المغرب للمعز وخصوصاً للأغنام. كما يتميز الدير في الهوامش الغربية والشمالية الغربية بزراعة متدرجة وكثيفة مروية بالسواقي الممتدّة من المنابع الضخمة. ويعتبر الأطلس الكبير الغربي أعلى منطقة في المغرب، تغطيها كذلك غابات في السفوح الموجّهة نحو الشمال. ترتبط الحياة البشرية بمساحة قابلة للزراعة ضعيفة تتوزّع على المنخفضات والأودية العديدة، حيث تقام زراعة سنوية وشجرية بمقربة القرى، تضاف إليها تربية الأغنام والمعز على الخصوص. وبجوار الأطلس المتوسط تبدو الهضبة الوسطى العليا وكأنّها منطقة جبلية بالنظر إلى تقطعها الشديد. تعرف هي كذلك استقراراً حديثاً للسكان وتتوفر على قطيع مهم من المعز والأغنام، إضافة إلى زراعة الحبوب المعاشية خارج بعض الأحواض والسّفوح التي تبرز فيها بعض ملامح الزراعة العصرية المرتفعة المردود.



استغلال التربة

تنتشر في الشمال الشرقي منطقتان متحاديتان ذاتا خصائص متقاربة. تتركب أولاهما من الريف الشرقي والسلاسل الشرقية التي تتوفّر على ظروف طبيعة غير

ملائمة وعلى مساحة محدودة قابلة للزراعة ومخصّصة لزراعة بعلية للشعير وبعض الأشجار أو للزراعة المسقية المتعددة المحاصيل في بعض الأودية. لكن الكثافة السكانية، ولأسباب مختلفة، ترتفع بطريقة ملحوظة في جبال الريف الشرقي وبني إزناسن. أمّا جنوب وغرب جبال جرادة ودبدو فتظهر فيها بعض المجالات الحلفاوية معلنة بذلك جفاف المناخ الذي يضطر بعض القبائل إلى الرعي المتنقّل. وتتكوّن منطقة حوض ملوية من أراضٍ منخفضة يتوسطها نهر ملوية، مناخها قاحل كلما اتجهنا نحو الجنوب، يجعل الغابة تندثر وغطاء الحلفاء والشيح ينتشر. هنا كذلك، وباستثناء الجزء الشمالي الأقصى، تقام زراعة بعلية معاشية يتخلّلها كثير من البوار لصالح الانتجاع والترحال. على أن الجزء الشمالي الشرقي ومدرجات ملوية تعرف زراعة مسقية متنوعة بواسطة الآبار أو السواقي.

أما المناطق الجنوبية والشرقية المتبقية فتعيش حياة فلاحية على وتيرة الجفاف وعلى تنظيم كلّه تأقلم مع ضغوطه. في الأطلس الصغير والأطلس الكبير الغربي الأقصى لاتتيسّر الزراعة المحدودة المساحة بدون ريّ. ويتم اللجوء إلى تربية المعز على الخصوص داخل غابة الأرگان التي تشكل ثلث المساحة الإجمالية او بالتنقل صيفاً نحو القمم. ويتخذ الفلاحون سكناً متجمعاً ضعيف الكثافة الإجمالية نسبياً. بينما السهول القاحلة الأطلسية المكونة من مناطق الحوز الغربي وورززات وتافيلالت هي عبارة عن أحواض وسهول تقطعها مجاري مائية تابعة من الاطلس الكبير. ويتمركز النشاط الزراعي بها غالباً في النقط المسقية والواحات المتوزعة بصفة خاصة بين درعة وزيز، مع تربية الأغنام في المنخفضات والمعز في السفوح. وفي أقصى شرق المغرب تحتل الهضاب العليا مساحات منبسطة شاسعة وشبه خالية من السكن القارّ. وتتضمّن هذه المنطقة أعلى نسبة للأراضي الجماعية على الصعيد الوطني (أكثر من النصف). ويكاد يشكل الترحال النشاط الفلاحي الوحيد على مدى مختلف وسط غطاء الحلفاء. ومع ذلك يعتبر القطيع قليل العدد نسبياً. وغير بعيد عن هذه المنطقة يمتدّ الأطلس الكبير الشرقي الأوسط وصاغرو على مساحة كبيرة جل أراضيها جرداء ومراعٍ يسود فيها الانتجاع والترحال رغم تقلص قطيعها بالمقارنة مع المناطق الأطلسية الأخرى. ولا تستوطن الزراعة إلاّ في قليل من الأودية التي تجهز بالسواقي.

أخيراً، يحتدّ القحط في الجنوب ويفرز كُبريَيْ المناطق المغربية، واحدة ما قبل صحراوية وأخرى صحراوية تماماً. يتكون الممرّ ما قبل الصحراوي من أحواض تعلوها حمادات، حيث لا تصبح الزراعة ممكنة إلاّ في الفترات المطيرة وعندما تفيض مياه وادي درعة أو في الواحات التي تترتب على طول خط شمالي يربط گلميم بفگيگ وترعى الأغنام والمعز طليقة في المراعي أو متنقلة إلى حدود الأطلس الكبير والصغير. أما في الصحراء فكانت أفواج القبائل الرحل تنتقل بين درعة والأطلس الصغير والتخوم الموريطانية والجزائرية. واليوم يكتفى بزرع بعض الوهدات الصغيرة (الغرارات) في السنوات الرطبة، وكذا بالزراعة المسقية في بعض القطاعات الصغيرة، حول المدن الرئيسية (اسمارة، العيون، الداخلة).

إحصائيات وزارة الفلاحة ؛ م. عياد، *المناطق المتجانسة الريفية ضمن التحوّلات الاجتماعية المجالية في الارياف المغربية (ندوة)*، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 1994، ص. 7-19.

مصطفى عيّاد

التربية الوطنية. لم يكن المغرب يتوفر قبل سنة 1920 على أداة مسؤولة عن شؤون التربية والتعليم. وفي هذه السنة أسس ظهير 26 يوليوز 1920 أول إدارة تربوية كانت تسمى إدارة المعارف، وقد تحولت هذه الإدارة في سنة 1955 إلى "وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة" ثم تحول اسمها ابتداءً من سنة 1956 إلى وزارة التربية الوطنية. وفي سنة 1962 انقسمت هذه الوزارة إلى قسمين : وزارة التعليم الابتدائي والثانوي ووزارة التعليم العالي. وفي سنة 1977 عادت الوزارتان إلي الاندماج في وزارة واحدة هي وزارة التربية الوطنية الحالية التي تشرف على جميع القطاعات التعليمية في البلاد بواسطة هيأتين إداريتين : شؤون التعليم الأساسي والثانوي وأمرها موكول إلى كاتب عام خاص بها، وشؤون التعليم العالي ولها أيضاً كاتبها العام الذي يشرف على تسييرها. وتقوم هاتان المؤسستان تحت إشراف كاتبيهما العامين بتنسيق وتنشيط أعمال جميع المصالح الإدارية المركزية والخارجية التابعة لهما وذلك تحت المسؤولية المباشرة لوزير التربية الوطنية.

ففيما يخص التعليم الأساسي والثانوي تقوم وزارة التربية الوطنية على الصعيد المركزي باعداد وتنفيذ السياسة الحكومية في هذين المستويين من التعليم، كما تسهر على مراقبة التعليم الخاص.

وتتكون الإدارة المركزية للتعليم الأساسي والثانوي، بالإضافة إلى ديوان الوزير، من الكتابة العامة والمفتشية العامة، وإليهما يوكل أمر تنسيق وتنشيط مصالح التعليم والسهر على تطبيق القرارات الوزارية ومراقبة المصالح الخارجية وموسسات التعليم والتكوين ومختلف الإدارات التربوية والمفتشيات. وبناء على ما يتوفر لها من معلومات تساهم في تصور الاصلاحات التربوية وتهييئ الدراسات والقيام بالبحوث الإدارية والتربوية. وتتألف هذه الهيأة المركزية من عدة إدارات عليا تدعى مديريات تتكون كل واحدة منها من عدة أقسام تضم بدورها مجموعة من المصالح والمكاتب.

فمديرية التعليم الابتدائي تتكون من قسم البرامج وقسم التأطير والمراقبة التربوية وقسم إدارة مؤسسات التعليم الابتدائي وقسم الأعمال التكميلية. وهي تقوم بمراقبة مؤسسات السلك الأول من التعليم الأساسي على

المستوى الإداري والتربوي وتهيِّئ البرامج وتسهر على تطبيق التعليمات والطرق التربوية وتتبع إعداد الكتب المدرسية وتسيير برامج التعليم الاولي. في حين تقوم مديرية التعليم الثانوي المتكونة من قسم البرامج وقسم التأطير والمراقبة المختصة وقسّم إدارة مؤسسات التعليم الثانوي وقسم التعليم التقني وقسم التربية البدنية والرياضة بنفس المهام الموكولة إلى المديرية السابقة في مرحلة التعليم الثانوي.

وتعد مديرية التعليم الأصيل التي تضم قسماً خاصاً بالتعليم الثانوي الأصيل وقسماً مكلفاً بالتعليم العالي الأصيل برامج التعليم الأساسي والثانوي والعالي وتشرف على التأطير التربوي والإداري في مؤسسات التعليم الأصيل. وتشرف مديرية التعليم الخاص التي تحتضن قسماً مسؤولاً عن الدراسات والرخص وقسماً مكلفاً بالتأطير التربوي وآخر خاصاً بالمراقبة على تسليم رخص فتح المؤسسات الخاصة ومراقبة البرامج والتجهيزات والتأطير التربوي في قطاع التعليم الخاص.

أما مديرية تكوين الأطر التي تتألف من قسم تكوين أطر التعليم الثانوي وقسم تكوين أطر التعليم الابتدائي وقسم التكوين المستمر وقسم الاذاعة والتلفزة المدرسية فتعمل على تكوين الأطر التعليمية والإدارية وتعد برامج التكوين الأولي والمستمر بتعاون مع المديريات الأخرى، وتسهر على تسيير مؤسسات ومراكز تكوين الأطر التعليمية وأطر التخطيط والمراقبة التربوية. وتشرف مديرية الشؤون الإدارية التي تتكون من قسم الميزانية وقسم الاقتصاد وقسم التسيير وقسم الحسابات على تسيير الداخليات والمطاعم المدرسية والممتلكات العقارية والمنقولة الخاصة بالوزارة. وتعمل بتعاون مع المديريات الأخرى على إعداد ميزانية التسيير وتراقب صرفها وتضبط المحاسبة وتسيير الشؤون ذات الطابع الاجتماعي.

وتتكلف مديرية شؤون الموظفين التي تضم قسم موظفي التعليم الابتدائي وقسم موظفي التعليم الثانوي وقسم الموظفين الإداريين والمعاشات وقسم الشؤون التأديبية بتسيير شؤون مختلف الأطر التعليمية والإدارية التابعة لقطاع التعليم الأساسي والثانوي وتطبق المقتضيات القانونية والتأديبية على هذه الأطر. وتقوم مديرية التخطيط التي تتكون من قسم الدراسات والأهداف وقسم الخريطة المدرسية وقسم الاعلام المدرسي والتوجيه وقسم الاحصاءات وقسم البناءات المدرسية وقسم المشاريع الممولة وقسم التجهيز بإعداد وتوزيع الإحصائيات المتعلقة بالتعليم الأساسي والثانوي وتهيئ الدخول المدرسي. كما تحدد اختيارات تنمية التعليم وتحضر ميزانية الاستثمار وتسهر على تتبع برامج التجهيز والبناءات المدرسية وتراقب التوجيه المدرسي والجامعي وتنجز أبحاثاً تتعلق بالتخطيط والتقييم التربوي.

ويسهر مركز الإعلاميات بالوزارة على تنفيذ وتتبع برامج مكننة أنشطة التسيير الإداري للمصالح المركزية والخارجية التابعة لقطاع التعليم الأساسي والثانوي. أما المركز الوطني للتكنولوجيات التربوية فيقوم بتنسيق الأعمال المتعلقة بانتقاء واقتناء ومراقبة توزيع وصيانة الوسائل التعليمية.

ويتبع مباشرة للكتابة الخاصة لوزير التربية الوطنية المفتش العام المكلّف بالتعاون الذي يشرف على قسم التعاون والعلاقات الثقافية. كما يرتبط به مباشرة قسم الامتحانات وقسم التشريع والشؤون العامة وقسم الشؤون الاجتماعية وقسم التوثيق والمعادلات وقسم الصحة المدرسية والوقاية من الحوادث ومركز الاعلاميات.

ويمثل الوزارة في مختلف العمالات والأقاليم نيابات إقليمية تعمل على تطبيق التعليمات الصادرة إليها من المصالح المركزية. كما تقوم الأكاديميات على الصعيد الجهوي باعداد وتنظيم امتحانات الباكالوريا وتنشيط المراقبة التربوية وتطبيق البرامج والمناهج في التعليم الثانوي وإنجاز أبحاث ودراسات ميدانية في مجال التقويم التربوي. وتستشار الأكاديميات أيضاً في مشاريع إصلاح التعليم والتأهيل المهني وتساهم في وضع الخريطة المدرسية ومخططات تنمية التعليم وتنظيم وتنشيط مختلف التظاهرات الاجتماعية والثقافية الموازية.

أما على مستوى التعليم العالي فيقوم الكاتب العام للتعليم العالي بمسؤولية تسيير المؤسسات الجامعية والمعاهد العليا بالاعتماد على ست مديريات وقسم واحد. هذه المديريات هي مديرية التعليم العالي وتتكون من قسم العمل البيداغوجي والتكوين المستديم وقسم التكوين القصير والمتوسط وقسم التعليم الجامعي. وهناك مديرية البحث العلمي والتعاون الجامعي وتضم قسم التوجيه وتخطيط البحث وقسم التقييم وشبكات البحث العلمي وقسم التعاون. وتتكون مديرية التقييم والمستقبلية من قسم الاحصائيات والخريطة الجامعية وقسم المستقبلية والتقييم وقسم التخطيط الخاص بالموارد البشرية. وتضم مديرية الشؤون الطلابية والعمل الاجتماعي قسم المنح وقسم الرياضة والشؤون الاجتماعية وقسم الإعلام والتوثيق الجامعي، في حين تتألف مديرية الشؤون القانونية والتعليم العالي الخاص من قسم النصوص التنظيمية وقسم المعادلة بين الشهادات والمنازعات وقسم التعليم العالي الخاص. أما مديرية الشؤون الإدارية والمالية فتضم قسم الموظفين وقسم المباني وقسم التجهيزات وقسم الميزانية والتسيير. وهناك قسم منفرد هو قسم المعلوماتية الذي يتكون من مصلحة الدراسات والبرمجة ومصلحة الاستغلال.

المملكة المغربية، *حركة التعليم في المغرب خلال الفترة 90 ـ 91. 1992*، التقرير المقدم إلى الدورة الثالثة والاربعين المؤتمر الدولي للتربية جنيف، الرباط 1994 ؛ *وزارة التربية الوطنية، الدخول المدرسي والجامعي بالارقام 93ـ1994*، الرباط 1993 ؛ عبد القهار لعلاوي ومحمد البخاري، *النصوص الإدارية، الوظيفة العمومية*

والاصلاح الإداري، تنظيم واختصاصات الوزارات، الرباط 1992.

Les tendances des réformes de l'enseignement dans les pays du Maghreb, Actes du *Colloque Euro-arabe sur la structuration des enseignements primaires et secondaires au Maghreb*, Rabat, 1992 ; A. Kamal, *Productivité et rentabilité de l'enseignement au Maroc*, D.E.S. Fac. Sc. Jur. Econ. et Soc., Rabat 1983 ; K. El Ouazzani, *Coûts et rendements de l'enseignement supérieur au Maroc*, Casablanca, 1991 ; K. Mosdik, *Guide de l'enseignement supérieur*, Casablanca, 1993 ; A. Baina, *Le système de l'enseignement au Maroc*, 3 tomes, Casablanca, 1981 ; M. Merrouni, *Le problème de la réforme dans le système éducatif marocain*, Rabat, 1993 ; J. Minot, *L'entreprise éducation nationale*, Paris, 1970.

محمد بوسلام

ترْتَانَة، (سفينة جهادية). مشتقة من الكلمة الإيطالية Tartana التي يعتقد أنها من أصل عربي "طريدة"، تطورت شكلا واستعمالا فأصبحت اليوم في معجم السفانة العصرية تعرف تحت لفظ "طراد". استعملت الترتانة في البحر المتوسط خلال العصور الوسطى في مجال الصيد والنقل الساحلي القصير قبل أن تدخل في عداد السفن الحربية.

ومع اكتشاف الجهاد البحري للمجال الأطلسي، كانت الترتانة الأبرز حضورا به، حيث تؤكد مختلف الوثائق أنها كانت أول وحدة في أسطول الجهاد السلاوي منذ سنة 1026 / 1617، متطورة عن سابقتها، بحمولة 150 طنة تقريبا، وأصبح لها صاريان اثنان بشراعين لاتينيين - حسب ل. برونو - ومجهزة بحوالي ثلاثين مجذافا وعشر قطع مدفعية، زيادة على تميزها بالخفة والسرعة والمرونة في الانقياد.

وحول هذه الترتانة تكون الأسطول الجهادي السلاوي من مختلف الأحجام والأنواع، ليتراجع دورها إلى الاقتصار على العمليات القريبة من السواحل، واندراجها في نطاق السفن الصغيرة الحمولة، قبل أن يندثر حضورها تدريجيا في نهاية القرن الحادي عشر (17 م) مع اتساع نطاق العلميات بعيدا عن الساحل المغربي، وتفضيل السفن المتطورة مثل البولاكر والبينك والكرافيل.

De Castrie, *S.I.H.M.*, 1ère série, T. III, p. 115 ; L. Brunot, *La mer dans les traditions et les industries indigènes à Rabat et Salé*, p. 250 ; R. Coindreau, *Les Corsaires de Salé*, p. 89.

حسن أميلي

الترتيب العزيزي، إصلاح جبائي عام للضرائب وللإدارة المكلفة بها، حلت بموجبه ضريبة محددة على الممتلكات والمتمولات، محل النظام الضريبي السابق الذي كان يرتكز على الزكاة والأعشار والتكاليف المخزنية. وقد لجأ المغرب سنة 1901 إلى إصلاح شامل للضرائب وطرق جبايتها في القبائل واشتهر المشروع تحت اسم "الترتيب" وهو لغة يعني التنظيم.

لم يكن مشروع ترتيب 1901، الوحيد من نوعه الذي عرفه المغرب. بل كانت له سابقة في عهد السلطان الحسن الأول (1873 م - 1894 م)، فقد حاول أن يصلح نظام الجباية بحيث يخضع له الأجانب والمحميون والمغاربة جميعا، بعد أن كانت الامتيازات قد أساءت لمالية الدولة. لكن معارضة الأجانب عرقلت المشروع الذي طبق بشكل جزئي على المغاربة سنة 1884.

وتلخص الإصلاح الحسني في تعيين أمناء وأشياخ بالقبائل كلفوا بجانب العمال والقواد بمراقبة أحوال السكان، وإحصاء ممتلكاتهم وتقدير الضرائب والنفقات بشكل جماعي. لم يلغ الترتيب الحسني الزكاة والأعشار والكلف المخزنية، بل سن ضوابط لكيفية فرض هدايا الأعياد والزكوات والأعشار، وتكاليف المخزن مثل السخرة والمؤونة والضيوف والحركة. وكان الهدف هو تخفيف أعباء الجباية على الفلاحين، حتى لا يلتجئوا للاستدانة أو المخالطة مع الأجانب.

أما ترتيب سنة 1901، فكان إصلاحاً جذرياً في أهدافه وفي تطبيقه. فحسب نص المشروع، كان الهدف هو سلوك سياسة جبائية تراعي العدل والمساواة بين الناس، وتلغي الامتيازات والإعفاءات الجبائية التي كان عدد كبير من المغاربة يتمتعون بها، كما تغير الترتيب العزيزي بخصوصية هامة، هي إلغاء الزكاة والأعشار وكل التكاليف المخزنية.

وإذا تساءلنا عن حقيقة الأهداف التي توخاها الإصلاح الجديد، فسنجد الجواب في الظهير الذي بعثه السلطان إلى الحكام وإلى القبائل فقد أكد على النقط الآتية :

- حفظ مصالح الرعية وتنميتها.
- علاج أحوال الناس ورفع الأذى والاعتداء عنهم بسبب الجباية.
- حسم خلافات السكان مع الحكام ومعاونيهم من الأشياخ والخلفاء.
- إلغاء الامتيازات والإعفاءات وإخضاع الجميع للجباية بمن في ذلك الحكام والأشراف ورجال الدين.
- تحديد دور الحكام في حماية الأمن وإجراء الأحكام ومنعهم من التدخل في فرض الأموال على الناس إلا بنص صريح من السلطان.

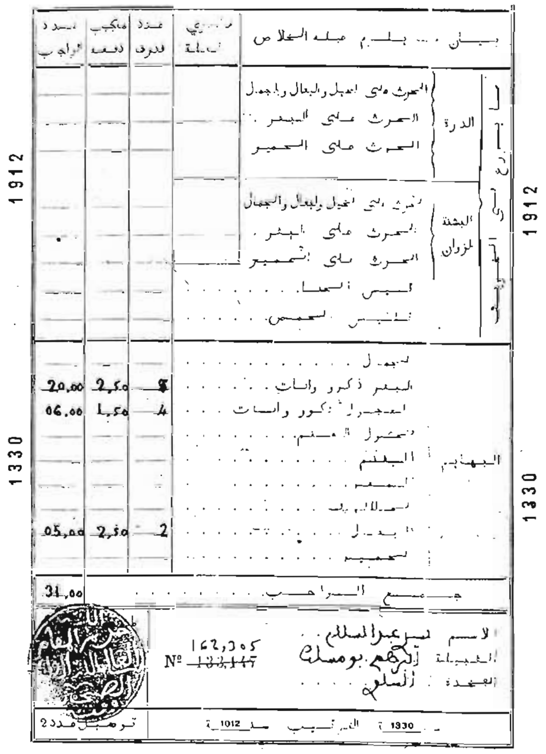
وهكذا فالترتيب العزيزي، بصفة عامة استهدف معالجة الأدواء التي كان الجسم المغربي يشكو منها، بسبب الأزمة المالية، وتعسف الولاة في الجباية، وركون عامة الناس إلى التنافر والاختلاف والتقاعس عن أداء الحقوق الواجبة ؛ والتسارع إلى الانغماس في الفتن. وكل هذه المظاهر المرضية كانت تجد المناخ المشجع لنموها في كثرة تدخل الأجانب في شؤون البلاد الداخلية مستغلين الحمايات القنصلية والمخالطات مع المغاربة.

لقد أعلن الترتيب في ظرفية داخلية خاصة، وفي وقت تزايدت فيه الضغوط الاستعمارية الفرنسية على حدود المغرب الشرقية، فكان الهدف المتوخى هو كسب وسائل الصمود المادية، وسحب الذرائع من أمام التدخل الأجنبي.

إذا كانت هذه هي الأهداف والدوافع الموضوعية من

وراء إعلان *الترتيب العزيزي سنة 1901، فهل كان هناك* تدخل خارجي في أمر إعلان الترتيب في تلك السنة ؟

هناك نظريتان تشيران إلى الدوافع الخارجية من وراء الترتيب :


1912
1330
بيان ما يلزم عليه الخلاص
الدرة: الحرث على الخيل والبغال والجمال / الحرث على البقر / الحرث على الحمير
البشنة والزرع: الحرث على الخيل والبغال والجمال / الحرث على البقر / الحرث على الحمير
البهائم: البقر ذكور واناث 20,00 2,50 8 / العجول ذكور واناث 06,00 1,50 4 / ... 05,00 2,50 2
جميع الواجب 31,00
الاسم: ... عبد السلام
القبيلة: ... بومسلة
العدد ...
N° 162,305
الترتيب 1330 - 1912

النظرية الأولى، يتفق فيها كاتب مغربي هو المشرفي في مؤلفه *الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية*، مع السفير الفرنسي سان روني طايندي S.R. Taillandier في مؤلفه *أصول المغرب الفرنسي*. وملخص هذه النظرية أن الأنجليز هم الذين أوحوا للوزير المهدي المنبهي بفرض الترتيب.

النظرية الثانية، يتفق فيها كاتب أجنبي مع كاتب مغربي كذلك : فغابريال مورا G. Maura الإسباني، ذكر أن الذي أوحى بالإصلاح الجبائي هم الفرنسيون، للوزير عبد الكريم ابن سليمان. وأن هذا الأخير هو الذي بادر بالدفاع عن الفكرة داخل المخزن الذي طبقها، لكن البعثة الفرنسية عارضت الترتيب لما رأت التطورات التي أعقبته مباشرة.

أما محمد غريط، في *فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان*، فيؤكد الفكرة نفسها بقوله : "وأشار ابن سليمان بترتيب الجباية على نهج سوي ونمط أوربوي واستحلاف الموظفين على المصحف الكريم على أن لا يقبضوا رشوة من مدّع ولا من غريم، لينقطع تظلم الرعية من عمالها وتثق بالأمن على أموالها" (*فواصل الجمان*، ص. 98).

والملاحظ أن كلتا النظريتين لهما ما يبررهما وما يؤيدهما : فلا نستبعد تلقي المخزن لنصائح من بريطانيا وفرنسا. ولا نستبعد أن يكون الانجليز هم الذين تحمسوا *للإصلاح الجبائي وأيدوه. كما لا نستبعد أن يكون* الفرنسيون قد أبدوا نصائحهم للمخزن، في إطار ضرورة التنسيق بين المغرب وفرنسا لإنجاح أي مشروع يريد المغرب إنجازه.

ومعنى هذا أن فكرة الاصلاح الجبائي فكرة داخلية، نابعة من ضرورة محلية تهم المغاربة. وهم الذين تصوروا كيفية تطبيقها وتنفيذها ثم عرضوها على الدول الأجنبية وخاصة أنجلترا وفرنسا ؛ علماً بأن فكرة الترتيب معروفة عند المخزن منذ سنة 1884.

ويظهر أن السفارات التي بعثها المغرب لأوربا سنة 1901، والتي قادها وزير الخارجية عبد الكريم بن سليمان ووزير الحربية المهدي المنبهي، كان هدفها إقناع فرنسا وأنجلترا وألمانيا وروسيا بتأييد مشروع الإصلاح الجبائي، فقد طلب المهدي المنبهي، مثلا، من برلين ولندن قبول الترتيب وذكر من جملة الدوافع التي حدت بالمخزن إلى تطبيقه "الصعوبات السياسية والمالية الخطيرة التي سببها العدد الكثير من المحميين الأوربيين" (*وثائق دبلوماسية فرنسية*، 1905).

والواقع أن البعثات الدبلوماسية الأجنبية، قد عارضت الترتيب في البداية ثم قبلته. ولم توافق عليه البعثة الفرنسية إلا بتاريخ 26 نونبر 1903. لقد عارض الفرنسيون الترتيب، في إطار صراع النفوذ بينهم وبين الانجليز، وحذروا السلطان من العناصر البريطانية العاملة داخل المخزن. وهددوا باتخاذ إجراءات معينة إذا منح السلطان للأنجليز امتيازات خاصة.

وهكذا، نكتشف في النهاية، أن دوافع إعلان الترتيب كانت متعددة. بيد أن الدافع الداخلي كان غالباً. أما التأثيرات الخارجية، فتتلخص، ليس في مساعدة دولة أوربية معينة للمغاربة على إصلاح شؤونهم، بل في عمل المغاربة على إيقاف النزيف المالي لخزينتهم، والتدهور السياسي لنفوذهم، والاحتلال الأجنبي لبلادهم (احتلت فرنسا صحراء المغرب الشرقية بما فيها توات سنة 1900) ؛ عن طريق القيام بإصلاح يسحب الذرائع والمبررات من الأجانب حتى يخضعوا لدفع الضرائب الفلاحية، أو على الأقل حتى لا يمانعوا في دفع محمييهم ومخالطيهم للضرائب المستحقة على نشاطاتهم الاستغلالية بالبلاد.

أما كيفية تطبيق الترتيب فقد بين ظهير الترتيب كيفية تطبيقه، فقرر أن تطوف بالقبائل لجان خاصة، تتكون كل لجنة من عدلين وأمين، يلتحق بهم في عين المكان نائب عن قائد القبيلة. وحددت مهمة كل لجنة في إجراء إحصاء شامل للممتلكات (الأرض ـ الأشجار) والمتمولات (البهائم ـ المواشي..) لكل مالك، وتقدير الضريبة الواجبة حسب تعريفة وحيدة تدفع سنويا على أنواع البهائم والمواشي وعلى مزارع الحرث والبحائر والسواني والأشجار المثمرة على اختلاف أنواعها هكذا :

المتمولات والأملاك	الترتيب الواجب سنوياً
على كل رأس من الإبل	ريال واحد *
رأس من أبكار الأبل	نصف ريال
رأس من البقر	نصف ريال
ضرائب البقر ذكوراً وإناثاً	ربع ريال
100 رأس من الغنم	عشرة ريالات
100 رأس من المعز	خمسة ريالات
كل رأس من الخيل والبغال	نصف ريال
كل رأس من الحمر	بسيطة واحدة
100 شجرة من الزيتون المستغل واللوز	خمسة ريالات
100 شجرة من الليمون بأنواعه ومن النخيل	ريالان اثنان ونصف
100 شجرة من شجر العود الرقيق البحائر والسواني	ريال واحد وربع ريال
	يقوم ما يحرث منه كل سنة ويعطى عليه نصف العشر.
المزروعات في الأرض الحراثية تقدم حسب أزواج الحرث :	زوجة الابل والخيل والبغال عشرة ريال زوجة البقر خمسة ريال زوجة الحميز ريالان اثنان ونصف

(*) الريال لفظ اسباني يعني ملكي، كان الريال المغربي يطلق خلال القرن التاسع عشر على قطعة نقدية تزن 29 غراماً من الفضة تقريباً. في حين كان الريال الاسباني يزن 25 غراما وكذلك الفرنك الفرنسي.

هذه هي المقادير التي رتبت على كل نوع من الأملاك أو المتمولات. وقد توعد السلطان كل من أخفى شيئا من أملاكه، وظهر بعد البحث بمعاقبته وبمصادرة ما أخفى. وقد أكد السلطان على أن العامل لم يبق له أي دور في فرض أي شيء أو قبضه من السكان لأن أجرته عينت له من بيت المال فلم يعد له حق "مد اليد في متاع أحد من القبيلة أو لأخذ شيء بطمع أو حيلة وإنما حسبه رد البال وتأمين الطرق وإجراء الأحكام". وتمنى السلطان في نهاية الظهير أن يحمد رعاياه هذه النعمة ويلتزموا الهدوء وعمارة بلادهم.

هل حقق هذا الترتيب الطموح في أهدافه الإصلاحية ما كان يتنظره المخزن ؟ الواقع أن هذا الاصلاح الذي كان يؤمل منه أن يخرج المغرب من أزمته المالية، ويحسن أحوال الرعية، جاء بنتائج عكسية مخيبة للآمال. واعتبر عملا متسرعا جرّ على المغرب المصائب والوبال. فما هي حقيقة العواقب التي انتهى إليها الترتيب العزيزي ؟

بعكس ما هو معروف، عن المعارضة العامة للترتيب، يظهر أن عامة الناس في القبائل، قد قبلت الترتيب واستحسنته. فمنذ تأكد الناس من أن الترتيب قد خلصهم من الفروض والتكاليف التي كان الحكام يتفننون في أنواعها ويتعسفون في جبايتها، تشبثوا بنصه. وقد انتقد بعض العلماء استحسان العامة للترتيب وهو ضريبة غير شرعية وكل ما خالف الشريعة ليس بحسن. والواقع أن الترتيب أزال ما كان يثقل كاهل الناس من التحملات. وما يرافق جبايتها من تعسف وإهدار للكرامة، الأمر الذي جعل السكان يبعثون برسائل يشكرون فيها السلطان. ودفع كثيراً من الفارين إلى العودة إلى بلدانهم وأدى في النهاية إلى تمول الناس واستغناء بعضهم.

وإذا كان هذا هو موقف عامة الناس، فإن الأمر بخلاف ذلك فيما يتعلق بموقف الخواص وأصحاب الامتيازات. فقد عارض القواد بالقبائل ورؤساء الزوايا الدينية وكل أصحاب الامتيازات من المغاربة والأجانب الترتيب العزيزي وعملوا على إفشاله. ولما صادف الحال ضعف الحكومة المركزية فإن الأمر انقلب إلى كارثة اجتماعية واقتصادية وسياسية. إذ استشرت الاضطرابات في كل مكان وتعطلت الجباية. ووجد الخاصة المناخ الملائم للدسائس والصيد في المياه العكرة. وإلى هذه النتائج أشار محمد غريط بقوله "وأحْبِبْ بها من خطة لو أنتج قياسها، وأثمرت غراسها، فارتاب العوام بهذا الترتيب ولاذ الخواص بالتحذير والترهيب وتوصلوا بتلك الضريبة إلى التضريب" (*فواصل الجمان*، ص. 9).

وقد ندد السلطان بتواطؤ القواد مع عناصر الفتنة وتقاعسهم عن إجراء الأحكام وتماطلهم في جمع ضريبة الترتيب وحملهم مسؤولية تعطيله. والملاحظ أن السلطان كان عاجزاً عن إرغام القواد على تطبيق الإصلاح، ليس بسبب عجزه عن القيام برد فعل ضد هذا القائد أو ذاك المرابط، بل بسبب تواطؤ بعض أعضاء المخزن نفسه. وعندما أعلن الثائر الجيلاني الزرهوني، المعروف ببوحمارة ثورته سنة 1902، تنفس ذوو الامتيازات الصعداء. ووجد القواد الفرصة سانحة للعودة إلى الفروض والتعسف، لما طالبهم السلطان بإرسال حركاتهم لمساعدته على إخماد فتنة بوحمارة، ونتج عن كل ذلك انتشار الاضطرابات في كل مكان، مما أدى إلى تعميق الأزمة المالية، وتدهور هيبة مولاي عبد العزيز الذي اضطر في النهاية إلى الاقتراض من الدول الاستعمارية مما نتج عن ذلك من نقص للسيادة الوطنية، ومن احتلال في النهاية.

ولما فرضت فرنسا حمايتها على المغرب سنة 1912، سارعت إلى تعميم تطبيق الترتيب على الفلاحين بعد أن غيرت فيه بما يخدم مصلحة نظام الحماية. ففي 25 نونبر 1913، صادق السلطان على تطبيق الترتيب الجديد، وكيفية اجرائه. بحيث قضى مشروعه بقيام لجنة للإحصاء، مكونة من القائد وخبير فلاحي ومن عدل معين من طرف المخزن، بإحصاء الممتلكات مرتين في السنة..

المدة الأولى : في شهر ماي ويونيو تحصى فيها الزراعات من حبوب وقطاني وأشجار مثمرة (الزراعات البكرية والمازوزية).

المدة الثانية : في شهر غشت، تحصى خلالها الحيوانات والزراعات الخريفية.

والجديد في هذا الترتيب، هو أن نظام الحماية ربط أجرة العمال ومساعديهم بجباية الترتيب. بحيث خصص عشرة في المائة من مدخول ضريبة الترتيب في قبيلة معينة لأجرة القائد (بنسبة 6٪) والشيخ (2٪) والخبير الفلاحي والعدل (1٪) لكل واحد منهما. وهكذا كلما ازدادت عائدات الترتيب في قيادة معينة كلما ارتفعت أجرة القائد وكلما

انخفضت نقصت الأجرة. ولهذا كان القواد والشيوخ في عهد الحماية الفرنسية، يتفننون في فرض واجبات الترتيب وتقديرها والتعسف في جبايتها، حتى غدت هذه الضريبة مكروهة من الفلاحين الذين كان مفروضا على كل واحد منهم أن يؤدي رسماً مقدراً على شخصه كان يطلق عليه ضريبة الأذن أو الرأس كواجب من واجبات الترتيب.

ويظهر الحيف الذي كان الفلاح المغربي معرضا له في إعفاء المستوطنين الفرنسيين من أداء نصف ضريبة الترتيب على أملاكهم الفلاحية.

لقد كان الأجانب يتهمون الحكام المغاربة بالتعسف في الجباية. ولما احتل الفرنسيون البلاد أخضعوا الفلاح المغربي لضريبة ظالمة ولتعسف القواد بهدف إخضاع المغاربة لإدارة صارمة وضمان ولاء تلك الإدارة على حساب السكان.

م. المشرفي، *الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية*، مخطوط خ. ع، الرباط ؛ م. غريط، *فواصل الجمان*، فاس 1927 ؛ *وثائق خ. ح.*، العهد العزيزي (رسائل عديدة) ؛ *ظهائر سعدية وعلوية*، مكروفيلم الخزانة العامة رقم 23 ؛ ع. الخديمي، *التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب*، الدار البيضاء 1991 ؛ ن. التوزاني، *الأمناء بالمغرب في عهد السلطان م. الحسن*، فضالة 1979 ؛ أ. التوفيق، *مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، (اينولتان 1850 - 1912)، 1978.

Saint René Taillandier, *Les origines du Maroc français, (Récit d'une mission 1901 - 1905)* ; G. Maura, *La question marocaine au point de vue espagnole*, Paris, 1921 ; E. Doutté, *Marrakech;* 1905 ; *Documents diplomatiques français affaires du Maroc, 1901 - 1905 ;* Michaux-Bellaire, *Les morts marocaines*, *A.M.*, 1904, vol. I ; A. Ayache, *Le Maroc, Bilan d'une colonisation*, 1956, *Bulletin de l'Afrique Française*, 1912 - 1913.

علال الخديمي

التُّرجمان أو الطُّرجمان، أسرة أصلها من الجزائر، وقد هاجرت إلى تطوان سنة 1246 / 1830 حيث كانت معروفة إلى حدود سنة 1354 / 1435.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 204 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 334 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegación de Asuntos Indígenas, *Familias ilustres de Tetuán* ; Isidoro de las Cagigas, *Familias tetuaníes de abolengo* ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)*, 1932.

محمد ابن عزوز حكيم

الترجمة في المغرب، ارتبطت باسم يوسف الأول الموحدي صاحب فكرة ترجمة بعض كتب أرسطو التي قام بها ابن رشد الحفيد، كما أن عهد الدولة المرينية لم يخل من تراجمة رسميين - من الإسبانية والبرتغالية - أمثال أبي العباس ابن الكماد مترجم أبي ثابت عامر عبد الله بن يوسف المريني. كما ظهر في العهد الوطاسي ثاني ملوك هاته الدولة محمد البرتغالي ابن محمد الشيخ الوطاسي (1504 - 1524 م) الذي كان يتكلم البرتغالية.

وفي العهد السعدي، ظهرت طبقة من المترجمين أيام أحمد المنصور الذهبي حيث كانت الترجمة خاضعة لحافز أداء مهام آنية ومستعجلة، إذ نجد الوسيط الديبلوماسي الشهاب أحمد الحجري - ذي الأصل الأندلسي الذي أقام في المغرب حوالي أربعة عقود كترجمان، وترجم كتابا مجهول الأصل من اللغة الإسبانية، لا نعرف عنه إلا تسميته العربية : *العز والمنافع للمجاهدين بالمدافع*.

جعلت الظروف التاريخية، وكذا الموقع الجغرافي، من المغرب قنطرة عبور للتيارات والحضارات ورابطة وصل بين القارات وخصوصا أوربا وإفريقيا. ومع بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر توسع الانفتاح على الخارج وتكاثر الاحتكاك باللغات والثقافات الأجنبية، حيث توالت البعثات إلى الشرق العربي وإلى أوربا. كما أن تعدد السفارات والدواوين وتبادل المبعوثين وخصوصا تكاثر عدد القنصليات، زاد من أهمية المترجمين وكذا من أهمية الترجمة.

ففيما يتعلق بالكتب العلمية، أشرف السلطان محمد ابن عبد الرحمان على ترجمة كتاب نيوتُنْ في علم الفلك وكذا ترجمة كتاب جوزيف جيروم للانَد وقد كتب له مقدمة يوضح فيها طابع المشروع والأهمية التي يعلقها عليه والكيفية العملية التي كان يباشر بها إشرافه على الترجمة بالتدخل الشخصي أو بالمتابعة المستمرة.

ومع توالي البعثات نحو الدول الأوربية، أحس المخزن بضرورة تأسيس مؤسسة لتعليم اللغات، فأنشأ السلطان الحسن الأول مدرسة الألسن بطنجة التي شكلت المحطة الأولى لتعليم اللغات وكذا لموقع مدينة طنجة الجغرافي والسياسي. وكان الموفدون إلى أوربا يقضون بهذه المدرسة فترة لتعلم اللغات قد تستمر حتى ست سنوات.

بدأت تتشكل في المغرب، في بداية القرن العشرين، البنيات التحتية والمؤسسات التي جعلت الترجمة من بين اهتماماتها : تأسيس جرائد ومجلات، كجريدة *السعادة* (1905)، التي كانت بمثابة الدعوة إلى الحداثة وترجمة النصوص من بين أهدافها ؛ فرفعت، وهي برئاسة السوري وديع كرم، شعار الدعوة إلى الترجمة وازدواجية اللغة، ذلك مع التركيز على العلاقات التي تربط المغرب بالشرق العربي. وكان للمثقفين المشارقة (سوريين ولبنانيين على الخصوص)، وكذا للتونسيين والجزائريين والمستشرقين دور في ظهور الوعي بترجمة النصوص. ونشطت كذلك عملية ترجمة المؤلفات العربية والمخطوطات وأعراف المجتمع وتقاليده.

ومع بداية الحماية، أنشئت سنة 1912 المدرسة العليا للغة العربية واللهجات البربرية وأسندت لها مهمة تخريج مترجمين بقرار 12 ماي 1913، كما أن إدارة الشؤون الأهلية كانت تتوفر على مكتب للترجمة تابع للمقيم العام. وعملت الحماية على غرس الازدواجية اللغوية وإيجاد تواصل بين اللهجات المحلية واللغة العربية، وجعل اللغة العربية محمية بها.

بدأ الاعتناء بالترجمة الأدبية، خلال فترة 1920 - 1930، فظهرت ترجمة : *نفسي فداك*، والسيرة الذاتية لإيزابيل أبيرهار : *في ظلال الإسلام*، *وطرتيف* لموليير. وفي سنة

1934 أنشئت أول جمعية للترجمة والنشر، باقتراح من أحد *أقطاب الترجمة في المغرب* وهو عبد الكبير الفاسي الذي كان مع أحمد بناني - الداعي إلى الترجمة الجماعية - أهم أعضاء الجمعية إنتاجاً وإبداعاً.

وبظهور مجلة *المغرب* برئاسة الجزائري محمد صالح ميسة، ومجلة *السلام* إضافة إلى جريدة *السعادة*، نشطت مختلف الفعاليات الثقافية، آنذاك، لإبداء رأيها في موضوع الترجمة وأهميته. كما كانت هاته المجلات منبراً لنشر ترجمات لكثير من الأعمال.

عرف عقد الثلاثينيات نقاشا هاما حول أهمية الترجمة كوسيط ضروري للاحتكاك بالثقافات الأجنبية، ومن الذين ساهموا في هذا النقاش : محمد الحجوي وعبد الكبير الفاسي وأحمد بناني وعبد الله إبراهيم وعلال الفاسي وسعيد حجي. وقد اعتبر هذا الأخير الترجمة تلقيحا ضروريا للجسد الثقافي من أجل النهوض والتقدم.

وفي تاريخ 21 يناير 1937 أحدثت جمعية باسم "الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر". ترأس أعمالها مؤرخ المخزن آنذاك عبد الرحمن بن زيدان، وكلف برئاسة المجلس الإداري المؤقت عبد الكبير الفاسي في حين أسندت مهمة كاتب الجمعية لأحمد بناني. وحسب تصور هذا الأخير فإن الجمعية "لا تسعى فقط إلى إنجاز الترجمة بل تذهب إلى أبعد من ذلك، وتلاحق أطوار تأليفها ونشرها إلى أن تصل إلى القراء".

خلال العقد 1940 ـ 1950 تعددت وتنوعت النصوص المترجمة، ومما يميز هذه الفترة ظهور معجم عربي - فرنسي سنة 1942 نشره ليفي بروفنسال بعنوان : معجم *اللغة العربية المستعملة في القرن العشرين*. وهو يجمع أكثر من 3.000 كلمة كانت تتردد باستمرار في كتابات المؤلفين والصحافيين بالشرق الأوسط وإفريقيا. وكان الهدف منه هو ترجمة مفاهيم الحياة والفكر بكل تجلياتهما.

تعززت الدوريات والجرائد، في هذه الفترة، وبدأت تظهر ترجمات القصص الصغيرة والقصائد الشعرية. كما لم تقتصر الترجمة إلى العربية على المؤلفات باللغة الفرنسية بل ظهرت ترجمات عن الإنجليزية والإسبانية. وقد اهتم بالترجمة في هذه الفترة كل من أحمد بناني وعبد الكبير الفاسي وقاسم الزهيري وعبد العزيز بن عبد الله، إلخ.

كانت الانشغالات السياسية، خلال فترة المقاومة والعمل الوطني تطغى على الهموم الأدبية للترجمات ؛ بيد أن الملاحظ هو أن التوجه كان نحو الترجمات القصيرة ؛ ولم تقتصر الموضوعات على الأدب فقط بل همت مختلف العلوم الإنسانية، كما استمرت المجلات والجرائد في الاهتمام بإعادة نشر الإنتاجات المترجمة من المشرق. وقد كان إسهام مجلة *الثقافة المغربية* ومجلة *المغرب* هاما في ميدان الترجمة الأدبية. ومن الجرائد التي اقتحمت هذا الميدان :

المغرب لسعيد حجي ؛ *الأطلس* لمحمد اليزيدي ؛ *التقدم* لأحمد بن حساين النجار ؛ *العلم* لعبد الجليل القباج ؛ *الشعب* لمحمد المكي الناصري ؛ *الحياة* لعبد الخالق الطريس؛ *السلام* لمحمد داود.

ومن *الملاحظ في الميدان الأدبي*، أن حظ ترجمة *النثر* كان أقوى من حظ ترجمة الشعر. ومن الذين اقتحموا هذا الميدان : عبد الكبير الفاسي ومحمد عزيز الحبابي وعبد الله إبراهيم ومحمد بن عبد الله ومَحمد باحنيني. ومن الأعمال التي تمت ترجمتها أشعار لإيلوار وهيگو، ولامارتين.

إذا كان اهتمام الترجمة، قبل 1956، منصباً أساساً على الإبداع الأدبي (ترجمة رواية دولاروشفوكو *لصوص المقابر* ورواية *نفسي فداك*، ومسرحية *طرتيف* لموليير، وعديد من القصص والأشعار)، فإن أهم ما يميز الفترة اللاحقة هو ترجمة الدراسات النقدية والشعرية والمؤلفات التاريخية والكتابات المتعلقة بعلم الاجتماع والفلسفة.

يقدم *رولان بارت* نموذجاً للناقد المتعدد الترجمات في المغرب وفي بعض الأحيان لأكثر من مرة للنص الواحد. ومما ترجم له :

- *درجة الصفر للكتابة* *Le degré zéro de l'écriture* (1957). ترجمة محمد برادة (1981).

- *النقد والحقيقة* *Critique et vérité* (1966) ترجمه لأول مرة إبراهيم الخطيب (1984).

كما همت الترجمة كتب جاكبسون وكلود كاهن وغيرهما.

ويدخل في هذا الباب أيضا الكتابات والمؤلفات المتعلقة بنظريات جديدة تتعلق بالسميائيات واللسانيات الشعرية ومناهج الدراسة الأدبية، والتي هي في الواقع نصوص مترجمة.

وبمبادرة من مجموعة من الأساتذة الجامعيين تأسست بالرباط، سنة 1980، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، وقد عملت منذ ذلك الحين على ترجمة مجموعة من الكتب تتعلق أساساً بتاريخ المغرب وحضارته، منها كتاب *وصف افريقيا*، للحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي، في جزئين، *وافريقيا* لمارمول كارباخال، في ثلاثة أجزاء، *وفاس قبل الحماية* لروجي لوطورنو، *وتاريخ الشرفاء* لدييكو ديطوريس، *وعبد القادر الجيلالي شيخ كبير من صلحاء الاسلام* للأستاذ التركي محمد علي عيني، إلخ.

وفيما يتعلق بالشعر، اهتم مصطفى القصري بترجمة أشعار لبودلير وسان جون بيرس.

والملاحظ بالنسبة للمسرح، أن الترجمة تأتي في المرتبة الثانية بعد الاقتباس. فأحمد الطيب لعلج اقتبس عن موليير : *ولي الله والفضوليات والحاج العظمة* وما أطلق عليه *محجوبة*. وعن جوته اقتبس : *العنكبوت* وعن سيرفانطيس *نومانس* وعن رينار *الوارث* وعن ماريفو *لعبة الحب والمصادفة* وعن بيكيت *في انتظار مبروك*.

نشطت الترجمة في مختلف العلوم الإنسانية خصوصا خلال عقد الثمانينات. ففي التاريخ، اهتم بترجمة الكتب

التاريخية المتعلقة بالمغرب كل من محمد حجي ومحمد الأخضر ومحمد زنيبر. وفي ميدان الفلسفة نشط في عملية ترجمة الأعمال الفلسفية : سالم يفوت وعبد السلام بنعبد العالي وغيرهم.

وبفعل تكاثر عدد المجلات الثقافية، واهتمام الجرائد الوطنية، خصوصا من خلال ملاحقها الثقافية، بالإنتاجات الأدبية والفكرية في مختلف اللغات، تعزز موقع الترجمة حيث لعبت دوراً هاماً لإثراء الثقافة المغربية وانتفاحها على الأدب العالمي.

وبفعل تدريس مادة الترجمة في الجامعة والبحث في موضوعها، تم التمكن من إرساء قواعد للدرس فأقيمت ندوات تعنى بموضوع الترجمة : ندوة المصطلح بكلية الآداب بالرباط (1981 - 1991)، ندوة في موضوع الترجمة بكلية الآداب بمكناس 1982، إلخ.

مدرسة الملك فهد للترجمة، أحدثت بموجب مرسوم رقم 2.82.355 الصادر في 16 من ربيع الثاني 1403 (31 يناير 1983)، وشيدت بنايتها من طرف الحكومة السعودية التي سلمتها لوزارة التربية الوطنية. واختيار طنجة كمقر للمدرسة لا يخلو من أهمية ؛ وهذا يذكرنا بمدرسة الألسن التي أسست بها في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) كما ذكرنا. فموقع هذه المدينة التي لا تبعد عن أوربا سوى بكيلومترات رشحها فعلا لتكون بحق ملتقى للحضارات والثقافات.

ظلت المدرسة تابعة لجامعة محمد الخامس بالرباط حتى نهاية 1991، ثم عُدّت بعد ذلك ضمن المؤسسات الجامعية التي تقع تحت سلطة جامعة عبد الملك السعدي بتطوان، وهي تهدف، أساساً إلى تكوين مترجمين تحريريين Traducteurs ومترجمين فوريين Interprètes قادرين على مزاولة أعمالهم في مختلف القطاعات ؛ وذلك بإعطائهم تكوينا نظريا وتطبيقيا تبعا لأحدث الطرق والأساليب المستعملة في هذا الميدان. ومن أهداف المدرسة كذلك :

- تنظيم حلقات دراسية للراغبين في إعادة التكوين واستكمال الخبرة في مجال الترجمة وذلك تلبية لطلب الوزارات والمؤسسات والمنظمات الوطنية وغيرها.

- تنظيم دوريات لتلقين اللغة العربية لغير الناطقين بها وكذا دورات لتعليم اللغات الأجنبية.

يشترط في كل مرشح لمباراة الولوج أن يتوفر على تشكيلة لغوية مركبة من ثلاث لغات. والمراد بالتشكلة اللغوية هو مجموع لغات العمل التي يختارها الطالب. والتشكيلات المعتمدة بالمدرسة هي ثلاثية اللغة طبقا لما هو معمول به في مؤسسات تكوين المترجمين، وهي مرتبة كالآتي :

1 - اللغة الأم أو لغة الثقافة، ويرمز إليها بلغة "أ" وهي التي يترجم منها وإليها. ويفترض أن يكون المعني متمكنا منها بشكل جيد.

2 - اللغة الأجنبية الأولى ويرمز إليها بلغة "ب" وهي التي يترجم منها وإليها، ويفترض في المعنى أن يتقنها كل الإتقان.

3 - اللغة الأجنبية الثانية ويرمز إليها بلغة "ج" وهي التي يترجم منها فقط، ويفترض في المعنى أن يكون له إلمام بها.

التشكيلتان اللغويتان الموجودتان بالمدرسة هما :

عربية "أ" فرنسية "ب" - إنجليزية "ج".

عربية "أ" إنجليزية "ب" - فرنسية "ج".

تشتمل المدرسة على سلكين : سلك عادي وسلك عال، ويتم ولوج كل من السلكين على إثر مباراة تفتتح في وجه المرشحين الذين تم انتقاؤهم بناء على دراسة ملفاتهم من طرف لجنة مختصة.

تستغرق الدراسة بالسلك العادي ثلاث سنوات، ويلجه حاملو الشهادة الجامعية للدراسات الأدبية (السلك الأول الجامعي، تخصص لغات) أو ما يعادلها ؛ غير أنه يمكن لحملة الإجازة في الآداب أو العلوم أو الحقوق أو الاقتصاد الالتحاق مباشرة بالسنة الثانية في حدود المقاعد الشاغرة وبعد اجتياز مباراة خاصة.

يشتمل البرنامج الدراسي بالسلك العادي على تكوين عام (دروس تمكن الطالب من اكتساب المفاهيم الأساسية في مختلف الميادين : اقتصاد، قانون، علم اجتماع، وتكوين متخصص (دروس متخصصة تستهدف تقوية المهارات اللغوية ودروس نظرية وتطبيقية في الترجمة العامة والترجمة المتخصصة). واستكمالا للتكوين، يقوم طلبة السنة الثالثة بقضاء فترة تدريب بإحدى المؤسسات العمومية أو الخاصة أو بأحد المنظمات الدولية الموجودة بالمغرب.

تتوج الدراسة بهذا السلك بدبلوم مترجم تحريري. وقد تخرج أول فوج في نهاية الموسم الجامعي 1989 - 1990.

يلج السلك العالي حملة دبلوم تحريري أو ما يعادله، وتستغرق الدراسة به سنتين، حيث تتوج الدراسة بالدبلوم العام في الترجمة التحريرية أو الدبلوم العام في الترجمة الفورية وذلك حسب تخصص المرشح.

تشمل الدراسة بهذا السلك، أساساً، وحسب تخصص الطالب، تكويناً تكميلياً عاماً (تقنيات الترجمة الفورية والتتبعية)، وتكويناً تطبيقياً، ومناظرات تهيء الطالب للقيام ببحث يناقشه في آخر سنة التخرج. وتتوج الدراسة بالدبلوم العالي إما في الترجمة الفورية أو التحريرية.

نظمت المدرسة في صيف 1987 ملتقى حول تدريس الترجمة، وذلك بتعاون مع جمعية الجامعات الناطقة جزئيا أو كليا بالفرنسية (AUPELF). كما نظمت في شهر يونيو 1989 مائدة مستديرة حول الترجمة العربية المهنية والتكنولوجيا الحديثة، بتعاون مع الكنفدرالية الدولية للمترجمين (FIT).

وقد عملت المدرسة على نشر كتب تهم الترجمة وعلى إصدار دورية نصف سنوية بعنوان : *الترجمان* مجلة مختصة

تعنى بقضايا الترجمة التحريرية والترجمة الفورية (المجلد الأول، العدد الأول، 1992).

عبد السلام بنعبد العالي، *الترجمة والمثاقفة*، الوحدة، عدد 61 ـ 62، ص. 7 ـ 9 ؛ الخمار بوقرعة، *الترجمة واللغة والهوية القومية*، الوحدة، عدد 61 ـ 62، ص. 68 ـ 73 ؛ عبد الوهاب حفيظ، *حول الترجمة والتعريب والتغريب، مأساة المصطلح وفراغ المعنى*، الوحدة، عدد 61 ـ 62، ص. 74 ـ 84 ؛ سعيد علوش، *خطاب الترجمة الأدبية من الازدواجية إلى المثاقفة : المغرب الحديث 1912 ـ 1956*، طنجة، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، 1990، 318 ص ؛ *شعرية الترجمات المغربية للأدبيات الفرنسية*، طنجة، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، 1991، 409 ص ؛ الشادلي الفيتوري، *الازدواجية اللغوية والازدواجية الثقافية في الوطن العربي*، ترجمة وتلخيص رشيد بناني، الوحدة، عدد 61 ـ 62، ص. 85 ـ 96 ؛ عبد الكريم ناصيف، *الترجمة : أهميتها ودورها في تطوير الأجناس الأدبية*، الوحدة، عدد 61 ـ 62، ص. 57 ـ 67.

G. Mounin, *Les problèmes théoriques de la traduction*, Paris, 1976, 296 p. ; M. Pergnier, *Les fondements sociolinguistiques de la traduction*, 491 p; Thèse : Lettres : Université de Rennes II, 1976, Bibliogr. pp. 482 - 489 ; N. Tomiche, *La littérature arabe traduite : Mythes et réalités : De l'image que se fait l'Occident du monde arabe contemporain à travers les traductions de la littérature arabe en langue française et anglaise*, Paris, 1978, 74p (*Comptes rendus du groupe linguistique d'études Chamito-sémitiques, GLECS*, suppl. 9) ; *La traduction* (n° spécial), *Revue d'Esthétique*, nouvelle série, n° 12, 1986, 233p.

محمد جادة

التراب، أسرة مكناسية ؛ **التراب، أحمد** بن **المكي** ابن الحسين (ت. 1364) ؛ **التراب، إدريس** بن المهدي (ت. 1375) ؛ **التراب، الحسين** (الحاج ـ) الجد ؛ **التراب، الحسين** بن **أحمد** بن المكي (الطبيب) ؛ **التراب، عبد السلام** بن محمد بن المكي ؛ **التراب، عبد القادر** بن **أحمد** بن المكي ؛ **التراب، عبد القادر** بن **محمد** بن المفضل ؛ **التراب، عبد الله** ؛ **التراب، عبد الوهاب** بن المفضل ؛ **التراب، العربي** ؛ **التراب، العربي** (الحاج ـ) ابن الحسين (الحاج ـ) ؛ **التراب، العناية** (الحاج ـ) (ت. بعد 1238) ؛ **التراب، محمد** بن **أحمد** بن المكي (ت. 1378) ؛ **التراب، محمد** (الحاج ـ) بن المفضل ؛ **التراب، محمد** بن **عبد القادر** ؛ **التراب، محمد العربي** بن الحاج الهادي (ت. 1288) ؛ **التراب، محمد** بن **محمد** بن **أحمد** (من فريق قاع وردة) (ت. 1406) ؛ **التراب، محمد** ابن **محمد الرجراجي** ؛ **التراب، محمد** بن **المكي** بن الحسين ؛ **التراب، المفضل** ؛ **التراب، المكي** بن الحسين (الحاج ـ) ؛ **التراب، المهدي** (الحاج ـ) بن محمد ابن المفضل ؛ **التراب، الهادي** بن إدريس بن المهدي.

يصعد تاريخ ذكر أسرة التراب بين سكان هذه المدينة إلى العصر الوطاسي، فتاتي الإشارة لأحد أفرادها باسم ووصف "الطالب أبي عبد الله محمد بن محمد الرجراجي التراب"، في وثيقة نسب حررت بمكناس بتاريخ أواسط شوال عام 930 / غشت 1524، ويتحدث المسنّون منهم ـ من فريق الحاج الحسين التراب آتي الذكر ـ أن دارهم الكبرى في حي بين العراصي مرينية البناء. وقد أكد انتساب الأسرة إلى رجراجة السلطان العلوي مولاي إسماعيل. خلال *الديوان* الذي حقق به أنساب سكان مكناس في عصره : القدماء منهم وسواهم من غير الأشراف، وندب لهذه المهمة القائد أحمد بن أبي يعزى العرائشي إلى أن تم ذلك أوائل المحرم عام 1121 / مارس 1709 ومع مر الزمن تفرعت الأسرة إلى ثلاث فرق متقاربة فيما بينها، وإنما تتميز بمواقع سكناها من مدينة مكناس :

1 ـ فريق حي بين العراصي، ويرجعون إلى الحاج الحسين التراب، وهو والد الأخوين : الحاج العربي والمكي، فأولهما كان بين أعيان مكناس الذين وقعوا على بيعة السلطان الحسن الأول باسم "الحاج العربي التراب"، بتاريخ 27 رجب 1290 / 20 شتنبر 1873، كما كان ناظر الأحباس زرهون عام 1288 هـ.

على أن عقب الحاج الحسين انتشر ـ أكثر ـ من ابنه الثاني السيد المكي، وكان يتوفر على ما يهمه من ثقافة مجتمعه، مع مهارة في مادة الحساب، وبذلك ترشح لخطة الأمانة ببلدته، مع نظارة الأحباس الكبرى بمكناس، ونظارة أحباس زرهون، وبتاريخ 20 محرم 1317 / 31 ماي 1899، أصدر السلطان عبد العزيز ظهير توقير واحترام باسمه، وأشرك معه أفراد أسرته، تجديد الظهير حسني في نفس الغرض، وفي أيام نفس العاهل كان ثاني اثنين رشحا للنيابة عن مكناس في مجلس الأعيان وقد خلّف المكي هذا : الأخوين السيدين أحمد ومُحمد، وكان أولهما تابع الدراسة الأصلية ببلدته على شيوخها، وبعد تحصيله رشح لعدة مهمات بمكناس إلى أن توفي عليها : خطة الحسبة من أوائل العصر اليوسفي، ثم أمانة القصر السلطاني، ورئاسة الجمعية الخيرية منذ تأسيسها. وخلال الحرب العالمية الثانية أسندت إليه عملية الإشراف على توزيع الثياب على السكان، ولكنه رفض الاستمرار فيها، تجافيا عما تفضي إليه من مشاكل، وزهداً منه في مردودها، ومحافظة على استدمة علاقاته مع السكان في مستواها المعتاد.

وأخيراً كانت وفاته ليلة الجمعة 17 ربيع الأول عام 1364/ 2 مارس 1945، وخلف أولاده الفقيه السيد مُحمد، والدكتور الحسين الطبيب المعروف، والوطني اللامع السيد عبد القادر، والخليفة الباشوي في مقاطعة بني مَحمد من مكناس : السيد عبد الملك وخامسهم الفاضل السيد المكي صغير إخوته.

وكان أكبر الإخوة الفقيه السيد مُحمد هو الذي خلف والده في خطة الحسبة وما معها إلى أن توفي بمكناس يوم الأحد 29 صفر عام 1378 / 14 شتنبر 1958 ودفن بروضة

الفشار بمشهد سيدي بوخبزة. وهو والد الأستاذ الحقوقي السيد محسن التراب، العامل في عدة ولايات، آخرها عمالة القنيطرة وما إليها.

ثم يلي المحتسب السيد مُحمد في السن، أخوه الطبيب الحسين التراب، ثاني مغربي أحرز على دكتوراه الطب من باريز.

وننتقل - الآن - إلى الابن الثاني للسيد المكي بن الحسين : السيد مُحمد أخ السيد أحمد وخليفته في خطة الحسبة، وهو والد الاستاذ الوطني المرحوم السيد عبد السلام التراب، سجين الأزمة المغربية سنة 1954، ثم رئيس المجلس البلدي بمكناس بعد الاستقلال.

2 - فريق درب الترابية بحي الكدية (درب ابن العواد فيما بعد)، وانتقل بعضهم للسكنى بحي سيدي عْمرو بوعوادة.

ويرجع هذا الفريق إلى قعددهم السيد المفضل التراب، وكان من خاصة أصحاب الشيخ عبد القادر العلمي، وصاهر الأشراف الشبيهيين ببنته السيدة عائشة، زوج النقيب السيد أحمد بن النقيب السيد السعيدي الإدريسي الشبيهي، وبذلك اكتسب هو وذريته من بعده، ميزة الإسهام في الإشراف على المشهدين المكرمين : الإدريسي بزرهون، والعلمي بمكناس.

وقد خلف السيد المفضل التراب ابنيه : الحاج مُحمد المتوفى بالمشرق، وأخاه الطالب عبد الوهاب، وخلف الحاج مُحمد ابنيه الطالبين الحاج المهدي والسيد عبد القادر، فالحاج المهدي، هو والد المقدم الوجيه الحاج إدريس التراب وقد ساهم في الطلب وخالط أهل العلم والفضل، إلى أخلاق كريمة، ومروءة في تواضع، ثم كانت وفاته في شهر ذي الحجة عام 1375 / يوليوز - غشت 1956 وخلف ذرية طيبة كبيرهم الطالب المرحوم السيد الهادي.

وعلى هدي الحاج إدريس، كان ابن عمه الشقيق الحاج مُحمد، وهو والد الوجيه الكريم، المحب المحبوب، المقدم السيد الحاج الحسن التراب، بقية الناس أخلاقا ومروءة ومحافظة على سيرة أسلافه في الولاء للإمامين المكرمين : المولى إدريس الفاتح، وسيدي عبد القادر العلمي، يشاركه في هذا الولاء من معاصريه السيدان الفاضلان المرحومان : الحاج العربي التراب، والحاج عبد الله التراب من وجوه الأسرة.

والآن نستدرك الإشارة إلى اثنين من وجهاء أسلاف هذا الفريق : الحاج العناية التراب، من أعيان مكناس الموقعين على بيعة السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام، بتاريخ الأحد 14 ربيع الثاني 1238 / 30 دجنبر 1822.

ثم السيد مُحمد العربي بن الحاج الهادي التراب، ناسخ *الأنوار السنية*... للعياشي، بتاريخ الأربعاء 6 ربيع الثاني 1288 / 25 يونيه 1871، من مخطوطات خ. ع رقم 1071 ثالثة محفظة.

وأخيراً نشير إلى أن نخباً من أبناء هذا الفريق اتجهوا إلى الدراسات الحديثة، وجدّوا فيها حتى أحرزوا على درجات علمية عليا في عدد من الاختصاصات، وبذلك طوروا فريقهم الشاب، وارتفوا به إلى توجهات جامعية منوعة.

3 - فريق حي قاع وردة، حيث سكنى الفقيه التراب الحاج مُحمد بن الحاج مُحمد بن أحمد، العالم المفتي القاضي، المتوفى عام 1406 / 1986.

وقد استوفى ترجمة محمد بن الفاطمي بن الحاج في كتابه عن علماء المغرب المعاصرين فذكر أنه ولد بمكناس عام 1321 / 1903 وبه درس على أساتذة بلدته وعلمائها أمثال مَحمد بن أحمد السوسي ومحمد بن الحسين العرايشي والغالي السنتيسي ومَحمد بن المبارك الهلالي ومحمد بن عبد السلام الطاهري، كما أخذ فقه القضاء عن أحمد بن المامون البلغيثي الفاسي، والحساب والتوقيت عن عبد الرحمن بريطل الرباطي.

تولى منصب القضاء بزرهون ثم العضوية بمجلس الاستئناف بالمحكمة الاقليمية بمكناس، وكان في نفس الوقت يباشر الإفتاء. ومجموعة *فتاويه* تخرُج في جزءين.. وله *شرح على الشاطبية* في علم القراءات، ورحلة حجازية سماها *بلوغ المرام من حج بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام*.

توفي بمكناس يوم الثلاثاء سابع رجب عام 1406 / 18 مارس 1986 ودفن بضريح سيدي أحمد بن خضراء داخل باب البرادعيين.

ملحق : ظهير صادر عن السلطان عبد العزيز بتوقير واحترام أسرة التراب المكناسيين :

"يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره. وأطلع في سماء المعالي شمسه المنيرة وبدره، انا جددنا لحملته كافة أولاد التراب القاطنين بمكناس، حكم ما بيدهم من ظهير سيدنا الوالد قدسه الله، المتضمن إقرارهم على ما عهد لهم من التوقير والاحترام، والحمل على كاهل المبرة والإكرام، والرعي الجميل المستدام، أخص منهم خديمنا الارضي الناظر الطالب المكي وأولاد أخيه المرحوم الحاج ... وابن عمه الطالب عبد الوهاب، وولدي أخيه الطالب المهدي والطالب عبد ... عمهم الحاج عبد الرحمن، وأخاه أحمد، والمعلم محمد النجار، والمعلم محمد البناء، بحيث لا ... بمكروه، ولاتنتهك لهم حرمة بوجه من الوجوه، وأذنّاهم في رد زكاتهم وأعشارهم على ضعفائهم، اتكالا على دينهم وعرضهم ومروءتهم، ولما بلغنا من ثبوب نسبهم للسادات الرجراجيين، وكونهم من ذوي البيوت المعظمة، فلا تخرق عليهم في ذلك عادة، ولايحدث في جانبهم نقص ولا زيادة، إقراراً تاماً، شاملا عاماً، حسب الواقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا أن يعلمه ويعمل بمقتضاه، ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه، والسلام، صدر به أمرنا المعتز بالله، في 28 محرم عام 1317".

جعفر الكتاني، *الرياض الربانية في الشعبة الكتانية*، مخطوط خ.

ع، 497 ك ص. 169 ؛ ع. ابن زيدان، *المنزع اللطيف ...*"، مطبعة الدار البيضاء، ص. 214، مع التكملة من نسخة مخطوطة ؛ *العز والصولة*، 1 : 24، حوالة أحباس زرهون خ. ع رقم 13 من قسم الحوالات، ص 350 ؛ م. التاودي السقاط، *خرق العوائد* .. مخطوط خ. ع 52 ك، ص. 91ـ92ـ112، *إراثة النقيب أحمد بن النقيب السعيدي الشبيهي*، حيث احتفظت بنصها *حوالة أحباس كبرى مكناس*، 1 : 314 ؛ *بيعة السلطان عبد الرحمن بن هشام*، مخطوط ضمن محفوظات خ. ح دون رقم .

محمد المنوني

الترّاد ، أسرة كانت بتطوان وانقرضت وكان جل أفرادها يعملون في الجندية حيث نجد منهم من كان ينتمي إلى حامية المدينة : محمد بن العربي الترّاد سنة 1244 / 1828، وأحمد الترّاد سنة 1246 / 1831، وعبد الرزاق الترّاد سنة 1249 / 1833، وأحمد الترّاد وعبد الخالق الترّاد والمكي بن محمد الترّاد سنة 1258 / 1842، وعبد السلام الترّاد سنة 1259 / 1843، وصالح بن اليزيد الترّاد سنة 1271 / 1855 والمصطفى الترّاد سنة 1273 / 1857.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 215.
Cagigas, *Familias* ; Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

التراس، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة كتامة، وكان جل أفرادها يحترفون الجندية، ومنهم الجندي محمد بن عبد الصمد التراس. والكلمة معناها في اللهجة الدارجة بتطوان ليس فقط حامل الترس بل أيضا الرجل الشجاع. وقد انقرضت بتطوان في أوائل هذا القرن، وكان من بين أفرادها قائد سجن تطوان سنة 1303 / 1884 وهو محمد بن موسى التراس.

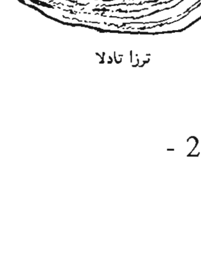
Delegación, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)* 1932.

محـ . ابن عزوز حكيم

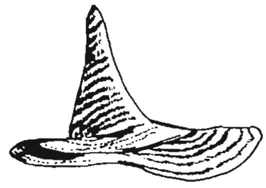
تَرَزَّا أو تَـرَزَرَا أو تَـرَزَال، وينطق بها أيضاً تـرازة، أمازيغية تعني طاقية أو قبعة توضع فوق الرأس ولعلها مركبة من شقين "تار" و"أزال" أي الغطاء الواقي من حرارة الشمس. ويضرب استعمال غطاء الرأس هذا بجذوره في عمق تاريخ سحيق ويسود ارتداؤه في المغرب في جل مناطقه.

وهي غطاء مقعر مخروطي الشكل، جوانبه ناتئة وحواشيه عريضة لوقاية الرأس من الحرارة وضمان الظل الكافي للوجه.

ترزا


ترزا تادلا


ترزا جبالة


ترزا الحوز


ترزا عبدة ودكالة

وفي المناطق الشمالية والشمالية الغربية تدعى الشمرير والشمريرو Sombrero. وهي كلمة إسبانية الأصل تعني القبعة الواقية من حرارة الشمس، ويكاد استعمال هذه القبعة في منطقة الريف وجبالة أن يكون عاما بالنسبة للرجال والنساء وإن كانت المرأة وخاصة في البوادي هي التي مازالت تحتفظ بارتدائه كجزء لا غنى عنه من أزياء الجبليات. إلا أن قبعة النساء تختلف عن قبعات الرجال في أنها تكون زاهية منمقة بعدة توشيات تتواتر فيها خيوط الدوم أو الحلفاء بخيوط الصوف أو القطن أو الحرير ذات الألوان الصفراء والحمراء أو الزرقاء والحمراء أو البنية والزرقاء. تدعى في هذه المناطق "المظلة"، ومن الناس من يسميها الظلة. وهذا النوع من غطاء الرأس لا يقتصر وجوده على المغرب بل يسود استعماله في جل بلدان أمريكا اللاتينية من حدود المكسيك إلى الشيلي وإن اختلفت مادة صنعه وبعض أشكاله من منطقة إلى أخرى ومن دولة إلى أخرى.

وتصنع ترزا في المغرب من الدوم أو الحلفاء، وهي تسرد (أي تنسج) بواسطة اليد المجردة على شكل شرائط مستطيلة يتم رتق الواحدة منها بالأخرى بواسطة حبل مفتول رقيق بإبرة خشبية أو معدنية غليظة.

والترازة أنواع متعددة تختلف باختلاف المناطق، لأن صناعتها محلية على العموم. فهناك ترازة الريف وجبالة التي لا يمكن أبداً فصلها عن هندام سكان جبال الريف وخاصة النساء اللواتي لا يكتمل زيهن بدونها. وهناك ترازة زمور الشلح التي تدخل في صناعتها أشرطة من الفليج وتختلف عن سابقتها في سيادة التنميق فيها سواء كانت مخصصة للذكور أو الإناث. وهناك ترازة تادلا وترازة الحوز اللتان يتميزان بفرط اتساع حواشيهما وارتفاع قمتهما لحماية الرأس والوجه من وهج الحرارة التي تبلغ مستويات عليا في هذه المناطق الداخلية. أما ترازة دكالة وعبدة فهما معروفتان عموما بقصر حواشيهما وضآلة تقعرهما.

محمد شفيق، *المعجم العربي الأمازيغي*، الجزء الأول، الرباط 1990؛ محمد شماعو، *المجتمع المغربي كما عرفته*، الرباط 1980 ؛ الحسن شوقي، *قبيلة السراغنة*، د. د. ع. كلية الآداب الرباط 90ـ1991 ؛ محمد عشيش، *المغرب الأقصى كما رأيته*، القاهرة د. ت. ؛ عبد الرحمان بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الجزء الرابع، الرباط 1931.
P. Platon, *Le palmier nain*, *B.E.P.M.*, n° 221, 1953 ; J. Besancenot, *Costumes du Maroc*, Rabat, 1988, réédition ; W. Harris, *Le Maroc disparu*, Paris, 1929 ; M. M. Barde, *Coiffures féminines du Maroc*, Aix-En-Provence, 1990 ; G. Charmes, *Une ambassade au Maroc*, Paris, 1887 ; G.S. Colin, *La vie marocaine*, Paris, 1953 ; P. Decroux, *Quelques aspects de la nationalité*

marocaine, Hesp., vol. 35. 1948.

محمد بوسلام

تُرْس (سمك) ← **تُورِتُو**

ترسواط، حوض واسع جنوب مركز تافروات ضمن قبائل أمانوز، وتسمى إحدى الجماعات القروية لدائرة تافراوت جماعة ترسْواط، ومن قراها : اثنين ترسواط، إيمي أوگادير، أگرسيف... وتشتهر المنطقة باستقطابها لأسر علمية تركت بصماتها في تاريخ الحركة الفكرية بسوس، منها أسرة آل مَحمد بن إبراهيم الشيخ التي استقرت في بداية أمرها بقرية إيمي أوگادير قبل أن تهاجر إلى تامنارت. استقرار مماثل عرفته ترسواط من قبل عائلة الحضيگي. ويبدو أن الاستقرار مرتبط بجاذبية الحوض الغني بمياهه الجوفية وغطائه النباتي الكثيف، وموقعه الهام الرابط بين الهوامش الجنوبية للأطلس الصغير : تامنارت، سموگن... وبين مناطق إيد أوسملال، أملن...

طبقات الحضيگي، مخطوط ؛ *تحريات ميدانية*.

أحمد بومزگو

الترسيم (في الوظيفة العمومية)، ينقسم أعوان الدولة وموظفوها إلى رسميِّين ومتدربين ومؤقتين وعرضيين ومياومين. وقد يتدرج الموظف في بعض الحالات من وضعية المياوم إلى العرضي ليصبح مؤقتا فمتدربا ثم رسميا. لكن السائد أخيراً أن معظم الموظفين يكونون من المتخرجين من مدارس التكوين والمعاهد والكليات يتم تعيينهم مباشرة بعد تخرجهم في منصب موظف متدرب. وبمجرد الالتحاق بالعمل يعتبر الموظف الجديد متدربا لفترة معينة لا تتعدى السنة الواحدة أو السنتين. وينتظر منه خلال هذه المدة بالإضافة إلى إبداء رغبته في وظيفته أن يثبت جدارته ويبرز المؤهلات الأساسية للاستمرار فيها. وتكون علاقة هذا الموظف في هذه الفترة بالإدارة التي توظفه علاقة أجير يتلقى أجرة خاصة بفترة التدريب. فإذا تأكدت كفاءته وأهليته فإنه يرسم في الوظيفة، وإن تبين عجزه عن الوفاء بما تتطلبه من قدرات تم الاستغناء عنه وعوض بغيره. لكن الإعفاء من المهمة لا يقع إلا في أحوال نادرة جداً إن لم يكن أمراً استثنائيا لعدة اعتبارات أهمها أنه بإمكان المتدرب حاليا أن يتقدم للاختبارات والمباريات الخاصة بالترسيم أربع مرات.

ويعتبر الترسيم في الوظيفة العمومية أول مراحل تسلق سواليم الترقية. ولا بد لكل موظف متدرب، حتى يتمكن من الارتقاء من وضعيته إلى وضعية الترسيم، أن يتوفر على الشروط العامة المطلوبة في التوظيف من حد أدنى وأعلى للسن وسلامة العقل والبدن إضافة إلى الشروط الخاصة بمهنة التخصص وأهمها الحصول على شهادة معينة في المجال الذي سيقبل الموظف على العمل فيه.

لكن بعض الموظفين لا يخضعون عند ترسيمهم للمقتضيات السابقة. فبعضهم لا يرسم إلا بعد قضاء مدة فعلية من الخدمة في الوظيفة لا تقل عن سبع سنوات. ولا يقع ترسيم مثل هذا الصنف من الموظفين إلا بناء على اقتراحات رؤسائهم المباشرين وفي حدود المناصب المالية الشاغرة.

أما رجال التربية والتعليم في سلك التعليم الأساسي والثانوي فهم ملزمون بالحصول على شهادة الكفاءة التربوية في مادة تخصصهم خلال سنة أو سنتين بعد تعيينهم دون احتساب المدة التي قضوها في مراكز التكوين. إلا أن المتخرجين الناجحين من مؤسسات تكوين الأطر في السنوات الأخيرة أصبحوا غير مطالبين باجتياز اختبارات الكفاءة المهنية إذ يتم ترسيمهم بناء على نقطة يمنحها لهم مدير المؤسسة التي يعملون بها بتنسيق مع مفتش مادة تخصصهم خلال السنة الأولى أو الثانية من تعيينهم على أقصى تقدير. أما أطر التعليم العالي من أساتذة محاضرين وأساتذة مساعدين ومساعدين فيرسمون اعتماداً على اقتراحات قيدومي الكليات ومديري المعاهد العليا طبقاً للمرسوم رقم 2.85.743 والمرسوم 2.85.773 بتاريخ 4 أكتوبر 1985 الخاصين برجال التعليم الباحثين في التعليم العالي ومؤسسات تكوين الأطر العليا.

ع. باينة، *المختصر في القانون الإداري المغربي*، الدار البيضاء 1985 ؛ م. مرغيني، *المبادئ العامة للقانون الإداري المغربي*، الرباط 1984 ؛ م. الكشبور، *عناصر عقد الشغل في التشريع الاجتماعي المغربي*، الدار البيضاء 1989 ؛ ع. لهمامي وآخر، *التدبير المالي والمادي والمحاسبي للمؤسسات التعليمية*، الرباط 1988 ؛ وزارة الشؤون الإدارية، *الوظيفة العمومية تشريعات وقوانين تنظيمية*، الجزء الأول، الرباط د. ت. ؛ كتابة الدولة لدى الوزير الأول المكلفة بالشؤون الإدارية، *معجم الإدارة العامة*، الرباط 1984.

M. El Yaagoubi, *Le droit administratif marocain*, Rabat, 1992 ; A. Benjelloun, *Droit administratif*, Rabat, 1984.

محمد بوسلام

ترغة، حاضرة قديمة مندثرة، كانت تقع بشاطئ بني زيات إحدى قبائل غمارة في الجنوب الشرقي من تطوان على بعد نحو خمسة وستين كلم، وتوجد أسفل منها بحوالي خمسمائة متر مدينة إسلامية صغيرة بنيت بناء بسيطا، كانت عامرة في القرن السادس (12 م)، زارها الحسن الوزان في النصف الأول من القرن العاشر (16 م) ووصفها بأنها مدينة صغيرة من بناء القوط حسب قول بعضهم، وأنها تحتوي على نحو مائة وخمسين كانونا، أسوارها ضعيفة. ولعل الوزان التبست عليه بالمدينة المندثرة التي بناها الرومان وعمرها القوط، وإلا فالمدينة التي زارها هي بناء إسلامي، لا تزال - في الجملة - على شكلها القديم إلى اليوم، أهلها متحضرون، يعيشون على نمط المدن المغربية القديمة، ونساؤهم محتجبات على خلاف عادة أهل البادية، يشتغلن بالحياكة وبعض الصناعات اليدوية الأخرى. وبها مرسى يضم عدة قوارب لاصطياد السمك، يصدِّرونه - كما يقول الوزان - إلى الأسواق القريبة والنائية وبعض المدن كشفشاون ووزان ونحوهما.

وتوجد إلى جهة الشمال ترغة الزاوية، نزلها مهاجرة الأندلس حوالي القرن التاسع (15 م) وعلى رأسهم أبو العباس الغزال، وقد بنى بها زاويته وكانت لها حرمتها، التجأ إليها في حدود عام 1040 / 1671 حاكم تطوان المقدم عبد الله النقسيس عندما أراد المجاهد أبو عبد الله العياشي القبض عليه، وكان يتردد عليها لزيارتها من تازروت الشيخ محمد بن علي بن ريسون المتوفى عام 1189 / 1775.

ومن الآثار التاريخية بترغة حوض مسجد عقبة بن نافع، وروضة المديني، شيخ ابن مشيش وزاوية الغزال والجامع العتيق وحجرة "لا إله إلا الله"، وسواها.

ح. الوزان، *وصف افريقيا* ؛ الرهوني، *عمدة الراوين* ؛ م. داود، *تاريخ تطوان* ؛ أ. المكناسي، *خريطة المغرب الأركيولوجية* ؛ س. أعراب، *مجلة دعوة الحق*، س 13 ع (1.2).

سعيد أعراب

* * وهناك رأس ترغة، ومرساها، ونهرها، يقع رأس ترغة بشاطئ قبيلة بني زيات الغمارية الموالي للبحر المتوسط بالقرب من المدينة التي يحمل اسمها، ويعرف الرأس عند الاسبان برأس كوتيبِّي Punta Cotelle، وكان به برج قديم لمراقبة الساحل.

ويقع مرسى ترغة بساحل نفس القبيلة الزياتية وهي التي جعلت من مدينة ترغة قاعدة بحرية مهمة في الجهاد البحري خلال القرن الثامن (14 م) إلى أوائل القرن الثالث عشر (19 م) كما سنرى.

وتوجد بهذا الشاطئ الموالي للبحر المتوسط حجرة تسمى "حجرة لا إله إلا الله" يقول السكان إنه كان بها مدخل لنفق تحت البحر يصل إلى شاطئ الأندلس حيث كانت هناك حجرة أخرى تعرف بـ "حجرة محمد رسول الله".

أما نهر ترغة فتوجد منابعه بجبل تاگطوشت بقبيلة بني زيات (إقليم شفشاون) وتصب مياهه بالبحر المتوسط قرب المدينة التي يحمل اسمها.

ويحمل هذا النهر اسم شيرْشي Cherché في خريطة بيتروس ڤيسكونتي Petrus Vesconti سنة 1311 ميلادية، كما يسمى بوادي ثيرثيلي Cercelly وبوادي شجر الحور Rio de los Alamos في الخرائط الاسبانية للعصور الوسطى.

اشتهرت مدينة ترغة بفضل مرساها المتميزة كقاعدة للجهاد البحري ولذلك نجد ذكرها في جميع المصادر الأجنبية وكذلك بالخرائط التي يرجع تاريخها إلى القرن الثامن (14 م) وعلى سبيل المثال نجد اسمها في الأطلس الكاطالاني لعام 1339 م. هكذا تيرغا Terga، غير أن الذي جعل منها قاعدة للجهاد البحري المنظم وأنشأ بها ترسانة لصنع السفن الجهادية وإصلاحها هو أمير شفشاون علي ابن راشد وذلك سنة 877 / 1472 حيث قرر ألا ينحصر جهاده في مهاجمة المدن السليبة (سبتة والقصر الصغير وطنجة وأصيلا) وحدها، بل أراد أن تكون له قاعدة بحرية تتوفر على أسطول جهادي يتحكم في الملاحة والتجارة بعرض البحر المتوسط ويهاجم منها الشواطئ الإسبانية والبرتغالية.

والدليل على أنه تم لأمير شفشاون ما كان يريده أننا نجد ملك البرتغال ألفونصو الخامس Alfonso V يفكر في القضاء على أسطول ترغة فيأمر حاكمه بسبتة فيرناندو دي مينيسيس Fernando de Meneses بتنظيم حملة صليبية ضد ترغة، وكان ذلك سنة 886 / 1481 حيث قام الأسطول البرتغالي المكون من خمسين سفينة كانت تحمل على ظهرها خمسة آلاف مقاتل بتخريب المدينة وإحراق جميع السفن التي كانت توجد بمرساها وبمرسى تيگيساس واستشهد في المعركة أكثر من مائتي مجاهد.

واستطاع علي ابن راشد إحياء القاعدة البحرية في ظرف وجيز حيث نجد حملة صليبية أخرى نظمتها البرتغال سنة 896 / 1491 تتمكن من تخريب ترغة مرة أخرى وإحراق خمس وعشرين سفينة كانت بمرساها وتحرير ثلاثين أسيراً نصرانياً.

تمكن أمير شفشاون مرة ثالثة من إعادة بناء ترغة التي كانت سنة 907 / 1502 تتوفر على أسطول بحري يتكون من خمسين سفينة صنعت بترسانة المدينة، وبواسطتها أصبح يتحكم في الملاحة بغرب البحر المتوسط وبوغاز جبل طارق بشكل لم يسبق له مثيل، كما تشهد على ذلك الوثائق البرتغالية والإسبانية، ويؤكده فشل المحاولة التي قام بها الأسطول البرتغالي الذي أرسله الملك مانويل الأول Manuel I برئاسة الأميرال خورخي دي ميلو Jorge de Mello سنة 907 / 1502 لتحطيم قاعدة ترغة. وقد رد على أعقابه خاسراً، ونفس المصير لقيه الأسطول البرتغالي الذي هاجم القاعدة المذكورة سنة 923 / 1517، وكان مؤلفاً من ستين سفينة برئاسة الأميرال لوپيس دي سِكْيِيرا Lopes de Sequeira.

وقد تعرضت ترغة لهجومات إسبانية كانت كلها فاشلة مثل التي قام بها الأميرال ألڤارو دي باثان Alvaro de Bazan يوم فاتح فبراير 1533 والاميرال بيرناردو دي ميندوثا في جمادى الأولى 954 / يوليوز 1547 والاميرال خوان دي أوسْطريا Juan de Austria سنة 1568 والاميرال سانْطورْثي Santorci يوم فاتح ماي 1613.

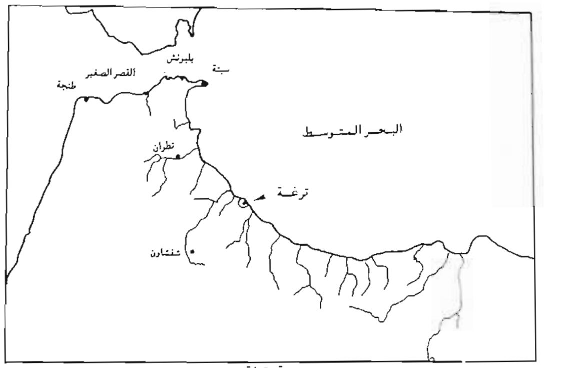
واستطاع الجيش الإسباني في عهد الحماية احتلال ترغة يوم 18 أبريل 1921، غير أنه أرغم على مغادرتها يوم فاتح شتمبر 1924، ولم يعد إليها إلا سنة 1927.

البادسي، *المقصد*، 98، 107، 130 ؛ الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*، 110 ؛ ح. الوزان الفاسي، *وصف افريقيا*، 252 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 110 - 141.

محمد ابن عزوز حكيم

* * من الناحية الأثرية، تزخر ترغة اليوم بالعديد من المآثر التي تعود إلى فترات من تاريخها الطويل. من ذلك القلعة المعروفة بدار السلطان، المشيدة فوق ربوة عالمية مطلة

على القرية الحالية، وملتصقة بجبل "أزنتي" المجاور. وهذا الموقع هو أحسن مكان لبناء قلعة تتحكم في الوادي وفي مصب "واد ترغة" وإن كانت واجهته الخلفية (الجنوبية) ضعيفة التحصن وهو مادفع بمشيدي القلعة إلى حفر خندق واق على طول هذه الواجهة بينها وبين تقدم الجبل.



موقع ترغة

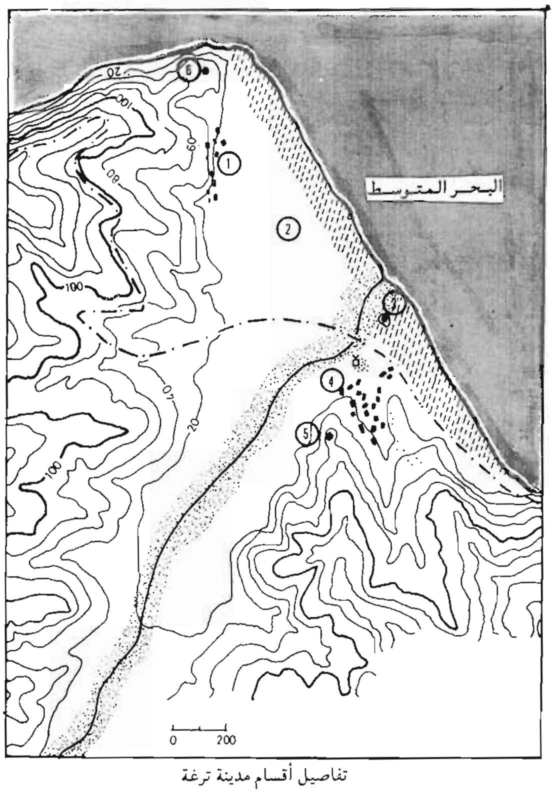
أظهرت الأبحاث التي قمنا بها في السنوات الأولى من الثمانينات، أن هذه القلعة مرت بثلاث مراحل متباينة في تقنيات ومواد بنائها. وإذ يتعذر اليوم تحديد كل واحدة من هذه الفترات بدقة فان ما يمكن التأكيد عليه هو أن أقدم جزء منها يقترب كثيراً في مكوناته (مادة وتقنية) مما هو معروف في المنشآت الموحدية، وأن أحدث جزء منها، وهو بطبيعة الحال مكون من مجموعة تغييرات أدخلت على العمارة الأصلية، يعود إلى بداية القرن العاشر (16 م)، حيث يظهر أن القلعة سكنت ربما من طرف الغزاة البرتغاليين.

بمحاذاة البحر على الشاطئ وفي وضعية مقابلة تمام المقابلة لدار السلطان، تنتصب بناية محصنة فوق صخرة عظيمة تعلو سطح البحر بأكثر من خمسة عشر متراً. كل شئ في هذه البناية مختلف عن أمثاله في دار السلطان فبينما هذه الأخيرة مبنية من الحجر والطابية، بنيت ثكنة الشاطئ بالحجارة القوية فقط، وبينما تصميم الاولى متواز في عدة من جوانبه، نجد جدران بناية الشاطئ مسايرة لشكل الصخرة التي شيدت فوقها، وبينما لانجد في القلعة الأولى من الفتحات سوى كوات للرمي موجهة ناحية البحر، تتوفر بناية الشاطئ على مجموعة من المرامي المدفعية، منتصبة على طابقين : خمسة بالطابق الأسفل وستة بالأعلى مع اختلاف في الاتساع ما بين تلك التي تنظر جهة البحر (وهي الأوسع) وتلك الموجهة نحو داخل الأرض الاقل منها اتساعا.

ومن المآثر التي مازالت حية تقوم بدورها إلى اليوم، المسجد الجامع، الواقع شمال القرية الحالية، على بعد بضعة أمتار من أولى مساكنها وبمحاذاة المقبرة العتيقة.

يحتل هذا المسجد مساحة تفوق 500 متر^2 وتتوزع مرافقه ما بين بيت صلاة عرضه 15,20 م وعمقه 6,10 م مقسم إلى بلاطين أفقيين وخمس بلاطات عمودية متجهة نحو جدار القبلة. وهذا التصميم هو الذي نجده في المساجد العتيقة المغربية سواء في الحواضر الكبرى كفاس مثلاً ، أو في البوادي.

يتقدم بيت الصلاة صحن واسع احتلت جانبه الجنوبي سكنى الامام وجانبه الشمالي مجموعة من الغرف المخصصة لايواء الطلبة الذين يأتون المسجد من مختلف نواحي بلاد غمارة ومن الريف لمتابعة دراستهم على الطريقة التقليدية. ذلك أن هذه المسجد عرف كذلك بالدور الكبير الذي لعبه ولايزال إلى حد ما يلعبه في تعليم القرآن الكريم وعلوم الفقه. وتحتفظ الذاكرة المحلية بما في هذه المدرسة وتعتبرها أهم مدرسة دينية بالمنطقة المشهورة بالمستوى الرفيع لتعليمها. ويزخر تاريخ علوم القرآن بأسماء علماء ترغيين أجلاء لعل أشهرهم شيخ القراء في عصره محمد بن يوسف الترغي المتوفى سنة 1009 هجرية.



تفاصيل أقسام مدينة ترغة

1 - ربض "الزاوية". 2 - موقع جامع ابن عقار. 3 - الحصن "البرتغالي".
4 - ربض "ترغة". 5 - "دار السلطان". 6 - برج ساحلي.

في وسط المنبسط الذي يفصل ما بين ربض ترغة وربض الزاوية، تظهر بقايا جدران مندثرة، تحمل اسم جامع ابن عقار، ويُحتفظ لها باحترام كبير بين السكان الحاليين للربضين. من يكون ابن عقار هذا ؟ وهل حقيقة أن ما يبرز قليلاً فوق سطح الأرض هي بقايا جدران مسجد ؟ لا يمكن الاجابة عن السؤالين اليوم لقلة المعطيات. ولكن الذي أثار انتباهنا ونحن نتجول بحثاً عن البقايا الأثرية في مجموع الوادي، كثرة القطع الخزفية الصغيرة الحجم والمختلفة الصنع، المختلطة ببقايا مواد البناء كأنصاص الآجور

الجنوبية والأطلسية. وقد تمت بالفعل عمليات في هذا الإطار في تافيلالت (بقصر الفيضا قرب مدينة الريصاني) وبالمخازن الجماعية لفاخور وسيدي موسى بإقليم أزيلال الخ...

ودون التطرق إلى ما عرفته كل معلمة على حدة من أشغال عبر التراب الوطني، يمكن الإشارة فقط إلى المدن التي عرفت وتعرف حالياً ترميمات وصيانات تنجز على معالم ومباني مختلفة العمارة والتوظيف. ففي طنجة رممت الأسوار وأبوابها ومتحف القصبة، وبتطوان كذلك رممت الأسوار وبعض المباني، وهناك مشروع تعاون قائم مع حكومة الأندلس لصيانة المدينة العتيقة، وبشفشاون تم الترميم الكلي لقصبة "أوطى حمام" وجانب من الأسوار، وبسلا رممت جوانب من الأسوار والأبراج والأبواب، كما انطلقت أشغال ترميم مدرسة أبي الحسن التي قرب المسجد الأعظم. وهذا الأخير أيضاً تم ترميمه من طرف إدارة الأحباس، وبمكناس رممت الأسوار وأبوابها، وبعض المباني كالمسجد الكبير، والمدرسة البوعنانية، ودار الجامعي التي بها المتحف، ودار الباشوات، وبوجدة يتم ترميم الأسوار وبابيها الكبيرين باب سيدي عبد الوهاب والباب الغربي، وبصفرو ترمم الأسوار وبأسفي رمم جانب كبير من قصر البحر وأجزاء من السور المتبقى، وبتارودانت كذلك رممت الأسوار وترمم بعض أبوابها.

ومن أهم ما أقدمت عليه مديرية التراث منذ إنشائها، سن سياسة جديدة تستهدف ترميم المباني وإعادة توظيفها إما بالنشاط الذي كان لها أصلا أو باحتضانها لأنشطة أخرى تعيد لها الوجود في النسيج العمراني، لا كمآثر تصان وتزان لجمالها أو لما تحمله من إرث ثقافي، وانما زيادة على ذلك كعناصر عمرانية حية. من ذلك مثلاً ترميم بعض *أبواب المدن وفتحها كفضاءات ثقافية تقام بها المعارض* الفنية المختلفة، وأهم الأمثلة أبواب الرباط الموحدية كباب الرواح الذي أصبح الرواق الوطني الأول، وباب قصبة الأودايـة الذي يحتضن أكبر المعارض لسعة مساحته وعلو سقوفه، وباب لعلو الذي خصص كرواق يعرض فيه الشباب من الفنانين والمبدعين.

وفي إطار التعاون الثنائي يمكن ذكر العملية التي تمت بأصيلا حيث رمم برج النعام، وهو الذي كان الملك البرتغالي "سبستيان" قد قضى به آخر ليلة في عمره، ليلة معركة واد المخازن الشهيرة التي لقي فيها حتفه، وقد رمم هذا البرج بمساهمة مادية من مؤسسة كولبانكيان البرتغالية.

ومن المشاريع الكبيرة التي أقبل عليها المغرب في العقدين الأخيرين مشروع إنقاذ مدينة فاس الذي انطلق في مطلع السبعينات بتعاون وثيق مع منظمة اليونسكو. ومما يجب التأكيد عليه أن هذه العملية الضخمة، جندت إمكانات هائلة، جمعت ما بين إمكانات الدولة وإمكانات الخواص، وهي بصدد محاولة جلب الاستثمار الخارجي لمواجهة التكاليف الباهضة الضرورية. على أن أهم ما *أسفرت عنه الحملات التعريفية والتحسيسية إلى اليوم هو* إقناع بعض أبناء فاس الميسورين بأهمية مساهمتهم الفعلية والمباشرة في مشاريع الصيانة والترميم، فأسندت لهم بعض المعالم للإنفاق على ترميمها كالمدرسة البوعنانية، ومدرسة العطارين، وفندق النجارين مثلاً.

هذا وقد اكتسب المغرب تجربة لا بأس بها في مجال ترميم المباني وصيانتها، وهو ما جعله من البلدان العربية القليلة التي يستعان بخبراتها. هكذا وقع المغرب اتفاقية تعاون مع سلطنة عمان سنة 1983 وأرسل بمقتضاها فريقاً من التقنيين والمهندسين والبنائين المتخصصين يقوم بترميم وإصلاح القلاع والحصون وبعض المباني التاريخية الأخرى. ولايزال هذا الفريق المكون من أكثر من ستين فرداً يقوم بمهامه إلى اليوم.

ب - ترميم التحف : لم تنل التحف الفنية ما نالته المباني من اهتمام في الترميم، ذلك أن المغرب لا يتوفر على مختبرات متخصصة ولا على أطر مكونة في هذا المجال. ثم إن القيام بهذه الأعمال خارج حدوده يتطلب من الامكانات ومن الضمانات والتأمينات ما يكلف الكثير. ومع ذلك لم تتأخر المصالح الأثرية والتراثية على إخضاع ما استوجب الترميم لهذه الأعمال داخل المغرب وخارجه. ونقتصر في هذا الباب على ذكر ترميم بعض أهم القطع البرونزية التي اكتشفت بوليلي كتمثال الغلام الساقي، وتمثال الكلب، وتمثال الصياد العجوز، وكلها تمت بمختبرات "جارفيل" (Jarville) الفرنسية في السنوات الأولى من الثمانينات، كما تمت كذلك معالجة مجموعة من الفسيفساء التي استخرجت من موقعي "بناصا" ووليلي. أما القطع الخزفية، فنالت كذلك قسطاً من نفس الاهتمام، حيث تمت ترميمات على أهم الجرار، وبعض الأواني أهمها "القصرية" التي اكتشفت بموقع بليونش والتي يعود تاريخها إلى القرن الثامن (14 م).

J. Borely, *Tinmel : douze carnets de notes*, Paris ; Laboratoire Public d'Essais et d'Etudes, *Tinmel : Rapports d'analyses*, 1991 - 1992 ; H. Terrasse, *La mosquée Quaraouiyin de Fès*, Paris, 1968 ; Collectif, *Tinmel. l'épopée almohade*, Casablanca, 1992.

عبد العزيز توري

ترناتة، هي واحدة من واحات درعة الست، وهي واحات : مزگيطة، تينزولين، ترناتة، فزواطة، اكتاوة، المحاميد، التي تكوّن ما يعرف بوادي درعة الأوسط. تبدأ واحة ترناتة من فم أزلاك وتنتهي عند فم زاگورة ما بين واحتي تينزولين في العالية وفزواطة في السافلة. تمتد على طول ثلاثين كلم وعرض يتراوح ما بين 250 و5700 م ومساحة مسقية تقدر بـ 5324 هـ أي ما يعادل 24،1٪ من مساحة درعة الوسطى.

وتروي أراضي واحة ترناتة ست عشرة ساقية منها ساقية أغلان، ساقية إيفلي، الساقية البغدادية، ساقية المكاترة، ساقية أنزي، ساقية البركة.... التي تسقي كل

المخزنية على طول وادي درعة، فأنزل بقصبة القصر حامية قوته، كما شغل الطائفة اليهودية في تصفية وتنقية الذهب المستورد من إفريقيا الغربية وبعد تنقيته يوزن ويؤثر عليه ثم يوجه إلى مراكش. وقد تراجع دور قصر تَرْغلّيل، بعد ما أمر السلطان أحمد المنصور السعدي ببناء قصر بني صولي سنة 987 هـ (*مذكرة المزريوي*، 8) فتحول قصر تَرْغلّيل إلى قصر عاد طيلة العهد العلوي.

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج 1، طبع تطوان، د. ت ؛ م. بن لحبيب التامْنوگالي، *العقود الجوهرية*، مخطوط ؛ عبد الكريم المزريوي، *مذكرة المزريوي*، مخطوط ؛ توفيق الماگري، *بعض المظاهر الاجتماعية واللغوية للوجود اليهودي بدرعة* (بحث للإجازة ـ كلية الآداب ـ أگادير) 1987.

G. Spillmann, *Les pays inaccessibles de Haut Draa, R.G.M.*, n° 1 et 2, 1929.

أحمد البوزيدي

الترغي، أسرة تطوانية كان من بين أفرادها بتطوان الفقيه محمد بن علي الترغي الذي كان من بين الموقعين على عقد البيعة لمولاي سعيد بن السلطان مولاي اليزيد بتطوان يوم 12 جمادى الثانية 1236 / 17 مارس 1821، والفقيه محمد بن عبد السلام الترغي الذي كان يزاول خطة العدالة سنة 1239 / 1824، والفقيه أحمد بن سعيد الترغي الذي كان يزاول نفس المهنة سنة 1261 / 1845، والفقيه العياشي بن عبد الصمد الترغي المتوفى سنة 1279 / 1862، والفقيه أحمد بن عبد النبي الذي كان حياً سنة 1286 / 1869، والفقيه محمد بن المختار الترعي المتوفى سنة 1292 / 1875، والفقيه أحمد بن محمد الترغي الذي كان يزاول خطة العدالة سنة 1301 / 1884، والفقيه عبد السلام بن المصطفى الترغي الذي وافته المنية سنة 1319 / 1901، والفقيه عبد الخالق الترغي الذي كان حياً سنة 1324 / 1906، والفقيه عبد العزيز بن أحمد الترغي المتوفى سنة 1326 / 1908، والفقيه أحمد بن عبد السلام الترغي الذي كان يزاول خطة العدالة سنة 1327 / 1909. ومازالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

الترغي، أحمد بن حجون، من العلماء، كان إماماً وخطيباً بجامع ترغة، وهو دفين بساحتها.

الترغي، أحمد بن **علي** بن الحسن بن أحمد الزياتي الغماري، له تقييد على *الأرجوزة* المشهورة في فقه الذكاة المنسوبة للشيخ ابن بشير التي تبتدئ بقوله :

علم الذكاة خذه باليقين   وذاك فرض من فروض الدين
لأنه لأكلنا نستوجبه   والأكل لا يحل إلا طيبه

لا يعرف تاريخ وفاته ولا ميلاده، ولا العصر الذي كان يعيش فيه.

الترغي، أحمد الغزال، الصوفي الأندلسي من رجال القرن السادي (12 م).

الترغي، أقنين كان عالماً جليلاً، وفقيهاً مفتياً، له تضلع في نوازل الفقه، كانت له خزانة تضم نوادر المخطوطات الفقهية، من بينها *ذخيرة القرافي*، وكانت عمدته في كثير من فتاواه، فأنكر عليه فقهاء تطوان وجودها، واتهموه بالتدليس، فحملها إليهم على أتان له وأطلعهم عليها، فطأطأوا الرؤوس. انتقل في أخريات حياته إلى بني سالم حوز تطوان وتوفي هناك في حدود منتصف القرن الرابع عشر (20 م).

الترغي، عبد الرحيم بن أحمد الشهير بالقنائي، أنهى دراسته بسبتة، ثم شد الرحال إلى أقطار المشرق، وانتهى به المطاف إلى صعيد مصر، فأسس هناك طريقته المعروفة بالطريقة القنائية، ولا يزال لها أتباع حتى اليوم. توفي عام 592 / 1195.

الترغي، محمد بن يوسف المستاري، والمستاريون أحد الفروع التي استوطنت حول ترغة، وأصلهم ـ فيما يبدو ـ من بني مستارة إحدى القبائل الجبلية المجاورة لوزان.

ولد محمد الترغي بفاس، ولعل القادم إليها والده يوسف ـ وهو أستاذ مقرئ (ت. 1000 / 1591)ـ، وربما كان له الفضل الأكبر في تكوين ولده محمد، وهو الذي حبب إليه علوم القرآن.

أخذ محمد الترغي بفاس عن أبي نعيم رضوان الجنوي، وأبي عبد الله الخروبي، وأبي القاسم ابن ابراهيم الدكالي، وأبي الحسن علي بن عيسى الراشدي، وآخرين. ثم انتقل إلى مراكش، وبها قضى جل حياته، كان أستاذاً مجوداً، عارفاً بالمقارئ السبعة، محققاً فيها، مع المشاركة في غيرها من العلوم والفنون، وهو مؤدب أولاد الملوك، شدت الرحال للأخذ عنه، وتزاحمت الركبان على بابه، وعنه انتشرت القراءات بالمغرب ـ على عهده ـ بسائر طرقها، ولم يشتغل بالتأليف، وإنما تآليفه تلاميذه الذين يعدون بالعشرات، من أشهرهم التملي محمد المرابط، أحمد بن سعيد صاحب *كتاب الصنعة، في التجويد وقراءات السبعة* وسواهم.

وقفت لمحمد الترغي على أجوبة في مسائل مختلفة من علم القراءات كتب إليه في ذلك تلميذه محمد المرابط، وتتلخص أسئلته فيما يلي :

1 ـ الوقف على عظيم من قوله تعالي ـ في قصة بلقيس ـ (ولها عرش عظيم).

2 ـ هل تفخم الراء في قوله سبحانه : (يستأخرون).

3 ـ هل ترقق الراء في قوله تعالى : (قل إن افتريته)، (فأغرينا) (وجرين)، (بشرين)، (البحرين) ؟

4 ـ هل ألف (أنا) من قوله تعالى : (إن أنا إلا نذير): تثبت في النطق أم لا ؟

5 ـ ما هو مخرج الضاد والظاء ؟ وما النطق الصحيح

في ذلك ؟ وكانت خلاصة جوابه أن الثابت عن ورش : تفخيم الراء في (يستأخرون) وأن الراء في كل الكلمات السابقة مفخمة، وأما إثبات ألف (أنا)، فقد اختلف القراء في ذلك إلى آخر ما أورد في أجوبته.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 267 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان* ؛ م. الإفراني، *الصفوة* ؛ م. الكتاني، *السلوة* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الاعلام* ؛ س. أعراب، *القراء والقراءات بالمغرب*.

سعيد أعراب

التّرفاس، لفظ أمازيغي يطلق على أنواع من جنس فطور درنية تشبه الكمء (أو الكماءة أو لفت الرعد) أو Truffes بالفرنسية، وهي تنبت وتتكاثر تحت الأرض في تكافل مع جذور بعض النباتات المنتمية إلى فصيلة القستوسيات.

والترفاس أو ترْفيسْيا أفريكَانَا (Terfezia Africana) أو ترفيسيا ليونيس (Terfezia leonis) (نسبة إلى الحسن الوزان الملقب بليون الافريقي الذي تكلم عن الترفاس في وصفه لافريقيا) فطر كروي في حجم البطاطيس، ذو لحم أبيض لذيذ الطعم، ومحبب عند أغلبية الناس الذين لا تفوتهم غالبا فرصة شرائه حتى وإن كان ثمنه مرتفعا، وذلك لاستعماله وحده أو مع اللحم أو البطاطيس أو غير ذلك لتهييئ أنواع من "الطاجين" المفضل عند المغربي. ويعرف اليهود المغاربة بارتباطهم الكبير وولوعهم الشديد بالترفاس.

ينمو الترفاس في المناطق الرملية من المغرب مثل غابة المعمورة والسهول غير المزروعة الممتدة في الهضاب العَليا من المغرب شريطة أن تعرف هذه الأخيرة سقوط أمطار كافية لتكاثر هذه الفطريات في مصل هذه المناطق الجافة. وفي هذه الظروف يتكاثر الترفاس في فرجات غابة المعمورة بجانب أشجار البلوط أو بجانب الحلفاء أو الشيح في المغرب الشرقي أو بجانب نباتات مختلفة في مناطق أخرى.

وهكذا تزدهر التجارة المتعلقة بالترفاس في المناطق التي يتكاثر بها، فنصادفه في الأسواق أو عادة على جوانب الطرق حيث نرى البائعين يلبسونه غشاء من الطين المبلل للحفاظ عليه نظرا لكونه لا يتحمل الهواء الطلق.

استطلاع ميداني.

H.P.J. Renaud et G.S. Colin, *Tuhfat Al Ahbab*, Paris, 1934.

عبد المالك بنعبيد

التّرق L'Huitre، جنس من أجناس الرخويات، ثنائيات الصدفة، صفيحيات الخياشيم، يعيش في مياه البحر، في البحيرات المالحة أو في مصبات الأنهار حيث يتحمل تغيرات عالية للملوحة.

يتكون جسم الترق من مضغة تحميها صدفتان دائريتا الشكل عند نوع Crassostrea edule وثلاثية الشكل عند معظم الأنواع الأخرى. تنتج هاتات الصدفتان عن إفرازات خاصة. يتغذى الترق بالأساس بالمواد العضوية العالقة في الماء يصفي كميات هائلة منه فيبقي على المواد الصالحة لتغذيته داخل جسمه ويلقي بالماء مصفّى داخل محيطه. لكذلك يكون الترق أكثر أعدادا في الأوساط التي تحتوي مياهها على كميات كبيرة من المواد العضوية. ونظراً لهاته الخاصية، ولتزيين لونه قبل عرضه للبيع، اعتاد مربو الترق إعطاءه طحالب مجهرية مغذية خضراء من جنس Navieuta داخل أحواض تربيته، فيتغذى عليها لتكسبه لوناً أخضر وطعماً متميزاً يزيد من قيمته الشرائية في السوق ومردوديته. يتنفس الترق كباقي الحيوانات البحرية وبالأخص الرخويات في الماء بواسطة خياشيم مفطحة تمتص الاكسجين مباشرة من ماء البحر.

يعتبر الترق من الحيوانات الثنائية الجنس حيث يحتوي جسم كل فرد على أعضاء تناسلية ذكرية وأنثوية. وإذا كان النوع Crassostrea edule مثلا يتوفر في نفس الوقت على حيوانات منوية وبويضات فإن أنواعا أخرى مثل Crassostrea gigas تكون ذكراً أولا فتلقي بحيواناتها تم تصبح إناثا لتعطي بويضات أنثوية، إلا أنه في غالب الأحيان، بل وعند العديد من الكائنات الحية، فنظراً لقصر عمر البويضات الأنثوية فإن الحيوانات المنوية تنضج قبل البويضات لتلقحها بمجرد نضجها وقبل موتها.

تُلقح البويضات داخل جسم الأنثى عندما تصفي هاته الأخيرة ماء البحر محملة بالحيوانات المنوية من أجل التغذية فتلقي هاته الحيوانات المنوية بالبويضات داخل الجسم فتلقحها ويبدأ تطويرها قبل أن تلقيها خارج الجسم على شكل يرقة عائمة تسبح في الماء لبعض الأسابيع قبل أن تثبت على دعامة ما.

عند بعض الأنواع الأخرى تلقى الحيوانات المنوية والبويضات في الماء وتحملها التيارات البحرية لتلتقي فيما بينها وتتلاقح عن طريق الصدفة، كالعديد من الحيوانات التي تلد عن طريق البيض وخاصة منها التي لا تحضن بيضها وإنما تلقيها في الماء، يلد الترق ويلقي في الماء بأعداد هائلة من البيض تزيد من نسبة بلوغ البعض منها إلى سن متقدم. وهكذا يمكن أن يبلغ عدد البيض الذي يلقيه كل فرد من الترق ما بين خمس مائة ألف وعشرين ألف بُويضة ملقحة يضيع العديد منه ولا ينجو إلا القليل منها.

تعتبر تربية الترق من أهم الصناعات الغذائية ومن أهم الاستثمارات مردودية ويتعاطى لهاته الصناعة العديد من المنتجين في بعض البحيرات المالحة سواء منها المتوسطية أو الأطلسية. فلقد دخل الترق في العادات الغذائية في المغرب منذ بداية هذا القرن تقريباً أي حوالي سنة 1920 إلا أن تناوله من طرف العائلات المغربية بقي جد محدود حيث كان الترق كأن يستورد من بعض الدول الأوربية كفرنسا والبرتغال فيخزن بالسواحل المغربية قبل أن يتم بيعه من جديد مما خلق تجارة مربحة نتج عنها محاولات لتربية الترق في بعض البحيرات سنة 1952 ثم الشروع في استثمارات

داخل بحيرة الوليدية سنة 1956.

اقتصرت تربية الترق في بداية الأمر على نوعين اثنين هما : Crassostrea angulata وCrassostrea gigas إلا أن نهاية الصدفة الأخيرة أعطت مع مرور الوقت مردودية أكثر فأصبحت بالتالي أكثر إثارة لاهتمام المستثمر في تربية الترق. أما على الساحل المتوسطي فإن تربية الترق وخاصة النوع البلدي Crassostrea edule، لازالت حديثة العهد نسبيا حيث لم يبدأ الاستثمار ببحيرة الناظور مع إنشاء شركة ماروست MARST لتربية الأحياء المائية سنة 1985. والجدير بالذكر أن معظم إنتاج هاتين الوحدتين مخصص بالأساس للتصدير وخاصة في بعض المناسبات كرأس السنة الميلادية حيث تُكون وجبة الترق إحدى خصائص هاته المناسبة عند المسيحيين.

يتوفر المغرب على بعض أنواع الترق إلا أن أهمها والتي لها قيمة تجارية نذكر منها Crassostrea edule وCrassostrea gigas وCrassostrea angulata إلا أن النوع الأول يبقى النوع الوحيد البلدي، أما النوعان الآخران أي الترق البرتغالي C. angulata أو الترق الياباني C. gigas تبقى مستوردة.

C. Bellon-Humbert, *Les mollusques marins testacés du Maroc, premier supplément*, Rabat, n° 37, 1973 ; *Sciences, Alfa sciences*, n° 28, 1974 ; P. S. Gart, *The American oyster, Fish. Bull.* vol. 64, 1964 ; J.C. Medcof, *Oyster Farming in the Maritimes, Fish. Res. Canada Bull.* 131, 1961 ; O.M.F. Ghallahi, *Essai experimental d'élevage de l'huitre plate (O. edulis) dans la côte atlantique marocaine : Lagune de Moulay Bousselham et l'estuaire de Tahadart*, Rabat, Mem. IAV, 1989 ; J. Williams et A. Mkadmi, *Possibilités d'expansion dans l'ostreiculture dans la lagune de Oualidia (Maroc)*, Mem. IAV, 1985.

محمد منيوي

الترقي (جريدة ـ)، لما تقرر نقل مقر جريدة *السعادة* من طنجة إلى الرباط (أبريل 1913)، تأسست في نفس التاريخ بمدينة البوغاز صحيفة أخرى تحمل عنوان *الترقي*، وذلك للاستمرار في مهمة زميلتها الراحلة. لكن لم ترق الجريدة الجديدة قط إلى مستوى *السعادة* من حيث النفوذ، بل إن الأوضاع التقشفية التي فرضها سياق الحرب العظمى قد قلص من حجمها وجعلها مجرد وريقة متواضعة جدا تصدرها إدارة الجريدة الفرنسية لاديبيش ماروكين La Dépêche Marocaine.

لما اشتدت شرارة الحرب وعظم معها دور الإعلام، ارتأت وزارة الخارجية الفرنسية أن تنعش جريدة الترقي لتقوم بدور دعائي فعال للدفاع عن المصالح الفرنسية. وهكذا، تلقت *الترقي* ابتداء من يناير 1916، مساعدات مادية مهمة مكنتها من الصدور في حلة جديدة والوصول بالمجان إلى عدد من القراء بمختلف مناطق المغرب. وكذا بالجزائر وتونس ومصر.

ويكمن الدور الأساسي *للترقي* أثناء الحرب في إظهار ازدهار المغرب تحت رعاية فرنسا بالرغم من وطأة الظروف الاستثنائية، كما عملت الجريدة على جلب تعاطف قرائها لصالح فرنسا ضد أعدائها، خاصة الألمان. وبالإضافة إلى خلاله فالترقي كانت مطالبة أيضا بعدم ترك المنطقة الشمالية من المغرب ساحة فارغة أمام الدعاية الإسبانية المتمثلة في جريدتين عربيتين، *الأولى بطنجة هي الحق*، والثانية بتطوان هي *الإصلاح*.

كانت مواد *الترقي* مستلهمة أساسا في محتويات لاديبيش ماروكين، فتحرر أولا بالفرنسية، ثم تترجم بعد ذلك إلى العربية.

توقفت *الترقي* عن الصدور سنة 1925 م بعد أن استقرت ظرفية جديدة على الصعيدين المحلي والدولي، لم تعد معها الحاجة ماسة إلى استمرارها.

جامع بيضا

الترقية (في الوظيفة العمومية). يرتب موظفو الدولة المغربية في أحد عشر سلماً من سلاليم الأجور، تبتدئ من السلم الأول وتنتهي بالحادي عشر. ويحتوي كل سلم على عشر درجات مرتبة من الأولى إلى العاشرة بالإضافة إلى درجة استثنائية توجد خارج السلاليم بعد الدرجة العاشرة تسمى خارج الاطار أو خارج السلم.

وتتم ترقية كل موظف من موظفي الدولة داخل السلم الذي ينتمي إليه من بداية التحاقه بالعمل إلى نهاية مدة خدمته في الوظيفة العمومية طبقا لنفس الترتيب. وكلما التحق الموظف بسلم أعلى بواسطة امتحان مهني أو مباراة أو شبهها تخصم منه درجة واحدة، وقد يتكرر ذلك مرتين أو أكثر كلما انتقل من سلم إلى سلم آخر.

وتتخذ الترقية بالنسبة لجميع السلاليم ثلاثة أشكال. فهي تكون إما بالامتياز أو بنصف الامتياز أو بالأقدمية حسب اجتهاد الموظف ومردوديته. ويتم ذلك بناء على تنقيط يمنحه الرؤساء المباشرون أو المفتشون أو غيرهم لمن هم إلى نظرهم وتحت إشرافهم. واعتماداً على هذا التنقيط تختلف مدة الترقية من درجة دنيا إلى درجة أعلى في سلم الموظف على الشكل التالي :

الدرجة	الامتياز	نصف الامتياز	الأقدمية
الدرجة 1 إلى الدرجة 2	سنة	سنة	سنة
الدرجة 2 إلى الدرجة 3	سنة	سنة ونصف	سنتان
الدرجة 3 إلى الدرجة 4	سنتان	سنتان ونصف	3 سنوات
الدرجة 4 إلى الدرجة 5	سنتان	سنتان ونصف	3 سنوات ونصف
الدرجة 5 إلى الدرجة 6	سنتان	سنتان ونصف	3 سنوات ونصف
الدرجة 6 إلى الدرجة 7	3 سنوات	3 سنوات ونصف	4 سنوات
الدرجة 7 إلى الدرجة 8	3 سنوات	3 سنوات ونصف	4 سنوات
الدرجة 8 إلى الدرجة 9	3 سنوات	4 سنوات	4 سنوات ونصف
الدرجة 9 إلى الدرجة 10	4 سنوات	5 سنوات	5 سنوات ونصف

ويتقاضى موظفو الدولة في أي سلم كانوا أجرة شهرية مقابل الأعمال التي يقومون بها تناسب الدرجة التي يوجدون فيها. تتكون هذه الأجرة من شقين : راتب أساسي وتعويضات مختلفة. ويتم احتساب الراتب الأساسي باعتبار النقطة الاستدلالية المطابقة لكل درجة في كل سلم

من سلاليم الأجور كما توضح شبكة الأرقام الاستدلالية التالية La grille indiciaire :

ملحوظة : يشير الرقم الأعلى المقابل لكل درجة في كل سلم إلى الرقم الاستدلالي ويدل الرقم الأسفل على الراتب الأساس.

السلم / الدرجة	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	خارج السلاليم
1	107 8519.34	109 8678.58	112 8917.44	115 9156.3	117 9315.54	119 9474.71	122 9713.64	124 9872.88	126 10032.12	128 10191.36	131 10430.22
2	119 9474.78	124 9872.88	128 10191.36	133 10589.46	136 10828.32	139 11067.18	144 11465.28	148 11783.76	153 12095.76	158 12350.36	
3	126 10032.12	130 10350.6	134 10669.08	139 11067.18	146 11624.52	153 12095.76	161 12503.12	170 12961.4	175 13216	181 13521.52	
4	131 10430.22	135 10748.7	140 11146.8	147 11704.14	154 12146.68	162 12554.04	171 13012.32	179 13419.68	188 13877.96	200 14489	
5	137 10907.94	141 11226.42	150 11943	157 12299.44	165 12706.8	174 13165.08	183 13623.36	192 14081.64	201 14539.92	220 15507.4	
6	151 11993.92	161 12503.12	123 13114	185 13725.2	197 14336.24	209 14947.28	222 15609.24	236 16322.12	249 16984.08	262 17646.04	
7	177 13317.84	193 14132.56	208 14896.36	225 15762	242 16627.64	260 17544.2	277 18409.84	291 19122.72	305 19835.6	318 20497.56	
8	207 14845.44	224 15711.08	241 16576.72	259 17493.28	276 18358.92	293 19224.56	311 20141.12	332 21210.44	353 22279.76	373 23298.16	
9	235 16271.2	253 17187.76	274 18257.08	296 19377.32	317 20446.64	339 21566.88	361 22687.12	382 23756.44	404 24876.68	438 26607.96	
10	275 18308	300 19581	326 20904.92	351 22177.92	377 23501.84	402 24774.84	428 26098.76	456 27524.52	484 28950.28	512 30376.04	564 33023.88
11	336 21414.12	369 23094.48	403 24825.76	436 26506.12	472 28339.24	509 30223.28	542 31903.64	574 33533.08	606 35162.52	639 36842.88	704 40152.68

وتوضح شبكات الرواتب الأساسية الواردة أعلاه في شبكة الأرقام الاستدلالية الراتب الأساسي المطابق لكل درجة في كل سلم، وهي تحتسب بشكل سنوي. وبعد قسمتها على اثني عشر شهراً تصبح الأجرة شهرية فيتلقاها الموظف على شكل راتب شهري مكون من الراتب الأساسي والتعويضات.

ويعادل الراتب الأساسي للموظف القدر الناتج عن ضرب القيمة السنوية للنقطة الاستدلالية (وهو 50،92 درهماً) في الرقم الاستدلالي الحقيقي المطابق لوضعية العون. وابتداء من فاتح يوليوز 1981 أضيف إلى الراتب الأساسي مبلغ 18،01 درهما عن النقطة الاستدلالية بالنسبة للأرقام الاستدلالية الحقيقية المتراوحة بين 1 و150 وكذا بالنسبة للمائة والخمسين نقطة الاستدلالية الأولى إذا كان الرقم الاستدلالي الحقيقي للموظف يتجاوز 150. وهذا يعني أن للنقطة الاستدلالية قيمتين : قيمة أولى قدرها 68،93 درهما للمائة والخمسين نقطة الأولى فما أقل، وهي ناتجة عن إضافة 50،92 درهما إلى 18،01 درهماً، وقيمة ثانية قدرها 50،92 درهماً لكل نقطة تفوق المائة والخمسين نقطة الأولى. وبناء على ذلك يمكن احتساب الراتب الأساسي المقابل لكل درجة في كل سلم من سلاليم الوظيفة، ما لم يطرأ تغيير على القيم الحقيقية للأرقام الاستدلالية والنقط المقابلة لها. وبعد احتساب الراتب الأساسي تضاف إليه مختلف التعويضات لتشكيل الراتب الاجمالي. نستدل على ذلك بثلاثة نماذج من الموظفين نحسب رواتبهم الأساسية فيما يلي دون إدخال التعويضات الممنوحة لهم :

السلم	الدرجة	رقمها الاستدلالي	الراتب الأساسي السنوي	الراتب الأساسي الشهري
9	5	317	1) 317 - 150 = 167 2) 150 x 68،93 = د 10.339،5 درهما 3) 167 x 50،92 = د 8.503،64 درهما 4) المجموع = 18.843،14 د	18.843،14 / 12 = 1.570،26 درهما
10	5	377	1) 377 - 150 = 227 2) 150 x 68،93 = د 10.339،5 درهما 3) 227 x 92،50 = د 11.558،84 درهما 4) المجموع = 21.898،34 د	21.898،34 / 12 = 1.824،86 درهما
11	5	472	1) 472 - 150 = 322 2) 150 x 68،93 = د 10.339،5 درهما 3) 322 x 50،92 = د 16.396،24 درهما 4) المجموع = 26.735،74 د	26.735،74 / 12 = 2.227،97 درهما

عبد الرحمن البكريوي، *الوجيز في القانون الإداري المغربي*، الرباط 1990 ؛ محمد مرغني، *المبادئ العامة للقانون الإداري المغربي*، الرباط 1984 ؛ جمعية تنمية البحوث والدراسات الإدارية، النصوص الإدارية، *الوظيفة العمومية والاصلاح الإداري، تشريعات وقوانين تنظيمية*، الرباط، 1987 ؛ عبد القادر باينة،

القانون الإداري، القضاء الإداري، الرباط 1981 ؛ خالد المير وإدريس قاسمي، *التشريع الإداري والتسيير التربوي*، الدار البيضاء 1982.

A. Benjelloun, *Droit administratif, l'organisation administrative*, Rabat, 1984 ; Ministère des Affaires Administratives, *La fonction publique*, Rabat, 1981 ; A. Hatim, *La notion d'intérêt du service dans le droit de la fonction publique marocaine*, D.E.S. en Sc. Jur. Econ. et Soc. Rabat, 1988; J. M. Breton, *Droit de la fonction publique des états d'Afrique francophone*, Paris, 1990 ; E. Ayoub, *La fonction publique*, Paris, 1975.

محمد بوسلام

الترقيم بالمغرب، تستعمل في المغرب الأرقام العربية، وهي قريبة الشبه بالأرقام الغبارية التي استعملت في العصر الوسيط بالأندلس والمغرب والتي اشتقت منها الأرقام الأوربية الحالية ويرى الأستاذ "كاي" أن الأرقام النجارية هاته يعود أقدمها إلى مخطوط من (تورخيد) عام 198 / 813 م وآخر من (كوجرات) عام 253 / 867 م وهو تاريخ وصول أول مثال عن الأرقام الهندية إلى العالم العربي، في حين أقدم وثائق الأرقام الغبارية يعود إلى عام 261 / 874 م و275 / 888 م.

غير أن هنالك ما يشير إلى استعمال الهنود لهذه الأرقام بما في ذلك الصفر منذ القرن الخامس الميلادي على الأقل وقد أشار "ارياباطا" إلى هذه الأرقام بصفرها قبل ذلك حيث عاش أوائل القرن الرابع، غير أن تحديد شكل الصفر هل هو نقطة أو دائرة يظل دائماً موضوع خلاف.

ويذكرون أن أوراق البردي المصرية القديمة الراجعة إلى القرن الثالث الهجري قد استعملت الأرقام "الغبارية". ولكننا نتساءل لماذا لم يتابع المصريون في القرون التالية استعمال هذه الأرقام حيث عدلوا عنها - إذا صح أنها استعملت حقيقة - إلى الأرقام الهندية أو العربية المستعملة الآن في الشرق.

ويظهر أن الأرقام الهندية قد أدخل عليها منذ القرن الرابع الهجري تعديل كما يلاحظ ذلك في رحلة البيروني عن الهند (440 / 1043 م).

واتسعت الصورة الجديدة للأرقام عند البيروني بما عرفت به بعد ذلك عند ابن الياسمين بالمغرب، وخاصيتها الأساسية هي الشكل الدائري للصفر الذي ظل مطموسا عند المشارقة عدا البعض أمثال محمد بن موسى الخوارزمي.

والخوازمي هذا أحد منجمي المامون اعتمد في مؤلفاته الحسابية على الهندوس منها *العمل بالأسطرلاب* وهو من جملة الخمسمائة رياضي وفلكي من العلماء العرب الذين ذكرهم "زوتر" في كتابه *رياضيو العرب وفلكيوهم وأعمالهم* وتدل المصادر العربية على أن ما يسمى في المغرب بالأرقام الغبارية هي نفسها الأرقام العربية حيث يوجد في الخزانة العامة بالرباط مخطوط تحت عنوان : *تلقيح الأفكار في العمل برسم الغبار* (رقم 222 ك) من تأليف أبي محمد عبد الله أو عبد الرحمن بن حجاج المعروف بابن الياسمين الذي ولد بفاس أواسط القرن السادس وهو بربري من بني حجاج بقلعة فندلاوة، أخذ العلوم الرياضية عن شيخه محمد بن قاسم وقد قال ابن الآبار في *التكملة* : "وله *أرجوزة في الجبر* قرئت عليه وسمعت منه باشبيلية في سنة 587" (ص. 531) وكان أحد خدام المنصور وولده الناصر كما في *الذخيرة السنية*، وقد وجد ذبيحاً بمراكش سنة 600 أو أوائل 601 هـ، وتوجد نسخ من *أرجوزته في الجبر والمقابلة* بخزائن باريز وبرلين وأكسفورد والاسكوريال والقاهرة، ومن شراح الأرجوزة حسب بروكلمان ابن الهائم المتوفى سنة 815 / 1412 م (وهو مخطوط باكسفورد والقاهرة) والقلصادي المتوفى عام 892 / 1486 م وهو صاحب *كشف الأسرار عن حروف الغبار*، خ. ع 14111 د. واسم شرح القلصادي *تحفة الناسمين في شرح أرجوزة ابن الياسمين*، (مخطوط بخزانة مكتبة الهند بلندن والخزانة العامة بالرباط) وسبط المارديني المتوفى سنة 900 / 1494 م ويسمى *اللمعة الماردينية في شرح الياسمينية* (مخطوط ببرلين والقاهرة وأسطمبول) وله *أرجوزة في أعمال الجذور* توجد بخزانة الاسكوريال (راجع بحث الأستاذ محمد الفاسي مجلة *رسالة المغرب* سنة 1942 السنة الأولى عدد 1) وممن شرح الأرجوزة سعيد العقباني التلمساني الملقب برئيس العقلاء (*نيل الابتهاج*، ص. 106).

وكتاب *تلقيح الأفكار* هذا يعتبر أقدم وثيقة تحدثت عن أعداد الغبار وأكدت أنها مغربية أي عربية الأصل.

ونحن لا ننكر أنه كان هنالك اتصال للعرب المشارقة بالهندوس منذ عهد الخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان واتصال المغاربة بالإغريق ربما عن طريق السريان في آسيا الصغرى وكذلك عن طريق الرحلات خاصة في نطاق دعوة ملوك المغرب والأندلس لعلماء اليونان واتقان علمائها بالأندلس خاصة لليونانية واللاتينية مما جعل ابن حزم يؤكد في *جمهرته* أنه لم ير رجلين اثنين من علماء الأندلس لا يتقنان هاتين اللغتين بالإضافة إلى الضلاعة في لغة الضاد، غير أن الاتصال ليس معناه الاقتباس لأن الإغريق لم تكن لهم في الحقيقة طريقة منظمة لكتابة الأعداد وإنها اعتمدوا في الأصل على المنهج المصري القديم مع الرمز لها بالحروف الأبجدية. فكيف يعطون ما ليس لديهم ؟

وفي خصوص مصدر الأرقام العربية توجد نظريتان أولاهما كلاسيكية مشهورة يدعو إليها ثلة من الغربيين فيهم "ويبك" و"سميث" و"نالينو" و"ديرنجر" وهي نسبة هذه الأرقام إلى الهنود الذين يرجع إليهم الفضل في إبداع طريقة التعداد بالأرقام والمراتب على النظام العشري وعنهم أخذ العرب الذين يعترف علماؤهم بذلك كالمسعودي والبيروني. هذا في حين أن بعض العلماء أمثال "كارا دي فو" و"كاي" و"كولان" يرون أن مبدأ الترقيم يعود إلى الرياضيين اليونانيين حيث يرى "كارا دي فو" أن كلمة هندي راجعة إلى الكلمة الفارسية بمعنى قياس في الحساب والهندسة أو أنها من هندسي (الهندسة والحساب) ولذلك فنظام الترقيم في نظره هو عمل أتباع أفلاطون

وفيتاغورس، ومن ثم انتقلت هذه الطريقة حسب زعمهم للأمم اللاتينية وللفرس الذين نقلوها بدورهم للعرب والهنود معا بعد الفتح الإسلامي. تلك نظرية الذين يبحثون دائما عن منفذ إلى أصالة الغربيين المزعومة في كل شيء.

ويزيد "كولان" الأمر تدقيقاً فيزعم - تخمينا - أن الأرقام العربية اشتقت من الأحرف اليونانية ذات الدلالة الرقمية وأن الفرق بين الأرقام الهندية والغبارية هو أن الأولى تشتق مباشرة كالثانية من الأصول اليونانية بل إنها جاءت للغربيين عن طريق الهنود الذين نقلوها بدورهم عن اليونان.

ولعل الأرقام العربية ظهرت لأول مرة بأوربا في مخطوط للهندسة تحت اسم مستعار (بويس) يعود تاريخه للقرن الحادي عشر الميلادي ولها أشكال الأرقام الغبارية التي استعملتها أوربا والتي يتبين من بعض الأشكال المعروضة في هذا المجال أنها ليست هي التي يستعملها العرب الآن حيث أن جيربير (Gerbert) وتلاميذه لم يعرفوا الصفر. فالمخطوط الأوربي الأول الذي ظهرت فيه هذه الأرقام يرجع إلى عام 366 / 976 م وقد نشر مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط أشكالا لذلك، وقد أكد المؤرخ الانجليزي "كيوم دوما ليسيوري" وهو من رجال القرن الثاني عشر الميلادي أن جيربير تتلمذ للعرب بالأندلس.

ويقال بأن جيربير هذا هو الذي أدخل الحروف العربية إلى أوربا معجبا بمعجزة الصفر التي هي من إبداع الفكر العربي وتركت أثرها العميق في نفسية الرياضيين أمثال "اديلارت" الانجليزي و"جيرار كريمونو" الإيطالي، وقد توهم البعض أن "جيربير" هذا الذي اعتلى (عام 999 م / 390 هـ) كرسي البابوية باسم سيلفتر الثاني (Sylvestre II) قد درس في جامعة القرويين وبها تعرف على الأرقام الغبارية ونقلها إلى أوربا إلا أن هذا لم يصح بل إن اتصال "جيربير" بمعاهد قرطبة أقرب إلى الواقع.

إذا قلنا بأن الأرقام المشرقية الحالية والأرقام الغبارية المغربية كلاهما من أصل هندي فإن ذلك يرجع إلى تعدد أشكال الأرقام الهندية تبعا للمناطق بالهند، كما لاحظ ذلك البيروني ولعل العرب اكتفوا من هذه الأشكال بصنفين فقط نتج عنهما الطريقتان المشرقية والغبارية المغربية إذا صح أن هذه ليست عربية أصيلة.

وقد أكد ابن الحباك محمد بن أحمد التلمساني (867 / 1462 م) في شرح *تلخيص أعمال الحساب لابن البنا* (ص. 21) أن حساب الغبار من وضع الهنود الذين كانوا يتصرفون به في غبار مبسوط على لوح وأشكالها تسعة.

وفي ذلك إشارة إلى عادة رش الغبار على الألواح المستعملة لإجراء الحساب ليمكن رسمها بالأصبع. والأرجح عند البعض في تعليل هذه التسمية أن هذه الأرقام كانت تكتب بالقلم المسمى "غباري" لدقته بالنسبة للأقلام الأخرى وهو أصلح للحسابات وهذه أيضا نظرية تؤكد انفصال القلم الغباري عن القلم الهندي، وقد أشار أيضاً إلى نوع ثان هو حساب "الجمل" وحساب "أبجد" ونوع ثالث وهو الزمامي المعبر عنه بالقلم الفاسي.

نعم لجأ المغاربة إلى الأرقام الرومانية أحيانا وهي التي عرفت قبل القرن التاسع الهجري واستعملت باسم (الخط الفاسي) حيث استخدمها علماء فاس اختصاراً وحماية للوثائق الهامة من التدليس ولعلها مستعارة من الكتابة الاغريقية واقتصر استعمالها على حسابات المواريث وحوالات الوقف وجداول وأزياج الفلك، وقد نص صاحب *تاريخ الرياضيات* على أن أول من دعا لاستخدام الأرقام الغبارية "ليوناردو فنشي" حيث ظهرت منقوشة في عملة سويسرا عام 828 / 1424 م وفي النمسا سنة 889 / 1484 م وفي فرنسا عام 890 / 1485 م وفي ألمانيا سنة 895 / 1489 وفي اسكتلندا عام 946 / 1539 م وفي انجلترا عام 958 / 1551م واعتمدت لأول مرة في التقويم عام 924 / 1518 (تقويم كوبل)، وهذا الزعم لا يصح لأن "ليوناردو" ولد عام 856 / 1452 وتوفي عام 925 / 1519 فهو قد وجد الأرقام العربية قد أخذت طريقها في المسار الحضاري الإنساني بأوربا قبل ذلك بخمسة قرون وإنما زاد هذا الانتشار دعما نظرا لمكانته العلمية عند الغربيين ومعلوم أن ليوناردو فنشي كان صديقا لفردريك الثاني الامبراطور الجرماني وكان كلاهما معجبا باللغة العربية وقد تتلمذ ليوناردو لعلماء العرب واقتبس الأرقام العربية من مؤلفاتهم في الجبر والمقابلة والحساب، وهو يعتبر أعظم من نشر العلوم الرياضية انطلاقا من منبعها العربي بواسطة الأرقام التي غير العرب شكلها وصورتها.

فعروبة الأرقام المستعملة الآن في أوربا والمغرب قد تكون غير أصيلة نظراً لطابعها الهندي المحتمل، غير أن هنالك فرقا بين الشكل الهندي الأول وبين ما أصبح العرب يستعملونه من أرقام وصفتها أوربا بأنها عربية، فكان ذلك مبرراً لهذه التسمية التي درج عليها الغربيون إزاء الأرقام المعدلة من طرف العرب خاصة بالأندلس وجزر البحر المتوسط منذ العصور الوسطى. ومهما يكن فإن الوطن العربي في حاجة الآن إلى أن يوحد اختياراته مع العالم الحديث في هذا المجال لا سيما وأن مناطق عربية شاسعة تستعمل منذ عدة قرون ما تستعمله أوربا من أرقام تصفها هذه بأنها عربية فلو كان الغربيون يستخدمون وحدهم هذه الأرقام لتساءلنا لماذا نعطي الأسبقية لهذه على تلك. وقد أبرزت وثيقة وردت على مكتب التعريب من وزارة الاعلام بدولة الكويت ضرورة تصميم هذه الحروف المستعملة في أوربا لأسباب أساسها وجوب التركيز على دواعي الوحدة الثقافية والعلمية وحتى السياحية على الصعيد العالمي. وقررت حكومة العراق التخلي عن الأرقام المشرقية واعتماد الأرقام العربية فأثار هذا القرار تساؤلات عن مستقبل الأرقام المشرقية. وقد ظهرت دراسات لعلماء عرب خاصة بمصر أبرزت أصالة الأرقام المستعملة اليوم لدى الغربيين كأرقام عربية.

وسبق لمجمع اللغة العربية بالقاهرة أن أحال كتاب لجنة

الرياضة في هذا المجمع على مجلس الاتحاد في خصوص اقتراح إحلال الأرقام الغبارية المستعملة في المغرب العربي محل الأرقام الهندية المنتشرة في جميع بلاد المشرق العربي بحجة أن الأولى هي الأرقام العربية الأصيلة. كما سبق أن انعقدت عام 1383 / 1963 م بتونس حلقة لتوحيد الأرقام العربية حضرها ممثلون وملاحظون عن الدول العربية وجامعتها تدارسوا تطور هذه الأرقام في مختلف مراحل التاريخ العربي وقد توصلت هذه الحلقة إلى ما حقق لديها أصالة هذه الأرقام مؤكدة ضروره الاقتصار عليها في العد والترقيم والتزمت الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية آنذاك بإصدار تعليماتها إلى سائر الدول العربية لضمان هذه الوحدة.

وقد تحدث الأستاذ أنور بكير مدير المكتب الدائم للاتحاد البريدي العربي في بحث له عن الأرقام العربية الأصيلة (ويقصد بها الأرقام الغبارية) وضرورة استخدامها في أختام البريد بدلا من الأرقام العربية الحالية التي هي أرقام هندية، كما أشار إلى الاتفاقية البريدية العالمية التي تقضي باستعمال الأرقام العربية المستخدمة الآن بأوربا، وقد أصدر مؤتمر الرياض عام 1380 / 1960 توصية للبلاد العربية للعمل بقدر الإمكان على استخدام الأرقام الغبارية في شكلها الحالي المستعمل بالمغرب العربي وبأوربا وبقية أجزاء العالم وخلال المؤتمر الثاني للتعريب بالجزائر (1393 / 1973) أحيلت القضية على اللجنة المكلفة بدراسة موضوع الأرقام والرموز بحضور أساتذة كبار يمثلون جميع الأقطار العربية.

وبعد تبين وجهات النظر المختلفة ارتأت اللجنة أن توصي باستعمال الأرقام العربية للأسباب الآتية :

أ - أن هذه الأرقام هي عربية في الأصل ومازالت تحمل في أوربا اسم "الأرقام العربية" وهي لاتزال مستعملة في أكثر أقطار المغرب العربي.

ب - أن استعمال هذه الأرقام يحل كثيراً من المشاكل التعليمية والفنية وذلك لأنها ستغني عن ترجمة كثير من الجداول الرياضية في مختلف العلوم، وستيسر على الطلاب المشتغلين في العلوم قراءتها في مظانها علماً بأن صور هذه الأرقام تكاد تكون عالمية.

ج - أن استعمال هذه الأرقام سيحل مشكلة الصفر الذي يرسم بطريقة الأرقام الهندية المستعملة حاليا بهيئة نقطة كثيرا ما أدى تناهيها في الصغر إلى الوقوع في الخطأ.

د - هذا علما بأن استعمال هذه الأرقام العربية لم يكلف المتعلم العربي أكثر من تعلم تسع صور للأرقام إضافة إلى الصفر هو أمر سهل جداً.

فيفري، *الأرقام العربية*، *اللسان العربي*، عدد 2. 1384 - 1965 ؛ *المجلة الأسيوية*، ص. 35 و518 (عام 1801 هـ / 1883 م) ؛ هسبريس، م 44 (3 - 4) عام 1657 ؛ مجلة *الهلال*، 1963 (ص. 356)؛ القلقشندي، *صبح الأعشى* ؛ أ. سكبرج، *إرشاد المتعلم والناسي في صفة أشكال القلم الفاسي*، مطبعة الجزائر 1917 ؛ عبد الحميد لطفي (وآخرون)، *تاريخ الرياضيات* ؛ *مجلة اللسان العربي*، الأعداد 2 و4 و12 ج. 1 و15 ج 1.

عبد العزيز بنعبد الله

تركمايت أو تاركمايت، قرية على أحد روافد وادي صياد الأعلى بمنطقة وادي نون. ويطلق اسم تركمايت على أحد روافد الوادي غير بعيد عن تاغاجيجت. ويحمل المدشر المحلي هذا الاسم منذ زمن يصعب اليوم تحديده. وذلك أن إدا أوعفان المقيمين به مايزالون يحافظون على وثائق تثبت مجيئهم من تيغمرت حيث كانوا يمثلون جزءاً من سكان نول لمطة القدماء. وإذا كانت الأحداث قد فرضت الدخول في صفوف أيت النص الذين تتصدرهم قبيلة أيت إبراهيم التكنية (انظر مادة أيت إبراهيم بالمعلمة)، فإن تشبثهم بتاريخهم البعيد مازال محل نقاش ومايزال أيت عفان يجهرون بتملكهم لتيغمرت حيث ماتزال أنقاض تشيشت وحجم المآثر تشهد على عظمة عاصمة وادي نون (انظر مادتي تيغمرت واسرير *بالمعلمة*).

Cl. La Ruelle, Les *Id Brahim* ; V. Monteil, *Les Tekna* ; F.C. De la Chapelle, *Les Tekna*.

مصطفى ناعمي

التركي، أحمد (رايس بحري) عمل في الأسطول المغربي خلال عهد سيدي محمد بن عبد الله في النصف الثاني من القرن الثاني عشر (18 م). كان في سنة 1187 / 1773 يقود غليوطة مجهزة بخمسة مدافع وستة وثلاثين مجذافا، ويرأس طاقما مكونا من خمسين بحاراً، وهي السنة التي تلقى خلالها من باطونييه (Pathonier) نائب القنصل الفرنسي شونييه (Chenier) جواز مرور تمتد صلاحيته من 18 يونيو إلى 8 سبتمبر، لاتقاء الملاحقة الفرنسية. وعقب تلك السنة ترقى إلى مصاف الرياس الأساسيين في البحرية المغربية - رفقة الرايسين السلويين علي الصابونجي والحاج الهاشمي عواد - بظهير تعيين رسمي من السلطان سنة 1188 / 1774.

Chenier, *Journal du Consultat Général de France à Maroc*, p. 142 ; A. Timoule, *Le Maroc à travers les chroniques maritimes*, T. I. p. 311.

التركي (سيدي -)، هناك ضريحان يحمل كل منهما اسم سيدي التركي، أحدهما بسلا قريب من جامع الشهباء، والثاني بالرباط في مقبرة العلو المشرفة على المحيط. ويعتقد انتسابهما للأتراك العثمانيين الذين عملوا في الأسطول الجهادي السلوي ثم في الأسطول الإسماعيلي. ويقال إن أحدهما كان من صفوة رجال الرايس الشهير عبد الله ابن عائشة، ومن مرافقيه في سفارته المشهورة إلى فرنسا لدى ملكها لويس الرابع عشر في حدود سنة 1110 / 1698، وربما هو الذي كتب لابن عائشة رحلته الباريزية.

ع. بلقاسم، *تاريخ عائلات سلا*، ص. 24 - 25 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، ص. 98 - 99.

حسن أميلي

التركي، سليمان، من الأتراك الذين أرسلهم السلطان العثماني أيام السلطان محمد بن عبد الله ليعلّموا طبجية وبحرية المغرب وخاصة بالرباط وسلا، وكان سليمان هذا قد أتى ضمن رفقائه إلى سلا لمعاينة "دار الصناعة" قصد إصلاحها والاشراف عليها لتصبح مرسى للمراكب صيفاً وشتاء، ولكنها كانت متداعية يتطلب إصلاحها وقتاً طويلاً جداً، لذلك صرف السلطان نظره عنها نحو الصويرة، وكان سليمان التركي قد قام بمهمته لتعليم طبجية الرباط فن الرمي، وشارك في فتح الجديدة وأبلى بلاء حسنا، توفي سنة 1182 / 1769.

محمد بن علي الدكالي، *الاتحاف الوجيز*، تحقيق مصطفى بوشعراء، الرباط 1986، ص. 64.

عبد الإله الفاسي

ترمگيست أو تارمگيست، قرية من قرى سهل وادي نون توجد بالجانب الشرقي من جبل تيرت، قريبا من الطريق الرئيسية الرابطة بين مدينتي گلميم وأسّا، عبر قريتي فاصك وترگمايت، وذلك قبالة قرية تيغمرت من جهة شمالها الغربي تقريباً، بحيث لا تبعد عنها إلا بمسافة قليلة لا تتعدى بضعة كيلومترات.

سكانها مزيج من عشائر متنوعة، من قبائل تكنة، على غرار سكان فاصك تقريبا، يتكلمون لهجة مزيجة بين الأمازيغية والعربية، ويحترفون الفلاحة السقوية والبورية الموسمية، خاصة فلاحة الخضر كالجزر واللفت، وفلاحة الحبوب كالشعير والذرة والقمح، وأشجار النخيل والزيتون والتين والرمان والعنب والصبار، وغيرها، كما يهتمون بكسب بعض المواشي ورعيها، كالغنم والماعز والبقر وغيرها. ويبدو أن ترمگُسيت كانت موطناً لاستقرار بعض العشائر من قبيلة أيت ياسين التي نزحت عنها في فترة ما ولسبب من الأسباب إلى قرية أفركط حيث تتمركز مختلف عشائر هذه القبيلة حاليا، في منطقة تعرف بالساحل، وهي على شريط بالجانب الأيمن من الطريق الرئيسية الرابطة بين گلميم وطنطان، على بعد حوالي ستين كيلومترا من ترمگيست، يدل على ذلك وجود بعض العقارات التي مازالت إلى الآن في ملكية بعض الأفراد من عشيرة "أهل داوود" من قبيلة "أيت ياسين".

نذكر من ذلك مثلا ما سجله الفقيه العدل الأديب علي الياسيني (1284 ـ 1362 هـ / 1867 ـ 1942 م) في بعض تقييداته بتاريخ 19 صفر عام 1349 هـ / 1930 م حيث أشار فيها إلى أنه قد ارتهن نصيبين من "تخيل احماد بن داوود بترمگيست" من بعض الأفراد من فخذة أيت داوود من قبيلة أيت ياسين، وذلك مقابل مال كان قد استحقه في شرطه بمسجد أفركط المذكور عن سنتي 1344 ـ 1345 هـ / 1925 ـ 1926 م).

يتضح من نصوص عقود الملكيات إذن من خلال هذين النصين أن بعض الأسر من فخذة أيت داوود من قبيلة أيت ياسين تملك بالفعل العقار الذي يحمل اسمها والكائن بقرية ترمگيست تملكا صحيحا.

ومن ذلك أيضا أنه قد أنشئت في أواسط السبعينات بقرية ترمگيست بعض الضيعات من طرف بعض الأشخاص الآخرين من قبيلة أيت ياسين ذاتها، وذلك اعتماداً على عقاراتهم الشخصية التي آلت إليهم من آبائهم وأجدادهم، وإما اعتمادا على عقارات غيرهم من بعض أبناء عمومتهم على سبيل الإعارة أو الإجارة أو الشراء أو غير ذلك من أوجه المعاملات العقارية المستعملة، نذكر منها على سبيل التمثيل ضيعة الحاج ابريگي الياسيني، وضيعة الحاج عبد القادر المغيني الياسيني.

هذه فقط بعض المعطيات التي تأكدنا منها عيانيا، ومن خلال بعض الوثائق المتوفرة بين أيدينا دون أن نقوم ببحث دقيق وشامل، وإلا فإن مثل هذه المسألة تحتاج إلى مزيد من البحث.

سيدي علي (خنفر)، *تقييدات شرط مسجد أفركط* خلال سنتي 1344 ـ 1345 هـ / 1925 ـ 1926 م. مخطوط خاص لدى الأسرة؛ *مراجعة تقييد الشرط نفسه*، بتاريخ 19 صفر 1349 هـ / 1930 م، مخطوط خاص لدى الأسرة.

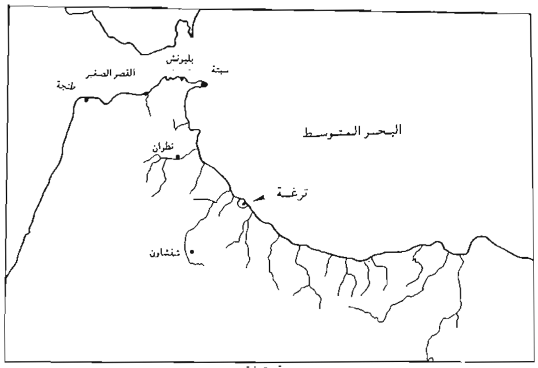
محمد عالي خنفار

ترميم المآثر التاريخية: الترميم في تعريفه الضيق هو إعادة الشيء المكسر أو المبتور إلى حالته الأولى، لكن المصطلح كما هو معمول به في حقول التراث، يجمع ما بين معاني متعددة يمكن حصرها في أربعة وهي: الترميم بالمعنى الأول، والتجديد وهو تنظيف التحفة أو المعلمة أو الموقع وإعادة المظهر المناسب له، والتدعيم وهو تقويته بإدخال ما يكسبه الصلابة والقدرة على المقاومة، والتهيئة وهي تنظيمه وتقديمه في حالة تتناسب واستعمالاته الأصلية أو المرتقبة.

وقد يصعب وضع تاريخ مفصل للترميمات بالمغرب، وذلك بالنظر إلى كون التحف التي تكون قد خضعت لعمليات ترميم متعددة ومنتشرة في العديد من المتاحف، وبالنظر كذلك إلى كون المباني والمعالم، كبيرة كانت أو صغيرة، لم تفتأ تعرف عمليات من هذا القبيل مادامت حية، تُسكن كالقصور والدور، أو تساير نشاطها الاصلي كالمساجد والأضرحة وغيرها. وتعج كتب الأخبار بالعديد من الإشارات إلى هذه الإصلاحات بما يكفي من الوضوح لنستغني عن ذلك.

على أن الترميم بمعناه العصري والمعاصر، أي ذلك الذي يرتكز على الدراسات والملفات التقنية الدقيقة، التي تملي ضرورة الإلمام بكل جزئية من المادة أو المبنى، والتي تستدعي في الكثير من الحالات الاستعانة بالمختبرات المتخصصة واستعمال مواد كيماوية حديثة، هذا الترميم ظهر وتطور بالمغرب مع ظهور وتطور البحث الأركيولوجي والمعماري، أي منذ سنة 1915 وبالضبط في منتصف السنوات العشرينيات.

على القرية الحالية، وملتصقة بجبل "أزنتي" المجاور. وهذا الموقع هو أحسن مكان لبناء قلعة تتحكم في الوادي وفي مصب "واد ترغة" وان كانت واجهته الخلفية (الجنوبية) ضعيفة التحصن وهو مادفع بمشيدي القلعة إلى حفر خندق واق على طول هذه الواجهة بينها وبين تقدم الجبل.



موقع ترغة

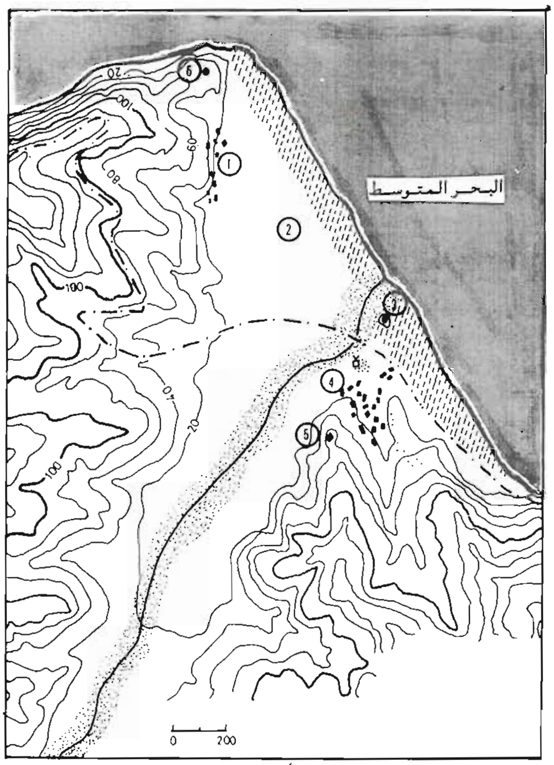
أظهرت الأبحاث التي قمنا بها في السنوات الأولى من الثمانينات، أن هذه القلعة مرت بثلاث مراحل متباينة في تقنيات ومواد بنائها. وإذ يتعذر اليوم تحديد كل واحدة من هذه الفترات بدقة فان ما يمكن التأكيد عليه هو أن أقدم جزء منها يقترب كثيراً في مكوناته (مادة وتقنية) مما هو معروف في المنشآت الموحدية، وأن أحدث جزء منها، وهو بطبيعة الحال مكون من مجموعة تغييرات أدخلت على العمارة الأصلية، يعود إلى بداية القرن العاشر (16 م)، حيث يظهر أن القلعة سكنت ربما من طرف الغزاة البرتغاليين.

بمحاذاة البحر على الشاطئ وفي وضعية مقابلة تمام المقابلة لدار السلطان، تنتصب بناية محصنة فوق صخرة عظيمة تعلو سطح البحر بأكثر من خمسة عشر متراً. كل شئ في هذه البناية مختلف عن أمثاله في دار السلطان فبينما هذه الأخيرة مبنية من الحجر والطابية، بنيت ثكنة الشاطئ بالحجارة القوية فقط، وبينما تصميم الاولى متواز في عدة من جوانبه، نجد جدران بناية الشاطئ مسايرة لشكل الصخرة التي شيدت فوقها، وبينما لانجد في القلعة الأولى من الفتحات سوى كوات للرمي موجهة ناحية البحر، تتوفر بناية الشاطئ على مجموعة من المرامي المدفعية، منتصبة على طابقين : خمسة بالطابق الأسفل وستة بالأعلى مع اختلاف في الاتساع ما بين تلك التي تنظر جهة البحر (وهي الأوسع) وتلك الموجهة نحو داخل الأرض الاقل منها اتساعا.

ومن المآثر التي مازالت حية تقوم بدورها إلى اليوم، المسجد الجامع، الواقع شمال القرية الحالية، على بعد بضعة أمتار من أولى مساكنها وبمحاذاة المقبرة العتيقة.

يحتل هذا المسجد مساحة تفوق 500 متر^2 وتتوزع مرافقه ما بين بيت صلاة عرضه 15,20 م وعمقه 6,10 م مقسم إلى بلاطين أفقيين وخمس بلاطات عمودية متجهة نحو جدار القبلة. وهذا التصميم هو الذي نجده في المساجد العتيقة المغربية سواء في الحواضر الكبرى كفاس مثلاً، أو في البوادي.

يتقدم بيت الصلاة صحن واسع احتلت جانبه الجنوبي سكنى الامام وجانبه الشمالي مجموعة من الغرف المخصصة لايواء الطلبة الذين يأتون المسجد من مختلف نواحي بلاد غمارة ومن الريف لمتابعة دراستهم على الطريقة التقليدية. ذلك أن هذه المسجد عرف كذلك بالدور الكبير الذي لعبه ولايزال إلى حد ما يلعبه في تعليم القرآن الكريم وعلوم الفقه. وتحتفظ الذاكرة المحلية بما في هذه المدرسة وتعتبرها أهم مدرسة دينية بالمنطقة المشهورة بالمستوى الرفيع لتعليمها. ويزخر تاريخ علوم القرآن بأسماء علماء ترغيين أجلاء لعل أشهرهم شيخ القراء في عصره محمد بن يوسف الترغي المتوفى سنة 1009 هجرية.



تفاصيل أقسام مدينة ترغة

1 - ربض "الزاوية". 2 - موقع جامع ابن عقار. 3 - الحصن "البرتغالي".
4 - ربض "ترغمة". 5 - "دار السلطان". 6 - برج ساحلي.

في وسط المنبسط الذي يفصل ما بين ربض ترغة وربض الزاوية، تظهر بقايا جدران مندثرة، تحمل اسم جامع ابن عقار، ويُحتفظ لها باحترام كبير بين السكان الحاليين للربضين. من يكون ابن عقار هذا ؟ وهل حقيقة أن ما يبرز قليلاً فوق سطح الأرض هي بقايا جدران مسجد ؟ لا يمكن الاجابة عن السؤالين اليوم لقلة المعطيات. ولكن الذي أثار انتباهنا ونحن نتجول بحثاً عن البقايا الأثرية في مجموع الوادي، كثرة القطع الخزفية الصغيرة الحجم والمختلفة الصنع، المختلطة ببقايا مواد البناء كأنصاص الآجور

الجنوبية والأطلسية. وقد تمت بالفعل عمليات في هذا الإطار في تافيلالت (بقصر الفيضا قرب مدينة الريصاني) وبالمخازن الجماعية لفاخور وسيدي موسى بإقليم أزيلال الخ...

ودون التطرق إلى ما عرفته كل معلمة على حدة من أشغال عبر التراب الوطني، يمكن الإشارة فقط إلى المدن التي عرفت وتعرف حالياً ترميمات وصيانات تنجز على معالم ومباني مختلفة العمارة والتوظيف. ففي طنجة رممت الأسوار وأبوابها ومتحف القصبة، وبتطوان كذلك رممت الأسوار وبعض المباني، وهناك مشروع تعاون قائم مع حكومة الأندلس لصيانة المدينة العتيقة، وبشفشاون تم الترميم الكلي لقصبة "أوطى حمام" وجانب من الأسوار، وبسلا رممت جوانب من الأسوار والأبراج والأبواب، كما انطلقت أشغال ترميم مدرسة أبي الحسن التي قرب المسجد الأعظم. وهذا الأخير أيضاً تم ترميمه من طرف إدارة الأحباس، وبمكناس رممت الأسوار وأبوابها، وبعض المباني كالمسجد الكبير، والمدرسة البوعنانية، ودار الجامعي التي بها المتحف، ودار الباشوات، وبوجدة يتم ترميم الأسوار وبابيها الكبيرين باب سيدي عبد الوهاب والباب الغربي، وبصفرو ترمم الأسوار وبأسفي رمم جانب كبير من قصر البحر وأجزاء من السور المتبقى، وبتارودانت كذلك رممت الأسوار وترمم بعض أبوابها.

ومن أهم ما أقدمت عليه مديرية التراث منذ إنشائها، سن سياسة جديدة تستهدف ترميم المباني وإعادة توظيفها إما بالنشاط الذي كان لها أصلا أو باحتضانها لأنشطة أخرى تعيد لها الوجود في النسيج العمراني، لا كمآثر تصان وتزان لجمالها أو لما تحمله من إرث ثقافي، وانما زيادة على ذلك كعناصر عمرانية حية. من ذلك مثلاً ترميم بعض أبواب المدن وفتحها كفضاءات ثقافية تقام بها المعارض الفنية المختلفة، وأهم الأمثلة أبواب الرباط الموحدية كباب الرواح الذي أصبح الرواق الوطني الأول، وباب قصبة الأوداية الذي يحتضن أكبر المعارض لسعة مساحته وعلو سقوفه، وباب لعلو الذي خصص كرواق يعرض فيه الشباب من الفنانين والمبدعين.

وفي إطار التعاون الثنائي يمكن ذكر العملية التي تمت بأصيلا حيث رمم برج النعام، وهو الذي كان الملك البرتغالي "سبستيان" قد قضى به آخر ليلة في عمره، ليلة معركة واد المخازن الشهيرة التي لقي فيها حتفه، وقد رمم هذا البرج بمساهمة مادية من مؤسسة كولبانكيان البرتغالية.

ومن المشاريع الكبيرة التي أقبل عليها المغرب في العقدين الأخيرين مشروع إنقاذ مدينة فاس الذي انطلق في مطلع السبعينات بتعاون وثيق مع منظمة اليونسكو. ومما يجب التأكيد عليه أن هذه العملية الضخمة، جندت إمكانات هائلة، جمعت ما بين إمكانات الدولة وإمكانات الخواص، وهي بصدد محاولة جلب الاستثمار الخارجي لمواجهة التكاليف الباهضة الضرورية. على أن أهم ما أسفرت عنه الحملات التعريفية والتحسيسية إلى اليوم هو إقناع بعض أبناء فاس الميسورين بأهمية مساهمتهم الفعلية والمباشرة في مشاريع الصيانة والترميم، فأسندت لهم بعض المعالم للإنفاق على ترميمها كالمدرسة البوعنانية، ومدرسة العطارين، وفندق النجارين مثلاً.

هذا وقد اكتسب المغرب تجربة لا بأس بها في مجال ترميم المباني وصيانتها، وهو ما جعله من البلدان العربية القليلة التي يستعان بخبراتها. هكذا وقع المغرب اتفاقية تعاون مع سلطنة عمان سنة 1983 وأرسل بمقتضاها فريقاً من التقنيين والمهندسين والبنائين المتخصصين يقوم بترميم وإصلاح القلاع والحصون وبعض المباني التاريخية الأخرى. ولايزال هذا الفريق المكون من أكثر من ستين فرداً يقوم بمهامه إلى اليوم.

ب. ترميم التحف : لم تنل التحف الفنية ما نالته المباني من اهتمام في الترميم، ذلك أن المغرب لا يتوفر على مختبرات متخصصة ولا على أطر مكونة في هذا المجال. ثم إن القيام بهذه الأعمال خارج حدوده يتطلب من الامكانات ومن الضمانات والتأمينات ما يكلف الكثير. ومع ذلك لم تتأخر المصالح الأثرية والتراثية على إخضاع ما استوجب الترميم لهذه الأعمال داخل المغرب وخارجه. ونقتصر في هذا الباب على ذكر ترميم بعض أهم القطع البرونزية التي اكتشفت بوليلي كتمثال الغلام الساقي، وتمثال الكلب، وتمثال الصياد العجوز، وكلها تمت بمختبرات "جارفيل" (Jarville) الفرنسية في السنوات الأولى من الثمانينات، كما تمت كذلك معالجة مجموعة من الفسيفساء التي استخرجت من موقعي "بناصا" ووليلي. أما القطع الخزفية، فنالت كذلك قسطاً من نفس الاهتمام، حيث تمت ترميمات على أهم الجرار، وبعض الأواني أهمها "القصرية" التي اكتشفت بموقع بليونش والتي يعود تاريخها إلى القرن الثامن (14 م).

J. Borely, *Tinmel : douze carnets de notes*, Paris ; Laboratoire Public d'Essais et d'Etudes, *Tinmel : Rapports d'analyses*, 1991 - 1992 ; H. Terrasse, *La mosquée Quaraouiyin de Fès*, Paris, 1968 ; Collectif, *Tinmel, l'épopée almohade*, Casablanca, 1992.

عبد العزيز توري

ترناتة، هي واحدة من واحات درعة الست، وهي واحات : مزگيطة، تينزولين، ترناتة، فزواطة، اكتاوة، المحاميد، التي تكوِّن ما يعرف بوادي درعة الأوسط. تبدأ واحة ترناتة من فم أزلاك وتنتهي عند فم زاگورة ما بين واحتي تينزولين في العالية وفزواطة في السافلة. تمتد على طول ثلاثين كلم وعرض يتراوح ما بين 250 و5700 م ومساحة مسقية تقدر بـ 5324 هـ أي ما يعادل 24,1٪ من مساحة درعة الوسطى.

وتروي أراضي واحة ترناتة ست عشرة ساقية منها ساقية أغلان، ساقية إيفلي، الساقية البغدادية، ساقية المكاترة، ساقية أنزي، ساقية البركة.... التي تسقي كل

واحدة منها أكثر من محاط واحد بالمياه التي تأخذها من واد درعة.

السكن بواحة ترناتة عبارة عن تجمع ملموم ويعرف بالقصر. ويوجد بهذه الواحة خمسة وتسعون تجمعاً سكنياً، منها ثمانية وسبعون قصراً وقصبة إضافة إلى تسعة عشر قصر ـ زاوية. تسعة من هذه التجمعات السكنية تفوق ساكنة كل واحد منها 1000 نسمة أهمها قصر بني زولي، قصر تنسيطة اخشاع، قصر أسرير، زاوية سيدي البغداد، قصر طارغلين.... وخمسة عشر تجمعاً سكنياً يقطن بكل واحد منها ما بين 500 و1000 نسمة حسب إحصاء 1982.

بالإضافة إلى هذا السكن هناك سكن مشتت داخل الحقول كما يوجد عند سافلة الواحة مدينة زاگورة وهي مدينة درعة التي يوجد بها مقر الدائرة والتي يسكن بها 9839 نسمة تتوزع على 1548 عائلة سنة 1982.

تتكون ساكنة ترناتة من مزيج سكاني جد متنوع الأعراق والأصول : ادراوة أو الملونين وأهل التلت والعرب ويتكونون من عنصرين أساسيين هما : عرب الروحا وعرب أولاد يحيى وكلاهما ينتمي إلى عرب بني معقل، وأيت عَطّى : أيت أونير، أيت ولال، أيت ايلمشان أيت وحليم... والمرابطين والشرفاء إضافة إلى فخذات أخرى.

يعتبر ادْراوَة أو الملونون من أقدم السكان استقراراً بالقصور يتعاطون الفلاحة لكنهم تعرضوا لهجومات مختلفة مما قلص من مجالهم الحيوي. وهكذا فقد وصل إلى واحة ترناتة خلال القرن الثاني عشر عرب بني معقل الممثلين في مجموعات عبر الروحا وفي القرن الثالث عشر (19 م) استقرت بالمنطقة مجموعات أخرى وهي عرب أولاد يحيى وأيت عطا، جميعهم كانوا يمارسون حياة الترحال وقد جلبهم غنى المنطقة بالمقارنة مع المناطق المجاورة.

تصارع هذه العناصر أو المجموعات البشرية فيما بينها للسيطرة على المنطقة وإخضاع السكان المستقرين كان الميزة الطاغية على تاريخ وادي درعة بصفة عامة. وهكذا فعند قدوم الفرنسيين إلى الواحة قدروا سكان ترناتة بـ 26.900 نسمة تضم 5.380 عائلة (أو كانون)، وهذا الرقم يوزع بين المجموعات البشرية كما يلي :

اسم المجموعة البشرية	عدد الأسر	٪
ـ عرب أولاد يحيى وادراوة الخاضعون لهم	1210	22.5
ـ عرب الروحا وادراوة الخاضعون لهم	1420	26.4
ـ أيت عطى وادراوة الخاضعون لهم	410	7.6
ـ المرابطون والشرفاء	590	11
ـ أهل التلت وادراوة أو الملونين	1720	32
ـ اليهود	30	0.5
ـ مجموع تارناتة	5380	100

وقد تطور سكان واحة ترناتة خلال هذا القرن على الشكل التالي :

السنوات	عدد السكان (ن)	عدد العائلات	أفراد العائلة	٪ تطور السكان
1943 ـ 1933	8.817	1.763	5	
1953 ـ 1943	11.462	1.910	6	30
1963 ـ 1953	18.518	2.645	7	61.5
1977 ـ 1963	26.453	3.724	7.1	24.8
إحصاء 1982	33.624	4.244	7.9	27.1

رغم أن هذه المعطيات تقديرية ما عدا إحصاء 1982، إلا أنها تبرز ظاهرة موحدة وهي زيادة سكان واحة ترناتة وهذا مع باقي واحات درعة الأوسط التي كانت تعرف زيادة أو نقصانا حسب التقلبات المناخية. لعل ما يفسر استثناء واحة ترناتة هو وجود مدينة زاگورة بها والتي عرفت فقط مابين 1971 و1982 زيادة 46.1٪ أي من 5.302 ن إلى 9.839 ن.

يعتمد اقتصاد الواحة بالدرجة الأولى على الفلاحة وهي فلاحة معيشية ترتكز على أشجار النخيل التي قدرت خلال السبعينات بـ 386.000 نخلة منتشرة على مساحة مسقية قدرت بـ 5.324 هكتار مما يعطي كثافة 72.5 نخلة في كل هكتار مسقي، إلى أسفل النخيل هناك مستوى آخر يتكون من أشجار الرمان، التفاح، اللوز، العنب... ونجد أسفل هذين المستويين زراعة الحبوب من شعير وقمح بالأساس، وزراعة الخضروات (بصل، جزر، لفت، فول، كرنب....) برسيم أو فصة... كما نجد تربية الماشية بالاصطبلات.

في حالة توفر فائض من المنتجات الفلاحية فإن الفلاحين يبيعونها بالأسواق المحلية المتمثلة في سوق الأربعاء وسوق الأحد بزاگورة وسوق الخميس ببني زولي وأحيانا بالأسواق الأخرى الموجودة بدرعة بل ومراكش لبيع التمور.

بصفة عامة اقتصاد الواحة جد محدود، فالفلاحة تقليدية ترتكز على وسائل عتيقة. كما أن الكثافة جد مرتفعة بحيث نجد أكثر من ستة أفراد في الهكتار الواحد. وهذه الفلاحة مرتبطة بمياه السقي التي يحملها وادي درعة كما أن النخيل الذي يرتكز عليه اقتصاد الواحة معرض لمرض "البيوض" والذي لم يجد دواء لحد الآن وأثناء فترات الجفاف فإن الواحة تعتمد على الأموال التي يرسلها أبناؤها المهاجرون من مختلف مدن المغرب أو الخارج.

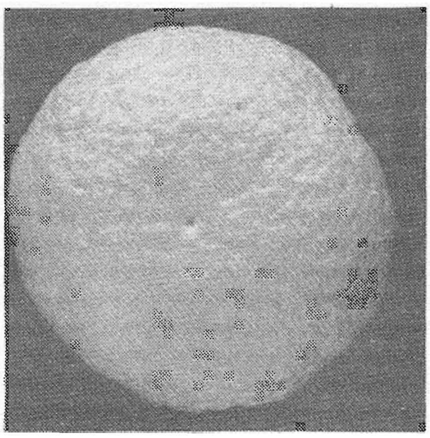
A. Bahani, *Les structures agraires et les systèmes d'irrigation dans la palmeraie de Fezouata (Draâ Moyen - Maroc)*, Thèse de Doctorat en Géographie, 1990, Rouen France; G. Spillmann, *Villes et tribus du Maroc, tribus berbères*, Tome II; *District et tribus de la haute vallée du Draâ*, 1930 ; G. Toutain, *Sur une évolution économique de la vallée du Draâ*, *Al Awamia*, n° 53, 1974.

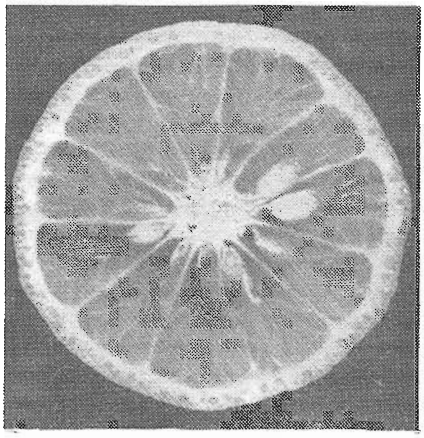
عبد الكبير باهني

التَّرنْجْ، كلمة فارسية تعني بالعربية نفاش، وسيدرا (Cédrat) أو سيدراتيي (Cédratier) بالفرنسية. أما اسمها العلمي فهو : سيتْروسْ ميديكا (Citrus médica).

نوع شجري من الموالح ينتمي إلى فصيلة السذابيات (Rutaceae) ويختلف عن التّرنْج أو الرنج أي البرتقال المر

وعن الليمون (الحامض). وهو شجرة صغيرة القامة شوكية، لها أزهار ذات لون أبيض أرجواني جذاب. ثمارها ذات لون أصفر ضارب إلى الاخضرار، في شكلها بيضوي تشبه ثمارالليمون (الحامض) لكنها أكبر منها بكثير إذ يبلغ طولها ما بين 15 و20 سم، وتختلف عنها بعطرها الشديد الرائحة، وبقشرتها السميكة الجامدة والمحببة وقلة لبها الحامض.





التّرَنْج

يعتبر التّـرَنْجْ أقدم الموالح التي عرفها الإنسان، وربما كان ذلك في القرن الرابع قبل الميلاد. وقد وصفه سقراط في حدائق بابل. والمواطن الأصلي للترنج هو شمال الهند وقد زرعه الإنسان في جنوب شرق آسيا منذ القدم، ثم في المناطق الحارة الأخرى. ومازال يزرع بكثرة بكرسيكا وصقلية واليونان وجزر الهند الغربية.

وأشجار التّـرَنْـجْ بالمغرب قليلة جداً، ولا نعرف متى أدخل إلى هذا البلد. ومن أشهر أشجار الترنج بالمغرب نذكر تلك التي توجد بقرب سبت الكردان بسهل سوس جنوب أولاد تايمة، بجانب ضريح يزوره اليهود المغاربة القاطنون حاليا بشمال أميريكا فيشترون من السكان المحليين المالكين لهذه الأشجار كل الإنتاج السنوي دافعين مقابل كل ثمرة واحد 5.000 درهم.

يستعمل الترنج في صناعة الحلويات والفطائر وغير ذلك التي تكتسب نكهة فريدة وطعماً لذيذاً لا مثيل له. كما تسكر القشرة في محلول من السكر أو الكلوكوز، أو يستخرج منها زيت طيار يستعمل في صناعة العطور.

استطلاعات ميدانية ؛ ألبيرت هيل، *النبات الاقتصادي*، ترجمة عبد المجيد زاهر وآخرون، القاهرة، 1962.

عبد المالك بنعبيد

تروال، مركز في قبيلة بني مزكلدة بضاحية مدينة وزان، اكتسى أهمية استراتيجية أيام الحماية. وهذه القبيلة صنهاجية الأصل إلا أنها تعربت كما حصل لغيرها من القبائل المجاورة لها كبني زروال الواقعة إلى الشرق منها، وبني مستارة الواقعة في شمالها وغربها.

ويعتقد أن هذه المنطقة عرفت الوجود الروماني، بالرغم من انعدام أي اكتشاف أثري يثبت ذلك إلى يومنا هذا. وقد كان احتلال تروال من الجهات الأخيرة التي تمكن الفرنسيون من دخولها بسبب المقاومة العنيدة التي قادها السكان. وتدل عليها تقارير الحماية المكتوبة بين 1915 و1917. التي تعبر عن قلق المستعمرين وتخوفهم من أن تطول مدة المقاومة وتتعرقل مسيرة الاخضاع الكلي للمنطقة، ولكنهم استطاعوا دخول تروال سنة 1920 بعد تمكنهم من اخضاع قبيلة بني مستارة كجبهة أمامية لبني مزكلدة ليصبح تروال قاعدة عسكرية مهمة للقوات الفرنسية. وماتزال أسوار الحصن الكبير شاهدة على أهمية المركز عسكريا. ولا غرابة في ذلك إذا علمنا أن المكان الذي شيد عليه يقع على علو يسمح بمراقبة كل المنطقة. (انظر الحصن على قمة الجبل في الصورة).



صورة مركز تروال مع الحصن في أعلى الجبل (أخذت في يونيو 1992).

وفي نفس السنة أصبح تروال مركزاً إدارياً فرنسياً إلى جانب طابعه العسكري، وكان هم المستعمرين بعد ذلك توظيف الموضع الستراتيجي لإحكام السيطرة على كل قبيلة بني مزكلدة.

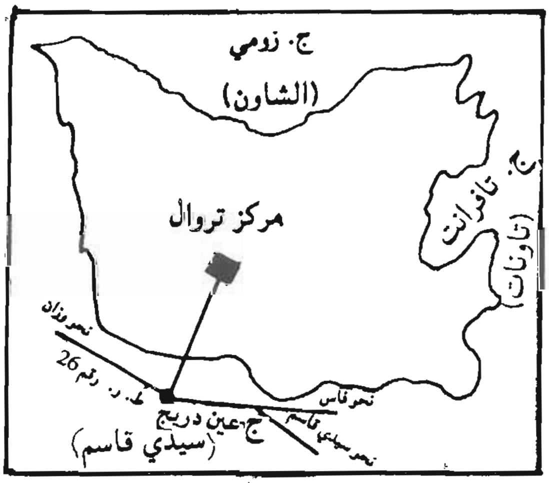
ورغم تأييد القبيلة لمحمد بن عبد الكريم الخطابي وتحركها في 2 ماي 1925 م. وتضييق بني مسارة التي

أيدت بحماس ابن عبد الكريم على الفرنسيين في وزان. فإن تروال لم يسقط بين يدي المجاهدين لأن تركيز ابن عبد الكريم في هذه الجبهة كان على وزان باعتبارها مفتاح الغرب. ثم نجح الفرنسيون في استعادة كامل السيطرة على هذه المناطق في نهاية سنة 1925 م.

يقع مركز جماعة تروال بعيداً عن الطريق الرئيسية رقم 26 الرابطة بين فاس ووزان بأحد عشر كلم. ويبعد عن وزان الدائرة بستة وخمسين كلم. وتحد أراضي هذه الجماعة من الشرق جماعة تفرانت، ومن الغرب والجنوب جماعة عين دريج، ومن الشمال جماعة زومي (انظر الرسم).

يتوفر مركز هذه الجماعة اليوم على بعض المرافق الحيوية كالمستشفى ومركز الاتحاد النسوي، ومحكمتين ومركزية، وفيه مراكز القيادة ومقر الجماعة و مدرسة ابتدائية تستوعب وتابعاتها 1.610 تلميذ.

بلغ عدد سكان جماعة تروال حسب إحصاء سنة 1983م، 20.000 نسمة. يتوزعون على 33 دواراً (انظر الرسم أعلاه). يسكنون جبالا عالية، فقيرة التربة غالبا ما تحتوي على أحجار تمنع الفلاح من القيام بأعمال الحرث. ولهذا فإن الجماعة على العموم فقيرة خاصة إذا أضفنا وقوع مركزها تروال بعيدا عن الطريق الرئيسة التي كان من الممكن أن تنشط الاقتصاد.



تروال

يمكن القول إن اقتصاد تروال يعتمد أساساً على الفلاحة والرعي : فالفلاحة تحتل مساحة 6063 هـ. تشغل الزراعة الشجرية منها 2564 هـ. وتتكون من أشجار الزيتون والتين والخوخ والبرتقال. ويزرع الباقي بالحبوب باستثناء مساحة الغابات البالغة 539 هـ. تسهم في مداخيل الجماعة بمبلغ لابأس به. فقد كان سنة 1982 بلغ 231.855 درهم، وهذه الزراعة بورية عموما إلا من سقي موسمي. يستعمل السكان فيه 23 مضخة مائية لسقي حقول الخضر.

وأما المواشي فإنها تتكون من الأبقار، ويبلغ عددها 6952 رأس، والأغنام وعدد رؤوسها 3532 رأس، والماعز وعدد رؤوسها 1000 رأس، وتربى بواسطة الرعي فقط.

م. البشير الفاسي، *قبيلة بني زروال*، ص. 8 ؛ *منوغرافية جماعة تروال*، 1991 ؛ *تحريات ميدانية*.

D. Rivet, *Lyautey et l'institution du protectorat français au Maroc 1912 - 1925*, Tome 3, Paris, 1988, p. 282.

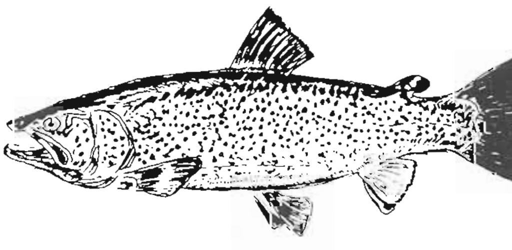
العربي الحمدي

التـروتَـة، جنس أسماك نهرية وبحرية من فصيلة السلمونيات (Salmonides) ومن رتبة مفتوحات المثانات (Salmoniformes) ومن الأسماك العظمية (Ostéichtyens) الشعاعيات الزعانف (Aotinoptétrygiens).

تدعى بالفرنسية Truite أي سمك مرقط ومبرقش وبالإسبانية Reo وبالأنجليزية Trout ويعرف عند المغاربة بالتْرُوتَة كما هو الشأن عند بعض الدول العربية في الشرق ويقال له أيضا سمك سليمان في الشرق العربي إلا أن هذا الاسم يشمل عدة أنواع من جنس التروتة ومن جنس السلمون (Saumon) الأوربي الذي يشبه بكثير سمك التروتة في الحجم والمعيشة.

تعد أنواع السلمونيات من الأسماك المفضلة لدى الصيادين من حيث جودة لحومها وما يتطلب صيدها من مهارة وخبرة في ميدان الصيد بالصنارة. وقد تطور هذا الصيد الرياضي في عدة دول كبرى منذ القرن التاسع عشر مما أدى إلى وضع قوانين للصيد ووضع عدة مختبرات تقوم بدراسات ليولوجية لهذه الأنواع. أعطت البحوث عدة نتائج إيجابية تتعلق بالتغذية والتوالد الاصطناعي الذي كان يشكل العائق الأساسي لانتشار هذه الأنواع في عدة مناطق باردة في العالم.

أُقيمت عدة محاولات لتأقلم سمك التروتة في أنهار الأطلس المتوسط منذ بداية القرن العشرين وكانت النتائج إيجابية مما أدى إلى تقويتها في هذه المناطق وذلك بجلب عدة وحدات من فرنسا سنة 1925 ومن سويسرا والدنمارك سنة 1936. وقد بنيت في هذا المجال عدة بحيرات اصطناعية لتنمية الصيد الرياضي وإنجاح تأقلم هذه الأنواع من الأسماك، نذكر من بينها بحيرات أمغاس وعددها خمس وبحيرة سيدي ميمون وبحيرة حشلاف وبحيرة رأس الماء وعين مرسى. تعتبر بحيرة رأس الماء حوضا (Parc à géniteurs) تربى فيه الأسماك المخصصة للتوالد الاصطناعي.



التروتة

تعيش ثلاثة أنواع من سمك التْرُوتَة في المياه الجبلية المغربية :

تروتة البحيرات (Truite des lacs) وتسمى علميا Salmo trutta pallaryi وهي التروتة الأطلسية المغربية الأصل التي كانت تعيش في بحيرة أگلمام سيدي علي بالأطلس المتوسط. يقول بعض الكتاب إنها تنحدر من جنس السلمون (Salmo)، وبعضهم يقول إنها تنحدر من جنس Onchorhynchus معتمدين على عدد الحراشف التي تكوّن الخط الجانبي. يرجع سبب انقراضها إلى انتشار وتكاثر سمك الشبوط (Cyprinus carpio) الذي أدخل في هذه البحيرة من طرف المصالح التابعة للمياه والغابات وأصبح يهدد عيش سمك التروتة مما أدى إلى انقراضها بصفة نهائية، فحاولت مصلحة تربية الأسماك إدخال عدة أسماك هدفها تهديد عيش سمك الشبوط وتراجعه حتى يمكن انتشار سمك التروتة من جديد إلا أن هذه التجربة باءت بالفشل.

التروتة النهرية (Truite des rivières, Salmo trutta Fario). الظهر مخضر داكن والجوانب مبرقعة بالأسود والأحمر، الزعنفة الذنبية خالية من البراقع مما يجعلها تتميز عن النوع القزحي. تتكون الزعنفة الشرجية من 10 شعاعات ويتكون الخط الجانبي من 130 حرشفة. الجسم مغزلي الشكل ومضغوط جانبيا تكسوه حراشف عديدة وصغيرة، تتخلله عدة بقع حمراء ورمادية زرقاء. لا يتعدى طولها 70 سم وشائع ما بين 30 و40 سم. تعمر 5 سنوات ولا يتعدى وزنها 8 كلغ وشائع ما بين 350 و900 غرام.

تعيش التروتة في الأنهار وفي بعض البحيرات الأطلسية المنخفضة الحرارة وتتوالد بصفة طبيعية ما بين سبتمبر وفبراير. تضع الأنثى بويضاتها عادة داخل حفرة في الأماكن الغنية بالحصى والرمال. ويتراوح عددها ما بين 5000 و6000 بيضة (2000 / كلغ) يلقحها الذكر مباشرة بعد وضعها. تخرج الصغار من البيض بعد زمن يتراوح ما بين 20 و40 يوما وذلك حسب الحرارة. يبقى التوالد الطبيعي غير كاف لإنتشار هذا النوع مما جعل مصلحة تربية الأسماك بأزرو تسعى إلى التوالد الاصطناعي لإكثار هذا النوع وزرعه في عدة أنهار لا تفوق مياهها في الصيف 22 درجة وذلك لأن التجارب برهنت على أن هذا السمك يموت في المياه التي تفوق حرارتها 25 درجة. تعصر الجوانب البطنية لكل من الإناث والذكور وتوضع البويضات الملقحة في صحون تسقى بصفة مستمرة من طرف ماء العين حرارتها 14 درجة.

توضع الصغار في بحيرات صغيرة يقدم إليها الأكل لمدة أسبوعين على الأكثر ثم تنقل إلى الأنهار. تصل سن البلوغ ما بين سنتين وثلاث سنوات وتتغذى من الحشرات والقواقع والديدان والقشريات الصغيرة وصغار الأسماك.

يقتصر توزيعها الجغرافي على أنهار الأطلس المتوسط وبعض أنهار الأطلس الكبير. تصاد بالرخص التي تعطى من طرف المصالح التابعة لوزارة الفلاحة. يحث قانون الصيد على صيد الوحدات التي يفوق طولها 20 سنتمتراً وأن لا تتعدى عشر وحدات لكل رخصة.

التروتة القزحية تسمى علميا أونكورانكوس ميكيس (Onchorhynous mykiss) وتعرف سابقاً باسم Salmo gairdneri وبالفرنسية Truite arc-en-ciel وبالأنجليزية Rainbow trout، فضية اللون على العموم، الظهر أزرق بني، الجوانب منقطة بالسواد، الخط الجانبي وردي اللون متقزح مما أدى إلى تسمية النوع بالتروتة القزحية. الزعنفة الذنبية منقطة. لا يتعدى طولها 70 سم وشائع ما بين 25 و45 سم ووزنها لا يفوق 7 كلغ وشائع ما بين 300 و800 غرام. تعمر 5 سنوات وتصير بالغة ما بين سنتين وثلاث سنوات.

تعد من الأسماك المفضلة لدى مربي الأسماك نظراً للتقنيات المتقدمة في شأن تربيتها. تفضل العيش في البحيرات الباردة سواء منها الطبيعية أو الإصطناعية.

موطنها الأصلي أمريكا الشمالية وتم إدخالها إلى أوربا خلال القرن التاسع عشر الميلادي ثم إلى المغرب سنة 1925 من طرف الفرنسيين. تفضل العيش في المياه الباردة التي تتراوح حرارتها ما بين 10 و20 درجة وذات تيار معتدل. إنها أسماك لاحمة تتغذى من الحشرات والقواقع والقشريات الصغيرة والديدان وصغار الأسماك. تتوالد ما بين أكتوبر ومارس إلا أن توالدها في المغرب يتم بصفة إصطناعية فقط. تقوم بهذه العملية مصلحة تربية الأسماك بمدينة أزرو ما بين أكتوبر وفبراير. يتم الاختيار على الإناث والذكور السليمة من الأمراض فتعصر جوانبها البطنية بعد تنويمها بواسطة فينوكسي إتانول (Phenoxy-éthanol) الذي يتم إفراغه في صحون مملوءة بالماء بنسبة تقدر بثلاثة أجزاء في مليون جزء (3ppm). وتوضع البويضات في صحون تلقح مباشرة بعد ذلك ويتم نقلها إلى أماكن تمر بها مياه العيون حرارتها مستقرة على 14 درجة لمدة أربعين يوماً. تفقس البويضات بعد ذلك وتوضع الصغار في بحيرات صغيرة يقدم إليها الأكل الإصطناعي لمدة أسبوعين تقريبا ثم تنقل إلى البحيرات لتعيش هناك.

عرف هذا النوع تطورا كبيرا في ميدان تربية الأسماك في عين أغبال قرب مدينة أزرو وذلك عن طريق الأكل الاصطناعي ومراقبة حرارة المياه وبعض العناصر المكونة للمياه كمادة الأوكسجين. أصبح إنتاجه يغزو أكبر أسواق الأسماك بالمغرب ويصدر بعضه إلى الخارج.

P.S. Maitland, *Les poissons des lacs et des rivières d'Europe*. Paris. 1977, 255 p ; B.J. Muus & P. Dahlstrom, *Guide des poissons d'eau douce et pêche, Les guides du naturaliste*, 1973, 242 p.

محمد الرمضاني

ترُوگُوتْ، أكبر فرق قبيلة تمسمان من حيث عدد المداشر. وتنطق أيضاً تُلُگُوتْ. والاسم قديم، يعود علمنا بتداوله إلى ما قبل القرن الرابع (10 م)، تبعاً لما أدلى به النسابة الأمزيغيون، وقدمته لنا الكتابة العربية بلفظ "تلكاتة"، للإشارة إلى إحدى فصائل جذع بَطُّوية الصنهاجية، السائد آنذاك بربوع الريف الشرقي، المحتضن لقبيلة تمسمان في قسمه الغربي.

تحتل أراضي تْرُوگُوتْ مساحة جبلية واقعة بغرب القبيلة التمسمانية، منتهية إلى منخفض متصل بساحل خليج الحسيمة (المزمة قديماً)، وبالضفة اليمنى من واد النكور، من النقطة المقابلة لظهر أُبطُّويْ إلى مصبه. ففي هذين المجالين الجبلي والسهلي يستقر في الوقت الراهن واحد وأربعون مدشراً. وهي أعلى نسبة بالقياس إلى عدد مداشر الفرق الأربع الباقية (انظر مادة *تمسمان*).

1) ففي المجال الجبلي تظهر حول جبل الحديد في الشمال (600 م) جماعة أولاد أبي داود، المنسوبين إلى المتصوف التمسماني أبي داود مزاحم، من أهل القرن السادس (12 م). وتعرف هذه الجهة من الوجهة الجغرافية باسم تبودا. من أهم مداشر الجماعة قرية الحديد (أحديد) الواقعة بساحل تغلال، في نقطة الحدود بين فرقة تْرُوگُوت وجارتها بني بويَديرْ، ثم قرية السواني وتَكَرْياست التحتية وإمْهاوْشَن وإسْلاسَن (أهل سلاس) وإعبُّوتَن.

أما جماعة تَبَلْخاشْت فتنتشر دورها على ظهر جُوبْ القامة (733 م) تتألف من المداشر الهامة : بوقُرّي، أزْرو. ويعقد عند قدم تبلخاشت سوق أربعاء تْرُوگُوت على مجرى يحمل نفس الاسم، يؤمه أهل الفرقة إلى جانب الزوار من بني ورياغل وبقُّويَة ومدينة الحسيمة.

وتستقر حول جبل بوعمر (742 م) جماعة أخرى تضم أمثال قرى : خْلوف والعبْدَلاَويون وإشَخْشوخَن وتَمَرْسيت وأجِّيوْ وبوعْمَر.

2) وفي السهل والدير نجد عدة جماعات : حْبُوقُوش الواقعة في دير تَبَلْخاشْتْ من مداشرها : تريِّست وحبوقوش وتزمِّرين، وجماعة إمَسْعودَن ويدخل ضمنها مداشر إعْتوثَن، إعَبُّوتن وإحَداكَن، وضمن جماعة المرابطين يدخل إحَرْويشَن وبوزْويقا وتبودا. وهناك أخيراً جماعة إمَزْعَن، مقسمة إلى الفوقي وأمراح والسفي. ومدشر ظهر أُبَطُّويْ.

ولفرقة تروگوت تاريخ يمتد في القدم. فالسكان صنهاجيون من فصيلة بطوية وفخذ بني يصليتن، ومن هؤلاء قسمة تْرُوگُوت. ففي القرن الرابع (10 م) كان بنو يصليتن متمركزين في جبل أبي الحسن المتصل بعقبة تبلخاشت حيث مستقر بني بُلُنْد، جدهم بلند بن يصليتن، بينما كان بساحل تغلال بنو وَرتَرْد، جدهم ورْتَرْد بن يصليتن كذلك.

وموقع تروگوت المشرف على كل من خليج المزمة وواد النكور أهّلها لتلعب دورها في أطوار إمارة النكور منذ التأسيس والمساهمة في التجارة مع الأندلس عبر مرساتها الكائنة بقرية الحديد وساحلها تيغلال (انظر مادة *تيغلال*)، مما يندرج في تاريخ الإمارة. ولا يزال بتروگوت إلى يومنا مدشر إصَقّالَن، الذي يلوح بالإشارة إلى الصقالبة المكونين لجيش أمراء النكور.

ويعود التاريخ اللامع للفرقة إلى النصف الثاني من القرن السادس (12 م)، حين ظهر بها المتصوف الشيخ أبو داود مزاحم التمسماني، صاحب أول مدرسة للتصوف الإسلامي بالريف الشرقي، وسنخصص لتلك الشخصية ترجمة *بالمعلمة*.

دخلت تروگوت تحت نفوذ المرينيين وجباية الوطاسيين. فقد زارها ياسين بن الوزير في حياة الحاج إبراهيم حفيد أبي داود، حوالي 635 هـ. لجمع المغارم وإرغام بني ورترد على أدائها (البادسي، *المقصد*، 62).

وفي عام 1078 / 1666 مر بأراضيها سفير لويس الرابع عشر الفرنسي، المدعو رولان فريجوس (Roland Frejus) وهو في طريقه من النكور إلى بني بويعقوب تمسمان (فرقة الفوقي) واصفا الطريق الصعب المار بعقبة تبلخاشت، وما كان يغطيه من الغابات ويعج به من الأسد (*S.I.H.M.*, *France*, 2ème série, T. 1 / 121).

ويرز خلال عهد الحسن الأول، كنتيجة لتقسيم قبيلة تمسمان إلى القيادات المتعددة، القائد التروگوتي بوعز قبل 1297 / 1879. وقد خلف ثلاثة أبناء : حدّو ومحمد وعلال. كلهم تولوا منصب القيادة. انظر ترجمة الأب وابنيه محمد وعلال في هذه المعلمة (التمسماني). أما ابنه حدّو فلم تشر إليه سوى وثيقة واحدة (12 رمضان 1309) تثبت قيادته.

الشريف الإدريسي، *النزهة*، 533 ؛ البادسي، *المقصد*، 51 ـ 55 ـ 60 ـ 62 ـ 63 ؛ *وثائق خ. ح.* بالرباط ؛ *كناش خ. ح.* بالرباط، 199 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 90 ؛ *خريطة طبوغرافية*، 1935.

S.I.H.M., *France*, 2ème série : 1 / 121 ; A. Moulieras, *Maroc inconnu*, 1 : 111.

حسن الفكيكي

التِّرْيَاق، دواء مقاوم للسموم، تحدثت عنه كل المؤلفات الطبية القديمة، وهو مشتق من كلمة "تريوق" اليونانية التي يُسمَّى بها كل ما ينهش من الحيوان كالأفاعي ونحوها. وألّف ابن رشد الحفيد مقالة *الترياق* لمخدومه يوسف بن عبد المومن الموحدي (558 ـ 580 / 1163 ـ 1184) في مراكش ـ على ما يبدو ـ وإن لم يصرح باسمه. وقد اعتمد ابن رشد في مقالته على ما ذكره الأطباء السابقون من المسلمين وغيرهم، وبخاصة جالينوس وابن سينا، واجتهد في الترياق بحسب ما يقتضيه العقل والقياس والتجربة. وذكر في نهاية مقالته "أن للترياق سناً لا يستعمل في أقل منه وهي أربع سنين فيما قالوا (الأقدمون)، ويكفي عندي ـ يقول ابن رشد ـ عام (واحد) لأنه يمر عليه فيه الفصول الأربعة، والستة شهور إن اضطر الأمر إلى ذلك. وله شباب إلى العشرين سنة، ووقوف إلى الأربعين سنة، وانحطاط إلى الستين، وخروج عن الترياق واسمه بعد السنين".

يستعمل الترياق في لدغ الهوام ونهش الأفاعي والحيات والكلاب الكَلِبة والسموم وما إلى ذلك. وكان الملوك القدماء يأخذونه كل يوم وربما أخذه بعضهم مرتين في اليوم.

ويرى ابن رشد أن أوفق سن لاستعمال الترياق هو الشيخوخة التي لا تخلو من زمانة، تليها الكهولة، "أما *الشباب فهم أغنى الناس عنه إلا أن تحدث بهم الأمراض* التي ذكرناها".

وقد تكلم ابن رشد، وهو طبيب الخليفة الموحدي يوسف ابن عبد المومن، مع مساعديه الذين يباشرون علاج الأمراء "ألاّ يشيروا عليهم باستعمال الترياق في حفظ صحتهم وأخذه على الدوام فلم يفعلوا فأضرّ ذلك كثيراً بمن داوم على استعماله منهم".

بقي الترياق معروفاً متداولاً في مراكش - أكثر من المدن المغربية الأخرى - وتجلى ذلك عند الملوك السعديين الذين اهتموا به اهتماماً زائداً واستعملوه في مختلف الأغراض، وبخاصة ضد الأوبئة التي كانت تجتاح المغرب من حين لآخر. وقد احتفظ المؤرخ الإفراني في *نزهة الحادي* (ص 155 . 168) بنصين لأحمد المنصور الذهبي، يَتعلقان بالترياق، الأول جزء من رسالة بعث بها المنصورمن فاس إلى ولده أبي فارس خليفته على مراكش مجيباً إياه عما كتب إليه في شأن الوباء لما ظهر بمراكش هل يفرّ منه أم لا ؟ فنصحه بالخروج وزاد قائلاً : "ثم لا تغفلوا عن استعمال الترياق - أسعدكم الله - فالزموه. وإذا استشعرتم منه بسلامة بحرارة وتخوّفتموها فاستعملوا الوصف من الوزن المعروف منه، ولا تهملوا استعماله. وأما ولدنا - حفظه الله - لمكان الشبيبة فحيث يمنعه الحال من المداومة على الترياق، فها هي الشربة المعروفة النافعة لذلك قد تركناها كثيرة هناك عند التونسي فيكون يستعملها هو والأبناء الصغار المحفوظون بالله حتى إذا أحس ببرد المعدة من أجلها تعطوه الترياق المرة والمرتين على قدر الحاجة فيعودا إليها ..." هذه الرسالة مؤرخة في الرابع عشر من ربيع الأول عام أحد عشر وألف (1 شتنبر 1602) وهي تذكر اسم "التونسي" كأحد القائمين على الأدوية بقصر البديع، وتأخذ بعين الاعتبار القواعد الطبيّة المقررة الواردة في كلام ابن رشد السابق من أن الشباب لا يستعملون الترياق إلاّ عند الضرورة. والنص الثاني جزء من رسالة أخرى ملحقة بالسابقة على إثر وصول خطاب جديد من أبي فارس يقول فيها المنصور : " ... وأوصيكم أيضاً أنه إذ ظهر المرض بتلكم البلاد وخرجتم خروج خير وسلامة بحول الله وقوته ألاّ تتركوا وراءكم ابنة عمكم ... وأْمُر يوسف العبدي أن يُخرج لك من صاحبة بيت الثياب القدر المحتاج من الترياق الجديد الذي كان بقبة المشْوَر ودخل على أيديكم لدارنا السعيدة، واستدعوا أُمَّ الْمَان قهرمانية الدار وأعطه لها برسم دارنا ومُرْها أن تُعطيه لهن في كل رابع من اليوم الذي يأكلونه فيه، وهي أيضاً تأكل منه والعبدي يوسف يأكل أيضاً منه، وحتى صاحب السقيف أعطوه منه أعني مسعود بن مبارك ..." يسير كلام المنصور هنا أيضاً عن الترياق، في هذه الرسالة الملحقة، على نفس القواعد المقررة في مقالة ابن رشد السابقة من حيث سن الترياق وأنه لا يوخذ على الدوام ... كما ذكر اسم أُمَّ الْمَان قهرمانة الدار (دار النساء) واضطلاعها بخزن الترياق وإعطائه الحريم حسب المقادير المحددة، ويلاحظ أنه لم يرد في الرسالتين اسم أي طبيب من الأطباء المغاربة والأندلسيين المتوافرين في البلاط السعدي، إذ لاشك أنهم الذين هيؤوا الترياق الجديد والقديم، لكن حالة الترقب والاستعجال اقتضت الاسراع في تقديم هذا الدواء الجاهز عند الحاجة حسب المقاييس والمعايير المقررة. وربما كان الأطباء صحبوا المنصور إلى فاس.

والترياق كخليط من أعشاب كثيرة معجونة بعسل أو غيره مخمّرة لمدة سنة إلى ستين سنة - كما جاء عند جالينوس وابن رشد وغيرهما - لم يعد اليوم معروفاً في المستحضرات الصيدلية. وإن كان المغاربة مازالوا يستعملون اسم الترياق للسمن أو الزيت العتيقين اللذين مرَّ عليهما أكثر من عامين حتى يجمد الزيت أحياناً، ويستعملونه كدواء لبعض الأمراض المزمنة.

م. ابن رشد الحفيد، *مقالة الترياق*، تح. أحمد رجائي الجندي وعبد الحميد بسيوني، الكويت، 1995 ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي*، ط. حجرية بفاس د. ت.

محمد حجي

تريبْعَة، سوق صغير بسبتة، مربع الشكل يتوسطه صحن، يشتمل أحيانا على عدة طبقات، وهو مجال تجاري خاص للحرارين والقزازين والخياطين ومن هم على شاكلتهم. تختلف التّريبْعَة عن القيسارية والمحلات التجارية الأخرى، بل تَنتشر بينهما جميعاً، بل أحياناً ما تأخذ مكانها، خارج المجال التجاري الحضري، بين الأزقة والممرات العمومية. عرفت معظم مدن المغرب القروسطي هذا النوع من الأسواق التجارية وقد حافظ البعض منها على أسمائه إلى حد الساعة، كتريبعة العطارين الموجودة بسوق العطارين العتيق من مدينة فاس.

الانصاري، *اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار*، الرباط، 1403 / 1983، ص. 37.

زليخة بنرمضان

تريتون، من الأوثان الثانوية بالنسبة لما كان يعرف بمجمع الآلهة الاغريقية - الرومانية. أجمع كتّاب الميثولوجيا القدامى على اعتباره في زعمهم ابن إلاه المحيطات والبحار والأنهار بوزيدون (Poseidon) الذي يوافق الوثن نبتون (Neptune) عند الرومان.

وجدير بالذكر أن مكانة بوزيدون (هذه التسمية الاغريقية) كانت بارزة وسط مجمع آلهة الشمال الافريقي. وخص بنفس الأهمية في المغرب القديم، إذ أقام له القرطاجيون بزعامة قائدهم حانون (Hannon) مذبحا (Autel) خلال القرن الخامس ق. م. برأس سُلُويِيس (Cap Solocis) وهو رأس الشمس (Mont Soleil) عند اللاتين. وقد اتفق الباحثون المعاصرون على تحديده برأس كانتان (Cap Cantin) قرب أسفي.

وذكر سيلاكس المزعوم (Pseudo-Scylax) ـ الرحالة الذي عاش في القرن الرابع ق. م. ـ نفس المعلومات. وأشار إلى قدسية منطقة رأس سلوييس وإلى وجود مذبح مكرس لپوزيدون بها. ويحمل المذبح صورا البشرودلافين وأسد. وتثير هذه المنحوتات تساؤلات حول المعبود المحلي الذي لم تحتفظ لنا المصادر القديمة بتسميته.

وإذا كان والد تريتون باتفاق جميع الكتاب قدمائهم ومحدثيهم هو پوزيدون الواسع الانتشار فإن المصادر تختلف في ذكر اسم والدته، فهي عند بعض الكتّاب ومنهم بندر (Pindare) في مؤلفه *Rythmiques* الكتاب IV، الفقرة 57 ـ كيلاينو (Kelaino) ابنة العملاق أطلس (Atlas) (انظر مادة *أطلس*). وبذلك فهو من نفس سلالة إله التجارة هرمس (Hermès) الذي ينحدر من ابنة أطلس مايا (Maïa).

ولكن والدة تريتون هي عند الأغلبية حورية الماء أمْفتْريت (La Nymphe Amphitrite)، التي صورت في فسيَفساء واحدة من موقع ريغا (Rirha) بالقرب من سيدي سليمان، وقد تم الاتصال بين من يدعونه إلاه البحر پوزيدون وحورية الماء أمفتريت عند سفح جبل الأطلس، وبهذه الديار المنتمية لأقصى العالم المعمور حسب الروايات الاغريقية تمت ولادة تريتون. وفي كلتا الروايتين فلتريتون علاقة بأطلس (Atlas)، سواء كان شخصية أسطورية أو معلمة جغرافية.

اعتمد الكتّاب الإغريق واللاتين في وصف تريتون على الانتاجات الفنية التي صورته على شكل برّمائي : نصفه الأعلى بشري، ونصفه الأسفل على شكل حيوان بحري خرافي (Monstre marin). (انظر اللوحة I).



تريتون

لقد تطور تصور تريتون لدرجة أن الشكل البشري غلب على الشكل الحيواني. وتغيرت كذلك رموزه فاشتملت في النهاية على العناصر التالية : الشوكة البحرية (Le trident)، المجداف، الكأس والمزراق الباخوسيين (Le canthare et le thyrse bachique). وهذه الأدوات ارتبطت فيما بعد بنبتون وديونيسوس (Dionysos)، أما بالنسبة لتريتون فقد أضحت القوقعة (البوق الصدفي) (؟) (La conque) من رموزه الأكثر ترددا، مع العلم بأنها لا تخصه وحده، بل ميزت أيضا أوثان الرياح (Dieux des Vents).

كان تريتون في بداية ظهوره بالمصادر المكتوبة شخصية مستقلة، كما بين ذلك الشاعر هزيود (Hesiode) في قصيدته "أنساب الآلهة"، 930، (Théogonie, 930)، إذ وصفه "بتريتون الكبير، ذي القوة الواسعة"، وكان يستوطن مع والديه قصراً من ذهب. ولكن سرعان ما استحوذ پوزيدون على مملكة البحر، وبذلك أضحى تريتون تابعا له، حيث شكل مع آلهة ثانوية أخرى موكبه، وكان له حضور أيضا بمواكب خاصة بكل من أوقيانوس (Océan)، وأمفتريت، وأفروديت (Aphrodite).

صورت كل المصادر الأدبية تريتون مذكراً إلا أن الإكونوغرافية أنتجت نظيرته المونثة (La tritonesse)، كما تظهر ذلك فسيفساء موكب فينوس من وليلي.

أطلق اسم تريتون على عناصر مختلفة : فقد حملت منيرفا (Minerve) (وهي أثينة (Athèna) حسب الاغريق) اسم تريتونيد (Tritonide) نسبة إلى بحيرة تريتونيس (Lac Tritonis) التي يعتقد أنها ولدت على ضفافها.

ومعلوم أن بحيرة تريتونيس ارتبطت كذلك بمغامرات الرحالة الأرغونيين (Les Argonautes)، أتباع البطل الإغريقي الأسطوري جازون (Jason)، لقد رمت العاصفة بهم بقارة ليبيا (شمال افريقيا) وحملوا زوارقهم على أكتافهم حتى هذه البحيرة. ومنها أنقذهم تريتون، إذ بيّن لهم طريق العودة إلى بلدهم. ومن يومها حملت سفينتهم هي الأخرى اسم تريتونيد (Tritonide).

والملاحظ، أن آراء الكتاب القدامى تضاربت في تحديد بحيرة تريتونيس، ونجم عن ذلك اختلاف آراء الباحثين المعاصرين، فبعضهم جعلها بقرينائية (بليبيا الحالية) وآخرون جعلوها بخليج قابس أو بحيرة البيبان، أو خليج الحمامات، وإن كان معظمهم حصرها في شط الجريد بالجنوب التونسي.

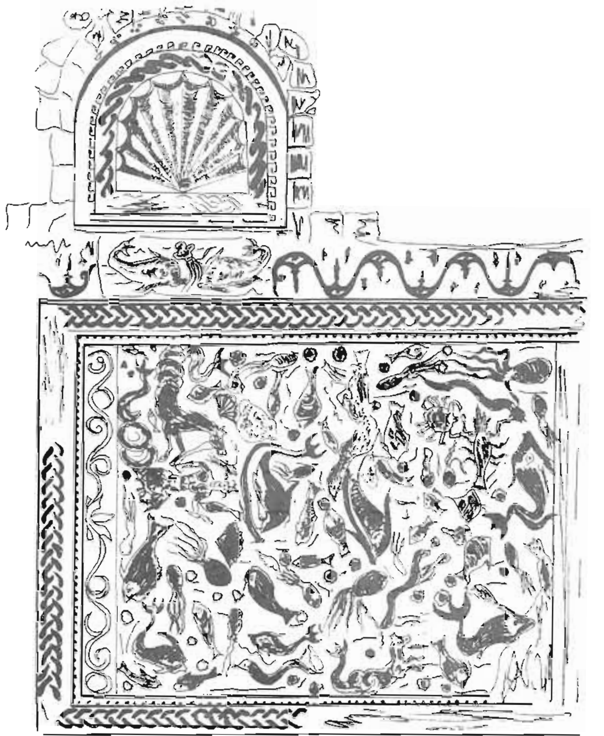
وبالنسبة لنهر تريتون (Le fleuve Triton) فهو يصب في البحيرة المذكورة حسب باحثين، أو يعبرها حسب آخرين. ومتى ضبطت البحيرة ستسهل معرفة اسم النهر حالياً.

هل كان لتريتون معبد ببحيرة تريتونيس ؟ وهل اقتصرت عبادته على هذه الناحية فحسب ؟

ذكر المؤرخ الإغريقي هيرودوث في مؤلفه *التواريخ*، الكتاب IV، الفقرة 188 بأن الليبيين المستوطنين حول بحيرة تريتونيس يقدمون القرابين أساسا للإلهة أثينة. وبعدها للالهين تريتون وپوزيدون. فهذه المعبودات الثلاثية لا تعرف أسماؤها الأصلية. فمعروف بأن اسم تريتون قد أطلق على آلهة ذات أصول وطبائع مختلفة. فقد ميز الباحثون المعاصرون بين تريتون المحلي، وترتون الفنيقي ـ القرطاجي وتريتون الإغريقي ـ الروماني. ولكن ليس من السهل معرفة مميزات كل واحد منهم، كما أنه لا يعرف مدى انتشارهم خصوصا وأن عملية دمج (الآلهة) المحلية مع (الآلهة)

المستوردة تم باستمرار.

على كل، تم تجسيد تريتون بمجالات فنية مختلفة بالنسبة للعالم الاغريقي ـ الروماني، ولكنه بالنسبة للمغرب القديم لم يصور إلا بالفسيفساء وهي ثلاثة نماذج، نذكرها كالتالي :



جدارية حمام تريتون

النموذج الأول : فسيفساء الغرفة الساخنة بحمامات بناصة المعروفة تحت إسم حمامات بتموير جداري (Thermes aux fresques). (انظر اللوحة II). رغم تسمية الفسيفساء باسم تريتون، فإنه لا يكوِّن إلا جزءاً من العناصر المشكلة لهذه اللوحة.

وهذه العناصر منها ما ينتمي لعامل الواقع، ومنها ما هو أسطوري. وتحتل الدلافين (Dauphins) مكانة أهم بالقياس إلى تريتون نفسه الذي يظهر بهذه الفسيفساء من الأمام (En face)، وهو في كامل عنفوانه وقوته، ويغلب عليه الطابع البشري أكثر من الشكل الحيواني حيث إن الطرف الثاني السفلي يبدأ انطلاقا من فخديه. ويمسك بيده اليمنى عنان الفرس المائي (Hippocampe) وباليسرى القوقعة رمزه المألوف.

ولا نستغرب لوجود صورة تريتون بغرفة حمام لأن ارتباطه بالماء وطيد.

النموذج الثاني : تريتون بمنزل أورفي (Orphée) بوليلي. يشكل تريتون لوحة مكملة لفسيفساء أورفي وهذه اللوحة منقسمة إلى سجلين مماثلين إذ لا تتشابهما إلا تعديلات طفيفة.

ففي السجل العلوي نرى تريتون من الأمام، تكتسي ملامحه طابعاً طفولياً، وتزيد استدارة وجهه في تثبيتها، وله نصف أعلى بشري، ونصف أسفل حيواني، وينغمس جزء من ذيله في المياه، كما أننا لا نراه بالرموز المعهودة فله دفة مركب (Gouvernail)، ووشاح. ويحيط به من جهة نمر مائي ومن جهة ثانية فهد مائي.

أما نظيره بالسجل الأسفل فنراه من خلال ثلاثة أرباع (3 / 4)، يمسك بيده اليمنى العنان (Bride) وباليسرى القوقعة وتشكل القشور (Ecailles) التي تغطي وسط جسمه نقلة من طابعه البشري إلى طابعه الحيواني. ويحيط بيمينه فرس الماء وبيساره لبؤة.

النموذج الثالث : تريتونيس بمنزل موكب فينوس بوليلي. يتشكل موكبها من ـ خلال فسيفساء المنزل الذي يحمل نفس التسمية ـ من العديد من أتباعها، منهم وثن الحب (Amours)، وعرائس البحر (Nereïdes) وامرأتان ذاتا شكل خاص بتريتونيس (Tritoness) النظيرة المؤنثة للمذكر.

تحدد المصادر المكتوبة مكان ولادة تريتون بديار الأطلس من أبوين لهما مكانة مميزة بالمغرب القديم. ونتوفر على ثلاثة نماذج فسيفسائية خاصة بتريتون ومع ذلك، وفي غياب النقائش (Les mocriptions) لا نستطيع أن نتحدث عن عبادته، ولا عن مدى تغلغله ضمن مجمع أوثان المغرب القديم.

A. Boulanger. *Triton. Dictionnaire Daremberg - Saglio*, pp. 483 - 786 ; F. Decret et M. Fantar. *L'Afrique du Nord dans l'antiquité des origines au Vème siècle*. Paris. 1981. pp. 249 - 261; R. Graves. *Les mythes grecs*. Paris. 1984. p. 20, pp. 191 - 215 , S. Gsell. *Herodote. Textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord*. Paris. 1915. pp. 77 - 84 ; Hesiode. *Théogonie*. trad. P. Mason. Paris. 1928. 930. 939 ; G. Marcy. *Notes linguistiques autour du périple d'Hannon. Hesp.* xx. 1935. pp. 38- 41 ; Pline L'Ancien. *Histoire naturelle* V. 1 - 46. Texte établi. Traduit et commenté par J. Desanges. Paris. 1980. pp. 270 - 271 ; Z. Qninba, *La mosaïque d'Orphée de Volubilis*. Thèse de 3ème cycle de l'Université Laval. 1988 ; R. Roget. *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris. 1924 . R. Thouvenot et A. Luquet. *Les thermes de Banasa. P.S.A.M.* IX. 1951. pp. 21 - 32 ; *La mosaïque du Navigium Veneris à Volubilis. Revue archéologique*. 1. 1977. pp. 37 - 52.

البضاوية بلكامل وزهرة قنينبة

الترِيركي، رايس بحري بأسطول الجهاد السلوي، وهو من الرياس الأتراك الملتحقين بالمغرب. كان خلال موسم سنة 1046 / 1636 منهمكاً في عملياته بالمياه الإيبرية لما تعرض في شهر سبتمبر لهجوم سفينتين زيلانديتين (الأراضي المنخفضة)، قامتا بالاستحواذ على أشرعة مركبه ومدافعه وذخيرته ومؤنه : كما افتكتا أسراه الاسبان، واعتقلتا أعلاجه الأربعة والعشرين : ثم أقدمتا ـ بعد ذلك ـ على إغراق سفينته وعلى متنها بقية الطاقم من المسلمين وعددهم خمسة وثلاثون بحرياً. لم يفلح في النجاة منهم سوى خمسة فروا على متن أحد الزوارق.

وقد شكلت سفينة التريركي إحدى النقط التي كلفت بها السلطات المغربية مبعوثها لدى الولايات العامة بهولندة دافيد بالاش للمطالبة بالتعويض على الأضرار والاقتصاص من الجناة.

De Castries, *S.I.H.M.*, 1ère série, Pays-Bas T, IV, p. 418 - 20.

حسن أميلي

تريسديس Trisidis، مدينة من المغرب القديم، انفرد بذكرها الجغرافي بطوليمايوس Ptolemaus، الذي عاش خلال القرن الثاني قبل الميلاد، وهو من مدينة الاسكندرية المصرية. تقع حسب الخريطة التي وضعها بطوليمايوس للولاية الرومانية في المغرب القديم، خارج نطاق هذه الولاية التي تمتد في الجنوب الشرقي إلى مدينة توكولوسيدة الواقعة جنوب وليلي بحوالي أربعة كيلومترات ونصف.

تأتي مدينة تريسديس حسب بطوليمايوس على رأس مجموعة من المدن الواقعة خارج نطاق السيطرة الرومانية ؛ وهي مدن لم يرد ذكرها في أي مصدر آخر. وتعد مدينة تريسديس في هذه الخريطة منطلقاً لتوزع هذه المدن عبر محورين : واحد يتجه إلى الجنوب الغربي، عبر مدينة ثيكاث (Thikath)، وينتهي إلى مدينة والة (Ouala). والآخر يتجه إلى الشرق، عبر مدينة بينة، وينتهي إلى مدينة گالفة Galapha.

اعتمد بعض الدارسين على خريطة بطوليمايوس لحل الإشكال الذي يطرح حول الطريق الداخلية التي ينبغي أن تربط بين الولايتين الرومانيتين موريطانية الطنجية والقيصرية. واتخذ هؤلاء الدارسون خريطة بطوليمايوس منطلقاً للقول بوجود طريق داخلية تتجه من الغرب إلى الشرق عبر ممر تازا الحالية، لتحقق التواصل البري بين الولايتين.

وفي تتبعنا لآراء الكتاب الذين يعتقدون وجود هذه الطريق البرية، نجد روجي Roget يقول بهذه الفكرة دون اقتراح موقع محدد للمدينة، وهو في ذلك يردد رأي موليِر Muller الذي يأتي على رأس أقدم الدارسين لجغرافية بطوليمايوس.

تناول توڤنو Thouvenot هذا الموضوع المتعلق بالمدن التي ذكرها بطوليمايوس خارج نطاق ولاية موريطانية الطنجية، وهو القائل بوجود مدينة تريسديس في مفترق طريقين قديمين، واحد يتجه نحو بلاد السوس والآخر يتجه نحو موريطانية القيصرية. لقد أوضح توڤنو في دراسته حول الطريق المؤدية إلى بلاد السوس قديماً أن موقع مدينة تريسديس حدده الجغرافي بطوليمايوس بحوالي 130 كيلومتر جنوب شرق مدينة توكولوسيدة وبحوالي 80 كيلومتر غرب نهر ملوية، وذلك وفق الاحداثيات التالية : الطول : 9 درجة، العرض : 33 درجة و10 (Ptolémée, IV, 1, 7). ويلاحظ الباحث أن هذا التحديد غير دقيق، وفيه مبالغة، اعتباراً للأخطاء التي تعتري تحديد مواقع المغرب القديم في الخريطة التي أفردها الجغرافي لهذه البلاد. من بين هذه الأخطاء وضعه لتوكولوسيدة على بعد 75 كيلومتر غرب مدينة وليلي، بينما لا تفصل بين المدينتين إلا أربعة كيلومترات ونصف.

وهكذا اقترح توڤنو أن مدينة تريسديس تقع في ناحية إيموزار وذلك بقصبة تابالاوت الواقعة على الطريق الرابطة بين الحاجب وأزرو.

تبنى شميت Schmitt نفس الفكرة التي تجعل تريسديس تقع على الطريق الداخلية المتجهة نحو شرق موريطانية الطنجية عبر ممر تازا، وذلك في رسالته لنيل دبلوم الدراسات العليا في موضوع : *المغرب من خلال جغرافية بطوليمايوس*. حسب هذا الباحث فإن مدينة تريسديس تقع على الطريق المؤدية إلى الشرق، في اتجاه گالفة عبر مولوكات (Molochath) وبينتة (Benta). ولقد رجح أن مدينة تريسديس تقع حيث يوجد ضريح قديم بسوق جمعة الگوز جنوب شرق مدينة مكناس.

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; *Index de topographie antique du Maroc*, Rabat, 1938,*P.S.A.M.*, 7; P. Schmitt, *Le Maroc d'après la Géographie de Claude Ptolémée*, thèse de doctorat de 3ème cycle, Tours, 1973 ; R. Thouvenot, *Le Géographe Ptolémée et la route de Souss*, *Hesp.*, 33, 1946, p. 373 - 384 ; *Le Géographe Ptolémée et la jonction terrestre des deux Maurétanies*, *R.E.A.*, 64, 1992, p. 82 - 88.

محمد مجدوب وعلي واحدي

التريعي، محمد بن المعطي، من الزعماء المشهورين الذين عرفتهم قبيلة دكالة في بداية القرن العشرين. ترجع شهرته إلى ما طبع حياته من جهاد ضد الاحتلال الفرنسي.

ولد التريعي حوالي سنة 1273 / 1856، إذ قدرت بعض الاستخبارات الفرنسية السرية عمره سنة 1911 بحوالي 55 سنة. ينتسب إلى دوار أولاد بومغزل من فخذة التريعات وهي إحدى الأفخاذ الأصلية المكونة لقبيلة الحوزية التي توجد مدينة أزمور بترابها.

ويستفاد من الوثائق المغربية الرسمية أن محمد التريعي كان قائدا سنة 1312 / 1894. فحسب مراسلتين إحداهما من قائد الدار البيضاء عبد الرحمان برگاش مؤرخة في 8 ربيع الأول 1312 / 9 شتنبر 1894، والأخرى من قائد مديونة أحمد بن العربي المديوني مؤرخة في 13 جمادى الثانية 1312 / 12 دجنبر 1894، نجد أن محمد التريعي قد ألقي عليه القبض وسجن بمدينة الدار البيضاء مع قائدين آخرين من دكالة هما أحمد البوعزيزي (أولاد بوعزيز) وسعيد الفرجي (أولاد فرج). وقد نقل القواد الثلاثة إلى سجن الرباط بأمر من الصدر الأعظم أحمد بن موسى الذي يبدو أنه أبقاهم في السجن إلى وفاته سنة 1318 / 1900.

وقد أشارت بعض التقارير السرية سنة 1329 / 1911 إلى أن محمد التريعي كان متولياً منذ حوالي 12 سنة، وعلى هذا الأساس يبدو أنه رجع لقيادته قبيل أو عقب وفاة الصدر الأعظم المذكور في محرم 1318 / مـاي 1900 ذلك الوزير الذي اشتهر بإلقاء العديد من قواد القبائل في غياهب السجون.

والواقع أن محمد التريعي تولى القيادة خلفاً لأخيه الذي كان قائداً على قبيلة الحوزية. وكان محمد التريعي طالباً حافظاً للقرآن. كما يبدو أنه كان على علاقة حسنة مع بعض القواد الكبار مثل عيسى بن عمر العبدي.

إلا أن محمد التريعي الذي كان يقود قبيلة تحرس المجال الممتد من مدينة أزمور إلى جوار مدينة الجديدة ؛ وبما أن النفوذ الأجنبي بالجديدة كان يتزايد باستمرار، وحيث إن قناصل الدول الأجنبية وخاصة قناصل فرنسا وإسبانيا وإنجلترا، كانوا نشيطين في نشر نفوذ بلدانهم بين أعيان دكالة وخاصة بين القياد، نظرا لكل ذلك، فقد أصبح محمد التريعي محل مراقبة من طرف الفرنسيين الذين لم يرغب في وضع يده بأيديهم. وتؤكد استخبارات الفرنسيين إلى أن علاقة الرجل بهم كانت سيئة إلى سنة 1329 / 1911. وسنرى أنها ظلت سيئة إلى ما بعد ذلك التاريخ بل ازدادت سوءاً.

وعلى كل حال، طبعت حياة ولد التريعي بالصراع ضد الأجانب فقد أشارت الاستخبارات إلى أن علاقته بالأجانب بالجديدة كانت محدودة. ويبدو أن الرجل الذي اشتهر بالشجاعة والصرامة كان مصمماً على عدم خدمة أهداف الفرنسيين. ويظهر نتيجة لذلك أنه انضم للحركة الحفيظية حيث أصبح من أعمدتها في حوز أزمور والجديدة. ويعد كل ذلك بالنسبة إلينا أن الرجل اختار طريق الجهاد ضد التدخل الفرنسي في المغرب.

وبالفعل، فقد أصبحت الدعاية الحفيظية نشيطة بالمنطقة، حتى إن الفرنسيين الذين احتلوا الدار البيضاء، هددوا باحتلال الجديدة في صيف 1325 / 1907. وبالرغم من ذلك فقد تمكن الحفيظيون من السيطرة على أزمور بمساعدة التريعي دون شك، ونظموا عملية تهريب الأسلحة إلى مجاهدي الشاوية عبر الجديدة وأزمور.

لم يكتف محمد التريعي بمعارضة النفوذ الأجنبي في قبيلته، بل نجده يلبي داعي الجهاد ويقطع وادي أم الربيع إلى الشاوية حيث اصطدم بقوات الجنرال داما في بداية 1325 / 1908. وتشير بعض الأخبار إلى أن القائد التريعي كان يجاهد في "المذاكرة" مع بطلها الأحمر بن منصور ولا غرابة في ذلك، فقد جذب مؤذن الجهاد بالمذاكرة أبطالاً من الحوز مثل عمر السكتاني ومن الأطلس مثل موحا وسعيد الوراوي وموحا وحمو الزياني وهؤلاء قواد مشهورون في قبائلهم. أما غيرهم من المجاهدين فكانوا كثيرين.

وقد عاد محمد التريعي إلى بلاده بعد سيطرة القوات الفرنسية على الشاوية، كما تمكن قائد قوات الاحتلال من الجواز إلى أزمور التي احتلها وأبعد عنها القائد الحفيظي حاسي الكلاوي، كما عزل محمدالتريعي عن القيادة وولى غيره مكانه في جمادى الثانية عام 1326 / يوليوز 1908.

لكن بمجرد عودة قوات الاحتلال إلى الشاوية، عاد محمد التريعي إلى قيادته حيث قتل القائد الذي ولاه الفرنسيون وعلق رأسه على أبواب أزمور وفي هذه الأثناء حصل محمد التريعي على ظهير حفيظي بالتولية من جديد.

ويتهم الفرنسيون محمد التريعي بالتعسف والقسوة ضد محكوميه، وخاصة بعد احتلال أزمور من طرف القوات الفرنسية وخروجها منها. أما بالنسبة لعلاقته بالأجانب فيتهمونه بأنه كان يضيق عليهم عند المرور ويفرض عليهم إتاوات كبيرة وخاصة على الفرنسيين الذين يريدون قطع وادي أم الربيع إلى الشاوية. أما فيما يتعلق بالحصول على الحماية الأجنبية، فقد كان محمد التريعي ينكل بكل من يدعي تلك الحماية ولذلك تكاثرت شكايات الفرنسيين ضده عند السلطان مولاي عبد الحفيظ وتدخلوا لديه لعزله لكنه لم يفعل إلا سنة 1330 / 1912.

ومنذ الحملة الفرنسية على فاس سنة 1911، وحصول الاتفاق الألماني الفرنسي حول المغرب في ذي القعدة عام 1329 / نونبر 1911، أخذ محمد التريعي يحتاط لنفسه. وبالرغم من ذلك لم يطلب الحماية الأجنبية إلا بعد أن أصبح مهدداً لما تمكن الفرنسيون من فرض الحماية على المغرب في ربيع الثاني عام 1330 / مارس 1912، واستصدروا قرارا بعزله.

ففي شهر جمادى الأولى 1330 / أبريل 1912 ذهب القائد محمد التريعي إلى القنصلية الإسبانية بالجديدة ليطلب من القنصل لويس ڤياس (Louis Villas) الحماية من بلاده. وبمساعدة السيد بوخول (Pujol) كاتب القنصلية واليهودي المغربي يوسف ماهون (Joseph Mahon) وهو سمسار إسباني، تمكن القائد التريعي من الحصول على بطاقة الحماية الإسبانية.

وقد عارض الفرنسيون وحزبهم، منح إسبانيا حمايتها للقائد المجاهد، فاحتج النائب محمد الجباص والوزير المقري على تلك الحماية لكن البعثة الإسبانية بطنجة لم تتخل عن حماية الرجل. وظل محمد التريعي بالرغم من توقيفه يمارس مهامه كقائد بقبيلته إلى شهر يوليوز 1912.

وفي 23 يوليوز احتل الكولونيل مانجان مدينة أزمور، وجعلها مركزاً لعملياته، بدكالة. فقد عين قائداً عاماً ومشرفاً سياسياً مكلفاً بتهدئة المنطقة ؛ بمعنى آخر مكلفاً بالقضاء على كل نفوذ معارض للاحتلال الفرنسي بالقبائل الدكالية.

وكان القضاء على نفوذ القائد التريعي في مقدمة اللائحة. ولذلك قرر الكولونيل مانجان قنبلة قصبة التريعي وإلقاء القبض على الرجل في فجر يوم 4 غشت. بيد أن محمد التريعي الذي علم بالأمر بطرقه الخاصة غادر قصبته ليلا، والتجأ إلى دار اليهودي سيكسو Siksou وهو محمي إسباني يسكن بقرب مدينة الجديدة.

وفي الغد قنبلت قوات الاحتلال قصبة القائد المغربي، واحتلتها بعد اشتباك قصير مع ساكنيها، ثم صادرت ما وجد بها من سلاح ووثائق، وأشعل فيها النيران. وفي الوقت الذي كانت فيه قصبة التريعي تحترق كان القنصل الفرنسي قد جند ما عنده في الجديدة وحاصر دار سيكسو بمساعدة طابور بوليس الجديدة.

وتشير بعض المراسلات الفرنسية إلى أن القائد محمد التريعي، طلب التفاوض مع القنصل الفرنسي ؛ فذهب هذا الأخير، بصحبة قائد طابور البوليس وضابط صف إلى دار

سيكسو، حيث خرج إليهم التريعي مع بعض رجاله، ووعد القنصل بالاستسلام للقنصلية الفرنسية. وتتهم الرواية الفرنسية القنصل الإسباني بالتدخل في الأمر مما دفع التريعي إلى التراجع عن وعده.

ومهما يكن من أمر، فقد عزز الفرنسيون، في يوم 5 غشت طابور البوليس بفرقة من الرماة لتشديد يد الحراسة حول دار اليهودي خوفاً من خروج التريعي منها. وفي المساء حدث تبادل لاطلاق النار بين دار سيكسو والقوات المحاصرة لها. وفي هذه الأثناء تجمعت الجالية الفرنسية بالجديدة، بدار القنصلية الفرنسية، حيث تسلح أفرادها وبدأوا يقومون بأعمال الدورية بضواحي المدينة.

ونتيجة لهذه التطورات، ونظراً لما قام به الفرنسيون من استعدادات حربية، خيم على الجديدة في صباح يوم 6 غشت جو مكهرب، فلم تفتح المتاجر أبوابها وظلت مصالح الديوانة والمصالح التي يراقبها الفرنسيون كالبنك المخزني ومراقبة الدين مغلقة بدورها. وكان الجميع يحس بقرب حدوث انفجار ما. ولا ندري هل كان الفرنسيون ينوون اقتحام دار المحمي الإسباني أم لا.

الحاصل، أنه في الساعة الواحدة من زوال يوم 6 غشت، أي في الوقت الذي تشتد فيه وطأة درجة الحرارة ؛ فوجئ المحاصرون لدار اليهودي سيكسو، باندفاع الفارس المغربي متجردا من ملابسه ولم يبق عليه سوى الجلابة، حاملا معه ابنه الصغير في إزار معقود بحزامه، يتبعه بعض رجاله. ونتيجة للمفاجأة وللسرعة التي اندفع بها حصان التريعي خارج دار سيكسو، لم يتمكن الجنود من إصابته بالرغم من النيران التي صوبت نحوه.

وهكذا تمكن القائد محمد التريعي من التخلص من الفرنسيين المحاصرين له، كما تخلص منهم عندما حاصروا قصبته. وفي طريقه صادف أحد الضباط الفرنسيين متجها نحو المعسكر عندما سمع صوت اطلاق الرصاص، فأرداه قتيلا ثم اختفى وسط بادية دكالة دون أن يجرؤ أحد على مطاردته.

إلى هنا تقف المصادر التي اعتمدناها في تتبع علاقة التريعي مع الفرنسيين. ويبقى مصير التريعي مجهولا لدينا إلى أن توضحه المكتشفات الجديدة من الوثائق. ومع ذلك يمكننا أن ننبه إلى بعض الإشارات التي وردت على لسان بعض المخبرين، مفادها أن القائد التريعي انضم مع مجاهدين آخرين إلى جانب موحا وحمو الزياني، حيث شارك في جهاد قبائل المنطقة ضد الاحتلال الفرنسي.

وثائق خ. ح. ؛ *الوثائق الدبلوماسية بمدينة نانت* ؛ نشرة إفريقيا الفرنسية 1912 ؛ الرواية الشفاهية.

Goulven. *Le cercle des Doukkala*.

علال الخديمي

تْريفَة - جغرافيا -، سهلٌ يمتد على الواجهة المتوسطية لجبال بني إزناسن، كما يطلق على القبائل العربية التي تسكن هذا المجال، والتي اختلطت اختلاطاً وثيقاً مع القبائل البربرية الإزناسنية. ذلك أنه تاريخيا، كان النشاط الزراعي يتركز أساساً في الأودية النازلة من الجبل، وداخل السلسلة، بينما ظلت المنطقة المنخفضة مجالا للرعي. وهذا التكامل سمح بالحفاظ على نوع من الاستقرار في الوحدتين معاً.

من الناحية المناخية والنباتية يجب التمييز بين الجهة الغربية (منخفضات الشويحية وبوعريبة) حيث ينعدم العنصر الشجري ويقوى الجفاف (غلبة الشيح والحلفاء) والسهول الوسطى والشرقية، حيث الظروف الطبيعية تسمح بنمو غطاء من الشجيرات تعرض للقطع في جل المناطق.

وتبين الأتربة نفس التناقض، يفسره النموذج النظري الذي اعتمده إخصائيو التربة (Ruellan, 1971). هذا النموذج يعتبر فترات استقرار طويل سمحت بتترب متقدم على سفوح بني إزناسن، تتبعها فترات خلل مناخي يتم خلالها تدهور الغطاء النباتي، وبالتالي نزوح هذه الأتربة نحو السهل تحت تأثير عوامل نقل أهمها السيول المتفرقة. والتغاير الصخاري بين بني إزناسن الشرقية المكونة من اكلاس صلبة تحمل أتربة حمراء منزكلة، وبني إزناسن الغربية الصلصال - كلسية والحثية والحاملة لأتربة سمراء كلسية، يفسر التناقض بين الجهتين الشرقية والغربية من سهل تريفة. ذلك أن الجهة الشرقية والوسطى (ناحية أحفير - بركان) استقبلت هذه المواد الحمراء المنزكلة، والتي كونت في السهل أتربة قسطالية اللون، لها مسكة عليا سميكة، فوق مسكة كلسية عميقة ومتصلبة. أما في الجهة الغربية (بوغريبة - الشويحية) فإن المواد المتراكمة فاتحة اللون وغير متمايزة القطاع، تعلو بها نسبة الكلس ابتداء من السطح. والتراكمات الحديثة جدا (تراكمات الهولوسين) وحدها متشابهة في كل المناطق، لأنها نتاج إعادة نقل لمواد خام، لم تتعرض لتترب متقدم. وهي مواد تتركز على طول المجاري النهرية والسيول.

وقد أثبتت الدراسات الحديثة (Laouina, 1987, 1990) أن التترب المحلي كان له إسهام هام في تكوين الرصيد الإقليمي من الأتربة، وذلك تبعاً للموقع التضاريسي والمناخي. وهكذا يمكن التفريق بين خمسة أنواع من البيئات الأساسية :

- بيئة الشريط الساحلي (السارگ)، وهو مجال مزدوج، مكون إما من سطوح رتيبة مالحة أو كثبان رملية حديثة.
- بيئة التلال المتموجة : في منطقة أولاد منصور، تمتد هضبة متموجة، تقطعت محليا على تلال، والبروزات متدهورة التربة بينما المنخفضات مجال تراكم.
- بيئة حادورات تريفة الشرقية والوسطى، المسكوة بأتربة قسطالية غنية، في إطار مناخي نصف جاف.
- بيئة حادورات تريفة الغربية، التي تغلفها أتربة بنية كلسية، ذات قشرات كلسية سميكة وقريبة من السطح في إطار مناخي يميل إلى الجفاف.

- بيئة الأودية الكبرى، كواد كيس أو شراعة أو ملوية، وهي أشرطة حيث تمتد درجات ممتازة الظروف، وسط مجال صعب ومهدد بالاقتلاع والإزالة.

وموقع تريفة في قدم بني إزناسن يفسر التوفر النسبي لثروات مائية ؛ فالأنهار النازلة وبعض العيون تغذي منطقة دير محدودة الامتداد تتركز على شكل أشرطة دقيقة. كما أن المياه المتسربة في الجبل تسري في فرشة مائية باطنية في السهل. إلا أن انخفاض منطقة مداغ، من جهة، ووقوف ثنية أولاد منصور في وجه حركة الماء نحو الشمال، كانا الأصل في تكوين مستنقعات ممتدة في سهل مداغ، الشيء الذي استدعى تجفيف هذه المستنقعات قبل الانطلاق في تعمير السهل.

عرف منخفض تريفة تحولات جذرية خلال المراحل الحديثة من تاريخه، كان لها بالغ الأثر من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، وكذا على البيئة العامة. ذلك أن هذا المنخفض كون إلى بداية هذا القرن مجالاً تكميلياً، يستعمله سكان الجبل - بني إزناسن - كمرعى لماشيتهم خلال فصل الشتاء. ولذا فإن الغطاء النباتي احتفظ بكثافة عالية وبالتنوع المتمثل في تشكيلات شجيرية وأعشاب مختلفة. وظلت الساكنة المحلية محدودة. ولقد تحولت هذه الوضعية جذرياً بمجرد دخول المعمرين في بداية القرن، حيث تم اجتثات الأرض، وتجفيف المستنقعات، ومد السقي في المجالات المتوفرة على فرشة مائية غزيرة وقريبة من السطح. ونتج عن هذا توقيف للحركة المعهودة للسكان بين الجبل والسهل واستقرار البعض من هؤلاء في المجالات التي تركها المعمرون شاغرة، يعني في الهوامش المتميزة بانحدارات نسبية وأتربة هيكلية وفقيرة. كما قطن البعض الآخر إلى جانب ضيعات المعمرين ارتباطا بفرص الشغل المتوفرة فيها. وهكذا، تحول السهل إلى مجال أساسي للسكن والانتاج الفلاحي.

وقد استمرت الدولة المغربية في نهج سياسة تنمية السهول المنتجة على حساب الهوامش الجبلية، وذلك بتعميم الري وتكثيف الشبكة الطرقية وتشجيع التجهيز والتمدين. وقد كان بناء سد محمد الخامس على نهر ملوية انطلاقة أساسية في مد السقي في سهل تريفة وحتى على بعض هوامشه مثل قدم الجبل وتلال أولاد منصور.

وهكذا يمكن تقسيم السهل وحواشيه إلى مجموعة من الوحدات :

- أراضي ضعيفة الاستقرار البشري أو غير مسكونة، مثل السهل الساحلي الملحي المكسو بأعشاب متكيفة، والتي تصلح كمرعى مؤقت. والكثبان الساحلية المثبتة بأغراس شجيرية، والتي تعرف حاليا تطور أنشطة ترفيهية شاطئية، قد يكون لها أثر سالب على استقرار الرمال، والأشرطة الهدرغرافية الكبرى التي تزورها الشاحنات لاقتلاع الرمل والحصيم.

- الهضاب الهامشية : ويضعف استعمالها لأسباب عدة منها هزالة التربة وعدم وصول مياه الري إليها أو جفاف المناخ.

- عند قدم الجبل، تمتد زراعات تقليدية في مجالات حيث الكثافة البشرية تصل إلى 60 وحتى 100 نسمة / كلم².

- تتمثل الأراضي الأكثر جودة في الأجزاء المنخفضة من السهل، وهي أراضٍ كانت تسقى بالمضخات في أواسط هذا القرن، ثم تحولت إلى مجال سقي انجدابي معمم بعد وصول مياه ملوية. وتختلف المظاهر حسب مجموعة من المؤشرات منها قدم الاستقرار، ونوعية التمليك. فمجال مداغ العثامنة، عبارة عن مستنقع قديم، تم تجفيفه في أوائل القرن، ثم امتد إليه الري. وتغطيه ملكيات كبرى، عدا وسط المستنقع الذي جزئ قطعا صغيرة. وتظل الكثافة البشرية في هذا المجال متواضعة، وتقل الكثافة في المنخفضات التي تتوسط تلال أولاد منصور والتي بقيت فارغة إلى حين الوصول المتأخر لمياه ملوية إليها. أما نحو الجنوب، فإن السطوح الممتدة قد جزئت أراضيها تجزيئاً دقيقاً، الشيء الذي يفسر ارتفاع الكثافة البشرية بها (مجالات السليمانية - بوغريبة).

مشاكل السهل مرتبطة بالاختيارات الأساسية التي نهجتها السياسة الفلاحية.

- فهناك مشاكل تقنية تتصل بالري ويدخل ضمنها صعوبة التصرف في المياه، وضياع قسط وافر منها، وتدبير الموارد السطحية والباطنية قصد تلافي تمليح الأراضي وصعود مستوى الفرشة المائية.

- وهناك مشاكل عامة تتعلق بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية والاختيارات الخاصة بالمزروعات.

فسهل تريفة الذي كان مجالا تكميليا في بداية القرن، تحول إلى نطاق يعرف ضغطاً بشرياً وتكنولوجيا. والتطورات شديدة السرعة، أغلبها إيجابية تدل على تنمية هامة، وعلى تنوع في الإنتاج. وقد تمت هذه التحولات بوتيرة سريعة حيث تضاعفت الساكنة أربع مرات من بداية القرن حتى سنة 1960 ؛ ثم مرة أخرى خلال الثلاثين سنة اللاحقة. ويعزى هذا التوقف النسبي في ساكنة الأرياف إلى بروز ظاهرة التمدين السريع في بركان وفي المدن الصغيرة الأخرى كأحفير والسعيدية وعين الرگادة، وفي عدد من المراكز الأخرى.

J.P. Charvet, *La plaine des Triffa*, *R.G.M.*, n° 21, 1972 ; A. Laouina, *Le Maroc Nord-Oriental*, Thèse d'Etat, Paris - Sorbonne, 1987 ; *Implications spatiales et environnement des transformations socio-économiques et technologiques et sur les campagnes marocaines*, in *Le Maroc, espace et société*, Passau, p. 175 - 181, 1990 ; A. Ruellan, *Contribution à la connaissance des sols des régions méditerranéennes*, Mem. ORSTOM, n° 54, Paris, 1971.

عبد الله العوينة

* * وعن تاريخ استقرار ساكنة تريفة، فقد استوطنت أربع قبائل سهل تريفة وصارت تُنعت باسمه وهي : أولاد منصور وأولاد الصغير وهوارة والعثامنة.

وتعتبر قبيلة أولاد منصور من أقدم القبائل التي استقرت بسهل تريفة، ونصت اتفاقية مغنية حول الحدود

سنة 1261 / 1845 على أنهم أولى القبائل المغربية النازلة في مقدمة الحدود ابتداءً من البحر، وتفيد بعض الروايات أنهم إخوة لأولاد منصور المستقرين قرب مغنية (الجزائر)، وأنهم انفصلوا عنهم منذ حوالي ثلاثة قرون، واستقروا غرب واد كيس في موطنهم الحالي.

أما أولاد الصغير وهوارة والعثامنة فقد انتقلوا من بسيط أنگاد إلى سهل تريفة في منتصف القرن الثالث عشر (19 م)، ويستفاد من مختلف المصادر أنهم إخوان لأهل أنگاد (أنظر مادة أهل *أنگاد*، ج 3، ص. 859 ـ 860)، وكثيراً ما تنعتهم الوثائق "بأنگاد تْريفة" أو "بأعراب تْريفة".

عكاشة برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي 1873 ـ 1907*. منشورات جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء 1989، ص. 73 ـ 79.

La Martinière et Lacroix, *Document*, T. 1, pp. 188 - 214 ; Voinot, *Oujda et l'Amalat*, pp. 201 - 203.

عكاشة برحاب

تريفيت أو تاريفيت، أو على الأصحّ اللهجة الزناتية، فرع من فروع اللغة الأمازيغية العامّة (انظر مادّة أمازيغية، *معلمة المغرب*، ج 2). يُصنِّف علماء اللهجات الأمازيغية اللهجة الزناتية إلى قسمين :

القسم الأول هو الريف بمعناه الضيق، أي ذلك المجال الممتدّ بين وادي كرت (إغزارن شارت) ووادي بني گميل حيث تقطن قبائل أيت إطّفت وإبقّوين وأيت وارياغل وأيت تمسمان وأيت سعيد. أما القسم الثاني فهو يستعمل في مجال يشمل القطاع الشرقي في الريف : قبائل إقرعيين وإكبدانن وحتى قبائل أيت توزين وإگزناين وأيت أوليكش وأيت عمّرت الموجودة في الداخل، ويذهب بعضهم إلى إدماج أيت إزناسن وأيت بوياحي وإمضالس (مطالسة) في إطار زناتيٍّ أوسع. وعموماً يمكن القول بأن المجال الجغرافي للزناتية تحيط به غرباً قبيلة غمارة وشرقاً الحدود الجزائرية وجنوباً قبائل البرانس وهوارة كما يحدّه شمالاً البحر المتوسِّط.

إن أهم ما يميز اللهجة الزناتية هي خصائص نظامها الصوتي المتمثلة في تحويل الصوامت المقفلة إلى صوامت احتكاكية :

ب ← پ، ت ← ث، د ← ذ، ك ← كِ، گ ← گِ.

ويبدو أنّ هذه الظاهرة تتضاعف من الجنوب إلى الغرب؛ ويلاحظ كذلك تحويل ث إلى ذ في بداية الكلمة : ثامطوت ← ذاتمطوت "المرأة"، وتحويل كِ إلى ش أو إلى ي: ثفوكت ← ثفوشت أو ثفويث "الشمس"، كما تُحوّل گِ إلى دَ ج أو إلى ج أو إلى ي : ثارگا ← تاردجا أو تاريا "الجدول"، ويلاحظ كذلك قلب اللام راءً : أسلم ← أسرم "سمك"، وهذا القلب يهم كذلك المفردات الدخيلة : القائد ← قايد ؛ أما الام المشـدّدة فهي تصبح دّ أو دج أورّ: وْلّي ← وْدّي "الشياه"، ئيلّي ← ئيدجى "ابنتي"، أگلّيد ← أجلّيد أو أجدّيد "الملك". وتطبع هذا النظام الصوتي كذلك كثافة الصوامت المعطّشة من تش ود ج كثيراً ما تكون هذه الصوامت نتيجة لإدغام صامتين : ل + ث ← تش : ثاقبيلت ← ثاقبيتش، "القبيلة"، وْلتما ← وْتشما "أختي"، أو ن + ل ← د ج : أنلي ← أدجي "المخّ".

أما على المستوى الصرفي ـ التركيبي فلا توجد اختلافات بنيوية كبيرة بين الزناتية واللهجات الأخرى، ومع ذلك لا بد من الوقوف عند بعض الظواهر منها غياب أداة المضارعة، أما أداة المستقبل فهي أدوغا، وأداة النفي هي وار أو وا أو وْر.

بالنسبة للصيغ الاسمية نلاحظ أن الصائت الذي يقع في أوّل الاسم المؤنث والمذكر يَسقُط في كثير من الحالات : أفوس ← فوس "اليد"، أمازيغ ← مازيغ "الأمازيغي"، تاسا ← تسا "الكبد"، تاغاط ← ثغاط "الماعز". وكذلك الاسم يُبْنى حسب قواعد حالة الفصل أو حالة الوصل المعروفة في النحو الأمازيغي ما عدا في إطار بنية تركيبية واحدة وهي فعل + فاعل حيث لا تُطبَّق قاعدة الوصل في كثير من الحالات في لهجة تاريفيت : إدا وْرگاز ← إدا أرياز "ذهب الرجل". أما الأسماء العددية فيظهر أنها فُقدت في تاريفيت حيث لم تحتفظ سوى ب إدجن (أو إدج أو إجّن) "واحد"، وب إشت "واحدة"، أمّا الأعداد الأخرى فهي مستعارة من العربية.

وهناك خاصية أخرى تتميّز بها هذه اللهجة تكمُن في استعمال د كرابطة بين الاسم والصفة : ؤ ماس د أمزيان بدل ؤماس إگا أمزيان كما هو الحال في اللهجات الأخرى "أخوه صغير" (تلاحظ هذه الظاهرة في لهجة زمّور كذلك). ثمّة كذلك بعض الاختلافات على مستوى الضمائر المنفصلة : شك (أنتَ)، شم (أنت) وعلى مستوى الأدوات الظرفية : أزّغاث = أسگّاس نّاط = نضاضانا "السنة الماضية"، إضا = إضؤ = غاسّا "اليوم"، إضنّاض = أسنّاط + إضگام "البارحة"، أطّاس = شايگان = كيگان "كثير"، قاع = قاح = أكّ "الكل"، ذا = ذاها = غيد "هنا"، ؤرا = أگود = ؤلا "حتى"، مامّك = ماكا = مانيك "كيف"، الخ.

أما من حيث المعجم، فهنالك مفردات مشتركة بين سائر اللهجات وأخرى تنفرد بها تاريفيت : أذف "دخل"، إرض "لبس"، قّار "تكلّم"، رو :بكى"، سقاذ "أرسل"، ؤضا "سقط"، ؤگور "مشى"، ثيزگي "الغابة"، ثيمسّي "النار"، إري "العنق"، يازيض "الديك"، الخ.

ـ الأدب : بالرغم من بعض المحاولات الحديثة يبقى الإنتاج الأدبي الريفي إنتاجاً شفوياً يتمثل في الأجناس المأثورة في الأدب الأمازيغي من شعر ونثر، غير أننا لا نعرف عنه إلاّ القليل لندرة الدراسات المتخصّصة يسمّى الشعر إزري أو أعنّيج عندما يُعنّى ويكون شعراً وجدانياً

يتغنى فيه الشاعر بالطبيعة وبالمحبوبة ويكون كذلك شعراً دينياً يتضمّن الموعظة والإرشاد، كما يكون ذا مضمون سياسي يتناول مقاومة الاستعمار الإسباني أو يعالج ظواهر من التاريخ الحديث وقضايا المجتمع المعاصر. أمّا النثر فإنه ينقسم إلى الأنواع المعروفة في الأدب الأمازيغي العام من حكايات وأمثال وألغاز.

م. الشامي، *حرب الريف والمأثور الشفوي : شعر المقاومة والجهاد*، ندوة حول جوانب من الأدب في المغرب الأقصى، ص. 411 ـ 437، 1986، منشورات كلية الآداب، وجدة.

S. Biarnay, *Etudes sur les dialectes berbères du Rif*, Paris : 1917 ; K. Cadi, *Système verbal rifain. Forme et sens*, Paris, 1981; M. Chami, *Un parler amazigh du Rif : Approche phonologique et morphologique*. Thèse de 3ème Cycle, Univ. de Paris V, 1979 ; M. Chtatou, *Aspects of the phonology of a berber dialect of the Rif*, Ph. D. Univ. of London, 1982 ; E. Laoust, *Le dialecte berbère du Rif. Hesp.*, 2ème tri., pp: 173 - 208, 1927 : A. Renisio, *Etude sur les dialectes berbères des Beni Iznassen, du Rif et des Senhaja de Srair*. Paris, 1932 ; P. Sarriondia, *Gramatica de la lengua rifeña*, Tanger, 1905 ; O. Tangi, *Aspects de la phonologie d'un parler berbère du Maroc: Ath Sidhar (Rif)*. Thèse de Doctorat, Univ. de Paris VIII, 1991 ; E. Ibañez, *Diccionario Español-Rifeño*, Madrid, 1944 ; *Diccionario Español-Senhayi (dialecto berber de Senhay de Serair)*, Madrid, 1959 ; A. El Aïssati, *A study of the Phonotactics of Ashı Touzin Tarifiyt Dialect*. Mémoire de D.E.S., Faculté des Lettres, Rabat, 1989 ; A El Kirat, *Spirantization in the Beni Iznassen Dialect*. Mémoire de D.E.S., Faculté des Lettres, Rabat, 1987.

أحمد بوكوس

تريفيّة، منطقة صحراوية تقع غرب زاگورة وتكسو أرضيتها بعض الجبال الصغيرة المستديرة القمم، شهدت في أوائل عهد نشأتها نشاطا بركانيا هاما بدليل الأحجار الناتجة عن اللاقات، أي السوائل البركانية التي تجمدت مع الزمان.

تشكل هذه المنطقة حوضا ـ أو وهدة ـ تكاد تبلغ مساحته مائة كيلومتر مربع، تتسع جنباته وتنبسط أرضيته بمحاذاة منطقة الگراعرة الشرقية. طقسها جاف صحراوي، وأمطارها قليلة، ويخترقها جدول طويل جاف في أغلب أيام السنة، يسمى أسيف ـ ن ـ تاساوت ويتلاشى في القفار. إنها منطقة قاحلة تلمع بعض جهاتها فتعكس أشعة الشمس لأن الأحجار غنية بمادة الزجاج، وبعض جهاتها سوداء وكأنها مكسوة بطلاء القطران، ولا تبتسم فيها الطبيعة إلا عند نقطتين يدب فيهما ما يشبه الحياة بفضل ما يجتمع فيهما من ماء، وهما واحتان صغيرتان، واحة المرجة وواحة النخيلة، مركزان إداريان يوجد بهما ممثلون للسلطة، يقطنهما عناصر من قبيلة أيت يحيى، مواردهم الفلاحية قليلة تتمثل في شيء من الشعير والتمر والتين، لكن الأهالي يعتمدون أساساً على الاتجار في الابل، وغالبا ما يعدّون من البدو الرحّل.

أحمد بنجلون

التريكزي (أهل ـ)، أسرة صحراوية. إذا كانت دراسة كل فصيلة من الفصائل القبلية بالصحراء الأطلسية وضفتها الشمالية تبرز مظاهر التجانس والطابع الأفقي للعلاقات الاجتماعية، فدراسة أهل التريكزي تسمح بما هو أكثر. فهذه وحدة قرابية تسلسلية تعد بحق نموذجا من بين تلك القادرة على كشف المقاييس العملية لفهم البنية الإيكلوجية وأشكال الملكية والنشاط الفلاحي في أوجهه التي مكنت نسبياً من مجابهة مضاعفات المد التجاري الساحلي الأوربي. ومعلوم أن هذا المد كان قد أسرع خلال الفترة الأخيرة من القرن الثالث عشر (19 م) بتفكيك البنيات الاقتصادية والاجتماعية.

يكون إذن من الجائز تسليط الضوء على شخصية التريكزي الجد الفعلي لهذه الفصيلة الذي استطاع بهيمنته وقوة موقعه التصدي لمخاطر الارتباط بهذا الموقع. فليس صدفة أن تتراكم بين يديه الأراضي الخصبة ليتحكم وحده فيما يسمى اليوم بعوينة أهل التريكزي وأحوازها ويدرج ممتلكاته الشاسعة وقطيعه الكبير من الإبل والأغنام وخدام عزائبه ضمن محيط التنافس الحاد. لقد كانت قواه الإنتاجية تتعدى من حيث حجمها ما يتوافر لدى العائلات الكبرى من أبناء فصيلته أيت احماد أوعلي بقبيلة أزوافيط وبغيرها من القبائل المجاورة. كان ضروريا أن يعتمد الأساليب العنيفة لفرض مسلتزماته وحماية ممتلكاته. فقد كان كبار أيت احماد أُعلي يستمدون نفوذهم يومها من معين المقدرة الحربية والتحالف. وفي هذا الإطار يندرج دور التريكزي المحوري ضمن أيت احماد أُعلي ليقترن اسمه بحماية محميه من قبيلة تركز المرابطية التي كانت تقيم يومها في كنفه. لقد كان نظام الحماية هذا في صالحه كممتلك كبير للأرض والماشية حيث كان يحدد بوضوح مجاله الرعوي والفلاحي والمتمثل أساسا في مقدار ما يسمح بتشغيل المرابطين الزوايا تركز. ندرك من هنا لماذا سمي بالتريكزي ويبقى إذن أن نؤرخ لحياته كمؤسس وجدّ فعلي لفصيلة مطبوعة بانعكاسات التمايز الاقتصادي والاجتماعي فيما بين الأفراد والجماعات.

التريكزي، مبارك بن العگاد بن محمد بن الحسين ابن مبارك بن علي بن إبراهيم وهو المعروف باسم التريكزي، تفصله عن صغار أهل التريكزي الحاليين أربعة جدود مما يفيد انتماءه إلى أواسط القرن الثالث عشر (19 م). وإذا كانت هذه الفترة تبرز إلى حد بعيد ما كان بهذا المجتمع من توزيع غير متساو للملكية والموارد المائية، فإن وثائق أصل التريكزي تعد مرجعاً لتصنيف جدهم هذا في خانة أهم وأكبر الأعيان ذوي النفوذ الواسع. هذا المنظور لا يمكنه أن يكتسي طابعا اعتباطيا أوعشوائيا طالما أن الرواية الشفوية حتى لدى أكبر منافسيه (أولاد بلحويلات ـ أيت لحسن) تنير الرؤيا وتساعد على ضبط حدود معالم شخصيته. وهو أيضاً ما يفيده أيت باعمران وأيت عثمان دونما تحفظ مركزين على حجم وأهمية ممتلكاته من الأرض والساقية وحجم قطيعه من الأنعام. لقد كان مبارك التريكزي من أكبر أعيان أيت احماد أُعلي المراقبين لأهم مداشر وادي نون وأراضيه ومنافذه. على أنه تميز عن باقي هؤلاء الأعيان باحتضانه للمبادرات الاجتماعية وتجسيد

استمراريتها بتعامله مع مختلف مستويات النسق المجتمعي القبلي. لقد سعى دوما إلى تبرير صالحيته كحامي لقبيلة تركز ولكل من كان في حاجة إلى إمدادات غذائية. وإذا كان تتبع مراحل حياته يعد اليوم من باب المستحيلات، فإن في إلقاء نظرة على ملابسات فترة مّا قد يرشد إلى ربط الأسباب بالمسببات وتحديد آليات ومضامين العلاقات بين كبار ومحتكري المجال الفلاحي بوسطهم الاجتماعي.

يعد القرن الحادي عشر (17 م) في وعرون متين الاتصال بالمحاور الرئيسية التي أعادت هيكلة قبيلتي أيت لحسن وازوافيط (انظر مواد إزرگيين - أزوافيط - أيت بلة - تگاوست *بالمعلمة*). والجدير بالملاحظة هنا هو أن هذه الهيكلة تستند فيما تستند إليه، إلى ظاهرة الاستقرار التدريجي للرحل الحالّين محل آخر الحشود المعقلية من ذوي حسان سواء منهم الذين توجهوا جنوبا نحو التراب الموريتاني ليشاركوا في شربَبّه التباري ضد الغزو الصنهاجي أم المتوجهين شمالا نحو حوز مراكش والسهول الأطلسية. لقد أكد حمدي ولد يوسف الذي عايش رجالات أواخر القرن الثالث عشر (19 م) بأن أولاد مبارك المعقليين كانوا إلى حدود القرن الحادي عشر (17 م) بوعرون حيث كان شيوخ وعرون من حراطين ومجاط "البكم" يعانون من سيطرتهم. وقد أشرنا إلى أن أولاد بلحويلات ينتمون إلى الغور السكاني الأقدم (انظر *المعلمة* : أولاد بلحويلات، IV : 1353 - 1355) شأنهم في ذلك شأن أيت بكو وأيت عفان وإذا اوبزيّة. ولا شك أن التقلبات التي أحدثتها مغادرة ذوي حسان للمنطقة قد حددت طبيعة المشتركات الجديدة بين الغور السكاني الأقدم وأيت احماد أ ُعلي. هؤلاء المتملكون الجدد لتراب وعرون تمكنوا محليا من فرض تحالفات مع الغور السكاني الأقدم لمجابهة آخر المعاقل الحسانية بالساقية الحمراء وطرد رجالات أبي حسون السملالي سيد إليغ وسلطان إيگزولن. كان هذا السلطان اشترى جل ماء وساقية وعرون من الشيخ بًا يحيا احماد الوعروني سنة 1043 / 1633 (المعلمة، بودميعة، V : 1673 - 1677). وبذلك اتضحت المعالم العامة للتشكيلة الاجتماعية في التعارض بين مالكي الماء والساقية وبين الوافدين عليهم أعراباً كانوا أو أمازيغاً. لقد تدخل أيت احماد أ ُعلي ليفجروا صراعا حاداً مع أبي حسون السملالي محررين بذلك الغور السكاني الأقدم (أحرار تكنة) من الهيمنة الخارجية. وقد عملوا في ذلك على الاستناد إلى نظام التحالفات المحلية في شكله القديم. فلم يجدوا بذلك أية صعوبة في تجاوز وادي نون إلى إبعاد آخر الفصائل المعقلية خارج الساقية الحمراء.

وتؤكد مجمل القرائن المزامنة على أن أسلاف مبارك التريكزي كانوا يومها من أبرز أعيان أيت احماد أ ُعلي إذ لعبوا دوراً أساسياً في التقريب بين فصيلتهم هذه وأولاد بلحويلات. ومعلوم أن سيد أولاد بلحويلات خلال هذه الفترة السابقة لوصول المولى إسماعيل هو ولد امريزيك.

فباعتباره رئيساً لوحدة صغرى، لم تمانع كبريات القبائل في تعيينه رمزاً لوحدتها ضد آخر الوحدات المعقلية بالساقية الحمراء، بقدر ما كانت ترمي هذه الخطة إلى تقنين نشاطات الجهاز التمثيلي للاتحادية، كانت تستهدف تجنب كل مغالات في دور هذه القبيلة أو تلك. لقد تمكن تكنة من طرف فصيلتي امَرًف واسْنَان الدليميتين خلال المعركة الفاصلة المعروفة حاليا بمعركة مگيسم ولد امريزيگ. كانت اتحادية أولاد دليم المعقلية تشمل يومها بالإضافة إلى هاتين الفصيلتين وإلى الفصائل التي ماتزال تحمل نفس الاسم كلا من أولاد اللب وأولاد عثمان وأولاد المولات. انحاز المغافرة والرحامنة وأولاد دليم إلى تيرس التي يحتفظ غطاؤها النباتي بالماء لمدة طويلة، خوفاً من ملابسات الصراع ومن شدة الجدب سنة 1116 / 1699. وهي مرحلة عمل خلالها المولى إسماعيل على محاربة إدا أوبلال بوادي نون ودرعة وعلى تنظيم التوزيع الجديد للأراضي الفلاحية. فقد سأل هذا السلطان عمن يكون أهل التراب الأصليون بوادي نون، فما كان من علي أ ُعبد الله إلا أن تقدم إليه بحجة مكتوبة على وجه الاستعجال يقول من خلالها بتحكمه في تراب تغاط الخصبة التي يعتبر جده اماد أ ُمسعود اتصان أول من تملكها. وبذلك يكون السلطان قد رصد السمات الظاهرة للرجل أيت احماد أ ُعلي ذوي النزوع إلى شبه الاستقرار وممارسة الفلاحة وتربية المواشي. ويمكن تتبع اهتمام المولى إسماعيل بملابسات توزيع التراب من خلال مراسلاته مع ابنه محمد العالم. كما أن عينات من الوثائق والمراسلات المحفوظة بالخزانة الحسنية تثبت إلى حد كبير نوعية العلاقات بين السلطان وأيت احماد أ ُعلي اللذين ينتمي إليهم أسلاف أهل التريكزي. ولربما كانت خدمة هؤلاء داخل صفوف الجيش السلطاني إحدى دعامات انتزاعهم اقتطاعات محلية هامة.

لقد رافق علي أ ُعبد الله الجيش السلطاني في حملاته الجنوبية. بل إن وحدة تكنية من 500 فارس تحت رئاسة حمو أ ُسعيد الإزرگي قد تكلفت بأمر من السلطان بحماية علي شندورة بالترازة. وإذا كنا نجهل اليوم أهم الأسماء التي مثلت مجمل قبائل تكنة بهذه الوحدة، فإن علي أ ُعبد الله قد هيأ لابنه محمد وحفيده محمد (الفيجح) وابن حفيده مبارك مأمورية شيوخ فصيلتهم. كما أن علاقة علي أ ُعبد الله بالمولى إسماعيل تتضمن أكثر من دليل على دور الخدمة المخزنية في ترسيخ أقدام أصحابها. فعندما قام محمد العالم بن المولى إسماعيل بقتل أحد أبناء علي أ ُعبد الله، لم يتوان السلطان الذي عانى من تمرد ابنه عن تسليمه لعلي أ ُعبد الله لكي ينتقم منه. غير أن هذا رفض الانتقام مكتفيا بالإحسان إلى القاتل وإلباسه أحسن لباس وإهدائه فرسا ثم إعادته يوم عيد الأضحى إلى ذويه. فما كان من السلطان إلا أن أسكن علي أ ُعبد الله بمنزل مجاور للمشور السلطاني وزوجه من إحدى شريفات القصر خلفت

له بنات. ندرك من هذا إلى أي مدى استطاع بعض أعيان أيت احماد أ'علي خاصة وتكنة عامة الاندماج في إطار سياسي يجعل من الفصيلة كيانا غير منعزل ولا مستقل بذاته. فما موقع أسلاف مبارك التريكزي من هذا الاندماج وضمن أية هيكلة سياسية عززوا مواقعهم الاجتماعية وفق مقتضيات الروابط القبلية والقرابية ؟

إذا كان الجواب على هذا السؤال يعد من الأمور الصعبة في الواقع الراهن للأبحاث، فإن إبراهيم يعد المزامن الفعلي لهذه الفترة. يبقى أن الخاصية التي تميزت بها علاقته بغيره من أسلافه قد تحددت استناداً إلى وقوف المشجر عنده كجد أعلى لأهل التريكزي. ذلك أن مما يزكي أهمية رؤوس المشجرات هو عدم تجاوزها إلى ماعداها من الجدود. وآنذاك فقط نكون قد تلمسنا بشيء من الحيطة والحذر أهمية انتهاء مشجر أهل التريكزي عند هذه الفترة الحاسمة من تاريخ إعادة هيكلة البناء الزفاطي والتكني. بل ينبغي علاوة على ذلك ربط أهمية إبراهيم هذا بما سيؤول إليه أبناؤه وحفدته من بعده خلال القرن الثاني عشر (18 م) فخلال هذا القرن المزامن لامتداد الصراع حول مراقبة المجال واستصلاح الأراضي والسواقي ظلت الفصائل المحلية تسعى جاهدة إلى الاستجابة بأي ثمن لمقتضيات الحفاظ على وجودها الفعلي. ولا شك أن علي بن إبراهيم وبدوره مبارك وابنه الحسين قد مثلوا الأجيال الثلاثة التي عاصرت القرن الثاني عشر. هذا ما يمكن أن نقره انطلاقا من الوثائق المكتوبة والمروية.

لم يكن من شأن صراعات القرن الثاني عشر (18 م) أن تخفف من حدة التنافس حول مراقبة المجال أو التحالفات القبلية. لقد عرف وجود أيت باعمران بوعرون نوعا من الاندحار بعد أن بدأ حراطين المدشر يتنازلون عن أراضيهم لكل من وفر لهم الحماية المطلوبة. كما تزامنت أحداث النصف الأول من هذا القرن مع اقتراب أيت لحسن من تاگاوست (المعلمة، *تاگاوست*، VI : 2084 - 2089). أما النصف الثاني فقد عرف بوحلايس الذي كان يمثل بتاسريرت (أيت باعمران) مخزناً محليا كاد أن ينجح في خلق إمارة مستقلة. لم يتوان بعض كبار تكنة عن التحالف ضده بينما سانده بعضهم إلى أن توفي في معركة 1207 / 1792.

أمامنا إذن موقفان مختلفان يكشفان ظروف الصراع المتواصل من أجل مراقبة المجال. حقا لم تكن الأرض ترقى إلى مرتبة الماء والساقية يومها. غير أن الاستيلاء على أكبر قدر من الأراضي يؤكد بشكل حاسم المساهمة في توسيع نطاق الملكية الخاصة. من هنا يصعب عدم الربط بين هذا المعطى ومقتضيات الممارسة التي جعلت من مبارك وابنه الحسين شخصين من أعيان أيت احماد أ'علي ماتزال الذاكرة الشفوية تحتفظ بهما كرمزين للمد على تاگاوست. بل إن مَحمد بن الحسين لم يلبث بدوره أن يبرز على الواجهة السياسية كوجه لا يقل أهمية عن سابقيه وكسيد من أسياد المنطقة. على أن العگاد ابنه سيدخل التاريخ من باب أوسع من أن يقتصر عليه. فقد طوع قدراً كبيراً وهاما من الأراضي الخصبة والمتميزة تحمل اليوم اسم "توفيلت أهل العگاد". هذه الأرض التي أصبحت تمثل القاعدة الأساسية في الإنتاج لدى العگاد لم تكن كما نرى هبة مخزنية. بل قامت على أساس إحياء الأرض الموات وكعملية فعلية. وبهذا المدلول الواسع سيرثها مبارك التريكزي مع إخوته. وبقدر ما ستمتد سلطته من نصيبه منها نجده يضيف إليها قدراً من الأراضي الفلاحية الهامة تجسيداً منه لممارسة أبيه في إحياء أكثر المواقع خصوبة. إن الموقع الهام الذي أصبح يعرف فيما بعد بعوينة أهل التريكزي يمثل النزوع المتزايد إلى التوسع على حساب نمط العيش الترحالي. فخاصية ممتلكات التريكزي الشاسعة لا تحجب التباينات القائمة فيما بين الفصائل ولا الوزن المختلف لكل منها على مستوى انتظام الحياة الاقتصادية للسكان. لقد عرفت أحواز مدشر وعرون خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18 - 19 م) نظاما للملكية اختلفت أنماطه باختلاف الأراضي الخصبة منها والضعيفة الانتاج. كما أن حسن استعمال ماء الساقية في انتاج مادة التبغ الذي ساعد منذ القرن العاشر (16 م) على الكشف عن كل معطيات الواقع الاقتصادي والتجاري بسوق وعرون. ويتضح جليا من دراسات ميدانية حول وعرون واقتصاده أن المدشر كان يعرف سيطرة محتكري الساقية دون غيرهم على إنتاج التبغ الوعروني الشهير. ومن ثمة فتحكم مبارك التريكزي فيما يقارب 8 x 24 ساعة من ماء ساقية حمّ المشهورة بجوار سور قصبة وعرون شمالا التي لا تتجاوز 40 x 24 ساعة، يمثل أساس تحكمه في جزء من الأرض وساكنيها.

كان عزيب مبارك التريكزي يجسد نتاجا لقدرته على حيازة العوينة المسماة باسمه وما حواليها من الأراضي الخصبة مما يجعله أكبر المنتجين والمستهلكين في آن واحد. ولتجنب كل مغالاة في هذا الدور فإن تعدد وتنوع ممتلكاته وأراضيه بالمناطق المحيطة الأخرى تخصه أساسا بمكانة متميزة. لقد كان فلاحوه وعبيده ينتجون من التبغ والخضر ما يجعل منه نقيب الفلاحين بالمنطقة وسيد الوجهاء وأغناهم. ويتجلى دوره كنقيب في قدرة ومهارة عبيده وفلاحيه في استصلاح الأراضي والسدود التلية وحفر المطمورات. إن الفحص الدقيق للأحداث يجعل منه حامي قبيلة تركز المرابطية وغيرهم من الذين كانوا يلجأون إلى حماه. فيمكن أن نلمس الأثر الفعلي لنزعته الحمائية من خلال التسمية التي أطلقت عليه . نتبين هذا جليا من خلال التقدير الخاص الذي ماتزال الرواية الشفوية تضفيه عليه لدى أولاد بلحويلات وأيت باعمران وتركز. فقد كرس إلى حد بعيد المكانة الاجتماعية والفلاحية التي كان يحظى بها في إعفاء محميه تركز من تأدية الأعمال المجانية التي كانوا مطالبين بها لفائدته. وهو ما يفيض في وجوب اعتبار حجم خدمه وعبيده وحجم قطعانه من الأنعام. لقد أوصى

بأن يظل هؤلاء المرابطون معفيين من هذا الواجب الذي أثقل كاهل أبنائه من بعده. والملاحظ أيضا تثبيتاً لهذا الواقع أنه اتجه أكثر فأكثر إلى فرض إرادته كأكبر فلاح قادر على توطيد دعائم الأمن حوالي عزيبه حيث فتح الطرق وقلص من مخاوف التجار والمسافرين مستعملا في ذلك أحياناً أساليب شتى من الضغط والزجر العنيف. على أنه كان يجمع ما بين خصال المحاربين ذوي القدرة على انتزاع وحماية المكتسبات وصفات أهل الزوايا الذين سخروا جزءاً من محاصيلهم لخدمة الزوايا وأهل الدين الذين يمثلون رمز تماسك الغور السكاني الأسبق. كانت تامانارت وتازروالت تمثلان رمز تأصل هذا الغور منذ واگاگ بن زلو اللمطي بتاسريرت التي تطلق على جبال أيت باعمران وعبد الله بن ياسين بتاگجگالت أيت تيكني (المعلمة، *تاگجگالت* أيت تيكني، VI : 2089 ـ 2090). لقد اعتاد مبارك التريكزي جريا على عادة أهله المساهمة في معروف سيدي محمد بن براهيم الشيخ السنوي بتامانارت وموسم سيدي أحماد أ موسى السنوي بتازروالت. ونجده يصاهر علاوة عن دار إيليغ جملة من أعيان وعرون وتاسريرت متجاوزاً بذلك الحدود المحلية الضيقة لنظام القرابة.

فإذا ما نحن أضفنا إلى هذه الممارسات تحالفه المستمر مع الفصائل الباعمرانية من خلال الزيجات المتعددة، نجده يساهم في تمتين التكتلات السياسية بين ذويه والآخرين. لقد عكست الرواية الشفوية هذه الحقيقة من خلال تركيزها على الخدمات التي أسداها مبارك التريكزي لقبيلته من جهة ولتكنة من جهة ثانية. ولا غرابة في ذلك إذا وجدنا أن الأساس في هذه الممارسة كان مبنيا على الأحكام التي استمدها من خصوصيات أسلافه الذين مايزالون يتمتعون بسمعة قل نظيرها في هذا الباب. فصفاتهم التي مكنتهم من السيطرة على الاقتصاد وعلى وسائل الإنتاج لم تحل دونهم والتعاطف مع الفئات الفقيرة. ولتبيان مدى صلاحية هذه المقولة، فإنه يكون لزاما علينا الوقوف عند شخصية علي بن مبارك التريكزي. فالرواية تتشبث بصورة تجعل منه أنبل النبلاء وأكثر الفلاحين كرما وأقواهم على المستوى الاقتصادي والاجتماعي دفاعا عن المستضعفين.

وبعد وفاة مبارك التريكزي أصبح ابنه علي بدوره نقيب الفلاحين بمنطقة وادي نون السفلى يجند يوميا أزيد من أربعين عبداً وعددا آخر من الأجراء في عملية الدراس التي لم تكن تنتهي خلال سنوات الغلة الكثيرة إلا في بداية الشتاء. حافظ لعزيب أهل التريكزي على أهميته كأغنى وحدة انتاجية استهلاكية. كانت مطمورة "أم العيال" تعد الأكبر من بين مطاميره المتعددة. كانت تتمثل في مطمورتين من الحجم الكبير تلتقيان من أسفل فيما يشبه قاعة كبيرة الحجم. فندرك من هنا أنها كانت تكفي وحدها لتخزين ما يكفي سنويا من الحبوب لمئونة أفراد العزيب. أما باقي المطامير فكانت تخزن من الحبوب ما يفيض عن الحاجة وينفع في الإمدادات الأخرى وخلال سنوات الجفاف.

كان لعلي التريكزي علاوة عن كل ما ذكرنا من النخيل بوعرون وتيغمرت ما يجعله من أكبر مالكي الساقية. فقد كانت له بساقية تيغمرت وحدها ما يزيد عن ثلاثة ليالات (3 x 24 ساعة) من الماء. ومن هنا فإن مخازنه الخشبية وصناديقه منها ما كان يتسع لحمولة 12 غرارة من الثمار والحبوب. أما قطعانه من الأنعام فقد كانت موزعة على عدد كبير من أفراد القبائل المختلفة. فقد كان استناد الفصائل ذات النجعات المحدودة في حيازة القطعان بمثابة الاقتراض من الملجأ الاعتيادي كامتداد جهوي لسلطة علي ابن التريكزي الاقتصادية.

الجديد مع علي بن مبارك التريكزي أن عزيبه أصبح في حاجة إلى رعاية وحماية مستمرة. ذلك أن جوار أولاد بلحويلات الذين كانوا يساندونه تارة ويعادونه تارة أخرى قد زاد من خطر المجابهة المعلنة. غير أن علي بن التريكزي استنادا إلى الدعم الممنوح له من طرف أيت احماد أ ُعلي واصبويا لم يعر هذه الأخطار ما تستحقه من الاحتياط. فنجد حماية العزيب مقتصرة على العبيد والأجراء بل نجده يعتمد أساسا على نظام التحالفات القبلي في الحد من الأخطار المحدقة به وبعزيبه، لقد تزوج بدوره من إدا أوسملال بإيليغ كما صاهر حمّاد العسري أكبر وجوه الغور السكاني الوعروني الأقدم. أما تاسريرت التي أصبحت تعرف بأيت باعمران فقد تعددت زيجاته من فصائلها. كان من أوائل أيت احماد أ ُعلي السباقين إلى تمتين وجود قبيلة أزوافيط بوعرون. وإذا لم يكن يرفض من حيث المبدأ التوسط بين قبيلته وغيرها، فإن سياق الأحداث سيجعله السبب غير المباشر في الصراع الذي سيقلص معلقا انتماء أولاد بلحويلات إلى قبيلة أزوافيط (المعلمة، *أولاد بلحويلات*، IV : 1353 ـ 1355). لقد اقترنت أحداث شر وعرون في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) على الأقل من حيث العوامل الهيكلية التي أدت إلى نشوبه، بالمجابهة الخفية التي كانت قائمة آنذاك ما بين أولاد بلحويلات ورغبة علي التريكزي في التحكم في الأوضاع الأمنية خاصة وأن الأمر يتعلق بالوجود المكثف لفصائل البلحويليين. ولعل الرواية الشفوية لن تنسى معركة گيوارة التي ستتسبب فيما بعد في الاختلال البين الذي ميز نظام التحالفات. لقد استعمل أولاد بلحويلات دار گيوارة نظرا لموقعها المشرف على عزيب أهل التريكزي في توجيه الضربات المتكررة والمحاصرة الطويلة الأمد، إلا أن المسمى الجيلالي وكان جاراً وحليفاً سرياً لعلي التريكزي أخبره ذات مساء بأن أولاد بلحويلات جد متعبين ليلتهم تلك وأنهم سيبيتون نياماً. فما كان من أزوافيط إلا أن قاموا بهجومهم الذي انتهى بهدم سبعة عشر داراً وموت عدد كبير من خصومهم.

ومهما تكن حدة الخلافات التي نشأت بين أهل التريكزي وأولاد بلحويلات فإنها لم تنف كون الخط العام لهذه العلاقة غلب عليه خلال الأجيال السابقة طابع التوافق

والتساند. فكم من مهام نهض بها أسلاف علي بن التريكزي بتكليف من أولاد بلحويلات وكم من مرة توسط هؤلاء الاسلاف بين أولاد بلحويلات وغيرهم من الفصائل الزفاطية والتاسريرتية (أيت باعمران). إن مقتضيات الالتحام التي جعلت أهل التريكزي يقفون إلى جانب أيت احماد أُعلي عندما تسبب أيت بليد في أخطر صراع بين أزوافيط وأولاد بلحويلات. وسيذكر التاريخ أن منافسة أهل حاين هي التي تسببت في هدم عزيب علي بن التريكزي أثناء غيابه. أما أولاد بلحويلات فقد ظلوا رغم حدة المنافسة حريصين على مشروعية الوجود الفعلي لأهل التريكزي وغيرهم من العائلات الزفاطية بجوارهم.

لم ينفع دفاع عبيد العزيب في صد هجومات أهل حاين في غياب علي التريكزي وذويه، فجاء تخريب العزيب كمؤامرة للإطاحة بدور أهل التريكزي. ومما يؤكد الانفصام الشديد فيما بين فصائل أيت اماد أُعلي القريبة من أهل التريكزي وأهل حاين الذين اشتغلوا كحرس لأبي حسون السملالي بودميعة بالمنطقة، عدول علي بن التريكزي عن تقديم أي تنازل لحلفاء سيد إليغ منذ القديم. فلم تذكر الرواية تصلبا مثل تصلبه في مواجهة أهل حاين ولا محاسبة مثل محاسبته لهم عن طريق الجماعة. صحيح أن وجودهم بوعرون يعود إلى زمن بودميعة ولكنهم لم يستطيعوا التعبير عن الرفض وعدم الامتثال لأحكام الجماعة التي فرضت تعويض علي بن التريكزي. لقد استعرضت الجماعة في معرض تداولها السمات التي هي من صميم البنية الاجتماعية بحيث كان لابد من احترام الجذور الممتدة لأهل التريكزي في التاريخ المحلي.

انطلاقاً من هذه الوقائع يصعب النظر إلى أهل التريكزي ككيان مستقل بذاته ذي طابع زاوي كما تحاول بعض المقولات الحالية أن تغير من الحقائق. فعلي بن التريكزي الذي نجح في التصدي للهجومات تحصن وتكتل وتضامن فواجه مهاجميه. وإذ نلمس عزمه على التدخل لضبط الأمن وإقرار الاعراف المتداولة وقوانين التعامل، نجده يحرص بشدة على توزيع إرث أبيه مبارك التريكزي على أخواته وإخوانه الحسين وامحمد واعبيد توزيعاً عادلاً. ولا أدل على ذلك من أن الوثائق والرواية الشفوية ماتزال تنوه بهذه الاستقامة التي كان يشاطره إخوانه جوهرها. إن المحلل لدوره التاريخي يتبين بوضوح أن ممارساته التلقائية منها والمدروسة كانت في حد ذاتها مساهمة في الحد من الأزمات الغذائية والاقتصادية التي كانت تعاني منها المنطقة، أو بتعبير أكثر دقة، تسببت في الحد من بعض المجاعات التي ماتزال حاضرة في الذاكرة. فمازال الكبار يتذكرون بأن علي بن التريكزي كان يكلف البراح يومياً بأن يرسل إليه كل عابر سبيل وكل معوز حتى خلال أحلك الأزمات المتتالية التي عرفت الهجرة نحو الموانئ. وتفيض الرواية الشفوية في وجوب اعتباره رمزاً من رموز التاريخ المحلي الذي يزخر بالنماذج المخالفة.

تفيد الوثائق العائلية أن علي بن مبارك التريكزي لم يكن يؤدي ثمن مشترياته من الأرض والساقية وغيرهما إلا بالمثقال الفضي. ولا نزاع اليوم في أن حجم مشترياته من الأراضي المسقية بوعرون وتيغمرت وما ارتهنه قد جعل منه أغنى فلاح بقبيلة أزوافيط. وهي مضاربات أعطت للمرافق العامة بوعرون وأحوازها أقصى مردودية ممكنة يومها وعملت على تأمين الانسجام مع أوضاع اقتصادية خاصة كانت تعاني يومها من أزمة هيكلية خانقة. لم يكن من شأن اندماج علي بن التريكزي بمختلف الفصائل المحلية أن يزيد من تلك الصراعات القائمة من أجل احتكار ومراقبة الساقية ومنتوجها. فنجده مثلا يرفض شراء نصيب زوجته عيشة بنت احماد العسري وأمها رقية بنت الأزغم خوفاً من تهمة الاستحواذ على تركة أحد كبار وعرون. وبدل أن يبيع النصيب لأحد أقربائه أو أفراد قبيلته نجده يفضل الحسين الشمير الإسماري الوعروني محتفظاً بذلك لأهالي وعرون القدامى على تماسك ساقيتهم وقصبتهم. تمت هذه العملية بتاريخ 14 ذي القعدة 1292 / الأحد 12 ديسمبر 1875 في وقت كان صراع ازوافيط وأيت لحسن من أجل اختراق الروابط الطائفية والمجالية لوعرون وأحوازها على أشده. ومما له أبلغ الأثر في هذا الشأن أن حجم العملية يتمثل في ثمن النصيبين الذي لم يكن يقل عن 35 مثقالاً مما يجعلها ذات أهمية بالغة. لقد كان المثقال الفضي يتصدر سلفات الله والإحسان التي مازالت تشهد عليها الوثائق العائلية. ولاشك أن ردود فعل المقترضين من مجمل الفصائل المجاورة في إطار أوضاع اجتماعية متقلبة قد جعلت منه شخصية قوية مهابة ومحترمة. أما الغرباء والمهاجرون ذوو الوضعيات الهامشية الذين كانوا أكثر عرضة للاعتداءات لكونهم أقل خضوعا للأعراف وقوانين المعاملات، فقد كانوا يلجأون إلى كنفه. بينما كانت مثل هذه الممارسات تعزز مكانته يوما عن يوم كرجل قوي يعيد الحق إلى نصابه ويمنح الحماية لمن يطلبها، كان تحلل العلاقات القبلية ونظام التحالفات قد بلغ مبلغاً كبيراً. وإذا أضفنا إلى ذلك حدة الكوارث الطبيعية وما رافق الهجرة نحو الموانئ من تفكك في البنيات المحلية، أدركنا أن علي بن مبارك التريكزي قد عرف بموازاة اعتماده على النفس تضعضع القنوات التجارية التي سببها انحطاط اقتصاد الصحراء.

تلك فقط هي بعض الأمثلة عن تعدد أشكال الحضور الفعلي لأهل التريكزي على امتداد منطقة وادي نون والساقية الحمراء، وتلك هي مجرد صورة مختصرة عن الضغوط الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي مورست طيلة النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) على عائلة استهدفت تعزيز التماسك ومواجهة الأزمة البنيوية القائمة. ونتيجة لذلك فلن يكون بإمكان هذه العائلة أن تواجه المد المتزايد لملابسات الأزمة وضغوطها المتعاظمة لما ينجم عنها من تفكيك لوحدة الهياكل المحلية.

توفي علي بن مبارك التريكزي في جمادى الأولى

1314 / أكتوبر ـ نوفمبر 1890 مخلفاً ثلاث زوجات وثمان بنات وتسعة أبناء وما يزيد عن أربعين من الخدم (إناثا وذكورا). وزع القاضي عبد الرحمان بن الخروف التركة على عدد من الأسهم تم حصرها في 928 سهما. على أن أهم ما يمكن أن نقف عنده بشأن تركة علي بن مبارك التريكزي هو موقف أبنائه فيما بينهم. فقد سبقت الإشارة إلى مدى ضخامة حجم الموروث الأخلاقي عبر أجيال هذه العائلة.

وقد تكلف ابراهيم بن علي بن مبارك بشؤون تركة أبيه التي لم تقسم بين الأولاد الذكور معتمداً أساليب أسلافه الأخلاقية. لقد حدث أن توفي أخوه مبارك ابن علي التريكزي بعد سنتين فقط من وفاة أبيه كما تشير إلى ذلك الوثائق العدلية. وقد كان بإمكان ابراهيم استغلال فرصة هذه الوفاة ليحتكر نصيب أبيه المتوفى بحجة أنه لم يترك أي خلف له. ولكننا نجده يحاكم القائد علي بن المعطي بشأن طفل خلفه أخوه المتوفى من إحدى أخوات القائد في إطار زواج سري. أنكر القائد علي بن المعطي مدعيا أن المتوفى لم يكن له أية علاقة بأخته وأن المولود الصغير هو لشخص آخر. وقد انتهى البحث بالقاضي عبد الرحمان بن الخروف بأن حكم لإبراهيم بن علي فتسلم ابن أخيه وحرص على تسليمه ميراثه.

انحسرت دائرة أهل التريكزي واتجهت تدريجيا نحو التلاشي لأن إبراهيم وإخوانه لم يكونوا في مستوى والدهم ولكون تكالب الأزمات الاقتصادية والسنوات العجاف واختلال الموازين القبلية ونظام التحالفات قد قاد جل أهل وعرون إلى الهجرة. وإذا كان أبناء التريكزي قد أطروا لكيان فصيلة أهل التريكزي المتميزة، فإنهم فشلوا تدريجيا في الاستجابة لمتطلبات الحفاظ على وجودهم المادي واستمرارية عزيبهم. فأساليب عيشهم ومبادئهم العليا لم تكن قادرة على مواجهة تحديات الأزمة الحادة. ولم يعد بإمكان موروثهم الخلقي أن يخلصهم من وطأة الطبيعة ولا من الفواصل التي أقامها تجزؤ الملكيات. ندرك لماذا قام إبراهيم بن علي التريكزي وفاء لعزمه على تبني المنهج القديم والمفاهيم الموروثة بالنزوع بحكم الظرفية المتأزمة نحو بيع الكثير من ممتلكاته. وقد وصل كهلا إلى مدينة الدار البيضاء حوالي سنة 1926 مصحوباً بآخر زوجاته السالكة بنت بوجمعة بن احماد أسالم وأبنائه الأربعة منها وبناته الثلاث.

إذا حاولنا بعد هذا الاستعراض المختصر استخلاص تصور معين عن مسيرة أبناء وبنات إبراهيم بن علي كنموذج مصغر لباقي أهل التريكزي، وجدنا تداخل المقاييس الجديدة بمدينة الدار البيضاء تتصارع بحدة مع تفاعل قيمهم الموروثة. فلم تلبث أمهم أن فارقت الحياة مخلفة أبناءها وبناتها تحت رياعة أبيهم الكهل. فكان طبيعياً أن يتجه الأبناء نحو الحياة الجديدة في خطى مدبدبة ومتعثرة مسعاهم في ذلك هو توفير قوتهم اليومي بأفضل الأساليب الأخلاقية الممكنة وأقربها إلى موروثهم الأخلاقي.

فنجد بأنه على الرغم من الفرص المتاحة لأكبر الأبناء أحمد بن ابراهيم، فإن عدم قدرته على التكيف مع متطلبات الحياة الحضرية في أحياء بدأت تجسد النواة الأولى لبروليتاريا المغرب، جعله يفشل في انتشال أفراد أسرته من ضائقة العيش. فبالرغم من حسن نواياه إزاء إخوته نجده يمثل شأنه في ذلك شأن كل واحد منهم نفس النموذج اللامندمج في وسط يفتقر إلى أبسط أدوات التماسك الاجتماعي. لقد دافع هؤلاء الأشخاص على قيمهم وعاداتهم المناقضة للمقاييس والأحكام التي تميز التنافر السائد بمجتمع الهجرة. وإذا كان عليهم أن يتسلحوا لذلك فأذاتهم الأساسية هي الإندماج في وسط المهاجرين من أعضاء قبيلتهم والفصائل المجاورة لهم. إلا أن هذه المحاولة استصحبت معها مضاعفات القطيعة بين المهاجرين وبيئتهم بما فيها من أنساق وسلم للتراتبات والمفاضلات الاجتماعية. فتباين مكونات المحيط الأيكلوجي وما يسود ظروف الهجرة جر على أبناء العائلات الكبيرة بعض الحساسيات التي كان على أبناء ابراهيم بن علي أن يعانوا منها. حقا لقد حرص هؤلاء الأبناء والبنات على مصداقيتهم كأشخاص متميزين خلقيا. وهو ما جر عليهم الانتقادات نظراً لضآلة حاجياتهم وقناعتهم وتجردهم النسبي عن المزالق والشهوات. وإذا كان ضعف وسائل عيشهم لم يمكنهم طوال سنوات الاستعمار وما بعده من الانقضاض على الفرص المتاحة وتوفير الضروري من العيش فذلك لأنهم لم يكونوا يعبأون بالمنافسة الحادة التي كانت تميز عدداً لا يتسهان به من زبناء قرابتهم ومنطقتهم.

التريكزية، لحبيبة بنت ابراهيم بن علي. يدفعنا التدبير اليومي على ضوء هذه المعطيات يدفعنا إلى تتبع سيرورة هذه السيدة. فرغم زواجها من أحد بسطاء أيت بليد نجدها تمتاز بشخصية قوية وخصال موروثة همشت شخصية زوجها وجعلته يبدو أصغر من صغير. لم تقم علاقتها به على أساس تحكم شامل في أمور الأسرة وممتلكاتها، بل نجدها تلتزم مواقف ارتقائية واضحة وثابتة. فهي تكشف في كثير من الأحيان عن المدلول الواسع الذي يعود بها إلى موروثها القيمي. فبينما يتهافت أبناء وبنات قبيلتها على امتلاك الممتلكات كانت تتنافس في تربية وتعليم أبناءها وبناتها. فكل ما في ممارساتها اليومية بمعناه ولفظه يدل دلالة قطعية على مدى تشبثها بما يزيد من تباين مواقفها مع وسطها. وعندما ارتأت فصل الرابطة التي كانت تجمعها بزوجها، فإنها لم تتوان لحظة في طلب الطلاق متحررة من قيود لم تأنس بها قط. إن الصورة التقريبية العامة تظهر أن ربط البحث بشخصية متميزة كهذه مشروع أكبر من أن نتطرق إليه في هذه العجالة. فإذا تسلحنا بالمعرفة الدقيقة والمنهجية اللازمة في إطار إشكالية جد متبلورة اتضحت ملامح حياة زاخرة بالصبر والدروس والمعرفة التاريخية.

توفيت السيدة لحبيبة بنت ابراهيم بتاريخ 17 ربيع الأول عام 1413 / 15 سبتمبر 1992 عن سن تناهز السبعين وما أحوجنا اليوم إلى التعمق واستدراك كنهها. لقد ظل تراكم المقاييس والقيم الموروثة هو عالمها الذاتي وأسلوبها الأفضل في تجاوز المد العشوائي لمجتمع القرن الحالي.

دراسة ميدانية وروايات شفوية.

مصطفى ناعمي

التريكي، علي، رايس بحري من رياس الأسطول الجهادي المغربي العاملين في نهاية عهد سيدي محمد بن عبد الله. كان من ضمن الرياس الخاضعين لإشراف صهر السلطان القائد محمد الزوين ولد عبد الله الرحماني. وقد سجلت الحوليات عن الرايس علي التريكي أنه انطلق من مرسى العرائش في شهر رمضان سنة 1203 / ماي - يونيه 1789 باتجاه مصب أبي رقراق. لكنه تعرض عند مدخل المرسى لمشاكل ملاحية نجم عنها فقدانه لبعض بحارته على متن فلك، وقد أجبرته تلك المشاكل على المكوث بالمرسى حتى يوم عاشر شوال من نفس السنة، لينتقل مجددا إلى العرائش رفقة سفينة الرايس محمد العسري السلاوي بمهمة حمل القراريط منها إلى ميناء الصويرة، وهما في الطريق إلى الجزر الخالدات.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، ص. 95 - 96.

حسن أميلي

التريكي، محمد بن أحمد بن الحاج الهاشمي بن الحاج عبد الرحمن بن عبد العزيز الأسفي. ولد في ربيع الأول عام 1275 / أكتوبر - نونبر 1858 ودرس في مسقط رأسه أسفي على الفقيه البشير الحكيم، والقاضي محمد بن عبد الواحد الفيلالي الذي كان أول من تولى القضاء بأسفي من غير أهلها وذلك في ثالث ذي الحجة عام 1292 / 31 دجنبر 1875. كما أخذ التريكي بفاس عن الفقيه الكبير الحاج محمد كنون. وكان إلى جانب تحصيله الفقهي أديباً وشاعراً ومؤلفاً باحثاً. له *إرشاد النبيه إلى معاني التنبيه*، وهو تعليق على تنبيه الشيخ ابن عباد في *شرح الحكم العطائية* ؛ و*دلالة المريدين* ؛ و*شرح منظومة الفقيه كرصيلو في آداب تعليم الصبيان*. ومن أدبياته ما رمز فيه لتاريخ ميلاد الولي الصالح الشهير سيدي العربي ابن السايح، ومداعبات شعرية مع أصدقائه.

توفي يوم الأحد 20 قعدة عام 1345 / 22 ماي 1927.

م. العبدي الكانوني، *أسفي وما إليه* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 5 : 436 ؛ أ. الصبيحي، *باكورة الزبدة*، مخطوط ؛ *تقييد للفقيه مولاي عبد السلام بن مولاي الحاج*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1345.

الطاهر وعزيز

التريكي، محمد بن علي الرايس متقدم الترجمة. كان يعيش بالرباط متضلعاً في علوم الرياضيات والهندسة والتوقيت. خلف *تقاييد* جليلة في الأسطرلاب وغيره، وبرع في رسم أوضاع هندسية عجيبة، كالشكل الكوري (أو الكروي) وهو شكل عجيب شامل لسائر الزوايا والخطوط وأشكال الهندسة مما لم تشمله *أصول أقليدس وتهذيب الطوسي* ؛ ومنها ربع عجيب وضعه للإمام العارف علي بن أحمد بن الطيب الوزاني، وهو ربع متقن الصنعة، محكم العمل، نقش فيه أبياتا من إنشاء الأديب ابن عمرو، تتضمن تاريخ وضعه، واسم من صنع له وصانعه.

م. بوجندار، *الاغتباط*، ص. 178 - 179.

حسن أميلي

تريمولي، محطة توجد حسب إشارات النصوص القديمة على الطريق الداخلي الذي يربط بين *طنجة* في الشمال ومدينة وليلي وتكولوسيدا في الجنوب. بالنسبة للتسمية فقد ورد هذا الاسم في "مرحلية أنطونان" وكذلك عند الجغرافي الراڤيني. هذا الاسم له بمدلوله النباتي وهم نوع من الشجر (حَوَر وَجْرَاج ترتجف أوراقه لأقل نسمة).

ربط شارل تسّو في أواخر القرن التاسع عشر هذه المحطة بمدينة البصرة : "محطة تريمولي وضعتها مرحلية أنطونان على بعد تسعة عشر ميلا (18 كلم و139 م) من سابقتها فويسكيانيا (Vopiscianae) وعلى بعد اثني عشر ميلا (17 كلم و772 م) من أيدوم نوڤوم...". أما "شتلان" قد أبدى بعض الحذر فيما يخص هذا التحديد. وأعاد "أوزينا" النظر في هذا التحديد. مؤكداً أنه ليس هناك أي استقرار روماني في مدينة البصرة كما سبق أن أكده شتلان وأن هذا التحديد لا يتطابق مع المعطيات التي وردت في مرحلية أنطونان، واقترح أن تقترن محطة تريمولي بسوق أربعاء الغرب، مغيرا تتابع المسافات بين مختلف المحطات الواردة في مرحلية أنطونان وخاصة بين "جلدا" و"فويسكيانيا" ثم بين فويسكيانيا وتريمولي وبعدها بين تريمولي وأپيدوم نوڤوم.

لقد أغفل هؤلاء الباحثون المعطيات الأثرية التي تم العثور عليها بمنطقة عرباوة والتي نشرها شتلان في كتابه *مغرب الرومان* "قرمود روماني.. عثر عليه بفناء نزل صلوصر، وكذلك بقايا بعض الجدران التي مازالت في أماكنها". هذا المكان بالضبط أجريت به حفريات أشرف عليها القبطان لڤيلان (Levilain) وأزاح الستار عن بقايا خمس قاعات، هذه البقايا لابد من ربطها بحمامات كانت توجد بهذه المنطقة. هذه المعطيات الأثرية ستعزز باكتشافات أخرى عثرت عليها جماعة من الباحثين في سنة 1988. وجدت بجوار هذه البقايا في الجهة الغربية للطريق الرابطة بين سوق الأربعاء والقصر الكبير المارة بمدينة عرباوة. حيث تم العثور على فرشة ضخمة تتكون من الكثير من الآجر والقرميد الروماني، هذه الأخيرة تم ربطها بوجود فرن لطبخ هذه المواد. وتم العثور على نقط أخرى للاستقرار الروماني بجوار أحد الأولياء لا يبعد كثيراً عن مركز عرباوة وهو الولي المعروف سيدي أحمد بن الزراد،

وكذلك بجوار مدينة القصر الكبير وبالضبط على ضفتي نهر اللكوس. هذه النقط ساعدت على تحديد الطريق الروماني الذي كان يربط بين أبيدوم وتريمولي بل الأكثر من هذا هو أن اكتشافات أخرى تمت بين 1988 وسنة 1993 مكنتنا من استكمال الطريق التي سبقت الإشارة إليها نحو الجنوب أي بين تريمولي وڤويسكيانيا (سوق أربعاء الغرب). إن كثرة المواقع التي عثر عليها بهذه المنطقة والتي تنتظم في شكل خطي قد حملت الدليل القاطع على أن هذا التنظيم لا يمكن أن يرتبط إلا بمرور طريق رومانية بهذه المنطقة وإلى وجود مجموعة من النقط العسكرية التي كانت تشرف على مراقبة هذه الطريق. في الأخير يمكن التأكيد على أن محطة تريمولي لابد منذ الآن أن تقترن بمدينة عرباوة.

Ch. Tissot, *Recherche sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris ; L. Chatelain, *Le Maroc des Romains*, Paris, 1968, p. 113 ; M. Euzennat, *Les voies romaines du Maroc, dans l'Itineraire Antonin*, in *Mélange A. Grenier*, 1952, p. 607 ; M. Euzennat et J. Marion, *Inscription antique du Maroc*, 2, *Inscriptions Latines*, Paris, 1982, p. 66 ; L. Chatelain, *Le Maroc des Romains*, Paris, 1968, p. 120 - 121 ; A. Akerraz et R. Rebuffat, *El Qsar el Kebir et la route intérieure de Maurétanie Tingitane entre Tremuli et Adnovas*, in *113ème congrés des sociétés savantes*, Strasbourg, 1988, *IVème colloque sur l'Histoire et l'Archéologie de l'Afrique du Nord*, T. II, p. 367 à 408; H. Limane et R. Rebuffat, *Voie romaine et système de surveillance militaire sur la carte d'Arbaoua*, in *118ème congrés national des sociétés historiques et scientifiques. VIème colloque sur l'histoire et archéologie de l'Afrique du Nord*, Pau 1993, à paraître.

حسن ليمان

تريو، بيير Pierre Treillault، صيدلي فرنسي، ولد بمدينة رُوان Rouen بإقليم نورماندي حوالي عام 1550، واكتسب خبرة في تحضير الأدوية، ذلك ما جعل الطبيب الفرنسي النبيل أرنول دو ليل Arnould de Lisle، بمجرد ما وافق هانري الثالث، ملك فرنسا على تعيينه طبيباً لأحمد المنصور يطالب بالحاق تريو به، مساعداً له.

صار تريو يحضِّر في مراكش من الأدوية ما يصفه له أنول دو ليل، فنال إعجاب أحمد المنصور الذي جعله صيدليه الخاص. يرافقه في حله وترحاله، كما يرافق أبناء المنصور في تنقلاتهم عبر المغرب. وفي هذا الإطار سار تريو في محلة ولي العهد الأمير محمد الشيخ المامون الذي خرج من فاس في شهر يوليوز عام 1004 هـ / 1595 م، لمحاربة الناصر ابن عبد الله الغالب، الثائر على عمه أحمد المنصور، بعدما ثار من قبل على عمه عبد المالك.

وهكذا شهد تريو أحداث معركة الركن، يوم 3 غشت 1595 ووصفها (انظر مادة الركن)، ثم شهد معركة تغات، يوم 12 ماي 1596 ووصفها كذلك (انظر مادة تغات). ورجع تريو إلى فرنسا بعدما قضى سنوات في خدمة أحمد المنصور بالمغرب. ولم نقف على تاريخ وفاته.

S.I.H.M.

أحمد بنجلون

التزوطي، أسرة مخزنية كبرى تنتسب إلى التوازيط بطن من فرقة أولاد نعيم من قبيلة بني حسن المستقرة بسهول الغرب. وقد تولى عدد كثير منهم قيادة قبيلتهم أيام الحسن الأول وقبله. منهم :

التزوطي، حسن بن غانم، عين سنة 1299 / 1882 لكنه سجن سنة 1302 / 1885.

التزوطي، الراضي بن محمد. لعله كان قائداً سنة 1329 / 1911.

التزوطي، عبد القادر بن **التهامي** كان سنة 1321، مديناً لتاجر ألماني مع القائدين المعطي بن غانم والمعطي بن بوعزة. وقد ولي سنة 1329 / 1911 وعزل بعد ذلك بقليل.

التزوطي، عبد القادر بن **العربي** المدعو الحنگوط، كان ضمن عمال التوازيط سنة 1310 وعزل وسجن سنة 1311.

التزوطي، العربي بن **الحفيان** استعمل سنة 1308 وأعفي سنة 1311، ليحل محله العربي بن محمد التزوطي.

التزوطي، العربي بن **عبد السلام** المخلوفي ولي سنة 1295 و1296 على التوازيط.

التزوطي، العربي بن **محمد** ولي قبل سنة 1291 / 1874 ثم عزل وسجن سنة 1297 / 1880 لشططه وعنفه. وقد أفرج عنه بعد ذلك، وسرعان ما أعيد القبض عليه سنة 1303 / 1885، وسرح مرة أخرى سنة 1307 / 1890. ويبدو أنه أعيد إلى القيادة سنة 1311 وبقي يشغلها إلى وفاته سنة 1316 / 1898.

التزوطي، علال بن **العربي** بن محمد. تقلد هذا المنصب بعد وفاة أبيه سنة 1316 / 1818. لكنه سجن سنة 1326.

التزوطي، علال بن **محمد** بن العربي. ولي سنة 1328 / 1910، وعزل قبيل الحماية.

التزوطي، علي الذي لم يرد اسم أبيه وجده. كان سنة 1314 / 1896 قائداً. وكان لايزال سنة 1318 / 1900 عاملا. ويظهر أنه توفي سنة 1321 / 1904 وأحصي متروكه.

التزوطي، عمرو بن طّنيعْمُو. ولي سنة 1325 وعزل بعد سنتين.

التزوطي، محمد بن الحفيان. كان عاملا سنة 1281 / 1864، وهو الوحيد الذي وقفت على اسمه قائداً قبل عهد مولاي الحسن.

التزوطي، محمد بن الطيب الليوي. كان قبل 1306 قائداً. وسجن في السنة بعدها. وكان لايزال محبوساً سنة 1311.

التزوطي، محمد بن عبد القادر الشقيرني الربكاوي، عين سنة 1327 واستمر إلى سنة 1329.

التزوطي، المعطي بن بوعزة المعروف بولد زايدة. كان قائداً سنة 1314 مثل المعطي الذي بعده. وقد استدان مثله للتاجر الألماني المذكور فسجن سنة 1321.

التزوطي، المعطي بن غانم. كان سنة 1314 / 1897 أحد قواد التوازيط بعد أن كان أخوه الأحسن قائداً فسجن. وقد سجن المعطي نفسه سنة 1321 لأنه استدان لتاجر ألماني بالرباط.

هذا ما استلخصته من استقراء بعض النصوص، وفيما يُوجد بدون تمييز : العربي بن محمد، ومحمد بن العربي، وعلال وعلي، علماً بأن عليا وعلالا اسم واحد عند بني حسن، وقد يكون بعض هؤلاء العمال مجرد أشياخ كبار كانت لبعضهم طوابع مثلما كانت لأمناء الخرص.

م. بوشعراء، *قبيلة بني حسن*، 1860 ـ 1912، مخطوط ؛ *الوثائق الملكية* ؛ والصبيحية ؛ والبنسعيدية.

مصطفى بوشعراء

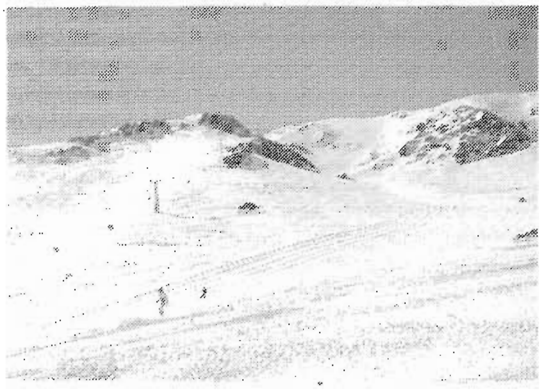
التساقطات الثلجية، إذا كانت التساقطات في المغرب عموماً غير منتظمة فإن عدم الانتظام هذا يتجلى أكثر في التساقطات الثلجية، ذلك أنه إضافة إلى كون كمياتها تختلف من سنة لأخرى في كل المحطات الجبلية فإنها لا تحدث بصفة منتظمة خلال نفس الفترة من السنة.

تحدث هذه التساقطات في كل من الريف والأطلس المتوسط والكبير خلال أبرد شهور السنة (دجنبر ـ يناير ـ فبراير). إلا أن هذه الفترة يمكن أن تضم شهر نوفمبر في كثير من المحطات التي يزيد ارتفاعها عن 1.500 متر في الأطلس المتوسط، كما يمكن أن تحدث خلال بعض السنوات في مارس وأبريل وماي.

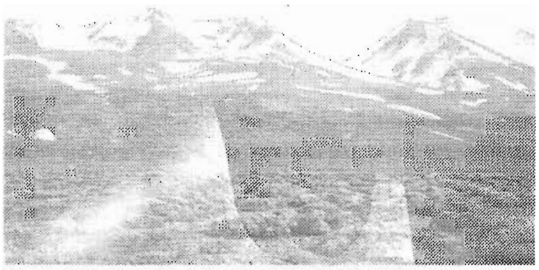
تساهم كل أنماط الطقس المضطرب في المغرب في هذا النوع من التساقطات، إلا أن الكميات المتساقطة تبقى شديدة التغير خاصة من حيث مستوى الارتفاع الذي تحدث فيه. أكبرها يسجل عندما تكون مسارات الاضطرابات شمالية أو شمالية غربية. ومن حيث توزيع عدد أيام الثلج يمكن إيجاد ثلاثة مناطق في المغرب.

ـ مجال تنعدم فيه التساقطات الثلجية ويضم المناطق الساحلية جنوب الجديدة ونحو الداخل عند المناطق ذات الارتفاعات الضعيفة وأيضا نحو الجنوب.

ـ مجال لا يعرف تساقطات ثلجية إلا نادراً جداً ويضم الساحل الشمالي والمناطق الداخلية ما بين الريف والهضبة الوسطى.



ـ مجال يتساقط فيه الثلج خلال كل فصل شتاء ويضم مناطق ذات ارتفاعات تتعدى ما بين 700 و900 متر في المناطق الشمالية أو أكثر من 1500 متر عند السفوح الشمالية من الأطلس الكبير أو السفوح الغربية للأطلس الصغير.



عدد أيام الثلج بصفة عامة غير مترفع يصل في المتوسط إلى 23 يوما في إفران و40 أو 45 يوما في أعلى قمم الأطلس المتوسط والكبير.

يخضع التوزيع المجالي للكميات لنفس العوامل الجغرافية التي تمت الإشارة إليها بالنسبة للتساقطات المطرية إلا أن عامل الارتفاع يكاد يطغى على باقي العوامل الأخرى. فعموماً إذا كان عدد أيام الثلج في إفران (1660 م) يصل إلى 23 يوم فإنه لا يتعدى أربعة أيام في الحاجب مثلا عند ارتفاع 1050 متر. تتقلص هذه المدة نحو الجنوب تحت تأثير عامل العرض حيث لا يسجل إلا ثمانية أيام في أزيلال عند ارتفاع 1430 متر ويوم واحد في دمنات عند ارتفاع 1000 متر.

يمكن القول بصفة عامة بأن مجال التساقطات الثلجية في المغرب هو مجال جد محدود إذ أن المناطق المرتفعة فقط

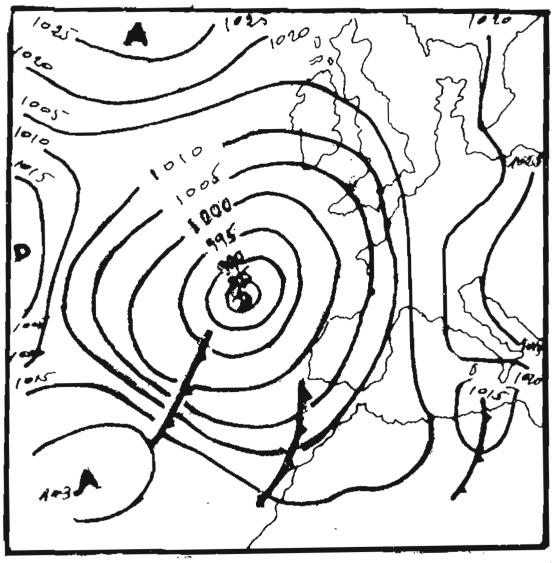
هي التي تحظى بتساقطات من هذا النوع وذلك ابتداءً من 1500 متر في الأطلس المتوسط و2500 متر في الأطلس الكبير وهي عموما كميات لا يتعدى سمكها في المتوسط خمسين سنتمتراً.

D. Noin, *La neige au Maroc, Notes marocaines*, n° 5, pp. 5 - 11, 1961 ; G. Roux, *La neige au Maroc, Mem. Soc. Sci. Nat., Maroc* n° 11, pp. 75 - 86, 1935.

التساقطات المطرية، تنتمي التساقطات المطرية في المغرب إلى نموذج التهاطل الجبهي السائد في المناطق المعتدلة والمترتب عن اضطرابات الجبهة القطبية التي تتكون عند هذه العروض إثر تلاقي الكتل الهوائية القطبية والمدارية.

يتبع نظام التساقطات في المغرب تطور النظام المطري المتوسطي المتميز بجفاف فصل الصيف والذي تحكمه آليات الدورة الهوائية عند هذه العروض، فموقع المغرب من حيث العرض الذي يجعله عند الهوامش الجنوبية لمنطقة سيادة تأثيرات مختلف مظاهر مناخ الوسطى يحدد بشكل خاص الإطار العام لتوزيع التساقطات.

سيادة هذا النظام يرتبط بشكل خاص بانتقال حقل الضغط نحو الشمال ونحو الجنوب تمشياً مع تزحزح حركة الشمس الظاهرية، الشيء الذي يترتب عنه خلق ظروف عامة تحدد بدورها أنماط طقس وحالات جوية متميزة تتباين نسبة ترددها حسب الفصول وتبعاً كذلك للحالة التي تكون عليها هذه الظروف بالنسبة لوضعيتين قصويتين تشكلان الإطار العام المميز لتوزيع التساقطات خلال السنة داخل المناخ المتوسطي.

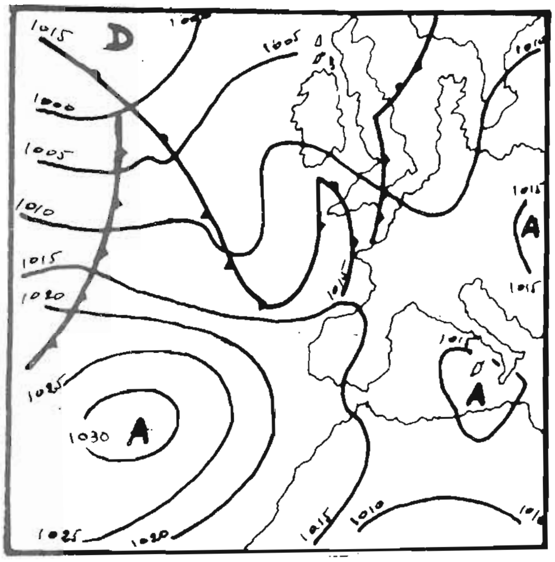


I ـ الحالة الجوية العامة ليوم 20 نونبر 1989

ـ الوضعية الأولى : مع نهاية الصيف وبداية الخريف يبدأ نظام الضغط السائد في مختلف العروض في التغير مواكباً في ذلك التغيرات التي تطرأ هي الأخرى على عوامل توزيع الظواهر الإشعاعية والطاقية على سطح الأرض والتي تنتج عن حركة الشمس الظاهرية وتركز هذه الظواهر أكثر فأكثر في نصف الكرة الجنوبي.

تتميز الوضعية الجوية عند عرض المغرب خلال هذه الفترة بالانتقال التدريجي لخلية الضغط الجوي المرتفع الشبه مداري للاستقرار أكثر فأكثر في عرض السواحل الأطلنتية المغربية مما يترتب عنه فسح المجال أمام اضطرابات الجبهة القطبية لاتخاذ مسارات أكثر فأكثر جنوبية تؤدى بها إلى التردد حسب مسالك متميزة على مختلف الجهات الشمالية المغربية (الرسم رقم 1).

ـ الوضعية الثانية : مع نهاية الربيع وبداية فصل الصيف تعود حركة الشمس الظاهرية للصعود من جديد نحو الشمال ومعها خلية الضغط المرتفع الشبه مداري للاستقرار هذه المرة عند السواحل الفرنسية ـ الإيبرية مما يشكل حاجزاً أمام تقدم الاضطرابات نحو الجنوب، فتصبح مساراتها أكثر فأكثر شمالية وتأثيرها بعيداً عن عرض المغرب وحوض البحر المتوسط فيكون ذلك إيذانا بانطلاق فترة الجفاف المميز لهذا المناخ والذي يستمر إلى نهاية الصيف وبداية الخريف (الرسم رقم 2).



II ـ الحالة الجوية العامة ليوم 10 يوليوز 1992

تبعا لذلك نجد أن التطور السنوي للتساقطات داخل هذه العروض ينقسم بصفة عامة إلى فترتين أساسيتين : فترة رطبة تدوم عادة من أكتوبر إلى أبريل أو ماي وفترة جافة تدوم من ماي إلى شتنبر، إلاّ أن هذا الإطار العام يعرف بدوره تنوعاً كبيراً داخل هذه العروض تحت تأثير العوامل الجغرافية المحلية التي تتدخل باستمرار لإضفاء طابع جهوي أو محلي على هذا التطور السنوي للكميات المستساقطة (الرسم رقم 3). هكذا نجد أن من بين الخصائص الرئيسية لهذا النظام عند عرض المغرب تميز فترته الرطبة بوجود نهايتين قصويَيْن تفصلهما نهاية دنيا.

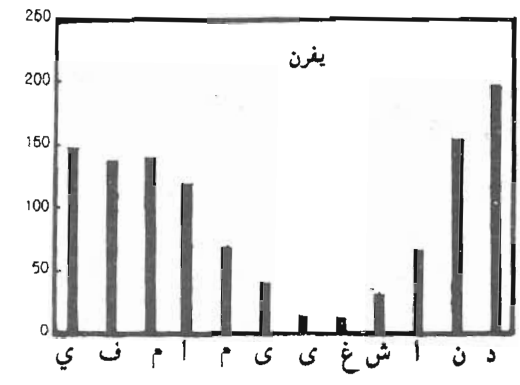
تحدث النهاية القصوى الأولى خلال الخريف وبداية الشتاء ويستحوذ داخلها شهر دجنبر عادة على أكبر كمية

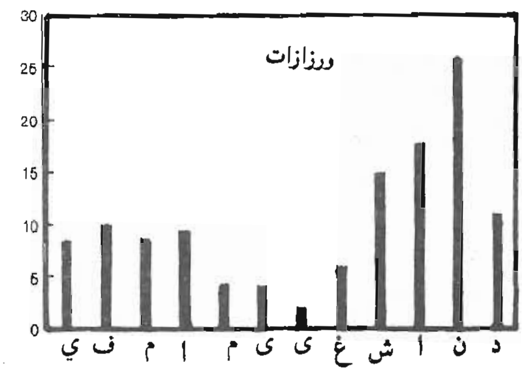
شهرية وتحدث النهاية العظمى الثانية خلال الربيع مع تركز أقصى خلال شهر مارس أو أبريل.

أما النهاية الصغرى فتستقر عادة خلال شهر يناير أو فبراير حيث يغلب على هذه الفترة حالات الاستقرار الكبير للهواء وظهور أنماط خاصة من الطقس الصحو الجميل يقل على إثره تردد حالات الأمطار مما يؤدي إلى انقطاع في وتيرة تزايد الكميات خلال هذه الفترة.

إذا كان هذا التوزيع الزمني للتساقطات يعكس نظام تواتر الاضطرابات على المنطقة خلال السنة تبعا للدورة الهوائية العامة، فإن التوزيع المجالي يبرز دور عدة عوامل جغرافية غالباً ما يؤدي فعلها إلى خلق تفاوتات مهمة من منطقة لأخرى.

التساقطات المطرية





النظام المطري لمحطتي يفرن وورزازات

يشكل العرض أهم عامل مؤثر في هذا التوزيع، إذ أن الكميات السنوية تقل تدريجيا من الشمال نحو الجنوب نظرا لكون مسارات الاضطرابات تتردد خلال الفترة الرطبة تبعا للظروف العامة التي تسمح بها الدورة الهوائية العامة، وعليه فإن هذه المسارات تنزل تدريجيا نحو الجنوب مع بداية الفترة الرطبة وتتركه في وقت مبكر لتتركز أساساً في الشمال عند نهاية هذه الفترة لذلك تقل الكميات عموما باتجاه الجنوب.

طنجة 750.6 ملم

الرباط 571.9 ملم

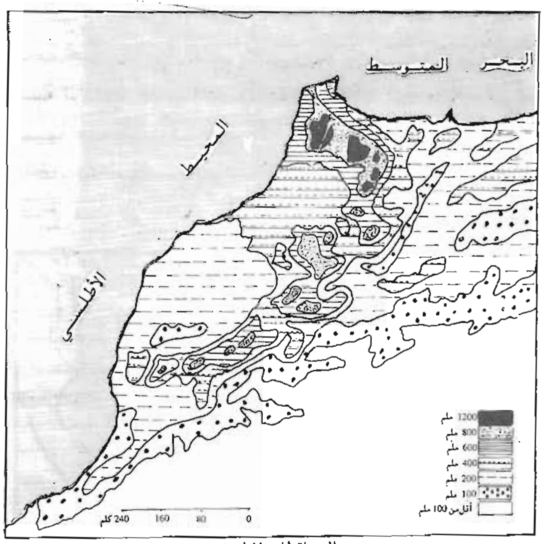
أگادير 250.3 ملم

طان طان 87.1 ملم

وتلعب التضاريس دوراً أساسياً في هذا التوزيع وذلك من خلال عنصري الارتفاع والتوجيه، فالاضطرابات التي تضطر إلى تخطي سلسلة جبلية يضطر الهواء معها إلى الارتفاع أكثر، الشيء الذي يزيد من فاعلية جبهاتها من خلال الزيادة في حالات عدم الاستقرار داخل الاضطرابة مما يزيد من غزارة التساقطات. لذلك تتراوح الكميات في المناطق المرتفعة من الريف والأطلس المتوسط والكبير ما بين 800 و1200 ملم كما تستحوذ السفوح المتعارضة مع محور مسارات هذه الاضطرابات على أهم الكميات بالمقارنة مع السفوح التي هي في ظلها وذلك لأنها في الحالة الأولى تكون مضطرة إلى الارتفاع بينما على الثانية تكون مضطرة للنزول وهذا أيضا له وقعة على دينامية الاضطرابة وفعالية جبهاتها، إذ أن نزول الهواء الاضطراري يؤدي إلى تسخينه النسبي وإلى تقليص حدة التناقض الحراري الذي يعتبر بمثابة المحرك الأساسي للاضطرابة. وهكذا نجد أن السفوح الغربية عموما تكون أوفر خطا من الشرقية.

بني ملال 398.6 ملم

ميدلت 213.8 ملم



التساقطات المطرية

تظافر هذه العوامل مجتمعة تجعل خريطة التوزيع (رسم 4) تعرف تفاوتا مهما من منطقة لأخرى مما يترتب عنه تمييز أربعة مناطق متجانسة :

1 - المناطق الجبلية وهي على التوالي :

- الريف وهي المنطقة التي تتلقى أكبر الكميات خاصة المناطق الغربية والوسطى منه حيث تتلقى هذه المناطق كميات تتراوح ما بين 900 و1500 ملم سنويا، بينما تقل هذه الكميات تدريجيا في اتجاه الشرق على السفوح الشرقية المطلة على البحر المتوسط.

- الأطلس المتوسط والهضبة الوسطى وهي المناطق التي تتلقى ما بين 900 - 1200 ملم عموما على السفوح أساساً.

- الأطلس الكبير عموما أقل رطوبة إلا أن ارتفاعه (جبل توبقال 4165) يؤهله لتلقى كميات نسبيا مهمة عند قسمه الأوسط حيث يمكن أن تصل على السفوح الموجهة إلى أكثر من 900 ملم، بينما تنخفض هذه الكميات تدريجيا كلما اتجهنا نحو الشرق حيث تظهر هذه المناطق قاحلة لا تتعدى الكميات فيها 400 ملم على السفوح الموجهة وأقل من 200 ملم عند الأودية الداخلية.

2 - الهضاب الأطلسية : تتراوح الكميات عنا عموما ما بين 200 و800 ملم يرتكز أعلاها عند مناطق شبه الجزيرة الطنجية وسهل الغرب حيث يدور معدل التساقطات هنا ما بين 600 و800 ملم وتصبح ما بين 400 و600 ملم عند المنطقة الممتدة من الساحل الأطلسي عند عرض الرباط - الدار البيضاء إلى غاية منحدرات الهضبة الوسطى وتقل عن 400 ملم جنوب الدار البيضاء ونحو الداخل في اتجاه منطقة تادلة، بل لا تكاد تتعدى 200 ملم عند منطقة الحوز وبالأخص عند منطقة شيشاوة، في حين تدور هذه الكميات حول 200 و300 ملم عند سهل سوس.

3 - المنطقة الشرقية : هي منطقة جافة لوجودها في ظل سلاسل الأطلس المتوسط لكنها لا تعرف بعض التركز الأقصى للكميات إلا على السفوح الشمالية الغربية حيث تصل إلى ما بين 600 و900 ملم في حين لا تكاد تتعدى 400 ملم في باقي المناطق : الوادي الأعلى لملوية : أقل من 200 ملم والنجود العليا أقل من 300 ملم.

4 - المنطقة الصحراوية : تنفرد هذه المنطقة بكونها مجالاً قاحلاً إذ لا تكاد تصل الكميات هنا إلى 100 ملم إلا على السفوح الجنوبية للأطلس الصغير في حين تبقى دون ذلك في باقي المناطق جنوبا إلى غاية الحدود المغربية الموريطانية.

A.Bellichi, *Contribution à l'étude de la pluviométrie de la partie septentrionale du littoral atlantique marocain, espace rural*, Juin 1991, n° 25, pp. 45 - 51 ; A. Bernard, *Les régimes des pluies au Maroc, Mémoire de la Société des Sciences du Maroc, T. I* n° 1, 1er Juin 1921, pp. 2 - 35 ; H. Isnard, *La répartition saisonnière des pluies au Maroc, Annales de Géographie*, pp. 38 - 42 ; G. Roux, *La variation annuelle des précipitations au Maroc. Bul. Soc. Sci. Nat. Maroc*, T. 27, 1947, pp. 309 - 321.

علي البلشي

تَسَاكُورا (Tsacora)، مدينة من مدن موريطانيا الطنجية، ولكن لم يذكرها سوى الجغرافي المجهول الاسم من راڤينا (Ravenne) (القرن 9 م). وقد عدها ضمن مجموعة مدن نجهل مواقع معظمها لأن بعضها اندرس منذ القديم، والآخر لم تمط الحفريات عنه التراب بعد.

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924.

البضاوية بلكامل

تسْتَاوْت أو تسَاوت، وقد تمدّ التاء الأولى، وادٍ ينبع من الأطلس المتوسط ويعد من أهم روافد واد أم الربيع. يقع غربي مدينة خنيفرة ويبعد عن واد زمّ بنحو تسعين كيلومتراً. اشتهر الموقع بضريح الشيخ مَحمد مبارك الزعري التستاوي (ت. 1006 / 1597) وهو جد التستاوتيين المباركين العلماء الأدباء بمكناس وسلا. وتوجد فرق من التستاوتيين في كل من ضاحية قلعة السراغنة وورزازات.

محمد حجي

التستاوي، إبراهيم بن أحمد بن عبد القادر، فقيه علامة، أديب، لا نعرف تاريخ ولادته، أما أسرته التي أنجبت عدداً من الفقهاء والعلماء والأدباء والأولياء، فتنتمي إلى موطنها تستاوت الواقعة جنوب ولماس في طريق واد زم، وتبعد عنه بتسعين كلم. كان إبراهيم بن أحمد يكاتب أباه - آتي الذكر - ويراجعه بأشعاره التي توجد بين ثنايا كتاب والده *نزهة الناظر*، ومن جملة ما كتب له بعد إحدى زياراته لضريح مولاي عبد السلام بن مشيش قصيدة مطلعها :

شَرِبْنَا مُداماً يُستلذُّ شرابُه ورقّ لنا الساقي، وطابَ انْتِسابُه

كما كانت له مراسلات مع أهل مدينة سلا، هذه المدينة التي تربطها صلات وطيدة بالأسرة التستاوتية.

أصيب إبراهيم التستاوتي بمرض عام 1083 هـ / 72 - 1673، فكتب له أبوه أبياتاً تظهر المكانة المتميزة التي يحظى بها عنده، ووضع بإيعاز من عمه العياشي، شرحاً على *الواردات الصوفية* لهذا الأخير. يوجد في مجموع خطي (خ. ع.، 2010 د، ص. 328 وما بعدها).

لم نقف على تاريخ وفاة إبراهيم، إلا أنه كان حيا في 29 ذي الحجة عام 1124 / 27 يناير 1713.

التستاوتي، أحمد بن عبد القادر بن عبد الوهاب بن موسى بن الشيخ محمد بن مبارك الزعري، من أكبر علماء وقته، كان مشاركاً في علم الظاهر والباطن، له ملكة واسعة وقوية في نظم الشعر، وعارضة في الأدب. سكت مترجموه عن سنة ولادته، لكن، اعتماداً على بعض الإشارات الواردة في مؤلفه *نزهة الناظر* يظهر أنه ولد حوالي عام 1044 / 34 - 1635.

لم يحدد التستاوي مكان ولادته بالضبط، لكن، يبدو أن الأمر يتعلق بالرقعة الجغرافية التي تنحصر بين نهري العبيد وأم الربيع.

أشار مترجموه إلى نسبه الحسني اعتماداً على شرح أحمد بن عبد القادر لبيت من منظومته لرجال المتع، حيث سطر فيه أن جده الشيخ محمداً ابن مبارك حسني النسبة، الأمر الذي أكده تلميذه أحمد بن عاشر الحافي.

قضى أحمد بن عبد القادر طفولته في الرَّحية، وهي قريبة من تستاوت ثم نزل بأرض زعير التي حل بها جده الشيخ مَحمد بن مبارك. شرع خلال هذه الفترة في حفظ القرآن الكريم وبعض المتون، ثم انتقل بعد مدة إلى جبل صَرْصَرٍ قرب القصر الكبير لتحسين وضعيته المادية من جهة، والابتعاد، من جهة ثانية، عن الفتنة التي اندلعت بين أولاد الشيخ ابن مبارك "الذين تطاحنوا بسبب جهلهم وغلبة الشهوة عليهم وحبهم للدنيا والرياسة"، كما أكد ذلك

صاحب الترجمة في *النزهة*. إن ما يميز حياة أحمد بن عبد القادر هو كثرة تنقلاته بين البوادي والحواضر، هكذا، نراه يضطر إلى العودة من جديد إلى زعير، وهو مازال يعاني من العسر، ثم بعد مدة شدالرحال إلى الزاوية الدلائية التي كانت تعج بفطاحل العلماء، وقد تأثر كثيراً بهم لا سيما الحسن اليوسي، ويظهر ذلك بوضوح في رسائل التستاوتي لهذا الأخير حيث نجدها مشحونة بتحليات التقدير والتمجيد. لم يتيسر لصاحبنا المقام بالزاوية الدلائية، فغادرها متحسراً بعد أن عايش علماء بارزين في شتى مجالات المعرفة. وتفيدنا *النزهة* أن التستاوتي استمر بعد ذلك في ترحاله، وإذا انتهى به المقام بمدينة مكناس، فإن ذلك بأمر من السلطة، كما سنرى، وتجدر الإشارة إلى أنه كان يعاني من عاهة العرج، وقد رزق أولادا كثراً، ووردت أسماء جلهم في *النزهة* (ص. 206)، وسنتطرق - بالإضافة إلى إبراهيم، آنف الذكر - إلى البارزين منهم.

أخذ أحمد بن عبد القادر العلم على يد شيوخ كبار ذيل نظمه *لمتع الأسماع* بذكرهم، أمثال : عبد القادر الفاسي، قرأ عليه المعاني بفاس عام 1068 هـ / 57 . 1658)، واجتمع في نفس السنة بالشيخ ميارة بجامع اللبارين، وقرأ عليه *رسالة* ابن زيد، وقد أجازه الشيخ مَحمد بن ناصر الدرعي مختصر *خليل*، *وألفية* بن مالك، *ورسالة* ابن أبي زيد، وعقيدة الشيخ السنوني وغيرها. واجتمع صاحب الترجمة مرة ثانية، عام 1081 هـ/ 70 . 1671، في فاس بالشيخ عبد القادر الفاسي، وأخذ عنه سند المصافحة، *والحزب الكبير*.

انصب اهتمام مترجمي أحمد التستاوتي على العلاقة التي تربطه بالزاوية الناصرية، ومؤسسها الشيخ مَحمد ابن ناصر، لاسيما وأنه خصص جزءاً هاماً من الباب الثاني من *النزهة* للمراسلات التي دارت بينه وبين شيخه في الطريقة المذكورة. ونستشف منها أن الحسن اليوسي هو الذي دلّ التستاوتي على الشيخ ابن ناصر، ويظهر منها كذلك انجذاب صاحبنا إلى هذا الأخير وطريقته : "إلى قدوتي، ورحمتي ونعمتي... وبعد، فإني إليك أنتمي، وأنت المعول، ولو ظهر من الأولياء مثل عدد نجوم السماء لكانت لي بك الكفاية على الجميع" (*نزهة*، 20). وفد التستاوتي على شيخه وفادتين : كانت الأولى عام 1081 هـ / 1671 م. وتمت الثانية عام 1084 هـ / 73 . 1674، ومن خلالهما يظهر ما يكنه كل واحد للآخر من صفاء المحبة. ونشير إلى أن التستاوتي استأذن شيخه في نشر الطريقة الناصرية. وبعد وفاة هذا الأخير 1085 هـ / 74 . 1675، ظل صاحب الترجمة على وفاء وإخلاص للزاوية الناصرية، على الرغم من الوحشة التي وقعت بينه وبين الشيخ أحمد بن ناصر (العميري، *فهرس*، 34). ويجدر التذكير أن التستاوتي الذي نشر طريقته في عدة مناطق، خاصة في مدينة سلا، قد خصص جزءاً هاماً من *النزهة* للمراسلات والمساجلات التي دارت بينه وبين مريديه السلويين، وكلها تؤكد متانة الروابط بين الجانبين، ومن خلالها يمكن معرفة بعض ملامح المجتمع السلوي خلال الشطر الأخير من القرن الثاني عشر (18 م).

تتلمذ على يد أحمد بن عبد القادر التستاوتي أحمد بن بوعسرية الفاسي وقد أجازه (خ. ع. ك 597، ص. 162 ضمن مجموع)، ومن تلامذته السلويين الفقيه القاضي موسى بن الراحل الدغمي، وأحمد بن عاشر الحافي الذي انكب على جمع مواد *نزهة الناظر*، وغيرهم.

إن مكانة أحمد التستاوتي البارزة في علم الظاهر والباطن، وما جلبت إليه من أتباع، أثار انتباه السلطة الحاكمة، ومن ثمّ كانت محنته. لقد ذكر مترجموه أن من بين ادعاءاته الصوفية أنه أُعطي الشفاعة في أهل عصره، وقد أبرز الناصري أن صاحب الترجمة لما وقع له الفتح، كانت تغلب عليه الواردات والأحوال، فيبوح "وربما أشار إلى نفسه بأنه صاحب الوقت أو المهدي، أو ما شابه ذلك، فتخوفت عشيرته من أن ينالهم من السلطان مكروه، فأنهى بعض أقاربه أمره إلى السلطان" (*طلعة*، 2 : 54). وانتهى الأمر بسجن أحمد التستاوتي في حبس فاس الجديد سنتين، من عام 1104 هـ إلى 1106 هـ / 92 . 1694 م)، ثم أُلزم بالإقامة الإجبارية بمدينة مكناس.

ترك أحمد بن عبد القادر التستاوتي تراثاً فكرياً ضخماً، منه : عقد جوهر *المعاني، في مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني* ؛ *ونظم رجال التشوف للتادلي، وشرحه* ؛ *ونظم رجال الممتع، وشرحه* ؛ وديوانه الضخم : *نزهة الناظر* الذي يضم مادة تاريخية دسمة تهم مختلف مراحل حياة التستاوتي.

توفي أحمد التستاوتي ليلة الأربعاء فاتح رجب عام 1127 / 3 يوليوز 1715، ودفن قرب روضة الشيخ عبد الله بن مَحمد، خارج باب البرادعيين بمكناس.

التستاوتي، العياشي بن عبد القادر، فقيه أديب، من أهل الجد والاجتهاد والمداومة على العبادة والأوراد، يصوم ويقوم، هذه الصفات شهد له بها شقيقه أحمد بن عبد القادر، آنف الذكر. لم يتطرق مترجموه إلى سنة ولادته، ولا إلى نشأته، وجل المعلومات عنه استقيناها من *نزهة الناظر*، ومجموعته (خ. ع. ك. 309 وخ. ح.، 1928)، وتفيد أنه كان ضريراً لا يكتب بنفسه، بل يملي أشعاره وغيرها على أنجاله كالمامون ويعفور، أو على تلامذته كأحمد بن عاشر الحافي السلوي. تعرض العياشي كأخيه أحمد - إلى المحنة، حيث سكن بحبس فاس (*مجموعة*، 5)، ولا نعرف تاريخ سجنه، ولا المدة التي قضاها في السجن، ويبدو أنه امتحن في نفس الفترة التي امتحن فيها أخوه.

أخذ العياشي العلم على يد شيوخ كبار، أوردهم في بداية مجموعته مبتدئاً بشقيقه أحمد بن عبد القادر، والحسن اليوسي، وأحمد بن محمد بن ناصر، ومحمد بن عبد القادر الفاسي، وعلي العكاري وغيرهم. وللعياشي

عدة مراسلات ومراجعات شعرية مع أخيه عبد القادر، وردت في مجموعته السالفة الذكر، وفي ثنايا *نزهة الناظر*، نلمس فيها مكانته العلمية والأدبية التي نوّه بها شقيقه المذكور.

ونشير إلى أن أحمد بن عاشر الحافي هو الذي جمع مواد مجموعة العياشي شيخه في الطريقة، وبذلك يرجع الفضل لهذا العالم السلوي في جمع أهم تراث فكري للأخوين التستاوتين : أحمد بن عبد القادر - كما رأينا - وصاحب الترجمة، لا سيما وأن *النزهة* وهذه *المجموعة* يمثلان تكاملاً فيما بينهما، لأن الأولى لا تعكس سوى جزء من إنتاج مؤلفها (شعر التستاوتي، 47). وقد ذكر الأستاذ المنوني أن الحافي دوّن بهذه المجموعة ما أملاه عليه صاحبها من الأشعار الفصيحة والزجلية، وتَمّ ذلك تحت إشراف إمام زاوية أبي الجعد محمد المعطي بن محمد الصالح الشرقي العمري (*المصادر العربية*، 1 : 194). وتجدر الإشارة إلى أن صاحب الترجمة ساهم في تعمير المجالس العلمية والدينية للزاوية الشرقاوية (*اليتيمة*، 166)، كما كان يتردد كثيرا على مدينة سلا، لأن عرى الصداقة والمحبة ظلت متينة بينه وبين مريديه السلويين بعد وفاة أخيه أحمد ابن عبد القادر التستاوتي، مع العلم أن العياشي هو الذي ورث سر أخيه في الطريقة.

توفي العياشي التستاوتي صبيحة يوم الخميس سابع صفر عام 1134 / 27 نونبر 1721.

التستاوتي، المامون بن أحمد بن عبد القادر، فقيه، عالم، كان يتردد كثيراً على الحاضرة السلوية. توفي المامون أواخر ربيع الثاني عام 1124 / يونيه 1712، وقد رثاه الفقيه القاضي موسى بن الراحل الدغمي، وأحمد بن عاشر الحافي السلويان بمرثيات تبرز الخصال العلمية والدينية التى كان يتميز بها المامون (شعر *التستاوتي*، 886).

التستاوتي، مَحمد الحاج بن عبد القادر، كان فقيهاً فاضلا خيّرا ديّنا، أخذ الطريقة الناصرية عن الشيخ مَحمد ابن ناصر الدرعي. وكان في ابتداء أمره كثير الذكر، ثم انتقل ذكر لسانه إلى قلبه. كما كان يراجع أخاه العياشي بن عبد القادر بأشعاره الزجلية التي توجد في مجموعة هذا الأخير (ك. 309، ص. 25). توفي في شهر المحرم عام 1132 هـ / نونبر - دجنبر 1719 م.

التستاوتي، محمد الشريف بن أحمد بن عبد القادر، فقيه أديب، والدته هي رقية بنت عبد السلام التستاوتي. أخذ العلم على الشيخ القسنطيني في فاس، وكان يراجع أباه بأشعار توجد في *نزهة الناظر*، فيراجعه والده مظهراً إعجابه ببراعة نظمه.

لم نقف على تاريخ وفاته، وكان حيا عام 1109 هـ/ 97 - 1698 م. وقد بعث شيخه القسنطيني رسالة تعزية إلى والده الذي رثاه بدوره بقصيدة لامية حزينة.

التستاوتي، مَحمد بن **مبارك** بن أحمد بن مسعود الحسني، من مشاهير الأولياء، وأكابر الأتقياء، اشتهر بالزعري، نسبة إلى قبيلة زعير (بالتصغير)، وسبب جريان الزعري عليه أنه كان يحرث على جمل وفرس، فيزجر الجمل بلفظ "زَعْ"، والفرس بلفظ "ري"، فلفق من اللفظين زعير (*الإصليت*، 10). لا نعرف تاريخ ولادته بالضبط، لكن، اعتماداً على بعض الإشارات الواردة عند تلميذه ابن أبي محلي في *الإصليت*، يظهر أنه ولد حوالي عام 937 / 30 - 1531 بأوطاط من وادي ملوية، ثم خرج به أبواه إلى الغرب وتمّ الاستقرار في عشّابة - قرب فاس - التي توفي بها والده، وانتقل بعد ذلك إلى مكناس ومنها إلى زعير.

تعاطى الشيخ مَحمد بن مبارك القراءة في أول الأمر بمدينة مكناس، إلا أن ذلك استعصى عليه "فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، وقال له لن تقرأ ولكنك شيخ، فأولها ابن مبارك بأنه سيكون شيخ القبيلة، فخرج إلى البادية، إلا أن مراده لم يتحقق إلى أن سرت فيه نفحة القرب من الله فقصد مراكش، ولقي بها الشيخ أبا عمرو القسطلي للأخذ عنه صحبة جماعة من قبيلة زعير. وبعد أن قدم الزوار إليه هداياهم، بشرهم هذا الأخير قائلا : "من أتى بها كلها، ذهب بها كلها" يعني المحبة. هكذا، حقق صاحب الترجمة هدفه المنشود، ورجع غانما من مدينة مراكش، وبنى بتستاوت مسجداً في المكان الذي عينه له شيخه أبو عمرو، وانقطع فيه للعبادة. ذاع صيت الشيخ محمد بن مبارك بعد أن سمع الناس بكراماته العديدة التي أوردها مؤلف مجهول من المحلى، وابن عسكر في *الدوحة* (ص. 114) وغيرهما. فقد ذكر الأول أن ألف طالب كانوا يقرأون العلم والقرآن الكريم في بلده، ويأكلون من زاويته، وقدم لائحة بأسماء بعض الطلبة الملازمين لزاوية الشيخ الزعري (*المحلى*، 1). ورغم أن هذا الأخير كان أمياً، فإنه كان ذا فائدة، حيث كان يجيب أصحابه بأجوبة مقنعة عن أسئلتهم سواء تعلق الأمر بعلم الظاهر أو الباطن، فهو يرى - مثلا - أن العالِم هو من يعمل بعلمه ولا يرى قيمة لعلمه ولا عمله.

من أشهر الآخذين عن الشيخ محمد بن مبارك ابن أبي المحلي الذي لازمه ثمان عشرة سنة، فأثرت فيه صحبة هذا الولي الكبير، وتحدث عنه بإسهاب في *الإصليت*، كما أخذ عنه العارف الكبير أبو عبيد الله الشرقي وغيرهما.

لم تكن كرامات الشيخ ابن مبارك لتبعده عن الأوضاع السياسية التي كان المغرب يمر منها، لاسيما وأنه عايش فترة دقيقة تتمثل في قيام الدولة السعدية بمساندة شيوخ الزوايا، وهي الفترة التي عرفت تكالب الإيبيريين على سواحل المغرب، لذلك نرى الشيخ الزعري يدلي بدلوه في أمر الجهاد قصد تحرير الثغور المحتلة من يد الإسبانيين والبرتغاليين.

توفي محمد بن مبارك بالوباء في ثاني شوال عام 1006 / 8 مايو 1597، ودفن بتستاوت، ويبعد ضريحه عن ضريح الشيخ أبي يعزى بـ 25 كلم.

ومن أشهر زوايا المباركين بالمغرب ـ بعد زاوية تستاوت ـ زاوية سلا التي توجد بحي باب احساين، داخل السور فيما بين الباب الجديد وباب معلقة، غير بعيدة عن دار المجاهد العياشي، وهناك زاوية مكناس والرباط. ويوجد بقبيلة زعير فخذ يسمى بأيت مبارك (زعير، 2 : 98).

التستاوتي، موسى بن الشيخ محمد بن مبارك، علامة مشارك، كان مدرساً بفاس، ومفتيا مشهوراً بها وبمراكش. ولد عام 1004 هـ / 92 ـ 1693، وقعت مجادلة بين موسى وأبيه الشيخ محمد بن مبارك أمام جماعة من علماء فاس. وقد ألح الولد والجماعة على هذا الأخير أن يجيب عن أسئلتهم انطلاقا من علم الظاهر، لأن الشيخ ـ كما رأينا في ترجمته ـ أمي من أهل الباطن. وقد استفسر موسى والده عن الخبر الذي سمعه عنه، أي كراماته، أسحر هي أم بدعة، أم ذلك من متابعة السنة المحمدية ؟. وقد أكد الحاضرون أن الرجل لا يدعو إلى بدعة، أما لشيخ فقد أتى بأجوبة أقنع بها صاحب الترجمة ومن معه، وقد تحدث صاحب *المحلى* عن ذلك بإسهاب (وجه 3 وما بعده).

لم نقف على تاريخ وفاة موسى بن محمد بن مبارك، وذكر مؤلف *كتاب* زعير (2 : 101) أنه توفي بعشابة، قرب فاس.

التستاوتي، يعفور بن العياشي بن عبد القادر، فقيه، ولد عام 1096 / 84 ـ 1685. كان والده العياشي الضرير يملي عليه أشعاره وغيرها، كما كانت له مساجلات شعرية مع أبيه وعمه أحمد بن عبد القادر.

توفي يعفور عام 1118 هـ / 1706 ـ 1707 م، وقد رثاه عمه المذكور برائية، كما أورد أحمد بن عاشر الحافي في *الفهرس* (ص. 275) نص التعزية التي بعثها أبو بكر الفرجي السلوي إلى أبيه العياشي، وتوجد كذلك ضمن مجموعة هذا الأخير (ص. 53)، وتقع في اثنين وأربعين بيتاً.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، ط. 11، 113 ـ 114 ؛ أ. ابن أبي محلي، *الإصليت*، مخطوط خ. ح. رقم 100، 10 ـ 17 ؛ أحمد بن ع. التستاوتي، *نزهة الناظر*، شعر التستاوتي، جمع وتحقيق وتقديم عبد اللطيف شهبون، رسالة د. د. ع. كلية الآداب ـ الرباط، 90. 1991 ؛ العياشي بن عبد القادر التستاوتي، *مجموعة* (خ. ع.، ك 309، وخ. ح. 1928) ؛ إبراهيم التستاوتي، *شرح واردات العياشي التستاوتي*، (خ. ع.، د. 2010، ص. 328 وما بعدها) ؛ العميري، *فهرس*، خ. ع.، كـ. 560، ص. 34 ـ 35 ؛ أ. ابن عاشر الحافي، *فهرس*، دراسة وتحقيق محمد السعديين، رسالة د.د.ع.، كلية الآداب بالرباط 90 ـ 1991 ؛ م. العبدوني، *يتيمة العقود*، خ. ع.، ك 305، 166 ؛ م. القادري، *نشر*، 1 : 66 ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري*، 2 : 54 ؛ م. ابن سودة، *قبيلة زعير*، 2 : 89 ـ 120 ؛ أ. الطريبق، *أدب التستاوتي من خلال نزهة الناظر*، رسالة د. د. ع.، كلية الآداب بالرباط، 85 ـ 1986 ؛ مجهول، *المحلى في مناقب الشيخ محمد بن مبارك*، مخطوط خ. ح. رقم 726، وجه 1 ـ 7.

محمد السعديين

تَسْرِيرْتْ، هضبة تقع بالأطلس الصغير الأوسط على بعد حوالي ثلاثين كلم إلى الجنوب الشرقي من جبال سروا، تبلغ مساحتها 380 كلم^2 ويحدها من الشمال والغرب والجنوب مرتفعات يصل علوها إلى 2156 م في حين تشرف من جهة الشرق على وهدة تازناخت، يصل معدل ارتفاع هضبة تسريرت إلى 1800 م مع بعض التباينات بين جنوبها الشرقي وشمالها الغربي إلى حدود 1740 م. ويمتاز سطح الهضبة بتقطعه النسبي نتيجة لتعمق الأودية (واد مدرار وواد تزدوليت) إضافة إلى انتشار التلال المعزولة.

تتلقى الهضبة تساقطات مطرية تصل إلى 200 ملم يتم تصريفها بواسطة شبكة هيدروغرافية تنتظم أساسا حول أسيف تزاخت الذي يتجه نحو الشمال الغربي وأسيف مدرار الذي يجري نحو الشرق بعد رسمه لمجموعة من المنعرجات.

يستقر بالهضبة حوالي 400 شخص مستقرين أساسا بقرية سفكومت تضاف إليهم أعداد مهمة من الرحل وأنصاف الرحل يفدون من قرى القبائل المجاورة لاستغلال مراعي الهضبة التي تتوزع ملكيتها بين قبيلتي سكتانة (20.380 هكتار) وزناگة (17.120 هكتار).

وفي إطار سياسة إعداد المراعي أقدمت الدولة سنة 1980 بواسطة المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي بورزازات على إنشاء محطة تجريبية رعوية لهضبة تسريرت على مساحة تبلغ 1000 هكتار. وقد عرفت انطلاقة المشروع تأخراً نسبياً بفعل معارضة السكان في البداية. وقد تم تجريب مجموعة من النباتات في أفق تعميمها عند نجاح التجربة.

وقد همت المحاولة الأولى عشرة أنواع ولم تسفر عن نتائج إيجابية إلا بالنسبة لـ Sanguisorba minor Agropyron.

وفي سنة 1981 أجريت تجربة ثانية همت هذه المرة ثلاثة أنواع نباتية هي : كلونگاتوم Clongatum، أنتيرمديوم Intermedium، أگروبيرون Agropyron. وعلى الرغم من هزالة التساقطات المسجلة إبان الفترة التجريبية فقد تم تحقيق نتائج مرضية، إضافة إلى ذلك مكنت عملية منع استغلال مراعي المحطة لمدة سنة من الرفع من مردودية الهكتار الواحد من 100 إلى 300 وحدة علفية.

A.T. Zainabi, *L'homme et la montagne en milieu sub-aride : Le pays de Taznakht, Anti-Atlas*, Thèse 3ème cycle, Géographie, Poitiers, 370 pages, 1989.

أحمد توفيق الزينبي

تسريرت أو تاسريرت، تسمية تطلق عادة على المناطق الجبلية أو الفصائل المقيمة بها. يكفي للتأكد من ذلك الوقوف على منطقتي أيت باعمران وأمانوز بالأطلس الصغير. فبالسفح الجنوبي للأطلس الصغير تطلق التسمية

على القبيلة التي يحدها دادس شمالا بين أدرار الكست وأزرار. تيميزگيدة وغربا أيت عبد الله وأيت أوسيم وأملن أمانوز وشرقا أسيف أنزرن وأسيف تيزرمين وقبيلة أيت يوسى بايگونان (*المعسول*، IX : 172). أما إذا انتقلنا إلى ما تسميه المصادر باعمرانة أو أيت باعمران فنجد أن جل الوثائق المحلية لا تستجيب غالباً لمتطلبات هذه الملاحظة. فالقبائل التكنية المجاورة لهذه السلسلة الجبلية شأنها شأن الفصائل المحلية تقتصر عادة على تسمية تسريرت (*المعسول*، 3 : 250). هذه الحقيقة التي تكشف إلى أي حد عملت المصادر المكتوبة خاصة منذ القرن الثالث عشر (19م) على ترجيح كفة التسمية التي لم تكن مستعملة محليا، تستدعي مسائلة مشروعية التصور المحلي للمجال.

تتميز البنية الاجتماعية هنا على غرار أغلب الجهات بتداخل مختلف مستويات التحالف القبلي بين الفصائل المحلية. وقد عرفت تسمية تسريرت أهمية تاريخية فيما يتعلق بمشروعية تحالف الفصائل فيما بينها. لم تكن التسمية تستند إلى جهاز سلطوي مختص في المحافظة عليها لأنها لم تكن تفيد ترابط خطوط الأنساب أو المداشر أو حتى الدخلاء. ما يميز أنماط الملكية بتسريرت هو حجم الملكيات العائلية المستقلة إلى جانب الأحباس والملكية الجماعية. وتشير الرواية المحلية إلى توسع الملكية الخاصة على حساب الأرض الجماعية. وفق صيغ تؤكد تباين الأنساب أقدمت العائلات النازحة على احتكار الأراضي التي نزح عنها ساكنوها. هذه الاختلالات في الكيان القبلي المتماسك زادت من القيمة الاجتماعية للأرض حادة بذلك من التعريفات الإثنية القبلية للمجال. نصل من هنا إلى سبب النزوع المتزايد نحو مفهوم تسريرت التي تحد من متانة الصلات المعقودة بين الوحدات والفصائل المحلية. نتفهم إذن لماذا تركز وثائق تملك الأرض على صيغة تسريرت بدل باعمرانة أو أيت باعمران.

دراسات ميدانية وروايات شفوية. مصطفى ناعمي

** وهناك منجم تسريرت من النحاس يقع بالجنوب الشرقي من تافراوت، على بعد عشرين كلم مستقيمة إلى الجنوب الغربي من منجم تازلاغت (انظر الخريطة الطبوغرافية تافراوت 1 / 100.000) وتوجد الآثار المنجمية القديمة في قمة جبل أمگدول (1817 م). وترتبط الترسبات المعدنية في هذا الموقع بالانكسارات الجيولوجية، وكان المنجميون القدامى يستغلون على الخصوص معدن النحاس المعروف حالياً تحت اسم الكالكوزين (Cu_2S).

ويظهر من معاينة الآثار المنجمية القديمة أن القدامى استغلوا الترسبات المعدنية النحاسية الموجودة داخل الانكسارات الجيولوجية التي كانت تشكل لديهم دليلا في عملية التنقيب، وتوجد بالموقع أطنان من الردم المعدني المستخرج بواسطة أربعين بئراً ودهاليز وأروقة وخنادق، وتتركز هذه الآثار في المنطقة الشمالية وتغطي مساحة 100.000 متر مربع.

وتدل الآثار الباقية على أن القدامى استغلوا الوجه المتأكسد للترسبات المعدنية في بداية استغلال موقع تسريرت. ويشكل الردم المعدني أهمية كبيرة بحيث يغطي كل المناطق التي تحتوي على ترسبات معدنية، وقد وصل القدامى في تسريرت إلى عمق ستين مترا تحت سطح الأرض. وكان الركاز المعدني يحمل إلى قرية تسريرت، ويعتقد شازان (Juin 1951) و(1976) P. Sylvestre أن الجسم المعدني لموقع تسريرت والذي يعادل 1.800.000 م^3 قد تم استغلال أكثره من لدن المنجميين القدامى، وقام P. Sylvestre بحساب الردم المعدني وحصره في 50.000 طن، ورفع البوعبدلاوي يحيى هذا الرقم إلى 80.000 طن. وإذا كان الردم المعدني السطحي يساوي نصف ما حفره القدامى فإن الأحجار المعدنية المستخرجة تجاوز مقدارها 100.000 طن.

إن وجود ركام من الأشكورية (الخبث المعدني) بقرية تسريرت، يدل على ممارسة التعدين بهذا الموقع، إذا افترضنا أن القدامى استغلوا فقط 1٪ من الركاز المعدني فإن ذلك يعني أنهم استخرجوا ما يعادل 1.000 طن من النحاس المصنع، مع العلم أن المنجميين القدامى اهتموا بالأساس بالترسبات ذات التركز المعدني العالي حيث إن التحليلات المختبرية لبعض العينات المأخوذة من الردم المعدني أعطت نسبة تركز النحاس تصل إلى 3،05٪.

لعب منجم تسريرت دوراً كبيراً في تاريخ المناجم والتعدين بالأطلس الصغير إلى جانب منجمي تازلاغت وأگوجگال ونعتقد أن النحاس المصنع كان يسوق في تارودانت والصويرة وأگادير.

الخريطة الطبغرافية تافراوت 1 / 100.000.

W. Chazan, *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1951 ; P. Sylvestre, *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1976 ; Y. Bouabdallaoui, *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1981.

الموساوي العجلاوي

التسفير، معناه التجليد. وسفَّر الكتاب : جلده أو ألبسه الجلد ، المجلَّد ج. مجلَّدات هو الكتاب الملبس جلدا. والمجلِّد والمسفِّر هو الذي يُجَلِّد الكتب. وفي المغرب تستعمل كلمة تسفير بينما تستعمل في المشرق كلمة تجليد. ويدخل هذا في عداد الفنون العربية الجميلة المعروفة "بالأرابيسك".

لقد أحس الإنسان منذ القديم بضرورة المحافظة على ما هو مكتوب : المخطوط في البداية ثم المطبوع بعد اكتشاف الطباعة، وهذا هو موضوع التسفير أو التجليد، وهو فن، كذلك، في حالة زخرفة غلاف الكتاب حيث لا يفترق الفن عن التقنية. وجمال تسفير مَّا لا يرتبط بالأسلوب الفني المتعلق بالزخرفة بل بنوع المواد المستعملة واجتهاد الصناع.

لم يوجد التسفير إلا من أجل الكتاب الذي لا يفترق عنه. ففي الوقت الذي يحدد بعض مدلول الوراقة في جعلها قاصرة على الورق، ويخصص لكل من النساخة والتسفير فصلا على حدة، فإن ابن خلدون يتوسع في تعريفها

ويجعلها شاملة للاستنساخ والتصحيح والتسفير وسائر الشؤون الكتبية. وقد أخذ محمد المنوني في كتابه *تاريخ الوراقة المغربية* بهذا التعريف حيث يرى أن "الخط ربما يرشد إلى تحديد اسم المزخرف والمسفر لمخطوط بعينه، وذلك في حالة ما إذا علمنا من مصدر ما، أن المعني بالأمر كان بعد كتابته لمنتسخه يعالج بنفسه زخرفته وتسفيره".

لم يوجد التسفير إلا من أجل الكتاب الذي لا يفترق عنه. ولأن الكتاب أداة للتواصل عبر العالم وعبر القرون لكل ما هو مفكر فيه، أم مخفوظ وتم إنجازه ؛ وحيث إنه الأداة الأساسية لكل تقدم معنوي أو مادي، فإن كل هذا يحدد أهمية التسفير ومكانته وهي تتلخص في : "تقديم، واحتفاظ، وزخرفة الكتاب". لذلك فالتسفير ظهر مع الكتاب ومعه تطور وتغير. ويمكن أن نميز، فيما يتعلق بالمراحل التي مر بها، بين ثلاثة أدوار :

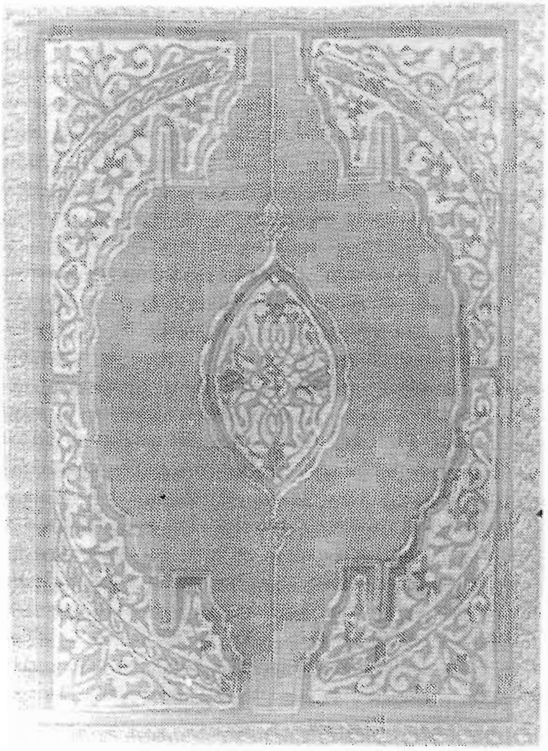
- ما يمكن أن نسميه مرحلة البداية أو "الأصول" (قبل ظهور الطباعة). ويهم التسفير هنا الرق والورق ؛
- من الطباعة إلى المكننة : مرحلة التسفير اليدوي ؛
- العصور الحديثة : تطور التسفير الصناعي بموازاة مع التسفير اليدوي. وقد كان لظهور الطباعة في القرن التاسع (15 م)، ثم للثورة الصناعية في القرن الثالث عشر (19 م) تأثير كبير على صناعة التسفير.

عرف المغرب صناعة الورق بفاس على عهد المرابطين، بينما شاعت قبل ذلك الكتابة على الرق. كما شكلت فترة حكم الموحدين "العصر الذهبي للوراقة المغربية، فظهر بعض المزخرفين للكتب والمجيدين للتسفير". وقد ورد في رسالة ابن طفيل وصف لاحتفال عبد المومن بكسوة المصحف العثماني بعدما نقله من قرطبة إلى مراكش جاء فيه : "... فحشروا له الصناع المتقنين ممن كان بحضرتهم العلية، وسائر بلادهم القريبة والقصية، فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة ومهرة كل طائفة، من المهندسين والصواغين والنظامين والحلائين والنقاشين والمرصعين والنجارين والزواقين والرسامين والمجلدين وعرفاء البنائين". ومن أشهر المسفرين في هذا العصر تذكر المصادر : أبا عمرو بكر بن إبراهيم المتوفى عام ثمانية أو تسعة وعشرين وستمائة. وقد وضع رسالة في التجليد بعنوان : *التيسير في صنعة التسفير*، تهتم إلى جانب سفر الكتب، بشرح طريقة تسفير المصاحف الشريفة، وتبين العمل في كل من نوعيها : المصاحف السفرية، التي تجلد دون استعمال اللوح، ثم المصاحف الملوحة.

يرجع عهد أقدم تسفير مغربي، متوفر حتى الآن، إلى القرن السابع (13 م) ؛ حيث عثر بروسبير ريكار (Prosper Ricard) بمدرسة ابن يوسف بمراكش، على كتب مسفرة، تبين بعد ذلك أن الأمر يتعلق بمصحف في عشرة أجزاء وهو بخط الخليفة الموحدي المرتضي.

كما أن نشاط التسفير في العصر المريني تجلى "فيما تبقى لنا من وصف تسفير مصحف يوسف المريني ثم مصحف أبي الحسن المريني". وقد اشتهر في الفترة المرينية الوطاسية ثلاثة مسفرين :

- أبو العباس بن عاشر ؛
- أبو الحجاج يوسف بن علي بن عبد الواحد السدوري المكناسي ؛
- سيدي "مالك" الذي عاش في العصر الوطاسي وسمي بإمام المسفرين.



نشطت الزخرفة في هذا العصر، وقد كتب ابن خلدون في كتاب *العبر* عند الحديث عن ربعة قرآنية كتبها السلطان أبو الحسن : "وجمع الوراقين لمعانات تذهيبها وتنميقها".

في عصر السعديين "كان للمسفرين ديوان لاشتغالهم عند باب القصر الملكي بمراكش". ومن الذين تولوا التسفير في عصر المنصور : محمد الغجاف الفاسي. ومن الكتب التي ألفت في فن التسفير خلال هذه الفترة : *أرجوزة* لأبي العباس أحمد بن الحسن بن يوسف الصالحي الزجلي الشفشاوني الشهير بابن عرضون المتوفى عام 992 هـ ؛ *صناعة تسفير الكتب وحل الذهب* لأبي العباس أحمد بن محمد السفياني، ألفه في ذي الحجة عام 1029 هـ/ 1616 م. وكان الحافز بالنسبة للمؤلف "أنه لم يجد بين أهل زمانه من فيه الأهلية لتعلم هذه الصناعة، لما طبعوا عليه من عدم الإنصاف، فدون قواعدها في هذا الكتاب لينتفع بها من يأتي بعده". وقد صنف السفياني مؤلفه في ثلاثة أبواب رئيسية وملحقين :

- الباب الأول : في كيفية عمل الدفف، وهي ألواح الورق التي يكسوها الجلد ؛
- الباب الثاني : في طريقة حزم كراريس الكتاب،

وتتخيتها وكسوته بالجلد، وترصيع وسطه بالترنجة، وكيفية عمل البرشمان وتركيب السفر عليه ؛

- الباب الثالث : في صفة حل الذهب وغسله وسقيه بالغراء، وصفة الكتابة به على الورق والجلد. كما ألحق المؤلف بابين بكتابه وهما :

- باب صفة صبغ الجلد بنفسج ؛
- باب صفة عمل الترنجة في الجلد للتسفير.

وقد حقق "پروسپير ريكار" هذا الكتاب ووضع له مقدمة ثم نشره سنة 1925.

كما اشتهر، في صناعة التسفير، في هذه الفترة : محمد بن محمد بن سليمان الروداني الذي عاش إلى عام 1094 / 1682.

مع بداية العهد العلوي، بدأ بعض العلماء، إلى جانب المسفرين المحترفين، يحتسبون العمل لترميم بعض المخطوطات العتيقة، ونجد كنموذج أحد أعلام فاس ابن إبراهيم مَحمد بن محمد الخياط بن أبي القاسم الدكالي المشنزائي (ت. 1184 هـ / 1770 م).

وفي بداية القرن الثالث عشر (19 م)، ازدهرت الخطاطة، وتبع ذلك تطور بعضْ المهن التابعة لها، ومن ذلك تجليد الكتب وزخرفتها. وقد عمل بالزخرفة والتزويق والتسفير كل من : 1) إدريس السجلماسي ؛ 2) محمد ابن عبد العزيز بن محمد بن المهدي الحلو المريني الوطاسي ؛ 3) محمد بن عبد الرحمن بن حمدون ابن الحاج السلمي المرادسي ؛ 4) إدريس بن التهامي أجانا المكناسي، الذي كان يحترف تسفير الكتب، وإصلاح المبتور منها ؛ 5) ابن الحاج محمد بن إدريس العمراوي ؛ 6) محمد بن الحسن السوسي باكتل ؛ 7) محمد بن عبد القادر بن علي التادلي الرباطي ؛ 8) عبد الرحمن بن عبد العزيز بن محمد الحلو المريني الوطاسي ؛ 9) محمد بن التهامي عمور اللهبي الفاسي.

وتجدر الإشارة إلى أن الأوبئة والطواعين التي انتشرت، من حين لآخر، داخل المغرب، كان لها تأثير سلبي على مختلف الحرف. وهكذا فقد لاحظ القنصل الإنجليزي ماطرا Matra في مستهل القرن الماضي "أن سبعين شخصا من الوراقين المزخرفين لقوا حتفهم، في فاس، من جراء الطاعون، إلى حد أن الرسالة التي وجهها مولاي سليمان إلى ملك إنجلترا زخرفت من طرف مبتدئ، لأنه الوحيد الذي ظل بمنجاة".

وقد عمل المولى عبد الرحمن بن هشام (1822 - 1859 م) على إصدار ظهير يأمر بموجبه بتجليد كتب خزانة القرويين.

بعد منتصف القرن الثالث عشر (19 م) وصلت الطباعة إلى المغرب، كما أولي الاهتمام لعملية النسخ. ففي عهد المولى الحسن الأول كان للنساخين مشرف لتنسيق أعمالهم. وتكلف الطيب بن عمر الشرقي بخزانة السلطان ومباشرة النسخ والتسفير على يده. كما عين المولى الحسن الأول بظهير ناسخاً ومسفراً بخزانة القرويين. وفيما يتعلق بالنسخ، أغلب الكتب التي نسخت تهم الصنعة الكيماوية، التي "استنسخ منها مجموعة ضخمة دبجها الوراقون المغاربة بخطوط جيدة وزخرفة أنيقة. وتسفير بديع حيث تزخر بالكثير منها الخزانة الحسنية بالرباط". كما "اضطلع بنسخ كتب الكيمياء والطب من القاهرة وراق مصري : سويقي أحمد الجبل العدوي حسب توقيعاته في منتسخاته"، وهي بخط نسخي وتسفير مصري وتوجد، أيضا بالمكتبة الحسنية.

يحصي محمد المنوني سبعة وراقين مزخرفين ومسفرين عاشوا في النصف الثاني من القرن الثالث عشر وبداية الربع عشر (19 - 20 م)، وهم : 1) الطاهر بن الحاج عبد السلام ابن موسى الفاسي ؛ 2) أحمد بن الطاهر السملالي الأزموري ؛ 3) مفضل بن محمد بن الهاشمي أفيلال الحسني العلمي التطواني ؛ 4) سليمان بن أبي بكر بن محمد ابن عبد الله چنون الفاسي ؛ 5) عبد الله بن سليمان چنون ؛ 6) التهامي بن علي البطاوري الرباطي، وهو عالم له معرفة بتسفير الكتب ؛ 7) محمد بن الحاج محمد بن أبي بكر الحلو المريني الوطاسي. يضاف إلى هذه الأسماء إشارة عند الفضيلي في *الدرر البهية* (2 : 345)، يذكر فيها أنه أدرك أفراداً في أسرة "الدلائيين" يحترفون تسفير الكتب.

عرف المغرب، خلال القرن الرابع عشر (20 م)، ظاهرة غزو التسفير الأجنبي، فتكون على يد المسفرين الأجانب (الفرنسيين) مسفرون مغاربة، منهم، في الرباط محمد الدويب. ومن المسفرين التقليديين، ذكر محمد المنوني : محمد بن العربي الحلو الفاسي ؛ عبد الوهاب بن عبد الله التادلي الرباطي ؛ محمد عبد الحي بن عبد الكبير الحسني الفاسي.

وقد عرف ميدان النشر بالمغرب، بعد نهاية فترة الحماية، تطوراً ملحوظا فتعددت دور النشر وأصبحت تقتصر في تسفير كتبها على استعمال الكارطون أو الورق. لكن التسفير اليدوي بالجلد لم ينقطع رغم وفرة وسهولة التسفير الاصطناعي الذي دخل إلى المغرب حديثاً.

الإشبيلي (بكر بن إبراهيم)، *كتاب التيسير في صناعة التسفير*، نشر وتقديم عبد الله گنون، *مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد*، العدد السابع والثامن مزدوج، 1959 - 1960، ص. 1 - 42 ؛ ابن موسى، تيسير *الكتابة عندالعرب نشأتها، تطورها، أدواتها*. الناشر العربي، أكتوبر 1986، العدد السابع، ص. 55 - 65 ؛ السفياني، أحمد بن محمد، *صناعة تسفير الكتب وحل الذهب*، مصحوبا بتفسير الكلمات المصطلح عليها في الصناعة المذكورة من وضع ريكار، فاس، 1919، 28 ص. نص بالعربية، 22 ص. نص بالفرنسية، ط. 2، باريز، 1925 ؛ م. المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية، صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة*، الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1991، 258 ص. (بحوث ودراسات، 2).

T. Arnold, *The Islamic book : A contribution to its arts and history from the VII - XVIII century* ; Leipzig, 1929 ; F. Cuvelier, *Histoire du livre : Voie royale de l'esprit humain*, Monaco, 1982 ;

S. Dahl, *Histoire du livre de l'antiquité à nos jours*, 2ème éd. rev. et aug., Paris, 1960 ; P. Ricard, *Reliures marocaines du XIIIème S : Notes sur des spécimens d'époque et de tradition almohade, Hesp.*, T. XVII, 1933, Fasc. 2 ; *La Renaissance de la reliure d'art à Fès*, Paris, 1925, Extrait des *Procès - verbaux et Mémoires du Congrès international des bibliothèques et des bibliophiles*, Paris, 1923 ; *Sur un type de reliure des temps almohades*, *Ars Islamica*, Vol. I, Part I, pp. 74 - 79, 4 fig. ; F. Sarré, *Islamic book-binding*, London, 1923.

محمد جادة

تسماطت أو تاسماطت، موقع جغرافي ضمن مجال إيلان، في اتجاه مراكش، غير بعيد من أيت أورير الحالية. ولعل أقدم مصدر متداول ضمن مواد هذا الاسم هو كتاب *التشوف* لابن الزيات التادلي. ورغم اعتماد هذا الكتاب إطاراً مرجعياً وحيداً لضبط رسم الاسم، فإن هذا الأخير ليس موحداً بين مختلف النسخ التي تم الرجوع إليها في التحقيق. وتقدم اللوحة التالية، أشكال الرسم الأربعة التي تم تسجيلها :

شكل الرسم	المصدر	الصفحات
تمساطت أو تامساطت	التشوف	164
تاساط	التشوف	235 . 165
تامسطت	التشوف	181 . 165
تامسماط	التشوف	181

وقد اختار محقق *التشوف* من بين الأشكال رسم "تاسماطت". والاسم برسمه وصيغته ونطقه أمازيغي مصمودي، ليس بغريب على أسماء المواقع المحلية لجهة إيلان. وحسب المعنى الذي اقترحه الأستاذ أحمد التوفيق، فإن لمضمون تامساطت صلة بالوسط الطبيعي المحلي لجهة إيلان، ذلك أن الاسم جاء من "حصى الزلط الذي ينتشر في الأودية عند خروجها من الجبال وقلة انحدارها" (*التشوف*، 164، الهامش 302).

كان موقع تاسماطت تابعاً لعمل مراكش خلال فترة حكم الموحدين. مشكلا فيما يبدو عنصرا من شبكة مراكز استقرار ورباطات كانت تحيط بمراكش من الخارج في شكل دائري. ولعل أهم ما اشتهر به هو نشاطه الصوفي، إذ يعتبر واحدا من مكونات شبكة الرباطات الواقعة في الحوز الأوسط خلال القرن السادس (12 م). ومن العناصر التي تدخل في باب التاريخ الصوفي لهذا الموضع يمكن تسجيل الملاحظات التالية :

يبدو أن علاقة متصوفة هذا الرباط مع الشرق كانت غير عادية، الأمر الذي يلاحظ في قيمة المعلومات الخاصة بهذا الجانب ضمن المادة التي قدمها ابن الزيات عن تاسماطت. تتجلى هذه العلاقة من جهة في حضور متصوفة الرباط إلى الديار المقدسة، إما بشكل دائم (*التشوف*، 164)، أو موسمي يرتبط بوقت أداء فريضة الحج (*التشوف*، 235)، ومن جهة ثانية في انتقال بعض متصوفة الشرق إلى رباط تاسماطت، واتخاذه مستقرا ومقاما وموطن وفاة (*التشوف*، 208). ويظهر أن هذا الاهتمام المتزايد بالشرق، وخاصة أداء شعيرة الحج، لم يكن بتقليد خاص عند متصوفة هذا المركز وحدهم، خلال القرن السادس الهجري. وإنما يبدو وكأنه حالة عامة عند متصوفة الجنوب المغربي بما فيهم أهل رباطات الحوز.

ويمكن أن نميز في مكونات خريطة السياحات الصوفية، بين جوانب ثلاثة : أهمية امتداد خط هذه الخريطة خارج المغرب، إذ يصل أقصى امتداد له إلى الديار المقدسة ؛ وضيق الرقعة الجغرافية لمجال السياحة في المغرب، التي لا تتجاوز شمالا وادي أم الربيع حيث دكالة، ولا تتعدى جنوب الدير الشمالي للأطلس الكبير الغربي ؛ وضيق المجال الحضري وعدم تجاوز حدوده للمراكز الحضرية الفلاحية من تاسماطت وهما مراكش وأغمات.

تقدم اللوحة التالية أسماء المتصوفة الذين اشتهر بهم رباط تاسماطت :

الاسم	الصلة بالرباط	تاريخ الوفاة	المصدر
أبو تونارت ولجوط ابن ومريل الإيلاني	من أهل رباط تاسماطت	غير معروف	التشوف : 164
أبو حدو القاسم الإيلاني	" " " "	" "	التشوف : 181
أبو إبراهيم إسحاق ابن ويعزان	" " " "	" "	التشوف : 235
أبو سهل القرشي	نزيل " "	" "	التشوف : 208

ويمكن حصر النعوت التي أطلقها ابن الزيات على هؤلاء المتصوفة في : . أهل الفقة والفضل . نهاية في الزهد والتقشف . من الابدال . من الأولياء الأخفياء (*التشوف*، 164 . 181 . 235).

ميزت هذه العناصر أيضاً متصوفة جهة الحوز بأكملهم، وهي تأكيد على ما كان لهذا الرباط من نشاط صوفي ملحوظ، وعلى قيمة رجالات التصوف الذين اشتهر بهم في رباطات مصمودة الجنوب.

ومن خلال معلومات *التشوف* يلاحظ غياب الحديث عن الشيوخ والمريدين والتلاميذ ... وعن العلاقات مع متصوفة آخرين عكس ما نجده بالنسبة لمتصوفة ينتمون لنفس المجال ولنفس الفترة مثل : تاقايطت (*التشوف*، 232 . 258)، تاووتي (*التشوف*، 304 . 313)... الشيء الذي لا يستبعد معه ضيق إشعاع هذا الرباط.

وتسري نفس الملاحظة على باقي رباطات جهة إيلان مثل : تامنصورت (*التشوف*، 258)، تكتينت (*التشوف*، 387)، ولعل ما يدعم ذلك أن أبا شعيب السارية كان "إذا زاره أحد من أهل جهات مراكش يقول له : أتزورني وعندكم أبو زيد" (*التشوف*، 258). والمقصود هنا أبو زيد عبد الحليم ابن تونارت الإيلاني من أهل قرية تامنصورت.

يـ. ابن الزيات، *التشوف*، تح. أحمد التوفيق، الدار البيضاء، 1984.

محمد رابطة الدين

تَسُوفْرَة، جراب أو كيس جلدي مصبوغ بألوان زاهية، ومزركش برسوم فنية رائعة الجمال، يستعمل في المناطق الصحراوية المغربية، وفي بعض المناطق المتاخمة لها، وذلك لحفظ بعض المواد من التلف، كالألبسة والحلي والنقود والكتب والرسوم وما إليها من مختلف المواد الثمينة خاصة.

يصنع تسوفرة بعض الصناع المهرة من فئة المعلمين من جلد المعز بصفة خاصة بعد عملية الذبح والسلخ، ثم ينزع منه الشعر بصفة نهائية، ويدبغ ثم يخاط من رقبته، ويشرم من مقطعه الخلفي من مختلف الجوانب بطريقة فنية على شكل أهداب، ثم يثقب من تحت الهدوب ثقوبا متعددة لكي يمر منها ذراع القفل الحديدي الذي يصنع بدوره لهذه الغاية عند إرادة إغلاقه في الوقت المناسب، وبعد ذلك توضع له سيور مظفورة لتربط في قوائمه الأربعة وتشد من وسطها قصد تعليقها في البيت وقت الاستقرار، أو تعليقها بجانب راحلة الجمل أثناء السفر والترحال.

ويظهر أن مصطلح تسوفرة له علاقة بمادة "سفر" في الأصل اللغوي العربي، فمن حيث أن تسوفرة تكون منزوعة الشعر كذلك مادة "سفر" تدل على انحسار الشعر، جاء في حديث النخعي : "أنه سفر شعره" (أي استأصله وكشفه عن رأسه) من جهة، ومن حيث أن تسوفرة تدل على الجراب أو الكيس الجلدي كذلك مادة سفر لأن السفرة، بضم السين، تطلق على الزاد كما تطلق على الجراب الذي يحمل فيه بالنسبة للمسافر.

فالتسوفرة بالنسبة للانسان الصحراوي تستعمل أساسا لحفظ بعض المواد الثمينة المشار إليها أعلاه، ولا تستعمل لحمل الطعام إلا "الظبية" وهي كيس جلدي آخر أصغر من التسوفرة وأقل جودة منه وأكثر استعمالا.

فالتسوفرة وسيلة ترتبط بحفظ بعض المقتنيات كما تحفظ الكتب بعملية التسفير (أي التجليد) من جهة، وترتبط بطبيعة الإنسان الصحراوي الدائم السفر والترحال من جهة أخرى.

وبما أن طبيعة الاستقرار أخذت تطبع الحياة في المناطق الصحراوية المغربية بعد المسيرة الخضراء سنة 1975، فقد أخذ دور تسوفرة يضمحل بعد أن حل محلها الدولاب الخشبي والحائطي والمعدني وما إليها من الأدوات التقنية المصنعة الحديثة، وأصبحت تسوفرة تحفة فنية نادرة الوجود إلا لدى بعض الأسر القليلة جدا أو لدى بعض الصناع الذين يعرضونها للسياح الأجانب.

دراسة ميدانية ؛ لسان العرب.

محمد عالي خنفار

التسول، قبيلة تقع في تلال مقدمة الريف شمال غرب مدينة تازا، وهي محاطة بقبائل الحياينة من الغرب والبرانص من الشمال وغياثة من الشرق والجنوب. وتعد قبيلة التسول من أصغر القبائل مساحة بممر تازا حيث تصل مساحة مجالها إلى حوالي 47.630 هكتار. مقسمة على عدة فخذات أهمها : بني إفراسن، بني لنت، أولاد زباير، انگشت، بني افطر، وأولاد عزوز.

ومن الناحية الإدارية قسمت إلى ثلاث جماعات قروية وهي :

اسم الجماعة	المساحة (هـ)	السكان (ن)		متوسط الزيادة السنوية ٪	الكثافة ن / هـ
		1971	1982		
جماعة أحد أولاد زباير	19.500 هـ	19.645 ن	24.986 ن	٪ 4.9	128 ن / هـ
جماعة أربعاء بني لنت	11.200 هـ	13.555 ن	14.637 ن	٪ 1	131 ن / هـ
جماعة بني افراسن	16.930 هـ	30.254 ن	35.876 ن	٪ 5.1	219 ن / هـ
المجموع	47.630 هـ	63.454 ن	75.519 ن	٪ 11.15	159 ن / هـ

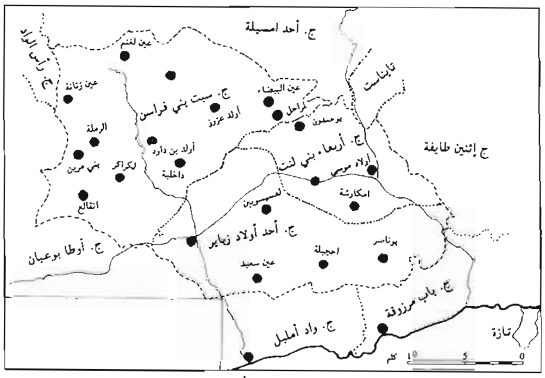
الجدول رقم 1 : المساحة والسكان والكثافة ومتوسط الزيادة السنوية

توجد قبيلة التسول في منطقة تلية مرتفعة، حيث يتراوح متوسط ارتفاعها ما بين 600 م و1100 م. ونظراً لسيادة الصلصال في معظم أجزاء المنطقة فإنها تعرف سفوحا شديدة التخديد وخاصة بجماعة سبت بني إفراسن وشمال أحد أولاد زباير وشرق أربعاء بني لنت. كل ذلك يشهد على قوة التعرية وخطورتها مما ينعكس على التربة حيث ضعف السمك والبنية الهيكلية هما السمتان الرئيسيتان لهذا العنصر الحيوي بالمنطقة، فالتربة الحصوية تنشر بصفة عامة فوق السفوح الشديدة الانحدار نظرا لقوة التعرية الطبيعية من جهة وللتدخل البشري عن طريق حرث هذه الأجزاء من المنطقة من جهة أخرى كما تجب الإشارة إلى الدور الخطير الذي تلعبه التعرية بهذه الأجزاء من تلال مقدمة الريف بجرفها لكميات ضخمة من التربة والتكوينات الصخرية مما أدى إلى تعرية القمم تعرية تامة جعل الصخرة الأم تبرز فوق السطح. أما على المستوى الهدروغرافي في كثافة الشعاب والمسيلات تعتبر من بين العوامل المقوية لنشاط التعرية. وتنشط هذه العناصر الهيدروغرافية خاصة في الفصل المطير الذي يمتد ما بين شهر أكتوبر ومارس وتجف في معظمها في الفصل الحار وذلك بالرغم من كثرة العيون والتي تعتبر المورد الرئيسي لاستهلاك الماء المنزلي بالنسبة لسكان المنطقة.

أما التربة الرملية والصلصالة فهي تستقر عادة فوق السفوح الضعيفة الانحدار والأودية، وهي أهم أجزاء المنطقة، من حيث الاستغلال البشري. تعتبر أشجار الزيتون وأشجار التين من أهم المغروسات التي يعتمد عليها الاقتصاد المحلي لقبيلة التسول وذلك لوفرتها بشكل كبير نظرا لملاءمتها للظروف المناخية والترابية للمنطقة. غير أن الملاحظة الأساسية في هذا النطاق هو قلة الفصائل الغابوية الأخرى والموجودة في نطاقات بيومناخية مماثلة.

وتعتبر قبيلة التسول من القبائل التي استقرت بتلال مقدمة الريف منذ القدم. وقد وردت إشارات لقدم استقرارها بجوار قبيلة غياثة في كتابات تاريخية متعددة وللأدوار

التاريخية والحاسمة أحياناً التي لعبتها هذه القبيلة وجاراتها في تاريخ الدول التي تعاقبت على الحكم في المغرب. فالبكري يذكرها من بين القبائل التي استوطنت شمال المغرب قبل القرن الربع (10 م)، حيث استقروا حول مدينة تازا مع قبائل مكناسة. كما سنعثر عليهم في كتابات متعددة تحت قيادة قائدهم المشهور موسى بن أبي العافية محاربين ما تبقى من الدولة الإدريسية. وسيلعبون دوراً هاماً إبان الانتشار المرابطي، حيث سيشكلون جبهة ضد المؤسس الأول للدولة المرابطية يوسف بن تاشفين الذي سينجح سنة 465 / 1073 م - 1074 م في الاستيلاء على مدينة تازا. وسنجد مقاومة هذه القبيلة بتعاون مع جارتها غياتة لكل من دخل ترابهما طيلة المراحل التاريخية التي أعقبت الدولة المرابطية. فالمهدي بن تومرت مؤسس الدعوة الموحدية "المصمودية" تعرض للطرد من منطقة وادي أمليل (وهي المنطقة الفاصلة بين التسول شمالا وغياتة جنوبا، غرب مدينة تازا). فلم يستطع أن ينس ذلك حيث أكد على عبد المومن بن علي الگومي الذي كان يرافقه آنذاك على أن يتذكر جيدا هذا المكان ليعود إليه مرة أخرى ولكن كسيد وكقائد كبير. وفي سنة 535 / 1141 م دفع عبد المومن بن علي الگومي بجيشه نحو مدينة تازا حيث قضى شتاء صعبا بالمنطقة قبل أن يدخل المدينة ويسيطر على المنطقة.



قبيلة التسول

وتعتبر منطقة التسول وغياتة من أهم المناطق التي سقطت بين أيديهم نظراً للدور الاستراتيجي الذي كانت تلعبه. فهي بمثابة بوابة المغرب الداخلية بين الشرق والمغرب، وعبرها تمر كل قوافل المسافرين من المغرب الأقصى باتجاه الشرق أو القادمين من الشرق باتجاه المغرب الأقصى. وقد ساهم هذا الدور الذي كانت تقوم به في خلق مناخ قابل للتمرد باستمرار والخروج عن طاعة المخزن، حيث أصبحت كلمة السيبة كلمة مألوفة لدى هاتين القبيلتين. فباستثناء تحالفهما مع قبائل زناتية مثل قبائل بني مرين الذين ساهموا معهم في استتباب أمور المنطقة، لم تثبت الكتابات التاريخية أية تحالفات أخرى مع قبائل بربرية. ويذكر طيراس أن قبيلة التسول وجدت سهولة كبيرة في التحالف مع القبائل العربية، خصوصاً إذا علمنا أن المنطقة شهدت خلال القرن السادس (12 م) موجة هامة من القبائل العربية التي عبرت هذا المجال من الشرق باتجاه الغرب، الشيء الذي قد يفسر لنا جزئيا استعمال اللغة العربية في الحياة اليومية لقبيلة التسول.

وعن المجال والانسان، فبحكم الاستيطان القديم لأفراد قبيلة التسول، ونمط الإنتاج المزاول فقد شهدت المنطقة كثافات بشرية مهمة، تعتبر من أهم الكثافات على مستوى تلال مقدمة الريف وممر تازا. ولضبط التطور السكاني الذي عرفته القبيلة فسنعتمد فقط على إحصائيات 1971 و1982 حسب الجماعات القروية (أنظر الجدول رقم 1). هذه الزيادة السكانية لا تدل بشكل واضح على الزيادة الطبيعية بالمنطقة بقدر ما تدل فقط على ارتفاع نسبي لعدد السكان وذلك نظراً لما تعرفه المنطقة من تيار مهم للهجرة باتجاه المدن المجاورة كفاس وتازا. وبالتالي تظل هذه الأرقام غير معبرة عن الزيادة الحقيقية للسكان.

ويمكن اعتبار ارتفاع الكثافات السكانية من جهة وضعف الموارد الطبيعية من جهة أخرى، إضافة إلى ارتفاع نسبة الولادات الناتجة أساسا عن الزواج المبكر بالقبيلة حيث تتراوح نسبة الأطفال الذين تقل أعمارهم عن 15 سنة ما بين 47٪ و49٪ في كل من جماعتي أولاد زباير وبني لنت و42٪ في جماعة سبت بني إفراسن بمثابة أسباب أساسية تتحكم في الهجرة القروية نحو المدن المغربية بصفة عامة وباتجاه مدينة تازا وفاس ووجدة بصفة خاصة. إضافة لهذه الأسباب هناك جانب البنية العقارية الذي يدعم الهجرة القروية بالقبيلة حيث نجد سيادة الملكية الصغيرة (أقل من 10 هكتارات) في كل الجماعات القروية وتاتي في مقدمتها جماعة سبت بني افراسن بنسبة 99،4٪ ثم جماعة بني لنت بـ76،4٪ فجماعة أحد أولاد زباير 72٪ (أنظر الجدول رقم 2 : البنية العقارية) مع الإشارة إلى وجود لا بأس به للملكية المتوسطة في جماعتي أولاد زباير وبني لنت وغيابها في بني إفراسن.

الجماعات القروية	0 - 5 ٪	5 - 10 ٪	10 - 20 ٪	20 - 50 ٪	50 - 100 ٪	100 ٪
أولاد زباير	29	43	25	2،8	0،2	-
بني لنت	50	26،4	20	3،4	0،2	-
بني افراسن	58	41،4	06	-	-	-

جدول رقم 2 : البنية العقارية بقبيلة التسول حسب الجماعات القروية.
عن منوغرافية مديرية الفلاحة والاصلاح الزراعي.

وتوجد فئة مهمة من سكان القبيلة بدون أرض أو ما يسمى بغير الملاك وتتراوح حسب الدواوير ما بين 26٪ و40٪ مما يدفع بالهجرة القروية للاستفحال.

أما فيما يخص الاستغلال الفلاحي بالمنطقة فيمكن القول إن الاستغلال الزراعي التقليدي الكثيف هو من مميزات القسط الأكبر من مجال القبيلة إذا استثنينا الأراضي المستغلة عصريا نسبيا في إطار تعاونيات

الإصلاح الزراعي التي كانت في السابق تمثل الملكية الاستعمارية، وذلك في جماعة أحد أولاد زباير خاصة. وهو استغلال يعتمد في الغالب على دورة زراعية ثنائية (قمح قطاني) (انظر الجدول رقم 3) بالإضافة إلى استغلال الأشجار المثمرة، وتأتي في مقدمتها الزيتون والتين، لا سيما وأن جزءاً مهما من المنطقة دخل في إطار مشاريع "تنموية" كمشروع ديرو الذي شمل جزءاً من جماعة أحد أولاد زباير وأربعاء بني لنت، للحد من خطر التعرية بالمنطقة باستعمال تقنية التشجير بالزياتين.

الجماعات القروية	حبوب	قطاني	زراعات علفية	خضروات	أشجار
أولاد زباير	٪56	٪30	٪1.5	٪1	٪6.5
أربعاء بني لنت	٪71.5	٪17.5	٪1	٪0.5	٪7.5
سبت بني إفراسن	٪80	٪10	٪0.3	٪0.3	٪3.4

جدول رقم 3 : توزيع أراضي الاستغلاليات حسب أنواع الزراعات

أما تربية الماشية فتدخل كذلك في إطار الاستغلال التقليدي وتأتي في مقدمة الأصناف الغنم بحوالي 41.000 رأس، والأبقار بـ 18.000 رأس، ثم الماعز بحوالي 7.000 رأس. أما بالنسبة للمراعي فأغلبها أراض جماعية بورية، وعادة ما تكون جبلية غير صالحة للزراعة.

البكري، *المغرب* ؛ *منوغرافية مديرية الفلاحة والاصلاح الزراعي بتازا* ؛ *دراسة ميدانية*.

محمد صابري

التّسولي أو الدسولي، أسرة أصلها من قبيلة التسول، كانت بتطوان وانقرضت، وكان من بين أفرادها العالم علي بن عبد السلام التسولي الذي تولى القضاء بتطوان سنة 1250 / 1834 وتوفي بفاس سنة 1258 / 1842.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : 114، 4 : 165، 6 : 6 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 7 : 231 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegación, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)* 1932 (T).

محمد ابن عزوز حكيم

التسولي، إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي يحيى التازي. أصله من تازا وينتسب إلى قبيلة التسول القريبة منها، وهو من أهل فاس، وبها درس على الفقيه قاضي الجماعة علي بن عبد الحق الزرويلي المعروف بأبي الحسن الصغير ولازمه. وكان قارئ كتب الفقه بين يديه بمجلسه، كما أخذ عن أبي زكريا أبي ياسين وقرأ عليه *موطأ* الإمام مالك، وعن محمد بن رشيد، وقرأ على علي بن عبد الجليل السدراتي كتاب *الأحكام الصغرى* لعبد الحق الإشبيلي، وقرأ *رسالة* ابن أبي زيد على علي بن سليمان، وأخذ عن غيرهم.

وتتلمذ له عدد من فقهاء المغرب، وحضر مجالس تدريسه بمدرسة عدوة الأندلس بفاس الكاتب الشهير ابن الخطيب السلماني، ونوه بطريقته في التدريس وفصاحته وجودة إلقائه، وأخذ عنه أيضا بغرناطة لما ذهب إليها التسولي سفيرا للمرينيين.

كان التسولي في تدريسه قيما على كتب فقه المذهب المالكي *كالتهذيب* للبرادعي *والرسالة* لابن أبي زيد، مع أنه كان واسع المشاركة في ضروب من العلم صدرا في علماء عصره. وكان له إلمام جيد بعلم التاريخ والأنساب وإحاطة بالآداب.

وتشير مصادر ترجمته إلى أنه كان فارسا شجاعا، عمل في خدمة ملوك بني مرين، وصار من حاشيتهم ومرافقيهم ونال لديهم حظوة، وقد استعمله السلطان أبو الحسن المريني في سفاراته وولاه قضاء الجماعة بحضرته، ثم الإمامة به في الصلاة لما أرسل الفقيه محمد السطي رسولا إلى تونس.

وإلى جانب اهتماماته في التدريس والسفارة كان للتسولي نشاط تأليفي فوضع *تقييدا على تهذيب البرادعي وتقييدا على رسالة ابن أبي زيد وتعليقا على مدونة* سحنون، قيد كل ذلك أثناء قراءته على شيخه أبي الحسن الصغير. وجمع أجوبة شيخه هذا في المسائل الفقهية وضمها إلى *نوازله* في سفر.

أصيب في آخر عمره بمرض الفالج فلزم بيته وكان السلطان أبو الحسن يعوده، حتى توفي في حدود 749 / 1348.

م. ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. عبد الله عنان، 1973، 1 : 380؛ أبو الحسن النباهي، *المرقبة العليا*، نشر ليفي بروفنصال، القاهرة، 1949، ص. 136 ؛ م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، تح. ماريا خيسوس فيغيراس، الجزائر، 1981 ، ص. 146 ؛ م. ابن القاضي، *درة الحجال*، القاهرة، 1970، ج 1 : 179 ؛ *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص. 85، 86 ؛ *شجرة النور الزكية*، القاهرة، 1962 ؛ إ. ابن فرحون، *الديباج*، القاهرة، 1351.

محمد المغراوي

التسولي، الطاهر بن محمد الفاسي، شيخ صوفي كبير، سلك الطريق أولا على يد الشيخ محمد الحراق، ثم أخذ عن الشيخ الخضر الشجعي. اشتهر صلاحه بفاس فكثر مريدوه وأتباعه.

توفي يوم عرفة تاسع ذي الحجة عام 1317 / 10 أبريل 1900 ودفن بروضة الكثيريين داخل باب عجيسة.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1317.

محمد حجي

التسولي، عبد السلام بن عبد الرحمان، أحد الطلبة المغاربة الذين تعلموا بمدرسة كْلاوْسْطال Klausthal ببرلين بألمانيا. وكان قد رشح للتعليم ابتداءً من سنة 1291 / 1874 فذهب إلى طنجة وتلقى تعليماً في اللغة والمبادئ العلمية الأدبية بها خلال سنتين. وفي سنة 1293 / 1876 سافر إلى

برلين ضمن وفد ثلاثي يتركب منه هو ومعه آخران هما : الميلودي بن محمد الزيادي الطالبي والحسين بن الحاج خلوق التمسماني.

أخذ التسولي العلم العسكري بألمانيا طيلة سبع سنوات عاد إثرها إلى المغرب سنة 1300 / 1883. لكن طموحه دفعه إلى أن يستأذن السلطان بواسطة سفير ألمانيا بطنجة تيودور فيبير (T. Weber) ليتمم دراسته العليا بألمانيا "حتى يقدر يوم (يوماً) ما أن يقدم خدمته لمنفعة وطنه، ويجازي الحضرة الشريفة أيدها الله بالدعاء لمَا أنعمت عليه بخيراتها ليتعلم" على حد تعبير رسالة السفير إلى برگاش في 15 مارس 1883.

أجاب مولاي الحسن بعد شهور "بأن أحد الطلبة الثلاثة الذين يتعلمون ببلادهم ظهرت نجابته في تعلم علوم الهندسة أو علوم المعادن، وصار بالبال. فتعلمهم علم البحر والمعادن أحب إلينا، نعم إن اقتضى نظره تعلم ماذكر فيزاد له من يتعلمون علم البحر ...".

وهكذا سمح للتسولي أن يتعلم بمدرسة كلاوسطال للمعادن طيلة خمس سنوات وكان السلطان قد استبطأه فطلب من الطريس أن يسترجعه، إذ "بلغك أنه تمهر فيما توجه لتعلمه وظهرت نجابته، ولم يبق في مكثه هناك إلا زيادة الصائر ... فحيث حصل ما توجه لأجله فوجه عليه، وحيث يرد وجهه لحضرتنا الشريفة".

عاد عبد السلام إلى المغرب أواخر سنة 1888 ووجه إلى القصر السلطاني فور وصوله. ويظهر أنه سئل عما كان يقرأه ببرلين، فأجاب برسالة مشحونة باللحن إن العلوم هي:

علم الحساب والجبر والمقابلة ؛ أصول الهندسة ؛ مساحة المثلثات ؛ جل الجبر ؛ علم الهندسة المساحية ؛ علم الطبيعة، وهو أصل القوة الكهرباوية، أي إلكطريك ؛ ثم علم الكيميّة المعدنية كالذهب والفضة والنّحاس والقزدير والرصاص والحديد والكبريت إلى آخره ...

"وغاية أكثر اجتهادي في هذه العُلُوم السبعة كان هو علم الكيميّة. وبها أقدر نفتش الأرض عن معادنها، ونبين ما فيها من المعَادن النافعة كالمذكورين فوق. والآن أني أترجى العقاقر والحوامض من طنجة لنجرب هذا في الحضرة العالية بالله، والسلام. وفي 21 من ربيع الثاني عام 1306 / 25 دجنبر 1888. خديمكم : عبد السلام بن عبد الرحمان التسولي، لطف الله به".

يظهر من هذا نوع تخصص التسولي. فأين ياترى سيوظفه المخزن ؟ لم أقف على ما يفيد هذا التوظيف المحتمل. حتى إذا كان فليس للمخزن معامل أو مناجم يستغلها بنفسه ليستخدمه فيها. ومهما يكن فقد انصرمت على هذا الوقت ثلاث سنوات ولـمَّا نسمعْ له على حس في المصادر. حتى إذا كانت سنة 1891 وجدنا أن التسولي قد ألفى عملاً خارج المغرب ليس داخلاً في نطاق تخصصه، فقد أصبح مدرساً للعربية بمعهد اللغات الشرقية ببرلين المستحدث سنة 1887 لتعليم الألمانيين اللهجة الدارجة المغربية لفائدة الذين كانوا يتشوفون إلى غزو المغرب اقتصادياً وتجارياً ببضائعهم ومدافع كروب وبعثاتهم الاستكشافية لتجوس خلال الديار وتتعرف على ما يزخر به المغرب من إمكانيات. وسيمكث عبد السلام الذي كان أول من عين مدرساً للعربية بالمعهد الألماني إلى سنة 1896 التي يعين أثناءها آخرون ممن كانوا يتعلمون بالمانيا مثل الجيلالي ابن البشير وبعده الجيلالي الشرقاوي من سنة 1899 إلى سنة 1903 التي سيوظف فيها الميلودي الزيادي الطالبي المشار إليه في مطلع هاته الترجمة والذي سيموت هناك سنة 1904 ويخلفه مغربي آخر من مواليد مدينة قسنطينة سنة 1870 وهو أبو بكر بن علي بن عبد الوهاب الذي سيعيش مدة بسلا منفياً وسيموت فيها سنة 1930.

أما التسولي فقد تقاذفته الرياح، ولم يعد في مطلع القرن العشرين سوى ترجمان لأحد المراكب الألمانية بالرباط، لا سبيل إلى "خدمته لمنفعة وطنه" كما تقدم وانقطع خبره في المصادر المكتوبة.

وأذيل هذا الحديث بأنه تعرض في اسمه ونسبه إلى تحريفين في الوثائق والمصادر الألمانية. إذ اسمه فيها هو "أبو سلام" وليس عبد السلام لخلو الألمانية من العين، ونسبه هو Zuli لأن حرف Z ينطق بالالمانية تْسْ.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج 4، ص 1347 و1348 و1351 ؛ محمد المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، ج 1، ص 251 وج 2، ص 313 ؛ أبو بكر الصبيحي في ترجمة أبي بكر بن علي بن عبد الوهاب ؛ الوثائق الملكية ؛ وثائق مكتبة تطوان.

P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc : 1870 - 1905*, pp. 86, 523, 524, 867, Paris, 1967.

مصطفى بوشعراء

التسولي، علي بن عبد السلام، ولاه السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام 1822 - 1859 قضاء العاصمة فاس وذلك في 28 جمادى الثانية سنة 1247 / 4 أو 5 دجنبر 1831 بعدما عزل القاضي الزرهوني. وكان من المشايخ الذين تتلمذ عليهم عدد من الفقهاء والعلماء أمثال العربي بن إدريس العلمي. توفي في 15 شوال 1258 / 19 نونبر 1849.

عبد الرحمان بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 5 : 31 و439.

عبد الاله الفاسي

التسولي، موسى بن محمد بن الحسن بن أبي بكر الفاسي يكنى أبا إسحاق، من قبيلة تسول بأحواز تازا. لم تذكر المصادر تاريخا لولادته، وكل ما نعرف أنه عاش في نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن (13 - 14 م). وصفه ابن القاضي بالشيخ الصالح، المدرس الورع الأستاذ (*جذوة*، 346)، وقال عنه ابن خلدون إنه شيخ الصالحين والفقهاء في عهده بنواحي تازا. ويستفاد من المعلومات القليلة المتوفرة عنه أن صيته ذاع في المغرب الأقصى وخارجه، فقد أخذ عنه كثير من فقهاء وعلماء عصره من مختلف أنحاء بلدان المغرب، وهكذا ارتحل إليه سعادة من زعماء قبائل رياح من بلاد الزاب وأخذ عنه من علومه وفقهه الشيء الكثير،

ولزمه مدة طويلة حتى إذا تشبع بعلم التسولي رجع إلى وطنه رياح ونزل بلد طولقة وشرع في تطبيق تعاليم أستاذه في تغيير المنكر بدءاً بأقاربه ثم عشيرته وأصحابه. ومن الذين أخذوا عن الفقيه موسى أبو عبد الله محمد بن الأزرق أحد كبار فقهاء مقّرة وصاحب كتاب *الحلال والحرام*.

توفي موسى التسولي بمدينة فاس سنة 710 / 1311 ودفن بمقبُرة مسجد الصابرين داخل باب الجيزيين قرب قبر الولي الصالح أبي زيد عبد الرحمن الهزميري.

ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1968، 6 : 81 . 84 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973 ؛ *درة الحجال*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، ط. 1، 1970، 3 : 8.

رشيد السلامي

التسويس، نوع من الطرز أي التوشية، كان يُستعمل لتجميل ملابس النساء وتزيينها وتنميق بعض الأغطية والأفرشة والأردية. وهناك عدة أساليب من الطرز الأهلي معظمه كان ينجز على أيدي نساء طرازات متخصصات (معلمات) وأقله يتم داخل المنازل على أيدي ربات البيوت ومن في المنازل من فتيات. وكان الطرز الذي يندرج ضمن المبادئ الأساسية في تربية الفتاة يمارس في معظم المدن المغربية، لا فرق في ذلك بين نساء فقيرات وغنيات وكبيرات سن وصغيرات. وكان الطرز من عدة أنواع أهمها طرز الحساب وطرز الكانبة وطرز الشبكة (أو شبكة الرندة) والتضريس والتسويس.

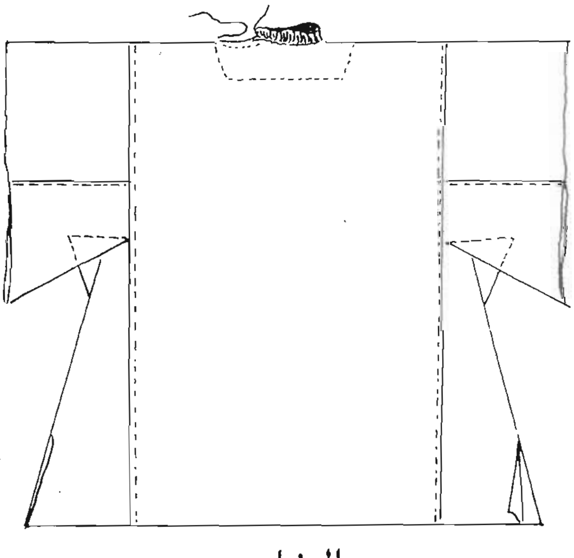
والتسويس كنوع من الطرز، وإن كان يبدو بسيطاً، فإنه يحتاج إلى مهارة وخبرة يدوية طويلة. وتتطلب تقنية التسويس سحب خيوط من الثوب المراد طرزه طبقا لرسم منقول عليه بكيفية تؤدي إلى تخريم الثوب وإحداث أشكال بديعة فيه بواسطة ثقوب دون اللجوء إلى الغرز بالإبرة. إنها طريقة تقوم على إفراغ الثوب من أمكنة معينة وترك أخرى بعد تدعيمها بالخياطة أو التشبيك بكيفية تؤدي إلى إبراز أشكال مرسومة دون رسم. ومن الناس من يدعو هذا الطرز أيضا "التشبيك"، وهو يختلف اختلافاً كبيراً عن طرز الشبكة أو ما يعرف عند المتخصصات "بشبكة الرندة" التي تنجز بالاعتماد على إقامة أنواع من النتوءات في الرداء المراد توشيته لتجميل حواشيه من جهة وحمايته من التسلل والتمزق من جهة أخرى.

ويبدو الثوب أو القطعة المنمقة بهذا النوع من الطرز (يقال بأنها مسوسة) وكأن أرَضَة الثوب أو ما يعرف عند النساجين بالعثة قد أكلت بعض أطرافه دون الأخرى، ومن هنا جاءت تسمية التسويس. وينقسم هذا الطرز إلى قسمين : تسويس على الطريقة القديمة ويتم باليد المجردة والإبرة، وطرز حديث ساد انتشاره اليوم في مراكز تعليم الطرز وتجميل ملابس النساء، وهو يتم بالمقص وآلة الخياطة، إلا أن الأول أكثر جودة من الثاني لكنه يأخذ وقتا أطول. ويستعمل التسويس بنوعيه القديم والحديث، كغيره من أنواع الطرز الأخرى، لتطوير حواشي الملابس النسوية على الخصوص وكذا لتنميق وتزيين أثاث البيت الحضري الذي كانت الأواني والأدوات المتداولة فيه تحتاج إلى أغطية متنوعة كأواني الشاي والحلوى وموائد الأكل وأسرة النوم والوسادات ومناديل الحناء وأردية الحمام الأهلي وغيرها.

P. Bory, *Métiers et arts indigènes*, Casablanca, 1941 ; P. Ricard, *Les arts marocains, les broderies*, Alger, 1918 ; *Le souq El Merktan et les broderies de Fès*, *France - Maroc*, vol. 1, 1917; H. Terrasse et J. Hainaut, *Les arts décoratifs au Maroc*, Paris, 1925 ; C. Brunot David, *Les broderies de Rabat*, Rabat, 1943 ; J. Baldoui, *Les arts indigènes au Maroc*, Paris, [s. d], *Enc. Col. et maritime* ; A.M. Goichon, *La broderie du fil d'or à Fès*, *Hesp.*, vol. 25, 1939 ; E. Michaux-Bellaire, *Description de la ville de Fès*, *A.M.*, vol. 11, 1907 ; L. Botte, *Au cœur du Maroc*, Paris, 1913.

التشامير، لباس داخلي للرجل، وكانت ملابس البدن الأهلية المعروفة عند سائر الناس بالتقليدية تنقسم إلى داخلية وخارجية. وتتكون الداخلية منها من السروال البلدي الفضفاض والتشامير أو القفطان والفرجية أو كسوة المحصور. أما الملابس الخارجية فتتألف من الكساء والسلهام أو السلهام والجلباب أو الجلباب وحده. ويوضع كل زوج من الملابس الخارجية عادة فوق زوج من الملابس الداخلية. وقد يلبس البعض ثلاثة قطع أو أربعة دفعة واحدة حسب ظروف الطقس والظروف الاجتماعية والمناسبات.

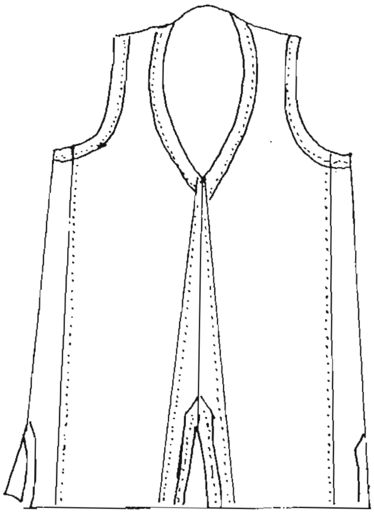
والتشامير كلمة أمازيغية أصلها أشابير. يسميه سكان الحواضر القميص ولا يطلق عليه سكان البوادي والمرتفعات الجبلية إلا اسم التشامير. وهو عبارة عن قميص طويل يمتد من العنق إلى أسفل الساقين، طوله لا يتعدى طول الملابس الأخرى التي ترتدي فوقه. وقد كان في الأصل من صوف خشن ثم ارتقى وأصبح يتخذ من صوف شفاف ثم من قطن وكتان.



التشامير

يلبس التشامير مباشرة فوق السروال الفضفاض فيغطي

الجسم بكامله. وقد يلبس فوقه قميص آخر من نفس طوله لكنه بدون أكمام، مفتوح من جوانبه الوسطى والسفلى يسمى الفوقية. كما أن البعض من سكان الحواضر يضع فوقه مكان هذه الفوقية القفطان ثم الفرجية قبل أن يسدل على الكل الكساء والسلهام الشفافين إذا كان ميسوراً، أو يضع فوقه السلهام وحده أو الجلباب وحده إذا كان أقل يسراً قبل أن يتقلد الشكارة والكمية.



الفرقية

كانت أكمام التشامير نصفية وفضفاضة تقف في معظمها عند المرفقين لكن بعضها قد يتوسط المتن أو يتعداه. وقد يكون بدون أكمام في حالات نادرة أو تطول أكمامه إلى حد الكعبين. وهو يغلق على العنق بواسطة طوق مستدير يتم التحكم فيه من الجانب الأيمن من الناحية الموالية للكتف بمشد يدعى السَّرِّيفة. كان لباسا داخليا بالنسبة للميسورين لكنه يصبح هو اللباس الرئيسي الوحيد بالنسبة للفقراء، يلبس فوق السراويل إما مع جلباب أو بدونه. وفي هذه الحالة الأخيرة يقتصر الشخص على شده إلى خصره بالتكة أو بمجرد قطعة من ثوب أو دوم مفتول أثناء إنجاز بعض الأشغال الشاقة المعتادة في الحرث والنقل، فكان التشامير هو اللباس السائد لدى الحمارين والرباعين والزرزاية والحمايمية والغبارة والفرناتشية والدباغين والحدادين وغيرهم. وكان العريس في بعض البوادي وبعض المدن يرتدي التشامير في ليلة زفافه دون سراويل مباشرة بعد الاستحمام ويلتف فوقه إما في سلهام أو جلباب أبيض. أما الأطفال الذين لم يبلغوا سن الرشد فكان هو لباسهم الرئيسي دون جلباب ولا سراويل. وكان يلبس في الفصول الحارة مباشرة فوق السراويل بدون جلباب ولا سلهام. وإذا حل فصل الشتاء يتم تعويضه أو تدعيمه بقميص آخر متين من صوف يكون بدوره بدون أكمام يدعى القشاب، وهو عادة لا يتعدى الركبتين. وقد يصبح هذا القشاب بالإضافة إلى التشامير عند الفقراء والمعدمين هو اللباس الأساسي صيفاً وشتاءً.

الحسن الوزان، *وصف افريقيا*، الرباط 1983، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر ؛ ادريس الجعايدي، *إتحاف الأخيار بغرائب الأخبار*، د. د. ع. كلية الآداب بالرباط 1990، تح. عز المغرب معنينو ؛ محمد عشيش، *المغرب الأقصى كما رأيته*، القاهرة، د. ت ؛ محمد اشماعو، *المجتمع المغربي كما عرفته*، الرباط 1980.

J. Besancenot, *Costumes du Maroc*, Rabat, 1988, réédition ; L. Brunot, *Noms de vêtements masculins à Rabat, Mélanges René Basset*, Paris, 1923 ; G. Rousseau, *Le costume au Maroc*, Paris, 1938 ; J. D'Etienne [et al...], *L'évolution sociale du Maroc*, Paris, s. d. ; G. Daumas, *La vie arabe et la société musulmane*, Paris, 1983.

محمد بوسلام

التشجير بالمغرب، تقدر مساحة الغابات بالمغرب بخمسة ملايين هكتار، بالإضافة إلى أكثر من ثلاثة ملايين هكتار من تشكيلة الحلفاء. وإذا كان المغرب يمتلك ما يلزمه من الحطب فإنه يستورد كميات كبيرة من خشب النجارة والصناعة والمعادن. علاوة على هذا تعرف الغابات الطبيعية تدهوراً يستفحل سنة بعد سنة، مما يعرض الأتربة للتعرية والانجراف والنقصان في الإنتاجية، وتغذية السدود. وتلبية لهذه المتطلبات، وتفاديا لاستفحال المشاكل، قامت مديرية المياه والغابات بعمليات التشجير منذ ما يزيد عن أربعين سنة. أدخلت هذه العمليات في إطار برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي بدأت سنة 1960.

كانت عمليات التشجير إلى أواخر الستينات غير منتظمة، وبدون أهداف معينة، مستعملة آنذاك عدداً قليلا جداً من الأنواع الشجرية. وفي سنة 1968، قامت مديرية المياه والغابات بمساعدة منظمة التغذية والزراعة (FAO)، بدراسة للمساحات المشجرة قبل هذا التاريخ وذلك لإنجاز مخطط وطني للتشجير : (Plan National de Reboisement : P.N.R.) شرع في تنفيذه سنة 1971. يعرف المخطط بالأهداف والأبعاد المتوخاة على المدى الطويل، من كل مشروع تشجير.

ومن أهم أهداف المخطط تكميل وتعزيز الأدوار الثلاثية التي تقوم بها الغابة الطبيعية من إنتاج ومحافظة على البيئة وترفيه، مع خلق فرص العمل لليد العاملة القروية.

فيما يخص الإنتاج، يهدف المخطط إلى غرس مساحات واسعة من الصنوبريات السريعة النمو مثل الصنوبر البحري ذي الضربين الأطلنطيكي والمغربي والصنوبر الكناري والصنوبر المونتوري، الخ... وذلك في محاولة للوصول سنة 2000 م إلى سد العجز المتعلق بخشب الراتنجيات المستعمل في النجارة والصناعة والمعادن. بالإضافة إلى الرفع من إنتاج خشب الأوكاليبتوس المستعمل في صناعة عجين الورق بمعمل سيدي يحيى الغرب الذي يتطلب حاليا 345.000 طن من المادة الخام لإنتاجه المقدر بـ 100.000 طن.

أما فيما يخص مكافحة التصحر أو المحافظة على السدود من الترسب بسبب الانجراف، وعلى البنيات التحتية الأخرى من الفيضانات أو الترمل فإن المخطط

يهدف إلى تثبيت تربة سفوح الجبال في العالية أو الكثبان الرملية الساحلية وذلك بغرس أنواع من النباتات أكثر ملاءمة مع الظروف البيئية السائدة في هذه المناطق.

وأخيراً، ولتلبية متطلبات السكان من مساحات خضراء، يهدف المخطط إلى تشجير ضواحي المدن التي يتعدى عدد سكانها 20.000 نسمة، وذلك بمقدار هكتار واحد مشجر لكل ألف نسمة.

تقدر المساحات المشجرة المستهدفة من المخطط بـ 662.000 هكتار، منها 540.000 من الصنوبريات أو الراتنجيات بصفة عامة، و115.000 من الأوكاليبتوس والأكاسيا و7.000 من أنواع مختلفة، أي ما يعادل 22.000 هكتار سنويا إلى حدود نهاية القرن.

وضع المخطط الوطني للتشجير معايير ومقاييس وجب على كل مشروع تشجير أن يأخذها بعين الاعتبار، نذكر منها :

- يجب ألا تتعدى المسافة بين الموقع المشجر ومكان تحويل الخشب المنتوج، خمسين كلم.

- يجب أن تتعدى المسافات المشجرة : 2.000 هـ لتموين معمل نجارة. و1.000 هـ لتموين معمل للألواح. وما بين 50.000 و90.000 هـ لتموين معمل يصنع عجين الورق. ويكون إنتاج الخشب بكمية وافرة وجودة حسنة، مما يتطلب القيام بالتربية الحراجية الملائمة، واختيار الأتربة الخصبة. ولهذا وجب ألا تكون الإنتاجية أقل من أربعة أمتار مكعبة في الهكتار سنويا بالنسبة للراتنجيات وخمسة أمتار مكعبة في الهكتار سنويا بالنسبة للأوكاليبتوس. وتكون الكلفة التي تتطلبها عملية التشجير غير باهظة.

هذا ويميز المخطط بين ثلاثة أصناف من البرامج :

* البرنامج المنتظم الواجب إنجازه على صعيد كل التراب الوطني، وذلك حسب الأنواع الملائمة للظروف البيئية لكل منطقة. وفي هذه الحالة تكون الإنتاجية المطلوبة مضمونة.

* البرنامج التجريبي على المدى البعيد، ويشمل كل المحطات التي غرست بها أنواع دخيلة قصد التعرف على قدرتها في التكيف مع الظروف البيئية، وبعد ذلك استعمالها في عمليات التشجير. والمشرف على هذا البرنامج هو مركز الأبحاث الغابوية بالرباط.

* البرنامج المستقبلي على المدى المتوسط، ويقوم على أنواع من الأشجار التي لا يعرف عنها الكثير بالنسبة لملاءمتها للظروف البيئية للمحطة التي غرست بها.

أما من حيث الإنجازات، فإن المساحة المشجرة قبل الشروع في تنفيذ المخطط، تقدر بـ 280.181 هكتار، منها 99.626 هكتار من الراتنجيات و162.451 هكتار من الأوكاليبتوس و18.104 هكتار من أنواع أخرى، وحتى موسم سنة 1989 - 1990 بلغت هذه المساحة الإجمالية 457.690 هكتار نصفها من الراتنجيات والنصف الآخر من الأوكاليبتوس وأنواع أخرى. لكن الإنتاجية لم تصل إلى الحد الأدنى المطلوب ولا سيما بالنسبة للمساحات المشجرة بالراتنجيات.

لهذا وجب القيام بأبحاث في هذا الميدان من طرف المدرسة الوطنية الغابوية للمهندسين بسلا والمعهد الوطني للزراعة والبيطرة الحسن الثاني، بمشاركة المركز الخاص بالتجارب بالرباط، وذلك للرفع من الإنتاجية والجودة. وتخص هذه الأبحاث :

- انتخاب الضروب المنتجة من الأنواع الشجرية المستعملة في التشجير.

- التخصيب الاصطناعي للأتربة المشجرة بالأكاليبتوس.

- التربية الحراجية الملائمة للأصناف المستعملة في التشجير.

- استعمال الأنواع الشجرية المحلية في عمليات التشجير، لأنها بالرغم من نموها البطيء تكون أكثر ملاءمة للظروف البيئية المحلية ضامنة بذلك تشكيل غطاء نباتي دائم وشديد المقاومة للتغيرات المناخية.

بالإضافة إلى هذا وضعت مديرية المياه والغابات في نهاية سنة 1993 مشروع دراسة شاملة لإنجاز مخطط توجيهي للتشجير. ويتطلب ذلك القيام بدراسة للتشكيلات الغابوية الطبيعية وللوسط الطبيعي والاجتماعي والاقتصادي، وسوف يتمخض عن هذا المشروع توجيهات خاصة بكل منطقة من المناطق المغربية حول عمليات التشجير.

أبحاث ميدانية.

Direction des Eaux et Forêts et de la Conservation des Sols, *Le Plan National de Reboisement* (P.N.R.), Rabat, 1971 ; *Guide du Reboisement au Maroc*, Rabat, 1978.

بلغازي باختي وعبد المالك بنعبيد

تشرتشر ت ج T.G. Churcher، طبيب من هيأة المنصرين الأنجليزيين، تعلم العربية بطنجة وأخذ يباشر التطبيب بها سنة 1885، وكان يتنقل إلى بعض المدن كالدار البيضاء وفاس التي استوطنها من سنة 1892 إلى 1894.

م. بوشعراء، *الاستطيان*، ج 4 ص. 1402 ؛ ميبيج، *البعثات...*، مجلة تمودا، المجلد 42.

مصطفى بوشعراء

تشرشيل والمغرب، ترجع علاقة وينستون تشرشيل (1874 - 1965) بالمغرب إلى بداية الثلاثينات من هذا القرن عندما اكتشف مدينة مراكش وأحب طبيعتها الخلابة. ومنذ ذلك الوقت أصبح يتردد على المدينة حيث ربط علاقة صداقة وطيدة مع الباشا التهامي الأكلاوي. وخلال الحرب العالمية الثانية جاء تشرشيل إلى المغرب لحضور مؤتمر أنفا (1943) إلى جانب الرئيس الامريكي روزفيلت والجنرال ديغول لتنسيق جهود الحلفاء ضد المانيا النازية. وبنفس المناسبة كان رئيس الوزراء البريطاني من بين الشخصيات التي حضرت مأدبة العشاء التي أقامها روزفيلت على شرف سلطان المغرب محمد بن يوسف. ويظهر أن تشرشيل لم يكن مرتاحاً تماماً للتقارب المغربي - الامريكي ومراهنة

المغاربة على الامريكيين في نضالهم من أجل الاستقلال. وقد حافظ تشرشيل على صلاته الوطيدة بباشا مراكش حتى خلال الأزمة المغربية ـ الفرنسية (1953) ومشاركة هذا الأخير مشاركة أساسية في خلع محمد بن يوسف ونفيه.

وقد فسَّر البعض إبقاء تشرشيل على علاقته المتميزة بالأكَلاوي في تلك الظروف بالذات على أنه كان يُعبر عن استياء بريطانيا من موقف السلطان الذي أصبح يعلق آمالا كبيرة على الولايات المتحدة الأمريكية، ويرمز إلى الدعم البريطاني لفرنسا للإبقاء على مستعمراتها خاصة في وقت أصبحت فيه القوى الاستعمارية الأوربية تتخوف من المد الجديد للشعوب المضطهدة المطالبة باستقلالها.

G. Maxwell, *El Glaoui : dernier Seigneur de l'Atlas*, Paris, 1966 ; S. Bernard, *Le Conflit Franco-Marocain, 1943 - 1956*, 3 tomes, Bruxelles, 1963.

محمد المنصور

التشريح ← الطب

التشغيل الفلاحي، يعد التشغيل عنصراً أساسياً من عناصر البنيات الفلاحية باعتبار أنه يندرج ضمن مسلسل الإنتاج، وله صلة بالبيئة الطبيعية والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والتقنية والثقافية السائدة عند مجتمع فلاحي معين.

والشغل بصفة عامة يمكن تعريفه بالنشاط العقلاني للإنسان وهو شرط أولي لوجوده، بواسطته يحقق ذاته ويعيد إنتاج نفسه عن طريق تطوير قدراته الإبداعية وتقنياته التي بواسطتها يغير الطبيعة بغية إرضاء حاجياته المختلفة، وفي نفس الوقت يطور علاقاته الاجتماعية التي ضمنها يؤثر على الطبيعة. ومن ثم فإن العمل البشري المنتج يتضمن علاقة مزدوجة، أي علاقة الإنسان بالطبيعة من جهة وعلاقة الإنسان بالإنسان من جهة ثانية.

وإذا كان التشغيل الفلاحي عند المجتمعات التي يسودها الاقتصاد الرأسمالي الناضج يقوم على عقدة صريحة أو ضمنية يلتزم بمقتضاها العامل "الحر" بتقديم قوة عمله مقابل أجر يدفعه له المشغل، فإن التشغيل الفلاحي عند التشكيلات الاقتصادية والاجتماعية التي يمكن أن نصطلح على تسميتها بالتابعة، لا يتخذ دائماً شكل بضاعة، بل نجد أصنافاً متعددة من التشغيل الفلاحي التي تظهر في خضم تفاعل نمط الإنتاج الرأسمالي مع التشكيلات الاقتصادية والاجتماعية ما قبل الرأسمالية. هذا التفاعل يؤدي إلى الإقصاء التدريجي للإنتاج والتبادل الحرفي التقليدي وتحطيم قطاع الاكتفاء الذاتي وذلك من أجل فتح هذا القطاع أمام الاقتصاد التبادلي النقدي ومن أجل التزود باليد العاملة وتنظيم الإنتاج بشكل يستجيب لطلبات السوق. وهكذا نتيجة تغلغل الاقتصاد الرأسمالي وبفعل التفاعل بين مختلف أشكال الانتاج والبنيات الفلاحية غير المتجانسة والمعقدة تحولت أشكال النشاط ما قبل الرأسمالية وظهرت إثر ذلك أنشطة أخرى لكنها في معظمها ذات طبيعة غير رأسمالية. وفي إطار هذا التحول برزت عدة أنظمة للإنتاج والتبادل أفرزت بدورها أنواعاً متعددة من التشغيل الفلاحي.

ونفس الوضعية نصادفها بالنسبة للفلاحة المغربية التي شهدت تغلغلاً للاقتصاد الرأسمالي بشكل تدريجي خاصة مع دخول الاستعمار الأوربي في بداية القرن العشرين، حيث عرفت بنيات التشغيل الفلاحي التقليدية تحولات جذرية ظلت امتداداتها تتفاعل مع مرور الزمن إلى أن أصبحنا في الفترة الراهنة إزاء واقع معقد ومتداخل في مجال التشغيل الفلاحي، مما يطرح جملة من الصعوبات أمام كل محاولة تهدف إلى قياس وضبط معايير هذا التشغيل قصد تحديد طبيعته وأصنافه، ومرد هذه الصعوبات لأسباب متعددة نذكر منها بوجه خاص :

- التناقض في الأرقام التي تدلي بها الاحصاءات والاستطلاعات الرسمية حول موضوع التشغيل بالفلاحة والأرياف عموماً، بالإضافة إلى كون هذه الإحصاءات تقتصر على العمال في القطاع الفلاحي الرسمي وشبه الرسمي متجاهلة الحيازات الفلاحية الخاصة. كما أن إجراء الإحصاءات العامة للسكان بالمغرب، بعد الاستقلال، أثناء الفترة الممتدة ما بين بداية فصل الصيف وبداية فصل الخريف، وهي الفترة التي يعرف خلالها النشاط الفلاحي فتورا كبيراً يُعرِّض العديد من سكان الأرياف إما للبطالة وإما لنقص التشغيل، مما يدفع بعضهم إلى البحث عن منشآت خارج القطاع الفلاحي للأشغال بها إلى حين انتعاش النشاط الفلاحي، وهذه الحالة تجعل نتائج الإحصاء العام للسكان والمتعلقة بالتشغيل الفلاحي مجرد نتائج تقريبية.

- اعتماد معايير مستوردة في ميدان الإحصاء حيث لا يتعبر عمل المرأة والطفل غير المدرس في القطاع الفلاحي، علما بأن هذا القطاع بالمغرب يشغل نسبة هامة من العنصرين المذكورين، كما أن المعايير المستعملة من طرف المكتب الدولي للشغل في إحصاء الساكنة وأنشطتها تظهر غير مجدية بالنسبة للتشكيلات الاقتصادية والاجتماعية التابعة، إذ تترك مجالا كبيرا للخطإ في معطيات التشغيل خاصة على المستوى الفلاحي، لا سيما وأن هذه المعايير لا تعتبر جزءاً كبيراً من الساكنة الريفية التي تملك قطعا أرضية مجهزة لا يكفي استغلالها لسد حاجياتها مما يدفع بهذه الفئة إلى بيع قوة عملها إما على شكل خماس أو رباع أو عالم موسمي الخ... حيث تدخل هذه الفئة في عداد الكادحين.

- إن قوة العمل في الأرياف المغربية ليست دائما بضاعة، أي أننا لا نجد دائما عاملا يكافأ بالأجرة، وأبرز مثال في هذا الصدد هو القوى العاملة العائلية التي لا تتقاضى أجراً، ونصادفها بنسب عالية خاصة عند الحيازات الفلاحية الصغرى. ولعل نفس الفكرة يتضمنها قول بول باسكون بأن التشغيل عند المجتمعات ما قبل الصناعية، كما هو الشأن بالنسبة لحالة المغرب، لا ينبغي أن يقاس

بالزمن (اليوم) ولكن بما يحصل عليه الفرد مقابل تشغيله : مردودية، أجر، قضاء مصالح معينة، تضامن، سلطة، سمعة، تحقيق رغبة معينة كالتغذية أو اللباس الخ...

- خضوع التشغيل في الميدان الفلاحي إلى تقسيم حسب الجنس والعمر والمؤهلات الذاتية للفرد وأحياناً المراتب الاجتماعية والدينية.

- عدم استقرار اليد العاملة الفلاحية سواء من حيث الأنشطة التي تقوم بها أو من حيث مكان العمل، هذا النوع من اليد العاملة غير المستقرة لا يخضع للإحصاء سواء بالنسبة للمؤقتين أو الموسميين.

- التباين في توزيع الدخل عند اليد العاملة الفلاحية والتباين في عدد ساعات العمل على الصعيدين المحلي والجهوي.

كل ذلك يجعل موضوع التشغيل الفلاحي بالمغرب موضوعا ذا حساسية بالغة تستدعي كثيراً من التوازن والدقة في اختيار معايير قياسه وتصنيفه تراعي فيها جميع أنواع هذا التشغيل وطرق مكافأته حسب الخصوصيات المحلية والجهوية.

وقد حاولت بعض الدراسات والأبحاث حول الأرياف المغربية خاصة في علوم الاقتصاد والجغرافيا والاجتماع أن تقارب اشكالية التشغيل الفلاحي، وفي هذا الإطار، وبتلخيص كبير، ميزت بعض الأبحاث على الصعيد الوطني بين فئتين من الشغيلة الفلاحية : فئة الكادحين الفلاحيين وفئة المأجورين الفلاحيين.

أ - الكادحون الفلاحيون : تضم هذه الفئة المنتجين الذين لا توجد بحوزتهم إلا قطع أرضية مجهرية لا يكفي استغلالها لتلبية حاجياتهم الأساسية، مما يضطرهم للعمل كمأجورين قصد الحصول على دخل تكميلي ؛ ثم أيضا كل الأفراد الذين يحصلون على مكافأتهم عينا ولا يتوفرون إلا على قوة عملهم مثل الخماس والرباع والراعي... وإلى هذه الفئة يمكن أن نضيف كذلك اليد العاملة العائلية التي تشتغل داخل الحيازة الفلاحية العائلية دون أن تتقاضى أي مكافأة.

ب - المأجورون الفلاحيون : تضم هذه الفئة كل الذين يشتغلون في إطار الأنشطة الفلاحية والذين يشكل الأجر بالنسبة إليهم دخلا رئيسيا مثل العامل الفلاحي الدائم والمؤقت والموسمي والمياوم وكذلك المأجورين في الإدارة والخدمات الفلاحية.

كما أبرزت بعض الأبحاث على الصعيد المحلي هيمنة العمل العائلي على بنية التشغيل الفلاحي في جميع مراحله (حرث، صيانة، حصاد...) مع تركز هذا العمل عند الحيازات الفلاحية التي لا تتعدى مساحتها عشر هكتارات، أما العمل المأجور الذي يتكون أساسا من العمل الموسمي فإنه يتركز في الحيازات الكبيرة خاصة تلك التي تفوق مساحتها خمسين هكتاراً، في حين تبين بأن العمل الشريك والمتجلي خصوصا في نظام "الخماسة" يسير في طريق الاختفاء، حيث لعب الانتشار المتنامي للعمل المأجور والمكننة الزراعية دوراً حاسماً في ذلك.

وهكذا فإن اندماج البادية المغربية في دواليب نمط الإنتاج الرأسمالي قد أدى إلى إحداث تحولات عميقة في العلاقات الاجتماعية للإنتاج والتوزيع ضمن النشاط الفلاحي، ومن أبرز تجلياتها : فصل الرأسمال عن العمل وتعويض العمل الحي (العمل البشري) بالعمل الميت (المكننة) و"تحرير" القوى العاملة الشريكة دون الحرص على إعادة إدماجها اقتصاديا واجتماعيا مما زاد من تأزم وضعية التشغيل بالفلاحة والبوادي المغربية عموما، الأمر الذي يستلزم إيجاد حلول ناجعة تشمل عدة جوانب لها صلة بتطوير هياكل ونظم الإنتاج الفلاحية وبالتنمية الشمولية للأرياف المغربية.

المختار الأكحل، *انتشار المكننة الزرعية وانعكاساته على التشغيل الفلاحي والبنية المجالية، مثال من بلاد زمور : جماعة أيت ميمون*. د.د.ع. في جغرافيا الأرياف - كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط 1987.

J. Ibarrola et N. Pasquerelli, *Nouveau dictionnaire économique et social*, Paris, 1981, p. 413 ; J. Freyssinet, *Formes et mobilisation du travail dans les économies sous dévelloppées*, in Colloque : *Travail et Société*, Faculté de Droit de Fès, 1984, pp. 171 - 207 ; P. Pascon, *La main-d'œuvre et l'emploi dans le secteur traditionnel*, *B.E.S.M.*, 1978, pp. 81 - 127; N. Lamrani, *Proletarisation de la paysannerie marocaine, évolution et forme*, Thèse de 3ème cycle en Economie, Université de Grenoble 1980.

المختار الأكحل

تشلة، بئر بمنطقة تيرس الغربية جنوب شرقي مدينة الداخلة بإقليم وادي الذهب. وهو موقع لا يبعد عن الحدود المغربية الموريتانية إلا بحوالي 30 كلم. يأخذ موقع البئر شكل منخفض محله معروف تسلكه أفراگ مربي الإبل والأغنام خلال نجعاتها الموسمية. ولا يمكن اعتبار ملوحة الماء بهذا البئر عاملاً يقلل من أهميته. بل بالعكس من ذلك يتميز منخفض هذا البئر بأنه من الأماكن التي كانت ولاتزال تتميز بمكانة واضحة تتوسط نقط الانتجاع الصالحة لتربية الإبل بهذه المنطقة. فعلى مسافات متفاوته حول نقط المراعي الصالحة للرعي لا يوجد اختلاف بين مربي الإبل بتيرس الغربية حول أهمية بئر منخفض تشلة. بل إن ملوحة مائة تعد من العوامل التي تجعل الإبل تفضله.

من ناحية أخرى نسجل بأن أولى خطوات تحليل نظام التحالفات القبلي تبدأ بقياس مدى قدرة الفصائل المحلية على مراقبة المجال. هنا يساعدنا قياس المسافة المستقيمة بين أهم أفراك تيرس الغربية على تأكيد دور بئر منخفض تشلة خلال القرن الثالث عشر (19م) على الأقل، ذلك أن النمط الترحالي المتباعد نسبياً بين الأفراگ يعد ناتجاً عن توزيع منتظم يرسم صيغة نظام العلاقات المجالية.

كان أولاد دليم بين اتحاديات ذوي حسان المعقليين الذين هيمنوا على الغور السكاني الصنهاجي قبل ثلاثة قرون بهذه المنطقة بالذات. إلا أن أي تغيير كبير لم يحصل في طريقة حياة ومعيشة رُحّل هذه المنطقة. فالترحال وتربية

الإبل تتميز بتوسط حجم وبنسبية المساحات المستعملة خلال كل نجعة. وإذا ارتقينا درجة أخرى في سلم الدراسات الميدانية وجدنا منخفض بئر تشلة قطباً متميزاً من بين المراعي المحيطة به من حيث حجمه واستقطابه لأكبر عدد من أفراگ أولاد دليم وغيرهم من القبائل الحسانية أو الصنهاجية الأخرى. لذلك فإنه لا يمكننا إلا أن نلاحظ بوضوح دور الرواية المحلية في تأكيد العلاقة الوظيفية المتبادلة بين بئر منخفض تشلة ومحيطها الذي يأخذ شكل جبل ذي حركة كثيفة ومستمرة للأفراك والقوافل من خلال شبكة المسالك.

لقد ازدادت أطوال هذه المسالك وارتقت في درجاتها واتسعت إلى أن قرر الحضور الإسباني حفر بئر إضافية اتضح أن ماءها عذب صالح للشرب. يحدد أحمد الأمين الشنقيطي موقع تشلة في أنه "جبل عظيم أسود وبه بئر كثير الماء" أما المختار بن حامدون فإنه يكتفي بذكره من بين أشهر مواضع تيرس زمور. امحمد بن أحمد يوره الديماني لم يتطرق إلى هذا البئر في مولفه حول الآبار.

أحمد الأمين الشنقيطي، *الوسيط*، 1958، 442 ؛ المختار ولد حامد، *حياة موريتانيا*، 1994، 227 ؛ *دراسة ميدانية*.

مصطفى ناعمي

تَشَلحيت أو تاشلحيت، لهجة من لهجات اللغة الأمازيغية (اَنظر مادّة أمازيغية، *معلمة المغرب*، ج 2). تستعمل هذه اللهجة للتواصل اليومي في رقعة جغرافية تمتدّ تقريباً بين الصويرة وتنانت في الأطلس الكبير شمالاً، وبين الصويرة وواد نون غرباً، وطوال مجرى وادي درعة جنوباً، وبين ورزازات وتنانت شرقاً. وتسمى أحياناً هذه الرقعة بسوس بمعناه الواسع.

النحو : عموماً، يطابق نحو تَشَلحيت البنيات العامة للأمازيغية المشتركة، بل وتعتبر هذه اللهجة أكثر اللهجات محافظة على اللغة الأمازيغية الأصلية وأقلّها تأثراً باللغات الوافدة على المغرب. فالنظام الصوتي مثلاً يتميز فيها بالخصوص بكثافة الصوامت المقفلة عكس ما هو موجود في اللهجات الأخرى. ويتكون هذا النظام من الوحدات (الصامتية) الآتية. ب، ف، م ؛ ت، د، ن ؛ س، ز ؛ ل، ر ؛ ش، ج ؛ ك، گ ؛ خـ، غـ، ق ؛ حـ، ع ؛ هـ، إضافة إلى الصوامت المفخمة : ط، ض، ص، ز، جـ، و الصوامت المشدّدة. أمّا الصوامت فهي أ، ؤ، ئ. ويخضع النظام الصامتي لبعض التغيرات المحلية أهمّها تحويل الصوامت المقفلة المرخية إلى الصوامت الاحتكاكية التي تقابلها ومنها د ← ز، ت ← س، دّ ← دز، ويقع هذا التحويل في بعض أجزاء مجموعات الأطلس الصغير، وهناك تحويل من نفس الصِّنف يهم المقفلات الأخرى : ب ← پ، ك ← گ، گ ← گ ويَحدث هذا في لهجات الأطلس الكبير وخاصة في قبيلة حاحا.

ممّا يسترعي الانتباه أنّ لهجة تَشَلحيت تتوفر على معجم تكاد ينفرد به ومنه معجم الأسماء العديدة :

1 - 10 : يان، سين، كراض، كّوز، سمّوس، سضيس سا، تام، تزا، مراو ؛ 11 - 19 : الوحدات + منراو ؛ 20 : تيميضي ؛ 100 = إفض. وقد احتفظت تاشلحيت كذلك ببعض أسماء القرابة وهي منقرضة في اللهجات الأخري، مثل تيما (الجدّ من الأم) و تابتّي (الجدّة من الأب) ممّا يوحي أن التسمية الأصلية للأب هي تي.

يحتوي الأدب الشلحي على شقين هما الأدب الشفهي والأدب المكتوب. ويتضمّن الأدب الشفهي أجناساً شعرية وأخرى نثرية. أما الأجناس الشعرية فهي مختلفة وغنية من حيث جماليتها ومضمونها، أهمّها تانضّامت وهي عبارة عن مبارزة شعرية بين إنضّامن ؛ وأمارگ وهو الشعر المغنّى من قبل مغنين محترفين (الرايس وتارايست)، وهناك أشكال شعرية أخرى مثل تاسوغانت وهو شعْر يغنّى بمناسبة الأعراس، وتازرارت وهو الغناء الفردي (أنظر مادّة أمارگ في *معلمة المغرب*، ج. 2). يعتبر سيدي حمّو الطالب من أشهر شعراء تاشلحيت (انظر أمرير، 1987).

أما الأجناس النثرية فهي متنوعة منها الحكاية والأسطورة والأمثال والألغاز وتندرج هذه الأجناس ضمن التقليد الشفوي أو ما يصطلح عليه الأدب الشعبي. أما الأدب المكتوب بلهجة تاشلحيت فتعود أولى مؤلفاته إلى القرن السادس عشر والسابع عشر وهي مخطوطات أزناگ وأوزال وكلها من الأدبيات الدينية مستنسخة بالحرف العربي. وقد ظهرت منذ منتصف السبعينات إبداعات أغلبها من الإنتاج الشعري منه ما يتسم بالمواصفات التقليدية في الأدب الأمازيغي شكلاً ومضموناً ومنه ما يحاول توظيف أساليب بلاغية ورموز لم تكن معهودة في الشعر الأمازيغي التقليدي، كما يحاول تناول موضوعات اجتماعية وثقافية مغايرة لما هو مألوف وقد استلهمت من التحولات التي يعيشها المجتمع الأمازيغي خاصّة والمجتمع المغربي عامّة من تطلعات إلى مستقبل أفضل من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

ع. أ. مرير، *الشعر الأمازيغي المنسوب إلى سيدي حمّو*، الدار البيضاء، 1986 ؛ الصافي المومني، *أوسّان صمّيضنين*، الدار البيضاء، 1983 ؛ م.مستاوي، *إسكراف* الدار البيضاء، 1976 ؛ *أسايس*، الرباط، 1988 ؛ صدقي أزايكو، *تيميتار*، الرباط، 1989 ؛ح. المجاهد، *أمارگ*، *معلمة المغرب*، ج 2، ص 667-673، 1989 ؛ أ. عصيد، *هاجس التحديث في النص الشعري الأمازيغي المكتوب*، *آفاق* 1، ص 135-139، 1992.

A. Akouaou, *L'expression de la qualité en berbère*, Thèse de 3ème cycle, EPHE IVème section, Paris, 1976 ; J.R. Applegate, *An outline of the structure of Shilha*, New-York, 1958 ; L. Bary, *Etude syntaxique d'un parler de la langue tamazighte*. Faculté des Lettres, Rabat, 1983 ; H. Basset, *Essai sur la littérature des berbères*, Alger, 1920 ; A. Bounfour, *Linguistique et littérature*, Thèse de doctorat, Université Paris III, 1985 ; A. Boukous, *Language et culture populaire au Maroc*. Casablanca, 1977 ; *Phanotactique et domaines prosodiques en berbère*. Thèse de doctorat, Université Paris VIII, 1987 ; Ch. Derkaoui, *Etude du verbe et de ses modalités dans le dialecte tachelhite*, Thèse de 3ème cycle, Université Paris V, 1986 ; M. Elmedlaoui, *Segments et syllabation dans le parler tachelhite d'Imedlawen*. Thèse de

3ème cycle, Univ. de Paris VIII, 1985 ; *Aspects des représentation phonologiques dans certaines langues chamito-sémitiques*. Thèse de doctorat, Faculté des Lettres, Rabat, 1992 ; E. El Moujahid, *La classe du nom dans un parler de la langue tamazighte*, Thèse de 3ème cycle. Université Paris V; *Syntaxe du groupe nominal en berbère tachelihiyt*, Thèse de doctorat, Faculté des Lettres, Rabat, 1993 ; L. Galand, *Etat et procès : Les verbes de qualité en berbère*, *Hesp.*, p. 245- 251, 1955 ; P. Galand Pernet, *Recueil de poèmes chleuhs*. Paris, 1972; H. Jouad, *Les éléments de versification en berbère marocain, tamazighte et tachelhite*, Thèse de 3ème cycle. Univ. de Paris III, 1983 ; E. Laoust, *Contes berbères du Maroc*, Paris, 1949.

أحمد بوكوس

تَشَمُّس، كتبتها المصادر العربية بصيغ مختلفة، فعند البكري (*المغرب*، 114) وهو أول المصادر التي أشارت إليها "تَشومش" وعند الادريسي (*نزهة المشتاق*، 5 : 529) "تشمش" و"تشمس"، وعند صاحب (*الاستبصار*، 140 - 189) "تُشُمُّس". لا يعرف عن أصل الاسم وإن كان الاحتمال أن يكون من أصل فينيقي نقل إلى العربية، فكثير من أسماء الأماكن على الساحل الأطلنتي فينيقية الأصل منها موقع ليكسوس ورأس Soloeis وغيرها... (*Le Maroc chez les auteurs anciens*). المثالان المقدمان قد تكون لهما علاقة بموضوعنا.

ذكر البكري أنها "... مدينة ميمون بن القاسم، وهي مدينة أولية عليها سور صخر كبير آهلة..." (*المغرب*، 114). إن مدينة تشمس قد جددها الرجل الذي نسبت إليه لعله من الأدارسة، فهم الذين ملكوا المنطقة وأسسوا بها كثيراً من المدن والحصون وجددوا أخرى، منها عاصمتهم بعد فاس وهي مدينة البصرة. نقل صاحب *الاستبصار* عن البكري فقال : "حصن كبير قديم يسمى تشمس فهو إلى الآن معمور ويسكنه المتعيشون من البحر... منه تشحن المراكب". كانت محطة لا بد منها للمراكب التي تسير بمحاذاة الساحل وحصناً يراقب الدخول والخروج عبر وادي اللكوس فهي تقع على ضفته اليمنى.

عرفت تشمس فترات من الازدهار والتدهور، لكن دورها الاقتصادي (الفلاحة - الصيد البحري - الغابة والصيد البري...) قد تقلص بعد العهد الموحدي وخاصة بعد فترة المنصور الذي اهتم اهتماما خاصا بهذه المنطقة (*الاستبصار*، 189 - 190)، فقدت المدينة - الحصن أهميتها نتيجة للصراع الطويل الذي صاحب فترة التدهور الموحدي، بين المرينيين والموحدين وبين المرينيين والقبائل العربية. وتوالت على المنطقة الحروب، فانعدم الأمن بعد فترة الهدوء القصيرة التي تتفق والعهد المريني الأول، لتصبح المنطقة مهددة أكثر أواخر العهد المريني والوطاسي، إذ أصبحت المدينتان (تشمس والعرائش) هدفاً للغارات الإيبيرية. يقول الناصري في (*الاستقصا*، 3، 31) :"لما كان المحرم من سنة 668 / 69 - 1268 هجم النصارى على مدينة العرائش وتيشمس من ثغور العدوة المغربية فقتلوا رجالها وسبوا نساءها وانتهبوا أموالها وأضرموها ناراً ورجعوا عودهم على بدئهم". وليس من قبيل الصدفة أن يكون هذا الهجوم في نفس السنة التي سقطت فيها مدينة مراكش بأيدي المرينيين، ونهاية الدولة الموحدية.

لم يذكر الحسن الوزان المعروف بتدقيقه للمواقع وجرده للتجمعات السكنية موقعا أو مدينة باسم تشمس، وغير بعيد عنه زمنيا نجد أحد البحارين الأوربيين (فالنتان فرنانديز (Valentin Fernandes) يصف الساحل المغربي من سبتة إلى السينغال (914 - 915 / 1506 - 1507) (*Description de la côte d'Afrique de Ceuta au Sénégal*, 20 - 30)، لاحظ هذا البحار أثناء مروره بالمنطقة في التاريخ المشار إليه وجود العرائش، ومقابلها على الضفة اليمنى لوادي لكوس حصنا صغيرا، قد يعني هذا أن حصن تشمس أعيد بناؤه بعد الهجوم الذي أشرنا إليه، ولكنه اندثر بعد ذلك فلم يجد الحسن الوزان أثرا له، وقد يكون عده من العرائش خاصة وأنه ذكر النشاط البحري واستغلال الغابة حيث كان الفحم يصدر بحراً من العرائش إلى أصيلا. وكانت ضفاف نهر لكوس مغطاة بغابات كثيفة يعيش فيها الكثير من الأسد والحيوانات المفترسة الأخرى (*وصف إفريقيا*، 1 : 233 - 234) فكثرة الحيوانات المفترسة تعني أن المنطقة شبه فارغة من السكان، وهذا ما وقع بالفعل بعد تعدد الغارات المسيحية على المنطقة، وقد أكد الوزان ذلك بقوله : "...كانت العرائش كثيرة السكان لكن بعد ما سقطت هاتان المدينتان (العرائش وأصيلا) في أيدي النصارى غدت العرائش مهجورة..." فلربما كان اندثار تشمس مرتبطا بهذا السياق. وذكر روجي R. Roget وهو يتتبع المواقع البحرية ما بين سلا وأصيلا موقعا باسم تَشمِّش (*Le Maroc chez les auteurs anciens*, 40) فهل هو موقع تشمس القديمة أم أن الاسماء تنتقل عبر التاريخ لتطلق على مواقع أخرى ؟ للحسم في الموضوع لا بد من تدخل علم الآثار.

أ. البكري، *المغرب* ؛ ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ مراكشي مجهول، *الاستبصار* ؛ ع. الحميري، *الروض المعطار* ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*.

P. de Cenival et Th. Monod, *Description de la côte d'Afrique de Ceuta au Sénégal* ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*.

محمد حجاج الطويل

* * تذكر الخرائط الأوربية للقرنين الثامن والتاسع (14 - 15 م) مدينة تشمس. وتقول المصادر البرتغالية إن معاهدة الهدنة المبرمة بين ملك البرتغال جواو الثاني وسلطان فاس مولاي محمد الشيخ الوطاسي يوم 30 رمضان 894 / 27 غشت 1489 وقعت بمدينة تشمس.

والجدير بالذكر أن جميع المصادر العربية القديمة مثل البكري وابن سعيد المغربي و*الاستبصار* كتبت اسم هذه المدينة هكذا : تشمس، باستثناء الشريف الإدريسي الذي كتبه هكذا : تشمش، في حين نجده في الخرائط الأوربية المذكورة مكتوبا بالأحرف اللاتينية هكذا : Tuximuxi, Tusimus, Taximus, Tussimussi وهذا ما يدل على أن اسم المدينة كان يبدأ بالتاء، ولعل أقدم مصدر جاء فيه

اسمها بدون تاء هو كتاب *Esmeraldo de Situ Orbis* للبحار البرتغالي دوارطي پاشّيكو پيريْرا (Duarte Pacheco Pereira) الذي ألفه سنة 1508 ولم ينشر إلا سنة 1822.

البكري، *المسالك*، 114 ؛ الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*، 108 ؛ مجهول، *الاستبصار*، 140، 189.

Vernet, *Geografia de Ibn Saïd al-Magribi*, Traduccion español, Tetuan 1953, p. 254 ; *Portulanos de los siglos XIV y XV*; Duarte Pacheco Pereisa, *De situ orbis*.

محمد ابن عزوز حكيم

تْشوكْتْ، فرقة من قبيلة بني سعيد الريفية، لعبت دوراً مهماً في المقاومة. ولا تتكون في الوقت الحاضر سوى من اثني عشر مدشراً، تشرف أراضيها الشمالية المرتفعة (330 م) على ساحل البحر المتوسط بين واد إسُمَّر في الشرق الذي يفصلها عن فرقة أمجّاو وبين واد بويَبّاحَن، الفاصل بينها وبين فرقة أولاد عبد الدايم في الغرب. ويخترق تلك المساحة واد عبدونة، المجرى الرئيسي بفرقة تْشُوكْتْ. وللفرقة أراض في السهل الضيق الواقع بين السفوح الغربية لجبل "ماوْرُو" وواد نْـوَاري (واد الدوم)، بجوار أراضي أيت تْمَايْتْ. ومن ذلك جاء تقسيم تجمعاتها السكانية إلى أهل الجبل وأهل الوطا (العزائب).

وتجمعات القسم الجبلي قديمة، كانت مندرجة ضمن ربع أمجّاوْ قبل القرن الحادي عشر الهجري (17 م) وأول تصريح لدينا عن انفصالها من الوجهة الإدارية يعود إلى ما يفهم من *مطلب الفوز والفلاح* لعيسى البطوئي، وما أكدته وثيقة أواسط شعبان 1309، حين جعلت منها فرقة مكونة من خمس جماعات :

- عبدونة الواقعة بجوار منابع الواد الذي يحمل اسم الجماعة، نعرف منها خلال عهد الحسن الأول الحاج بوزيان ابن علي العبدوني التشوكتي، أمين أمجاو وتشوكت وبركانة وأولاد الفقيه بين 1301 و1306، ثم قائد بني سعيد بين التاريخ الأخير وما بعد 1315. ومن هذه الجماعة أيضا ابن عمه محمد بن قدور العبدوني قاضي بني سعيد (6 رجب 1305).
- أولاد حساين، (الحسين) مواطنها موزعة على الجانب الأيسر من حوض واد عبدونة الأوسط، على ظهر تشوكت. نعرف منهم خال عيسى بن محمد السعيدي (البطوئي)، صاحب *مطلب الفوز والفلاح*، المدعو أحمد بن موسى بن يحيى التّمروي البوحساني من أحياء عام 1040 / 1630، ومحمد بن أحمد التمروي البوحساني، وهما طلبة المركز التعليمي الصوفي ببني سعيد تيزي عَدْنيتْ (انظر بالمعلمة : *تيزي عدنيت*، وح. الفكيكي : *عيسى البطوئي*. دعوة الحق، 256 / 118). ولا يزال مدشر أيت تمرة معدودا ضمن قائمة مداشر الجماعة.
- تَرِّيسْت، نسبة إلى نوع التربة السائدة هناك المعروفة لدينا بنفس الاسم (الترس). مساكن الجماعة عى الجانب الأيمن الذي يجري فيه واد عبدونة.
- وهناك جماعتان لا تظهران اليوم بالتقسيم الإداري أو بالخرائط البشرية، هما أولاد علي وجماعة الكَعدة، التي نرجح أنها ما يدعى اليوم بتاوريرت تَزوَّغْتْ (الكدية الحمراء).

وهناك التجمعات السكانية الحديثة التي تكونت منذ أواخر القرن الماضي وبداية الحالي، بالأراضي السهلية التابعة للفرقة. ونعني بها مجال العزائب، الخاص قبل ذلك الوقت للمجال الفلاحي والرعوي الموسميين، بفضل ما توفره التساقطات ومجاري الأودية المنحدرة من مرتفعات فرقة أولاد عبد الدايم : واد عبدونة، ورافده واد إيـكَارْ أُنْشيفْ، الذي تكون حوله عزيب بُودَيّارْ، وواد أغبال وواد لَعْري نْوَاري (الدوم)، رافدا واد البعّاج، حيث يوجد مدشر سَعْدان. وهناك عزائب أخرى موزعة على القسم الشرقي من الكَعدة الحمراء، المشار إليها باسم تاوريرت تزوَّغْتْ، مما يلي الحوض الأوسط من واد البعّاج.

اندرجت فرقة تشوكت منذ بداية عهد الحسن الأول ضمن قيادة بني سعيد تحت نظر قائد القبيلة محمد أقشيش السعيدي، ودخلت في دائرة النزاعات الطائفية الواقعة بين مختلف الفرق والجماعات على الاستقلال الإداري والتسابق إلى أخذ زمام السلطة، وذلك ما بين 1298 و1301. وخلال هذه المدة برز أحد أعيان الفرقة المعروف لدينا وهو الحاج بوزيان بن علي التشوكتي المشار إليه سابقاً، مما أدى بالحسن الأول إلى إسناد قيادة تشوكت، إلى جانب أمجاو وبركانة وأولاد الفقيه، لرئيس إدالة قلعية المدعو مبارك بن علي الدويلالي، حسب تعيين 6 رمضان 1301، وبقي بنفس الصفة إلى 1306، مما حث أمين الفرقة الحاج بوزيان على انتزاع القيادة لصالحه ليبقى بها إلى بعد 13 صفر 1315.

وكانت فرقة تشوكت من ضمن المقاومين لحركة الروكي بوحمارة بشهادة معاصر الأحداث المسن (110 سنة عام 1975) الحاج محمد باتو التشوكتي، ومن المنضوين لحركة المجاهد الشريف محمد أمزيان، أثناء تمركزه بسوق جمعة أمجاو بعد تراجعه عن قلعية.

وحسب إحصاء سكان الفرقة خلال الربع الأول من القرن العشرين، وقبل سنة 1936 كان عدد دور فرقة تشوكت مائة وواحدا وخمسين كانونا أي ما يعادل سبعمائة وخمسة وخمسين ساكناً، بمعدل خَمسة أفراد لكل كانون أو دار.

عيسى البطوئي، *مطلب الفوز والفلاح*، مخطوط ؛ *وثائق خ. ح.* بالرباط ؛ ح. الفكيكي، *عيسى البطوئي*، *دعوة الحق*، 256 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 97 ؛ *خريطة طبوغرافية* 1921 و1935 ؛ *رواية شفوية*، 1975.

A. Moulieras, *Maroc inconnu*, 1 : 136 ; Comision Historica de las Campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos*, 2 : 224.

حسن الفكيكي

تْشوكْتْ أو تيشْوكْتْ، مرتفع جبلي يقع في سلسلة الأطلس المتوسط في قسمه الشرقي، يقدر ارتفاعه بحوالي 2.796 م يتخذ شكلا طوليا ذا اتجاه شمالي شرقي وجنوبي

غربي (متمشيا مع الاتجاه الأطلسي العام). ويتركز بالخصوص في محور يشمل مجموعة من المحدبات الملتوية والمنكسرة أحياناً، وتبدأ من الشمال الشرقي بجبل واعريتْ، ثم جبل لحْمَرْ، وتيشوكت وجبل هبو....، الجبل عبارة عن طية ملتوية ومنكسرة في جهتها الغربية بفعل الحادث التكتوني شمال أطلسي، حيث بروز طبقات الترياس (الزمن الثاني)، والتي تعلوها طبقات جيرية جوراسية، عرف هذا الجبل، شأنه شأن المرتفعات الأخرى، بقايا ومخلفات التعرية الجليدية الرباعية مثل الحلبات والجرافات والأحواض هذه الأشكال موروثة عن الفترات القاسية والباردة التي عرفها الزمن الرابع المغربي.

إن الحوادث التكتونية التي عرفها هذا المرتفع انعكست على وضعه التضاريسي والطبوغرافي، حيث الأعراف والقمم الحادة، والسفوح الوعرة. يفصل هذا الجبل بين منخفضين هامين هما، منخفض المرسى من الناحية الجنوبية الشرقية، ومنخفض سكورة من الناحية الشمالية الغربية.

ونظراً لعامل الارتفاع فإنه يعرف تساقطات ثلجية طيلة فصل الشتاء، الغطاء النباتي يتميز بالتدرج : فإلى حدود 1.600 متر تنتشر غابات البلوط الأخضر، وما فوق ذلك غابات الأرز.

J. Martin [et al...], *Géographie du Maroc*, Paris 1964, p. 118; I. Zeryouhi, *Le Moyen Atlas Plissé, ressources en eau du Maroc*, Tome 3, *N.M.D.G.*, n° 231, Rabat 1977, pp. 68 et 70 ; A. El Gharbaoui, *La Grande encyclopédie du Maroc, Géographie Physique, (G.E.I)*, Italie, 1987, p. 171.

محمد أزهار

التشوكتي، بوزيان (الحاج) بن علي، من جماعة عبدونة المندرجة بربع تشوكت، أحد تقسيمات قبيلة بني سعيد الريفية. دخل السلك المخزني ابتداء من عام 1297 / 1880 (29 جمادى الأول 1297) بصفته أمين ربعي أمجاو وتشوكت، إثر انتزاع الأخيرين من قيادة محمد أقشيش السعيدي، أول قواد الحسن الأول على قبيلة بني سعيد، وإسنادهما إلى القائد محمد أمقشد المقيم آنذاك بتطوان.

وتبعاً لغياب محمد أمقشد عن أمجاو وتْشُوكْتْ أصبح الحاج بوزيان مكلفاً أيضا بالنيابة عنه في تسيير شؤون أجزاء القيادة الجديدة، علاوة على مهمة الأمانة. بتتبع المراسلات التي بين أيدينا يتبين أن التشوكتي لم يذخر أي جهد للتوصل إلى منصب القيادة، وكان عليه قبل ذلك إبعاد منافسه محمد أقشيش والقضاء على جماعة زگزاوة المعارضة له.

استغل الأمين التشوْكْتِي الحاج بوزيان في بداية الأمر الخلاف القائم بين محمد أقشيش وجماعتي أولاد الفقيه وبركانة بسبب الجباية، فقبل التجاء أهل الجماعتين إليه، وتولى الدفاع عنهما إلى أن أصدر الحسن الأول قرار فصلهما عن قيادة أقشيش (28 جمادى الأولى 1299)، وسعياً وراء نفس الغاية، تدخل أيضاً لإخراج أيت تمايت من نفوذ محمد أقشيش لتتحول إلى محمد بن عبد الصادق الريفي (10 ربيع الأول 1302). وكاد أن يصيب نفس الهدف فيما يخص ربع أولاد عبد الدايم.

استمر الحاج بوزيان التشوكتي أميناً على ربعي تشوكت وأمجاو إثر تعيين مبارك بن الطاهر الدويلالي قائداً على الربعين، مكان محمد أمقشد (6 رمضان 1301)، ولكن الأمر لم يختلف بالنسبة إليه، إذ تابع دوره كخليفة للقائد الجديد الذي كان بالأساس قائد الإدالة بقلعية، مما أتاح الفرصة للحاج بوزيان للتمادي في خطته لإقصاء محمد أقشيش بتتبع عوراته والإخبار بها لدى السلطة المركزية. ويظهر أنه كان قد توصل إلى غايته، حيث أقام بفاس ثلاثة أشهر (شعبان، رمضان، شوال 1305) منتظراً الحصول على تعيينه الجديد، سيما إثر وفاة قائد إدالة قلعية السابق الذكر.

وعلى الرغم من اختفاء الأخبار عن تفاصيل الأحداث، إلا أننا تأكدنا بعد ذلك من توصل التشوكتي بتعيينه قائدا على قبيلة بني سعيد كلها ماعدا أيت تمايت، بينما أصبح محمد أقشيش بموازاته أمينا للقبيلة (3 ربيع الثاني 1306). وبذلك تكوَّن إطار حكمه من " أمجاو وتشوكت وأزعومة وبني عبد الدائم، وهذه أرباع القبيلة، ثم جماعتي بركانة وأولاد الفقيه.

فتح الحاج بوزيان التشوكتي باب النزاع، بمجرد تسلمه مقاليد القيادة، تجاه جماعة زگزاوة الموالية لمحمد أقشيش. وقد وجد العلة فيما كانت الجماعة تدعيه من الشرف، وإصرارها على عدم أداء التكاليف المخزنية. وكانت حجة زگزاوة أنهم من ذرية سيدي عمر بن أحمد الراسي السعيدي الإدريسي، دفين تيزي عدنيت (انظر مادة تيزي عدنيت *بالمعلمة*).

صمم الحاج بوزيان التشُوكْتِي على إنكار انتماء جماعة زگزاوة للشرف الذي يدعونه، بحجة أنهم كانوا قبل قيادة محمد أقشيش داخلين في النظام الجبائي وأن القائد الأخير هو الذي أخرجهم منه. وتبرز كثير من المراسلات هذا النزاع والأخذ والرد فيه، إذ أن قائد بني سعيد وجد أمامه قاضيين زگزاويين لهما مكانتهما بالقبيلة هما : أحمد بن زرّو الزگزاوي، ومحمد أشملال الزگزاوي، تمكنا من الدفاع عن مكانة الجماعة التي ينتميان إليها بمراسلاتهما العديدة إلى الحسن الأول التي استغرقت ما بين 19 رمضان 1300 و9 ربيع الأول 1310. ورغم كل ذلك فإن التشوكتي تمكن في الأخير من إيجاد الأسباب التي جعلت السلطان يصدر الأمر بالقبض على متزعمي جماعة زگزاوة وإيداعهم سجن مراكش برفقة الأمين محمد أقشيش (9 ربيع الأول 1310).

والعجيب أن الأخبار عن الحاج بوزيان اختفت، ولم نعد إلى الاطلاع عن استمراره بمنصبه إلا بعد أربع سنوات خلت من عهد المولى عبد العزيز (13 صفر 1315)، حينما علمنا بإرسال خليفته محمد بن قدور السعيدي على رأس وفد توجه إلى فاس لتقديم "العيادة". وقد ورد اسمه أخيراً في وثيقة تعود إلى 12 ربيع الثاني 1326، أمر فيها محمد المفضل بن محمد غريط أمين الصاير بتقديم صلة نقدية

لعمر بن علي، أخي الحاج بوزيان. ويظهر منها أنه كان لايزال على قيد الحياة.

وثائق خ. ح. بالرباط ؛ وثائق أقشيش بطنجة ؛ زيارة ميدانية.

حسن الفكيكي

التصحر، هو تحول النطاق الصحراوي إلى مجال عدواني ينزع إلى تجاوز حدوده الطبيعية أو الدفع بخاصياته، كلا أو جزءاً، إلى التوسع على حساب المناخات المجاورة فيصيب أنظمتها البيئية عبر التجفيف وإضعاف التركيبات النباتية ومفاقمة حدة التعرية. ومن أبرز علاماته تدني إنتاجية الأراضي وانهيار المخزون المائي وما يترتب عنهما من تدهور في البنيات الاقتصادية والاجتماعية. تختلف أعراض التصحر عن مظاهر الجفاف من حيث إنها مستديمة تخلق في الأوساط التي تغزوها ظروف الاستمرار والاستفحال.

تمثل الأراضي القاحلة وشبه القاحلة أكثر من ثلث العالم، لكن كل سنة هناك مساحات إضافية تتحول إلى بوارات. يقدر هذا التدهور السنوي بالنسبة لمجموع المغرب، الجزائر، تونس وليبيا بحوالي 100.000 هكتار. ويزيد ما تفقده بلدان الساحل الإفريقي عن عشرة أضعافها.

الظاهرة مستشرية إذن على هوامش النطاق الصحراوي بالطبع، لكنها لا تستثني المناطق الأخرى التي تسجل انعكاسات زحف الجفاف، حيث تتأثر بالتصحر النسبي وغير المباشر. ففي إفريقيا الغربية مثلا تزحف الصحراء على السهوب، والسهوب على السبانا، والسبانا على الغابة المطيرة. كذلك الأمر في شمال إفريقيا بين الصحراء والمناطق شبه الجافة ثم شبه الرطبة والرطبة. لذا أصبح مفهوم التصحر يعني كل تراجع للمظاهر الأحيائية أيا كانت نسبته وكل تدهور لقواعدها الطبيعية، التربة والماء على الخصوص، وفي كل مكان من العالم.

أصبح التصحر في المغرب أمراً واقعاً ومعترفاً بخطورته، فرض إنشاء بعض الأدوات التنظيمية منها المشروع الوطني لمكافحة التصحر سنة 1986.

تقتضي معالجة الوضع معرفة الأسباب :

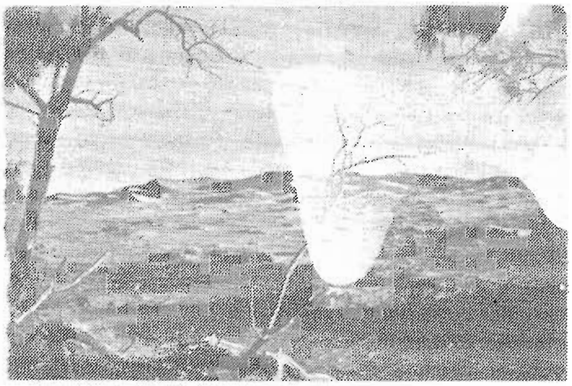
هناك من الأسباب ما هو كوني. فقد شهد المناخ الأرضي تقلبات طبيعية في الماضي، أثرت بقوة على توزيع النطاقات البيومناخية. انقسم الزمن الرابع على إثرها إلى فترات جليدية وأخرى بيجليدية همّت العروض العليا، كانت انعكاساتها عندنا الزيادة أو النقصان الواضحين في كميات التساقطات المطرية. ثم حصلت ضمنها ذبذبات أقل أهمية. لكن لا أحد يستطيع أن يثبت أن ما يحصل الآن له مرد طبيعي صرف، كما لا يمكن الجزم بأن العملية تخضع لدورات جفافية من فئة عشرين أو مائتي سنة أو أننا على عتبة عهد مناخي جديد.

المؤكد أن يد الانسان واضحة من ضمن الأسباب، حيث إن العديد من موجات التصحر قد انطلقت من مراكز حضرية مستنزفة للموارد الطبيعية، أو من مناقب للمياه جلبت مقادير لا تطاق من الماشية، أو بسبب الاجتثاث والرعي الجائرين.

وبما أن الشق الطبيعي من الأسباب مستعصي الإصلاح، فإن المتدخلين البيئيين لا يهتمون إلا بسمؤولية الإنسان في الموضوع، حيث إن الرأي السائد بحق هو أن "الظاهرة الإيكولوجية للتصحر هي مشكل بشري، يتسبب فيه البشر، ويشقى من جرائه البشر، والبشر وحدهم قادرون على تغيير مجراه".

يوجد التراب المغربي في موقع متميز، يؤهله لمراقبة مظاهر التصحر وتطورها، نظراً لامتداده الطولي من مناطق متأثرة مناخيا بالتيارات الجوية المعتدلة في الشمال إلى أراض موغلة في الصحراء جنوبا. إنها وضعية تعريض عطوبة، وإن كانت جبال الأطلس المستعرضة تخفف بصفة حاسمة من تأثير الصحراء المباشر.

بصفة موازية مع الاتصال الطبيعي بين ظروف القحولة والاعتدال، هناك الالتقاء بين الحضارة الصحراوية التي كانت تدبر شؤون بيئتها بتفاعل متناغم والأنظمة الاجتماعية والاقتصادية العصرية السائدة المتعودة على الوفرة في كل شيء. يبدو أن هذا الالتقاء، هنا كما هو الشأن في كل الأوضاع المماثلة عبر العالم، حصل على شكل اصطدام مناوئ للأنظمة الطبيعية، وقد كان التصحر من أهم ردود فعله.



التصحر
منظر من منطقة تيزنيت بجنوب المغرب

تسمح الدراسة الإقليمية للتصحر بالمغرب بأخذ نماذج عن التصحر المباشر، وهو الذي يبتلي هوامش الصحراء ويتجلى في غزو الكثبان الرملية لأراضي الزرع والرعي. تهم الدرجة الثانية المناطق الجبلية، وهو عملية غير مباشرة، تمر عبر تعرية التربة وتحويل المجال المصاب إلى صحراء معدنية. وتوضح الدرجة الأخيرة أن المناطق ذات التوازن الظاهري ليست في مأمن من زحف التدهور وأن استراتيجية مكافحة التصحر إما أن تكون شمولية، واعية بتداخل الأسباب، وإما أن لا تكون.

1 - غزو الرمال لهوامش الصحراء أو التصحر المباشر.

يهم المناطق التي لا تتوفر على الحصانة التي يُخولها

الأطلس الكبير، وبها ثلاثة أقطاب : تافيلالت، سوس والهضاب العليا الشرقية.

1) تافيلالت، هامش صحراوي مكشوف، يستقبل أقل من 100 مم من الأمطار ومع ذلك فإنه يتمتع بحياة واحية من النوع الراقي، مرصوصة في شريط ضيق أخضر على طول نهري زيز واغريس الوافدين من أعالي الأطلس الكبير شمالا، مع إضافة بعض محاور الخطارات التي تزودها المرتفعات المتواضعة لجبل گنات المشرفة من الغرب.

كل شيء يدل على أن الحياة رهينة بالجريان الدخيل وأن ما عداه مجالات جرداء تعيث فيها الرياح. وأن مهارات البستانيين الواحيين قد بلغت أقصى مدى يستعصي معه أي تطوير إضافي.

لذا لما أُنشئ السد الكبير العصري على نهر زيز في مخرج الجبل، لم يكن الغرض إلا تنظيما أكثر للمتوفر المائي حتى يُوافق دورات السقي عند المزارعين، وتدبيراً يضع الحد للفيضانات الطارئة التي كانت تخرب المحصول وتذهب بالمنشآت، وتحسينا للمردود يسد حاجيات التزايد السكاني الناتج عن ترقية الظروف الصحية.

لكن الحاصل هو أن مسار التدهور الذي كان قد بدأ من قبل، قد استمر وتعمق. وتقدمت الكثبان الرملية الصفراء صوب الشمال والشمال الغربي، تُحكم قبضتها على الريصاني وأرفود وتينجداد، وأن الفرشات المائية في هبوط، والعيون تشح والآبار تقفل، والملوحة ترتفع.

لا يمكن أن نرجع كل الأسباب إلى مرض البيّوض الذي اكتسح النخيل، وإلى تضخم الساكنة في حد ذاتها، أو حتى إلى فترات الجفاف التي ترددت على المغرب. حقيقة إن المشكل في تغليب كفة الصحراء هو التحول الذي حصل في تدبير المياه من التقنين المحكم المتكيف إلى التبذير.

تكمن المسألة الأولى في اختيار أداة تخزين المياه. لا شك في أن السدود هي الحل. لكن هناك اختيارات صعبة بين السد الضخم الوحيد، أو سلسلة السدود الصغيرة، وفي طريقة البناء، وانتقاء المواقع الأنسب.

شُيد سد زيز في حوض واسع تشرف عليه أجراف من صخور الترياس المالحة. وهو بسبب كبر حجمه والموقع المكشوف الشديد الحر الذي يحتله، يعرض صفحة المياه المحجوزة لتبخر مهول. الناتج هو إتلاف كبير للمياه، وتركيز للأملاح في المتبقى منها.

وبما أن السد تام المنع، فإنه يحرم الواحات من الغرين الداكن وجزء من الأطماء التي تُعرف بها، كما أنه يحول دون تشتت الماء في السافلة، ويكبح الفيضانات، مع العلم أن هذه "المياه الضائعة" هي في الواقع أنجع درع ضد زحف الصحراء ؛ ذلك أنها تُطعم الفرشة وتملأ الآبار، ويغذي تصاعد رطوبتها الجنبات الشوكية المتقدمة التي تحجز نبقاتها التكومات الرملية، تاركة وراءها الواحات في سلام.

أورث الاتكال على مياه السد إهمال الخطارات رغم *كونها أنسب وسائل الري في البلاد الجافة. ومع ذلك، فهذه* أخطاء ظرفية لأنها تقنية يمكن تلافيها أو تداركها بعد التجربة والاهتمام الأنسب بالسدود الصغيرة، على شكل تركيبات أكثر تكيفا مع هذه الأوساط.

أخطر من هذا، التحولات التي طرأت على البُنى الاجتماعية والاقتصادية وخاصة في مجال التمدين. فالتجمعات السكنية التقليدية للفلاليين هي القصبات الترابية المسماة بالقصور. يتم إنشاؤها مباشرة خارج القطاع الزراعي المسقي حتى لا يقع أي ضياع للأراضي النافعة. تتميز بكثافات هائلة وتتوفر على مصالح جماعية هي غاية في اقتصاد الموارد وخاصة منها المياه، شأنها في ذلك شأن المدن العتيقة مع حرص أكبر وأكمل.

يبدو أن مقتضيات العصر والأمن وتوفير البنيات التحتية قد فرضت على مدينة كالرشيدية، عاصمة تافيلالت، وباقي المدن الأخرى، أن تمتلك الأحياء الإدارية والعسكرية والخدمات على النمط الحديث، وكلها مرافق مستنزفة للمياه بشره لم يسبق له مثيل في هذه البقاع.

ضرب التنافس غير المتكافئ على الماء، الواحات في العمق، وعطل ملكات الإبداع والتكيف عند الصحراويين إلى حد لا تنفع معه بعض الأساليب الترقيعية من نوع أوراش تثبيت الكثبان الرملية التي تهدد الطرق أو البحث عن نبتات جديدة تتحمل الجفاف والملوحة والرمال. وكلها تقنيات متطورة ومكلفة تسعى إلى اقتصاد قطرات قليلة من الماء في حين تعُبُّ حمامات الفنادق ومضخات المنشآت السياحية الفاخرة سيول المياه بسخاء فاحش.

لم تكتف الرمال بغزو تافيلالت المعرضة مباشرة للصحراء، بل دخلت الممر الممتد إلى الغرب بين الرشيدية وورزازات. فواحات اغريس الأعلى وتودغة ودادس ودرعة في تدهور مطرد بواسطة الترميل والتمليح، رغم أنها توجد تحت الحماية النسبية للأطلس الصغير الشرقي.

لكن كيف لجبال صغيرة مثل گنات وصاغرو أن تحمي گلميمة أو قلعة مگونة، في حين أن الأطلس الصغير الغربي، وهو أعلى بكثير، لم يفلح في صد غوائل التصحر على سهل سوس. مرة أخرى، يُعطل سوء التدبير البشري كل وسائل الصيانة التي توفرها الطبيعة.

2) في سهل سوس، السلوك البشري يبطل الحصانة الطبيعية.

يتمتع الإقليم بوضعية محظوظة جدا بالمقارنة مع جيرانه الشرقيين، رغم أنه يوجد في عروض صحراوية أكثر توغلا في الجنوب. فهو يتلقى تساقطات مطرية تتراوح بين 100 و300 مم بسبب انفتاحه على التيارات الجوية الآتية من المحيط، وانزوائه بين سلسلتين من الجبال، في الشمال الأطلس الكبير يقوم بدوره الأساسي في التزويد بالمياه السطحية والجوفية. وفي الجنوب يسهم الأطلس الصغير بقسط أقل من المياه، لكنه يضطلع على الخصوص بمهمة الوقاية من زحف الصحراء. توفر بنية المنخفض السوسي

ميـاه فـرشتـين رئيـسيـتين عـلى الأقـل. الفـرشة القـريبـة للبليـورباعـي والفـرشة الأعمـق للكريـطاسي والمستويـات الأقدم.

سمح تضافر هذه الموارد وخبرة السوسيين التقليدية في التدبير المحكم للمجال بخلق مجال زراعي غني على ضفاف نهر سوس، يزود السوق الداخلية ويصدر إلى الخارج.

لكن السر في استمرار هذا الرخاء هو الوجود المعجز في مثل هذه العروض لغابة تقف في خط النار مع غزو الرمال، مكونـة من شجر أرگان، والتي عرفت أكبر اتساع لها في غابة أدميم، جنوب الحوض النهري.

وجود الغابة هنا دليل ظاهري على توفر ظروف مناخية كافية. والواقع أن السبب الحقيقي هو أنها غابة موروثة عن فترات سابقة أكثر رطوبة. أما بقاؤها حتى الآن فيُعزى للتكـيف المتـواصل ولكونـها أسهـمت في خلق ظروف استمرارها بتزويد تربتها بالمادة العضوية والظل والحياة والاستقرار، فهي مثل الغابات الموروثة الأخرى، إذا اجتثت لا يمكـن إنـشـاؤهـا مـن جـديـد. هـي إذن درع واق ضـد الصحراء، يمكن استعمالها كمراع للماعز والخرفان في حدود المعقول، بل ويمكن إقحام بعض الزراعات بداخلها وفي ظلها. لكن اجتثاثها جحود ينقلب وبالا على الإقليم كله.

لقد تطاولت حركة تحديث الزراعة على الغابات الجنوبية لأرگان، وتكونت على حسابها الضياع العصرية للبواكر والغلال والورود، مستعملة الوسائل الثقيلة ومستغلة المياه الغزيرة فقطعت بعض الشجر وضيقت على البعض الآخر، وبدأ المسلسل اللارجعي للتدهور.

في بداية الأمر، تُغدق الأرض مردودية عالية نظراً لغنى الأتربة الحديثة العهد بالاجتثاث. لكن سنوات قليلة تكفي لإفقار التربة وتفكيك بنياتها، ثم تحرير الرمال التي تزحف في شكل كثبان حقيقية تهاجم ما تبقى من الغابة.

الشاهد على استمرار الاختلال الذي يغذي الكثبان هو تزايد وتيرة الزوابع الغبارية الحمراء الكثيفة التي تحرك الطمي والرمال الدقيقة. بدأت الكثبان تتعدى هوامش النتف الغابوية لتطمر مساحات متزايدة من الأتربة الحمراء النافعة وتعاكس الضياع وضواحي المدن.

هنا كذلك، يضاف إلى الفلاحة الجائرة خارج حوض النهر وعلى حساب التحصينات الغابوية لأرگان، التنافس الكبير على الموارد المائية من طرف التطور السريع للمراكز الحضرية القديمة والجديدة وعلى رأسها أگادير المترامية الأطراف والأنشطة المتنوعة الموجودة بها ومن جملتها منشآت المواصلات والأحياء السياحية التي غزت السواحل على الخصوص. انخفضت مستويات المياه الجوفية من 15 أو 20 م إلى 150 و200 م في بعض جهات السهل.

3) الهضاب العليا للمغرب الشرقي، وجبهات التصحر المتقدمة.

لا شك أن هذا هو المغرب الخفي. هضاب يبلغ متوسط ارتفاعها الألف متر، تتعاقب عليها الحرارة والبرودة المفرطتان بفعل الارتفاع والقارية. لا تستفيد من الوقاية الأطلسية رغم وجودها شمال الأطلس الكبير الشرقي الذي تنخفض أعرافه وتنفرج إلى حد أنها تفقد أي فاعلية في *الصيانة. لا تصلها الاضطرابات الجوية الممطرة الأطلنتية* نظرا لاعتراض كتلة الأطلس المتوسط الذي يكاد يلحم الأطلس الكبير الأوسط بسلسلة الريف.

ففي الجنوب، تتلقى فگيگ أقل من 100 مم مع أنها في عرض أسفي، في حين لا تتعدى أمطار گرسيف في الشمال 200 مم إلا بقليل وهي في عرض سهل الغرب.

باستثناء الشريط الأخضر على طول واد ملوية في الغرب، وسلسلة الواحات على طول الحدود الجزائرية، تغطي السهوب الشاسعة من الحلفاء والشيح، مع بعض البقع المتفككة من غابات العرعر البربري والعرعر الفينيقي وبقايا استثنائية من البلوط الأخضر والصنوبر الحلبي.

إن هذا التوازن هو في الأساس توازن طبيعي هش، لكن الحفاظ عليه هو السبيل الوحيد ضد التصحر السريع والعنيف.

- توجد فگيگ في أقصى الجنوب الشرقي، في قدم الأطلس الكبير الشرقي الضعيف الارتفاع والتكتل. الاستفادة قليلة من واد زوسفانة، ويكاد الاعتماد يكون كليا على الفرشات الجوفية الموجودة في طبقات الزمن الثاني.

لكن الاستنزاف الناتج عن التوسع الحضري جعل المياه تنزح في اتجاه الجنوب صوب الحدود، مهددة بالقضاء على أهم وأبدع الواحات المغربية. الانزلاق التدريجي للواحة خاضع على ما يبدو لبنية الطبقات الجيولوجية التي تضم الفرشات النافعة.

- منخفض تامليلت، سهل داخلي ضمن الأطلس الكبير الشرقي تكتنفه أعراف صغيرة. الواحة المخبوءة وأهمية القارية وفّرا للمنطقة تغطية من السهوب والأحراج الغنية بالطرائد المتنوعة ومنها الغزال، لكن القنص الجائر حوّل المجال، خلال سنوات قليلة، إلى أرض جرداء لا نبات فيها ولا حيوان.

- يلاحظ في باقي الهضاب، هبوط مريع للفرشات المائية، يبدو أن له علاقة بعمليات الضخ الآلي في بعض المراكز كعين بني مطهر والواحات الصناعية لجرادة.

وقد ترتب عن نضوب العديد من نقط الماء، اضطراب في مسارات ترحل الرعاة واختلال في التكاملات التقليدية بين مختلف المجالات المستغلة، زاد من حدته التقطيع الإداري الذي لم يأخذ دائما في الاعتبار المعطيات البيئية وتقاليد الترحل والانتجاع، من ذلك خرق الأهالي لتعليمات الصيانة المضروبة على الغابة، ومنه على الخصوص الاستغلال الزراعي لأراض ضعيفة لا تتحمل أنواع الاستثمار المركزة.

نتج عن اقتلاع الحلفاء تمزيق سريع جدا للأتربة الغنية بالمادة العضوية، لكنها ضعيفة السُمك ومحصورة فوق

القشرة الكلسية التي هي المعضلة الأساسية في أتربة كل المغرب الشرقي. تكرار وقع الرخات المطرية القوية على الأرض العارية، يبتر التربة ويكشف عن القشرات السميكة والصلبة جدا. وفي بضع سنين، تتحول المراعي الممتازة إلى مجالات معدنية ملساء أولا، سرعان ما تصير براحات تدرية تتخللها النبقات الرملية.

يتبين من ترتيب المناطق المعرضة للتصحر المباشر، الدور الحاسم الذي تلعبه القارية وأكثر منها رسم السلاسل الجبلية وارتفاعها كأدوات صيانة وتوجيه للتيارات الجوية. يبقى أن هذه الجبال ذاتها تعاني من أساليب تصحر نوعية مرتبطة بطبيعة التضاريس والانحدارات القوية.

II ـ التصحر الترابي في الجبال الرطبة.

قد يبدو من الغريب أن ندخل الجبال في موضوع التصحر. والواقع أن مفهوم التصحر مفهوم نسبي وتطوري. فليس من الضروري أن تتحول منطقة إلى صحراء حتى نثير موضوع التصحر، بل يمكن إثارة هذا الموضوع بمجرد ما يبدأ التدهور بتغيير الغلاف النباتي والأحيائي عامة من الطبيعة التي كان عليها أو المفترضة في نطاق بيومناخي ما، إلى الأنماط التي تعرفها النطاقات الطبيعية الأجف منها مباشرة.

1) جبال الأطلس الكبير، المستعرضة من الشرق إلى الغرب، هي الجدار الفاصل بين الصحراء في الجنوب والجنوب الشرقي، والمناطق المنفتحة على الاعتدال في الشمال والغرب. وهي عامة أكثر رطوبة من المناطق المجاورة وتتوفر مع الأطلس المتوسط على أهم التغليفات الغابوية التي يمتلكها المغرب من العرعر البربري والعرعر الأحمر إلى أجمل دوح البلوط الأخضر والأرز.

يتميز الأطلس ببنية خاصة، يتوسطها صلب طولي متشكل من أعلى الأعراف التي تكسوها الثلوج موسميا، بحيث نجد أن السفوح الجنوبية والشرقية، الأقل ارتفاعا، مكرسة لامتصاص التأثيرات الصحراوية، ويمكن أن تنزل بها مقاييس الأمطار إلى 300 مم. أما السفوح الشمالية المشرفة على المدرج الأطلنتي فيمكن أن تتعدى 1000 مم.

ظروف التصحر هي الأكثر مباشرة في السفوح الجنوبية إذن، هذه السفوح التي توقف أقدامها الكثبان في بعض الحالات، في حين يحافظ العرعر الأحمر فيها على التغليفة في وجه الاجتثاث والرعي الجائر.

في ممر أرگانة الذي يربط سهل سوس بالحوز عند إيمي ـ ن ـ تانوت، ضعف الارتفاع ووضعية المخبأ، تجعل جبهة القحولة تخترق هنا الأطلس اختراقا كاملا. ومع ذلك، ورغم الجفاف والملوحة، فإن ما يتجمع من مياه في واد إيسن يُنقل أساسا إلى مدينة أگادير.

يهدد التصحر السفوح الشمالية نفسها رغم غزارة الأمطار وجودة ظروف الترب، وذلك لأسباب متعددة.

فبالنسبة للأراضي الصالحة للزراعة، فهي مكتسبة على حساب سفوح قوية شيدها المزارعون بعناء على شكل مدرجات على جوانب الأودية السحيقة المنحوتة في أطيان وحُث الطبقات الترياسية. أبرز النماذج ترافق واد النفيس الأعلى. التدهور هنا ناتج عن إهمال المصاطب المبنية والتي تحتاج إلى تعهد دائم.

غالبا ما كان سلوك الإهمال هذا ومغادرة الأرض ناتجاً عن التصريف الممنهج لخيرات الجبل إلى المناطق السهلية ومنها مياه السدود، خاصة المنصوبة على الروافد الجنوبية لأم الربيع، والأخشاب والطرائد والمعادن التي همت منذ أمد بعيد أطلس مراكش، كما هو مترتب أيضا على إغراء السهولة التي تشخص الحياة الناعمة لأفواج السياح.

كانت المناطق الأخرى التي اجتذبت المزارعين دائماً ومباشرة على حساب الغابة. ويبدو أن أصلح الأراضي لهذا الغرض في الجهات الشمالية من الأطلس هي الأحواض الواسعة في أعالي أيت ورير ودمنات، تلك التي تضم أكبر نسبة من المجالات الأقرب إلى الانبساط والتي بها أتربة جيدة الاستقرار إذا ما قورنت بوضعها الجبلي. توافق هذه الأحواض من الوجهة البنيوية مقعرات شاخصة متفاوتة الاتساع مفروشة في الغالب بالطبقات الهشة الحثية، الطينية والطميية الحمراء المنتسبة للكريطاسي الأسفل القاري.

النزعة الزراعية التي تبدو في الظاهر هي الوجهة الصائبة هنا، جعلت الأهالي يغتصبون الحيز الغابوي بحدة ليس لها نظير في باقي الأطلس. حيث إن بعض الدوائر الغابوية كالتي تجاور الواد الأخضر، فقدت ثلثي مساحاتها عن طريق القطع والتسيب الزراعي. لكن التصحر سرعان ما يحل محل القطع الجائر، وهو يكتسي هنا صبغة خاصة يمكن أن تُدعى التصحر الترابي، والذي يبرر هذا التعبير بصفة كاملة هو التطور الحاصل الذي ينتهي بالتنحية التامة للأتربة والتأثر العميق على ميزانية المياه رغم أنه لا يحصل أي تغيير في الوضع المناخي الملابس. ذلك أن العراء المفاجئ للأرض بعد عملية الاجتثاث يسبب الطرق العنيف لسطح التربة من طرف قطرات المطر. مفعول الترشاش هذا يسهل السيلان على حساب التسرب، مفقراً الفرشات والعيون التابعة، مضعفا الأتربة، ومهددا بالفيضانات كلما اشتدت التساقطات التي تذهب جفاء دون أن تنفع الأرض.

بموازاة مع المسار الآلي لتدهور التربة عن طريق الترشاش، هناك التدهور العضوي والجيوكيماوي الناتج عن تعطيل البيئة الاحيائية. إذ أن تضاؤل المادة العضوية في التربة يحطم بنياتها ويضعف مركبها الماص حيث يعقب ذلك انهيار في الخصوبة والعجز على الحفاظ بالرطوبة.

على هذا الأساس، فإن التصحر متحقق بالتأكيد، لأنه حتى في حال إرجاع الأرض إلى غطائها النباتي الطبيعي، فإنه لا سبيل لعودة الغابة الأصلية. التغيرات العميقة التي نابت الأتربة تقضي بظهور تشكيلات نباتية جديدة من الصنف الجفيف.

إذن، رغم بقاء التساقطات على حالها، فإن الاستعمال

الخاطئ للأراضي يحول المجال الأحيائي إلى مستويات مرتبطة مبدئيا بمناخات أجف. الاستمرار في هذا النوع من التسيب يأتي على كل المسكات المنتجة من التربة معطية حقول شعير متقطعة تتخللها خدات تتعمق سريعا.

بعيداً عن الوديان والأحواض القابلة للتجهيز الزراعي، قليلة هي المشاريع الاقتصادية التي يمكن أن تصرف ساكنة الأطلس عن الرعي الجائر وقطع الغابة، فحتى تلك الغابات الجميلة المتكونة من البلوط الأخضر أو من الأرز أو هما معاً، والتي توجد في الأوضاع الأكثر توازنا فإنها ليست في مأمن من الاعتداء، حيث تتعرض للإبادة بسبب السلوكات التي تحطم الهوامش النباتية للغابة، ضاربة في الأساس النظام البيئي العام. لا فرق في أن تكون تلك السلوكات القطع والرعي غير الواعيين أو أن تكون في بعض الحالات المعالجة وطريقة الاستغلال الخاطئين من طرف الأطر التقنية الساهرة على صيانة التراث الغابوي.

لمناهضة كل هذه الأوضاع، تجدر الإشارة إلى مشاريع إدارة المياه والغابات التي تهدف إلى صيانة التنوع الأحيائي بخلق منتزهات وطنية حول توبكال وفي الأطلس الكبير الشرقي كما هو الشأن في ماسة والداخلة وفي إقليم الحسيمة بالريف الأوسط وبتلاسمطان في إقليم الشاون، وفي تازكا شمال شرق الأطلس المتوسط، وفي إقليم إفران.

2) الأطلس المتوسط عبارة عن كارست يغذي بفضل مياهه الجوفية شبكات أم الربيع وسبو وملوية. هذا الدور هو ما يبرر وصفه ببرج توزيع المياه على الصعيد الوطني.

جل العمليات التي تهم سطح هضاب وأعراف الأطلس المتوسط تصب في هذا الاتجاه الذي يكتسي صبغة الأهمية القصوى بالنسبة لأنشطة المناطق الزراعية والعمرانية بالمغرب. فأكيد أن أي مساس بهذه التوازنات يمكن أن تكون له نتائج صعبة التقدير.

لا شك أن النزعة الرعي - غابوية، في ظروف رطوبة جيدة، وهي النزعة التي طبعت الإقليم في كل العصور هي التي سمحت باستمرار هذا الدور حتى الآن. فبجوار غابات البلوط والأرز الواسعة، هناك مجالات أوسع من الأراضي الخلاء. وقد تضافرت فيزيوكيمياء الصخور والبنية وطبيعة الغطاء النباتي والتجميع المحلي للمياه داخل بحيرات منتشرة في المجال الهضبي لتسهيل عمليات الرشحان. لكن يتحتم الحرص والحذر من تطورين على الخصوص، والتحسب للمضاعفات الممكنة :

- المسألة الأولى تخص بداية الطفرة الزراعية التي يعرفها الإقليم حاليا وذلك بوضع اليد على العديد من المنخفضات الكارسية الواسعة واستثمارها بواسطة مغار[...] الفواكه الرفيعة في استغلاليات من النوع العصري ال[...] يقتضي حقن الرساميل الكبيرة واستنزاف الفرشات المائية بواسطة الضخ القوي، على حساب الشبكات الوطنية الكبيرة.

- تحقق المسألة الثانية مرتبط بالسوق العالمية للمحروقات، بحيث تعتبر الزيادة في أسعار الوقود بصفة مستديمة شرطا كافيا لانطلاق استغلال الثروة الهيدروكاربونية المحلية.

والواقع أن طبيعة هذه المخزونات مشوبة بالعديد من العراقيل. ذات البعد البيئي الخطير. ذلك أن النضيد الزيتي الموجود ضمن المقعر الشاخص لجبل القبات في ناحية تيمحضيت لا يحتوي إلا على نسبة واحد بالمائة من البترول. مضمون بهذا المستوى من الهزال يتطلب المعالجة في عين المكان مخلفا مقادير هائلة من النفايات يتحقق التخلص منها بواسطة المجاري المائية وعلى شكل هباءات تحملها الرياح. يزيد من ضرورة الحذر أن جبل القبات هو بالذات مجال توزيع المياه بين شبكات التصريف الرئيسية الثلاث. وعلى هذا الأساس فتهديد التصحر عن طريق تضاؤل الماء وتلوثه يمكن أن يتعدى الأطلس المتوسط ليهم العديد من مناطق الثقل في الاقتصاد المغربي.

3) في جبال الريف، يطغى التصحر الترابي وتكتسي ضرورة معالجته صبغة الاستعجال القصوى. بالطبع توجد بهذه المنطقة كل عوامل الاختلال الملازمة للبيئات الجبلية، لكن بزيادة ظروف مفاقمة ناتجة عن أن البنيات هنا متقطعة، فتية ومحادية للبحر مباشرة، وأن الصخور بها هشة ومصمة والتساقطات المطرية من أغزر ما تعرفه البلاد المتوسطية إطلاقا. نظام الجريان كثيف، سيلي وشديد التعمق، والسفوح قوية ومختلة.

بيئة هذه مواصفاتها لا يمكنها أن تكتسب أي نوع من الاستقرار الطبيعي إلا بمساعدة غطاء غابوي وحرجي كافي الانغلاق. يتم استغلاله الاقتصادي في حدود احترام المقتضيات البيئية.

لكن المقومات البشرية تصرفت باستمرار كعوامل مناوئة، فالكثافات السكانية هي من أعلى ما يعرفه المغرب حتى في مناطقه السهلية. مع الدور السلبي الذي لعبه وجود الحدود الاستعمارية والإهمال التام لمختلف السلطات منذ أمد بعيد والذي يتجلى على الخصوص في غياب أي شبكة للطرق أو أقطاب للتنمية.

أما الغابات التي شكلت حتى وقت قريب أهم الموارد الطبيعية فإنها عانت من غياب تام لكل تقنين، خاصة تحت الحكم الإسباني الذي استغلها بصفة جد مجحفة، يُقال عنها إنها منجمية لأنها لم تكتف بالقطع المنظم بل أبادت حتى عناصر التجديد.

لكن ظروف الاجتثاث في الريف تتعدى حافز جلب الأخشاب والاحتطاب والرعي، إلى الرغبة في إعداد الأراضي لزراعة النبتة المخدرة المعروفة بالقنّب أو الكيف. أهمية الوسائل المرصودة جعلت من هذه الظاهرة أداة بالغة العدوانية ضد الغطاء النباتي الطبيعي والأتربة. سرعة الاستشراء تظهر مثلا بوضوح من خلال تراجع غابة البلوط الفليني في المحيط المباشر لمدينة كتامة، حيث انهارت مساحاته بين 1984 و1990 فقط من 8000 هكتار إلى 500

هكتار!

الطريقة الشائعة في فتح الأراضي وإعدادها هي حرق الغابة، وهي في الواقع من أسرع الطرق للتصحر في أتربة تغطي منحدرات جد قوية. تُحدث النار تغيرات فيزيوكيماوية عميقة في البيئة الأحيائية حيث تتسبب للقطاع الترابي في التجفيف والإفقار وتشويه البنيات عن طريق حرق الأنفوضة وجزء من الدبال.

أما الإغناءات المفترضة من طرف المواد المعدنية الناتجة عن الحرق فهي ضعيفة جداً نظراً لتدرية الرماد وتحريكه السريع بواسطة السيلان الذي يصير أنشط مع تناقص قدرة الأتربة على حجز مياه الأمطار.

ما يحصل الآن هو تبديد مروع للإمكانيات الترابية لمنطقة بأكملها، آهلة بالسكان وغنية بالإمكانات. خلال سنوات معدودة، تكشف الغابة المقطوعة عن أتربة سميكة نسبيا وجيدة البناء ألوانها محمرة إلى سمراء داكنة، سرعان ما ينخرها التصويل والإفقار والبتر فتستحيل إلى بقع مبيضة تتسع رقعتها الجرداء التي لا تحتمل أي استعمال بالمرة.

الثروة الثانية للريف هي شبكة الجريان السطحي، وأهم عناصرها على الإطلاق يتمثل في حوض نهر ورغة الذي يشهد حاليا تشييد سد الوحدة، أكبر السدود المغربية. لا شك أن لهذا الإنجاز العديد من الفوائد الاقتصادية والإنمائية على صعيد التراب الوطني ككل. لكن ضخامة حجمه تطرح بالنسبة للريف بالذات بعض المشاكل النوعية، منها أن حقينته ستغمر حوالي 13.500 هكتار. يزيد من أهمية هذه المساحة أنها تخص جزءا من أحسن الأراضي الزراعية التي توجد في المنطقة على الإطلاق. فهي تغطي أراضي التيرس والحمري ضمن سهل داخلي خصيب وتام الانبساط.

ومن جهة أخرى، فإن الكلفة العالية للمنشآت تقتضي الاحتفاظ بنجاعة السد لأطول وقت ممكن في مجال ينتج بواسطة تعرية الأتربة والتخديد والانسياخ أكبر مقادير مواد الإطماء التي يعرفها المغرب. الوسيلة التقليدية لتفادي تعبئة حوض التجميع بالتراكمات الغرينية هو تشجير أهم سفوح الحوض النهري.

هذه العملية جيدة أصلا وتدخل في الاستراتيجية العامة لإعادة تشجير السفوح والحد من التدهور والإجداب. لكن، تجدر الإشارة إلى بعض العيوب التي غالبا ما تجعل التشجير في صبغته المعتمدة عندنا يحيد عن الأهداف البيئية المرجوة. فالغابة الطبيعية نظام بيئي يمتلك توازنات داخلية بين الأشجار السائدة والأشجار الأخرى المتكاملة معها والهوامش النباتية الضرورية. تحطيم هذه التركيبات لا يمكن أن يعوض بالغابات الأحادية النوع، خاصة عندما يتم القضاء على المورقات المغنية للتربة واستبدالها بالراتنجيات المحمضة، وهو سلوك جد شائع يقلب الأوضاع البيئية تحت الستار الوهمي لإعادة بناء استقرار المجال.

على العموم، فالملاحظ أن مختلف مظاهر التدهور والتصحر في المناطق القاحلة، وحتى الرطبة منها في الجبال، تفضي إلى سحب التربة النافعة من تحت أقدام أصحابها وإرغامهم في الغالب على المغادرة والنزوح بكثافة إلى البلاد الشمالية الغربية الغنية نسبيا. هناك إذن، أساس مظاهر التصحر هو ما يمكن أن نسميه بالقنبلة الديموغرافية.

III - تصحر الاستنزاف بواسطة الضغط الديمغرافي.

تقتضي استراتيجية مقاومة التصحر أن نشعر بإرهاصاته قبل أُزوف الأمر الواقع. يصير هذا الهاجس أكثر إلحاحاً في أراضي الشمال الغربي الغنية نظراً للمسؤولية التي تتحملها في تغذية المغاربة وإيوائهم وإيجاد الشغل لهم. إذن، موقعها الحاسم والخطير من الاقتصاد الوطني يعني استبعاد حدوث التصحر بمفهوميه الكارثيين السابقين، وهما الترميل على هوامش الصحراء وبروز القاعدة الصخرية في الجبال، ومحاولة تحسُّس التطورات المفضية إليه في أول أمرها، تلك التي تُستشف من خلال تناقص الإنتاج الزراعي.

وبما أن المؤهلات الطبيعية لا تحتمل هنا أياً من الاختلالات الكبرى التي تخص الجبال وهوامش الصحراء، فإن مظاهر التدهور إذن راجعة للسلوك البشري مبدءاً ووصولاً.

أهم عوامل الاختلال نزوح ساكنة الصحارى وشبه الصحارى والجبال بسبب ضيق العيش وتقلص الوسائل التي كانت متاحة، بحيث يمكن أن نعتبر هذه الحركة جزئيا حركة نازحين إيكولوجيين. صحيح أن التيارات البشرية من هذا القبيل ليست بالشيء الجديد وأنها همت مختلف الفترات التاريخية. لكنها الآن تكتسي صبغة خاصة. فهي لا تقصد الأرياف الأخصب والأرطب لأن تملك الأراضي أصبح أمراً مُنتهى منه، حيث نضبت حركة الترحل والانتجاع في السهول والهضاب الخصيبة، ولم يبق من سبيل إلا اللجوء إلى المدن التي تحولت تدريجياً إلى مستودعات للنفايات البشرية، تتضخم باستمرار وتختل بنباتها الاجتماعية والاقتصادية.

النتيجة الأولى هي التوسع السريع للمدن على حساب أحسن الأراضي الفلاحية، وأكيد أن الأمر يتعلق بأخطر ضروب التصحر المطلق. صحيح إن بلديات المدن الكبرى تحرص على انجاز تصاميم التهيئة أو التصاميم المديرية التي تحدد محاور توسع المدن والأهمية التي يجب أن يكتسيها، كما ترسم خرائط المجال الزراعي المحيط وقدرات الأتربة به وكيفية استعمالها. لكنها لا تحظى بأي نوع من العناية ولا تتاح لها أي فرصة للتطبيق. ذلك أن العوامل الفعلية المتحكمة في توسع المدن لا علاقة لها بالظروف البيئية ولا بالعلم والمنطق المطلق، ولكنها مرتبطة بالمضاربات العقارية والمنطق الداخلي لهذه المضاربات. هذه قاعدة عامة ومن أبلغ نماذجها ما يحيط مثلا بتطور مدينة فاس.

النتيجة الثانية، وهي أخطر من التوسع على حساب الأحزمة الفلاحية، مرتبطة بامتصاص المدينة للموارد المائية بجشع متزايد. والواقع أن استنزاف المياه ناتج عن ضراوة التنافس عليه من طرف أقوى أولي الحقوق وعلى حساب الضعاف منهم، الذين يدركون أن الأرض تتصحر تدريجيا من تحتهم.

أقوى أولي الحقوق المدينةُ أولاً، نظراً للأسبقيات المخولة لها والوسائل المتوفرة. وثانيا ملاكو أهم الأراضي المسقية بواسطة السدود في أغنى الأراضي، وبصفة متزايدة أصحاب الملكيات الكبيرة والمضخات القوية قريبا من أقدام الجبال وخطوط العيون. احتكار الفرشات المائية والمنابع بالطرق العصرية والمكلفة هو مثلا السبب الرئيسي في التراجع الحاصل في مواطن الدير التقليدية التي كانت مزدهرة في مخارج أودية الأطلسين المتوسط والكبير على السهول الشمالية والغربية.

باقي الأراضي غير المسقية والمحصورة بين المستفيدين الكبار، هي التي تُؤوي أهم كثافات ساكنة الأرياف التي تعيش على أسوء الأتربة وأكثرها تعرضاً لمخاطر الجفاف. وجودها بين مناطق الاستنزاف يُضيق عليها الخناق ويركز المحلولات إلى حد تقوية مظاهر القشرات الكلسية المبيدة للأتربة، كما يفاقم آليات التعرية بها. النتيجة الحتمية هي تضاؤل مستمر للمنتوج الزراعي. الشيء الذي يدفع أولا إلى الإلحاح في الاستثمار بأضعف الوسائل ومنها التوسع الاضطراري فوق الأراضي الهامشية العطوبة، وأخيرا إلى الهجرة إلى المدينة.

الواقع أن الأراضي المسقية ذاتها يمكن أن تعرف بعض الصعوبات التي من شأنها أن تؤدي إلى تصحر نسبي أو مطلق. فهناك ظاهرة التمليح التي تشكل معضلا جزئيا في أراضي تريفة أو في فحص طنجة، وفي سهل الغرب. في مبقلات ولجة دكالة مثلا يصل تمليح الأتربة في سنوات الجفاف على الخصوص إلى تحول المزارعين عنها إلى غيرها.

في المناطق الداخلية بدأت مظاهر التلوث الحضري والصناعي والزراعي عن طريق المبيدات والأسمدة تُؤثر سلباً على الأرياف، كذلك الأمر في حوض واد سبو في سافلة مدينتي فاس ومكناس وفي سهل الغرب.

بالطبع، لا تقف جبهة التلوث عند حدود القارة. وعندما تتعداها لطرد أسراب السمك وإفناء العوالق فإنه يمكن توسيع مفهوم التصحر ليشمل البحار. من جملة وسائل التصحر مخاريط التسميم التي تغزو البحر انطلاقا من المدن الكبرى، ومن مصاب بعض الأنهار التي تحولت إلى ميازيب، ونفايات المراكز الصناعية، الكيماوية منها على الخصوص. ومنها كذلك الصيد الجائر الذي يزيد من حدته الجوار الصعب مع أكبر الدول المستهلكة والمسوقة والاتفاقيات غير المتكافئة.

وأخيرا وليس آخراً، هناك في هذا المجال المحظوظ على العموم العديد من البقع المحتلة بالقوة، القابلة للتصحر بعد حين، والقادرة على أن تصير عدوانية بالنسبة لمحيطها. أهمها دون شك غابة المعمورة.

تعتبر المعمورة الرئة المباشرة للمحور الحضري الرباط ـ القنيطرة ومجموعة أخرى من المدن الثانوية. لكن مساحتها من البلوط الفليني انهارت من ظرف السبعين سنة الأخيرة من أكثر من 130.000 هكتار إلى حوالي 50.000 هكتار فقط. في هذه الأثناء تعرضت إلى عمليات اجتثاث متعددة الأغراض، منها كثير من حالات التسيب بهدف الفلاحة والرعي والتفحيم. وغالباً ما جاءت محاولات التشجير حرباً على البيئة الترابية والمائية كغرس الصنوبريات مكان البلوط الفليني أو فجوات غابات الأوكليبتوس والأوكالبتوس على هوامشها الشمالية بغرض إنتاج عجين الورق.

مرة أخرى، أضعف الغرس الأحادي وإفقار التركيبات النباتية المتكاملة، النظام البيئي للمعمورة وفاقم حموضة الأتربة وتصويلها من موادها الدقيقة بصفة تكاد تكون كلية، خاصة تحت الأوكالبتوس، وغَوَّرَ مواردها المائية، فأصبحت أشجارها، حتى البلوط الفليني الأصيل منها، معرضة للأمراض وهجوم الفطريات والذبول والانكسار السهل ولو لأضعف الهبات.

الخطير في الأمر هو الطبيعة الرملية لأتربة المعمورة التي تفقد بنيتها كل يوم أكثر، وحصانتها الشجرية مهددة بالتحرر والتدرية إن لم يوضع حد للأخطاء البيئية المتكررة. فليس من المستبعد، في ظل السلوكات السائدة، أن تتكون حقول من الكثبان يمكن أن تهدد كل المحور الحضري للساحل الأطلنتي الأوسط، على غرار أفظع حالات التصحر المباشر، في قلب ما كان يصطلح عليه بالمغرب النافع.

تُظهر النماذج المعروضة أن التصحر لا يقف عند أي حد بيومناخي أو تضاريسي بل ويتهدد خارج المغرب كل مناطق العالم، إذ نسمع التنبيه من مخاطره في أوربا من جهة وحول خط الاستواء من جهة أخرى. وفي مناطق مختلفة ليست موسومة بالقحولة النطاقية بحال من الأحوال ولكنها تعرضت لأخطاء في استثمار الأراضي وتدبير المجال نتج عنها إتلاف للفرشة المائية أو تعقيم للأتربة.

فما العمل أمام هذه الموجة الجامحة التي تهدد الأوساط *الطبيعية من الأساس وتنذر بأقبح الكوارث ؟ مع العلم أن* مسيرة التطور حتمية لا رجعة فيها. على الأقل لأن الأعداد البشرية تتزايد باستمرار والأساليب القديمة في صيغتها الجامدة لا تُجدي. كذلك الظروف التي كانت تُقَعِّد حياة البدو الرحل مثلا لم تعد حاليا مقبولة.

ما العمل إذن بين المستحيلين ؟ لا شك أن الأمر يتطلب إبداع أساليب جديدة تنطلق من أكبر معرفة ممكنة بخصائص الأوساط المغربية مع الاستفادة من الأساليب القديمة المتكيفة وتطويرها. وارد إذن الاقتباس من التقنيات المتلطفة بالبيئة كتلك التي تقلل من حدة التعرية من خلال استعمال تداخل المزروعات المتكاملة والواقية للأرض واعتماد الدورات

الزراعية. كذلك الحفاظ على المياه عبر مختلف التقنيات المتوارثة، واستعمال الروث والمادة النباتية الطرية كسماد طبيعي.

من الضروري كذلك اعتبار فترات الجفاف الضاغطة كمركب عادي وليس استثنائيّاً للمناخ بالمغرب، وأخذها في الحسبان في كل تخطيط فلاحي، واختيار تقني.

على أنه يجب ترشيد التقنيات والسلوكات على أساس استخلاص العبر من تجارب البلدان التي قطعت أشواطا في ميدان فلاحات الجفاف بمنجزاتها وأخطائها، ومنها الجمهوريات الإسلامية لآسيا الوسطى في ظل النظام السوفياتي وجنوب غرب الولايات المتحدة الأمريكية والشرق الأوسط. وكيفما كانت التقنيات فهي وحدها لا تكفي.

أكيد أن هياكل توزيع الموارد كالبنيات العقارية، ونماذج الاستيطان ومنها المدنية الأخطبوطية، تلعب أدواراً لا تقل أهمية. وفوق هذا وذاك، فإن المجهودات المحلية المعزولة وحدها لا يمكن أن تعالج الوضع الذي يكتسي في الواقع صبغة كونية، تقتضي تعاون الفاعلين الكبار في العالم.

لكن، تدل القرائن حسب جل المحللين على أن مجتمع الإنتاج المهيمن لا يتوفر على البنيات الكفيلة بتجاوز الأزمة. ألا يوجد تناقض أساسي بين هاجس الحفاظ على الطبيعة من جهة والحضارة الصناعية العصرية من جهة أخرى تلك التي أحدثت شرخا متزايدا في غلاف الأوزون، ورفعت حرارة أجواء الكوكب، وعكرت الماء والهواء، معطية للتصحر فرصة اكتساح العالم ؟

يبدو أن هناك مطالبة لازالت مكبوتة ولكنها متنامية تنادي بتعجيل التخفيف من الحضارة الصناعية وتبشر بمقدم العهد الإنساني.

استطلاعات ميدانية ؛ إبراهيم نحال، *التصحر في الوطن العربي*، بيروت 1987 ؛ الطيب جلال ومحمد عجاج، *تثبيت الكثبان الرملية وتشجيرها في شمال افريقيا*، تونس، 1986 ؛ إدريس الفاسي، *الجفاف حول الصحراء : الطبيعة والسلوك البشري*، دراسة بيئية، *مجلة جغرافية المغرب*، 6، الرباط.

Ministère de l'Agriculture et du Développement Agricole. *Lutte contre la désertification au Maroc, réalisations et perspectives. Rapport National* ; Rabat, 1984 ; *Plan National de lutte contre la désertification*, 1986 ; Direction des Eaux et Forêts et de la Conservation des Terres, *Projet d'étude et d'identification des aires protégées et de l'élaboration des plans de gestion des parcs nationaux du Maroc*. Rabat, 1993 - 94 ; A. Sasson, *Développement et environnement*, Paris - La Haye, 1974 ; F. Ramade, *Eléments d'écologie appliquée*., Paris, 1976 ; E. Eckholm and L.R. Brown, *Spreading deserts. The hand of man*. Washington, D.C., 1977 ; M. Ameur, *Fès... ou l'obsession du foncier*, Tours, 1993.

إدريس فاسي وعبد المالك بنعبيد

التصدرة، في موسيقى الآلة هي المقطوعة الغنائية (الصنعة) الأولى التي تتصدر القسم الموسع من الميزان. وتغنى مباشرة بعد البغية أو التوشية على حركة إيقاعية بطيئة جدا. ومثالها تصدرة ميزان البسيط من نوبة رمل الماية، وهي بيتان ملحونان من الطويل :

صلوا ياعباد دائم على أشرف الورى ارضوا عن العشر الكرام البررا
مهما نقرب الروضة يـاتينا مبشـرا نسيم من الأحباب مسكا وعنبرا

ونظراً لبطء أداء التصدرة، تقضي العادة أن تخلل مقاطع كلماتها بالتراتين، وهو ما يعرف لدى أصحاب الآلة "بالشغل".

معرفة شخصية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

التصميم ← التخطيط

التصوف بالمغرب، يبدو أن ظهور أشخاص بالمغرب الأقصى يمكن أن تنسب أحوالهم وأقوالهم إلى التصوف، أي إلى ما يعرف بالتوحيد الخاص المبني على الاعتقاد بإمكان الوصل أي إدراك مباشر لبعض تجليات الذات أو حقائق الصفات واعتبار الروحانية النبوية أساساً لتحقيق ذلك على أكمل معانيه، كان ظهوراً متأخراً بالنسبة لبلاد المشرق، وبالنسبة حتى لبلاد إفريقية والأندلس، وذلك على غرار تأخر الظواهر الحضارية الأخرى ثقافية كانت أو سياسية. وقد يكون هذا التأخر فيما يهمنا هنا مرتبطاً بتأخر الآثار الكتابية الشاهدة لا بتأخر الظاهرة نفسها.

ولقد كانت أحوال الزهد والورع غالبة على أفراد ممن بلغت إلينا أخبارهم من أهل القرون الإسلامية الأربعة الأولى دون أن يرد بصدد عدد منهم ما يجعلنا نصنفه في عداد المتصوفة الاصطلاحيين، غير أن التميز بدأ في القرنين الخامس والسادس الهجريين.

وقع ذكر أزيد من أربعمائة وجه من وجوه التصوف بالمغرب في هاذين القرنين في ثلاثة كتب رئيسية سمت مترجَميها بالصلحاء والعُـبَّاد وأهل التصوف، وهي كتاب محمد بن عبد الكريم التميمي وعنوانه : *المستفاد في ذكر الصلحاء والعباد بفاس وما والاها من البلاد*، ألفه قبل عام 572 هـ، وليس منه بين أيدينا سوى قطعة لعلها النصف الثاني من الكتاب، وكتاب أبي يعقوب يوسف التادلي وعنوانه : *التشوف إلى رجال التصوف*، ألفه عام 617 هـ، وكتاب أبي يعقوب البادسي، وعنوانه : *المقصد الشريف في صلحاء الريف*.

وهذه الكتب الثلاثة على منحى *حلية أبي نعيم*، ولكن كل واحد منها آثر التعرض لجهة بلاده. وهكذا يبدو من خلال مادة التراجم أن ظاهرة التصوف قد شملت كل المناطق القديمة الاستقرار وأبرزها الريف وجهات فاس وبسيط تامسنا ودكالة وجهات أغمات ومراكش وجهات هسكورة وجهات رگراگة جنوبي تانسيفت ودرعة ووادي سوس.

كان من صوفية المغرب في هذا العهد من أخذ عن شيوخ مشارقة، ولاشك أن الرحلة للعلم أو للحج قد دعمت هذا الأخذ مثل أخذ عبد الجليل بن ويحلان دفين أغمات عن أبي الفضل الجوهري بمصر، وعبد الجليل هذا شيخ عبد الله ابن واكريس الدكالي شيخ أبي شعيب صاحب أزمور شيخ أبي يعزى الخ. ومنهم من أخذ عن قيروانيين أندلسيين، بل ان منتسبين إلى الصلاح رحلوا إلى المغرب من بلاد إفريقية

كما رحلوا إليه من الأندلس.

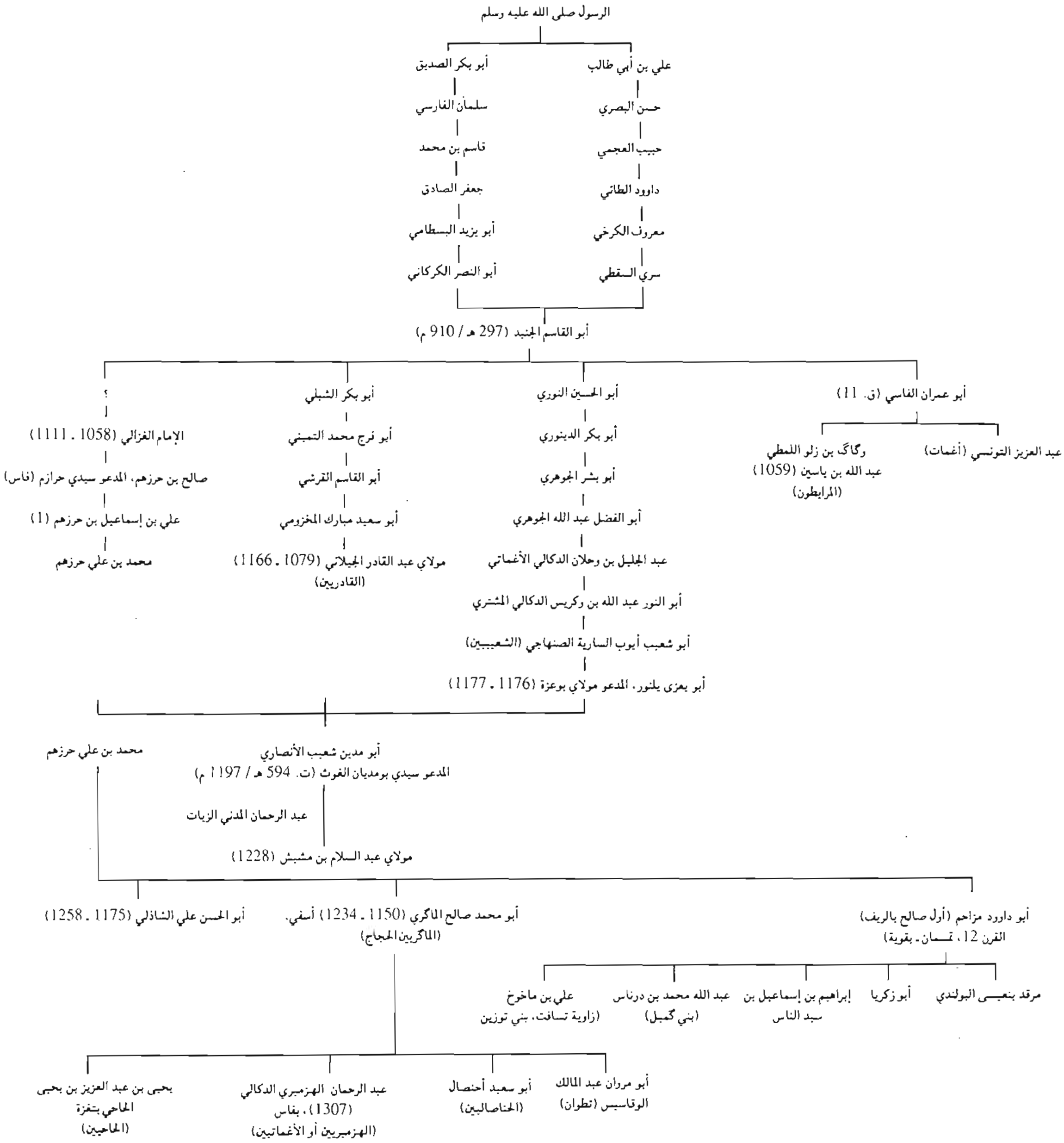
كان من الصوفية أهل حضر وأهل بادية، وكان منهم منسوبون إلى العلم الكتابي ومنهم من لم يُعرفوا سوى بورع أو كرامات، وقليل منهم في هذا العهد منسوبون لآل البيت. كان معظمهم أفراداً بلا أتباع ولكنهم كانوا يتعارفون ويتصلون، ويُقصدون في غالب الأحيان للتبرك أو لطلب الأغراض، ولم تكن الطرق قد ظهرت بعد بشكلها المعروف.

ولقد حرص المترجمون المغاربة لأهل التصوف على تخليص الكلام عنهم مما يمكن أن ينعت "بعلم التصوف" أي التعابير عن الأذواق والمعارف الخاصة، لكن نقل بعض كلامهم ينبئ عن إشارات إلى المعاني الاصطلاحية التي تحتاج إلى تأويل، وقلما ألف هؤلاء تآليف قائمة، فيتعذر إذاً، ربطهم بمذاهب ومشارب بالرغم من تحيز بعضهم للغزالي في مواقف عملية. وكان من المنسوبين إلى التصوف عائلات قليلة توارثت المشيخة على امتداد أجيال مثل آل أمغار الصنهاجيين في رباط تيط جنوبي أزمور.

يتعذر في الحالة الحاضرة للبحث في التصوف بالمغرب إعطاء أجوبة معمقة لمختلف الأسئلة المتعلقة بتصور دقيق للمنزع الصوفي ولا سيما 1) في ما يتعلق بتحقيب تطوره بشكل مقنع 2) وبخصوص التيارات الخارجية التي أثرت فيه أو أثر فيها سواء بالنسبة للمشرق أو الأندلس 3) أو قضية أنواع المعارضة التي لقيها التيار الصوفي من الجهات المتسننة في المجتمع أو من جهة المتضايقين به كسلطة رمزية يخشى من تحولها إلى شريك في السلطة الفعلية 4) ومن ذلك تصْنيف الأوضاع التي وجدت فيها تيارات صوفية في مواجهة الجهاز السياسي أو في معاضدته، إلى غير ذلك من القضايا التي تبدو بعض ملامحها من خلال ما أُنجز من الأبحاث ولكنها غير مكتملة ولا واضحة بما فيه الكفاية.

ففي ما يخص التحقيب يبدو العنصر الحاسم فيه هو التفاعل مع المجتمع واتخاذ شكل مؤسسي ومعانقة ملابسات التاريخ في جوانبه الأخرى، وهذا يصدق على التصوف بما غلب عليه من طابع اجتماعي في المغرب، أما من حيث المعنى الصوفي في حد ذاته فلا مجال لتحقيبه إلا على فرض أنه فكر توفيقي أو متأثر بمدارس فكرية مهما كانت طبيعتها كالإشراقية والأفلاطونية الجديدة الخ، أو على فرض أن تعبيرالصوفي عن تجاربه يصير تعبيراً موجِّهاً بل ومنتجاً لتجارب أخرى، أما خارج هذين المنظورين : المؤسساتي الاجتماعي التاريخي والفكري التأثري، فالمفروض أن التصوف يرتبط بتجربة الإسلام الروحية : يظهر فيها متى وأنى ظهرت، فيبقى التدوين هو الحاسم عند المؤرخين في التمييز بين مراحل من السيرورة عبر الآثار. وإذا راعينا هذا التدوين فإن القرنين الخامس والسادس الهجريين يشكلان عصر ظهور التصوف المغربي وانتشاره ونضجه وازدهاره في آن واحد بالنظر إلى أن أعلام القدوة فيه قد عاشوا في القرن السادس على الخصوص. فعندما كتب ابن الزيات عام 617 هـ كتابه في تراجم مائتين وسبعين من المنسوبين إلى التصوف في الجهات التي اهتم بها أعطانا نماذج متنوعة لمن يمكن إدخالهم في هذه الطائفة وذكر بصددهم أنواعاً من السلوك والقيم يمكن أن تُستنتج منها معايير تصنيف رجال التصوف إلى ذلك العهد، ومنها تظهر أدوارهم الدينية جلية وتتعلق كلها بالعمل بالقول والفعل والتأثير والقدوة على دمج مجتمع عجمي هامشي في إطار الإسلام وحضارته وتاريخه، وهو دور بارز حتى ولو قيس بأدوار الفاعلين الآخرين كالأمراء والفقهاء والعلماء. ولكن ابن الزيات كان يرى، في أوائل ذلك القرن السابع، وكأن تلك الحركة في أفولها بعد انصرام قرن أبي شعيب وأبي يعزى وابن حرزهم وأبي مدين وغيرهم. ولكن ابن الزيات أشار إلى شخص عامل مجدد لذلك النهج الصوفي كان بأسفي ما يزال على قيد الحياة وهو أبو محمد صالح. غير أن ابن الزيات لم يعلم بوجود معاصره بجبل العلم في أقصى شمالي غرب المغرب وهو الشيخ عبد السلام بن مشيش الذي جمع، كما جمع الشيخ عبد القادر الجيلالي في الشرق، بين النسب الشريف والأستاذية في التربية الروحية على المنهج الذوقي الصوفي. لم يكن ابن مشيش أول من بدأ به في المغرب مصرع أهل التصوف على أيدي المتضايقين بهم عندما قتل عام 685 هـ، ولكنه كان رأس أحد التيارات الصوفية الكبرى في العالم الإسلامي وهو تيار الشاذلية المنطلق من المغرب والمنسوب إلى أبي الحسن الشاذلي تلميذ ابن مشيش. أمّا التيار القادري فهو عملياً دخل إلى المغرب إذا أقررنا بأن أبا مدين قد لقي الشيخ الجيلاني بالشرق وأخذ عنه، ولكن ذلك وقع قبل بروز هذا الاهتمام المتأخر بسلسلات السند الكبرى. أما ابن عربي الحاتمي بالرغم من مقامه بالمغرب من عام 590 إلى عام 597 هـ فإننا لا نستطيع أن نقارنه بابن مشيش والشاذلي من حيث التأثير، لأن تأثير الحاتمي مقتصر على حذاق القراء إلى يومنا هذا، بينما تأثير "الحركيين" حتى من أمثال أبي يعزى ظهر فعّالاً في طوائف واسعة من الأتباع والمبجلين للشيوخ.

وعلى هذا الأساس، فربط التيار الصوفي المغربي بالجنيد (المتوفى عام 297 هـ) على أنه تصوف تغلب عليه الأخلاق والسنية ويتجنب "الحقائق" تصنيف لا ينطوي إلا على الارتياح السهل الذي يتيحه كل تصنيف، ذلك أن ابن الزيات قد صرح في مقدمة كتابه أنه جرده من هذه "الحقائق" التي سماها بـ "علم التصوف"، فيفهم من كلامه أن تلك الحقائق كانت رائجة ولكنها كانت موضوع اعتراض. فتكون مراعاة الشعور السني العام في المغرب واقعاً متأصلاً ولكنه لا يعني البتة أن تلك المعاني المسماة بـ "الحقائق" يمكن فصلها عن التجربة الصوفية ولو عند رجل لم يكن يعرف من العربية إلا فاتحة الكتاب مثل أبي يعزى.



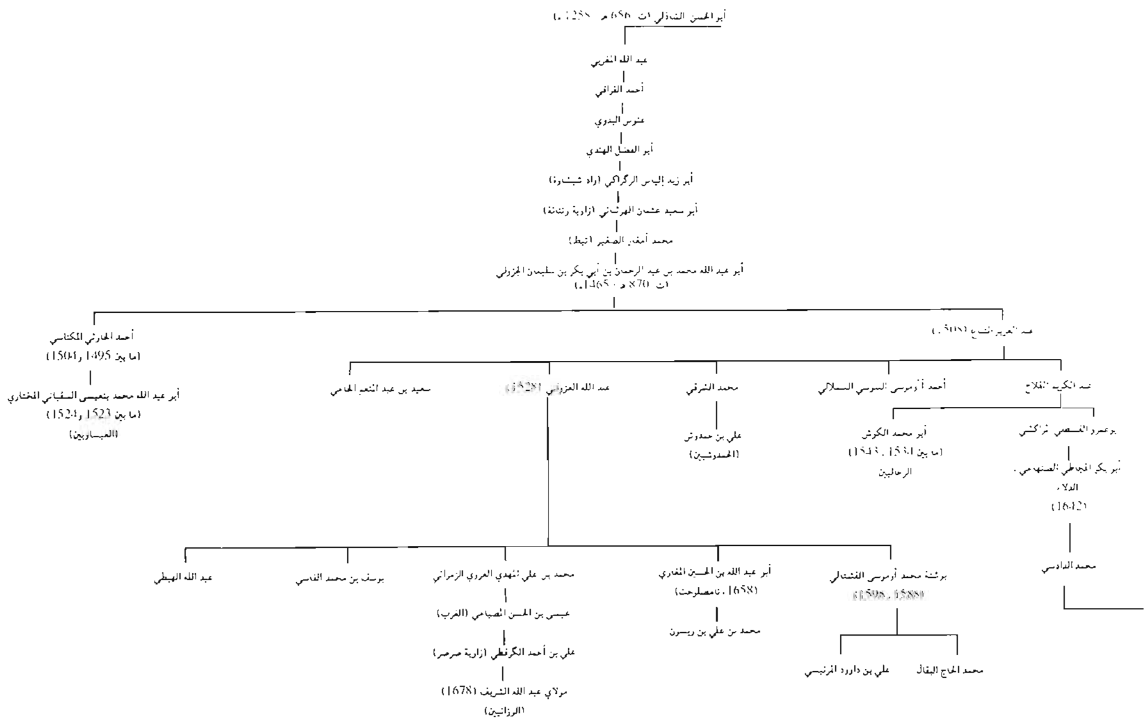
نستطيع أن نقول إن صوفية المغارب أقل تآليف في علم التصوف من صوفية المجتمع الحضري في الأندلس وعواصم المشرق وإيران، ولكن أخبار الصوفية المغاربة، وهي تتضمن مواقف وأعمالاً وأقوالا قد شكلت المادة المنقبية التي كتبها المريدون، بيد أن شذرات قليلة من الآثار التي وصلت إلينا ضمن هذه المناقب كالصلاة المنسوبة للشيخ ابن مشيش أو المبثوثة في ثنايا الصلوات التي جمعها الشيخ الجزولي أو حتى في أزجال بعض الشرقاويين أو رسائل مولاي العربي الدرقاوي أو كلام الشيخ التجاني أو الشيخ ابن عجيبة الخ. قد تضاهي في مضامينها أي تعبير صوفي آخر في مكان كان من العالم.

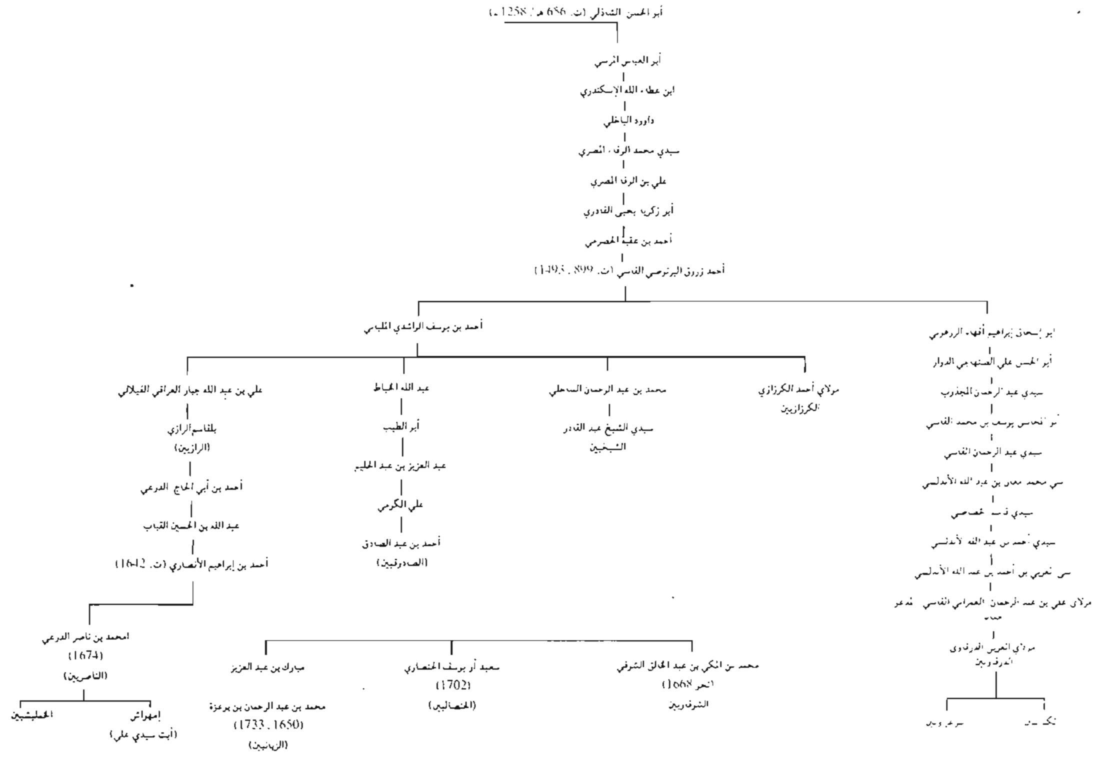
أما على صعيد العمل الاجتماعي أو ما سميناه بملابسة التاريخ، فإن عهد ما بعد القرن السادس الهجري في المغرب يتميز بكونه بداية تأسيس الطوائف وتكوين شبكة الإسناد الذي تفرعت عنه الطرق. فابن قنفذ القسنطيني الذي جال بالمغرب في منتصف القرن الثامن قد لاحظ هذا التنظيم واضحاً للعيان حيث ذكر أن جملة ما ترجع إليه تلك الطوائف ست هي : 1) الشعيبيون أتباع أبي شعيب صاحب أزمور وهو من أهل القرن السادس. و2) الصنهاجيون، أتباع شيوخ بني أمغار أصحاب رباط تيط جنوبي الجديدة الحالية (وهم أيضا من أتباع شيوخ عاش أعلامهم في القرنين الخامس والسادس). و3) الماگريون (طائفة أتباع أبي محمد صالح شيخ أسفي). و4) الحجاج، وغايتهم تنظيم الحج ولهم علاقة بالشيخ السابق. و5) الحاحيون من أصحاب أبي زكرياء الحاحي دفين تيغزا وجلهم في جبال درن. و6) الأغماتيون وهم طائفة أبي زيد الهزميري الذي كان بأغمات أيلان ومدفنه خارج باب فتوح بفاس.

والظاهر أن مشاهدات ابن قنفذ اقتصرت على جهات دكالة وعبدة وحاحة وجهة مراكش، ولم تشمل سوس وكبريات المدن والريف وتادلة الخ. فتكون الخريطة الدينية

الصوفية في أي عهد رهينة بالشهادات المدونة، ولكن القرائن تجيز لنا أن نتصور كثافتها في كل الجهات بالنظر إلى ما يبرز عند حدوث موجبات تسليط الضوء عليها.

بيد أن ظاهرة واضحة من شهادة ابن قنفذ بالنسبة للقرن الثامن ظلت تصدق على القرون الموالية وهي أن شيخا يصحبه مريدون حول المعنى الأساسي لتحقيق التوحيد الخالص، ولكن القيام بمهمته يستتبع في الغالب تكوين طائفة ومؤسسة هي الطريقة والزاوية، وما تلبث هذه المؤسسة أن تخضع لمقتضيات كل مؤسسة اجتماعية أو مقتضيات التعامل، يضاف إلى ذلك أن تلك المؤسسة تستمر بعد الشيخ وبلا "وارث" روحي في كثير من الأحيان، فإذا الخريطة الصوفية في وقت معين ذات سمات تشبه سمات الخريطة الجيولوجية المتنوعة التشكيلات : براكين نشيطة ومخاريط على جنباتها رماد متحجر، وقمم عالية من الأعلام وتلال شاهدة واطئة تعود إلى أقدم الأزمنة. فالأمر الأصلي من اختصاص التشكيلات الفتية و"البركة" عند "الجميع" والأدوار الاجتماعية أكثر فعالية لدى التشكيلات المستندة إلى عوامل استيراتيجية وإلى تجارب تدعمها القرون، بينما يتعرض كل تجديد لصعوبات من قبل أطراف مختلفة. وفي مثل هذا السياق يتولد





الموقفَ الذي اتخذته الحركة الوطنية في المغرب من بعض المحسوبين اجتماعيا على الانتماء إلى التصوف ووُرطوا لوزنهم الاجتماعي في ملابسات موالية للاستعمار، ولما كانت الفعالية تكمن في إيجاد تضاد وتقابل بين تيارين لفائدة الحركي منهما فقد وقع التغاضي على المواقف الجهادية لفعاليات صوفية حية قاومت التدخل الاستعماري من أواسط القرن الماضي إلى الثلث الأول من القرن العشرين.

بيد أن تاريخ المغرب في مداه الطويل يشهد للصوفية بدور إنقاذ الأرض والأمة منذ تأسيس الرباطات الأولى إلى أن احتل الإيبيريون شواطئ البلاد في القرن التاسع (15 م) وقام متصوفة شيوخ أحياء فاعلون بتعبئة القوى الشعبية لتحرير الثغور وحمل إمارة قادرة إلى الحكم للقيام بدورها بعد الفراغ الخطير الذي ترتب عن ضعف المرينيين ثم الوطاسيين. ومن سوء الحظ أن دولة السعديين التي رفعها الصوفية إلى الحكم في القرن العاشر الهجري قدضعفت لأسباب داخلية وخارجية، وهبت لاحتلال الفراغ السياسي تشكيلات لها نزعة "تصوفية" ولكنها أقرب ما تكون إلى التشكيل المرابطي القائم على وظائف اجتماعية كالتعليم والتحكيم، ومنها الزاوية الدلائية، فنسب إليها الطموح السياسي وتردد في ما بعد معرة على "المتصوفة". والواقع أن أهل الدلاء المتأخرين الذين خاضوا في أمور الإمارة ليست لهم حتى تمثيلية مؤسسي الزاوية الذين لم يدعوا شيئا غير تلمذتهم للناصريين.

لقد اغتيل الشيخ الجزولي (عام 870 هـ) كما اغتيل ابن مشيش شيخ الشاذلي قبل قرنين ونصف، ولم يُنتبه إلى أي منهما في حينه، حتى عرض ما يبعث ذلك الذكر كرمز لحركة تحققت في ما بعد، وهكذا اتخذ الجزولي رمزاً لانتصار دولة السعديين لأن تلامذته أطروا الجهاد وظهروا بمثابة "زعماء أحزاب" في حركة انبعاث اقتضتها ظرفية محفوفة بالمخاطر. ولذلك فالجزولي يستحق بالفعل أن يكون بداية مرحلة جديدة من حيث كثافة تلبس التصوف بتاريخ المغرب لا من حيث الاعتبار المذهبي الصرف. وهكذا سمي التيار السائد بعده بالشاذلية الجزولية، واعتبر الشيخ زروق من أعلام وسائطها وإن كان قد أُثر عنه اعتبار القرن التاسع نهاية عهد "صاف" في تاريخ التصوف المغربي، فاحتاج إلى التذكير بقواعده التربوية التي لا تسلم قط في خضم المعانقة الشعبوية.

جدول 2

وهذا وشم موجز لأدوار التكوينات الصوفية في المغرب عبر القرون في سياق التفاعل الاجتماعي الذي اعتبرناه الأساس الممكن لأي تحقيب :

أولاً ـ الدور الديني :

إذا تجاوزنا الجانب الروحي الذي هو الأصل في المنهاج الصوفي والتفتنا إلى الأدوار المحسوسة ذات الآثار التاريخية وجدناها تشمل جوانب كثيرة منها :

1) نشر الإسلام كعقيدة في شعوب وقبائل لم يصل إليها الفاتحون.

2) بث تعاليم الإسلام في أقوام ظل إسلامهم لا يتعدى مظهر الانتماء.

3) تنظيم مواسم دينية أرست العقيدة كالموسم الذي اشتهر في المغرب برباط شاكر.

4) تنظيم الجهاد وتأطيره في أوقات كانت فيها الأمة في أخطار محققة تهددها من الخارج.

5) تنظيم السفر إلى الحج وربط المغرب بالمشرق.

ثانياً ـ الدور التعليمي والعلمي والثقافي :

أ ـ نشر حفظ القرآن الكريم.

ب ـ بناء المدارس العلمية وتدبيرها.

ج ـ إنشاء الخزائن وتعميرها بالكتب العلمية.

د ـ توفير إمكانات التأليف واحتضانه.

هـ ـ نشر الثقافة العامة الشفوية عند غير القارئين عن طريق مجالس الذكر والمذاكرة.

ثالثاً ـ الدور الاجتماعي :

1) توفير الإيواء لعدد من أبناء السبيل.

2) إطعام الطعام ولا سيما في أوقات المجاعات.

3) تأمين الطرق بالهيبة والرهبة التي عرف بها أصحاب الزوايا، وتدعيم ذلك بنشر أخبار الكرامات.

4) حماية جماعات المحكومين من العمال الظالمين والحكام المستبدين.

5) ضمان التوازن وتدبيره بين الجماعات في مجتمع انقسامي.

6) الإشراف على معاهدات التساكن بين جماعات متجاورة تنطوي وضعياتها على احتمالات عدوانية.

7) كسر الحواجز القبلية والإثنية أو تليينها على الأقل.

8) تأطير الاستقرار في المجالات الجديدة التي تغزوها الجماعات بعد فراغ ناتج عن موتان.

9) تأطير الاندماج الاجتماعي للمهمشين والغرباء والطراء.

10) تيسير التواصل الاخباري.

رابعاً ـ الدور الاقتصادي :

1) إحياء مجالات من الأرض الموات وعمارة الأرض.

2) غرس الأشجار.

3) استباط المياه.

4) ضمان الأوفاق المتعلقة باستغلال المراعي.

5) تأطير التنظيمات الحرفية والمهنية بالمدن.

6) الإشراف على أمن الأسواق ورعايتها.

7) الربط بين مناطق متكاملة في التبادل.

خامساً ـ الدور السياسي :

1) ضمان الولاء للإمامة، وهذا المبدأ المشهور عن الصوفية تاريخياً ومع ذلك توجد استثناءات مردها إلى الاستفزاز والحذر الذي يجعل الحكام يعملون على تصفية القوات السياسية الاجتماعية التي يتقون شرها على

الساحة السياسية إذا عجزوا عن استعمالها الاستعمال المطلوب.

2) التوسط بين الحاكمين والمحكومين في سياق علاقات متوترة، وذلك بأساليب "الشفاعة" ومنح فرصة الملجأ إلى الحرم، ومراجعة الحكام في موضوع تصرفات أعوانهم.

3) استعمال الهيبة للتخفيف من تعسفات ذوي الجاه، وتقوية ذلك بأخبار الكرامات، وهو منزع كانت له فعالية تاريخية مشهود عليها.

ولقد تلاحقت أمواج التغطية الصوفية منذ السعديين لتنال بتأثيرها المتنوع جميع أطراف المغرب ولا سيما على أيدي تلاميذ الجزولي وتلاميذهم وعلى أيدي الناصريين في درعة والدرقاويين في الشمال والتجانيين الذين ظهروا في لحظة كان يتوقع أن تنتصر فيها فكرة الوهابية بالمغرب، بيد أن شيئاً من ذلك لم يكن إذ بالتجانية جدد أعيان الحواضر انتسابهم الصوفي بعد أن نشط أتباع الناصريين والدرقاويين في البوادي خاصة، بل ان التجانية ربطت المغرب من جديد بالآفاق الصحراوية والآفاق الإفريقية التي سبق أن اشتهر شيوخ منها في فاس في عهود سابقة كالشيخ البرناوي.

فالتصوف من مقومات تاريخ المغرب الروحي والديني والثقافي والاجتماعي والسياسي بل والاقتصادي. لم تقتصر آثاره على المدن بل أدمجت البوادي في الحياة الثقافية، ولم يقتصر على جماهير العامة بل صار السند العلمي والسند في الإذن الصوفي يكادان يقترنان في تراجم معاجم الأعلام، وهو من معطيات الإشعاع المغربي في اتجاه الشرق ولاسيما صعيد مصر والبلاد التي نالت الطريقة الإدريسية، وفي اتجاه الجنوب، بل وفي اتجاه أوربا في هذا القرن العشرين، وعلى الصعيد الداخلي، فمازال لتراثه حضور في النسيج الاجتماعي وفي الضمير الأخلاقي، وتجدده من طبيعة الأمور.

م. التميمي، *المستفاد*، (ستنشر قطعة منه عام 1995 بتحقيق محمد بنشريفة وأحمد التوفيق) ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف*، البيضاء 1984 ؛ أ. ابن قنفذ، *أنس الفقير*، الرباط 1965 ؛ ع. البادسي، *المقصد*، الرباط ؛ ابن تگلات، *إثمد العينين*، د. د. ع بكلية آداب الرباط، تح. م. رابطة الدين ؛ أحمد بن إبراهيم، *المنهاج الواضح*، د. د. ع بكلية آداب الرباط، تح ع. السعيدي ؛ ع. الزموري، *بهجة الناظرين*، مخطوط خ. هـ. د 1501 ؛ م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، الرباط 1977 ؛ أ. بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، منشور بطرابلس محققاً ووارد على هامش طبعة مصرية للديباج ؛ أ. الصومعي، *المعزى في مناقب أبي يعزى*، حققه ع. الجاوي وهو قيد النشر بكلية آداب أگادير ؛ ح. اليوسي، *المحاضرات*، تح. إقبال وحجي، بيروت 1982 ؛ م. ع. الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. ح. فاس 1324هـ ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، مخطوط خ. ع. ك 326 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، ط. ح. فاس 1896 م ؛ *تحفة أهل الصديقية*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *صفوة من انتشر* ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، القاهرة 1987 ؛ جذوة *الاقتباس*، الرباط 1973 ؛ م. الزبادي المنالي، *دوحة البستان*، مخطوط خ. ع. ؛ أ. اللمطي، *الإبريز*، حققه الشماع ونشر في دمشق 1984 ؛ م. ابن عيشون الشراط، *الروض العطر الأنفاس*، د. د. ع. بكلية الرباط، تح زهراء النظام ؛ ع. القادري، *المقصد الأحمد*، ط. ح. فاس 1932 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، الرباط، 1977 - 1986 ؛ س. الحوات، *البدور الضاوية*، مخطوط خ. ع. 934 ؛ *السر الظاهر* ؛ *سلوك الطريق الوارية* ؛ ح. الطاهري الجوطي، *تحفة الإخوان*، ط. ج. فاس 1906 ؛ مولاي العربي الدرقاوي، *مجموعة الرسائل*، الدار البيضاء، د. ت ؛ ع. حرازم، *جواهر المعاني*، بيروت 1963 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ط. ح. فاس 1895 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط 1974 - 1983 ؛ م. ابن الموقت، *السعادة الأبدية*، فاس 1918 ؛ م. الكتاني، *ترجمة الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني*، سلا 1960 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الرباط 1960 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، الرباط 1964 ؛ م. داود، *النور البراق في ترجمة الشيخ محمد الحراق*، تطوان 1968 ؛ علال الفاسي؛ *التصوف الإسلامي في المغرب*، منشور في الثقافة المغربية، عدد 1 ص 31 - 41 وعدد 2 - 3 ص 24 - 44، 1970 ؛ ع. نجمي، *من تاريخ التصوف المغربي في القرن العاشر الهجري : الملامتية*، في مجلة تاريخ المغرب، 1، 1981 ؛ ع. الصغير، *غروب الفكر الصوفي في شمال المغرب* ؛ ع. الشاذلي، *التصوف والمجتمع*، سلا 1989 ؛ ع. القادري، *كتاب الزاوية القادرية عبر التاريخ والعصور*، تطوان، 1986.

O. Depont et X. Coppolani. *Les confréries religieuses musulmanes*, Alger 1897 ; E. Michaux-Bellaire. *La Maison d'Ouzzeen, R.M.M*, X, 1907 ; E; Lévi-Provençal. *Les historiens des Chorfas*, Paris 1992 ; G. Marçais, *Notes sur les ribats en berbérie*, in *Mélanges René Basset*, Paris 1925 ; E. Michaux-Bellaire, *Les confréries religieuses au Maroc, A. M.* 27, 1927, p. 1 - 86 ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, 1951 ; E. Dermenghani, *Le culte des saints dans l'Islam maghrébin*, Paris, 1954 ; R. Brunel, *Le monachisme errant dans l'Islam, Sidi Heddi et les Heddawa*, Paris, 1955 ; A. Faure, *Le Tashawwuf et l'école ascétique marocaine des XIIème - XIIIème siècles*, in *Mélanges Louis Massignon II*, Damas, 1957 ; G. Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, Rabat, 1958 ; J. Berque. *al Youssi, Problèmes de la culture marocaine au XVIIème siècle*, Mouton-La Haye 1958 ; P. Pascon, *La maison d'Iligh*, Rabat, 1963 ; F. Skali, *La voie soufie*, Paris, 1985 ; E. Gellner, *Saints of Atlas*, London, 1969 ; M. Lakhdar, *La vie littéraire au Maroc sous la dynastie Alawite*, Rabat, 1971 ; M. Morsy, *Les Ahansala*, Paris, 1972 ; V. Capanzano. *The Hamadsha*, in Nikki R. Keddie (éd.) : *Scholars, Saints and Sufis*. *Univ. of California*, Press 1972 ; J.-L. Michon, *Le Soufi Marocain Ahmed Ibn Ajiba et son Mi'râj*, Paris, 1973 ; M. Benchekroun, *La vie intellectuelle marocaine sous les Merinides et les Wattasides*. Rabat, 1974 ; M. Tozy, *Champ et contre champ politico-religieux au Maroc*, Thèse soutenue à Aix-En-Provence, 1984 ; A.-L. De Premare, *Sidi Abder-Rahlan el Mejdub*, Paris, Rabat 1985 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge, XIVème*, Paris, 1986 ; H. Triki et H. Ferhat, *Hagiographie et religion au Maroc médiéval, H.T.*, 1986 ; R. Brunel, *Essai sur la confrérie religieuse des Aissaouas au Maroc*, réed. Casablanca, 1988 ; H. Triki et H. Fehrat, *Faux prophètes et mehdis, H.T.*, 1988 - 1989 ; F. Skali, *Topographie sociale et spirituelle de la ville de Fès*, Thèse soutenue en Sonbonne, 1990 ; J. Hunwick, *Les relations intellectuelles entre le Maroc et les pays d'Afrique sub-saharienne*, Rabat, 1991 ; H. Fehrat, *Le Maghreb au XIIème et XIIIème siècles : les siècles de la foi*, Casablanca 1993.

أحمد التوفيق

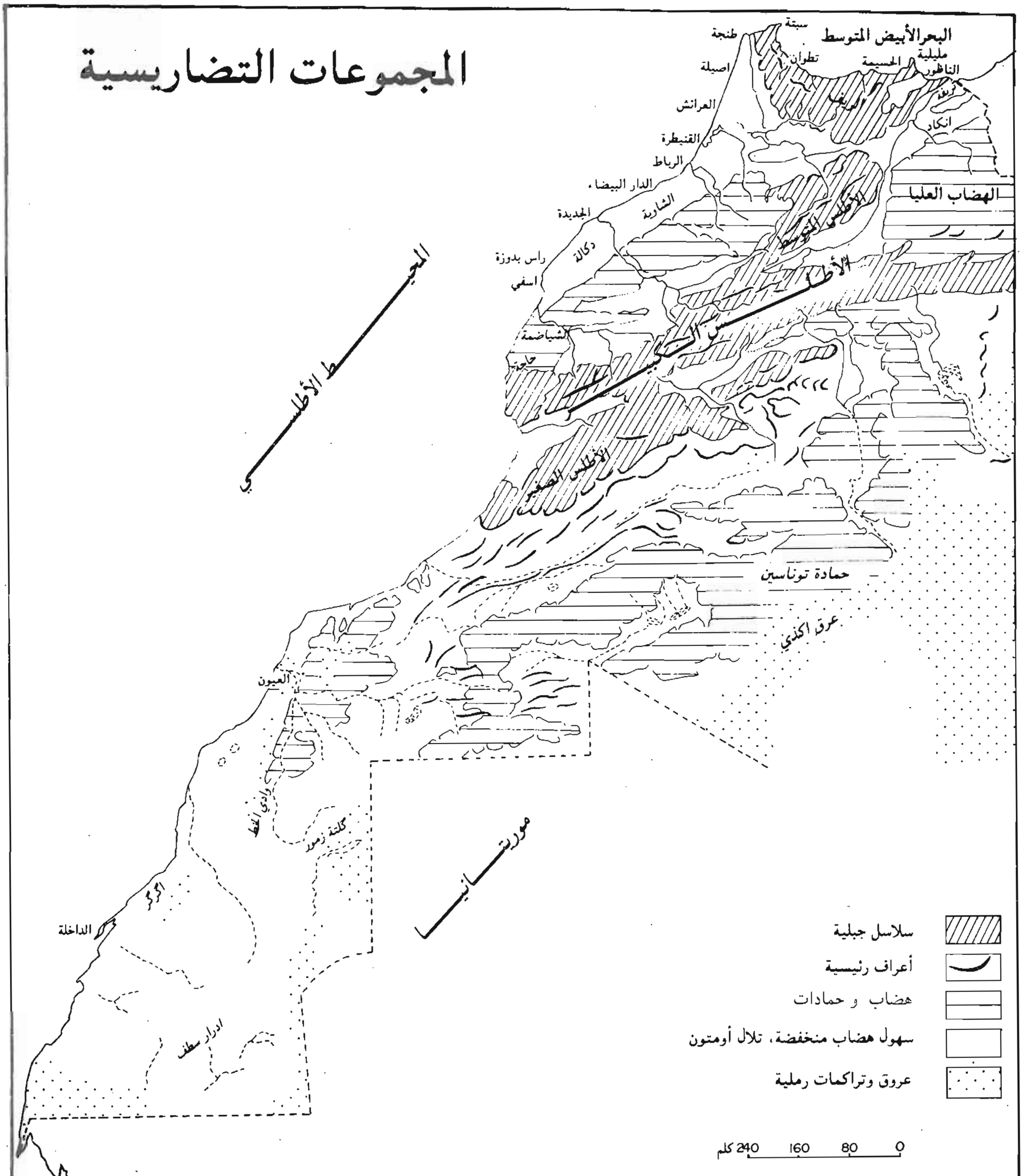
تضاريس المغرب، متميزة بالتنوع الشديد، حيث يمكن الفصل بين ثلاثة أنواع من المجالات : مجالات جبلية تضم الأطالس والريف، مجالات اطلنتية تتكون من سهول وهضاب، ومجالات شرقية وجنوبية. هي عبارة عن أرصفة

ممتدة تبرز بها مرتفعات منعزلة.

ويرجع الأصل في تنوع المغرب إلى موقعه على البحر المتوسط الذي يفسر حداثة وعنف البنائية وتجزيء التضاريس. وتقل آثار هذه البنائية نحو الجنوب حيث نمر إلى مناطق أكثر استقراراً ورتابة، ترتبط أكثر بالمجال الافريقي القاعدي.

وتمتد السهول المنخفضة والهضاب المستوية على مساحات شاسعة. ويبرهن على ذلك الارتفاع الوسيط للبلاد الذي يصل إلى 800 م والذي يدل على أن أكثر من نصف المساحة لها ارتفاعات تقل عن 1000 م. وتمتد الجبال الحقيقية على حوالي 100.000 كلم^2 أي 1/7 من المساحة الاجمالية. ويعني هذا أنه اعتبارا للتضاريس وحدها، يتوفر المغرب على أراض ممتدة صالحة للاستعمال الزراعي، إلا أن جفاف العديد من هذه السهول أو فقر تربتها يحولان دون استعمالها.

ـ الجبال : يقسم الظهر الجبلي الأطلسي الممتد من غ ج



غ إلى ش ش ش إلى قسمين، مغرب متوسطي في الشمال، ومغرب صحراوي في الجنوب. ويتكون هذا الظهر أساساً من الأطلس الكبير الذي يمتد على مساحة 50.000 كلم^2 والذي يحتوي على أعلى قمم المغرب (4615 م في توبكال، 4070 م في مگون، 3737 م في العياشي). وهناك القليل من الفجاج العالية التي تسمح باجتياز هذه السلسلة في جزئه المحوري، يرتبط الأطلس الكبير عبر بركان سيروا بالأطلس الصغير الذي يمتد على مساحة 31760 كلم^2، والذي تليه جنوباً سلسلة من الأعراف المنعزلة المتوازية. أما الأطلس المتوسط، فهو يتفرع عن الظهر الأوسط في جزئه الأوسط الكتلي ليتخذ اتجاها نحو الشمال الشرقي، على مساحة 13440 كلم^2.

ويقترب *الأطلس المتوسط في نهايته الشمالية* من السلسلة المتوسطية المكونة لجبال الريف والممتدة على 13000 كلم^2. وهي سلسلة كتلية تنحني نحو هوامشها الجنوبية، حيث تمتد تلال مقدمة الريف.

- السهول والهضاب الاطلنتية. غرب وشمال المدرج *الجبلي الريف - أطلسي*، وبإشراف على *الساحل الاطلنتي*، تمتد مجموعة من السهول والهضاب. وسط المجموعة مرتفع، بينما جوانبها مستوية ومنخفضة.

تتكون الوحدة الهضبية المرتفعة من سطوح رتيبة قليلة التقطيع مثل هضبة خريبگة، ومن "جبال" متوسطة شديدة التجزئ مثل الهضبة الوسطى والجبيلات. في هذه المرتفعات، تعلو التضاريس إلى حوالي 1000 م أو أكثر.

تحيط بهذه الوحدة المتماسكة سهول ومنخفضات. شمالاً نجد المنخفضات جنوب الريفية التي تنعزل عناصرها، مفصولة بتلال بارزة (سهول الغرب - السايس - إناون). شرقاً وجنوباً، تمتد سهول تادلا، السراغنة والحوز عند قدم الأطلس. وغرباً أخيراً، تمثل السهول الساحلية رصيفاً عند قدم الهضاب الوسطى (سهول زعير، الشاوية - دكالة وعبدة).

- المغرب الشرقي : شرق الريف والأطلس المتويط، وشمال الأطلس الكبير تمثل سهول وهضاب وجبال المغرب الشرقي مجالاً خاصاً له امتداد في القطرين الجزائري والتونسي. فهو يتكون من جزء متوسطي محدود ومتجزئ، عناصره سلاسل جبلية صغرى مثل بني ازناسن وجرادة، وسهول محدودة، مثل تريفة وانگاد. ويتكون ثانياً من سلسلة من الأحواض، محورها ملوية، تمتد شرق الأطلس المتوسط. لكن الجزء الأوسع، عبارة عن هضاب عالية رتيبة تدعى الهضاب العليا.

- المغرب الجنوبي : جنوب الأطلس، التضاريس عبارة أساساً عن سهول وهضاب قاحلة. فهناك أولاً سلسلة من السهول الفاصلة بين الأطلس الكبير والصغير وتمثل منخفضات محصورة (سوس - درعة الوسطى - تدغة - تافلالت). وجنوب الأطلس الصغير، وفيما بين الأعراف المتوازية، تمتد سهول باني المستطيلة. وتمثل هضاب الحمادات مساحات ممتدة ومتدرجة (گير - گمگم - درعة). ثم جنوبها نجد هضاب الرگيبات التي تعلو الساقية الحمراء وتنحني غرباً عبر *طبغرافية* متموجة نحو الساحل الاطلنتي.

في المجموع تمثل السهول الحقيقية 10٪ من المساحة الإجمالية، والجبال 15٪، بينما تغطي الهضاب 3/4 المغرب. إلا أن هذه الهضاب جد متنوعة الظروف، منها ما يقترب من ظروف الجبال (كالهضبة الوسطى) ومنها ما يشبه أكثر بيئة السهول مثل هضبة زعير الاطلنتية.

وتتضح الآثار البيئية العامة لهذا التقسيم التضاريسي، لما له من دور هام. فالتضرس أساس في تحديد سهولة التنقل الشئ الذي يفسر قلة الطرق التي تجتاز سلاسل الريف والأطلس بينما ترتفع كثافة الطرقات والمسالك *في المناطق المستوية. والتضرس* يحدد ثانياً امتداد الرقعة الزراعية، حيث ترتفع هذه الرقعة في المجالات السهلية، إما اعتماداً على الامطار أو على السقي ؛ بينما تتجزأ المساحة المزروعة إلى قطع صغيرة في الأودية وعلى السفوح المتوسطة داخل الوحدات الجبلية. *والتضرس والارتفاع يلعبان كذلك دوراً مناخياً وإحيائياً* متميزاً، حيث تتدرج بيئات متوالية من قدم الأطلس إلى قممها. وتكون الجبال حواجز أمام الرياح الشئ الذي يفسر التناقض الصريح بين واجهاتها الشمالية والغربية المعرضة للرياح الرطبة، وواجهاتها الجنوبية والشرقية المطلة على مناطق جافة.

ويكمن الأصل في التوزيع التضاريسي الحالي في العوامل البنيوية، المتحكمة في عنف وحداثة البنائية. وتبعاً لهذا العامل يمكن التفريق بين - مجالات مستقرة منذ وقت طويل، تمتد من موريتانيا جنوباً حتى الحادث جنوب الأطلسي، وتضم بالتالي سلسلة الأطلس الصغير، وحمادات الجنوب الشرقي والجنوب، وهضاب الصحراء الغربية.

- مجالات أطلسية، جلها جبلي، مكونة من سلاسل مرتفعة، بنيتها ملتوية ومنكسرة، رفعت بشدة في نهاية الزمن الثالث وعرفت توالي مراحل متعددة من التشويه والتعرية.

- مجالات رصيفية (الميسيطا) تتكون من سهول وهضاب المغرب الأطلنتي ومن هضاب المغرب الشرقي. وهي عبارة عن مناطق التوت قديماً قبل أن تعرف التسطيح التحاتي لتبقى مستقرة منذ ذلك عدا تموجات بسيطة كانت سبباً في غزو البحار للمجالات المنخفضة حيث رسبت طبقات سمكية أهمها طبقات الفوسفاط.

ينفرد المجال الريفي شمالاً بكونه ظل منطقة إرساب طيلة الزمن الثاني وجل الزمن الثالث، ولم يتشكل إلا منذ الميوسين على إثر التواءات عنيفة جداً سمحت بانزلاق فرشات زاحفة نحو الجنوب، تجاه الأخدود جنوب الريفي الذي يفصله عن المجال الأطلسي والرصيفي.

Troin [et al...], *Le Maghreb, hommes et espaces*. 360 p. 1985; Despais et Raynal, *Géographie de l'Afrique du Nord-Ouest*. Paris, 570 p, 1967.

عبد الله العوينة

الـتّـطافي، ـ بكسر التاء ـ أبو بكر بن الحسن، أستاذ متوسع في علوم الدين، والفقه، والأصول، واللغة، وعالم صالح، راسخ في الزهد. هكذا نتعرف على ملامح شخصية الشيخ من خلال الترجمة الغنية التي عقدها له تلميذه الحسن بن مسعود اليوسي ـ والتي اعتمدت في باقي المصادر ـ (وهي ثاني ترجمة من حيث الكم مع اعتبار أن فهرس الشيخ اليوسي لم يكمل). وإذا كنا نجهل العديد من التفاصيل عن نشأته، وتكوينه، ولا نعرف تاريخ ولادته ووفاته، فإننا نصنفه ضمن رجال طبقته، ونسجل حضوره ومشاركته في الحياة الفكرية خلال القرن الحادي عشر (17 م)، كما أننا نتلمس من الإشارات المقتضبة عن حياته التعليمية التعرف على المراكزالتي ارتادها ونهل منها ؛ قبل أخذ العلم على الشيخ عبد الله بن علي بن طاهر الحسني (ت. 1044 هـ/ 1634 م) أحد حفاظ المغرب الثلاثة، وأشهر علماء تافيلالت، كما كانت له رحلة إلى مدينة فاس في بداية طلبه للعلم. ولا شك أنه بلغ المستوى العلمي والخلقي الذي جعل مترجمه يحليه تارة بالإمام العالم، وتارة أخرى بالأستاذ المشارك الناسك. ويقدم أكثر من إشارة على مدى حبه للعلم وشغفه به، فهو لا يفتأ ينوه بفضله وشرف اكتسابه، ويشجع طلبته على تحمل عناء تحصيله.

أما طريقته الصوفية التعليمية فيظهر أنها ارتكزت على نهج تحليل المتون والأصول المدروسة مع إغناء المجالس بالإفادات والاستشهادات النثرية والشعرية على طريقة أكبر الشخصيات العلمية في عصره.

ح. اليوسي، *فهرس*، 166 ـ 169 (مخطوط) ؛ *المحاضرات*، 49 ـ 113. 302 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 117 ـ 118 ؛ م. القادري، *نشر*، 2 : 404 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، 57 ـ 58 (مخطوط) ؛ إ. ابن عجيبة، *أزهار البستان*، 245 ـ 247 (مخطوط).

نفيسة الذهبي

تـطْوان أو تـطَاون، مدينة شهيرة في شمال المغرب لكنّ كل محاولة لإثبات أصلها التاريخي تعترضه عدة صعوبات متمثلة في ندرة المصادر المكتوبة والمادية على السواء. ويبقى الأمل معقوداً على استغلال النصوص القليلة وتحليلها ومناقشتها. وللتوصل إلى ذلك سنركز أنظارنا حول سنة 338 / 950 م لنتخذها نقطة انطلاق البحث عن ذلك الأصل. ومنها سنتراجع إلى الوراء زمنيا، وسيمكننا هذا من الانطلاق من المعلوم إلى المجهول بحثا عن أهم المحطات الزمنية وإثارة ما يتراءى لنا من التساؤلات.

ويعوْد اتخاذ سنة 338 هـ. نقطة التراجع الزمني، إلى أننا نعلم منها بالتأكيد وجود مدينة تطوان، من خلال ما أورده البكري حينما قال : "ومدينة تطاوان.. قاعدة بني سكين بها قصبة للأول ومنار، وبها مياه كثيرة سائحة عليها الأرحاء (...) وهي بسفح جبل أيشقا (...) وبجوفها جبل يعرف ببلاط الشوك...". هذه الشهادة القصيرة كافية لإثبات وجود مدينة قائمة بذاتها بجميع مرافقها العمرانية والاجتماعية والاقتصادية والحربية. كانت آنذاك مدينة إدريسية، لبني محمد، تنافس مدينة سبتة وبسط الأندلسيون نفوذهم عليها منذ عام 319 هـ، وترد التهديدات التي تتلقاها منها. فمتى تأسست مدينة تطوان وعلى يد من ؟

إن قيام أي تجمع عمراني يرقى إلى مستوى مدينة يتطلب عهداً وزمناً طويلا في أغلب الحالات. لكن يختلف الأمر بين مثال المدن التي تظهر لدواع سياسية واقتصادية على يد زعماء يحتفظ التاريخ بأسمائهم، وبين المدن التي نشأن وتطور عمرانها على يد سكان المنطقة، دون أن يعلم أحد بمؤسسها. فهذا المثال الأخير ينطبق على مدينة تطوان. فإذا كنا نستند إلى ما أورده البكري لإثبات وجود المدينة، وهو من أهل القرن الخامس، فإننا نرد أصل تلك النصوص على الأقل إلى منتصف القرن الرابع الهجري، مما سجله محمد بن يوسف الوراق المتوفي سنة 362 هـ. ولذلك لا يمكن أن نرد التأسيس إلى الفترة الإدريسية التي بدأت بالشمال الغربي منذ سنة 213 هـ، إذ أن النصوص لم تصرح بذلك، وما كان عليها أن تتغافل أو تتجاهل ذلك لو أن تطوان كانت إدريسية النشأة، بل إن وجودها أقدم من ذلك.

وسكوت البكري من خلال المقتبس من الوراق عن الإفصاح عن المؤسس، دليل على أن المدينة تم تأسيسها على يد أهالي المنطقة، ولا بد أن يتم ذلك بصورة تدريجية. ولما كان نص البكري يشير إلى بني سكين المصموديين، واتخاذهم تطوان قاعدة لهم، فإن السؤال يعود : هل كان بنو سكين هؤلاء هم مؤسسي مدينة تطوان ؟. والواقع أننا نستبعد ذلك، ولو أننا لا ننكر أنهم ساعدوا على تطوير عمرانها وتثبيت مكانتها كمركز حضري.

فبنو سكين هؤلاء من سكان المنطقة القدامى، مصموديون مجكسيون، كانوا قبل سيطرة بني محمد الأدارسة سنة 213 هـ. ويمكن الإشارة إلى النصف الثاني من القرن الثاني الهجري. امتد نفوذهم على المساحة الممتدة من تطوان إلى رأس قَبُ مُنْت، الرأس الأسود الحالي، لتشمل الساحل إلى مصب واد تطوان أو مجكسة حسب البكري، صعودا مع مجرى نفس الواد إلى ما يقابل المدينة من جهة الجنوب. كان دورهم بارزاً في المنطقة، ومن الوجهة الاقتصادية خاصة. والمهم لدينا أن قرب العصر من الوراق دليل آخر على قدم مدينة تطوان، وبعد ظهورها عن النصف الثاني من القرن الثاني الهجري.

ولما كان بنو سكين هم خلفاء بني ماجكن المجكسيين على المنطقة منذ انسحاب زعيمهم ماجكن أو ماجكسن إلى سبتة بعد سنة 122 هـ. فإن أنظارنا توجهت إلى هذه الجماعة من المصموديين، قواد المنطقة قبل العقد الأول من القرن الثاني الهجري. نحن لا نستبعد أن تطوان المدينة قد نالت حظها من نتائج الاضطرابات التي عمت كلا من سبتة وطنجة بسبب الثورة الخارجية، ولكن هذا لا يمنعنا من التأكيد على وجود المدينة أثناء ذلك، استناداً إلى إشارة

البكري كذلك. إن أنه يصرح بوجود "قصبة ومنار للأُول". وحينما يستعمل البكري لفظ "الأول" نعلم ماذا كان يعني، فهو يريد الإشارة إلى زمن ما قبل العهد الإسلامي ببلادنا. فلا يسعنا سوى أن نقول إن وجود المدينة عائد إلى تلك الفترة السحيقة في القدم، بدليل وجود قصبة ومنار، فلا يمكن تصور وجودهما بدون حضور المجال العمراني والتجمع السكاني والوظائف الحضرية الضرورية. ويبقى تحديد البداية والوقوف عند ميلاد المدينة. وهذا ما لا تسعفنا به المصادر القديمة.

ويمكن التأريخ لوجود مدينة تطوان بعهد ما بعد مدينة تمودا، إذ من المستبعد التحدث عن ظهورها إلى جانب مدينة ذات مكانة في التاريخ القديم، قريبة منها على بعد ثمان كيلومترات فقط. وأيضا فإن ظهور تطوان لا يمكن أن يأتي إلا بعد انتهاء دور مدينة تمودا.

والخلاصة أن مدينة تطوان يمكن أن تكون ظهرت بعد تخريب تمودا على يد سكان المنطقة المصمودية قبل ميلاد المسيح عليه السلام لتقوم بوظائف المدينة القديمة، وموقعها المشرف على المجرى الأوسط لواد مجكسة (واد تطوان) من جهة، وهيمنتها على المصب، إلى جانب موقعها على الطريق البري المتجه إلى مدينة سبتة، وبالطبع لا يمكن التحدث عن تاريخ محدد لذلك الظهور ولا عن القوى السياسية والاجتماعية التي قادت المدينة سوى أنها مصمودية الأصل. أو عن تحديد مساحة المدينة ودرجتها العمرانية، فهذا من اختصاص أهل التاريخ القديم.

وبتلك الصورة وصلت مدينة تطوان إلى يد المجكسين ماجكن ثم بني سكين والأدارسة بعدهم. وهناك دليل آخر عن مصمودية مدينة تطوان أصلا وتأسيسا هو اسم المدينة الأمازيغي. فتطاوان جمع لمفرد تيط أي عيون الماء، ففي زمن البكري كانت بها "مياه كثيرة سائحة عليها الأرحاء". ولا شك أن تلك العيون السائحة التي أعطت المدينة اسمها هي التي تنساب اليوم بحي العيون في غرب المدينة، وأعطت اسمها أيضا للحي الذي تجري فيه.

أ. البكري، *المغرب*، 107 ـ 130 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 436 ـ 438 ـ 450 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 247 . مصطفى غطيس، *تمودة*، 43 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، ج. 1، 46 ؛ مارمول، *افريقيا*، 2 : 222 ؛ ج. كاني، *المغرب الشمالي في أواسط القرن الخامس الهجري*، *البحث العلمي* 1973، 130 ـ 143.

أحمد قدور

* تاريخ تطوان، أول من قام بمحاولة كتابته هو عبد السلام سكيرج المتوفى سنة 1250 / 1834 وعنوان كتابه الذي مازال مخطوطا : *نزهة الإخوان وسلوة الأحزان في الأخبار الواردة في بناء تطوان* ؛ والمحاولة الثانية كانت لأحمد الرهوني الذي أطلق على كتابه اسم *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، ويقع في عشرة مجلدات مازالت مخطوطة. وقد قمت بتكليف من معهد فرانكو للأبحاث المغربية الإسبانية بتلخيصه في جزء باللغة الإسبانية طبع بتطوان سنة 1953.

أما المحاولة الثالثة فهي لمحمد داود الذي سمى كتابه *تاريخ تطوان*، وهو يحتوي على عدة مجلدات لم يطبع منها سوى ثمانية، ويتعلق الأمر بتأليف ذي قيمة كبرى، غير أنه لا يمكن أن يعد بمثابة تاريخ تطوان النهائي لما فيه من ثغرات يجب ملؤها وأغلاط تتطلب التصحيح. وكل ما يمكن أن يقال عن العمل الجبار الذي قام به داود هو أنه مشروع لموسوعة تطوان ولو أنه لم يقدم على شكل الموسوعات لأن مواده غير مرتبة ترتيباً ألفبائياً، بالإضافة إلى أنه يحتوي على مواد كثيرة لا علاقة لها بتاريخ تطوان، وأنه لم يعتمد أساساً إلا على المراجع العربية فلم يلجأ إلى المصادر الأجنبية إلا نادرا، حين أننا نعلم أنه بدون الاطلاع على تلك المراجع مباشرة لا يمكن لأحد أن يكتب تاريخ تطوان ولا تاريخ شمال المغرب منذ بداية القرن التاسع الهجري (15 م).

إن أقدم مصدر جاء فيه أن مدينة تطوان أو تطاون كانت موجودة في عهد الأدارسة هو كتاب *المسالك والممالك*، لأبي عبيد الله البكري ـ كما ذكرنا آنفاً ـ.

ويؤكد وجود تطاون في عهد الأدارسة ما جاء في *القرطاس* إن تطاون كانت مع طنجة وسبتة من حظ الأمير سيدي قاسم بن إدريس الثاني في تقسيم المملكة الذي قام به سنة 213 السلطان محمد الأول من دولة الأدارسة.

ويشهد جميع المؤرخين بأن القائد محمد طملس الذي جاء من الأندلس إلى المغرب بأمر من الخليفة المستنصر قد توجه إلى تطوان للقضاء على المقاومة التي كان يقودها الأمير الإدريسي الحسن بن گنون سنة 361 / 972. كما يشهد المؤرخون بالاجماع بأن القائد الفاطمي بلگين، بعد احتلاله لعاصمة فاس سنة 369 / 979 توجه إلى شمال المغرب ومر بتطاون في طريقه إلى سبتة.

ومما يدل على أن تطاون كانت موجودة في عهد المرابطين والموحدين ما جاء في كتب التاريخ بأن قائد الكتيبة المسيحية التابعة لجيش السلطان المرابطي تاشفين ابن علي وهو الإسباني ريبرطير Reverter قد التجأ إلى تطاون عند ما كان في متابعة الجيش الموحدي بقيادة الخليفة الموحدي عبد المومن بن علي بشمال المغرب سنة 537 / 1142. ولا شك أن إيواء القائد المسيحي المذكور من طرف سكان تطاون كان سبب قتل ثمانمائة تطاوني من طرف الموحدين سنة 544 / 1150.

ليس لنا ما يدل على المكان الذي كانت توجد به مدينة تطاون في تلك العهود، ولكننا نتوفر على ما يثبت أن أقدم نواة لهذه المدينة كانت بحومة "السويقة" الحالية وبالضبط بالمكان المعروف بـ"المنجرة".

فعلا، هناك تقاييد تفيد أنه في سنة 542 / 1148 جاء إلى المكان المذكور الولي الصالح سيدي عبد القادر التبِّين، وشرع في بناء دور ودكاكين ومسجد ومطاحن. والغالب على الظن أن هذه المدينة الصغيرة (المنجرة) هي التي أطلق عليها الجغرافي الشريف الإدريسي المتوفى سنة 560 / 1165

اسم "حصن تطوان" في كتابه *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، وهذا الحصن هو الذي وصفه الجغرافي صاحب كتاب *الاستبصار في عجائب الامصار* بمدينة قديمة. ومن المعلوم أن هذا الكتاب وضع في النصف الثاني من القرن السادس الهجري.

أجمع المؤرخون على أن السلطان يوسف بن يعقوب المريني، هو الذي أنشأ قصبة تطاون سنة 685 / 1286 ونحن نشاطر الفقيه داود رأيه في أن القصبة المذكورة هي القصبة الموجودة داخل المدينة والمعروفة بقصبة سوق الحوت القديم في المكان المعروف بجامع القصبة.

ويقول جميع المؤرخين إنه في سنة 708 / 1308 قام السلطان أبو ثابت عامر المريني ببناء "أفراگ" كبير حول قصبة سوق الحوت القديم لينطلق منه إلى مدينة سبتة من أجل محاصرتها واسترجاعها من يد الأندلسيين.

وتشهد المصادر الإسبانية بأن الذي قام بإتمام بناء "أفراگ" المذكور هو السلطان سليمان بن عبد الله، فتم له استرجاع سبتة سنة 709 / 1809.

ويقول القنصل رُويزْ دي كُويڤَاْس (Ruiz de Cuevas) إن القلعة التي بناها أبو ثابت كانت تتوفر على بابين : باب بناحية الجنوب أطلق عليها اسم باب المدينة وباب المشور. ولا شك في أن "أفراگ" أبي عامر وكذلك قصبة يوسف بن يعقوب قد بقيا قائمي الذات طيلة القرن الثامن (14 م) بحجة أن ذكر مدينة تطاون ورد في *مقدمة* ابن خلدون.

ومما يدل على أن المدينة لم تكن ذات أهمية في ذلك العصر، أنها لم تذكر من بين مدن المغرب في كتاب *معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار* لابن الخطيب.

غير أن الناصري يؤكد أن تطاون بقيت قائمة الذات إلى غاية سنة 808 / 1400.

هنا يجب أن نتعرض لقصة وردت في عدد من كتب التاريخ وهي أن أسطول الملك الإسباني إنريكي الثالث قام بتخريب تطاون سنة 1399 أو 1400 / 802 - 803.

وهذه القصة لا أساس لها من الصحة فهي من اختلاق الكاتب الإسباني "گونْثَاليثْ دَابيلا" الذي جاء بها في كتابه *تاريخ حياة وأعمال الملك إنريكي الثالث ملك قشتالة*.

والدليل على عدم صحة هذه القصة هو أن مؤرخ دولة قشتالة آنذاك "لويس دي أجالا" لم يأت بها في كتابه *تاريخ الملك إنريكي الثالث*. وليس من المعقول أن يكون مؤرخ الدولة الرسمي قد أغفل ذكر مثل هذا الحدث المهم في حياة ولي نعمته.

ومن المعلوم أن أول كاتب أخذ هذه القصة عن "دابيلا" هو الكاتب الإسباني "مارمول كاربخال" الذي أوردها في كتابه *كشف عام لإفريقا*، وعنه أخذ المؤرخون الإسبان ومنهم المؤرخ كاسطييانوس Castillanos الذي جاء بها في كتابه *تاريخ المغرب*.

وعن كاسطييانوس أخذها الناصري فأوردها في كتابه *الاستقصا*، وهذا ما جعل المؤرخين المغاربة يرددون نفس القصة ومنهم الفقيهان الرهوني وداود.

والغريب أنه لا أحد من المؤرخين والكتاب اهتدى إلى ما كتبه الجغرافي الحسن الوزان الفاسي صاحب كتاب *وصف افريقيا*، الذي قال إن تخريب تطاون كان على يد البرتغاليين المحتلين لمدينة سبتة لا على يد الإسبانيين، غير أنه لم يذكر السنة التي وقع فيها ذلك، كما أنه لا أحد اهتم بما قاله المؤرخ البرتغالي دافيد لوبيس David Lopes في كتابه *البرتغاليون*، عندما أثبت عدم صحة تخريب تطاون سنة 803 / 1400 وذلك بتقديمه أدلة قاطعة لا تقبل الجدل.

تشهد الوثائق البرتغالية التي نتوفر عليها أن تطاون لم تهدم سنة 803 / 1400 بل كانت موجودة وقائمة الذات سنة 818 / 1415 وهي السنة التي احتل فيها البرتغال مدينة سبتة، بحجة أن سكان تطاون هم الذين كانوا يرابطون على مدينة سبتة فيعينون إخوانهم المغاربة المطرودين منها على مهاجمتها ومحاصرة البرتغاليين بها، بل هناك من سكان سبتة من التجأ إلى تطاون واستقر بها.

تؤكد الوثائق المذكورة أن الذي كان يترأس حصار سبتة سنتي 831 و832 / 1427 و1428 هو الولي الصالح سيدي طلحة الذي كان ينطلق إليها من تطاون. وهذا ما تؤكده المصادر الإسبانية مثل سوريدا وكربيادو أورطيگا وماركس ذي پرادو. إلا أن الأستاذ داود يقول : إن سيدي طلحة الدريج كان بتطاون حوالي سنة 653 / 1255، ونقلا عن سليمان الحوات يتأكد أن الولي المذكور انتقل من سبتة إلى تطاون فكان "يلازم الرباط للجهاد في الثغور"، وكان "له فرس يركبه للجهاد" وكان "يقاتل الكفار ومعه خمسون".

ونحن نتساءل : أين كانت توجد ثغور للجهاد وأين كان يوجد الكفار بأرض المغرب حتى يقاتلهم سيدي طلحة ويلازم الرباط عليهم في منتصف القرن السابع الهجري (منتصف القرن الثالث عشر الميلادي) والحالة هذه أن أول مدينة مغربية سقطت بأيدي الكفار كانت هي مدينة سبتة.

ونتوفر على حجة قاطعة تثبت وجود تطاون وقيامها بدور طلائعي في الجهاد ضد البرتغاليين المحتلين لمدينة سبتة، هي شهادة المؤرخ البرتغالي المعاصر للأحداث گوميسْ دي أثُورارَا (Gomes de Azurara) الذي يقول في كتاب *تاريخ الكونت دوارطي دي مينسيس* : إنه في سنة 839 / 1435 كانت تطاون مكاناً محصناً تحيط به الأسوار من كل جهة، وفيه أبراج لا تقل متانتها عن متانة القصبة، وهذا ما جعل "ابن الكونت ذي خيخون" يعتبر تطاون مدينة ذات أهمية تناسب مقامه العالي وشجاعته الأسطورية ليشارك في غزوها عسى أن يكتب له الاستيلاء عليها فيكون بذلك قد قام بعمل يناسب الاسم النبيل الذي يحمله".

ونفس الشهادة نجدها عند المؤرخ البرتغالي بالطاسار ذي أوسوريو (Baltazar de Osorio) في كتابه *سبتة خلال قيادة ضون بيدرو دي مينسيس* (1415 - 1437)، حيث يقول

إن الكونت ذي خيخون "انتقل إلى سبتة وعرض فكرته على حاكمها بيدرو دي مينسيس فوافقه عليها وأرسل معه ضد تطاون ابنه دوارطي على رأس كتيبة مكونه من خمسمائة محارب.

كان ذلك في صبيحة يوم من أيام شهر أكتوبر من سنة 1435 (ربيع الأول 839) خرجت فيه الكتيبة المذكورة من سبتة متوجهة إلى تطاون "وما أن وصلت إلى هذه المدينة حتى كان سكانها قد اتخذوا احتياطاتهم بسد أبواب المدينة".

ويقول المؤرخ أوسوريو : إن البرتغاليين تمكنوا من الوصول إلى أبواب المدينة فصاروا يقرعونها برماحهم وينادون السكان للخروج لمقاتلهم، فلم يفعلوا وعاد البرتغاليون إلى سبتة حيث لم يكونوا متوفرين على الآلات اللازمة لاقتحام مدينة محصنة.

والمؤرخ أوسوريو هو الذي جاء بخبر تهديم مدينة تطاون نقلا عن المؤرخين البرتغاليين المعاصرين للأحداث حيث قال في كتابه، ما يلي :

"في سنة 841 / 1437 نظم ضون دوارطي ابن حاكم سبتة حملة ضد تطاون، لكن سكان المدينة غادروها قبل وصوله إليها متأكدين من أنه رغم تحصينات المدينة لم يكن في إمكانهم الصمود في وجه العدد الضخم من المقاتلين البرتغاليين الذين توجهوا إليها.

"ولم يكن البرتغاليون بحاجة إلى استعمال أسلحتهم، ولكنهم تمكنوا من تحطيم الأسوار والأبراج وكل ما يمكن أن يساعد على إعادة تحصين المدينة من جديد، وكان لهذا الحدث أثر كبير في البرتغال حيث ابتهج له الجميع فأقيمت الحفلات بتلك المناسبة وكان ذلك سبباً في أن فكر الملك البرتغالي ضون دوارطي الأول في احتلال طنجة.

وفي يوم 23 صفر 841 / 26 غشت 1437 وصل إلى مياه سبتة الأسطول البرتغالي الذي كان يحمل الجيش الذي أرسله الملك دوارطي الأول برئاسة الاميرين إنريكي وهيرناندو من أجل الاستيلاء على مدينة طنجة.

ومن سبتة توجه قسم من هذا الجيش إلى طنجة عن طريق البحر وقسم آخر عن طريق البر تحت رئاسة الأمير إنريكي الذي كان يريد مشاهدة تطاون المحطة. ويقول المؤرخ البرتغالي روي دي بينا (ص. 54) في هذا الصدد : "عندما وصل الأمير إنريكي إلى تطاون يوم 10 شتمبر وجدها خاوية على عروشها، لأن ضون دوارطي ابن الكونت ضون بيدو دي مينسيس حاكم سبتة كان قد أغار عليها منذ أيام من أجل احتلالها ولكن سكانها فروا من وجهه فما كان عليه إلا أن كسر أبواب المدينة وحطم جميع تحصيناتها.

ورغم هذا كله يقول المؤرخ البرتغالي دافيد لويس : "إنه لم يتم تحطيم تطاون بصفة نهائيا سنة 841 / 1437، والغالب على الظن أنها لم تبق خالية، غير أن عدد سكانها أصبح قليلا حيث لم تكن تطاون منذ ذلك الوقت خطرا على النصارى لا في البر ولا في البحر كما كان شأنها من قبل".

وحتى إذا لم يكن الأمر كذلك، أي إذا فرضنا أنها بقيت خالية بعد تخريبها سنة 841 / 1437 فإن ذلك ينفي على كل حال القصة القائلة بأنها خربت سنة 803 / 1400، وسنرى فيما بعد أنها لم تبق خالية إلا سبعا وأربعين سنة لا تسعين سنة كما ورد في معظم كتب التاريخ.

يتضح مما تقدم أن تطاون بقيت مخربة من سنة 841 / 1437 إلى أن قام بإعادة بنائها المسلمون الأوائل الذين هاجروا من الأندلس إلى هذه الناحية سنة 888 أو 889 / 1484 - 1485 أي قبل سقوط غرناطة بثمان سنوات على الأقل.

ولم يتم ذلك التجديد الأول على يد علي المنظري كما يقول الأستاذ داود أحيانا لأن المنظري الأول لم يقم إلا بالتجديد الثاني للمدينة سنة 898 / 1493. ونقول إن الأستاذ داود يقول ذلك أحيانا لأنه ينساق وراء نظرية بعض المؤرخين الذين يشكون في وقوع التجديد الأول فيشك الأستاذ داود بدوره في ذلك، مع أنه يتوفر على حجتين : حجة جاء بها مخطوط تطوان، حيث يقول : إن التجديد الأول وقع سنة 889 / 1485، وحجة أتى بها الفقيه سكيرج الذي قال في كتابه *نزهة الإخوان* : إن ذلك كان سنة 888 / 1484.

وتجدر الإشارة إلى أن المؤرخ البرتغالي دافيد لويس بالرغم من أنه لم يطلع على مخطوط تطاون ولا على *نزهة الإخوان*، أكد أنه من المحتمل أن يكون تجديد تطاون الأول قد وقع إما سنة 888 / 1484 أو سنة 889 / 1485 ويرجح الافتراض الأول.

ونحن نتوفر على حجة قاطعة في الموضوع جاء بها المؤرخ البرتغالي كوميس دي أثورارا المتوفى سنة 892 / 1487 في كتابه *تاريخ الكونت ضون دوارطي دي مينسيس*، حيث قال إن تطاون كانت سنة 892 / 1487 "قلعة محصنة تدور بها أسوار وأبراج متينة وتوجد بها قصبة محصنة والجنود الموجودون بها هم الذين يقومون ضدنا بسبتة من حين لآخر".

وفي ذلك دلالة قاطعة على أن تطوان كان قد أُعيد بناؤها ولو جزئيا قبل سنة 892 / 1487 على أيدي الأندلسيين الذين وردوا على شمال المغرب قبل مجيء المنظري ببضع سنين ؛ وهو ما تقره المقطعة التي يستظهرها سكان تطوان أبا عن جد :

قد بُنيت تطاون يقينا	عام تُفاحة من السنينا
في شهر شعبان في حرف الزاء	ابتدأوا الحفير والبناء
وكُملت عند تمام الكاف	قد صح ذا عندي بلا خلاف
وكان عدةُ الرجال الأبرار	ميم وزاء ليس ثم أكثر
وعدة النسا فقط الياء	فهؤلاء أسسوا البناء

ونصها في رواية أخرى :

قد بُنيت تطاون يقينا	تُفاحة من عدة السنينا
وكُملت عند تمام الكاف	قد صح ذا عندي بلا خلاف
في شهر شعبان في حرف الزاء	ابتدأوا الحفير والبناء

وكان عدةُ الرجال الأبـرار ميم وزاء ليس ثم أكثر
وعدة النسا فقط اليـاء فهؤلاء أسس البنـاء

والغالب على الظن أن التجديد الأول لتطاون لم يشمل سوى القصبة التي بناها يوسف بن يعقوب وأفراگ الذي أنشأه أبو ثابت، أي ما كان يكوِّن المدينة التي خربها البرتغاليون سنة 841 / 1437.

بعد أن أثبتنا أن التجديد الأول للمدينة في سنة 888 - 889 / 1484 - 1485 لم يكن على يد علي المنظري بقي أن نبحث عن الرجل الذي التجأ إليه الأندلسيون ليساعدهم على إعادة بناء تطوان، فنقول : إن الذي أشرف على ذلك هو أمير شفشاون علي ابن راشد العلمي المتولي أمر الجهاد بالناحية الشمالية الغربية من المغرب.

ونعتمد في قولنا هذا على ما قاله المؤرخ البرتغالي ماسكارينهاس في كتابه *تاريخ سبتة*، حيث جاء أن حاكم سبتة أنطونيو دي نورونها "قام لأول مرة سنة 893 / 1488 بهجوم ضد الأراضي المجاورة ولكنه سقط أسيراً بيد ابن راشد ومعه عدة ضباط من بينهم كريسطوڤال دي ميلو وسيمون سوسا ومرطين فاسكيس وهيرناندو كوطينيو.

وهناك إشارات برتغالية أخرى تثبت أن الشخص الذي كان في إمكانه أن يساعد الأندلسيين على إعادة بناء المدينة هو علي ابن راشد الذي تقول عنه الوثائق البرتغالية إنه كان يقوم وحده بمهاجمة مدينتي سبتة وطنجة، وذلك إلى غاية سنة 900 / 1495 حيث ظهر برفقته لأول مرة القائد المنظري.

يتضح مما تقدم أنه خلافا لما يقوله الفقيه داود فإن أول من حكم تطاون بعد إعادة بنائها الأول هو أمير شفشاون علي ابن راشد وذلك من سنة 888 / 1484 إلى سنة 898 / 1493.

وسنرى فيما بعد كيف أن كلاً من ابنه إبراهيم وبنته الست الحرة كتب لهما أن يحكما المدينة بعده.

صحيح إن التجديد الثاني لمدينة تطاون كان أهم من الأول وكان على يد علي المنظري (الأول) ولكنه لم يتم إلا بعد سقوط غرناطة، أي في شهر شعبان عام 898 / يونيو 1493.

نقول هذا اعتمادا على المصادر التالية :

أولا : كتاب *نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر* الذي جاء فيه أنه "بعد سقوط غرناطة خرج أهل رندة وبسطة وحصن موجر وقرية قردوش وحصن مرتيل إلى تطاون وأحوازها".

ثانيا : كتاب *وصف إفريقيا* للحسن الوزان الذي يقول إن "الذي قام بإعادة بناء تطاون وعمرها هو القبطان الغرناطي الذي جاء إلى فاس صحبة ملك غرناطة سنة 900 / 1495".

ثالثا : كتاب *إفريقيا* لمارمول كارباخال الذي يؤكد أن تطاون بقيت مخربة مدة تسعين سنة فتكون إعادة بنائها بالنسبة له قد تمت بعد سنة 895 / 1490.

رابعا : كتاب *تاريخ سبتة* للمؤرخ البرتغالي ماسكارينهاس الذي جاء فيه أن تطاون "بقيت مخربة مدة تزيد على تسعين سنة إلى أن قام الملك الكاثوليكي باحتلال مدينة غرناطة سنة 1492".

خامسا : كتاب *البرتغاليون* للمؤرخ دافيد لوپيس الذي يؤكد أن "المنظري من المحتمل أن يكون قد أعاد بناء تطاون قبل سنة 900 / 1495 أي قبل السنة التي ورد اسمه لأول مرة في كتب التاريخ البرتغالية".

سادسا : كتاب *الاستقصا* للناصري السلاوي الذي يعتمد على المؤرخ الإسباني كاسطيانوس فيقول إن إعادة بناء تطاون تم على يد المنظري بعد سقوط غرناطة.

سابعا : *تقييد* محمد العربي الفاسي الذي يقول : "إن المنظري أعاد بناء تطاون سنة 898 / 1493 وبالضبط في يوم 7 شعبان موافق 24 مايو".

إلا أن الفقيه داود يخالف هذه الآراء ويؤكد بأن المنظري هو الذي قام بتجديد بناء تطاون سنة 889 / 1485 لا في سنة 898 / 1493 دون أن يقول لنا لماذا رفض آراء أغلبية المؤرخين المعاصرين للأحداث، خصوصا وأنه يعلم أن الفقيه الرهوني يقول في *عمدة الراوين* "إن علي ابن راشد بعث الولي الصالح محمد بن علي المنظري الأندلسي الأصل الشفشاوني الدار، فأقام المنظري على بناء الاسوار، كما يقول : "إن محمد بن علي المنظري كان ساكنا في شفشاون وأرسله مولاي علي ابن راشد أمير شفشاون إذ ذاك ليبني لمهاجري غرناطة بلدا".

وعلى كل حال فإن التجديد الثاني لمدينة تطاون لم ينحصر في القصبة التي بناها يوسف بن يعقوب وفي أفراگ الذي أنشأه أبو ثابت وهو ما اشتمل عليه التجديد الأول للمدينة، بل إنه شمل مساحة أوسع وهي ما تعرف اليوم بحومة البلد. بالإضافة إلى القصبة الجديدة التي بناها المنظري الأول بجبل درسة.

ويبدو أن المدينة الجديدة كان يحيط بها سور به ثلاثة أبواب : باب المدينة القديمة، وباب بالناحية الشرقية يعرف بباب السفلي (وهو الذي يعرف الآن بباب السلوقية) وباب ثالث بالناحية الغربية أطلق عليه اسم باب السلسلة (وهو المعروف الآن بباب الصياغين) والذي حل محل باب المشور الذي صار داخل المدينة.

وهذا ما يتفق مع ما قاله محمد العربي الفاسي الذي عاش بتطاون فيما بين سنة 1032 و1052 / 1628 - 1648 والذي قال إن تطاون في عهد المنظري الأول كانت تتوفر على ثلاثة أبواب وأن السياج الذي كان يحيط بالمدينة يتكون من سورين علوهما سبعة أذرع وكان يدور بالسورين حفير.

لدينا من الحجج ما يثبت أن المنظري (الأول) حكم تطاون بصفته قائدا تابعا لأمير شفشاون ابتداء من سنة 898 / 1493 ولم يكن "حاكما مستقلا" أن المدينة كانت حسب تعبيره "تكون شبه إيالة صغيرة تحت إمرته" وبحكم أنه لم يكن بين المنظري وابن راشد إلا "علاقة ودية متينة".

بل الحقيقة هي أن المنظري الأول حكم تطاون بصفته مجرد قائد تابع لأمير شفشاون، والدليل على ذلك هو أن المؤرخ البرتغالي گوييش صاحب كتاب *تاريخ الملك ضون منويل* عندما يشير إلى المنظري فإنه يصفه دائما "بقائد تطاون" لا أقل ولا أكثر، في حين أنه يطلق على علي ابن راشد لقب "سيد القوم بين المغاربة" ولفظة "السيد" (Señor) عند البرتغاليين والإسبانيين تعني "الأمير".

وهناك حجة أخرى جاء بها الفقيه سكيرج المتوفى في تطاون سنة 1250 / 1834 تثبت أن المنظري الأول كان مجرد قائد تابع لأمير شفشاون، ذلك لأن التطاونيين لم يتجرأوا على دفن المنظري عند وفاته سنة 910 / 1504 إلا بعد أن استشاروا مع علي ابن راشد في المكان الذي يجب أن يدفن فيه.

والمنظري الأول هو أب المنظري الرابع وجد المنظري الثالث والجد الثاني للمنظري السادس وعم المنظري الثاني.

توفي المنظري الأول سنة 910 / 1504 وخلفه كقائد على تطاون ابن أخيه المنظري الثاني لا حفيده كما يقول الأستاذ داود. ولا ندري لماذا اعتمد الأستاذ داود في ذلك على مارمول كاربخال الذي اعتمد بدوره على الحسن الوزان الذي زار تطاون وسمع من أهلها أن المنظري الأول خلفه "حفيده" ولكنه لم يكن يعلم أن الحفيد بالنسبة لأهل تطاون قديما وحديثا هو كذلك ابن الأخ.

وتقول المصادر البرتغالية المعاصرة إن اسم المنظري الثاني كان هو نفس اسم عمه علي، فلا معنى لكلام الأستاذ داود عندما يقول "لعل اسمه محمد".

وخلافا لما يقوله الأستاذ داود فإن المنظري الثاني لم يكن حاكما مستقلا بتطاون بل كان مثل عمه مجرد قائد تابع لأمير شفشاون.

توفي المنظري الثاني سنة 924 / 1518 لا سنة 935 / 1528، والدليل على ذلك هو أن المصادر البرتغالية المعاصرة للأحداث تؤكد أنه في سنة 924 / 1518 أصبح إبراهيم ابن راشد يحكم تطوان مباشرة وذلك إلى غاية سنة 931 / 1525 حيث سلم قيادة المدينة لاخته الشقيقة الست الحرة.

خلافاً لما عند داود من أن الست الحرة حكمت تطوان نوعاً ما في سنتي 948 و949 / 1541 ـ 1542 فإن حكمها للمدينة كان لمدة سبع عشرة سنة بالحساب الميلادي، وقد مرّ حكمها بأربع مراحل :

المرحلة الأولى بصفتها قائدة تابعة لأخيها مولاي إبراهيم وذلك من سنة 931 / 1525 إلى سنة 935 / 1528.

المرحلة الثالثة بصفتها سيدة تطوان كما تصفها المصادر البرتغالية المعاصرة وذلك من سنة 935 / 1528 إلى سنة 946 / 1539.

المرحلة الثالثة عندما توفي أخوها إبراهيم واضطرت إلى إشراك صهرها (زوج ابنتها) المنظري الثالث في حكم تطوان وذلك من سنة 946 / 1539 إلى سنة 948 / 1541.

والمرحلة الرابعة عندما تزوجت بسلطان فاس أحمد الوطاسي الذي حضر إلى تطوان لعقد قرانه بها يوم 5 ربيع الأول 948 / 30 يونيو 1541 وظلت بتطوان بصفتها خليفة لزوجها من ذلك اليوم إلى يوم 12 رجب 949 / 22 أكتوبر 1542 حيث تعرضت لمؤامرة أطاحت بها وحل محلها المنظري الرابع.

لقد ترتب عن الإطاحة بالست الحرة أن أصبح المنظريون يحكمون المدينة بصفة مستقلة من سنة 949 / 1542 إلى سنة 975 / 1567. وخلال هذه المدة حكم تطوان أربعة من أولاد المنظري.

ولا صحة لما جاء به كل من سكيرج والرهوني وداود من أنه بعد المنظري الرابع حكم تطوان بالتتابع كل من علي الذيب وعلي الوسخ ومحمد الصبان ومحمد بوردان وعبد الرحمن العلج حيث إنه ليست هناك أي وثيقة تثبت ذلك، وكل ما في الأمر أن سكيرج وجد أمامه فراغا في تاريخ تطوان خلال الفترة الأولى من العهد السعدي فطاب له أن يفترض حكاماً لم نجد لهم ذكرا في أي مصدر آخر سوى مخطوطه.

والحقيقة أن تطوان كانت، في عهد السلطان عبد الله الغالب السعدي، خاضعة للقائد العام الذي كان مقره بالقصر الكبير القائد رحو بن تودة، ثم أصبحت تحت حكم ولده عبد الكريم، وذلك إلى سنة 984 / 1577 حيث كان للسلطان عبدالملك المعتصم بها قائد اسمه المفضل.

وابتداء من سنة 988 / 1580 وإلى غاية سنة 1019 / 1610 أصبحت المدينة تحت الحكم المباشر لأولاد النقسيس، كان أولهم محمد بن عيسى النقسيس وآخرهم عبد الكريم النقسيس الذي سلم المدينة إلى الشيخ المأمون بعد عودته من إسبانيا في شهر شعبان 1019 / نوفمبر 1640.

وقد احتفظ المأمون بتطوان إلى أن لقي حتفه على أيدي سكان الناحية يوم 5 رجب عام 1022 / 21 غشت 1613، عنئذ عاد أولاد النقسيس لحكم تطوان إلى غاية شهر ربيع الأول 1041 / أكتوبر 1631 حيث استولى عليها المجاهد العياشي وذلك إلى أن قتل يوم 16 محرم 1051 / 30 أبريل 1641 فعاد عبد الكريم النقسيس إلى حكم المدينة، وفي السنة التالية اعترف بنفوذ الزاوية الدلائية.

وفي 30 شوال 1072 / 8 يونيو 1662 استولى الخضرغيلان على تطوان وظلت تحت نفوذه إلى يوم 11 ربيع الأول 1078 / 31 غشت 1667 حيث دخلت تحت طاعة السلطان مولاي رشيد العلوي.

وفي عهد السلطان مولاي إسماعيل أصبحت تطوان مقر القيادة العامة في شمال المملكة، أسندت أولا للقائد أحمد بن حدو الحمامي ثم للقائد علي بن عبد الله الحمامي ثم لابنه الباشا أحمد بن علي الريفي ؛ وعلى إثر وفاة السلطان مولاي إسماعيل عرفت تطوان اضطرابا كبيرا لمدة قصيرة تنازع خلالها على حكم المدينة الباشا المذكور والحاج عمر لوقش أحد أقطاب تطوان، وذلك إلى أن تولى الملك السلطان سيدي محمد بن عبد الله فدخلت المدينة تحت

ضعته بصفة نهائية.

وفي عهد السلطان مولاي عبد الرحمن هاجرت إلى تطوان أسر جزائرية جلها من تلمسان ووهران وذلك على إثر الاحتلال الفرنسي للقطر المذكور سنة 1246 / 1830.

وفي يوم 13 رجب 1276 / 6 فبراير 1860 احتلت الجيوش الإسبانية مدينة تطوان ثم غادرتها يوم 3 ذي القعدة 1278 / 2 مارس 1862 كانت المدينة تخضع لحكم الغزاة الذين عينوا إلى جانب الحاكم الإسباني باشا مغربيا هو الحاج أحمد بن علي أبعير.

وبعد مرور ثلاث وخمسين سنة عرفت تطوان احتلالاً ثانيا من طرف الجيش الإسباني، دخلها بدون قتال يوم 12 ربيع الأول 1331 / 19 فبراير 1913، وفي يوم 20 جمادى الأولى / 27 أبريل من نفس السنة حل بها أول خليفة للسلطان بشمال المغرب وهو الأمير مولاي المهدي بن إسماعيل، وكان أول باشا عرفته المدينة في عهد الحماية هو الحاج أحمد بن محمد الطريس.

وفي سنة 13 ربيع الأول 1243 / 25 أكتوبر 1923 توفي الخليفة مولاي المهدي وظل منصبه شاغرا إلى يوم 26 ذي القعدة 1343 / 19 يونيو 1925 حيث عين مكانه ولده الصغير الأمير مولاي الحسن بن المهدي الذي استمر يزاول مهامه بتطوان إلى يوم 7 أبريل 1956 حيث اعترفت إسبانيا باستقلال المغرب.

المصادر المذكورة داخل النص ؛ م. ابن عزوز حكيم، *الجديد في تاريخ تطوان* (تحت الطبع).

* * معركة تطوان، جرت بسهل مرتين يوم 11 رجب 1276 / 4 فبراير 1860 فكانت السبب في سقوط المدينة يوم 13 رجب / 6 فبراير. فمنذ أن أعلنت إسبانيا الحرب على المغرب يوم 25 ربيع الأول 1276 / 22 أكتوبر 1859 وغزت جيوشها أرض المغرب انطلاقاً من سبتة يوم 23 ربيع الثاني / 19 نوفمبر كانت القوات المغربية الغير منظمة قد انهزمت في عشرين جولة، الشيء الذي مكن الجيش الإسباني من احتلال قاعدة مرتين يوم 22 جمادى الثانية / 16 يناير 1860 ؛ ومن ذلك اليوم إلى يوم 3 فبراير والقيادة العسكرية الإسبانية تستعمل لخوض المعركة الفاصلة التي ستمكنها من الاستيلاء على مدينة تطوان.

تقول التقارير الإسبانية السرية إنه لو كان الأمير مولاي العباس قائداً عسكرياً له إلمام بقواعد الحرب لما ترك القائد الأعلى للجيش الغازي الجنرال اودونيل (O'Donnell) ينظم خلال ثمانية عشر يوماً شؤونه ويقوم بالاستعدادات اللازمة لخوض معركة تطوان، ولعلم أن الاستراتيجية العسكرية كانت تقضي بأن يظل داخل تطوان ويقوم بتحصين أسوارها بالعدد الكافي من المدافع التي كان يتوفر عليها بدلاً من أن يقيم معسكره ومعسكر أخيه الأمير مولاي أحمد خارج المدينة في مكان يصعب تحصينه، ظنا منه بأن الجيش الإسباني لم يكن يتوفر على فرقة من الخيالة قادرة على مواجهة الخيالة المغربية التي كانت تتكون من خمسة عشر ألف فارس بالإضافة إلى عشرين ألفاً من المشاة.

وتقول نفس التقارير الإسبانية السرية إن مولاي العباس كان قد قام يومي 23 و31 يناير بمهاجمة المعسكر الإسباني بمرتين حيث تيقن من أن الإسبانيين سوف لن يتمكنوا من استعمال مدافعهم في حالة ما إذا قاموا بهماجمة المعسكر المغربي، إذ أنه ظن أن الإسبانيين لن يكون في وسعهم اجتياز وادي القنطرة الذي كان يفصل المعسكرين الإسباني والمغربي، حيث إنه كان يجهل استطاعة فرقة الهندسة العسكرية أن تمد قناطر خشبية فوق النهر المذكور في بضع ساعات، والحالة هذه أن تلك الفرقة تمكنت في ليلة 3 فبراير من مد أربع قناطر فوق وادي القنطرة دون أن يشعر المغاربة بذلك.

وكانت النتيجة أنه على الساعة التاسعة من صباح يوم 11 رجب / 4 فبراير تحرك الجيش الإسباني وعدده خمسة وعشرون ألف مقاتل من قاعدته بمرتين، وكان على رأسه بالإضافة إلى القائد الأعلى، الجنرالات : پريم (Prim) وروس أولانــو (Ros Olano) وطرون (Toran) وألْكَــلاَ غَالْيَانُو (Alcala Galiano) وماكينا (Mackena) وأرُوثْكو (Orozco) وكيسَادا (Quesada) وذي لُـوسْ رِّيـُوسْ (De Los Rios) وغَرْثِييًّا (Garcia) وإنْريكي أودونيلْ (Enrique O'Donnell) أخ القائد الأعلى.

وعندما اجتازت القوات الإسبانية بمدافعها وادي القنطرة تعرضت لقصف مكثف من طرف المدفعية المغربية، ورغم ذلك استمرت تلك القوات في سيرها إلى أن أصبحت على بعد كيلومتر واحد من المعسكر المغربي الرئيسي ؛ وعندئذ أمر الجنرال أودونيل باستعمال مدافعه وعددها ستة وخمسون مدفعا لقصف معسكر مولاي العباس، وشاء القدر أن تصيب إحدى القنابل مستودع البارود فاشتعلت النيران في المعسكر حيث عمل الفزع عمله في صفوف المغاربة.

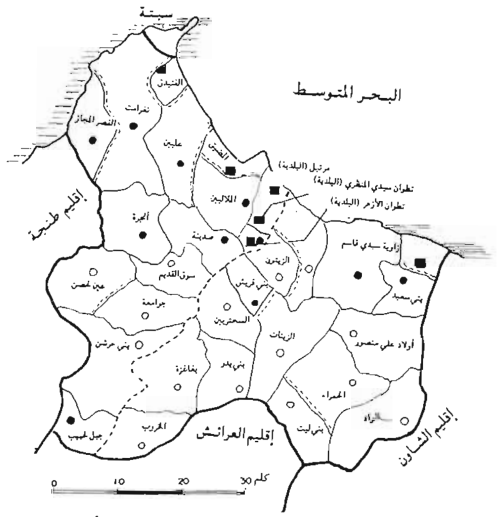
واغتنم الجنرال أودونيل ذلك الاضطراب ليأمر قواته باقتحام المعسكرين معاً، وعندئذ بدأت المعركة الحقيقية التي دامت نصف ساعة من العاشرة ونصف صباحاً إلى الحادية عشرة، كان جل القتال أثناءها بالسلاح الأبيض وانتهت باحتلال المعسكرين والاستيلاء على ما يوجد بهما من مدافع وقنابل وبارود وفساطيط وخيام ومأكولات، بل وحتى الأعلام المغربية ورايات الاميرين مولاي العباس ومولاي أحمد.

وتقول التقارير الإسبانية إن عدد خسائرهم كانت 67 من القتلى و1041 من الجرحى و7 من المفقودين أي ما مجموعه 1115 رجلا ؛ وأما الخسائر المغربية فقد كانت حسب تقديراتهم تفوق ثلاثة آلاف من الشهداء والجرحى، وقد ترك المغاربة في أرض المعركة أكثر من ثلاثمائة وخمسين جثة.

بات الجيش الإسباني ليلة 4 فبراير بالمعسكرين المغربيين وهناك استقبل الجنرال أودونيل في اليوم التالي الوفد الذي نصّب نفسه وكيلا عن سكان تطوان لمعرفة شروط استسلام المدنية، وكانت النتيجة أن وقع الاتفاق على أن يدخل

الجيش الإسباني تطوان بدون قتال، وكان الأمر كذلك حيث تم احتلال المدينة يوم 13 رجب 1276 / 6 فبراير 1860.

وقد منحت الملكة الإسبانية إيسابيل الثانية (Isabel II) الجنرال ليوبولدو أودونيل (Leopoldo O'Donnell) رئيس القوات الإسبانية التي غزت المغرب. لقب دوق تطوان (Duque de Tetuan) بأمر صدر يوم 7 فبراير 1860، أي غداة سقوط مدينة تطوان بيد الجيش الإسباني، ولم ينشر إلا يوم 27 أبريل من نفس السنة.



إقليم تطوان التقسيم الإداري الأخير

تطوان، مجلة للأبحاث المغربية الأندلسية، أنشأتها بتطوان وزارة التربية الوطنية ثم صارت تابعة لمعهد مولاي الحسن للأبحاث المغربية الأندلسية، وكان الغرض منها ملء الفراغ المترتب عن عدم اهتمام مجلة تامودا (Tamuda) بالأبحاث الموضوعية باللغة العربية.

صدر العدد الأول منها سنة 1956، وحيث إنها كانت سنوية فقد صدر عددها الثاني سنة 1957 وعددها المزدوج 3 و4 سنة 1959 وبعد احتجاب طال مدة خمس سنوات صدر العدد الحادي عشر سنة 1971 وهو آخر الأعداد.

كانت هيأة تحريرها مكونة من الرئيس الذي لم يذكر اسمه إلا في العدد الأول وهو محمد الفاسي وزير التربية الوطنية آنذاك؛ خليفة الرئيس محمد عزيمان نائب وزارة التربية في الشمال، وابتداء من العدد الثاني صار عضوا ولم يذكر اسمه في العد العاشر؛ وكان محررها محمد ابن تاويت التطواني، وعضوية عبد الله گنون ومحمد المنوني وإبراهيم الكتاني وآخرين.

قامت مجلة تطوان بعمل مهم في مجال البحث العلمي، ونشرت عدداً من الأبحاث والمقالات القيمة، والنصوص المحققة أو المترجمة.

تطوان، مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية، الأعداد 11.

محمد ابن عزوز حكيم

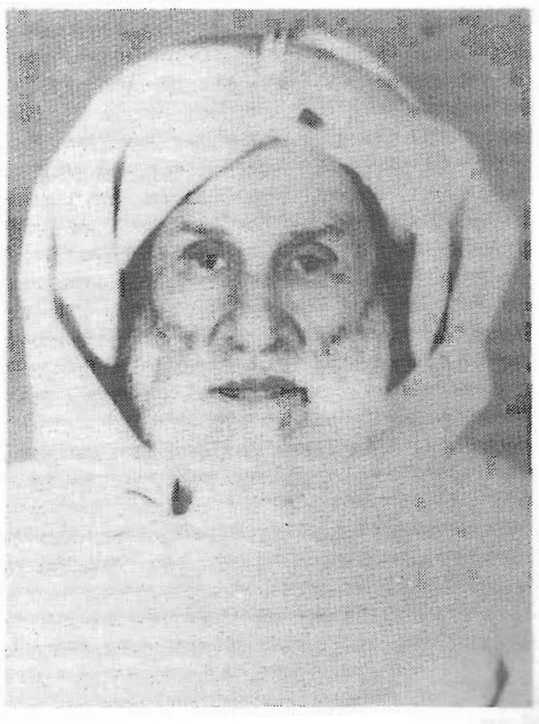
التطواني أو التطاوني، أسرة سلوية عريقة أصلها من عرب الشاوية، قبيلة المذاكرة، لا يعرف تاريخ انتقالهم إلى مدينة سلا لكن يبدو أن ذلك تم قبل أكثر من قرنين. ونسبة التطواني المعروفون بها أتت من إقامة أحد أجدادهم بمدينة تطوان مدة طويلة فلما رجع إلى سلا دُعي التطواني وعُرف أهله منذئذ بالتطوانيين. وتوجد بعض الرسوم العدلية القديمة تصفهم إلى جانب التطوانيين بالشاويين السلويين. وقد أدرك الفقيه محمد التطواني آتي الترجمة بعض المعمرين من بني عمه بسلا يتصلون بذويهم في المذاكرة بالشاوية ويتزاورون معهم، ثم انقطعت الصلات بعد ذلك. وكان من التطوانيين السلويين في القرن الماضي مجاهدون بحريون وطبجيون تذكر الوثائق منهم الحاج أحمد التطواني الذي كان يسكن بدرب حرارثة ونال حظه من صلة الحسن الأول المخصصة للمجاهدين البحريين، وحجي بن الحاج المعطي التطاوني، والحاج عبد ... بن الحاج المصطفى التطاوني الذين نالوا حظهم من صلة الحسن الأول المخصصة للمجاهدين الطبجيين والبحريين السلويين بتاريخ 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875. كما كان منهم فلاحون وحرفيون وأخيار ناسكون مثل محمد بن سليمان التطواني مؤذن مسجد التادلاوي المذكور في زمام المؤذنين بسلا المؤرخ في 18 شعبان عام 1278 / 18 فبراير 1862 وعبد الكريم التطواني الساكن بدرب الحمام من حومة باب سبتة المدرج اسمه في قائمة الذين نالوا صلة الحسن الأول بتاريخ 5 ذي الحجة عام 1290 / 24 يناير 1874.

التطواني، أبو بكر بن محمد (ثلاث مرات) بن بوشعيب الشاوي السلوي. ولد بسلا في حدود عام 1280 / 63 - 1864، وبها نشأ ودرس على أعلام شيوخها أمثال عبد الله بن خضراء، وأحمد بن خالد الناصري. ثم أخذ بفاس عن الشيوخ الأجلة: مَحمد القادري والتهامي الوزاني وجعفر الكتاني ومحمد گنون. واتصل بالشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني وأخذ عنه الطريقة الكتانية ولازمه مدة طويلة، فكان يجيب عن الرسائل التي ترد على الشيخ من مختلف الشخصيات والجهات يتناول بعضها إشكالات صوفية وذوقية، أو اعتراضات على الطريقة الكتانية، فكان الشيخ الكتاني يستحسن هذه الأجوبة ويحتفظ بنسخ منها عنده، وقال ولد المترجم عنها "لو جمعت لكونت أجزاء".

اشتغل أبو بكر التطواني حين رجع إلى سلا بالتدريس، وكان من جملة الآخذين عنه إدريس ابن القائد عبد الله بن سعيد، ثم انتقل إلى طنجة في عام 1318 / 1900 حيث عين كاتباً بدار النيابة وكان يعد من الكتاب الممتازين الذين يتقاضون أعلى أجر شهري (75 ريالا) وبقي في عمله هذا أربع سنوات ثم عاد إلى مسقط رأسه يدرِّس ويناظر ويراسل. واشتغل بعد ذلك بالكتابة مع الأمين الباشا الصديق برگاش بالرباط قبل أن يلتحق ببلاد زمور الشلح حيث عين قاضياً بها، ثم بسيدي سليمان من بلاد بني حسن حيث بقي يزاول عمله إلى أن أدركته الوفاة هناك.

ألف شرحاً *لتحفة ابن عاصم*، إلا أنه مات قبل إتمامه ؛ وشرحاً *لقول أبي يزيد البسطامي : خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله*، بالإضافة إلى مجموعة *رسائله الكبرى*. توفي قاضياً بسيدي سليمان في منتصف شوال عام 1337 / 14 يوليوز 1919. ودفن بجوار الولي الصالح سيدي سليمان.

التطواني، محمد بن أبي بكر بن محمد الشاوي السلوي، ويدعوه السلويون الفقيه التطواني. ولد بسلا في متم رمضان عام 1318 / 21 يناير 1901، ونشأ في أسرة عالمة متصوفة متوسطة الحال. وأخذه معه والده إلى طنجة حين عين كاتباً بدار النيابة. وقبل أن ينهي السنة الثالثة من عمره أدخله والده إلى كتاب الفقيه التوزاني بطنجة. ثم أتم حفظ القرآن الكريم وتجويده في مسقط رأسه على يد الفقهاء الأساتيذ محمد بوعلو ومحمد بنسعيد ومحمد بريطل. وقد ذكر أنهم كانوا يقسون عليه ويجلدونه حتى لا يستطيع السير على قدميه دون أن يذكر السبب. ولعل لهربه إلى البادية من حين لآخر دخلا في ذلك. كما كان والده يقسو عليه فيوقظه عند الفجر للصلاة، ويكلفه بأشغال تشق عليه وهو مايزال صغيراً، كجلب الماء من مكان بعيد عن بيتهم، وحمل الطعام للراعي ومساعدته في قيادة البقر إلى المرعى. ويذكر عن والده أنه كان معتل الصحة حاد المزاج يحب أن تنفذ أوامره دون مراجعة.



بدأ محمد التطواني دراسته اللغوية والشرعية بمسقط رأسه على يد والده، وأحمد بن الفقيه الجريري. ثم انتقل مع والده إلى بلاد زمور حين عين قاضياً بها، والتحق بفاس للدراسة في أوائل عام 1337 / 1918 لكنه لم يكد يستقر بها حتى جاءه نعي أبيه فرجع من حيث أتى، ولم يكن تراث أبيه كافياً لنفقة دراسته فاشتغل بالكتابة في إحدى الإدارات سنة ونصف سنة وفّر خلالها من أجرته البسيطة بعض المال ورجع إلى فاس لإتمام دراسته، وبقي هناك عشر سنين اتصل أثناءها بالشيخ عبد الحي الكتاني، وهو يومئذ مشتغل بالتدريس وتنمية خزانته العلمية الكبرى، فكان ينسخ له مؤلفاته ومخطوطاته ويستفيد أكبر استفادة من اطلاعه الواسع على العلوم الإسلامية والحديثة بصفة خاصة، ويحضر ـ على صغر سنه ـ مجالس كبار العلماء المسلمين والمستشرقين الذين يتوافدون باستمرار على الشيخ الكتاني وخزانته الغنية. ونحن نعلم ما كان لوالد محمدالتطواني من صلات متينة بالكتانيين وطريقتهم.

درس التطواني خلال مقامه الطويل لفاس كل ما يدرس بالقرويين من علوم نقلية وعقلية على خمسين شيخاً أجازه منهم نحو ثلاثين. وتعرف في دار الكتاني ثم في رحلاته إلى بلاد المغارب والشرق العربي على نحو تسعين عالماً. ومن أبرز شيوخه في القرويين أحمد بن الخياط ومحمد بن رشيد العراقي وأحمد ابن الحاج وعبد الله الفضيلي وأحمد ابن المامون البلغيثي والشريف التاگناوتي ومحمد بن جعفر الكتاني.

اشتغل الفقيه التطواني بعد رجوعه من فاس ببيع الكتب، فكانت مكتبته في شارع القناصل بالرباط ثم في السوق الكبير بسلا بالاشتراك مع السيد مَحمد بن عبد الله الغربي من أغنى المكتبات بأمهات المؤلفات، إذ كان كثيراً ما يتردد على مصر وبلاد المشرق لاقتناء أفيد ما أخرجته وتخرجه المطابع، وما يصادفه من مخطوطات أصيلة.

وكان زبناؤه من جميع الطبقات العالمة والمتنورة من مختلف الأعمار بالإضافة إلى الخزانة العامة بالرباط التي زودها بالعديد من المطبوعات والمخطوطات. وكم زرته في مكتبة القناصل ووجدته مستغرقاً في القراءة، فإذا سلمت عليه هش وبش ـ على عادته ـ وزودني بما أطلب في يسر ومكارمة.

شارك محمد التطواني في الحركة الوطنية فكان منزله الأنيق ملتقى الوطنيين من العدوتين وخارجهما، واعتقل في 29 يونيه 1943، فأحرقت زوجته مجموعة أوراقه خوف تفتيش الشرطة، وضاع بذلك قسط مهم من إنتاجه الفكري.

حرر الفقيه التطواني ـ وهو مايزال طالباً بفاس ـ كتباً صغيرة في بضعة كراريس نالت إعجاب أساتذته هناك، منها :

ـ *رسالة عن القاضي عياض*.

ـ *رسالة عن الشيخ المكي البطاوري*. وألف بعد ذلك كتباً مازالت مخطوطة أو أصولها محفوظة في إحدى كناشاته العلمية، منها :

ـ *ذيل فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني*.

ـ *محاضرات أدبية وتاريخية*.

أما *كناشاته* العلمية فقد اطلعنا على أربع منها مصورة من خطه في الخزانة العلمية الصبيحية بسلا.

ـ كناشة رقم 454 تحتوي على مجموعة تراجم لمشارقة وأندلسيين ومغاربة، وتلخيصات وتعليقات مفيدة من كتب علي ابن ميمون الغماري دفين لبنان، وتعريف بعدد من الفهارس المغربية المخطوطة النادرة التي وقف عليها في بعض الخزائن الخاصة أو التي اقتناها، مع تقييد ـ تام ـ حول الفعل المضارع المعتل لمحمد التهامي الوزاني.

ـ كناشة رقم 455 جعلها كنواة لتراجم أعلام ما قبل القرن السابع من علماء المغرب، ويشير في بعض التراجم إلى المصادر التي يرجع إليها عند البسط والبيان، فهي كالمسودة الأولى لهذا الكتاب لذلك قال في تقديمه : "وربما تتكرر الترجمة الواحدة، والمعتمد ما سيكتب بعد، لأن المقصود بهذا الكناش إقامته مقام الجذاذات، ولذلك أشير إلى مظان تراجم بعض الوافدين على هذه البلاد" ولا ندري إن كان تم تخريج هذا الكتاب.

ـ كناشة رقم 756 وهي تكاد تكون مخصصة للحديث والحفاظ مستقاة من *طبقات الحفاظ* لابن ناصر *وذيله* لابن حجر، *وطبقات الحفاظ* للذهبي، *ونظمها* لأبي الفداء إسماعيل، وشرح *غرامي صحيح* لعبد الله الأمير في مصطلح الحديث. وقد أثبت هنا تاريخ نسخه في 9 ذي القعدة عام 1350 وتشتمل هذه الكناشة على أصول ذيل التطواني على *فهرس الفهارس* للكتاني، وتعقيبات على *سلوة الأنفاس*، *والإعلام* للمراكشي.

ـ كناشة رقم 458 وفيها مختارات من تاريخ بغداد للخطيب البغدادي *ونوازل العلمي*، *ونشر المثاني وسلوة الأنفاس والمنتقى المقصور والإعلام* للمراكشي، يلخص منها تراجم وأحداثاً من الحرص على ذكر الأجزاء والصفحات. وفيها تراجم كاملة من إنشاء الفقيه التطواني للرشيد بن الشريف العلوي ومحمد بن عبد الله وغيرهما، وأبحاث وتدقيقات حول مؤلفي كتاب *المستفاد والقرطاس* ومصادر *الشفا والدرر البهية*. إضافة إلى طائفة من أخبار فاس ومزاياها وتطور عمرانها، ومراسلات ملوكية وإخوانية، وقصائد ومقطعات شعرية.

ومن آثار الفقيه التطواني المنشورة :

ـ *ابن الخطيب من خلال كتبه* في جزئين صغيرين. وهو البحث الأول الذي نال أول جائزة لمعهد مولاي الحسن للأبحاث بتطوان سنة 1948، ونشر في تطوان سنة 1955 بتقديم عبد الله كنون الذي قال عنه بحق : "كُتب على نسق مبتكر من حيث استخراج حياة ابن الخطيب من كتبه ودراسة مؤلفاته دراسة مستوعبة بحيث تعطي فكرة تامة عنها جميعاً ما وجد منها وما لم يوجد..."

ـ *جلال العرش المحمدي في ظل راية القرآن*، نال به جائزة عيد العرش.

ـ مقالات عديدة منشورة في مجلات مغربية وجزائرية وتونسية. بعضها بإمضائه الصريح وبعضها بإمضاء مستعار.

كان الفقيه التطواني مرجعاً حياً للباحثين والطلبة يزودهم بما تختزنه ذاكرته القوية من معارف ومظان لا يهتدي إليها إلا الخريتون. وقد خطب مدة بالجامع الأعظم بسلا فكانت رحابه تمتلئ بالمصلين الذين يقصدونه حتى من الأحياء النائية إذ كان الفقيه التطواني ـ على قماءته ـ يملك صوتاً جهورياً جميلا يستهوي الأسماع، وكلامه البليغ الصادر من القلب الطاهر الخاشع يؤثر في النفوس أيما تأثير.

مات محمد التطواني بمدينة سلا مساء يوم الأحد عاشر محرم عام 1410 / 13 غشت 1989 وصُلي عليه بالمسجد الأعظم عصر الغد الاثنين، ودفن بجوار ضريح الشيخ أحمد ابن عاشر الذي كان لا ينقطع عن زيارته في حياته ويقضي الليالي ذوات العدد في "بنيقاته".

م. التطواني نفسه، *كناشاته العلمية* ؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 268 ؛ م. ابن الحاج، *إسعاف الاخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين*، الدار البيضاء، 1992، ص. 164ـ 166 ؛ م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، 1 : 45 و164، 52ـ 141ـ 152ـ 155ـ 228ـ 277ـ 279ـ 2 : 280 ؛ أسماء التطواني، *الفقيه التطواني ودوره في البحث العلمي*، بحث الإجازة في شعبة اللغة العربية بكلية الآداب بالرباط، 80، 1981.

محمد حجي

التعارجي ← ابن **إبراهيم**

التعاونية، مؤسسة تنتظم بين عدد من الأشخاص الذاتيين أو المعنويين على قدم المساواة في الحقوق والواجبات إما بقصد الإنتاج وتسويق المنتجات وإما بقصد استهلاك ما يعرض في الأسواق أو الاستفادة من بعض الخدمات الاجتماعية بأحسن الشروط. ولئن كانت التعاونية في حلتها العصرية حديثة العهد في المغرب، فإن بعض أشكال التعاون التقليدية في مجتمعنا تثبت أصالة هذه الظاهرة لدينا اجتماعيا وعقائديا، فمن حيث المجتمع يمكن اعتبار القبيلة في جوهرها تعاونية قائمة على أولي الأرحام مبدئياً ولكنها كانت قائمة في الغالب على المصالح المشتركة مثل الرعي والسقي واتقاء الأخطار، أما من جهة العقيدة فإن الاسلام نزل بالتوحيد للتوحيد ومن ذلك الأمر الصريح "وتعاونوا على البر والتقوى" (المائدة، 2) ولقد تبلور ذلك في سالف العصور في أشكال واضحة المفهوم التعاوني من ذلك مثلا ملكية الأرض على الشياع والقيام بأعمال الفلاحة بالتويزة، يعني جماعة، وتسيير الأمور العامة على يد جماعة أولي الحل والعقد الذين كان من مهامهم صيانة بيت مال الجماعة (وهو أگادير أو إغرم بالأمازيغية) وإقامة "تيمزكيدة" لتكون مأوى للجميع ومستوصفاً للمرضى أو الزمنى مؤسسة للقرض على سبيل الإسعاف، كما كان على الجماعة أن تقيم "الوزيعة" كلما

اقتضت الظروف ذلك ليكون في توزيع الاعباء والكلف على مجموع الأفراد تخفيفا على الجميع.

ولقد أضفى الإسلام على مجموع المؤسسات حلة القدسية وألبسها لباس الشريعة بأن جعل خزين الجماعة بيت مال المسلمين ومن بيوت الله والأماكن التي تقام فيها الشرائع أوقافاً حتى إنه لا يكاد يخلو مظهر من مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الإسلام من طابع التعاون، فنظام الحرف في المدن يمكن اعتباره مجرد شبكة من التعاونيات، بل قافلة الحجاج إلى بيت الله التي كانت تستغرق سنة كاملة ذهابا وإيابا يجوز النظر إليها وكأنها تعاونية متنقلة.

إن الفكر التعاوني من صميم تقاليدنا، لذلك فإن الأساليب العصرية للتعاون ما لبثت أن انغرست في صفوف شعبنا بمجرد أن رخصت بذلك سلطات الحماية في الثلاثينات. وغني عن البيان أن هذه الأساليب العصرية كانت قد انبثقت في المجتمع الأوربي من النظريات الاشتراكية في النصف الأول من القرن التاسع عشر وبالضبط من أفكار شارل فوريه (Ch. Fourier) الفرنسي، من حيث التنظير، ومن تجربة تعاونية أولى أجريت في رتشديل (Rochdale) في أنجلترا سنة 1842 من حيث الممارسة، وعلى منوالها نسج الجميع فيما بعد على أمل أن تكون التعاونية حلا وسطاً بين الاستغلال الرسمالي وواقعيته المقيتة والمشاريع الاشتراكية وتخيلاتها البراقة.

وهكذا انطلقت التعاونيات العصرية في المغرب من منطلقين، أولا من إرادة مغربية شعبية ضاربة في القدم أثارها ما رأت من فوائد التعاون في أوساط المعمرين، وثانيا إرادة سلطات الحماية التي فضلت أن تشرف على إرساء أساليب التعاون العصري في صفوف المغاربة حتى لا يتم ذلك ضداً عليها.

ولقد أقيمت أول تعاونية مغربية في دجنبر سنة 1934 بين صغار صيادي السمك في سوس ونظراً للفراغ القانوني في مجال التعاون يومئذ فإن المؤسسين أقاموا تعاونيتهم على شكل شركة مجهولة الاسم اعتمادا على ظهير 11 غشت 1922 المقنن لذلك النوع من الشركات، واتسع حجم التعاونية في ظرف وجيز، ثم لما صدرت قوانين التعاونيات سنتي 1937 و1938 تحولت الشركة سنة 1941 إلى تعاونية حرفية لصيادي السمك في سوس (S.C.A.I.S.) وظلت تمارس نشاطها بنجاح إلى أن تعمم غداة الحرب العالمية الثانية في مياه أگادير الصيد بالمراكب الكبرى فتخلى صغار الصيادين شيئا فشيئا عن الصيد بالقوارب وتوقفت التعاونية المذكورة في أكتوبر 1948.

وأقيمت تعاونية تلقائية ثانية في سوس أيضا ابتداء من شهر ماي 1935 تحت اسم الشركة الأهلية للطحن في بيوگرا أقامها أربعون شخصا لدى قاضي إينزگان بناء على قواعد الشركة في الإسلام، وكانت في الحقيقة مطحنة ميكانيكية يقصد منها إدخال أساليب الطحن العصري في الإقليم لتحسين الإنتاج واقتصاد التكاليف، وهذه الشركة وإن لم تحمل اسم التعاونية فإنها كانت تستجيب لمفهومين من مفاهيم كل تعاونية أولهما التشارك بين مجموعة من الأشخاص على قدم المساواة وثانيهما إقامة مقاولة تسدي خدمات جماعية. ولقد نسج العديد من الفلاحين والحرفيين المغاربة بعد ذلك على هذا المنوال فأقاموا تعاونيات بينهم إما بالاعتماد على الشرع وإما بناء على الأعراف القبلية متجاهلين لقوانين الحماية أو متحفظين منها، من ذلك مثلا الشركة التي أقيمت في بني ملال سنة 1955 لبناء مائتي دار للسكن وكانت بمثابة تعاونية، لكن هذه المحاولات التلقائية كثيرا ما كانت تنتهي إلى الفشل بسبب عجزها عن الاستفادة من أدوات الاستغلال العصري وبسبب تحفظ سلطات الحماية منها.

وكانت غاية تلك السلطات مراقبة كل ما يجرى في صفوف المجتمع المغربي، ولذلك كانت قد بادرت منذ فاتح غشت من سنة 1918 إلى إحداث "الشركات الأهلية الاحتياطية" التي كانت تتسم ببعض سمات التعاون، إذ كانت تجمع حيزاً بين كل من كان يؤدى الترتيب من الفلاحين المغاربة فتقدم لهم قروضا موسمية وإرشادات تقنية وإسعافات مختلفة، مما كان يفتح باب التأطير والمراقبة أمام المراقبين المدنيين وضباط الاستعلامات الذين كانوا هم أو من ينوب عنهم المسيرين الحقيقيين لتلك الشركات التي اختفى منها فيما بعد لفظ "أهلية" ليحل محله لفظ "مغربية" ولكن الغاية السياسية منها ظلت مهيمنة على ما كانت تدعيه من مقاصد اجتماعية، ولما صدر أول ظهير منظم لتعاونيات الاستهلاك وهو ظهير 13 فبراير 1922 ظلت مقتضياته موقوفة على الجالية الأوربية وكذلك حصل بالنسبة لظهير 20 غشت 1935 حول القرض التعاوني والتعاون الفلاحي الذي لم يكن يُعنى به إلا المعمرون الدخلاء.

لكن انقلاب الظرفية السياسية في منتصف الثلاثينات وانتظام صفوف الحركة الوطنية لفضح إجحاف سلطات الحماية بحقوق المغاربة إضافة إلى ما كان من انهيار الإنتاج الفلاحي فيما بين 1935 و1937 وأيضا انتقال الحكم في فرنسا إلى الجبهة الشعبية وتعيينها للجنرال نوچيس مقيماً عاما في الرباط، كل هذه العوامل حملت سلطات الحماية إلى الاهتمام بالأسلوب التعاوني في صفوف المغاربة فاستصدرت أول الأمر ظهير 24 أبريل 1937 القاضي بإقامة "تعاونيات أهلية فلاحية"، لكن ليس على أساس الانخراط الفردي بل على أساس تعاون الشركات الأهلية الاحتياطية وذلك بقصد تسويق إنتاجها من الحبوب وخزنها والتصرف بها والاقتراض بشأنها، كل ذلك تحت مراقبة سلطات الحماية، وكان إحداث هذه التعاونيات ناتجا من جهة أخرى عن ضرورة مراقبة سوق الحبوب إذ جاء الظهير المذكور مواكبا لإحداث "المكتب الشريف للحبوب" في نفس التاريخ (ظهير 24 أبريل 1937).

ولذلك فإن الظهير المؤسس للتعاونيات في صفوف المغاربة هو ظهير 8 يونيه 1938 على ما أدخل عليه من تصويبات بظهير 19 ماي 1939 وظهير 24 أبريل 1950 حيث امتد حق إقامة التعاونيات من الفلاحين إلى الحرفيين كما لم يبق منحصراً عند تسويق الحبوب بل عم جميع أوجه النشاط الفلاحي والاقتصادي مع حق الاقتراض والرهن. وهكذا نشطت الحركة التعاونية في العقدين الأخيرين من الحماية وتشكلت التعاونيات إما على أساس الشريعة الإسلامية أو الأعراف القبلية وإما على أساس ظهائر 1937 و1938 و1939 التي ألحق بها ظهير 11 غشت 1947 القاضي بإقامة اتحاديات بين التعاونيات الفلاحية، كما تشكلت ابتداء من سنة 1950 تعاونيات مغربية جديدة لتسويق الحبوب تحت اسم الشركات التعاونية المغربية الفلاحية (S.C.A.M) بحيث كان مجموع التعاونيات، 73 تعاونية في شهر يناير 1956 وكانت موزعة على الشكل التالي :

14 معصرة للزيت

1 اتحادية واحدة بين هذه المعاصر

24 تعاونية حرفية

11 تعاونية لاستعمال المواكين في الفلاحة

3 تعاونيات لتكييف الإنتاج

4 تعاونيات مختلفة

3 تعاونيات الحطابة

1 تعاونية لصيد السمك

7 شركات تعاونية مغربية للفلاحة (.S.C.A.M)

5 شركات مغربية للفلاحة (.C.M.A)

وهذا التصنيف يوحي بنصيب الفلاحة في الإنتاج المغربي إذ أن أزيد من نصف هذه التعاونيات كان يتعاطى الأعمال الفلاحية، هذا مع العلم أن التعاونيات الحرفية كان جلها يشتغل بالمنتجات الفلاحية مثل الصوف والجلود والأخشاب مما كان يجعل بالضرورة جل التعاونيات قائما في كبريات المدن أو في قلب أخصب المناطق الفلاحية مثل السهول الأطلسية وسهول سايس والغرب والحوز وسوس ووجدة.

ولقد سهرت الحكومة المغربية غداة الاستقلال على تقوية هذا الرصيد التعاوني بأن شجعت المنتجين المغاربة على التعاون بينهم في شتى مجالات الإنتاج فتكاثرت التعاونيات وتخلص النظام من كل ما كان يشوبه من شوائب الاحتلال الأجنبي، ولتلتحق الحركة التعاونية المغربية بالتيار التعاوني العالمي. ولهذه الغاية أنشئت في شهر شتنبر 1962 مصلحة خاصة بشؤون التعاون ملحقة مباشرة برئاسة الحكومة، وفي ذلك دليل واضح على عناية الدولة بالأمر، إلا أن الالتحاق المباشر بأعلى سلطة حكومة كان ضربا من التثبيط إذ كان يغرق المصلحة المذكورة في خضم المستعجلات اليومية ويحول بينها وبين التدخل السريع في ميادين اختصاصاتها، وتفاديا لهذا الحاجز أحدثت الدولة بظهير 13 أبريل 1975 مكتب تنمية التعاون وذلك على شكل مؤسسة عمومية متمتعة بالشخصية المعنوية وبالاستقلال المالي تحت إشراف السلطة الحكومية المكلفة بالتخطيط، ومن مهامه البحث في طلبات إقامة التعاونيات قبل أن يصدر الترخيص الحكومي بذلك، ثم مساعدة التعاونيات في التكوين التعاوني والاستثمار والقضايا القانونية مع جمع المعلومات عن التعاون ونشرها في التعاونيات، ثم تحسين الإطار القانوني للتعاونيات، ثم إصلاح ذات البين بينها في حالة وقوع أي نزاع والسهر على سيرها بناء على القوانين المعمول بها، ويشرف على سير هذا المكتب، فضلا عن طاقمه التنفيذي، مجلس إداري مركب من ممثلي مجموعة من الوزارات (الفلاحة والصناعة التقليدية والتجارة العصرية والطاقة والمعادن والتربية الوطنية والداخلية والمالية والسكنى والسياحة والشغل والصيد البحري) إضافة إلى ممثلين عن بعض المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية (الصندوق الوطني للقرض الفلاحي والبنك المركزي الشعبي والمكتب الوطني للحبوب والقطاني والمكتب الوطني للصيد والمكتب الوطني للنقل) كما يشارك في أعمال هذا المجلس ممثل عن كل صنف من أصناف التعاونيات القائمة ولا يقل عددهم عن ربع مقاعد المجلس، ولقد كان من أهم منجزات هذا المكتب منذ تأسيسه إعداد القانون رقم 24.83 الصادر بظهير 5 أكتوبر 1984 الذي ألغى كل ما كان موروثا عن عهد الحماية في قوانين التعاونيات وجعل لها دستوراً جديداً قائماً على 104 فصول كما أولى مكتب تنمية التعاون اهتماماً كبيراً بتشجيع تعاونيات الإنتاج بوجه خاص فإنها تعتبر عند المسؤولين عن التشغيل وطنيا ودوليا أداة من أدوات مكافحة البطالة وحلا وسطا بين الرسمالية الكبرى والاشتراكية المفرطة في المركزية. ولقد انصرف الاهتمام في السنوات الأخيرة إلى مساعدة الأفواج المتزايدة من خريجي المدارس المهنية إلى إقامة تعاونيات بينهم بحسب المؤهلات والتخصصات وأيضا إلى الأخذ بيد من يعود من عمالنا من الخارج ويرغب في إقامة مقاولات إنتاجية في أرض الوطن على شكل تعاونيات. ولقد أقيم معمل للنجارة العصرية في مدينة سلا بين مجموعة من العمال العائدين من بلجيكا واسمه "تعاونية الأمل".

ولقد كان تصنيف التعاونيات سنة 1990 على الشكل التالي :

في الفلاحة 3176 تعاونية 75.51٪ من المجموع

في الغابة 28 تعاونية 0.67٪ من المجموع

في الصيد البحري 24 تعاونية 0.57٪ من المجموع

في المناجم 32 تعاونية 0.76٪ من المجموع

في الاستهلاك 39 تعاونية 0.93٪ من المجموع

بين التجار الصغار 16 تعاونية 0.38٪ من المجموع

في السكنى 464 تعاونية 11.03٪ من المجموع

في الحرف 427 تعاونية 10.15٪ من المجموع

أما عدد المنخرطين فقد ارتفع فيما بين 1978 و1990

بحسب الأرقام التالية :

	1978	1990
عدد التعاونيات	2.040	4.206
عدد المنخرطين	82.757	130.838

مما يثبت أن الحركة التعاونية تنتشر بشكل مطرد في المغرب كما يثبت أنها مازالت تسيطر في القطاع الفلاحي ويأتي بعده القطاع الحرفي ثم قطاع الاستهلاك، أما قطاعات الصناعة العصرية فإنها مازالت دون ما يمكن أن يجنى منها في بلد مثل المغرب عريق الأصول في العمل الجماعي ملزم بالسير في هذا النهج لقلة أمواله وكثرة نسله.

الجريدة الرسمية، الظهائر المذكورة مدرجة في مجلدات سنوات صدورها ؛ *الإطار القانوني للمؤسسات التعاونية بالمغرب* (نشر الوزارة المكلفة بتنشيط الاقتصاد، 1994) ؛ *التعاونيات العمالية للانتاج* (نشر وزارة التخطيط، 1987).

Réorganisation des coopératives agricoles au Maroc à la lumière de la loi, 24 - 83 (Publications du Ministère du Plan, Rabat, 1988) ; *Annuaire statistique des organismes coopératifs*, 1990, Publications de l'Office du Développement de la Coopération ; Office du Développement de la Coopération, *Organisme de promotion du mouvement coopératif*, Publications de l'O.D.C.O.); *Analyse de la gestion des coopératives marocaines agricoles et des sociétés coopératives agricoles marocaines, Exercice 1958 - 1959*, Publication du Ministère de l'Agriculture, 1960 ; J. Celerier, *Chez les berbères du Maroc : de la collectivité pastorale à la coopérative, Ann. Hist. Eco. et Soc.*, Mai 1936 ; *Vingt ans de prevoyance indigène au Maroc*, Direction générale de l'intérieur, Rabat, 1937 ; *Rapport général sur le mouvement coopératif au Maroc en milieu autochtone*, 1934 - 1955, Direction générale de l'intérieur, Janvier 1956.

إبراهيم بوطالب

التعرگيبة، المصطلح مشتق من فعل "عرقب" ويقال عرقب الرجل الدابة إذا قطع عُرقوبها، أي عصب رجلها. وجرت العادة في المغرب أن يلجأ الناس إلى قطع عصب الرجلين الأماميين للثور (في الغالب) في مناسبات خاصة ترتبط "بطلب الشفاعة" أو"طلب العار" وترمز الدابة المعرقبة، وهي منحنية إلى الأمام، إلى وضعية الخضوع التي يوجد فيها المستجير أو طالب العار وإلى إقراره بالضعف والغلبة وبالتالي حاجته إلى الحماية والمؤازرة التي ينتظرها من جهة قادرة على تلبية رغبته.

ولقد ارتبطت هذه الممارسة أساساً بمؤسسة "العار" التي تعتبر إحدى الوسائل التي يلجأ إليها طالب الحماية والمؤازرة. وطلب العار (أو "رمي العار") يتم عبر طقوس مختلفة قد تقتصر على ترديد عبارات معينة مثل "ها العار عليك !" أو "أنا في عارك يا فلان !". لكن طلب الحماية أو الشفاعة يصبح أكثر قوة وإحراجاً للجهة المقصودة إذا اقترن بإراقة الدم عن طريق الذبيحة أو "التعرڤيبة". وفي الغالب ما يسوق طالب الحماية الدابة التي ينوي استعمالها لهذه الغاية إلى دار الشخص الذي ترجى حمايته، فيذبحها أو يُعرقبها عند باب داره، فلا يسعه حينئذ إلا الاستجابة لرغبة الطالب وإلا تعرض لعار هذا الأخير.

وغير واضح ما يقصد بالعار. فهناك من الإثنوغرافيين مثل ويسترمارك (E. Westermarck) من فسره على أنه "لعنة مشروطة" (Conditional curse) سوف تنزل على المستجار به إذا هو رفض الاستجابة لرغابة المستجير. وفي هذه الحالة يُعبر عن الآفة التي تحل بالشخص بخروج العار فيقال عنه إذا أصابه مكروه في شخصه أو أسرته أو ماله بأن "العار قد خرج فيه" بفعل قدرة إلهية أو قدرة خارقة تتكفل بالانتقام لطالب الحماية الذي لم يحصل على مبتغاه. وهناك من يفسر العار تفسيراً اجتماعياً محضاً (جاموس، ك. براون) فيقول إن المراد بالعار هو السبة التي تنزل بالشخص في أعين المجتمع لإخلاله بقواعد المروءة التي تقتضي المساعدة عند الاقتدار، أي أن المسألة هي مسألة إخلال بقيم اجتماعية مرتبطة بالشرف (Honneur) والمروءة.

والواقع أن العار في تصور العامة من الناس يتضمن المعنيين معاً. فالشخص الذي يرفض تقديم الحماية والمساعدة لمن طلبهما هو شخص يُدينه المجتمع، ولكن المسألة لا تنحصر في هذا الجانب فقط، بل هناك اعتقاد راسخ بأن القدرة الإلهية، أو قدرة ما تُنسب للجن أو غيرهم، سوف تلاحق ذلك الشخص لتنزل به العقاب الذي يستحقه جزاء له على تنصله من العار الموجه إليه.

أما اللجوء إلى "التعرگيبة" فيتم في مناسبات عديدة لا يمكن حصرها، لكنها تجتمع في قاسم مشترك يتمثل في الإقرار بالضعف وطلب الحماية أو المؤازرة. فالقاتل الذي يخشى انتقام أسرة المقتول مثلا كان يلجأ إلى "التعرگيبة" أو الذبح عند باب دار المقتول. كما أن القبيلة التي ترغب في مساندة قبيلة أخرى لتقف معها ضد خطر يتهددها من جهة قبيلة ثالثة كانت تلجأ إلى نفس الممارسة. وكانت القبائل في السابق تلجأ إلى الذبح أو "التعرگيبة" لطلب عفو السلطان. كما استعملت قوات الاحتلال الفرنسية هذه العادة لتحصل على استسلام القبائل والمناطق التي أُجبرت على الخضوع، فكانت "التعرگيبة" في هذه الحالة رمزاً لنهاية المقاومة والقبول بسلطة الدولة الحامية. ويذكر ديل إيكلمان، على سبيل المثال، أن قبائل تادلة لجأت إلى "التعرگيبة" في سنة 1955 لإيقاف القصف الجوي الفرنسي الذي تعرضت له كنتيجة لأحداث وادزم في تلك السنة.

ومن المعلوم أن ممارسة مثل "رمي العار" واللجوء إلى "التعرگيبة" لقيت معارضة شديدة من العلماء الذين رأوا فيها ممارسات جاهلية وبقايا لمعتقدات لا علاقة لها بالإسلام.

K. Brown, *The Curse of Westermarck, Ethnos* (Stockholm), vol. 47, 1982, pp. 197 231 ; R. Jamous, *Honneur et Baraka : les structures traditionnelles dans le Rif*, Paris, 1981 ; E. Westermarck, *Ritual and Belief in Morocco*, London, 1926, 2 volumes.

محمد المنصور

التعريب، أي الحديث والكتابة والتأليف باللغة العربية فصيحة كانت أو عامية، مع وجود وعي بالانتماء إلى الثقافة المعبرة بتلك اللغة وتبني تراثها الحضاري والفكري

بصفة عامة. ولا نهتم هنا بالتعرض لمسألة التعريب في المغرب المعاصر، إنما ينحصر اهتمامنا في الحديث عن ظروف وآليات انتشار اللغة العربية في مغرب العصر الوسيط. وسنتناول ذلك بإيجاز من خلال المحاور التالية :

- مراحل التعريب بالمغرب خلال العصر الوسيط.
- العوامل المساعدة على انتشار اللغة العربية بالمغرب.
- حدود التعريب.

مراحل التعريب بالمغرب خلال العصر الوسيط : ميز عدد من الباحثين في تاريخ المغرب، مرحلتين من مراحل تعرب المغاربة خلال العصر الوسيط، تبتدئ أولاهما بدخول الفاتحين العرب خلال القرن الهجري الأول، وتتعزز بعد ذلك بتوافد القبائل الهلالية أواسط القرن الخامس.

المرحلة الأولى : دور الحواضر في انتشار اللغة العربية، من الجائز أن نقول بأن تعرب المغاربة بدأ منذ اتصالهم بالعرب الفاتحين، وقد أسهم الرهائن الذين كان زعماء الجيش العربي يأخذونهم من بين أعيان المغاربة وأمرائهم في نشر الثقافة واللغة العربيتين حين عودتهم إلى ذويهم وأوطانهم. غير أن العناصر الفعالة في هذه المرحلة تتمثل على وجه الخصوص في جماعات الجيوش والفقهاء والدعاة القادمين من الشرق لأسباب سياسية ومذهبية. ولا يعرف العدد الاجمالي لهؤلاء على وجه الدقة وإن كان بعض الباحثين يقدرهم بأزيد من مائة ألف. والأهم من عددهم وزنهم الثقافي والسياسي والديني ودورهم العمراني، إذ يعود إليهم الفضل في تأسيس عدد من المراكز الحضرية أو تعميرها مثل القيروان وفاس وتاهرت وسجلماسة وغيرها.

فحينما أسس الأدارسة مدينة فاس، واتخذوها عاصمة لإمارتهم، استقبلوا فيها جماعات وفدت عليهم من افريقية والأندلس، واختار من بينهم إدريس الثاني أعضاء "لحكومته" كما قرب علماءهم وفقهاءهم. ومن المؤكد أن هؤلاء أسهموا في تعزيز وجود اللغة العربية في العاصمة الادريسية التي ما فتئت تزيد ازدهاراً وعمراناً بفضل موقعها الجغرافي ومحيطها الفلاحي حتى بدأ اشعاعها اللغوي يمتد إلى البوادي المجاورة، وهذا ما أشار إليه كل من البكري (القرن الخامس) والإدريسي (القرن السادس) حين تحدثا عن وجود قبائل أمازيغية معربة بجوار مدينة فاس. وهذا دليل على أن تعرب بعض البوادي المغربية بدأ قبل قدوم قبائل بني هلال.

ويمكن أن نستنتج من مثال فاس وضواحيها أن المناطق الأكثر تعرضاً للتعريب - إلى جانب المدن - هي تلك الواقعة بين مناطق حضرية ذات إشعاع ثقافي قوي أو تلك التي تشكل ممراً تجاريا ترتاده القوافل بكثافة واستمرار، مما يدعو إلى التفكير في دور التجارة كذلك في دعم انتشار اللغة العربية بالمغرب.

وعن دور العرب الهلاليين في تعريب بعض المناطق، يذكر ابن خلدون، وهو يمهد لفصله المشهور حول بني هلال، أن بوادي المغرب لا عهد لها بالجنس العربي قبل مجيئ أفواج هلال وسليم ومعقل الذين نزحوا تباعا نحو المغرب منذ أواسط القرن الخامس الهجري ووصلت بعض قبائلهم وعشائرهم إلى المغرب الأقصى خلال العصر الموحدي وخاصة أيام الخليفة الثالث يعقوب المنصور (580 - 595 هـ). وقد كان الهدف من نقلهم الحد من عيثهم في أفريقية والمغرب الأوسط، والاستفادة من مؤهلاتهم العسكرية في الجهاد. وإلى جانب هؤلاء نزحت قبائل معقل وتوجهت نحو الجنوب الشرقي فنصادفها، ومنذ العصر المريني في سوس والصحراء المغربية.

وقد كان احتكاك تلك القبائل وتجاورها مع سكان البادية المغربية سبباً في نشر اللغة العربية. وحينما بدأ شيوخ تلك القبائل ينالون "إقطاعات" من الدولة المرينية، في مقابل الخدمة العسكرية، تدعم نفوذهم اللغوي الثقافي بالنفوذ السياسي والعسكري والقانوني، فكان من السهل على قبائل أو جماعات أمازيغية الانضمام لهؤلاء عن طريق الولاء فتصبح مع مرور الزمن كأنها عربية خالصة. ولا تخلو المصادر التاريخية المغربية من الإشارة إلى حالات قبائل أمازيغية تخلت بعد مجاورتها للعرب عن عدد من مقوماتها الثقافية واللغوية، بل وعن أسمائها الأصلية.

العوامل المساعدة على التعريب : إن التعريب الذي نتحدث عليه لا يتضمن أي مفهوم عرقي لأن عدد العرب الداخلين إلى المغرب، من عهد الفتح إلى القرن السابع، ضئيل بالقياس إلى مجموع السكان الأصليين. لقد كان من الممكن أن تذوب المجموعات العربية، لغويا وثقافيا، في خضم الملايين من السكان الأصليين، لكن العكس هو الذي حصل بحيث ذابت جماعات أمازيغية، أو فقدت لغتها من جراء الاتصال بالعرب وبالثقافة العربية. وهذا الواقع يفرض علينا التساؤل عن العوامل المساعدة على انتشار اللغة العربية بالرغم من المعطيات المذكورة أعلاه.

مما لا شك فيه أن للدين الإسلامي دوراً هاماً في انطلاق حركة التعريب وتقدمها، فالتعليم في الكتاتيب والربط، ثم في المدارس، كان يتم باللغة العربية وكان يعتبر مسألة دينية قبل كل شيء. كما أن القيمة الثقافية والحضارية للغة القرآن جعلت الأمازيغيين يتهافتون على تعلمها لدرجة أن بعضهم أصبحوا يرغبون في أن يصبحوا عرباً فاصطنعت لذلك الشجرات، ووضعت الأنساب جملة، وهكذا نقرأ في كتب التاريخ أن صنهاجة من حمير وزناتة ينتهي نسبها إلى قيس عيلان، وإنما تبربرت وتغير لسانها حينما جاورت "البربر".

وإلى جانب هذه الأنساب "بالجملة" أصبح الأمازيغي، في الحواضر خاصة، ينسلخ عن طواعية من نسبه ليرتبط بالنسب العربي، ومن "رطانته" ليتعلم اللغة العربية المستكملة لكل الشروط المطلوبة.

الوضعية اللغوية بالمغرب : إن ظاهرة المثاقفة المشار إليها ما كانت لتؤتي أكلها لو لم تكن الوضعية اللغوية بالمغرب تسمح بذلك. فعندما بدأت جيوش الفاتحين العرب

تطرق أبواب المغرب، كانت اللغتان، البونيقية واللاثينية لا تزالان مستمرتين في بعض المدن والمناطق، خاصة تلك التي شهدت ازدهار الحضارة الرومانية والبيزنطية (منطقة افريقية، شمال المغربين الأوسط والأقصى)، وقد دلت النقوش والحفريات، فضلا عن الشهادات التاريخية على استمرار اللغة اللاثينية لغة للكنيسة بالمغرب إلى ما بعد القرن الخامس انهجري. أما بالنسبة للغة البونيقية، فقد اعتبر بعض الباحثين وجودها عاملا ممهدا لانتشار اللغة العربية، علماً بأن اللغتين تنتميان إلى مجموع اللغات السامية.

ومهما يكن من شأن اللغتين، فإن التعريب الحقيقي مشروط بتراجع اللغة المحلية السائدة وهي الأمازيغية التي لم تكن بدورها قادرة على الصمود بفعالية أمام المد اللغوي والثقافي العربي، خاصة في المجالات الروحية والفكرية، إذ لم يسبق لها أن كانت، *طيلة* تاريخها محور حركة دينية أو "قومية" ترفعها إلى مصاف اللغات الكبرى في التاريخ. لقد ظل إنتاجها المكتوب قبل الإسلام منحصرا في بعض النقوش التي ماتزال رموز بعضها غير مفهومة، ومن المستبعد أن يكون المثقفون الأمازيغيون القدامى ألفوا بها أو دونوا انتاجاتهم، ومن المؤكد أن مشاهيرهم من أمثال أبيلوس والقديس أغسطين، قد ألفوا باللغتين السائدتين في عصرهم، البونيقية واللاثينية.

وفي العصور الاسلامية الأولى ظهرت حركات دينية سياسية ثقافية معارضة للإسلام والعروبة ومن أبرزها على الخصوص، الحركة البرغواطية التي نسجت على منوال الإسلام ووضعت "قرآنا" مكتوبا باللغة الأمازيغية، واحتج المتنبئ البرغواطي على العرب بآية من القرآن "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه"، مبرزاً بذلك ولأول مرة المشكل اللغوي على صعيد حركة دينية سياسية"قومية" أمازيغية.

وبعد ذلك بعدة قرون، تبرزحركة أخرى، سنية إصلاحية، هي حركة المهدي بن تومرت الذي ألف *عقيدته* باللغة الأمازيغية، وعمل خلفاؤه من بعده على إلقاء الخطب الدينية والسياسية باللغة الأمازيغية، بل "كان لا يخطب ولا يؤم إلا من يعرف التوحيد باللسان العربي" كما جاء في عدد من المصادر. إلا أنه ورغم تلك الاجراءات فقد كانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية، فهي اللغة الإدارية الوحيدة، وبها تم التأليف في مختلف المجالات العلمية والدينية والفلسفية. لاشيء يدل إذن على أن الموحدين كانوا يسعون إلى طرح المسألة اللغوية كما طرحوا المسألة المذهبية مثلا.

وهكذا فإن وضعية اللغة الأمازيغية لم تكن تؤهلها لمنافسة اللغة العربية، في الميادين العلمية "والأكاديمية" بل إن تلك اللغة تأثرت "بأختها الكبرى" على مستويي القاموس والبنية واقتبست منها مجموعة من الألفاظ والعبارات، وتمخض عن ذلك، من بين ما تمخض، ميلاد الدارجة (العامية) المغربية.

حدود التعريب، مظاهره وأسبابه : رغم أن حركة التعريب معززة بظروف ملائمة وعلى رأسها استعداد جماعات الأمازيغيين للانصهار في الثقافة العربية، فإن مجال التعريب لم يتعد بعض المراكز الحضرية وضواحيها بينما ظلت أغلبية البوادي وكل الجبال معاقل للغة الأمازيغية.

صحيح أن المغاربة المعربين ساهموا بدورهم في الإنتاج الفكري العربي الإسلامي مساهمة تبرر، رغم حدودها، ظهور مؤلفات معاصرة من قبيل *النبوغ المغربي في الأدب العربي*، إلا أنه، وكما كانت لحركة التعريب عوامل مساعدة أشرنا إلى بعضها، فإن لها كذلك حدوداً فرضتها شروط تاريخية وجغرافية واجتماعية.

ضعف العمران : إذا كانت المراكز الحضرية هي نواة التعريب الأولى، فإنه ينبغي أن نذكّر - رغم أن الأمر لا يحتاج إلى تذكير - أن الحواضر كانت قليلة، كما أنها لم تكن كلها معربة : فمدينة فاس كانت "بمختلف الألسن لاحنة" ومراكش وأصيلا وأزمور "لسانها بربري" كما أن ظاهرة "العجمة" لم تزُل بعد من سهل تامسنا، بالرغم من انتشار أفواج بني هلال (ابن الخطيب).

أما ابن خلدون، فقد أشار في عدة أماكن من *المقدمة والعبر* (ج 6)، إلى *طغيان* "الرطانة" في بلدان المغرب وإلى ما كان يعانيه اللسان الحضري من التردي، وفي محاولة لتفسير ذلك يقترح علينا ابن خلدون عاملين : الأول "منهجي" يتشمل في إفلاس أساليب التعليم آنذاك في نشر لغة العرب. فالمغاربة كانوا "يحفظون قوانين اللغة والنحو المجردة، ولا يمارسون التحدث باللغة العربية" لشدة عجمتهم، والثاني تاريخي يتجلى في تراجع العمران.

وإذا كان السبب "البيداغوجي المنهجي" وجيهاً، فإن مسألة تراجع العمران جديرة حقا بكل الاهتمام إذ أن مفهوم العمران الخلدوني يتضمن ازدهار النمو الحضاري والتجارة والمبادلات ونمو الفكر وغيرها من عناصر "التقدم" .....، وكلها عناصر افتقد المغرب بعضها أو جلها خلال نهاية العصر الوسيط.

العامل الجغرافي والاجتماعي : شبه بعض الباحثين انتشار الحضارة الرومانية بالمغرب بانتشار الماء، بمعنى أنها تغمر السهول وتعجز عن إدراك الجبال...، ويمكن - مع مراعاة الفرق بالنسبة إلينا - أن نشبه مسألة انتشار اللغة العربية في مغرب العصر الوسيط بانتشار الماء، فقد امتدت إلى الحواضر والسهول والصحاري، وهذا ما يشير إليه ابن خلدون بقولته المشهورة "العرب لا يتغلبون إلى على البسائط"، لذلك ظلت المناطق الجبلية بعيدة كل البعد عن تأثير اللغة العربية، اللهم إلا ما يفرضه التعليم في الكتاتيب والمدارس التي كانت تستعمل الأمازيغية أيضا في التدريس، أو ما يحمله إليها بعض أبنائها الذين تمكنوا من "إتمام" دراستهم في بعض الحواضر، مراكش وفاس على وجه الخصوص.

وإلى جانب "العامل الجغرافي الطبيعي" لا بد من الإشارة كذلك إلى "العامل الجغرافي البشري" بحيث يسهل تعريب مناطق الكثافة الضعيفة ويتعذر تعريب مناطق الكثافة المرتفعة. كما أن للتنظيمات والبنيات القبلية وأشكال استغلال الأرض وتملكها أثرا على امتداد أو انحسار حركة التعريب. فالقبيلة المتماسكة بفضل نظامها الاجتماعي، حيث يسود الاستغلال والملكية الجماعية لوسائل الإنتاج أكثر قدرة واستعداداً لمقاومة التأثيرات الخارجية، وعلى النقيض منها تكون وضعية القبائل التي تفسحت روابطها الاجتماعية بفعل عوامل تاريخية أو سياسية، مثل قبائل تامسنا التي انهكتها الحروب المتوالية من عهد بني يفرن إلى العصر المريني...

إلا أنه ينبغي أن نحتاط من التسرع، ويستحسن أخذ العوامل المذكورة بعين الاعتبار وتفادي أخذها كعوامل تفسر بكيفية قطعية امتداد أو تقلص حركة التعريب بالمغرب في العصر الوسيط.

ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*...، تح. أحمد مختار العبادي ؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة* ؛ *العبر*، ج 6، بيروت 1968.

W. Marçais, *Comment l'Afrique du Nord a été arabisée*, *A.I.E.O.A.*, 1938 et 1939.

رضوان مبارك

التعريب ← معهد الأبحاث والدراسات للتعريب

التعريب

التعريب (مكتب تنسيق ـ)، أول ما سمي بالمكتب الدائم لمؤتمر التعريب، ثم أُطلق عليه المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي، ويدعى الآن مكتب تنسيق التعريب. وقد انبثق عن مؤتمر التعريب الأول المنعقد في الرباط من 3 إلى 7 أبريل سنة 1961. وأصبح مؤسسة ملحقة بجامعة الدول العربية بناء على قرار الجامعة رقم 2541 / د ج 4 المؤرخ في 16 / 3 / 1969، ثم أصبح جهازاً من أجهزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بعد خلقها، طبقا للقرار رقم 70 المؤرخ في 8 / 5 / 1972. وقد وافق المؤتمر الأول المشار إليه أعلاه على أن يكون مقر المكتب الدائم بمدينة الرباط في المملكة المغربية، نظراً للواقع اللغوي الذي كانت تعيشه دول المغرب العربي إذ ذاك، وكانت حديثة العهد بالاستقلال.

وسطرت مبادئ المكتب الستة التي عليه أن يعمل بمقتضاها، في مؤتمر التعريب الثاني، المنعقد في الجزائر من 12 إلى 20 من شهر ديسمبر 1963 :

- اللغة مقوم رئيسي من مقومات وجود الأمة واستمرارها. وكل خطر يهدد اللغة هو خطر يتهدد شخصية الأمة واستمراريتها وارتباط ما بين أجيالها.

- إن تأصيل العلوم وإنتشار المعارف في أمة من الأمم لا يكون إلا بلغتها. ولذلك فإن لحاق البلاد العربية بالحضارة العلمية المعاصرة ومواكبتها لها، ثم مشاركتها فيها، يجب أن يبدأ باستخدام اللغة العربية لغة التدريس، وإعداد المصطلحات العلمية الموحدة لذلك.

- إن تأصيل اللغة لا يقتصر على الأخذ بها في مرحلة دون مرحلة وإنما يجب أن يمازج مراحل التعليم كلها منذ بدايتها، حتى يتيسر لأبناء هذه اللغة أن يعايشوها معايشة كاملة تساعد بعد ذلك على التصرف بها وتطويرها.

- إن ما لحق اللغة العربية من قصور في العصور المتأخرة لا يعود إلى العربية نفسها، وإنما يرتد إلى ما فرضه الغزو اللغوي ـ على درجات متفاوتة من مباعدة بينها وبين أصحابها، ومن تشكيك فيها، وعزل لها عن الحياة والمجتمع.

- إن اللغة العربية قادرة، بحكم طبيعتها وخصائصها وتراثها الذي أسهمت به في الحضارة الانسانية على أن تكون لغة العلم الحديث : تدريساً وتأليفاً وبحثاً.

- إن الدعوة إلى تدريس العلوم باللغة العربية والعناية بهذه اللغة لا تعني إهمال الاهتمام بتدريس اللغات الأجنبية ولا تقصد إليه.

وجاء في النظام الداخلي للمكتب، الصادر بتاريخ 27 / 1 / 1973 ما يلي : يقوم المكتب بالمسهامة الفعالة في الجهود التي تبذل في الوطن العربي للعناية بقضايا اللغة العربية ومواكبتها للعصر، واستجابتها لمطالبه، وذلك عن طريق تنسيق الجهود التي تبذل للتوسع في استعمال اللغة العربية في التدريس بجميّع مراحل التّعليم وأنواعه ومواده، وفي الأجهزة الثقافية ووسائل الإعلام المختلفة ؛ وتتبع حركة التعريب وتطور اللغة العربية العلمية والحضارية في الوطن العربي وخارجه، بجمع الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع ونشرها أو التعريف بها ؛ وتنسيق الجهود التي تبذل لإغناء اللغة العربية بالمصطلحات الحديثة ولتوحيد المصطلح الحضاري في الوطن العربي بكل الوسائل الممكنة؛ والإعداد للمؤتمرات الدورية للتعريب.

ويقوم المكتب في سبيل تحقيق أهدافه بالعمل على تنمية اللغة العربية ونشر الثقافة الإسلامية في الخارج، وذلك بالتوسع في إصدار المعاجم المخصصة في ميادين المعرفة وإبراز دور الحضارة العربية الإسلامية في نمو المعرفة الانسانية، ووضع المصطلحات العربية الموحدة للمفاهيم الجديدة وتعميم استعمالها وتداولها، والإفادة من التقنيات الحديثة في نشر اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية في الداخل والخارج ونشر المعلومات والاستفادة منها بواسطة بنك المصطلحات، وتتبع وخزن الرصيد المصطلحي المستجد، ودعم المكتبة بالمراجع والكتب والدوريات. وإصدار مجلة دورية لنشر نتائج أنشطة المكتب (اللسان العربي)، وهي متخصصة تعنى بنشر الأبحاث اللغوية وقضايا الترجمة والتعريب ونشر المشروعات المعجمية، بالإضافة إلى نشر المعاجم التي تقرها مؤتمرات التعريب، وقد نشرت معظم هذه المعاجم، والبعض الآخر تحت الطبع.

وقد بلغ عدد مؤتمرات التعريب المنعقدة ما بين سنة 1961 و1994 سبعة وبلغ مجموع المصطلحات المصادق عليها

118.640 مصطلحاً. فعلاوة على المؤتمر التأسيسي المنعقد بالرباط سنة 1961، انعقد المؤتمر الرابع بطنجة في أبريل 1981 حيث صادق على ثمانية من المعاجم العلمية والتقنية كما انعقد المؤتمر السادس بالرباط في شتنبر 1988 وصادق على معاجم في الآثار والقانون والاقتصاد والجغرافيا والموسيقى.

بلغ عدد المعاجم التي أنجزها مكتب تنسيق التعريب بالرباط ونشرت أو هي تحت الطبع سنة 1994 سبعة وعشرين معجماً بثلاث لغات : الأنجليزية والفرنسية والعربية، وهي معاجم موحدة لمصطلحات اللسانيات، والفيزياء العامة والنووية، والرياضيات والفلك، والكيمياء، والأحياء (النبات والحيوان)، والعلوم الاجتماعية والإنسانية، والتجارة والمحاسبة، والصحة وجسم الإنسان، والتعليم التقني والمهني، والجيولوجيا، والبترول، والحاسبات الإليكترونية، والآثار والتاريخ، والموسيقى، والجغرافيا، والاقتصاد، والقانون، والسياحة، والبيئة، والزلازل، والطاقات المتجددة، والمياه، الاستشعار عن بعد، والتقنيات التربوية، والإعلام، والفنون التشكيلية.

ويعد حاليا في مكتب تنسيق التعريب بالرباط أربعة معاجم تهم مصطلحات الأرصاد الجوية، والهندسة الميكانيكية والمعلوماتية، وعلم البحار.

ورغبة في سلامة الإنجاز العلمي المصطلحي، ونشدانا لتوحيد المصطلح العلمي ليصبح مصطلحا عربيا متفقا عليه، عقد المكتب ندوة خاصة لكل مشروع معجمي سواء في مكتب أو في مؤسسات مختصة أو في مجامع اللغة العربية. وتوجها بمؤتمرات التعريب المشار إليها أعلاه وعقد أيضا ندوات مختصة حول المنهجية أهمها :

- ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية الجديدة - الرباط 1981.

- ندوة تطوير منهجية وضع المصطلح العربي وبحث سبل المصطلح الموحد وإشاعته - عمان 1993.

هذا وقد عقد المكتب بالإضافة إلى هاتين الندوتين، ندوة خاصة بتأليف كتب تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بالرباط، سنة 1980، وشارك فيها عدد من الخبراء والعلماء العرب الذين مثلوا جامعات ومؤسسات عربية وإسلامية، ومعهد غوته الألماني والمجلس الثقافي البريطاني.

كما عقد دورة تدريبية في صناعة المعجم، بالرباط أيضا، سنة 1981، شاركت فيها جامعات ومؤسسات علمية عربية ودولية، وصدرت أعمال هذه الندوة في كتاب بعنوان : *صناعة المعجم العربي لغير الناطقين بالعربية.*

وكان مكتب تنسيق التعريب بالرباط على وعي بأن تجربته المعجمية لا يمكن أن تتخذ أبعادها الحقيقية باكتفائها بجهود علماء الاختصاص المتناظرين والمؤتمرين فحسب، بل لا بد وأن تستفيد من تجارب المؤسسات الدولية والعربية ذات الاهتمام المشترك، وهكذا كان للمكتب علاقات مع المنظمة العلمية للتقييس (ISO) جنيف ومركز المعلومات الدولي للمصطلحات (Infoterm) في فيينا. واتحاد المترجمين الدوليين (ويضم رابطات واتحادات المترجمين في معظم الدول الأوربية والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي سابقا (Fit) في وارسو وشركة سيمنس بألمانيا والجمعية العالمية لوضع المصطلحات (Termia) والبنك الآلي السعودي للمصطلحات (Basm) وبنك المعلوميات في منظمة الألكسو (Farabi) والمجلس الدولي للغة العربية بباريس (Cilf) وغيرها.

كما يربط علاقات علمية مع المجامع العربية، والجامعات والمؤسسات المختصة في البحث والدرس والصناعة. وفي إطار هذا التعاون المصطلحي ساهم المكتب في وضع عدد وافر من المعاجم الأخرى لمصطلحات علمية وتقنية، بحيث بلغ مجموع المعاجم التي أنجزها إعداداً أو مشاركة أو إشرافاً أو مراجعة مائة وثمانية وثلاثين مشروعاً معجمياً أو قائمة مصطلحية. ويساهم المكتب حاليا في وضع معجم العلوم الطبية المصور الذي يشرف عليه البروفسور عبد الحفيظ لهلايدي، جامعة محمد الخامس - الرباط. وسيظهر في عشرة أجزاء متضمنة لحوالي مائة ألف مصطلح تغطي منظومات العلوم الطبية الكبرى.

لم يكن المكتب يحصر جهوده في معجماته المذكورة هذه لتصدر بالطريقة التي هي عليها، بل كان له هدف آخر يقصده منها، وهو أن تكون أساسا وقاعدة معجم حضاري دعاه "معجم المعاني العام"، وقد أعد في هذا الصدد حوالي أربعين مشروعا معجميا أنجز جلها الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله - المدير الأول لمكتب تنسيق التعريب - ويبلغ عدد جذاذات هذا المعجم حوالي 500.000 جذاذة، وضع المكتب حاليا خطة جديدة تعتمد على الحاسوب والمناهج الحديثة المصطلحية، للاستفادة منها وتكميلها، لتتجسد عملا كاملا يوضع بين أيدي الناس. وقد نشر بعض من هاتيك المشروعات في مجلة *اللسان العربي*.

إذا كان المكتب يصب تجربته المصطلحية في ما أصدره من مشروعات معجمية، فإن عنايته بقضايا اللغة العربية والترجمة والتعريب، تمثلت في دوريته "اللسان العربي" التي ظهر عددها الأول سنة 1964، وهي حاليا سنوية، صدر منها حتى الآن سبعة وثلاثون عدداً في أربعة وخمسين مجلدا، تضمنت 1.050 بحثاً و292 مشروعاً معجمياً.

وكان المكتب ولايزال يقوم بمساعدة بعض المؤسسات الحكومية المغربية والمؤسسات الخاصة في مجالات التعريب كلما دعا الأمر إلى ذلك، عن طريق موافاتها بالمطبوعات والمعلومات والتوجيهات وتوفير المقابل العربي لما تستعمله من مصطلحات علمية. كما كان المكتب يساهم في تعريب اللافتات والواجهات ونصوص الإشهار، في بعض المدن المغربية. وكثيراً ما كانت بعض الإدارات والهيئات والشخصيات تستفتي المكتب عن طريق الهاتف، في ترجمة فورية لأمر من الأمور. ويتلقى المكتب على الدوام

قوائم مصطلحية تشمل مختلف العلوم والفنون ليجد لها المقابل العربي المطلوب.

ويفد يوميا على مكتبتي المكتب (العلمية والمعجمية) وقسمه التقني، طلاب من الكليات العلمية قصد إعداد بحوثهم العلمية باللغة العربية، كما يرد عليه أيضا عدد من الباحثين مغاربة وغيرهم للاطلاع على منجزاته ومنهجيته في إعداد المعاجم وتنسيق المصطلحات، أو لإعداد أبحاثهم أو أطروحاتهم حول نشاط المكتب ودوره في حركة التعريب في الوطن العربي.

وثائق مكتب تنسيق التعريب ؛ محمد المنجي الصيادي، *التعريب وتنسيقه في الوطن العربي*، مركز دراسات الوحدة العربية ـ سلسلة أطروحات الدكتوراه (1)، الطبعة الخامسة، بيروت، 1993 ؛ *استطلاعات إعلامية عن مكتب تنسيق التعريب في الصحافة المغربية والعربية* ؛ مجلة *القافلة* في عدديها (ربيع الثاني 1403 هـ ورمضان 1403 هـ)، وجريدة *الميثاق الوطني* في عددها بتاريخ 22 / 6 / 1983، وجريدة *عكاظ* السعودية بتاريخ 29 / 6 / 1983، ومجلة *قافلة الزيت* في عددها السابع مايو 1981، وجريدة *بغداد ابزيرفر* التي نشرت في عددها 5039 بتاريخ 2 / 2 / 1984 مقالا للسيد الأستاذ سمير الجلبي تناول فيه أهداف المكتب وأنشطته.

أحمد شحلان

التعرية المائية، عبارة تطلق على مختلف الآليات السطحية التي تعمل على تحريك الفتاتات من موقع اقتلاعها إلى مكان ترسبها، تحت تأثير المياه السائلة أو الجارية. وهي ظاهرة هامة في المغرب، كما هو الحال في باقي المجالات المتوسطية، وذلك بسبب تركز التهاطلات من جهة، وتفرق الغطاء النباتي. وتتدخل في بعض المجالات عوامل إضافية، مثل حدة التضرس وضعف مقاومة الصخور، لتجعل منها مناطق تعتبر أراضيها ذات قابلية مرتفعة للإزالة والتدهور. كما أن حدة التدخل البشري على المجال، وقدم الاستعمالات المختلفة للتربة، كان لهما الأثر الهام على استقرار السفوح.

تشير التقديرات القياسية، التي تنجزها إدارة المياه (بوزارة الاشغال العمومية) إلى خطورة التعرية المائية بالمغرب. وقد انتبهت مصالح المياه والغابات (وزارة الفلاحة) إلى هذه الظاهرة، وسخرت إمكانيات هامة للوقاية.

وترجع خطورة هذه الظاهرة أولاً إلى تأثير العامل المناخي. فالتراب الوطني تقع أجزاؤه الشمالية ضمن المناخ المتوسطي الذي يتميز بتناقض بين الفصول وبعنف التهاطلات، وأجزاؤه، الجنوبية ضمن المناخ الشبه صحراوي، المتميز بالجفاف عادة بسقوط زخات مطرية كثيفة ومركزة.

إلا أن القياسات المتوفرة تهم خاصة الاقاليم الممتدة شمال الأطلس الكبير. وتشير هذه القياسات إلى أن المجالات الجافة لها اعتدائية مناخية متواضعة ؛ وتبقى هذه الاعتدائية متوسطة في المجالات الهضبية من المغرب. وترتفع بشكل ملحوظ في الجبال الاطلسية لتصل إلى ذروتها في جبال وتلال الاقاليم الشمالية (سلسلة الريف).

وللعامل التضاريسي، دور أساسي في تحديد القابلية للتعرية. وقد تم تحديد التوزيع الجغرافي للتضاريس في الأقاليم الشمالية من المغرب، على مساحة تقديرها العام حوالي 23 مليون هكتار. تمثل فيها الجبال 35٪، والتلال المنحدرة 18٪، بينما تغطي السطوح المنبسطة والمتموجة (هضاب ـ سهول ـ تلال منخفضة) 47٪ من المساحة الاجمالية للأقاليم المتوسطة. وهذا يعني أن نصف أراضي هذه المجالات، ذو قابلية عالية للانجراف.

ودور الغطاء النباتي أساسي في الوقاية من عملية التعرية. وتثبت كل القياسات هذا الدور الأساسي، حيث تتضاعف مقادير التعرية من عشر إلى عشرين مرة، عند مرور السطح من حالة التغطية الشاملة إلى حالة الاجتثاب الكامل. وتغطي الغابة حالياً حيزاً تقديره حوالي 12٪ من مساحة البلاد (تقريبا تسعة ملايين من الهكتارات). وهذا مؤشر آخر يفسر أهمية الانجراف المائي للأراضي.

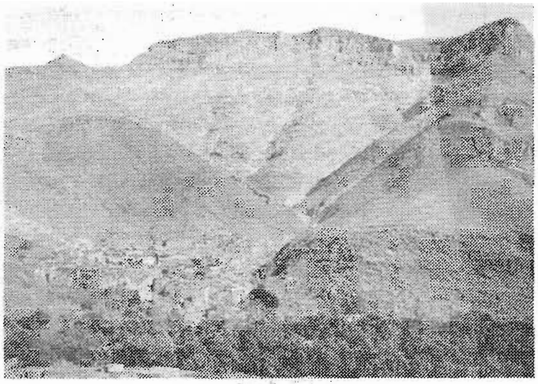
وتقدر ساكنة المغرب حالياً بحوالي 26 إلى 27 مليون نسمة، نصفها يعيش في البوادي. وهذا يعني أن الكثافة الفعلية على أراضي الارياف لا تتعدى في المتوسط 19 ن في كلم^2. إلا أن هذه الكثافة جد متغايرة مجالياً، حيث تصل إلى مقادير تفوق 100 ن /كلم في بعض النواحي كالريف الشرقي. والمجالات ذات البيئة الهشة، والساكنة الكثيفة في نفس الوقت، كالريف ومقدمة الريف هي التي تشكو من الآثار الخطيرة للانجراف.

وعلى أساس قياسات عامة (تقدير الحمولة الصلبة للأنهار من طرف مديرية المياه) وقياسات محلية (نتائج عدد من المحطات التجريبية) وتقديرات نظرية، تم تصور الخطورة الفعلية لظاهرة التعرية المائية بالمغرب.

يرتفع معامل السيل الذي يمثل النسبة السائلة من الكمية الإجمالية المتهاطلة، من المجالات نصف الجافة (حيث لا يزيد عن 10٪) إلى المجالات نصف الرطبة حيث يعلو إلى 15 ـ 20٪، إلى المجالات حيث التهاطلات جد مرتفعة (أكثر من 700 مم) ليصل إلى حدود 40 ـ 50٪ في المناطق التي تتلقى أكثر من 1000 مم. وهذا يدل على أن مقادير السيل العنيف، التي تساهم في الانجراف من جهة، ولكن كذلك في تزويد الانهار الكبري وتوفير الثروات المائية، تأتي من هذه المجالات الرطبة جداً.

وتشير القياسات إلى أن تركز المياه بالحمولة الصلبة، يتزايد من المجالات الرطبة إلى الجافة. ذلك ان كثرة الماء السائل تؤدي إلى تخفيف الخليط وبالتالي تناقص التركز. والمجالات الجافة من المغرب تسجل مقادير تتوزع بين 19 و30 غ / لتر، بينما تنخفض هذه المقادير إلى 10 ثم 5 مع تزايد المياه السائلة.

تعد التعرية المائية نتاجاً للسيل والتركز معا. وهي تزيد في المغرب بشكل سريع تبعاً لتزايد المياه السائلة. ويعبر عنها بمقدار الاقتلاع بالاطنان في كلم^2 خلال سنة.



التعرية
منظر من الأطلس الصغير

يصل هذا المقدار إلى أقل من 500 طن في المجالات نصف الجافة (أقل من 400 مم من المطر). ثم يرتفع في المجالات التي تتلقى بين 400 و600 مم (حوالي 1000 طن)، لتصل إلى 1500 أو 2000 طن في المناطق الرطبة.

وتسمح التقديرات المتوفرة بتصور توزيع عام للتعرية المائية ببلادنا. فالمجالات الجافة والصحراوية التي تغطي أكثر من ثلثي مساحة البلاد، تسجل مقادير ازالة تتراوح بين 10 و50 طن / كلم^2 / سنة، والسهول والهضاب الاطلنتية مقادير بين 50 و200. أما جبال الأطلس فهي تفقد ما بين 200 و500 طن / كلم^2 / سنة. وترتفع هذه المقادير في شمال شرق الأطلس المتوسط وفي الريف ومقدمته التي لا تغطي أكثر من 6٪ من مساحة البلاد إلى أكثر من 500 طن /كلم^2 / سنة (بين 200 و500 في الريف الاوسط والغربي).

ويشير الجدول التالي إلى خصائص عدد من الاحواض النهرية المغربية وإلى مقادير التعرية المائية والسيل بها.

	ورغة	إناون	الأخضر	ملوية	أبورقرار	ماسة	زير
(1) مساحة	6170	3680	1680	49900	9800	3780	4500
(2) ٪ الجبال	88	85	100	43	70	95	100
(3) معدل التهاطل	> 700	600	450	<300	500	230	150
(4) موارد مائية	2980	650	300	934	723	150	155
(5) تركز المياه	4	6	16	21	3.1	10.4	12
(6) الاقتلاع	2070	901	2991	336	270	385	430
(7) منقولات	12800	3320	5000	16700	2650	1460	1970

1 ـ مساحة بالكلم^2 . 2 ـ نسبة التضاريس الحادة. 3 ـ معدل التهاطل بمم.
4 ـ صبيب النهر بالهكتومتر مكعب. 5 ـ تركز مياه السيل بغ / لتر.
6 ـ الاقتلاع بالطن / كلم^2 / سنة. 7 ـ المنقولات السنوية بآلاف الأطنان.

يبين هذا الجدول أن هناك مجالات تفقد مقادير هائلة من تربتها، مثل ورغة والاخضر. ويرتبط ذلك في نفس الوقت برطوبتها وشدة تضرسها. كما أن الصخارة لها دور مهم. أما صبيب المنقولات الإجمالي خلال السنة، فهو يضع ملوية في الصف الأول وذلك ارتباطا بمساحة حوض هذا النهر (7٪ من مساحة المغرب). إلا أن فحص الجدول يبين أن سهول ملوية وجبالها لا تفقد مقادير كبيرة من التربة (336 طن / كلم^2 / سنة).

وتتضح عواقب هذا الانجراف الهام في عدة مظاهر من أهمها :

ـ توحل حقينة السدود من جراء تراكم الفتاتات المنقولة من طرف الأنهار وبالتالي تقلص امكانيات تخزين الماء وراء السدود وإمكانيات تنظيم عملية السقي.

ـ تدهور أتربة الحقول وما ينتج عنها من تفقير لامكانياتها الفلاحية. هذه الظاهرة الأخيرة مرتبطة بالآليات الدقيقة التي تعمل بها التعرية.

وعلى إثر حدوث تهاطلات، يتسرب قسط من الماء إلى الاعماق، ويكون الصبيب القاعدي للانهار، لأنه لا يتعرض للتبخر، وبالتالي يشكل مخزونا يخرج على شكل عيون مغذية. يتسرب جزء ثان إلى الطبقات العليا من التربة ويساهم في تغذية النباتات. كما أنه يتحرك ويحدث وضعيات انزلاقية هامة. وعندما تتشبع التربة، ينطلق السيل على السطح. ويتخذ هذا السيل شكل قنوات متفرعة ـ متلاقية أو شكل فرشة. كما قد يتركز في خدوش تتعمق ببضع سنتيمترات، أو خدات تنحت مجراها ببضعة أمتار.

يشكل السيل الغشائي فرشة حقيقية، ممتدة وعميقة، يهم خاصة أقدام الجبال في جنوب المغرب. وتتسبب الزخات المطرية العنيفة في حدوث مثل هذه الظواهر، رغم عدم تشبع التربة، وذلك بسبب تكون قشرات تكدس واندكاك على سطحها، تساهم في انغلاق المسام. وقد تم وصف آثار مثل هذه الظاهرة في تافيلالت (Joly، 1952)، وفي المغرب الشرقي. ويظهر أن أمطار الخريف ونهاية الصيف، تمثل عواصف ذات العواقب الوخيمة في هذه المجالات القارية.

ويؤثر السيل الغشائي كذلك على السفوح الجبلية أو التلية المجتثة، أو التي تدهور غطاؤها النباتي. فابتداء من تغطية نباتية دنيا، تصبح قطرات المطر ذات فعالية تجعل منها أداة اندكاك للسطح. وتصبح عندئذ المياه السائلة قادرة على نقل الفتاتات الدقيقة وغسل السطح تاركة عنده المواد الخشنة بارزة.

ويؤدي الانتقال من السيل الغشائي إلى الخدوش المركزة، إلى اجتياز عتبة خطورة خاصة، يرتفع معها حجم النقل، وكذا مدى تدهور التربة.

إلا أن هذه الامطار العنيفة والمركزة تبقى ذات تأثير محدود بالمقارنة مع الامطار الدائمة المؤدية إلى تشبع القطاع الترابي. ذلك أن استمرار التهاطل خلال مدة هامة، يجعل التربة تمتص مقادير مائية هامة، مما يسمح للسيل الناتج عنها بأن يكون جد مركز(مقادير قد تصل إلى 30غ / لتر، أو أكثر). وتمثل هذه الكوارث المطرية كالتي حدثت في الريف سنة 1962 ـ 1963، أو في تونس سنة 1979، إلى امتداد المساحات المتأثرة بالتخديد والانزلاقات، وإلى تفاقم آثار المجاري المائية التي تعمل على توسيع مجاريها واقتلاع ضفافها.

من هنا تتجلى المظاهر المختلفة للتعرية المائية بالمغرب

والتي تتلخص في تدهور الاتربة في العاليات، وبروز عدد من مظاهر التخريب على طول الأودية، وتوحل حقينة السدود في السافلات. من هنا كذلك تتضح أهمية الوقاية من هذه الظاهرة الخطيرة.

عبد الله العوينة

التعرية الريحية، تنشط هذه الدينامية في المناطق الجافة وخاصة منها الموجودة جنوب السلسلة الاطلسية وفي شرق المغرب حيث تشكل القحولة الخاصية الاساسية مع ما تخلفه من خصاص في الحصيلة المائية وفقر شديد في النبات. تعرف هذه المنطقة الشاسعة التي تمتد على مساحة 500.000 كلم^2 أي 5/7 المساحة الاجمالية سيطرة الرياح من نوعين : رياح حارة ورياح الرمال والغبار، الاولى تنتشر في كل مكان وفي كل الفصول حينما يكون هناك زحف باتجاه الشمال الغربي لكتل الهواء القارية الصحراوية أو عند مرور منخفضات جهة الرياح التجارية. أما الثانية أي رياح الرمال والغبار فإنها تكثر في جنوب الاطلس الكبير، وهي رياح دوامية لها قوة تجعلها قادرة على الهبوب حاملة معها حبات الرمال من حجم وقطر يدخل في كفاءتها. وهذه الرياح تؤثر على السطح جنوب وشرق المغرب أكثر من باقي المناطق الصحراوية الأخرى. ويعتبر ممر تانحونيت / الطاوس عند قدم الحافة الشمالية لحمادة كم كم أهم منطقة لهبوب الرياح الحاملة للرمال : 80 يوما من الرياح عند أرفود - بودنيب 20 يوما في عبادلة - 15 يوما في تبلبالة.

وتمتد الفترة الأكثر نشاطاً بين يناير وشتنبر وتصل أقصاها في شهر يونيو. هذه الرياح لا تقتصر على الازالة والنقل بل تقوم أيضاً بترتيب أنواع خاصة من التراكمات الرملية التي تكون إما منعزلة أو متجمعة على شكل أشرطة قد تتعدى عشرات الكلم وتتكون من برحانات وسيوف ونبكاة وتتركز هذه الاشكال في [illegible]رات الفاصلة بين الأعراف حيث تحافظ الرياح على نفس الاتجاه وتزيد قوة، أما فوق الحمادات والسهول حيث الرياح تغير وجهتها باستمرار فإن الاشكال تتراكب فيما بينها مكونة أشكالا هرمية.

تتمثل أخطر نتيجة للدينامية الريحية سواء في المناطق الجافة أو الساحلية في مسألة الترميل أوزحف الرمال الشئ الذي يهدد مناطق زراعية شاسعة في الواحات الجنوبية أو على سواحل دكالة والصويرة وأكادير. وقد تم الانتباه إلى خطورة الترميل في المناطق الساحلية منذ مدة طويلة لأنها موطن زراعات هامة كزراعة الخضروات. أما في المناطق الصحراوية فقد بدأ الاهتمام بزحف الرمال على الواحات وأقدام الأطلس الجنوبية مع مطلع الثمانينات تتم عملية مكافحة الترميل بتنسيق مع منظمة الأغذية والزراعة (ألفو) بعدة طرق، منها المصدات التي تتكون من شباك بلاستكية أو جريد النخل أو ألواح الاسمنت والقصدير بالإضافة إلى تشجير الكثبان المتحركة بنباتات جفافية كالصبار.

H. Plateau, *Au secours du sol marocain*, Rabat, 1952 ; A. Millies-Lacrois, *Quelques problèmes morphologiques concernant les versants instables au Maroc*, Note de Doc. S.E.G.M., n° 13, 1967 ; B. Hensch, *Le contrôle de l'érosion hydraulique au Maroc*, Rapport de Mission, Rome, SOGETHA - FAO, 1971 ; *L'érosion hydraulique au Maroc, son calcul et son contrôle*, *El Awamia*, n° 32 ; Ch. Floret, *Rapport sur l'érosion éolienne dans les régions d'Agadir et d'Ouarzazate*, Rabat, 1975.

رشيدة نافع

التعريجة، آلة إيقاعية مصنوعة من خزف مطلي بأصباغ مختلفة الألوان. شكلها أسطواني مفتوح الطرفين، يميل إلى الضيق في الوسط. وأوسع طرفيها مغطي بقطعة من جلد الماعز.

تعتبر التعريجة أكثر الآلات الإيقاعية شعبية، وتستعمل لضبط الوزن. كما تضطلع بدور المصاحبة الإيقاعية للإنشاد الصوتي والعزف الآلي. وهي تحتل هذا الموقع في كثير من أجواق الطرب الشعبي بالمغرب كالملحون والعيطة، وفرق أمذيازن الزمورية، كما تستخدم في الدقة المراكشية والأهازيج الشعبية الحضرية وفي مناسبات عاشوراء والأعياد والأعراس. ويطلق على ضارب "التعريجة" اسم "التعارجي" إلا عند إمذيازن فيطلق على ناقريها اسم "الدراري".

يميل صوت التعريجة إلى الحدة بالنسبة لصوت البندير، ومن ثم تشكل ضرباتهما معا حوارا في وسع المستمع الواعي أن يميز بين نغماته وخاصة إذا كان جلد هاتين الآلتين "مْسخَّن".

يمسك الناقر التعريجة من وسطها باليد اليسرى على نحو عمودي بحيث يكون طرفها المغطى بالجلد إلى أسفل.

ويقسَّم الناقرون على التعاريج (التعريجات) إلى فريقين : أولهما يوقع النقرات الأساسية والرنانة، وتسمى هذه النقرات "الأم"، وثاني الفريقين يوقع النقرات الثانوية، فيرجع نقرات الفريق الأول أو يملأ الفراغات الواقعة بينها، وتسمى هذه النقرات "الحاشية". ومن تجاوب "الأم والحاشية" يتكامل عنصر الإيقاع في العمل الموسيقي، وهو عنصر قد يحتد ويصطخب أحيانا في نهاية العرض الموسيقي كما هو الشأن في "الگباحي" عند نهاية قصيدة الملحون.

عبد العزيز بنعبد الجليل

تعـزّى بنت ناصر، ذكرها مؤلف *رحلة الوافد* ... أثناء حديثه عن "المقبرة الكبرى بعدوة وادي نفيس، التي الآن بقرب سور المدينة (تينمل) عند الطريق ..." قائلاً : "وفي وسطها (المقبرة) بيت المرابطة (التي) يقال لها تَعْزّى بنت ناصر ومعها قبور أخرى في البيت، مازال القوم يتبركون بها وبهم الآن..." (ص 174).

هذه السيدة التي نعتها المؤلف المذكور بالمرابطة لا نعرف عنها شيئاً، رغم أنها كانت لها بدون شك أهمية ما على المستوى المحلي، وإلا ما كان ليبنى عليها وما كانت لتدفن في "المقبرة الكبرى" التي بها قبور الموحدين

والصالحين والعلماء العاملين والسادات الأشراف على حد قوله.

عبد الله بن إبراهيم التاسافتي، رحلة الوافد ... 1993، ص. 174.

علي صدقي أزايكو

التعطير (التقليدي)، لا يمكن الحديث أبداً عن مختلف الحواضر المغربية الكبرى في القرون السالفة دون ذكر أحيائها التجارية الرئيسية. وكان من أهم أحيائها التجارية حي العطارين الذي كان السكان يرتادونه لاقتناء لوازم التطيب والتعطير التي كانت مكملا لا يستغنى عنه التجميل التقليدي سواء بالنسبة للذكور أو الإناث.

كان العطر والطيب المستعمل في المدن المغربية قبل أن تكتسح العطور الحديثة الأسواق المغربية في معظمه من أصل نباتي وحيواني إما من صنع محلي أو مستورد من بلاد المشرق. فالعطور المحلية تخصص في تقطيرها واستخراجها من الورد وأزهار الريحان والفل والقرنفل أو عود الصندل والعود القمري (يسمى الأول عود الهند والثاني العود القماري) والصمغ المعطر والمسك والعنبر أشخاص عرفوا بأسمائهم بين الناس ولقبوا في مختلف المدن المغربية بالقطارين والعطارين. أما المستوردة منها فكانت تفد إلى المغرب من المشرق على حالة صلبة ثم تعالج بطرق مختلفة للتعطير أو التبخير كعطر الجاوي الذي تصنع منه بخور الجاوي المشهورة. ويستقدم هذا العطر إلى المشرق العربي من الشرق الأقصى من جزيرة جاوة الأندونيسية، وهو صنع يستنبط من جذوع بعض الأشجار المعطرة ويستعمل في العلاج التقليدي كمرهم للدلك وفي صناعة العطور. وبما أنه يشبه في لونه اللبان فإن البعض من الناس يدعوه (لبان جاوة). ومن هذه العطور المستوردة نذكر أيضا العود القمري بضم القاف والميم، وهو خشب ينمو في جزر القمر فنسب إليها كما نسب عود الجاوي إلى جزيرة جاوة. وقد عرفه العرب في الماضي باسم العود. أما العود الهندي الذي يعرف بالصندل فينمو خشبه في بلاد الهند، كان ينقل إلى البلدان العربية ومنها يصل إلى المغرب، وقد تحول اسمه من لفظة فارسية هي دجندال إلى صندل وانتقلت هذه الكلمة بعد تحريفها عن أصلها إلى اللغات الأوربية الحديثة Santal. لذلك كانت العطور المستعملة في المغرب من نوعين أحدهما جاف صلب يحرق في مباخر خاصة لتعطير الملابس والأجسام والأماكن بروائح زكية وعطر سائل يحتفظ به في قارورات مخصصة للصيانة تختلف أشكالها وأحجامها.

وكانت العطور التي تستهلكها الأوساط المخزنية تقطر على يد نساء ورجال متخصصين كانت موارد أرزاقهم مرتبطة ارتباطا وثيقاً بحياة القصور. وكانت مهنة تقطير العطور ومعالجة الطيب وصيانتهما من بين أهم الحنط الداخلية التابعة للمخزن وكانت لها قوانينها وأعرافها ولها أمينها. وقد اشتهر على سبيل المثال عبد الرحمان العوفير في عهد السلطان المولى عبد العزيز والمولى يوسف بن الحسن بأنه كان أميناً للقطارين وأمينا للرواح وحفيظا لحقيبة التجميل السلطانية بالإضافة إلى تقلده لمنصب أمين مرسى مدينة الرباط. *كان هذا الشخص هو المسؤول عن* صيانة العطر والدهان والطيب وعلك المصطكا والكحل والسواك والحرقوص والعكار وما يتبع ذلك من قطن وخرق وأردية خاصة بالتجميل.

وكان تقطير العطر من بين أهم الأمور التي تتقنها النساء في العائلات الحضرية المغربية الثرية والمتوسطة، وقلما توجد عائلة لا تتقن فن التقطير أو لا تتقن تصبير بعض المواد الغذائية وتخزينها ونسج بعض الأغطية والأفرشة والملابس للاستعمال الخاص. أما سائر الناس فكانوا يقتنون العطور من القطارين في سوق العطور حيث كانت دكاكين العطارين تعج بقارورات العطر المختلفة الأحجام. لذلك كان سوق العطارين يعتبر جزءاً لا يتجزأ من منظر الحواضر المغربية التقليدية وخاصة في فاس ومكناس وتطوان والرباط ومراكش.

وقد اشتهرت فاس بأنها كانت هي أكبر مركز لتقطير العطور وصيانتها وتوزيعها في جهات كثيرة من أرجاء بلدان المغرب العربي. ومازالت دكاكين العطارين المصطفة الواحدة بجوار الأخرى في هذه المدينة تشهد على ذلك إلى اليوم. ومما تؤكده معظم الكتب التاريخية أن فاس ورثت أساليب تقطير العطر والطيب عن قرطبة التي ازدهر فيها ذلك ابتداء من القرن العاشر الميلادي على يد القطار والكيميائي الشهير أبي القاسم الزهراوي المتوفى سنة 1013م. وتذكر المراجع المذكورة بأن عطور هذا القطار كانت مضربا للأمثال في الأندلس وبلاد المغرب من طنجة إلى طرابلس خلال ازدهار الحضارة العربية الاسلامية في ربوع الأندلس في العصور الوسطى. وقد ازدادت شهرة الزهراوي بعد وفاته لأنه ترك للعطارين والكيميائيين مؤلفا دقيقا في كيفية استخراج العطور وصيانته سماه *كتاب الأدهان* ذاع صيته في مشرق العالم الاسلامي ومغربه وانتشر فيما بعد في معظم البلدان الأوربية.

عبد الرحمان بن زيدان، *العز والصولة*، الجزء الأول، الرباط، 1961؛ عبد الحي الكتاني، *تبليغ الأمانة*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط ك 2729 ؛ مؤلف مجهول، *المرأة المغربية والحلي*، *العلم* عدد 8706، 28 أبريل 1974 ؛ *كناش الخزانة الحسنية* بالرباط رقم 250 ؛ محمد عزيز حلمي، *عادات الزي في المغرب الأقصى*، د. ت.، د.م.

C. Fidel, *Le commerce du Maroc*, s. l., s. d ; L. Bolens, *Les parfums et la beauté en Andalousie médiévale*, Université de Genève, s. d. ; P. Champion, *Le Maroc et ses villes d'art*, Paris, 1931 ; L. Abensour, *Ce que tout français doit savoir sur l'Afrique du nord*, Paris s. d. ; E. Doutté, *En tribu*, Paris, 1914 ; *Archives marocaines*, Tome 4, 1905 ; E. Adnan, *L'artisanat créateur au Maroc*, Paris, 1938.

محمد بوسلام

ابن **تعفوفت**، يحيى بن محمد، ويكتب أيضا أُتعفوفت و" أ" هنا بمثابة "ابن". أكبر خدام التاج البرتغالي بمنطقة أسفي. لعب دوراً أساسياً في نشر النفوذ البرتغالي في عبدة ودكالة والحوز والشياظمة، وفي الدفاع

عن تلك المكتسبات بتصديه للوطاسيين والهنتاتيين والسعديين. وقد أعطاه ذلك العمل شهرة كبيرة لدى القبائل، وحتى داخل البلاط البرتغالي الذي كان له به مساندون ومتعاطفون. فقد وصلت شهرته إلى سوس، وتمنى قبطان حصن فونتي لو أنه وصل إلى هناك لطرد القائم بأمر الله وابنيه. وإذا كانت المصادر المغربية قد سكتت عن الأدوار التي قام بها هذا الشخص، فإن الوثائق الخاصة به، المحفوظة بالأرشيف البرتغالي، والتي توجد ضمنها رسائل بعثها بنفسه للملك البرتغالي، تسمح بتتبع الأدوار التي كلف بها. واعتماداً على تلك الوثائق، خصه المستعرب البرتغالي David Lopes سنة 1897 بدراسة مستفيضة ضمن المؤلف الذي خصصه للرسائل الأعجمية التي كانت نسبة مهمة منها موقعة من لدن يحيى أُتعفوفت. وورد اسمه هكذا بإحدى الألواح التي سن بها يحيى قوانين على قبيلة الحارث سنة 1512.

وأشار الحسن الوزان إلى أن يحيى هذا كان بعد 1506 من الطامعين في حكم أسفي، ووصفه بالشاب الشجاع الذي كان، كغيره من المغامرين المتعطشين للسلطة، يرأس جماعة من المقاتلين. وتوسع الإخباري البرتغالي دو كويش في أخبار يحيى وما قام به من أدوار خلال الحرب الأهلية التي كانت تتخبط فيها أسفي، والصراعات التي عرفتها المدينة بسبب تنافس أعيانها، وتدخل البرتغاليين في سياستها.

كانت المدينة تحت الحماية البرتغالية منذ عهد الملك ألفونصو الخامس (توفي يوم 21 غشت 1481)، وكان يحكمها قائد يسمى عبد الرحمن، بدأ يتملص من قبضة البرتغاليين الذين سبق لهم أن أوصلوه إلى السلطة بعد انقلاب نظمه بإيعاز منهم ضد عمه القائد أحمد (1498) (راجع مادة أحمد بن علي). وبعد أن تمكن يحيى وعلي بن وشمان من اغتيال قائد المدينة بالمسجد وخلال يوم العيد (1506)، اقتسما السلطة إلى أن كثر المعارضون، فاضطرا إلى الاحتماء بالبرتغاليين المستقرين آنذاك بأمگدول (الصويرة حاليا). ولما لاحظ البرتغاليون أن يحيى وعليا يعارضان سقوط المدينة في أيديهم، عملوا على خلق الشكوك بين الصديقين وجعل كل واحد منهما يعتقد أن الآخر يريد قتله. وبما أن يحيى أُتعفوفت كان هو الحاكم بأسفي، وبما أنه أصبح، إن صحت رواية الإخباري دو كويش، يعاكس المخططات البرتغالية الرامية إلى التحكم في المدينة بشكل مباشر، بعد أن تبين لهم فشل سياسة الحماية والتحكم غير المباشر، فإنهم اعتمدوا على منافسه، علي بن وشمان، الذي استنجد بقبيلة بني ماگر التي نهبت دور أنصار يحيى. وحيث إن يحيى لم يكن يعلم أن ما وقع تمّ بإيعاز من المسيحيين، فإنه التجأ إلى الحصن المخصص لهم بالمدينة وأقنعهم بإرساله إلى لشبونة ليوضح موقفه للملك البرتغالي، وهذا ما تم فعلا (قبل 13 غشت 1507). واحتلت أسفي بسهولة خلال النصف الأول من سنة 1508.

وخلال مقامه بالعاصمة البرتغالية، استطاع يحيى أن يكسب عدة صداقات، وأن يرتبط بشخصيات نافذة داخل البلاط. ويبدو أن حصار القبائل لأسفي في دجنبر 1510، ومطالبة سكان تلك المدينة سنة 1509 بعودة يحيى إلى المنطقة كي "يكون قنطرة بين المسلمين والنصارى"، جعلا الملك البرتغالي يقرر إرجاع يحيى برتبة قائد على عبدة والغربية.

وكانت العودة في نهاية 1510 أو بداية السنة التالية. إلا أنه لم يستقر بالمدينة المحتلة التي كان سكانها قد أخلوها، وأقام بقرية سرنو، شرق مدينة أسفي، إذ ورد بسجل ضرائب برتغالي اسم يحيى بالموقع المذكور إلى جانب بعض الأعيان وساكنة تتوزع سبعا وسبعين داراً. ولم تشر المصادر إليه إلا في أكتوبر 1511 إثر تنظيم قبطان أسفي الجديد، نُونُو فَرْنَاديشْ دُو أتايْد (Nuno Fernandes de Ataide) لغارة على المنطقة، إذ أن يحيى جاء لتحية القائد البرتغالي، ولامه على عدم إشراكه له في عملياته العكسرية، وأكد له أنه لو كان فعل "لتمكنوا من أسر عدد أكبر، ولاستطاعوا الاحتفاظ بكل الغنائم" التي اضطروا إلى التخلي عنها، الأمر الذي يؤكد أنه كان ينتظر من المسؤولين بأسفي تكليفه بدور أكثر فعالية. ويبدو أن القبطان البرتغالي استمر في تجاهله، ولم يشركه في أية عملية عسكرية خلال ما تبقى من سنة 1511. إلا أن الاعتماد عليه أصبح كبيرا بعد 1512.

فخلال هذه السنة، أرسله القبطان على رأس عدد من رجاله لمنطقة تانسيفت قصد إدخال ضرائبها. وهاجمه فريق من الشياظمة، إلا أنه انتصر عليه رغم قلة أعداد رجاله، وأكرهه على دفع الضرائب. واستطاع يحيى إخضاع فرع أولاد عمران الشمالي، المستقر قرب الجبل الأخضر، بدون حرب. وتحمل يحيى ورجاله العبء الأكبر خلال الصدام الذي وقع بين برتغاليي أسفي والناصر الهنتاتي الذي تحرك للجهاد بدكالة، وتكبد هزيمة بسفح جبال بني ماكر سنة 1512. ولما أعاد الهنتاتي جمع قواه تحرك في اتجاه أگوز، على الضفة اليمنى لنهر تانسيفت. وآنذاك وصلت القبطان أخبار بشأن إعداد يحيى لخيانة البرتغاليين، فأمر كل المسيحيين المرافقين له بالالتحاق بأسفي، الأمر الذي نفذوه باستثناء أقلية. واستطاع يحيى، الذي كان يقود 3.000 عبدي وغربي، الانتصار على الهنتاتي من جديد، فازدادت بذلك شهرته، وفي نفس الوقت ازداد عداء القبطان وأعيان يهود أسفي له. وهكذا كاتب كل من القبطان وأبرهم بن زميرو، حاخام أسفي، العاهل البرتغالي وأبلغاه شكهما في يحيى الذي اتهماه بإعداد خيانة البرتغاليين والتخطيط لقتل القبطان، وبالتعسف واستغلال النفوذ والاغتناء من جمع الضرائب واتخاذ الألقاب السلطانية. وقد أرسلا إلى اشبونة كل الوثائق والشهادات المدينة، وخصوصاً أحد الألواح التي تسن بعض القوانين والتي ورد في مستهلها : "بيمن الله وتوفيقه وإذن من له الأمر والأحكام السلطانية

بمدينة أسيف، الشيخ الأجل الأفضل الأكمل الأفضل الأعز، الأرفع، الأجمل، المؤيد المنصور أبو زكريا..." وخصت هذه الوثيقة، وكذا وثيقة أخرى، يحيى بصفة "السلطان". ويبدو أن الانتصارات التي حققها يحيى، وما نتج عنها من جاه ونفوذ بالمنطقة، جعله يعتقد أن بإمكانه إنشاء دولة خاصة به، تكون تحت حماية التاج البرتغالي. وبذلك يكون قد حاول بالبادية تحقيق ما فشل فيه بالمدينة المنقسمة على نفسها. ورغم أن الملك البرتغالي أمر يحيى بالالتحاق بالبرتغال، فإن القبطان فضل الاحتفاظ بذلك الأمر، ولم يطلع يحيى عليه لشدة حاجته إلى خدماته، خصوصاً وأن التوسع البرتغالي كان في بدايته.

وبالفعل، كان دور يحيى في نشر النفوذ البرتغالي بتلك المنطقة أساسياً خلال سنة 1513. فقد أكره قبائل بمنطقة الگنتور ومشارف الحوز على الخضوع ودفع الضرائب. وبما أن القائم بأمر الله استقر في نفس السنة صحبة ابنه أحمد بالشياظمة، فإن يحيى أرسل إلى هناك لمنع القبائل، وخصوصاً القريبة من نهر تانسيفت، من الخضوع لهما. وفي فبراير من سنة 1514، كان يحيى على رأس ألف من رجاله وحوالي 300 محارب برتغالي بمنطقة الحوز. وفي نهاية نفس الشهر ساهم بشكل فعال في الهجوم الذي نظمته حاميتا أسفي وأزمور ضد تدنيست، لطرد القائم بأمر الله وأنصاره منها. وفي مارس من نفس السنة، التقى به الحسن الوزان بالحوز وهو منهمك في جمع الضرائب لفائدة البرتغاليين. وشارك يحيى برتغاليي أسفي وأزمور في "معركة الجمعة" (14 أبريل 1514) التي انهزم فيها قواد الناصر الوطاسي الذي تحرك، بأمر من أخيه السلطان محمد البرتغالي، خلال تلك السنة في اتجاه دكالة لمساعدة سكانها الذين استنجدوا به. وبعد أن تخلى الناصر عن محاصرة أزمور، قرر مطاردة يحيى بنية قتله أو استقطابه، إلاَّ أن هذا الأخير تفادى الاصطدام، واكتفى بتسميم الآبار ونقط الماء لإكراه الوطاسي على مغادرة دكالة. واكتفى الوطاسي بتخريب المدينة الغربية و"سرنو"، مقر إقامة يحيى، قبل الانسحاب. وقد توصل يحيى من الملك البرتغالي بالموقع المذكور كإقطاع مع امتيازات أخرى.

وزادت هذه الانتصارات يحيى شهرة ونفوذاً داخل المنطقة، الأمر الذي زاد من تشكك القطبان، ومن حسده لكونه كان يرى في يحيى مزاحماً له. ولما أطلع القبطان يحيى على الأمر القاضي بالتحاقه بالبرتغال، امتثل بكل سهولة، وغادر أسفي في نهاية غشت من سنة 1514 صحبة ترجمانه.

ويبدو أن القبطان اتخذ القرار المذكور بعد أن اطمأن للأوضاع بالمنطقة وأنه لم يصدق ما راج بشأن قرب تحرك جيوش الوطاسي في اتجاه دكالة. كما أنه أصبح يخطط لإخضاع مراكش، وكان يرغب في احتكار ذلك المجد وتحقيقه بنفسه ودون مساعدة غيره، حتى ولو كان برتغاليا (عارض مشاركة قبطان أزمور في العملية).

ولم يؤثر هذا النفي على مكانة يحيى داخل البلاط البرتغالي، إذ أقام به مكرما مدة اثنين وعشرين شهراً، رغم استمرار القبطان وكبير يهود أسفي في اتهامه. وقد اضطر العاهل البرتغالي لإرجاعه إلى أسفي بعد قتل القبطان دو أتايد سنة 1516، وثورة كل القبائل التي كانت تدين للبرتغال بالولاء. وعاد يحيى إلى أسفي يوم 20 يوليوز 1516، برتبة قائد على كل منطقة دكالة بعد أن كان نفوذه يقتصر على عبدة والغربية.

ووجد يحيى كل القبائل في حالة عصيان، إذ أصبحت عبدة والغربية تقطعان الطرق المؤدية إلى أسفي. واستطاع يحيى إرجاعها إلى الطاعة بسرعة، مما جعله يظهر بمظهر المخلص بالنسبة للبرتغاليين. إلا أن هذا النجاح، واختلاف تصور كل من القبطان الجديد ويحيى لطريقة تسيير المنطقة والتعامل مع قبائلها، فجر من جديد مرحلة من التنافس والعداء بين الرجلين زادتها أسرة بن زميرو اليهودية حدة، فالتجأ كل واحد إلى العاهل البرتغالي. إلا أن هذا الأخير فضل الاحتفاظ بهما معا لشدة حاجته إليهما. والغريب أن قبطان أزمور كان يدافع عن يحيى وينوه بما كان يقوم به لصالح البرتغال بالمنطقة.

واستمر يحيى، رغم عداء القبطان وأعيان اليهود له في الدفاع عن المكتسبات البرتغالية، ولم تؤثر فيه المحاولات الرامية إلى إبعاده عن النصارى. فقد انتصر يوم 20 مارس 1517 على الناصر الهنتاتي، كما انتصر عليه وعلى ابن عمه مرة أخرى بعد أن حاولا دخول دكالة. وفي ربيع 1517، راجت إشاعات بشأن تحرك الوطاسي نحو هذه المنطقة. وأكرهه شك القبطان فيه وعصيان عبدة وقسم من الغربية، على الانسحاب جنوب تانسيفت. واستغل القبطان وجوده هناك لاتهامه بالتواطؤ مع الأمير السعدي واقتسام مناطق النفوذ معه. وفي رسالة إلى الملك البرتغالي، ذكر يحيى أنه ينتظر مغادرة الوطاسي للمنطقة وأنه "إذا رجع أن نَتْحزم مع هذا العْرب حتى نردْهم لَسْفي بزَّزْ منهم".

ولم يصلنا شيء من أخباره منذ ذلك التاريخ إلى يوم اغتياله (قبل 16 فبراير 1518)، بخيمة أحد شيوخ أولاد مطاع، على يد شيخ عبدي. وانتهى الاغتيال بعصيان جديد. وعجز البرتغاليون عن إرجاع الأمور إلى ما كانت عليه، خصوصا وأن الأوضاع لم تعد في صالحهم بعد مجاعة 1521 الكبرى، وبعد تزايد نفوذ الشرفاء السعديين الذين نقلوا، منذ 1518، عملياتهم العسكرية إلى شمال نهر تانسيفت.

ومما لا شك فيه أن الدور الذي لعبه يحيى أُتعفوفت في نشر النفوذ البرتغالي كان كبيراً كما أكد ذلك الإخباري البرتغالي دو كويش عدة مرات. غير أن القبطان دو أتايد، حاكم أسفي الشهير، كان يرى عكس ذلك، وكا يدعي أنه كان بإمكان أي "مسلم" يوضع على رأس القبائل أن يقوم بما قام به يحيى. إلا أن هذا الحكم كان بالتأكيد وليد العداء والحقد الذي كان ذلك المسؤول البرتغالي يكنه

ليحيى أُتعفوفت، ووليد محاولاته الكثيرة إقناع الملك البرتغالي بخيانة يحيى وبعدم الاحتياج إلى خدماته.

من الأكيد أن يحيى كان رجلا شجاعا استطاع تحقيق انتصارات غير متوقعة، وفي ظروف صعبة. فقد كان مجرد وجوده يمثل ضمانة للقبائل الحليفة، الأمر الذي كان يجعلها تساهم في الغارات البرتغالية، كما كان حضوره كافياً لبث الرعب بين صفوف المهاجمين. ومكن تحكم يحيى في قبيلتي عبدة والغربية من ضمان حزام آمن حول أسفي، ومن توفير العدد الكافي من المحاربين، الأمر الذي كان يسمح بتغطية النقص في الرجال الذي كان البرتغاليون يعانون منه. كما سمحت تلك القبائل للبرتغاليين بنشر نفوذهم بخسائر بشرية قبيلة، لكون تلك القبائل كانت تتحمل عبء الحرب، إذ كان البرتغاليون يبقون خلف الصفوف، في انتظار حسم يحيى ورجاله للمعركة، ليشرعوا في مطاردة المنهزمين.

ووفرت مشاركة يحيى للبرتغاليين كذلك وسائل المبيت المتمثلة في الخيام لكون القبائل الخاضعة له كانت تتحرك بكل عناصرها. وقد أكدت التقارير البرتغالية على دور تلك الخيام في نجاح التوسع البرتغالي بالمنطقة، إذ اعتبرها أحد البرتغاليين العامل الأساسي في وصولهم إلى سفح الأطلس الكبير.

ويعتقد المؤرخ البرتغالي D. Lopes أن يحيى بقي طول حياته وفياً للتاج البرتغالي، وأنه لم يستطع التغلب على العقلية التي اكتسبها من خلال صراعه من أجل السلطة بأسفي، وأن الجو المشحون بالشك والدسائس الذي كانت تعرفه أسفي بعد احتلالها رسخ لديه تلك العقلية، لذا كانت بعض مواقفه مشوبة أحياناً بالغموض وتدفع إلى الشك. وأضاف أن يحيى استطاع الحصول على ثقة الملك البرتغالي رغم الاتهامات التي وجهت له، والحجج التي جمعت ضده، وأنه استطاع كذلك الحصول داخل البلاط البرتغالي على صداقات ساندته، وختم مقاله المخصص لهذه الشخصية بقوله : يمكن الجزم بأن يحيى لم يخن أبداً القضية البرتغالية رغم أن الوثائق الخطيرة التي أرسلها القبطان أتايد وأبرهم بن زميرو إلى العاهل البرتغالي، إذ أن تلك الوثائق لا تدل إلا على استغلال للنفوذ.

ويرى روزنبرجي Rosenberger في مقال حديث (1993) أنه من الصعب اتهام يحيى بالتخطيط لخيانة البرتغاليين بعد التمكن من نشر نفوذه على القبائل باسم التاج البرتغالي، ولو أن ازدواجية الخطاب الذي نهجه باتفاق مع العاهل البرتغالي قد توحي بذلك، ولو أن تصرفات وأقوال صعب عليه التحكم فيها قد تدفع إلى ذلك الاعتقاد. كما أن الاتصالات التي اضطر إلى القيام بها مع السلطات المغربية لم تكن من باب الخيانة، بل كانت تهدف إلى حماية المكتسبات البرتغالية، وكانت تتم بعلم وتزكية المسؤولين. وأكد المقال على المشاكل والعراقيل التي خلقتها ليحيى جهات كانت ترى في وجوده مسا بمصالحها : بعض اليهود الطامعين في الوساطة السياسية والتجارية، والعسكريون الراغبون في الاغتناء من الغارات ومما توفره من غنائم وأسرى، والذين كانت سياسة الملك البرتغالي، ومنفذها بالمنطقة يعاكسان طموحاتهم. كما بين المقال أن انتصارات يحيى وأعماله العسكرية كانت تضايق القبطان الذي كان يريد أن يحتكر ما يتولد عنها من أمجاد وامتيازات. وربط الكاتب فشل يحيى بفشل مخططات الملك أمنويل بالمغرب، لقلة وسائله المادية والبشرية.

ونعتبر أن الحكم على يحيى وما قام به من أدوار يلزمنا بأخذ مرحلتين مختلفين من عمله السياسية والعسكري بعين الاعتبار.

فإلى حدود سنة 1514، اغتر كثيراً بنجاحه السريع، وبما حققه من وزن سياسي بالمنطقة، وباحتماء القبائل به. ويبدو من خلال ما حولنا من وثائق، أن فكرة الاستحواذ على السلطة اعتماداً على البرتغاليين قد خامرته فعلا، كما يتجلى ذلك من خلال الألقاب السلطانية التي خص بها نفسه، ومن خلال ما كان يعبر عنه سراً وعلانية. وقد تبلور هذا الموقف بعد 1512، أي بعد أن أكرهت جل قبائل دكالة، وحاضرتها المدينة الغربية، على الرضوخ. فهل حاولت تلك القبائل دفع يحيى إلى اتخاذ ذلك الموقف لتعتبر نفسها خاضعة لحاكم مغربي، وإن كان يدين بالولاء للتاج البرتغالي ؟ لقد كتب أحد سكان المدينة الغربية لقبطان أسفي يخبره بالاستقبال الذي خص به سكان تلك المدينة يحيى حين دخوله إليها يقول : "وفرْحوا أهلها به، وكل يوم محمد بن عمرو كان يخرج إلى الشوارع ويصيح : "الله ينصر سيدي يحيى بن تعففت". ويلغ آخر بموقف سكان المدينة المذكورة من رسالة بعثها يحيى : "وقْراه سيدي محمد على أصحابه في المدين وفرْحو به، وكان بن محمد يمشي ويقول : "الاّ ينصر سيدي يحيى تعففت، من بْغض سيدي يحيى فليخرج من المدينَ". وأضاف المبلغ أن سكان المدينة الغربية اتفقوا مع قبائل "أولاد سبيطً، مع أولاد يعكي، مع أولاد عمران، يلتقو جميعا، ويتحلفو جميعا، على كْتوب بن تعففت ويسيرُ إليه بلجميع...".

وبذلك يكون يحيى قد استمر في البحث عن السلطة بالبادية هذه المرة، بعد فشله في الحصول عليها بالمدينة المنقسمة على نفسها، بالاعتماد دائما على البرتغاليين، مستغلا بذلك سياسة الملك أمنويل بالمنطقة الهادفة إلى ضمان مناطق مسالمة تدفع الضرائب وتقبل على أسواق الثغور المحتلة. لذا لم تنفع معه كل المغريات، وفشلت كل محاولات إبعاده عن البرتغاليين. وبهذا نفهم سبب عدائه للهنتاتيين أولا، ثم للشرفاء السعديين، بعد دخولهم الشياظمة، لمعاكسة وجودهم بالمنطقة لمخططاته.

أما بعد رجوعه من منفاه الثاني، فقد تطلب منه إخضاع القبائل والصمود في وجه الوطاسي وقتا طويلا ولم يستطع استرجاع الهيبة التي كان يتمتع بها من قبل. ولم يكن بإمكانه التراجع وتصديق وعود وتطمينات

الوطاسيين، لعلمه أن ذلك يعني نهايته. ولم يعد بإمكانه كذلك خيانة البرتغاليين، أو حتى عصيانهم لشكهم فيه واحتياطهم منه، وكذا لتراجع تحكمه في القبائل. وكان استمراره في الدفاع عن مصالح البرتغال في الحقيقة دفاعا عن نفسه، ذلك أنه لم يعد بيده إلا حلان، إما أن ينجح، وإما أن يموت وهو يدافع عن مكانته. وقد كان واعيا بهذه الوضعية الحرجة التي كانت مفروضة عليه.

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، ط. 2، ص. 147 ـ 151 ؛ أ. بوشرب، *دكالة*، الدار البيضاء، 1984.

B. Rosenberger, *Yahya U Tafuft. 1506 - 1518 : des ambitions déçues*, *H.T.*, vol. 31, fasc. unique, 1993, pp. 21 - 59 ; D. Lopes. *Bentafuf, alcaide mouro ao serviço de Portugal*, in *Textos em aljamia portuguesa, Estudo filológico e histórico*. 2ème édit. revue, Lisboa, 1940, p. 107 et sq. ; P. de Cenival [et al...], *Sources inédites de l'histoire du Maroc*, 1ère série, *dynastie sa'dienne, Archives et bibliothèques de Portugal*, T.1 et 2, Paris, 1934 et 1939 ; R. Ricard. *Les Portugais au Maroc de D. de Góis*. extraits de *la chronique du Roi D. Manuel de Portugal*. Rabat, 1937.

أحمد بوشرب

التعليم بالمغرب في العهد الإسلامي يمكن أن يقسم إلى ثلاث مراحل كبرى : العصر الوسيط من الفتح الاسلامي إلى سقوط دولة المرينيين، والعصر الحديث أيام الشرفاء السعديين والعلويين إلى نهاية الحماية، والفترة المعاصرة من الاستقلال حتى اليوم.

يبتدئ التعليم في المغرب مع وصول الفاتحين العرب في القرن الأول الهجري (7 م) فهناك إشارات إلى مَن صحب الفاتحين من القراء والدعاة الذين مكثوا في هذه البلاد يعلّمون أهلها أمور دينهم ويلقنون الصغار سور القرآن ومبادئ العربية لينشؤوا على الدين الحنيف. واتسع مجال التعليم في القرن التالي بعد مجئ إدريس بن عبد الله وتأسيس مدينة فاس ونزوح أسر عربية متعلمة إليها من الأندلس والقيروان، ثم بناء جامع القرويين (248 / 862) الذي سيصبح المركز التعليمي الأول في المغرب على امتداد قرون طويلة.

وقد عرف المغرب في هذه الفترة الأولى ـ قبل فاس ـ مراكز تعليمية قديمة كسبتة وطنجة وأصيلا السباقة في ميدان التعليم لكونها نقط عبور إلى الأندلس، يقيم بها العلماء المهاجرون من المشرق مُدداً قصيرة أو طويلة ويروِّجون بها بضاعتهم. وكسجلماسة التي أسسها الخوارج من بني مدرار وراء الأطلس المتوسط في وسط القرن الهجري الثاني (8 م) واشتغل فقهاؤهم فيها بالتعليم وتلقين مبادئ مذهبهم وتكوين الدعاة. وكأغمات أوريكة العتيقة عند قدم الأطلس الكبير الشمالي التي حل بها أندلسيون فرّوا من وقعة رَبَض قرطبة عام 202 / 818 فتعلم الأغماتيون على يدهم. وكذلك مدينة البصرة (بصرة المغرب) التي شيدها الأدارسة في سهول الغرب بعد مرور عقود من السنين علي تأسيس مدينة فاس، ولم تلبث البصرة أن أصبحت حاضرة إمارة إدريسية فرعية تنافس مدينة فاس وتباهيها بمن تجتذبهم ليقطنوا فيها من علماء العدوتين.

ومن المفارقات الغريبة في تاريخ التعليم بالمغرب في القرون الثلاثة الأولى نبوغ فقهاء كبار ينتسبون إلى المراكز التي أشرنا إليها، ويتتلمذ لهم رواد الفقه والعلم في الغرب الإسلامي ممن أدركوا شهرة واسعة، دون أن يزدهر التعليم الازدهار اللائق بمقامهم في أي مركز من هذه المراكز، بل نجدهم ـ أكثر من ذلك ـ يهاجرون مساقط رؤوسهم وينشرون علمهم في حواضر نائية في افريقية أو الاندلس. ولنضرب لذلك أمثله :

أبو محمد يحيى بن يحيى الليثي (ت. 234 / 48 ـ 849) من مصمودة طنجة الذي أخذ عن الإمام مالك في المدينة وروى عنه *الموطا* مباشرة، استقر بالأندلس وأدخل إليها المذهب المالكي، وانتهت إليه رآسة العلم في قرطبة. وأبو يحيى حماد بن يحيى السجلماسي الذي عده القاضي عياض في *المدارك* من الطبقة الأولى الذين انتهى إليهم فقه مالك والتزموا مذهبه ممن لم يره ولم يسمع منه. تتلمذ حماد لأحد كبار الآخذين عن مالك وهو عبد الملك ابن الماجشون وروى عنه كتابه الذي يعد من أمهات كتب المذهب، لكنه حمله إلى القيروان وعنه أخذه سحنون مؤلف *المدونة الكبرى*، فكان حماد السجلماسي أول من أدخل فقه ابن الماجشون إلى افريقية، وشيخَ رواد الفقه القيروانيين، ثم استقر في القيروان ينشر علمه إلى أن توفي فيها وُعـدَّ من أهلها. وخلفه ابنه حسن بن حماد السجلماسي، وكان فقيهاً متمكناً، سمع من أبيه وغيره وصار من فقهاء القيروان النابهين.

وأبو هارون عمران بن عبد الله العمري البصري (بصرة المغرب) (ت. 313 / 925) وابناه هارون وعبد الله، وكانوا ثلاثتهم فقهاء مبرزين، أتموا دراستهم بالمشرق، وحمل أبو هارون علماً كثيراً إلى الأندلس، فكان أول من أدخل إليها *كتاب ابن المواز*، واستقر مدة في بجَّانة، مدينة من أعمال كورة ألبيرة انتقل أهلها بعد خرابها إلى المرية، فأخذ عنه علماؤها وأجازهم. وقد توفي هارون ـ كأبيه ـ في البصرة، لكن عبد الله بقي في الشرق وغاب خبره في الشام.

فلماذا يا تُرى رغب هؤلاء الرواد من علماء المغرب عن التعليم في مساقط رؤسهم ؟ وما الذي دعاهم إلى الهجرة إلى الشمال أو الشرق ؟

يجيب التاريخ بأن القيروان دارَ الإمارة العربية الأولى في افريقية كانت سابقة إلى العلم بمن نزل فيها من فقهاء التابعين ومن جاء بعدهم من طلائع علماء المسلمين. وكذلك الأندلس التي انتقل إليها الأمويون سنة 132 / 750، تلاحق فيها الأنصار والأشياع من الشام والحجاز ومصر وغيرها. لذلك لم يكد القرن الهجري الثاني يشرف على النهاية حتى كان المناخ العلمي نشيطاً في حاضرتي افريقية والأندلس يستهوي أفئدة المتعلمين من مختلف أرجاء الغرب الإسلامي، ويزداد الإقبال عليهما جيلاً بعد جيل.

أما المغرب الأقصى فكان خلال هذه القرون دار حرب وجهاد، فهو الذي فتح الأندلس وظل يرعاها ويتدخل

عسكرياً فيها كلما دعت الضرورة إلى ذلك. وجهَّز الجيوش تحت راية إدريس الأول وابنه إدريس الأزهر لبسط نفوذ الدولة الناشئة ومتابعة نشر الإسلام ومحاربة الزيغ والفساد في المناطق النائية. لذلك بقي التعليم في المغرب لا يتجاوز عموماً مراحل حفظ القرآن ومعرفة ما لابد منه من العقيدة والأحكام الشرعية واللغوية، فكان النابغون من المتعلمين يقومون برحلات يطلبون فيها العلم خاصة في المشرق العربي ثم لايرجع هؤلاء الأعلام إلى مساقط رؤوسهم، وانما يقصدون الحواضر االعلمية المزدهرة التي تنفق فيها بضاعتهم، كما رأينا في الأمثلة السابقة.

كان بالإمكان أن نطمئن إلى هذا التأويل التاريخي لولا وجود نصوص أدبية رفيعة ترجع إلى هذه القرون الأولى لا يمكن أن تصدر إلا ممن تمرس باللغة العربية وحذقها وتمكن من الشريعة والسياسية، ولاَ يُعرف لأصحابها رحلة علمية إلى أي جهة خارج المغرب. وإذا كان المجال هنا لا يساعد على البسط والمناقشة، فإننا نجتزئ بالإشارة إلى خطبة طارق بن زياد فاتح الأندلس (92/ 711) وأشعار إدريس الثاني وخُطبه وهو ابن إحدى عشرة سنة، وعند إتمام بناء مدينة فاس (93/ 809)، ومُحاضرة رفيقه في حرب برغواطة داوود بن القاسم الأوربي وغيرهم، وننبه إلى أن الموضوع بحاجة إلى بحث واستقراء وتمحيص.

وقد تغيرت الأوضاع التعليمية في المغرب الأقصى في القرن الرابع وما بعده بسبب استقرار الدولة الادريسية ولو أنها أصبحت موزعة في إمارات منتشرة في أطراف البلاد، وبالرغم على الإغارات الخارجية والنزاعات الداخلية، بالإضافة إلى عامل التنافس والتطور الطبيعي. يدل على هذا التطور وجود فقهاء لا معين ملازمين للتدريس في مساقط رؤوسهم، وبخاصة فاس وسبتة، وحولهم طلاب كثيرون يتخرَّجون ويخلُفون شيوخهم في التدريس وتستمر السلسلة متصلة، أمثال أبي ميمونة درَّاس بن إسماعيل الجراَوي الفاسي (تـ 357 / 967) صاحب الضريح الشهير خارج باب الجيزيين بفاس. ويعرف بالمحدث وحافظ المذهب وإليه ينتسب حتى اليوم مسجد حي مصمودة الذي يظن أنه كان يدرِّس فيه. وكان قد أقام مدة بالقيروان وأخذ عنه فيها الإمامان أبو الحسن القابسي وابن أبي زيد القيرواني مؤلف *الرسالة* الشهيرة وغيرها ؛ وجبر الله بن القاسم الفاسي نزيل عدوة الأندلس، وهو ممن أدخل علم مالك إلى فاس بعد أن تخرج على يد فقيه قرطبة أصبغ ابن الفرج، وعاش مع دراَّس بن إسماعيل في انسجام يوازنان بين مسائل المذهب المالكي مستعملين الحفظ والسماع والقياس، وهو أول من أدخل *كتاب ابن المواز* إلى المغرب. وكآل ابن العجوز الكتاميين الذين توارثوا العلم خمسة أجيال وانتهت إليهم رآسة العلم في بلدهم سبتة ورحل الناس للأخذ عنهم من مختلف أنحاء المغرب وعليهم دارت الفتوى. أولهم الأب عبد الرحيم بن أحمد ابن العجوز (ت. 413 / 1022)، والحفيد الأخير عبد الرحمن بن محمد ابن العجوز شيخ القاضي عياض آتي الذكر.

وفي عصر المرابطين (453 . 539 / 1061 . 1144) تم توحيد عدوتي المغرب والأندلس تحت سلطتهم، وأصبحت حاضرتهم مراكش محط أنظار علماء الغرب الإسلامي كله، واستوطنها العديد من الفقهاء والأدباء للخدمة في بلاط الدولة، واشتغلوا بالتدريس في مساجدها وبخاصة جامع علي بن يوسف ابن تاشفين ومدرسته. ونظراً للتوجه الإسلامي لهذه الدولة حظي فقهاء المالكية بنفوذ كبير لدى أمير المسلمين في مراكش وخلفائه في الأقاليم وكثر الإقبال على دراسة فروع المذهب المالكي والعقيدة، وأُلِّف في ذلك العديد من الكتب، ومن بينها أعظم موسوعة فقهية (*البيان والتحصيل*) للقاضي ابن رشد الجد بتشجيع من أمير المسلمين علي بن يوسف. وقد غالي الفقهاء في استبعاد مالا يتفق ونظرياتهم المذهبية الضيقة حتى إنهم أفتوا بإحراق كتاب الإحياء للغزالي، فجمعت نسخهُ وأحرقت.

يقدم فهرس القاضي عياض *الغنية*، وهو من أقدم الفهارس التي وصلت إلينا كاملة، صورة واضحة عن *التعليم بالمغرب والأندلس في عهد المرابطين*. يشتمل على قائمة طويلة للكتب المدروسة آنذاك في مختلف مناحي المعرفة من علوم القرآن والحديث والسير والكلام والفقه واللغة وقواعدها حتى كتب غريب اللغة وشاذّها والشعر العربي القديم. وتراجم عدد من شيوخ التدريس أيام المرابطين، نحو مائة من شيوخ عياض كثير منهم سبتيون، وفيهم طنجيون وفاسيون وبصريّون (بصرة المغرب) بالإضافة إلى أندلسيين وشرقيين. ونشير هنا إلى أن مدينة البصرة خربها العبيديون حكام افريقية أواخر القرن الرابع (10 م) وتفرق علماؤها في الأمصار. وإذا كانت مراكش نالت الحظ الأوفر في التعليم فإن المدن الأخرى كفاس وسبتة وسلا ومكناس لم تخل من حركة علمية نشيطة مستمدة من توجيهات الدولة.

وقامت دولة الموحدين (539 . 657 / 1144 . 1259) على أساس إصلاح التعليم لتصحيح العقيدة وحمل الفقهاء على الاجتهاد والرجوع إلى منابع الشريعة بدلاً من التقليد والجمود مع الفروع. وأداهم ذلك إلى اضطهاد فقهاء المالكية ومنعهم من تدريس فقه الفروع. وقد اتسع نطاق نفوذ الموحدين أكثر فامتد من برقة إلى المحيط، ومن أقصى الأندلس إلى تخوم بلاد السودان. فاتسع بذلك مجال التبادل المعرفي والتلاقح الفكري، وبلغت حاضرتهم مراكش أوج عظمتها العلمية بما أنشؤا فيها من مساجد ومدارس ومن بينها جامع الكتبيين ومناره الشامخ، والمارستان العجيب الذي وصفه عن مشاهدة صاحب *المعجب* وقال "ما أظن أن في الدنيا مثله" ومما خططوا من مناهج للتعل أدمجوا فيها الرياضة البدنية، وأولوا عناية خاصة لتنش طائفة من الشبان تنشئة عسكرية، فاختاروا منهم آلافاً كأنهم "أبناء ليلة واحدة" وعينوا لهم دروساً نظرية يتقنونها

وجعلوا لهم أياماً معلومة في الأسبوع لتعلّم الركوب والرمي بالقوس، والسباحة في بحيرة (صهريج المنارة). وحددوا كتب الدرالسة في التفسير والحديث والسيرة والفقه والتوحيد والتصرف والنحو واللغة والأدب والحساب والمنطق والطب والمناظرة، وجعلوا للمرأة حظاً في التعليم لابد من معرفته وأفسحوا لها المجال للتوسع في الدرس، فنبغت في هذا العصور عالمات.

ونشير إلى أن معظم الملوك الموحدين كانوا علماء، وبلغ بعضهم درجة عالية في المعرفة كالمؤسس محمد المهدي ابن تومرت المبرز في التوحيد والعقائد، وتلميذه عبد المومن العالم بالأصول والجدل والحديث، وولده يوسف الفيلسوف الذي ظل يَدْرُس كتب الحكمة طوال مدة حكمه مع كبار فلاسفة عصره. وهو الذي أشار على ابن رشد الحفيد بتلخيص كتب أرسطو وشرحها، فأنافت تآليف ابن رشد علي المائة، وهي أكبر وأهم إنتاج فلسفي في تاريخ الغرب الإسلامي كله. كما امتارت أعمال الجغرافي المبدع الشريف الادريسي السبتي صاحب *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، وواضع خريطة العالم الحائطية والمائدة الفضية.

وفي عهد بني مرين (657 ـ 869 / 1259 ـ 1464) ازدهرت حركة التعليم وتعززت أكثر بما أنشؤوا من مساجد ومدارس وزوايا وربط ومارستانات في حاضرتهم فاس وغيرها من المدن في مختلف أنحاء البلاد، وبما وسعوا من أرزاق المعليمن والمتعلمين وأجْرَوا عليهم من نفقات ومرتبات من بيت المال.

اتجه المرينيون في التعليم اتجاهاً معاكساً لسلفهم الموحدين فأعادوا الاعتبار إلى المذهب المالكي المحظور سابقاً، وشجعوا الفقهاء على دراسة الفروع فراجت سوق الفقه المالكي من جديد وأقبل عليه المتعلمون، وألفت فيه كتب عديدة وأصبح منذ ذلك الحين مادة التخصص الأولى عند المغاربة إلى اليوم. وإذا كانت جذوة الفلسفة وما إليها من علوم الأوائل قد خبت في هذا العصر، فإن دراسة الحساب والفلك وما إلى ذلك من المعقولات لم تتوقف، بل عرفت تطوراً وانتشاراً، وبخاصة في مدينة مراكش موطن أحمد ابن البناء العددي (ت. 721 / 1321) الذي أنافت تآليفه على ثمانين كتاباً معظمها في الحساب والجبر والمقابلة والفلك. وتميز العصر المريني كذلك في ميدان العلوم التجريبية بكثرة من يتدارسون الطب في مختلف المراكز التعليمية لا سيما في المدرسة البوعنانية بسلا المعروفة أيضاً بالمارستان، وكانت إلى جانب تطبيب المرضى وعلاجهم تُقدَّمُ فيها دروس نظرية وعملية في الطب، وتخرّج فيها عدد من الأطباء كان لهم أثر في تسلسل هذا العلم بالمغرب في العصور التالية.

وامتاز المرينيون عمن سبقهم من الدول بالأوقاف العظيمة التي رصدوها لصالح منشآتهم الدينية والتعليمية، لا سيما المدارس التي ما تزال قائمة حتى اليوم بمرافقها الفسيحة وزخارفها الرائقة في الزليج (الفسيفساء) والنقش على الخشب والجبس والحجر، ومنشآتها الهندسيّة كالساعة النحاسية العديمة المثال بباب المدرسة البوعنانية بفاس. وكانت مجالس ملوك بني مرين لا تخلو من علماء وأدباء حضراً وسفراً، وقصة غرق نحو أربعمائة من كبار العلماء الذين صحبوا أبا الحسن المريني في رحلته إلى تونس (721 / 1321) شهيرة في التاريخ، وكذلك الدالة التي كانت للعديد من كبار شيوخ التدريس على الملوك المرينيين، والهبات السخية التي كانوا يقدمونها للرحالة المكتشفين كمحمد ابن بطوطة الطنجي (ت. 779 / 1377) صاحب *تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*.

وبعد اختلال دولة بني مرين عرف التعليم في المغرب ركوداً طوال القرن التاسع (15 م) تبعاً للتدهور السياسي العام في البلاد، حيث أصبحت سلطة بني وطاس الذين خلفوا المرينيين لا تجاوز المناطق المجاورة لفاس في الشمال، وتُرك جنوب المغرب هملاً، وتوالى احتلال الثغور البحرية من طرف المسيحيين، فافتقر بيت المال ومدَّ الوطاسيون أيديهم "يقترضون" من أوقاف التعليم قروضاً لا يردونها أبداً. فخلت المدارس من قُطّانها وتفرق المعلمون والمتعلمون بحثاً عن الرزق. ولم تنته هذه المأساة التعليمية إلا بقيام دولة الشرفاء السعديين عام (915 / 1509).

كوَّن التعليم في عهد الشرفاء السعديين والعلويين، أي ما يعرف بالعصر الحديث، سلسلة متصلة الحلقات إلى قيام الحماية. ولم يختلف التعليم في هذا العصر عنه في العصر السابق إلاّ بكونه أصبح شبه منقطع عن الروافد التي كانت تغذيه من الشرق والشمال. فقد سُدَّ باب الأندلس بعد سقوط غرناطة (897 /1491) وأُقفلت الحدود الشرقية عند نزول الأتراك في شمال افريقيا في مطلع القرن العاشر (16م) حيث أصبحت تونس والجزائر إيالتين تابعتين للخلافة العثمانية باسطنبول. ولم تقف أطماع الأتراك عند تخوم تلمسان إلا بعد معارك طاحنه خاضها كلٌ من السعديين والعلويين. وازدادت كثافة الحدود الشرقية بعد أن احتل الفرنسيون الجزائر (1245 هـ / 1830 م) ثم تونس، وحلوا فيهما محل الأتراك.

لكن بالرغم عن هذه العزلة المفروضة، عرف المغرب وفادات علمية مع أفواج المهاجرين الأندلسيين لا سيما بعد قرار الطرد (1018 / 1609)، وجماعات من علماء الجزائر وتونس أنِفُوا من الحكم الأجنبي. ساعدت هذه الوفادات على قيام نهضة تعليمية حقيقية برعاية المملوك الشرفاء، وظهرت مدارس مغربية متميزة في مختلف ميادين المعرفة ظلت قائمة إلى يومنا هذا، منها :

ـ مدرسة القراءات. امتزجت فيها طرق المغاربة والاندلسيين، ولو أن قراءتهم جميعاً ترجع إلى نافع بن عبد الرحمن المدني بروايتي ورش وقالون، لكن طرقهم المتعددة كانت تتشعب إلى عدد كثير من روايات تلاميذهما. ورسخت المدرسة الجديدة رواية ودراية وتأليفاً بين القراء المغاربة حتى اليوم.

ـ مدرسة الحديث التي غدت تعني ـ علاوة على المتن ـ بالاسنانيد والروايات، وأفرزت عدداً وافراً من الحفاظ تسلسلت طرق رواياتهم وإجازاتهم إلى العصر الحاضر.

ـ مدرسة الفقه التي تجددت في هذا العصر وتوسعت بالاجتهادات في النوازل والأحكام مراعاة للمصلحة العامة وما تقتضيه الأحوال الاجتماعية. وقد عرف هذا النوع الجديد من الفقه بالعمل الفاسي، ثم اتسع نطاق الاجتهاد وظهر ما عرف بالعمل المطلق، وألف في كل منها. وأصبح "العمل" السمة البارزة التي تميز المدرسة الفقهية المغربية لا من الناحية النظرية التعليمية فحسب، ولكن أيضاً في ميدان التطبيق والحياة العملية، إذ صار القضاة مطالبين، في ظهائر تعيينهم، بالحكم بما جرى به العمل، إلى جانب المشهور والراجح من مذهب مالك.

ـ مدرسة الأدب. حافظت على الأسلوب العربي الأصيل لغة وتركيباً وطريقة، في حين زاحمت لغة الأتراك الحاكمين لغة الضاد في سائر البلاد العربية، وطغى الطابع الأندلسي على أدبيات هذه المدرسة شعراً ونثراً. فالصلات الأدبية المغربية الاندلسية ولو أنها قديمة، إلا أنها امتزجت في العصر الحديث امتزاجاً كاملاً وإلى الأبد.

ـ مدرسة التاريخ والتراجم والرحلات تواصلت خلال العصر الحديث يُذيِّل بعضها بعضاً مغطية الفترات المتعاقبة بانتظام، وكذلك الرحلات لم تعد مقتصرة على الحج، بل تنامت واتسع أفقها بعد أن أخذ المغرب يحتك بالدول الاوربية.

ـ مدرسة الرياضيات والفلك والطب. انبعثت هذه العلوم في العصر الحديث على يد مجموعة من الحيسوبيين والفلكيين والاطباء والنباتيين المغاربة والأندلسيين. وكان للأطباء في مراكش نقيب لا يسمح لأحد بمزاولة عملية التطبيب إلا بعد أن يختبره ويجيزه. ثم انتقل هذا التقليد إلى فاس وغيرها من المراكز العلمية.

ومن الطريف في هذا العصر تفكير بعض حذاق المدرِّسين في طرق التعليم الناجعة وتأليفهم كتباً تربوية تعتمد على القواعد النظرية العامة وعلى تجاربهم الشخصية، منها :

ـ *الأقنوم في مبادئ العلوم*، لعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (ت. 1096 هـ / 1685 م). وهو موسوعة من بحر الرجز في عدة آلاف من الأبيات تعرض فيه المؤلف لجميع العلوم المعروفة في عصره على التفصيل لا على الإجمال، ومنها التعليم والتربية. فبدأ في الفصل الذي عقده لآداب القراءة بآداب تعليم الصغار القرآن في الكتَّاب، وما يجب على المعلم من العدل والتسوية بين المتعلمين. وثنَّى بالجانب التربوي وما يلزم المعلم من الحرص على صرف المتعلمين عن قرناء السوء، والتعدي، والقذف، والجرح ... وتشجيعهم بالمدح على الحياء والشجاعة والسخاء .. وتنفيرهم من الطمع والتبذير والحرص والشح ..

وفي الفصل المتعلق بتعليم الكبار بيَّن ما يلزم الطالب من أداب مع شيخه ورفاقه، وأجود الأوقات للحفظ والمطالعة، وأحسن الأماكن للدرس والاستذكار. وألح على إفهام المتعلم بالطرق الناجحة دون تقيد بالشكل، إذ المعتبر الشرح والتقرير، لا تنميق التعبير. وذكر أن الشرط الأساسي في المدرس أن يكون حاصلاً على الملكة في العلوم التي يدرسها، جيد الفهم فيها. وعن مراحل الدرس ينصح بالبدء بإيضاح اللفظ ثم المعنى وما ينبني عليه، وبعد ذلك يورد الاعتراضات التي يمكن أن ترد، ويجيب عنها، ليتمرن ذهن الطالب على النقاش والأخذ والرد.

ـ *القانون*، للحسن اليوسي (ت. 1102 هـ / 1690 م)، وهو كتاب خاص بالعلم والتعليم وأحكام العالم والمتعلم، من أحسن ما كتب المسلمون في الموضوع. حدد اليوسي أولاً العلم، ومداركه الثلاثة : الاحساس، والخبرة، والنظر وأقسامه. وخصص الباب الثاني لأحكام العالم في نفسه وفي التدريس والتأليف، وأتى بجملة من المبادئ التربوية الأساسية، التي أكدت جدواها القوانين البيداغوجية الحديثة. وذكر من طرق التدريس طريقتين : الانتقال من الجزئي إلى الكلي المناسبة للمبتدئين، والجمع بين الجزئي والكلي، النافعة للمنتهين، محذراً على أي حال من القفز على البحث دون تمهيد ولا شرح، ملحاً على ضرورة الترتيب، بحيث يكون كلام المدرس لو سطر لكان تصنيفاً حسن الرصف مقبولاً ... حاضاً على التنزل مع المبتدئين إلى عبارات يفهمونها ولو لم تكن بليغة.

ـ *الابتهاج بنور السراج*، لأحمد بن المأمون البلغيثي شرح به *أرجوزة سراج طلاب العلوم* للعربي بن عبد الله المساري (ت. حوالي 1240 / 1824 م). خاطب المساري بأرجوزته ابنه اليافع وهو يتأهب للذهاب إلى القرويين، بعد أن حفظ القرآن الكريم والمتون الصغيرة في قريته الجبلية بني مسارة شمال فاس. وهو موضوع طريف في التأليف التربوي، وكأنه دليل دراسي لمن يقصد الجامعة لأول مرة حتى لا يتيه ويضل السبيل. ويغلب على هذا الكتاب طابع التجربة والخبرة الشخصية، فكل من الناظم والشارح عاشا في القرويين يطلبان العلم سنين عديدة، الأول كطالب قروي ساكن في إحدى المدارس، والثاني كطالب فاسي مقيم في منزله بين أهله.

وقد بين المؤلف لابنه العلوم التي عليه أن يدرسها ورتبها له ترتيباً سواء في المرحلة الأولى التي لا غنى عنها، أو في مرحلة المشاركة في سائر العلوم.

وفي الكتاب أبواب كثيرة تتعلق بحياة الطالب في المدرسة والجَامع، وآدابه مع رفاقه وأساتذته، وأيام العمل وأيام الاستراحة، ومنها باب خاص بالنساخة واستعمال الكتب وإعارتها، إذ كان الطلبة المغاربة يعتمدون على نساخة الكتب لتأخر دخول الطباعة إلى المغرب.

وفي أواخر القرن الثاني عشر (18م) تدخلت الدولة رسمياً لصرف المدرسين عن الطرق البطيئة والعقيمة، وحملهم على اتباع السبل الميسرة في التعليم، مع حظر

دراسة عدد من الكتب الموغلة في التعقيد أو التطويل، أو المليئة بما لا طائل تحته. من ذلك : منشور أصدره السلطان محمد بن عبد الله إلى قاضي فاس يدعوه ليأمر المدرسين في المساجد بألا يدرسوا إلا كتباً معيّنة سماها في التفسير والحديث والفقه والتوحيد والسيرة واللغة العربية وقواعدها. ويحضّ على تدريس الحساب والفلك بالاسطرلاب، آمراً القاضي بأن يعطي الذين يدرسون هذه المواد "حظهم من الأحباس لما في ذلك من المنفعة العظيمة".

ومن ذلك أيضاً *النصيحة العامة* التي بعث بها نفس السلطان إلى جميع القبائل يحثهم فيها على تعليم أبنائهم عن طريق "المشارطة" التقليدية في البادية بعد أن ظهر بعض الفتور فيهم.

وتبلورت فكرة إصلاح التعليم مع محمد الرابع (1276 ـ 1290 هـ /1859 ـ 1873 م) الذي فرض تعليم الحساب والهندسة والفلك في المدن الكبرى على يد أساتذة مختصين، ونظّم دروساً حربية في بعض الثغور استجلب لها بعض المدربين من تونس وانجلترا. وأنشأ مدرسة المهندسين بفاس الجديد في موقع المدرسة المرينية المجاورة للقصر الملكي. وابتدأت الدراسة فيها عام 1259 / 1844م)، وكان أساتذتها مغاربة، إلا واحداً فرنسياً اعتنق الإسلام ودعي عبد الرحمن العلج.

واستمرت العناية بالهندسة وما إليها، وبالعلوم الحربية أيام السلطان الحسن الأول (1290 ـ 1311 / 1873 ـ 1894م) سواء في الدروس المنظمة في جوامع الحواضر، أو في المراكز العسكرية بالثغور، أو في مدرسة الهندسة بفاس، وكان عدد طلبة مدرسة الهندسة فيما بين أعوام 1287 ـ 1305 / 1870 ـ 1887 يتراوح بين 44 و58 طالباً تجري عليهم مرتبات يومية، ويحملون عند تخرجهم ـ حسب نوعية دراستهم ـ لقب مهندس أو موقت.

وأسس الحسن الأول عام 1292 /1875 م مدرسة ثانية بطنجة اهتمت ـ بالإضافة إلى الهندسة والحساب ـ باللغات الأجنبية التي أصبحت الحاجة ماسة إليها لنجاح البعثات التعليمية الموجهة إلى الخارج، وأوروبا بصفة خاصة. وكان طلبة مدرسة طنجة يختارون من بين نجباء التلاميذ من سائر أنحاء المغرب، ويقيمون بها من ثلاث إلى ست سنوات، كما أسس بمدينة الجديدة، في تاريخ غير محدد، مدرسة للمدفعية.

أما البعثات التعليمية إلى الخارج فبدأت على يد عبد الرحمن ابن هشام (1238 ـ 1276 / 1822 ـ 1859) وابنه محمد الرابع حيث وجها عدداً محدوداً من الطلبة إلى أوربا لغاية عسكرية بالدرجة الأولى "مع يحتاج إليه من علم الهندسة". وبلغ عدد البعثات التعليمية المغربية إلى مصر ست بعثات، أرسل أولادها محمد الرابع باتفاق مع الخديوي محمد سعيد باشا فيما بين أعوام (1276 ـ 1280 / 1859 ـ 1863م) مؤلفة من طالبين تخصصا في الجغرافيا والفلك، تلتها بعثتان أخريان، من بين أعضائها طالب درس فن الطباعة، وثلاثة درسوا الفنون العسكرية. وضمت البعثة الرابعة ثلاثين طالباً من أبناء العسكريين وغيرهم، طُلب منهم أن يتعلموا الفنون البحرية والمدفعية. وتوجهت البعثة الخامسة إلى مصر في أوائل عهد الحسن الأول، (1290 ـ 1312 / 1873 ـ 1894) وكان أفرادها كثيرين على ما يبدو، إذ قسموا ـ بالنسبة للمنحة ـ ثلاث رتب، تلتها البعثة السادسة وفيها ذهب عبد السلام العلمي أول طبيب مغربي تخرج من قصر العيني بالقاهرة.

وتعددت البعثات الطلابية إلى أوربا أيام الحسن الأول أناف عدد طلابها على مائة، ليتعلموا الفنون الحربية والمدنية ويتقنوا اللغات الأجنبية في انجلترا وإيطاليا واسبانيا وفرنسا وبروسيا (ألمانيا) وتوالت البعثات بعد ذلك إلى جبل طارق.

وقد قام بعض المتخرجين من مصر وأوروبا بعد رجوعهم إلى المغرب، بالتعليم وأنتجوا عدداً من الكتب والآلات الهندسية والفلكية والعسكرية، ألفوها أو اخترعوها أو ترجموها عن اللغات الاجنبية، كان المنتظر أن تساعد على تحديث التعليم في البلاد وتطويره لولا أطماع الدول الاستعمارية التي عرقلت كل جهود الاصلاح من أجل فرض الحماية.

التعليم في عهد الحماية : بدأ التعليم الفرنسي بالمغرب قبل إبرام معاهدة الحماية بسنوات لخلق وسيلة التفاهم اللغوي مع المغاربة، وأخذ قناصل فرنسا المقيمون في المدن المغربية المفتوحة آنذاك لسكنى الأوروبيين ينشئون فيها مدارس فرنسية بواسطة الاتحاد الاسرائيلي، ففتحت مدارس بفاس ووجدة وتطوان وطنجة والعرائش والرباط والدار البيضاء، ثم استقلت المدارس الفرنسية بالمغرب عن الاتحاد الاسرائيلي بعد فرض الحماية، سنة 1330 /1912. وبعد أن جمّد الفرنسيون التعليم الإسلامي الأصيل وضيقوا عليه الخناق أنشؤوا إلى جانبه أنواعاً متعددة من التعليم العصري المفرنس على أساس عنصري طبقي : تعليم فرنسي مخصص لأبناء الجاليات الاوروبية، وتعليم يهودي منبثق عن الاتحاد الاسرائيلي، وتعليم أهلي خاص بالمغاربة المسلمين، مقسم إلى مدارس الذكور ومدارس البنات. ومدارس الذكور أربعة أصناف : مدارس أبناء الاعيان في المدن الكبرى، ومدارس حضرية في المدن الأخرى، ومدارس صناعة بمختلف المدن، ومدارس قروية مبعثرة هنا وهناك. وحتى سنة 1940م لم يكن بالمغرب سوى عشرات من المدارس الأهلية الابتدائية، وأربع ثانويات بفاس والرباط ومراكش وأزرو.

كان أساس التعليم في المدارس الأهلية هو اللغة الفرنسية، وسمح في المرحلة الابتدائية ـ في غير المناطق البربرية ـ بحصص قليلة جداً للقرآن واللغة العربية، كانت في الأول نحو نصف ساعة في اليوم، ثم زيد فيها تحت ضغوط الانتقادات حتى صارت في نهاية المطاف ساعتين مقابل أربع ساعات للفرنسية. كما سمح بحصص يسيرة أيضاً للعربية والفقه في المرحلة الثانوية التي تنتهي بدبلوم

ـ بدل البكالوريا، معظم مواده فرنسية، مع قليل من التربية والفقه ـ في غير الثانوية البربرية ـ . وكان هذا الدبلوم يعتبر شهادة محلية لا تخوّل الحاصلين عليه متابعة دراستهم العليا بفرنسا. فكثر انتقاده ونفر الأهالي منه وصاروا يعملون على إلحاق أبنائهم بالثانويات الفرنسية أو في خارج المغرب، فاضطر الفرنسيون إلى إحداث نظام مزدوج للثانويات الأهلية أحدهما ينتهي بالبكالوريا، والثاني بدبلوم فرنسي ـ عربي. ولكن ماذا كانت حصيلة التعليم العصري بالمغرب ؟ حتى سنة 1359 / 1940، وكان قد مضى على إحداث البكالوريا بالمدارس الاهلية نحو عشرة أعوام، ومدة أطول من هذه على إقبال الناس على الانخراط في المدارس الفرنسية لم يكن يوجد في المغرب "غير ثلاثين أو أربعين تلميذاً أهلياً حصلوا على شهادة البكالوريا في طول المنطقة الفرنسية وعرضها، كما أنه لا يوجد إلا عشرة من التلاميذ الأهالي حصلوا على شهادة الليسانس" ـ *الحالة العلمية*، 32 ـ 33 ـ .

وعرفت الفترة الأخيرة للحماية (1945 ـ 1955م) تطوراً ملموساً نسبياً بسبب تزايد الضغط الوطني، وتأثير المدارس الحرة التي سنتحدث عنها فيما بعد، فأصبحت سلطات الحماية تخطط لقبول (10.000) تلميذ جديد كل سنة، وبذلك ارتفع عدد المسجلين في المدارس الابتدائية الأهلية سنة 1954 إلى (210.018)، وفي المدارس الثانوية إلى (3.839) إضافة إلى الأطفال المغاربة المسجلين آنذاك في التعليم الأوروبي، وهم (4600) في الابتدائي و(1560) في الثانوي.

أما التعليم الحر فقد تكوَّن نتيجة رد فعل وطني ضد سياسة الفرنسة والتجهيل والتنصير، بدأ ضعيفاً في أوائل الثلاثينات، إذ كان يعمل أساساً على تلقين القرآن والعربية وتاريخ المغرب والاسلام باستثناء معهد حرّ واحد في الرباط كان التعليم فيه مزدوجاً راقياً، ثم توسع التعليم الحرّ بعد تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال سنة 1944م، فأنشئت مدارس ابتدائية وثانوية مهمة في مختلف الأقاليم، بتمويل من الشعب وتحت إشراف رجال الحركة الوطنية ورعاية محمد الخامس، وأصبحت اللغة العربية هي السائدة في المدارس الحرة، مع مسايرة مناهج التعليم العصري وتلقين الفرنسية باعتبارها لغة أجنبية، حتى أصبح عدد تلاميذ هذه المدارس غداة الاستقلال يعد بعشرات الآلاف. غير أن التعليم الحر بقي مبتوراً للحاجة إلى تعليم عال يستوعب الحاصلين على البكالوريا، باستثناء القرويين التي ظلت ـ رغم انتعاشها ـ جامعة تقليدية مقتصرة على فرعي الشريعة والأدب، وباستثناء الجامعات العربية التي تمكن بعض الطلبة من الالتحاق بها في القاهرة ودمشق وبغداد، رغم الحصار المضروب عليهم من السلطات الفرنسية.

ولما فرض الإسبانيون حمايتهم على المنطقة الشمالية بالمغرب (1330 هـ /1912م)، اتخذوا من تطوان عاصمة لمنطقة نفوذهم، وراحوا يضاهون بها مضاهاة باهتة مدينة الرباط في كل المظاهر السياسية والادارية والتعليمية، ولم تختلف السياسة الاسبانية في مبدأ الهيمنة والحكم المباشر عن السياسة الفرنسية إلا أن الاسبانيين جنحوا إلى شئ من التساهل والتزلف للاهالي في ميدان التعليم، فلم يضايقوا المدارس العربية الحرة التي كانت تفتح إلى جانب المدارس الاسبانية، وسمحوا باستقدام أساتذة من الشرق العربي للتدريس بها، كما سمحوا بإرسال بعثات طلابية إلى مصر، وفتح "دار المغرب" بالقاهرة للعناية بشؤون الطلاب . .

هكذا وجد المغرب المستقل أمامه تعليماً متنوعاً متنافراً مزقته الحمايتان الفرنسية والإسبانية كل ممزق، فكان عليه أن ينظر بجد في مشكل التعليم خلال السنوات الأولى للاستقلال، وأسفرت الندوات والمؤتمرات الوطنية التي عقدت، عن الاتفاق على أربعة مبادئ بالإجماع، هي التعميم، والتوحيد، والتعريب، ومغربة الأطر.

ق. عياض، ترتيب *المدارك*، الرباط، 1965 ـ 1983 ؛ *الغنية*، تح. ماهر زهير، بيروت، 1982 ؛ أ. البيذق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971 ؛ *كتاب الأنساب*، الرباط، 1971 ؛ ع. المراكشي، *المعجب*، تح. محمد الفاسي، سلا، 1938 ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب*، قسم *الموحدين*، تح. جماعة من الأساتذة، الدار البيضاء، 1985 ؛ م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، تح. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981 ؛ إ. ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972 ؛ ع. ابن خلدون، *التعريف بابن خلدون ورحلة غرباً وشرقاً*، تح. محمد ابن تاويت الطنجي، القاهرة، 1951؛ *العبر*، ج 6 ؛ *المقدمة*، بيروت، 1956 ـ 1961 ؛ مؤلف مجهول، *الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية*، تح. ابن أبي شنب، الجزائر، 1920 ؛ *بلغة الامنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة من مدرس وأستاذ وطبيب*، تح. محمد ابن تاويت التطواني، مجلة *تطوان*، عدد 9 ، سنة 1964؛ م. الزركشي، *تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية*، تونس، 1966 ؛ م. ابن غازي، *التعلل برسوم الإسناد*، تح. محمد الزاهي، الرباط، 1979 ؛ علي ابن ميون الغماري، *رسالة الإخوان من أهل الفقه وحملة القرآن*، مخطوط خ. ع رقم 1780 د ؛ *الرسالة المجازة في معرفة الإجازة*، مخطوط، ميكروفيلم خ. ع 1341 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. محمد حجي ومحمد الاخضر، ط 2 ، بيروت، 1983 ؛ م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. محمد حجي، الرباط، 1977 ؛ أ. المنجور، *فهرس*، تح. محمد حجي، الرباط، 1977 ؛ ع. السجلماسي، *الإلمام ببعض من لقيت من علماء الإسلام*، مخطوط ؛ أ. ابن أبي محلي، *إصليت الخريت*، مخطوط خ. ح رقم 100 ؛ ق. الوزير الغساني، *حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار*، تح. محمد العربي الخطابي، بيروت، 1980؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973 ؛ *المنتقى المقصور*، تح. محمد رزوق، الرباط، 1986 ؛ ع. الفشتالي، *مناهل الصفا*، تح. عبد الله گنون، تطوان، 1964 ؛ إبراهيم الگلالي، تنبيه *الصغير من الولدان*، مخطوط خ. ع رقم 571 ك ؛ أ. المقري، *روضة الآس*، الرباط، 1964؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. حجرية فاس، 1906 ؛ م. ميارة، *نظم اللآلي والدرر*، مخطوط خ. ح رقم 3702 ؛ ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط خ. ع رقم 1420 ؛ ع. الفاسي، *الأقنوم*، مخطوط خ. ع رقم 15 ك ؛ *نظم العمل الفاسي*

وشرحه، مخطوط خ. ع رقم 1448 د ؛ م. ابن أبي دينار، *المونس في أخبار افريقية وتونس*، ط 2، تونس، 1967 ؛ ح. اليوسي، *القانون*، ط حجرية فاس، 1315 هـ ؛ م. السجلماسي الرباطي، *شرح العمل الفاسي ؛ شرح العمل المطلق*، ط. حجرية فاس، 1291 و1298 هـ ؛ م. ابن سليمان الروداني، *صلة الخلف بموصول السلف*، تح. م. حجي، بيروت، 1988 ؛ م. الافراني، *نزهة الحادي*، ط. حجرية فاس، د. ت ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 ؛ م. بوجندار، *مقدمة الفتح*، الرباط، 1345 هـ ؛ أ. ابن المامون البلغيثي، *الابتهاج بنور السراج*، القاهرة، 1319 ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، الرباط وفاس، 26 - 1930 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الرباط، 30 - 1933 ؛ م. ابن عثمان المراكشي، *الجامعة اليوسفية بمراكش في تسعمائة سنة*، الرباط، 1937 ؛ أبو بكر زنيبر، *الحالة العلمية في المغرب قبل الحماية وبعدها*، مخطوط المؤلف بسلا ؛ *العمل في أحكام الفقهاء*، ملحق جريدة *المغرب* سلا، 1938 وما بعدها ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1974 ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، المحمدية، 1960 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، تطوان، 1959 ؛ روجي لوطونو، *فاس قبل الحماية*، تر. م. حجي وم. الأخضر، بيروت، 1986 ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس*، القاهرة، 1964 ؛ ع. گنون، *النبوغ المغربي*، ط 2، بيروت، 1961 ؛ م. ابن تاويت التطواني، *الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، 1982 ؛ م. المنوني، *الآداب والعلوم والفنون*، ط 2، الرباط، 1977 ؛ *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، بيروت، 1985 ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية بالمغرب*، الدار البيضاء، 1971 ؛ م. ابن شقرون، *مظاهر الثقافة المغربية*، الرباط، د. ت ؛ م. عابد الجابري، *أضواء على مشكل التعليم بالمغرب*، الدار البيضاء، د. ت ؛ س. أعراب، *القراء والقراءات بالمغرب*، بيروت، 1990 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1976 ؛ *الزاوية الدلائية*، ط 2 ، الدار البيضاء، 1988.

E. Aubin, *Le Maroc d'aujourd'hui*, Paris, 1903 ; M. Ben Cheneb, *Etude sur les personnages mentionnés dans l'idjaza...*, Paris, 1908 ; P. Marty, *Le Maroc de demain*, Paris, 1925 ; H.P.J. Renaud, *L'enseignement des sciences exactes au Maroc*, *Hesp.*, T. XIV, 1932 ; Ch. A. Julien, *Histoire de l'Afrique du Nord*, Paris, 1952 ; J. Caille, *La petite histoire du Maroc*, Casablanca, 1954 ; G. Deverdun, *Marrakech*, Rabat, 1959 ; J. Berque, *Al-Yousi, Problèmes de la culture marocaine au XVIIème siècle*, Paris, 1958 ; E. Lévi-Provençal, *Al-Maghrib, vie intellectuelle*, *E.I.*, 2ème édit., 5 : 1198 - 1200.

محمد حجي

* * وبعد الاستقلال، تحولت إدارة المعارف التي كان يهيمن عليها الفرنسيون إلى وزارة التربية الوطنية. صرفت الوزارة كل اهتمامها للنهوض بالتعليم ونشره وتطويره. ففي 25 غشت 1957 اجتمعت اللجنة الملكية العليا لإصلاح التعليم وأوكل إليها أمر وضع خطة شمولية لأول مشروع تعليمي وطني. ومن أجل تأسيس مدرسة مغربية ذات تطلعات وطنية متكاملة الأركان دعت هذه اللجنة إلى تعميم تعليم مغربي موحد ومعرب على يد أطر مغربية (برفع شعارات التعريب والتعميم والتوحيد والمغربة). وباعتماد هذه الخطة التي أملتها ظروف الاستقلال كان الوطنيون يتوقون إلى جعل التعليم في متناول الجميع واعتماده وسيلة ناجعة من وسائل تطوير المجتمع وتنميته اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا. لذلك أعطيت الأولوية لتأسيس المدارس وتكوين الأطر الضرورية وتزايد الإقبال على التعليم وانتقلت نسبة الملتحقين بالمدارس من 17٪ سنة 1956 إلى 30٪ سنة 1958 ثم ارتفعت النسبة إلى 36٪ سنة 1960 ثم 45٪ سنة 1961، أي بزيادة سنوية إجمالية قدرها 43٪ من 1956 إلى 1961.

كان التعليم في هذه الفترة يتألف من ثلاث مراحل : ابتدائي وثانوي وعالي. ففي المرحلة الأولى كان التلميذ عندما يحصل على شهادة التعليم الابتدائي يتوجه إما نحو التعليم المغربي أو التعليم الأجنبي الفرنسي. وكان التعليم الأجنبي يضم ثلاث شعب هي الشعبة الكلاسيكية والعصرية والتقنية في حين كان التعليم المغربي يتألف من نوعين : طويل وقصير : كان التعليم الطويل منقسماً إلى سلكين : سلك أول ينتهي بالحصول على شهادة التعليم الثانوي وسلك ثان يتفرع بدوره إلى فرعين : تعليم عام مزدوج وتعليم تقني. يضم الأول شعبة الآداب الأصلية، وهي مخصصة لدراسة الفقه والأصول والحديث والتفسير وغيرها من المواد الشرعية بالإضافة إلى التاريخ والجغرافيا والفلسفة والأدب العربي واللغات الحية، وشعبة الآداب العصرية وتدرس فيها المواد الأدبية المتنوعة من فلسفة ولغات وتاريخ وجغرافيا وغيرها، ثم شعبة العلوم التجريبية والعلوم الرياضية وتخصص للتلاميذ تكويناً علمياً في الفيزياء والكيمياء والرياضيات.

أما التعليم التقني فكان يوفر لتلاميذه تكويناً علمياً عملياً يؤهلهم للحصول على الباكالوريا التقنية والاقتصادية، وثلاثة أنواع من الشهادات التقنية العليا B.T.S. وهي الشهادة التقنية الصناعية والشهادة التقنية التجارية والشهادة التقنية الفلاحية، وثلاثتها تسمح للحاصلين عليها بالالتحاق بالشغل كأطر متوسطة في قطاعات الإنتاج الفلاحية والصناعية والتجارية.

أما التعليم القصير فكان التكوين فيه لا يتعدى ثلاث سنوات. وهو في مجمله يهدف إلى تكوين الأطر العادية التقنية والإدارية، ويضم خمس شعب هي الشعبة العامة والشعبة الصناعية والشعبة التجارية والشعبة الاجتماعية وكلها تهيئ الأطر الإنتاجية الصغرى.

شكل التعليم عبئاً ثقيلا على الدولة، لذلك سمحت للخواص بالمساهمة في النهوض به وخاصة ابتداء من الموسم الدراسي 1975 - 1976 حيث صرح وزير التربية الوطنية أن تعميم التعليم وتحسين سبل التربية لن يتم بمعزل عن مشاركة الخواص فيه. لذلك تأسس العديد من المؤسسات التعليمية الخاصة وفتحت أبوابها لاستقبال الرواد بدءاً من مرحلة الحضانة إلى التعليم الابتدائي فالإعدادي ثم الثانوي. وقد استقبلت العديد منها الآلاف من التلاميذ الذين غادروا المؤسسات الرسمية العمومية بعدما استنفدوا السنوات المسموح لهم بالتعلم فيها. هذا وكانت برامج هذه المؤسسات الخاصة ومقرراتها وحصصها مطابقة لما هو

موجود في التعليم العمومي في جميع الشعب والمستويات الدراسية. كما كان معظم أطرها، من مدرسين ورجال مراقبة تربوية في مراحلها التعليمية الثلاث من العاملين في القطاع العمومي، وكان المدرسون فيها ينجزون ساعات إضافية محددة بعد الحصول على رخصة خاصة بذلك من لدن الوزارة الوصية. ولم تتوقف مؤسسات التعليم الخاص عن التطور سنة بعد أخرى كماً وكيفاً تبعا لتطور شعب التعليم الرسمي العمومي وتبعاً لمتطلبات سوق الشغل، كل ذلك تحت إشراف ومراقبة وزارة التربية الوطنية.

وقد كان التلميذ في مرحلة التعليم الابتدائي يقضي خمس سنوات كاملة قبل الانتقال إلى المرحلة الثانوية. وفي نهاية السنة الخامسة الابتدائية كان عليه، حسب إصلاح 7 ماي 1963 أن يجتاز امتحانين، واحداً خاصاً بالتوجيه لولوج التعليم الثانوي وآخر للحصول على شهادة التعليم الابتدائي يكون مباشرة بعد امتحان التوجيه. إلا أن امتحان التوجيه كان أصعب من امتحان الشهادة وكان يتضمن عدة روائز واختبارات ذهنية ونفسية. وجاء ظهير 23 ماي 1964 ليلغي الامتحانين ويجعلهما امتحاناً واحداً من نجح فيه انتقل إلى الثانوي ومن رسب يعتبر محصلا بشكل تلقائي على الشهادة الابتدائية.

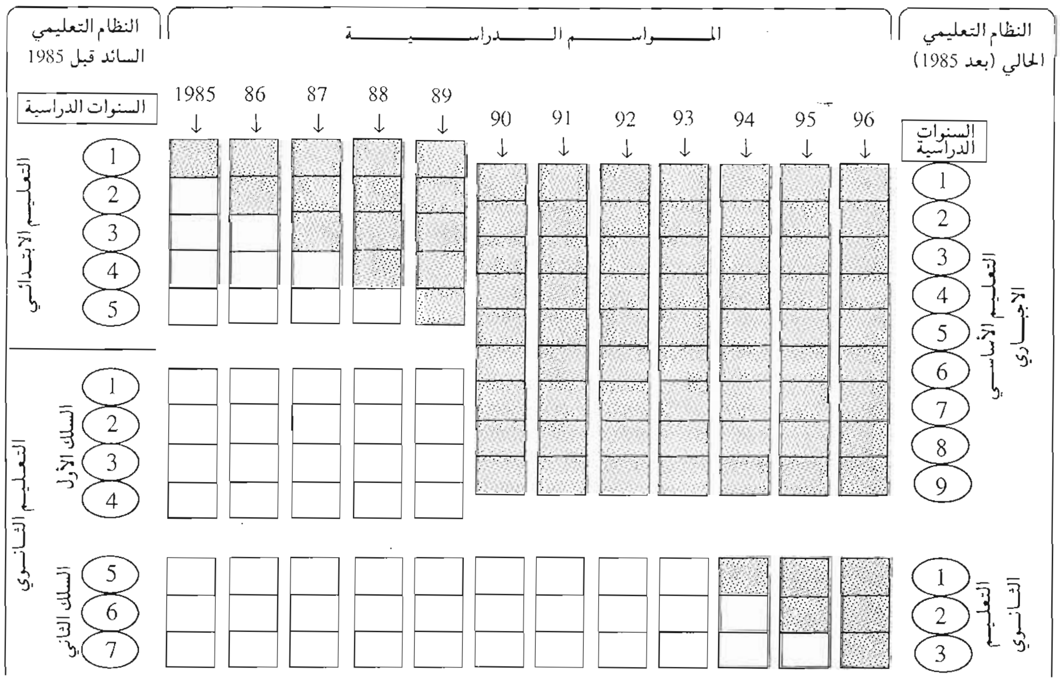
وفي التعليم الثانوي كان على التلميذ أن يقضي سبع سنوات موزعة على سلكين : سلك أول يسمى الإعدادي ويستغرق أربع سنوات تدعى الأولى والثانية والثالثة والرابعة من التعليم الإعدادي تنتهي بامتحان التوجيه نحو السلك الثاني والحصول على شهادة التعليم الثانوي ؛ وسلك ثان مدته ثلاث سنوات تسمى الخامسة والسادسة والسابعة من التعليم الثانوي. وينقسم هذا السلك إلى قسمين : قسم خاص بالتعليم العام ويضم شعبة الآداب الأصلية والآداب العصرية والعلوم التجريبية والعلوم الرياضية والعلوم الاقتصادية وقسم خاص بالتعليم التقني ويحتضن شعبة التجارة والصناعة والفلاحة. ويدرس التلاميذ خلال هذه المرحلة بسلكيها اللغة العربية والتربية الإسلامية والفرنسية والتاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية واللغات الحية الأخرى والفيزياء والكيمياء والعلوم الطبيعية والتربية النسوية والرسم والفنون التشكيلية ومبادئ التكنولوجيا ويمارسون التربية البدنية. وتعتبر مرحلة السلك الثاني هي المعبر الأساسي إما نحو ميدان الشغل أو الالتحاق بالتعليم العالي.

وابتداء من شتنبر 1985 أقدمت وزارة التربية الوطنية على تبني إصلاح جديد للتعليم الابتدائي والثانوي يلغي ما كان معمولا به فيما سلف هذا التاريخ. يهدف هذا الاصلاح إلى إيلاء الأسبقية للتعليم الأساسي والتكوين المهني والتقني. لذلك أعادت توزيع مدة الدراسة بالتعليم الابتدائي والثانوي التي لم تكن إجبارية منها إلا خمس سنوات إلى مرحلتين : تعليم أساسي إجباري مدته تسع سنوات، وتعليم ثانوي مدته ثلاث سنوات.

تشتمل المرحلة الأولى على سلكين : سلك أول مدته ست سنوات ويؤدي إما إلى السلك الثاني أو التكوين المهني، وسلك ثان مدته ثلاث سنوات ويؤدي إلى التعليم الثانوي العام أو التقني أو التكوين المهني.

يستغرق التعليم الثانوي ثلاث سنوات ويبدأ التخصص فيها من السنة الأولى ويؤدي في نهاية السنة الثالثة إلى التكوين المهني أو الالتحاق بالتعليم العالي بعد الحصول على الباكالوريا. وهو يشتمل على شعب أدبية وعلمية

جدولة إصلاح النظام التعليمي



وتقنية متنوعة. وقد شرع في تطبيق هذا الاصلاح ابتداء من الموسم الدراسي 1985 ـ 1986. وينتظر أن يشمل تدريجياً جميع المستويات التعليمية من السنة الأولى من التعليم الأساسي إلى السنة الثالثة من التعليم الثانوي خلال الموسم الدراسي 1996 ـ 1997. كما توضح الخطاطة المرفقة.

وفي مستهل سنة 1994 قامت نفس الوزارة بإعادة هيكلة شُعب التعليم الثانوي امتداداً للتطورات التي عرفها التعليم الأساسي وتمشيا مع متطلبات "حاجات التنمية وسوق الشغل" فقلصت الحصص الزمنية الأسبوعية وراجعت المناهج الدراسية وخففت من كثافة المقررات "في اتجاه اتاحة الفرصة للتلميذ بالتعلم الذاتي" وجعله قادراً على التعامل مع المصادر والمراجع وارتياد المكتبات واستخدام رصيدها الوثائقي لإنتاج المعرفة واستغلالها. لذلك أصبح التعليم الثانوي ابتداء من التاريخ المذكور يتوفر على التخصصات التالية : شعبة الآداب وشعبة العلوم التجريبية وشعبة الرياضية والتعليم الأصيل بفرعيه الشرعي الأصلي والأدبي الأصلي، وشعبة التعليم التقني التجاري وتحتوي على تخصص في التسيير الإداري وأخرى في التسيير المحاسباتي بالإضافة إلى شعبة العلوم الاقتصادية. ويتكون فرع التعليم التقني الصناعي من شعبة الهندسة الميكانيكية وشعبة الصناعة الميكانيكية وشعبة تقنيات الكهرباء وشعبة الالكترونيك وشعبة الابتكار والبناء. وهناك أخيراً شعبة الفنون التشكيلية وشعبة فنون وصناعة الطباعة وشعبة الهندسة الكيميائية وشعبة العلوم الزراعية.

م. ابن شقرون، *مصادر التربية والتعليم في عهد الحماية الفرنسية والاسبانية*، الرباط، 1982 ؛ *بيان تاريخي من مثقفي المغرب حول سياسة التعليم والغزو اللغوي الاستعماري للمغرب العربي*، الرباط، 1985 ؛ م. عابد الجابري، *أضواء على مشكل التعليم بالمغرب*، الدار البيضاء، د. ت ؛ مجهول، *معركة المصير في سبيل إصلاح التعليم وتعريبه*، الرباط، 1967 ؛ وزارة التعليم وتكوين الاطارات، *التعليم : الحالة، المشاكل، الأهداف*، الرباط، 1970 ؛

وزارة التربية الوطنية وتكوين الأطر، *كتابة الدولة في تكوين الأطر، آفاق مهنية*، الرباط، 1979 ؛ وزارة التربية الوطنية، *نحو نظام تربوي جديد*، الرباط، 1980 ؛ *منجزات وآفاق*، الرباط، 1983؛ *التعليم العالي بالمغرب صور وأرقام*، الرباط، 1985 ؛ *هيكلة التعليم الثانوي*، الرباط، 1994 ؛ *وثيقة عمل لإصلاح النظام التعليمي*، الرباط، 1985.

A. Baina, *Le système de l'enseignement au Maroc*, Casablanca, 1981 ; M. Benchekroun, *L'éducation et l'enseignement au Maroc*, Rabat, 1985 ; D. Boumnich, *Une pédagogie sans déchets*, Rabat 1989 ; K. Bouzoubaa, *L'enseignement au Maroc ou un voyage incertain*, Paris, 1982 ; *B.E.P.M.*, n° 5 Juin 1916, n° 18 Février 1920 et n° 230 Mars 1955; *B.O.*, n° 408 du 17 Août 1920, n° 2421 du 20 Mars 1959, n° 2596 du 27 Juillet 1962 et n° 3317 du 26 Mai 1976 ; J. Celerier, *L'instruction publique au Maroc*, *B.E.S.M.*, vol. 14, 1951; M. Chekroun, *Culture et pédagogie au Maroc*, Casablanca, 1989 ; R. Derout, *Le Maroc doit-il avoir son université? Le Maroc quotidien*, 16 décembre 1948 ; R. Gaudefroy- Demombynes, *L'œuvre française en matière d'enseignement au Maroc*, Paris, 1928 ; J. Hallaf, *A qui profite l'école*, Paris, 1974 ; G. Hardy, *Le Maréchal Lyautey et l'enseignement*, *A.F.*, Août 1934 ; A. Kamal, *Productivité et rentabilité de l'enseignement au Maroc*, D.E.S. Fac Sc. Jur. Eco. et Soc., Rabat, 1983 ; Le Templier, *L'enseignement supérieur au Maroc*, *B.I.M.*, Sept. 1954; M. Machrafi, *A propos de la réorganisation de l'enseignement supérieur au Maroc*, 1966, [s.l.] ; M. Merrouni, *Le problème de la réforme dans le système éducatif marocain*, Rabat, 1993 ; Ministère de l'Education Nationale, *Le mouvement éducatif au Maroc 1975 - 1984*, 3 vol., 1977 - 1981 - 1984 ; *Le mouvement éducatif 1986 - 1988*, Rabat [s.d.] ; *Le mouvement éducatif 1988-1990*, Rabat [s.d.] ; K. Mosdik, *Guide de l'enseignement supérieur*, Casablanca, 1993 ; L. Paye, *Enseignement et société musulmane, introduction et évolution de l'enseignement moderne au Maroc*, Rabat, 1992 ; Protectorat de la République Française au Maroc, Direction de l'enseignement publique, *L'enseignement public au Maroc*, Rabat, 1952 ; J. Salmi, *Crise de l'enseignement et reproduction sociale au Maroc*, Casablanca, 1985 ; A. Sekkat, *La politique de l'enseignement au Maroc 1956 - 1977*, Grenoble, 1977 ; C. Tibi, *Politique éducative et financement de l'éducation au Maroc*, Paris, 1976 ; K. Zhiri, *Définition d'une politique nouvelle de l'enseignement*, Rabat; 1969.

محمد بوسلام

* * أما عن التعليم العالي، فإن التوسع الجامعي في المغرب من العلامات الكبرى على النهضة التي حققتها البلاد في شتى المجالات. يتمثل هذا التوسع في ثلاث عشرة جامعة، منها جامعة عريقة في التاريخ، وقد تعد أقدم جامعة في العالم، هي جامعة القرويين، وجامعة ثانية تأسست عام 1958 أي بعد استقلال المغرب بعامين، وذلك في عهد جلالة الملك محمد الخامس تغمده الله برحمته، وقد تسمت باسمه: جامعة محمد الخامس، ومقرها في الرباط عاصمة المملكة المغربية، وهي أكبر الجامعات العصرية في مغرب اليوم، وهي ذات الفضل الأعظم في تهييء نسبة عالية من الأطر التي تعمل اليوم في الجامعات الأخرى. وقد انقسمت هذه الجامعة منذ السنة المالية لعام 1993 إلى جامعة محمد الخامس (أكدال) وجامعة محمد الخامس (السويسي). أما الجامعات العشر الباقية فقد تأسست كلها منذ 1960 وهي جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء وجامعة الحسن الثاني بمدينة المحمدية وجامعة سيدي محمد بنعبد الله بمدينة فاس وجامعة القاضي عياض بمدينة مراكش وجامعة محمد الأول بوجدة وجامعة عبد الملك السعدي بتطوان وجامعة مولاي إسماعيل بمكناس وجامعة ابن طفيل بالقنيطرة وجامعة أبي شعيب الدكالي بمدينة الجديدة وجامعة ابن زهر بأكادير. ولعدد من هذه الجامعات فروع في مدن أخرى. إن هذا النمو في مدة وجيزة نسبيا يعتبر في آن واحد من أسباب التحولات الكبرى في نهضة المغرب ومن نتائج هذه التحولات. ومن جهة أخرى فإن إحداث ثلاث عشرة جامعة كان نابعا من إرادة سياسية واستجابة لطلب اجتماعي وعن اقتناع بدور الجامعة في تطوير محيطها الاقتصادي والاجتماعي وفي ترقية المدارك العامة للمواطنين.

بيد أن كلا من الإرادة السياسية التي يترتب عنها تدخل الدولة وكذا الطلب الاجتماعي للتعليم ليسا بالأمرين الجديدين في البيئة المغربية، إذ أن التعليم في أعلى مستوياته القادرة على إعادة إنتاج المعرفة وتناقلها بين الأجيال وعلى التأليف والابتكار وكسب الشهرة الدولية والإسهام في الحضارة الإنسانية كانت له شواهده ووقائعه البليغة في هذا البلد.

تعينت عناصر بنية التربية والتعليم في ماضي المغرب في إطار سيرورة تكوين الأمة المغربية عبر مراحل من تاريخها الإسلامي. فقد أدى الفتح الإسلامي وانتشار متدرج لمبادئ الإسلامي ومحموله الحضاري إلى قيام دولة إسلامية ووقوع تحولات اجتماعية ولا سيما بظهور مراكز حضرية جديدة، كما أدى إلى وقوع اتصالات عميقة بين المغرب والمشرق وبين المغرب ومجالات تقع في العمق الإفريقي. فقد حمل الإسلام إلى المغرب لغة جديدة هي العربية ومعارف بعضها عربي وبعضها متوسطي أو أسيوي، وكلها انصهرت في بوتقة الرصيد العلمي والثقافي الذي صاحب انتشار الإسلام في هذا البلد. إن اللغة العربية والرصيد العلمي الثقافي حمله مشارقة إلى المغرب مباشرة أو انتقل إلى المغرب عبر الأندلس أو ذهب المغاربة لطلبه في المشرق أو في الأندلس، وقد تعزز الحضور العلمي والثقافي للمشرق في المغرب عبر المهاجرين الأفراد والقبائل المهاجرة، وساعد ارتباط الدين الجديد والاجتهادات فيه بوقائع السياسة ومذاهب الفكر على اندماج المغرب في التاريخ الإسلامي مبكرا كما ساعدت حركة التجارة والرحلة إلى الحج على تقوية الاتصال ونشر المادة العلمية المكتوبة.

بيد أن سيرورة أخرى واكبت سيرورة تلقي المغرب للعلم المشرقي ألا وهي سيرورة الاحتضان الخاص والتفاعل بين مقومات الشخصية المحلية وبين المعطيات المشرقية حيث أدى هذا التفاعل إلى تميز الشخصية العلمية المغربية في اختيارات على مستوى رسم الخط والقراءات الصوتية والتوجهات المذهبية والاجتهادات النظرية والتقاليد المدرسية، في جملة عناصر أخرى يطول شرحها.

وهنالك مبادئ ووقائع أساسية شجعت على انتشار التعليم والتعمق في مختلف فنونه، منها : 1) حض الإسلام على فريضة تلقي العلم. 2) ارتباط انتشار الإسلام بالتعليم وما ترتب عن ذلك من الحرص على فهم أصول الدين وفروعه والعناية بعلوم الآلة اللازمة لذلك وبعلوم أخرى مرتبطة به، بما فيها علوم الملل الأخرى، وقيام فئة من المختصين بهذه العلوم. 3) اعتبار رعاية العلم ورفده مجلبة للخير بالنسبة للأفراد الذين يتوخون الوجوه الشرعية للإنفاق وبالنسبة لجماعات الحواضر والبوادي التي تندمج بتلك الرعاية في النمط المبتغى للثقافة الإسلامية وبالنسبة للإمارات التي تستمد من تلك الرعاية خبرة القائمين على الدواوين وغيرها من الخطط كما تستمد منها أسباب الجاه والفخر والمشروعية.

التعليم العالي 1957 - 1994 : تطور التعليم العالي، وضمنه التعليم الجامعي، بالمغرب من بداية عهد الاستقلال إلى اليوم، أي خلال ما يزيد عن ثلث قرن، تطوراً متجاوباً مع ثلاثة عناصر تحكمت في مسار هذا التطور، ومنها :

1) طموح أبناء الأمة إلى تحصيل مستوى رفيع من التعليم كحق وكضرورة للترقية الاجتماعية والمادية.

2) تخطيط الدولة للاستجابة للطلب الناتج عن الطموح المتزايد على التعليم العالي، واستثمار نسب عالية من الميزانية العامة في سياق تزايد ديمغرافي تضاعف فيه سكان المغرب مرتين واتسع فيه الهرم السكاني بغلبة الشباب.

3) ارتباط التكوين بأهداف التنمية من حيث عمل الجامعة على توفير الأطر اللازمة لتحقيق المغربة في مختلف الميادين ومواكبة تطور حاجات القطاعات العمومية والخاصة من الكفاءات كما وكيفا.

وإذا كان من الصعب تعيين مراحل تحقيب التطور الجامعي في هذه المدة لأن الزيادات في أعداد الطلبة وإحداث المؤسسات الجامعية وإدخال التعديلات البداغوجية كانت تتراكم سنة بعد سنة، فإن بالإمكان إبراز تواريخ في هذا التطور تعد معالم مرور إلى مراحل جديدة.

1) صدور ظهير تأسيس جامعة محمد الخامس وإحداث مجلسها عام 1959، وكانت بعض مؤسسات هذه الجامعة قد بدأت عملها من قبل.

2) إعادة تنظيم جامعة القرويين بإحداث كلياتها العصرية الأربع في فاس وتطوان ومراكش وأگادير.

3) تنظيم مناظرة إفران عام 1970 حول التعليم العالي الجامعي والخروج منها بأفكار انبثقت منها بعض الإصلاحات والعناصر الهيكلية التي وقع تطويرها في ما بعد.

4) صدور ظهائر ومراسيم سنة 1975 لهيكلة الجامعة وإحداث مؤسساتها التمثيلية من شعب ومجالس وتحديد اختصاصاتها وإعطاء حق التسيير المالي وإضفاء صفة "الأستاذ الباحث" على المدرس الجامعي.

5) صدور ظهيري شهر مارس 1979 بإحداث جامعتين جديدتين هما جامعة القاضي عياض بمراكش وجامعة محمد الأول بوجدة. كما صدرت نصوص تطبيقية تحدد لائحة بأسماء الكليات والمعاهد التابعة لكل جامعة سواء القديم منها أو الحديث.

6) صدور المرسوم رقم 2. 75. 836 بتاريخ 17 محرم 1396 (19 يناير 1976) بتحديد اختصاصات وزارة التعليم العالي وتنظيم هذه الاختصاصات.

7) إحداث خمس جامعات جديدة عام 1989، وهي جامعة عبد الملك السعدي بتطوان وجامعة مولاي إسماعيل بمكناس وجامعة ابن طفيل بالقنيطرة وجامعة أبي شعيب الدكالي بالجديدة وجامعة ابن زهر بأگادير.

إن المؤسسات الجامعية التي أحدثت لاستقبال أكثر من تسعين بالمائة من الطلبة المستفيدين من التعليم العالي قد واكبها صنفان من مؤسسات التعليم العالي العمومي :

الصنف الأول مؤسسات تابعة لوزارات غير وزارة

التربية الوطنية خرجت إلى الوجود تباعا في سياق الحاجة الاستعجالية لأطر اقتضتها التنمية في تخصصات معينة ترتبط باهتمام الوزارات المؤسسة كأطر الإدارة العمومية ومهندسي التخصصات الزراعية والبيطرية، ومهندسي الإحصاء والاقتصاد التطبيقي ومهندسي الصناعة التعدينية ومهندسي المواصلات وأطر البحرية وأطر رجال السلطة وأطر الشرطة وأطر الجيش الملكي وأطر تدبير المقاولات وأطر الصحافة وعلوم الإعلام وأطر الملاحة البحرية والتجارية، إلخ. وكلها مدارس أو معاهد تسمى تجاوزا "بمؤسسات تكوين الأطر"، تمول كلا منها الوزارة التي أحدثتها ويخضع التوظيف فيها والترقية لنفس المقاييس التابعة للجامعة وبينها وبين الجامعة تواصل ما فتيء يزداد بمرور الأيام.

أما الصنف الثاني من المؤسسات العمومية التي لا تنتمي إلى التعليم الجامعي، فهي مؤسسات تابعة لوزارة التربية الوطنية تسمى "المدارس العليا للأساتذة" أو "المراكز التربوية الجهوية" وهي مختصة في تخريج مدرسين من مختلف المواد الأدبية والعلمية بالمدارس الإعدادية والثانوية يلتحق بها حاملو البكالوريا بعد النجاح في مباراة.

وإلى جانب التعليم العالي العمومي، ظهرت في الأعوام العشرة الأخيرة، لاسيما في الدارالبيضاء والرباط ومراكش، مؤسسات للتعليم العالي أسسها خواص، يدخلها حاملو البكالوريا الذين لهم استعداد لأداء الرسوم ولم يتوجهوا لسبب مَّا نحو المؤسسات العمومية للتعليم العالي.

إن الجهود التنظيمية والتضحيات المالية التي أفرغت في تطوير التعليم الجامعي قد آتت نتائج لا تُنكر، أهمها 1) الهيكلة الإدارية للتعليم العالي. 2) تجهيز الجامعات بمقتضى توسع الخريطة الجامعية وفي إطار سياسة اللامركزية. 3) مواكبة التأطير ومغربته للتوسع المذكور كمًّا وكيفا. 4) إدخال إصلاحات تربوية متعددة تمس نظام الدروس والامتحانات. 5) ترسيخ المؤسسات التمثيلية الجامعية. 6) دعم ممارسة اللجان العلمية في المؤسسات الجامعية. 7) تقوية اللغة العربية والتفتح على مزيد من اللغات الحية ولغات البحث.

وفي هذا السياق ظل التعليم الجامعي تعليما بالمجان يستفيد فيه الطلبة من دعم اجتماعي يتمثل في المنح المالية التي تطال الأغلبية الساحقة منهم كما يتمثل في بوادر العناية الصحية والنشاط الرياضي.

وقد صار ارتباط التعليم بالبحث في الجامعة، دليلا على أن هذا التطور كان كيفيا أيضا ولم يكن كميا وحسب، ومن علامات هذا الارتباط تزايد في عدد المنشورات والأنشطة الوطنية والدولية للجامعة، ودخول المؤسسات في طور الاندماج مع المحيط الاقتصادي والاجتماعي ولاسيما عن طريق التعاقد لإنجاز مشاريع تستجيب لحاجيات القطاعين العام والخاص. وفي هذا الإطار تعزز التعاون الجامعي بالانخراط في شبكات للتعاون الدولي، وصارت المؤسسات تبتكر منتجات تربوية في شكل، إجازات تطبيقية مفتوحة على سوق الشغل، كما عرفت الجامعة ميلاد جيل جديد من المؤسسات الجامعية هي : 1) المدارس العليا للتكنولوجيا. 2) كليات العلوم والتقنيات. 3) المدارس الوطنية للتجارة والتسيير.

ولقد كان التعليم بالمغرب في العقود الثلاثة الأخيرة "مسألة" وطنية ودار نقاش كثيف حولها بين الوزارة الوصية وبين نقابة التعليم العالي. لم ينحصر هذا النقاش في الجوانب المهنية بل نظر إليه كتعبير شامل عن اختيارات ترهن مصير عدة أطراف، ولذلك طرح مضمون التعليم وتوجهه ضمن محاور نقاش عدة إصلاحات تربوية أو هيكلية، وذلك في إطار معادلة حكمت تطور التعليم ككل والتعليم الجامعي على الخصوص، وهي معادلة الطموح والإمكانات وطرائق التدبير.

إحصائيات : كانت ميزانية الدولة عام 1994 تقدر في التسيير والاستثمار بـ 66.208 مليون درهم، حصة التعليم فيها 144.50 مليون درهم، وحصة التعليم العالي وحده 2.673،3 مليون درهم.

أما عدد طلبة التعليم في نفس هذا العام فيبلغ 234.946 يكون الإناث منهم 94.256 والأجانب 3.324 والمسجلون في ما بعد الإجازة 16.430. وقد تخرج منهم 22.677 وسكن بالأحياء الجامعية 27.606 من بينهم 14.157 من الإناث وخولت منح مالية بالداخل لـ160.264 وبالخارج لـ8.513. وقدمت في الأحياء الجامعية خلال هذا العام 7.646.286 وجبة غذائية.

أما التأطير فيتمثل في 7.566 من أعضاء هيئة التدريس منهم 1.044 في إطار أستاذ التعليم العالي و905 في إطار الأستاذ المحاضر و11.406 في إطار الأستاذ المساعد و328 من المساعدين. أما التأطير الإداري فيتمثل في 10.571 موظفا منهم 4.406 من الإناث.

أما التعليم العالي الخاص فقد بلغ عدد مؤسساته المرتكزة في المدن الكبرى 43 مؤسسة تسجل فيها 7.484 طالباً.

مؤسسات التعليم العالي ال[illegible]زارات غير وزارة التربية الوطنية :

معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة (الرباط). ـ المدرسة الوطنية للصناعة المعدنية (الرباط). ـ مدرسة علوم الإعلام (الرباط). ـ المدرسة الوطنية للإدارة (الرباط). ـ المدرسة الوطنية للبريد والمواصلات السلكية (الرباط). ـ المعهد الوطني للإحصاء والاقتصاد التطبيقي (الرباط). ـ المعهد العالي للصحافة (الرباط). ـ المعهد العالي للتجارة والإدارة والمقاولات (الدار البيضاء). ـ المدرسة الحسنية للأشغال العمومية (الدار البيضاء). ـ المعهد العالي للدراسات البحرية (الدار البيضاء). ـ المعهد العالي للسياحة (طنجة). ـ المدرسة الملكية للملاحة

المؤسسات الجامعية في يناير 1995

الجامعات	الكليات والمدارس العليا والمعاهد												
	أ ع إ	ع ق	ع	ع تق	ط ص	ط أ	ت ت	م ع م	م ع ت	ع ت	ت أ	م ب	م تر
. محمد الخامس (الرباط ـ أكدال)	1	1	1						1			1	
. محمد الخامس (الرباط ـ السويسي)		1			1	1		1		1		3	
. الحسن الثاني (الدار البيضاء)	1	1	1		1	1		1					
. الحسن الثاني (الدار البيضاء والمحمدية)	2	1	1	1				1					
. سيدي محمد بن عبد الله (فاس)	2	1	2	1					1				
. القاضي عياض (مراكش وبني ملال)	2	1	1	1									
. محمد الأول (وجدة)	1	1	1	1					1				
. ابن طفيل (القنيطرة)	1		1										
. شعيب الدكالي (الجديدة وسطات)	1		1				1						
. المولى إسماعيل (مكناس والرشيدية)	1	1	1	1					1				
. عبد الملك السعدي (تطوان وطنجة)	1		1						1				1
. ابن زهر (أكادير)	1		1	1			1						
. القرويين (فاس وتطوان ومراكش وأكادير)											4		

المفتاح :

ـ ت أ : التعليم الأصيل (شريعة أصد الدين، عربية). ـ أ ع إ : آداب وعلوم إنسانية. ـ ع ق : علوم قانونية واقتصادية واجتماعية. ـ ع : علوم. ـ ع. تق : علوم وتقنيات. ـ ط ص : طب وصيدلة. ـ ط أ. : طب الأسنان. ـ ع ت : علوم تربية.
ـ م ع مه : مدارس عليا للمهندسين. ـ م ع ت : مدارس عليا للتكنولوجيا. ـ م تر : مدرسة عليا للترجمة. ـ م ب : معهد بحث.
ـ ت ت : تجارة وتسيير.

(الدار البيضاء). ـ المدرسة الملكية للطيران (مراكش). ـ الأكاديمية الملكية العسكرية (مكناس). ـ مدرسة استكمال تكوين الأطر التابعة لوزارة الداخلية (القنيطرة). ـ مدرسة المعادن (مراكش). ـ المعهد الملكي لتكوين الأطر التابعة لوزارة الشبيبة والرياضة (الرباط). ـ دار الحديث الحسنية (الرباط). ـ المعهد الوطني للدراسات القضائية (الرباط). ـ المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية (الرباط). ـ المدرسة الوطنية للتدبير والتنظيم الحضري (الرباط). ـ المدرسة الوطنية الغابوية للمهندسين (سلا). ـ المدرسة الوطنية للعمل الاجتماعي (طنجة). ـ المدرسة الوطنية للفلاحة (مكناس). ـ المدرسة الملكية للصحة العسكرية (الرباط). ـ مركز التكوين المهني التابع للخطوط الملكية المغربية (الدار البيضاء). ـ المعهد العالي للمسرح والتنشيط الثقافي (الرباط). ـ المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث (الرباط). ـ مدرسة الفنون الجميلة (الدار البيضاء).

الحسين العمراني، *ترقية رجال التعليم بالمغرب*، د. د.ع.، كلية الحقوق بالرباط، 1989 ؛ *تقرير حول التعليم العالي والبحث العلمي بالمغرب : منجزات وآفاق*، غشت 1989، المركز الوطني لتنسيق وتخطيط البحث العلمي والتقني ؛ النقابة الوطنية للتعليم العالي، *نحو إيجاد مشروع لإصلاح التعليم العالي وهيكلة البحث العلمي*، تقرير مقدم إلى الندوة الوطنية بالرباط يومي 21 و22 أكتوبر 1989 ؛ عبد القادر باينة، شرعية *الإصلاح الحقيقي في التعليم العالي وإلزامية ميثاق وطني حول التعليم والتكوين والبحث العلمي*، جريدة *الاتحاد الاشتراكي*، عدد 2815 بتاريخ 21 أبريل 1991 ؛ عبد الإله فونتير، *الجامعة وقضية البحث العلمي في المغرب العربي*، مداخلة ضمن أعمال ندوة الجامعة الشتوية الثانية، أبريل 1991، مراكش ؛ *الوضعية النظامية للأساتذة الباحثين بالمغرب*، د. د.ع.، كلية الحقوق بالرباط، 1992 ؛ وزارة التربية الوطنية، التعليم العالي، *تطور التعليم الجامعي بالارقام*.

A. Baïna, *Le système de l'enseignement au Maroc*, Casablanca, 1981.

أحمد التوفيق

تغات (جبل ـ)، بضاحية فاس قريب من جبل زلاغ، وقعت بسفحه معركة فاصلة بين ولي العهد محمد الشيخ المامون ابن السلطان أحمد المنصور، وبين الناصر بن عبد الله الغالب الذي كان لاجئاً عند الإسبان منذ معركة وادي المخازن، وهذه هي المعركة الثانية ضد هذا الثائر إذ سبق أن تغلب الناصر على جيش سرحه المنصور لقتاله عندما حل بتازا، وتعرف هذه الواقعة الحربية الأولى بمعركة الركن.

لم تذكر المصادر العربية اسم موقع المعركة الثانية "تغات" التي حضرها ولي العهد المامون، وإنما جاء ذلك فيما كتبه الصيدلي الفرنسي تريبو الذي حضر المعركة ضمن حاشية المامون، وقدم عنها كثيراً من التفاصيل. وأول ملاحظة تثير الانتباه في كتابة هذا الفرنسي أن الناصر تقدم بجيشه نحو مدينة فاس حتى بلغ مشارفها وحينئذ خرج للقائه ولي العهد خليفة أبيه المنصور في الحاضرة الإدريسية. وهذا ما لا يفهم من الروايات المغربية. وسنورد تفاصيل معركة تغات كما جاءت عند تريبو.

كان جيش محمد الشيخ المامون كبيراً يضوم فرقا من العلوج ومهاجرة الأندلس وقبيلة شراكة وغيرها من قبائل العرب والبربر منهم 11.000 من المسلحين بالبنادق مشاة وفرساناً، و7.000 من حملة الرماح وفرقة من المدفعية. أما جيش الناصر فكان أقل رجالا وسلاحا، يضم إلى جانب المرتزقة عددا من قبائل الريف وضواحي تازا.

نزل الناصر وجنوده يوم 13 رمضان 1004 / 11 ماي 1596 على بعد مسافة قريبة من فاس حيث أمسى معسكره مكشوفاً في متناول قصف مدفعية العدو، وفي الليل، تحركت جنود الناصر من جديد واختارت أن تجرى المجابهة على سفح جبل تغات، في الشمال الغربي من فاس وعلى مقربة من جبل زلاغ، وعسكرت قوات محمد الشيخ قريبا من مكان المعركة، يوم 12 ماي 1596، حسب النظام التالي :

نصبت الخيم في صفوف عديدة، وبين هذه الخيم كانت توجد مخازن الذخيرة والعتاد، يحرسها ألف من المرتزقة المسلحين بالبنادق، في حين كانت فرقة المدفعية مستعدة للعمل، من على ربوة تشرف على مواقع الناصر.

كان المشاة كلهم يتقدمون الصفوف، وهم منقسمون إلى فرقتين، تفصل بينهما مسافة ست خطوات، وتتألف كل واحدة منهما مما يزيد على ثلاثة آلاف جندي من المسلحين بالبنادق، انضمت إليهم فرقة من الرماحة، تشكل هلالا في ميدان المعركة، وفي وسط الهلال، كان يوجد محمد الشيخ الذي نصّب قائدا على جنود الصفوف الأمامية العلج الباشا مصطفى أرمان، وابنه فوفري قائدا على جميع المرتزقة المسيحيين. واقتسم الأندلسيون والعرب وما بقي من شراكة

والبرابر، جميع الصفوف الخلفية.

وما كان نظام قوات الناصر ليختلف عن هذا النظام، ولم يكن يعوزها إلا المدفعية. وأما عدد جنوده فكان يُقدر بـ 18.000، منهم 8.000 رماح، و1.000 بندقي، والباقي يتألف من المشاة المسلحين بالسيوف والرماح القصيرة، ومن أهالي الجبال بأسلحة متباينة.

انطلقت المعركة بشن جيش محمد الشيخ هجوما عاما غداة 14 رمضان 1004 / 12 ماي 1596، واستغرقت العمليات الحربية ساعتين، بدت للمقاتلين وكأنهما شهران، حرب لم تحسم لفائدة أحد. ودخل فيها من جانب محمد الشيخ، جنود احتياطيون، لكن بدون جدوى، ورأى الناصر وانصاره أنهم على قاب قوسين أو أدنى من النصر ورأى محمد الشيخ نفس الرأي، في هذه الأثناء حدثت مفاجأة كبرى، ذلك أن كتيبة من الجيش، يتقدمها عناصر من الجوقة العسكرية التي كانت ترافق أحمد المنصور، وعلم الملك يرفرف عليها، ظهرت على أحد الربى، فارتفعت معنوية جيش محمد الشيخ وأصاب الهلع الجيوش التي كانت تقاتل مع الناصر، وظنوا أن أحمد المنصور جاء بالمدد إلى ابنه محمد الشيخ، فأخذوا في الفرار عبر الجبال، واستطاع الناصر أن يفر هو كذلك على متن فرس، وتشتت جمعه. خلفت هذه المعركة في الميدان زهاء ألف قتيل وجريح في جيش الناصر، وضعف ذلك في جيش محمد الشيخ. وغنم محمد الشيخ خيم عدوه كلها واستولى على عدد كبير من الأسرى. وتعقب محمد الشيخ ابن عمه الناصر، فأخذه وحمله إلى معسكر الشيخ وقتله وبعث برأسه إلى مراكش، فعلق مدة ثم أمر المنصور بدفنه بمقبرة سيدي بلعباس بمراكش.

م. الإفراني، *نزهة*، 91. 92 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الجزء 5 : 145. 151.

S.I.H.M., France II, III ; *Angleterre* I, II, II ; *Portugal* II, G. Jacqueton, *P. Treillault, Pharmacien de Ahmed al-Mansour, R.A.*, p. 212.

أحمد بنجلون

تغاتين أو تاغاتين، منطقة جبلية تقع إلى الشرق من مركز أنزي في الأطلس الصغير في الحدود بين إدا وبعقيل وإدا وسملال. ولكثرة صلحائها وعلمائها كانت تدعى رباط الصالحين. ويذكر أن الشيخ أحمد بن موسى السملالي كان كثيرا ما يزورها ويحثّ مريديه على زيارتها.

التغاتيني، أحمد بن **سليمان** بن يعزّى الرسموكي فقيه مشارك وصالح ناسك. درس في مسقط رأسه تغاتين على والده سليمان، ومَحمد بن محمد بن يعقوب والحسن بن علي بن داوود السملالي، كما أخذ عن الحسن اليوسي وغيره. وأخذ الطريقة الناصرية عن الخليفة الشيخ أحمد ابن ناصر وصاحَبَه مدة وسار على هدي الناصريين في اتباع السنة ونشر العلم والتصوف الخالص. ولما قُتل أبوه وأخوه محمد ظلماً عام 1072 / 1661 نهبت داره وهدمت من طرف فُتاك بينهم وبين التغاتيين إحَن قديمة، خرج أحمد إلى تارودانت ثم إلى فاس، وقدم إليه عرض مُغْر ليشارط في مصلحة تغازى بمشارف السودان (مائة مثقال ذهباً وأمة وعبد وكسوة رفيعة في كل عام) لكنه اعتذر وفضل الذهاب إلى مراكش فاستوطنها ساكناً في بيت علوي بسطح مدرسة المواسين عاش فيه طوال حياته عزباً مجداً في التدريس والتربية والتأليف وعمل الخير، إذ كان معظّما يعتقده العامة وذوو السلطة والأجناد ويمتثلون أمره، فانتفعت به البلاد والعباد وتخرج به جميع طلبة وقته وبلده.

كان أحمد بن سليمان مقصد المستفتين من كل أنحاء الجنوب وخاصة سوس، وقد وقف المختار السوسي على عدد كثير من فتاواه قال عنه: "لو جمع لكان وحده مجلداً أو أكثر"، وضمّن بعض هذه الفتاوي في كتابه مجموعة إلغ الفقهية.

ألف أحمد بن سليمان في الحساب والفرائض والفقه والعروض والتوقيت والتنجيم مؤلفات منها :

- *معونة الإخوان على مسألة أولاد الأعيان* في كراسه، بيّن فيه أحكاماً غريبة وتفاصيل عجيبة.
- *شرح الزايرجة السبتية*.
- *الجواهر المكنونة في صدف الفرائض المسنونة*، وهي أرجوزة في علم المواريث في أربعمائة واثنين وثلاثين بيتا. وهي - كما وصفها المؤلف - سهلة، يحفظها السوسيون عن ظهر قلب حتى اليوم، ويسمونها الأرجوزة السملالية في الفرائض.
- *ذيل الأرجوزة السملالية في الحساب* بما يكمل مائة وعشرين بيتاً.
- شروح *الأرجوزة السملالية وذيلها*، كبير في اثنتي عشرة كراسة، ووسط في ست كراسات، وصغير في أربع كراسات.
- شرح *اليواقيت لمبتغي معرفة المواقيت* لعلي بن محمد الدادسي، وتعرف بالأرجوزة الدادسية. شرح كبير في عشر كراسات، وصغير في خمس كراريس.
- شرح *الأرجوزة السملالية في الفرائض*، كبير في إحدى وعشرين كراسة، وصغير في ثلاث عشرة كراسة.
- *لامية في العروض*. وهي قصيدة من بحر الطويل في سبعة وستين بيتاً.
- شرح *لامية العروض* في خمس كراسات، بيّن فيه جميع ما يُحتاج إليه في ذلك الفن، مع تقطيع جميع شواهد العلل والزحافات يغني عن غيره من كتب العروض.

توفي بمراكش يوم الاثنين الأول من رجب عام 1133 / 28 أبريل 1721. ودفن خارج باب الدباغ.

وقد نبه كل من عباس ابن إبراهيم ومحمد المختار السوسي إلى وجود فقيه آخر يحمل نفس الاسم : أحمد بن سليمان الرسموكي، نسخ المدخل لابن الحاج بجزءية في

ثمانية وعشرين يوماً، فهذا متقدم توفي عام 984 أو 985.

م. الحضيگي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 125 ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*، تح. أ. عمالك، د.د.ع. الرباط ؛ م. ابن الموقت، *السعادة الابدية*، 1 : 116 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 2 : 366 رقم 256 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 51؛ *سوس العالمة*، 192 ؛ *المعسول*، 18 : 330 ـ 337 ؛ إ. الادريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، 129.

التغاتيني، أحمد بن **عبد الواسع** الرسموكي، أديب بليغ. عمل كاتباً للأمير أبي حسون بودميعة السملالي. وقد احتفظ المختار السوسي في كتابه إيليغ قديماً وحديثاً بعدة مراسلات صادرة عن بودميعة من إنشاء كاتبه أحمد بن عبد الواسع التغاتيني. ويحرف اسم المترجم أحياناً فيكتب محمد ابن عبد الواسع. وقد اضطرب السوسي في تحديد أو تقريب تاريخ وفاته، فذكر في رجالات العلم أنه توفي عام 1060 / 1650 واستنتج في المعسول أنه كان مازال حياً عام 1093 / 1682، وهو تاريخ انتهاء الرسموكي من تقييد وفياته، ولذلك لم يذكره.

م. المختار السوسي، *إيليغ*، 127 ـ 131 ؛ *المعسول*، 329 ؛ *رجالات العلم*، 35.

التغاتيني، أحمد بن **محمد** بن يعزى الرسموكي، أديب كاتب وفقيه مفت. أخذ الأدب عن محمد بن الحسن بن القاسم اللكوسي، وأورثه ولده محمد بن أحمد آتي الترجمة. يعد من شعراء بلاط أبي حسون بودميعة في إيليغ. وكانت له عليه دالة تتبين من قصيدة فائية وجهها إليه يشتكي من بعض خصومه ويستعديه عليه، مطلعها :

ماذا يريد الثعلب المستضعف   من قَسْوَرٍ منه العدا تتقصَّف ؟

وهو إلى ذلك هجاء مقذع، هجا معاصره القاضي أحمد أمزوغار الوجاني ودعا إلى عزله في قصيدة مشهورة تنتهي كل أبياتها بكلمة أمزُغَر، مطلعها :

أمدَّ إلهي في المعالي مذاهباً   وضعضع في قرب قواعدَ أمزغر

وهو ناظم القصيدة الطويلة التي امتزجت فيها العربية بالشلحية التي بدايتها : باسم الله في الكلام إزْوَر. ومع ذلك حلاه بلديه الرسموكي صاحب *الوفيات* بصفات لم يصف بها غيره وقال عنه : "الفقيه الأجل الكاتب العالم العلامة الدراكة النحوي اللغوي الفيلسوف صاحبنا ومحبنا.... عاصرته وجالسته وحضرت جنازته".

وفي ميدان الفقه له فتاوى كثيرة في مجموعة *عبد السميح الأمزالي*، و*المجموعة البرجية*. ويذكر له كتاب في *التاريخ والتراجم* لم يُعثر عليه لحد الآن.

توفي يوم الثلاثاء الثامن عشر من جمادي الثانية عام ثمانين وألف / 12 نونبر 1669.

الرسموكي، *وفيات*، 31 ؛ م. الحضيگي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 95 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 34 ؛ *سوس العالمة*، 185 ؛ *المعسول*، 18 : 271 ـ 285 و310 ـ 312.

التغاتيني، حسين بن داود الرسموكي، فقيه عارف بالفروع والأصول، مشارك في التفسير واللغة وقواعدها. درس في سوس وفي خارجها. ومن أشهر شيوخه داوود بن محمد التونلي التملي، ومحمد بن يوسف السنوسي التلمساني صاحب العقائد. ويظن أنه أخذ أيضاً بفاس عن الإمامين محمد ابن غازي وأحمد الونشريسي وطبقتهما.

من تآليفه الباقية :

- شرح *رسالة* ابن أبي زيد القيرواني.
- شرح *التلقين* للقاضي عبد الوهاب البغدادي.
- *مدارج الراغب على مختصر ابن الحاجب الفقهي*.
- شرح *نظم بيوع ابن جماعة*، والناظم عبد الرحمن السوسي.
- شرحا *توشيخ خالد الگرسيفي في الجنة ونعيمها*. كبير وصغير.
- *نظم في تصريف الأفعال*.
- شرح *نظم التصريف*.

توفي يوم الجمعة ثامن عشر محرم عام أربعة عشر وتسعمائة / 19 ماس 1508.

م. البعقيلي، مناقب، 18 ؛ الرسموكي، *وفيات*، 39 ؛ م. الحضيگي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 233 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 19 ؛ *سوس العالمة*، 179 ؛ *المعسول*، 279 ؛ *جامعة القرويين في ذكراها*، 115 رقم 7.

التغاتيني، داوود بن عبد المنعم الرسموكي. "علامة جليل، وأديب كبير، وشاعر مصقع... من علماء جزولة المشاركين الكبار الذين لهم في كل العلوم التي أخذوها ـ لغة وفقها وتفسيراً وتاريخاً وحساباً وأصولاً وبياناً ـ يد طولي". بهذا حلاه صاحب المعسول في طليعة ترجمته. ولد حوالي عام 1310 برباط تغاتين، وبه نشأ ودرس على والده القرآن ومبادئ العلوم، وأتم تعليمه على يد عمه أحمد بن محمد التغاتيني، وأحمد بن مسعود في المعدر، والحاج أحمد الصوابي. وأخيراً عند الأديب الكبير الطاهر الافراني بمدرسة بومروان "حيث الآداب تتدفق، وغدران القوافي تترقرق، ونجوم المشاركة في جميع العلوم تتألق".

شارك داوود التغاتيني ـ كشيخه الطاهر الإفراني ـ في حركة الهيبة ضد الاحتلال الفرنسي، فالتحق به في تيزنيت وسار معه إلى مراكش. وبعد هزيمة جيش الهيبة سار داوود مع الحاحيين الفارين إلى زاوية سيدي الزوين ومنها رجع إلى سوس، فشارط سنة في مسجد قصبة تالاغت قبل أن يلتحق بالشيخ الحاج أحمد الصوابي في مدرسة تاكوشت ويلازم مجالسه العلمية سنين. ومن ثم انتقل إلى جامع ابن يوسف فأتم تكوينه في شتى العلوم اللغوية والشرعية والعقلية والأدبية. وأهم شيوخه هناك أبو شعيب الدكالي وفتح الله بناني الرباطي، وأحمد العلمي الفاسي.

رجع داوود إلى سوس وتفرغ للتدريس في تيبوت وغيرها من المراكز القروية العلمية. وأهم إنتاجه أدبي ترسلاً

وشعراً ونقداً دقيقاً عنيفاً في بعض الأحيان، وقد أورد نماذج عديدة من ذلك في *المعسول* كما أورد قائمة طويلة بأسماء الفقهاء والأدباء التي تخرجوا بداوود التغاتيني.

توفي عام 1389 / 69 ـ 1970.

م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 241 ؛ *المعسول*، 18 : 339 ـ 385؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1389.

التغاتيني، سليمان بن يعزى، فقيه موثق عدل، زاوج بين تلقي الشهادات وتحرير العقود، والقيام بالتعليم في مدرسة المولود بتغاتين، وهو من المتخرجين على يد *الشيخ الكبير عبد الله بن يعقوب*.

كان سليمان مثال الاستقامة والنزاهة، لكنه ذهب ضحية الفتن المضطرمة بين قبائل الجنوب آنذاك، فقتله بعض الأشقياء من خصوم قومه التغاتينيين هو وولده الطالب محمد ونهبوا داره وهدموها كما سبقت الإشارة إلى ذلك في ترجمة ولده أحمد بن سليمان. وقد ساق حادثة اغتياله بلديُّهُ الرسموكي صاحب *الوفيات* ووصفها بدقة وتأثر شديد.

وقف المختار السوسي على عدد من فتاوى سليمان التغاتيني في المجموعتين الفقهيتين الكبيرتين : *الأجوبة البرجية والأجوبة السميحية* "مما يدل على أنه مفتٍ كبير بين كبار المفتين في عصره".

قُتل ظلماً يوم الاثنين الثالث عشر من شعبان عام 1072 / 3 أبريل 1662 في مدرسة المولود التي كان يُقرئ فيها. ولايزال في المصلى محل جمد فيه دمه رحمه الله.

الرسموكي، *وفيات*، 27 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزكو، الترجمة 747 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 34 ؛ *المعسول*، 18 : 329 ـ 330.

التغاتيني، عبد السميح بن محمد الرسموكي. أستاذ، حفظ القرآن والمتون الأولية، ثم درس في فاس على الإمامين محمد ابن غازي، وأحمد الونشريسي وطبقتهما. ومن أشهر تلاميذه إبراهيم التيخفيستي السملالي الذي ترجم له، وعنه أخذها الرسموكي في الوفيات وغيره. حلاه الحضيكي بقوله : "كان ـ عبد السميح ـ فقيهاً قارئاً ناسكاً عابداً مدرساً صالحاً ناصحاً". وهو الجد الأعلى لآل عبد السميح التغاتينيين العلماء.

مات قتيلا في مسقط رأسه ظلماً وحسداً على ما آتاه الله من فضله، عام 915 / 10 ـ 1511.

الرسموكي، *وفيات*، 26 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزكو، الترجمة 568 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 19 ؛ *المعسول*، 18 : 280 ؛ *جامعة القرويين في ذاكرها*، 115 رقم 8.

التغاتيني، محمد بن أحمد بن محمد بن يعزى الرسموكي. أديب كبير وشاعر مفلق. ولد قبل عام 1060 / 1650، وهو رابع الأدباء السوسيين الذين كانوا يسامرون في تارودانت الأمير الأديب مَحمد العالم ابن السلطان المولى إسماعيل وخليفته في الجنوب، وقد خلد كتاب *نفحات الشباب* محاوراتهم وإنشاداتهم ومساجلاتهم. تعرّف مؤلف *النفحات*، وهو أديب روداني، على المترجم في أحد أسواق تارودانت أوائل رمضان عام 1112 / فبراير 1701، حين جاء ليحضر إلى جانب علماء سوس مجالس صحيح البخاري عند الخليفة مَحمد العالم، وكتب يصف التغاتيني : ".... فوجدت *طلعة بهية، ولبسة سنية، وشيبة منورة*".

يبدو محمد التغاتيني في نفحات الشباب سريع البديهة، قوي الذاكرة في حفظ أشعار الأدباء ونقدها خاصة شعراء العصر العباسي، ذا قدرة فائقة على ارتجال النظم البديع. وقد بهر الخليفة مَحمد العالم بما أجاز من مصاريع أنشدها الخليفة، وهي تمثل مشاهد حية كانوا يرونها من منتزه مشرف على بستان : أشجار حولها كوم رمل، وأغصان مالت نحو أزهار، وحصّاد بمنجل في السنبل يضربه فيبدده ليلتقطه كبش معه، وصقر انقض على حمامة... كانت إجازات التغاتيني فورية لا تكتفي بالوصف الدقيق للمشهد بل تأتي بتشبيهات وتنظيرات تدل على إحساس مرهف في لغة متينة وسبك سلس. عبّر الخليفة عن إعجابه بالتغاتيني قائلا له : لقد أعدت عصر ابن عطية، فأجاب : كما أعاد سيدنا عصر عبد المومن بن علي. يشير إلى المساجلة الأدبية الشهيرة بين الخليفة الموحدي ووزيره ابن عطية وهما يسيران يوماً في بعض أزقة مراكش.

توفي بمسقط رأسه حوالي عام 1118 / 1702.

روداني مجهول الاسم، *نفحات الشباب*، في الجزء 18 من *المعسول*، 18 : 286 ـ 328.

محمد حجي

التغاجيجتي أو التاغاجيجتي، **إبراهيم** بن محمد بن الحاج علي ولد سنة 1298 / 1880 أخذ القرآن عن المقرئ بلديه الاستاذ محمد بن إبراهيم المرابط، ثم اتجه نحو مدرسة إلغ لتلقي المتون العلمية حوالي 1312 / 1894 فقرأ على الفقيه بلقاسم التاجرمونتي، ثم على فقيه المدرسة علي بن عبد الله، المشار إلى وفاتهما في مادة بلوش من *معلمة المغرب*. قال فيه مؤلف *تحلية الطروس* : "الفقيه المرشد أبو سالم إبراهيم التاغجيجتي، مقدم الطريقة التجانية (...) لقيته مرة، فوجدته صافي الأخلاق، وافي المروءة منقبضا (...) ذا دين متين، فاراً من مجالس أهل الأهواء (...) صرف أوقاته في تحصيل الفضل والعبادة، وترك فضل العيش، وفضول الناس".

أخذ الطريقة التجانية عن الفقيه أبي الحسن الالغي المذكور أول يوم تلقنها، ثم أجازه التلقين فيها الفقيه الحاج الحسين الافراني قطب التجانية في سوس توفي إبراهيم التاغجيجتي بعد أن أتم الثمانين سنة 1378 / 1958.

علي بن الحبيب، *تحلية الطروس في ذكر رجالات سوس*، مخطوط؛

الإيكراري، *طاقة ريحان من روضة الأفنان*، 55 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 1 : 371 ؛ 9 : 106.

التغاجيجتي، أحمد بن **بلخير** بن بلعيد. ولد سنة 1337 / 1918 وأخذ القرآن في بلده عن الفقيه محمد بن الحسن التازروالتي الأصل، المتوفى 1367 هـ وعن مقرئ آخر هو الفقيه محمد بن الحسين الذي كان يشارط في آخر عمره في أيت باعمران قبيلة إصبويا.

وبعد مرحلة حفظ القرآن اتجه إلى مدرسة الجمعة بأيت عبلاً أيت باعمران، حيث أخذ عن الأستاذ القاضي محمد بن بلوش المتقدم ولازمه اثنتي عشرة سنة، خلافا لما ذكره المؤرخ السوسي من أن المدة هي ثمان سنوات، ففي رسالة طلب بها الاجازة من شيخه هذا، ذكر أنه مكث عنده اثنتي عشرة سنة وتوجد صورة الجواب عن هذه الرسالة في *كتاب المدارس العلمية بسوس* (3 : 338) وقد ورد في الرسالة ما يلي بالحرف : ..." المرام أن تكتب لي إجازة بأنني قرأت عندك العلم، ومكثت عندك اثني عشر عاماً، وأذنت لي في التدريس"...

وأخذ كذلك عن الأستاذ محمد بن الطاهر في تانكرت لازمه عامين، ثم اتجه إلى المدرسة الوفقاوية عند الأستاذ أحمد اليزيدي، ولازمه عامين، فتخرج أستاذاً لقنافهما مشاركاً، بعد ذلك شارط في بعض مدارس أيت عمران ثم تولى التعليم في المدارس الحديثة بعد الاستقلال وأخيراً ترك التعليم واتجه إلى سلك القضاء، لكنه لم يستمر فيه نظراً لطبعه وأنفته التي لا يرضى معها بقيود الوظيفة، وانتهى به المطاف الى المشارطة في المسجد الكبير في أكادير، لكنه مالبث أن غادره إلى بلده تغاجيجت، فحق فيه قول مؤرخه : "له نباهة وشفوف وألمعية، وتطلع إلى المعالي التي كان أحق بها وأهلها، مع عزوف وترفع عن الدنايا" (*المعسول*، 18 : 155) اهتم في آخر حياته بالتأليف من ذلك كتاب *نور على نور* لتوضيح معالم الدين، كما قال، *وإقناع الإخوان والمنهاج الواضح* وموضوعه صحة التوسل بالأنبياء والأولياء وزيارتهم مطلقا وله مخطوطات لم تطبع أما الثلاثة المذكورة فقد طبعت.

توفي بعد عام 1404 / 1984.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 18 : 153 ؛ ع. الساحلي، *المدارس العلمية بسوس*، 3 : 338 ؛ *وثائق ومعلومات خاصة عند الكاتب*.

التغاجيجتي، أحمد بن **الحسين** بن محمد الملقب أضَارْضُورْ (الأصم)، وهو غير أحمد أضارضور العالم السوسي الشهير المتوفى حوالي عام 1299 / 1881 وقرأ القرآن على شيخه الفقيه بلال (ت. حوالي 1342 / 1923) المعروف بحفظه وتلاوته لكتاب الله هناك، كما قرأه على شيخه في أيت باعمران الفقيه محمد أمَجُّوضْ (ت. نحو 1368 / 1948) وذلك في قبيلة إدْمُوسَاكْنا حيث بقي المترجم إلى أن أتقن حفظ القرآن على يد هذا الشيخ ؛ وبعد ذلك اتجه إلى مدرسة أمَسْرا عند الأستاذ محمد بن المحفوظ، حيث ظل عشر سنوات، وتتلمذ كذلك على يد الإلغيين، في مدرستهم، وعلى يد الأستاذ الحسين بيبيس الاخصاصي الشهير المتوفى سنة 1339 / 1920.

وتردد أحمد التغاجيجتي بين هؤلاء أكسبه معرفة لا بأس بها، فله مشاركات تأدبية، لكن تطلعه إلى منصب الرآسة وما تقتضيه من تبعات حال بينه وبين الشفوف في المجال العلمي، ولعل السبب في هذا التطلع هو نشأته على يد أبيه الذي يعد من رؤساء القبائل الأشداء، فمن هنا اشتهر المترجم منذ صغره بصفات هي إلى الرآسة أقرب منها إلى العلم، وكان معروفاً بالإقدام والشجاعة، وفي الوقت ذاته كان يميل إلى المزاح ويغالي في اختلاق الغرائب والعجائب، دون مراعاة لمكانة أحد مهما كانت قيمته، وقد انحاز إلى جانب المحتلين الفرنسيين ضد حركة الهيبة المعروفة، فاتخذ ذلك هزؤا يباهر به أحد علماء المنطقة، ولما احتلت سوس من طرف الفرنسيين عين قائدا على قبيلته، وهذه كانت رغبته ومنيته. قال ابن الحبيب : "طلب القيادة فمنحها" وقال عن أخلاقه : "تارة يزدري بنفسه، وتارة بأبناء جنسه، فمجلسه خال من كل خير إلا من المضاحك" *(تحلية الطروس)*. توفي أحمد التغاجيجتي سنة 1366 / 1946.

ع. ابن الحبيب، *تحلية الطروس في ذكر رجالات سوس*، مخطوط ؛ الإيكراري، *طاقة ريحان من روضة الأفنان*، 66 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 9 : 108.

التغاجيجتي، أحمد بن **حمّو** - محمد - بن صالح بن بلخير، ولد سنة 1235 / 1819 وهو من أعلام تغاجيجت المرموقين، بدأ حياته في التعلُّم عند أحد الركراكيين الأفاضل الفقيه : بلقاسم بن المحجوب في أحد مساجد بلده، حيث قرأ القرآن، ثم انقطع إلى مدرسة أدوز العلمية، حيث درس المتون على يد الأستاذ العربي بن إبراهيم، ولازم الأستاذ الشريف الكثيري حوالي أربع عشرة سنة، فكان يشتغل بالنساخة، حتى عُدَّ له اثنان وأربعون مجلداً بخطه، ولما عاد إلى بلده وجد الناس على جهل مطبق فبذل ما في وسعه لإعادتهم إلى جادة الشريعة، فكان لجهده أثر محمود في تقويم اعوجاج أهل تغاجيجت وقد خلّف الاثر الحسن والمدارس العلمية التي تعاقب عليها، كمدرسة سيدي علي أ ُسعيد في قبيلة الأخصاص، ومدرسة سيدي مَحمد الشريف ومدرسة بويْزكارن وغيرها، وحظى بمقابلة السلطان الحسن الأول في زيارته لأكلميم سنة 1303 / 1885، فقد وفد عليه مع أحد علماء تلك الناحية، فأهدى إليه كتباً، وأكرمه السلطان مع صاحبه، وزودهما بالتحرير من الالتزامات التي يقوم بها غيرهما، وقد ظل حياته كلها مدرسا ناشراً العلم حتى وهو منقطع في داره بعد مشارطاته في مختلف مدارس المنطقة، وكانت له علاقة بالالغيين، يراسل أمثال علي بن عبد الله، ويتناقش معه في مشكلات فقهية، قال

في حقه المختار السوسي : "عالم كبير القدر نوازلي، له شهرة واسعة (..)] وكان نوازليا مفتيا مقداما قوالا لما يريده، غير متلجلج (*رجالات العلم*، 181 تحت رقم 1) وقال فيه ابن الحبيب "العلامة الذي حاز قصب السبق في الفقه (...) انقشع به غمام الجهل والغي في تلك الناحية، حكم بين الناس وافتى" (*تحلية الطروس*).

توفي في حدود عام 1314 أو 1317 أو 1320 حسب مختلف مصادر ترجمته.

ع. ابن الحبيب، *تحلية الطروس*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم العربي*، 181 ؛ *المعسول*، 18 : 151.

التغاجيجتي، إدريس بن الحسن بن مَحمد. ولد عام 1293 /1875 ينتمي إلى فخذ إدْ سعيد بن إبراهيم كسابقه إبراهيم بن محمد، أسماه علي بن الحبيب الجراري : "إدريس بن محمد" وحلاّه بالفقيه العالم، وقال عنه وعن إبراهيم : "قد قرنا في قرن التدريس، ولم يفت أحدهما الآخر في الفهم النفيس".

بعد أن قرأ القرآن في بلده حتى أتم حفظه، ذهب إلى مدرسة إلغ سنة 1308 /1890 لأخذ المتون العلمية على عادة أقرانه، فتتلمذ على أبي القاسم بن مسعود التاجرمونتي، أبي الحسن الإلغي وبعد أن استتم العلوم التي تدرس هناك، عاد إلى بلده بتغاجيجت، فتصدر للإفتاء، إذ كان فقيهاً مشاركاً فرضياً، حسن الخط حسب شهادة معاصره وبلديّة. إبراهيم بن محمد المتقدم، كما كان معروفاً بورعه وتقواه.

لم يكتف بالجانب الفقهي في معارفه، بل "كان له ولوع بحفظ المقطعات الشعرية، وغرائب اللغة، حتى صار قاموساً" - حسب قولة ابن الحبيب الجراري فيه. توفي سنة 1365 / 1945.

ع. ابن الحبيب، *تحلية الطروس*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 9 : 107.

عبد الحميد محيى الدين الباعمراني

تَـغَـازَى، قرية تقع في أقصى شمال مالي الحالية، موقعها غرب تاودني. ضبطها ابن بطوطة بفتح التاء والزاي، وعليه المعول. وحولها سبخة (إجِّلْ) التي كان ملحها يشحن إلى أقطار السودان الغربي ويتبادل بالذهب مدة قرون عديدة، ويظهر أن منطقة الملح بما فيها تَغَازَى كانت في عصر البكري تعرف ببلاد الفَرْوين، نسبة إلى قبيلة أو عشيرة، حيث ذكر أن الملح يبدل فيها بالذهب، وقد تحكم المرابطون في الطريق الممتد بين المالح وغانا. وفي بداية رحلة ابن بطوطة إلى السودان سنة 753 / 1351 كانت تغازى ضمن التراب المغربي لأن هذا الرحالة يذكر إيوَالاتَنْ كأول عمالة السودان. ولم تكن تغازى سوى قرية متواضعة، مبانيها من حجر الملح وسقوفها من جلود الجمال، ويقطنها عبيد مسوفة، وهي القبيلة ذات النشاط الاقتصادي التي استولت على الطرق التجارية الصحراوية الممتدة إلى السودان الغربي منذ أواخر الثلث الأول من القرن السادس (12 م). وعلى هذا فإن الدولة المغربية لم تؤمم ممالح تغازى قبل السعديين. وكان الملح في القرن الثامن (14 م) يقايض بالذهب كما كان قبل ذلك ولبضعة قرون أخرى بعد ذلك.

وشبه الحسن الوزان ممالح تغازى بمقاطع الرخام، وقال إن ملحها يشحن بواسطة القوافل التجارية إلى تنبكتو التي تنقصها هذه المادة نقصا شديدا. أما سكان القرية ومعدنوها فتأتيهم المواد الغذائية من سجلماسة ودرعة وحتى من تنبكتو، وارتفع ثمن حمل جمل من الملح بعاصمة مالي هاته إلى ثمانين مثقالا في أوائل القرن العاشر (16 م). لكن بالنظر لضعف السلطة المركزية والحروب الأهلية التي عرفها المغرب لمدة قرن ونصف تقريبا حتى قيام الدولة السعدية، فإن صنغاي وضعت يدها على الممالح، ولذلك لم يكد محمد المهدي الشيخ، العاهل السعدي، يستقر في الحكم حتى انتزع تَغَازَى من يد أسْكِية (ممادو توري) ولكنه تنازل عن بعض خراجها للعاهل الصُّنْغائي محتفظا بسيادة المغرب عليها. واستمر الأمر على ذلك حتى خلافة المنصور الذهبي ففرض مكسا بقيمة على كل حمل يرد على تَغَازَى وأنشأ حصنا وزوده بحامية مسلحة، فأدى ذلك إلى مفاوضات دبلوماسية لم تخل من حدة، ثم إلى حرب انتهت بفتح المنصور للسودان (1000 / 1599) ومن المفارقات أن التجهيز المادي والعسكري لفتح السودان تَمَّ بفضل خراج تغازى إلى جانب خراج درعة وأموال أخرى. وبذلك أصبح المغرب يراقب من جديد مجموع الطريق التجاري الممتد من سجلماسة ودرعة عبر تغازى إلى تنبكتو التي تراجع مستواها الحضاري حينئذ شأن باقي مملكة الصنغاي. وقد ألحقت تَغَازَى بعمالة درعة بحكم قربها النسبي وبالنظر لسعة هذه العمالة خصوصا في ظل الحكم السعدي. وهذا ما توضحه رسالة من السلطان مولاي إسماعيل العلوي إلى نجله المأمون خليفته بالصحراء.

غير أن تَغَازَى ما لبثت أن أصبحت قرية مهجورة في أواسط القرن الحادي عشر (17م) وحلت محلها (تاوْدني) الواقعة شرقها، كمحطة لقوافل الملح. على أن سبخة إجِّل استمرت تزوِّد عددا من مناطق إفريقيا الغربية بحاجتها من الملح. وحتى بداية الزحف الفرنسي ظل الملح عملة مقايضة يتبادل بها الزرع والخيل والثياب والعبيد. وفي هذه الفترة بالذات كان ملاك سبخة إجِّل من الكنتيين الماليين، ويشير "إيبولار" إلى تردد عدد من الرحالين المعاصرين على منطقة تغازى القديمة.

أ. البكري، *المغرب*، ص. 174 ؛ م. ابن بطوطة، *الرحلة*، ج 2، ص. 191-192 ؛ ع. الفشتالي، *مناهل الصفا*، مختصر، ج 2، ص. 55، 82، تطوان 1964 ؛ أ. الشنقيطي، *الوسيط*، ص. 433، 522 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة : معلمة المدن والقبائل*، مادة : تغازى.
Léon l'Africain, *Description*, pp. 455, 456, 469 ; Gouraut (Général), *Mauritanie Adrar*, Paris, 1945.

إبراهيم حركات

تْغَاسْرُوتْ (أهل ـ)، تسمية أمازيغية الأصل، تُطلق على موقع بجبل بني إزناسن (إقليم وجدة) يبعد بحوالي سبعة كلم عن قرية تافوغالت من جهة الشمال، ويتوسط السلسلة الجبلية المذكورة بين ثنايا قمم عالية وسفوح قوية الانحدار. حاول البعض البحث عن أصل التسمية انطلاقا من دلالتها في اللهجة الزناتية، فاهتدى إلى رواية لها علاقة بفرقة إباحية ـ تدعى الرُّسمة ـ طردها بنو إزناسن من الجبل واستقرت بقبيلة الزكارة.

استوطنت الموقع المذكور فرقة من بني عتيگ من بني إزناسن، اشتهرت باسم تْغاسْروتْ، وإليها يُنسب أولاد لهبيل. ويرجع الفضل لهؤلاء في ذيوع اسم تغاسروت بين قبائل وجدة، حيث صارت إليهم الزعامة ببني إزناسن في نهاية القرن التاسع عشر، بعد أن كانوا يتنافسون مع أولاد البشير بن مسعود من قبيلة بني وَرِيّمَش (بني إزناسن). وتولى عدد منهم منصب "القيادة" خلال النصف الثاني من القرن الماضي أثناء فترة الحماية. ومن أهل تغاسروت ينحدر السيد مبارك البكاي لهبيل، الذي تولى رئاسة الحكومة غداة استقلال المغرب.

قدور الورطاسي، *بنو يزناسن عبر الكفاح*، الرباط، 1976 ؛ عكاشة برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي 1873 ـ 1907*، منشورات جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، 1989.

عكاشة برحاب

تْغَاطْ، أرض غنية بمنطقة وادي نون. ولفظة تغاط تعني الشاة. تميزت البنية الإنتاجية في هذه المنطقة منذ ما قبل ظهور الجمل بأنها رعوية لها عادة وظائفها الذاتية الأساسية لإنتاج وتربية الأبقار والأغنام وتأمين ما يمكن لنمط العيش القروي شبه الترحالي أن يقدمه من الخدمات العامة. من هنا تتجلى أهمية تغاط الرعوية التي يتعدى مجال خدماتها مستوى القرى المجاورة نفسها. إذا كانت كلمة "تغاط" تعني الشاة فذلك لأن تربية الأغنام التي ميزت هذه المنطقة قد جعلت منها أداة لاستقطاب الفصائل القاصية والدانية. التركيز على هذا الجانب يحتم على الباحث الخوض في غمار إشكالية مراقبة المجال وتوضيح صورة التوزيع الحقيقي للفصائل المراقبة لتغاط منذ ما قبل أربعة قرون. لقد جعلت مدونة أسا من وادي نون وداي الحرب نظراً لكثرة الصراعات المحلية حول مراقبة المجال. ومما يثبت أهمية هذه الصراعات في تحديد مفهوم الملكية هو تضارب أنواع الوثائق حتى فيما يخص الأراضي الرعوية (F.C. De La Chapelle, *Les Tekna*, 60). هكذا تتزاحم المقولات وتتضارب من خلال الوثائق المحلية التي تدعي منذ أزيد من أربعة قرون تملك أرض تغاط الغنية (أنظر مادة أزوافيط *بالمعلمة*). بل إن هناك من العائلات المقيمة بتاسريرت (أيت باعمران) التي ما تزال تتوفر على ما يثبت حق تملكها القديم لتغاط. لقد كانت قبيلة إدا أوزال من بين الوحدات المقيمة بوادي نون خلال القرن العاشر (16 م) (F.C. De La Chapelle, *Les Tekna*, 44). وكان يومها جزء هام من فصائل أيت باعمران تتداخل بشكل قوي بفصائل وادي نون. وهو عامل يفسر لماذا ماتزال بعض العائلات التي هاجرت من وادي نون تحافظ لإثبات ارتباطها التاريخي بالمنطقة على ما يلزم من الوثائق.

تقع الآن منطقة تغاط بتراب أزوافيط بعد أن كانت في ملك فصائل لمطية أمازيغية يصعب اليوم تحديد مراحل تنقلها. وإذا أخذنا بعين الاعتبار حدود المقولة الزفاطية نفسها اتضح بأن تطويع أراضي تغاط من أجل الفلاحة ظاهرة لا ترجع إلا إلى حدود القرن التاسع عشر. بل إن أيت احماد أ'علي الزفاطيين يعتبرون عملية التطويع هذه هي السبب الفعلي في تملكها شبراً شبراً، وأن الضرورة المجالية هي التي أهلتهم لتجسيد قوة حربية فعلية حالت دون باقي مربي الماشية والانتفاع من أرض تغاط. هذه الظرفية تسهل جداً اقتلاع التفسير بالسببية الوظيفية للظواهر الحربية والسياسية منذ أقدم الفترات.

مصطفى ناعمي، مواد *أزوافيط* ؛ *أيت بلة* ؛ *التويبيع* ؛ *تيرمسين بالمعلمة* ؛ *بحث ميداني*.

F.C. De la Chappelle, *Les Tekna* ; V. Monteil, *Notes sur les Tekna* ; P. Marty, *Les Tekna*.

مصطفى ناعمي

تْغَاغَطْ، موضع معروف بأعلى مقدمة السفح الجنوبي من كتلة جبل قلعية. والاسم يعني بالأمازيغية المحلية المنحدر الجبلي الشديد الوعورة. ويزيد في تلك الوعورة سيادة الصخور الجرانيتية. والموضع طريق الحوافر إلى هضبة تازوطا الآتية من ازغنغان. وقد تكبد الإسبان أثناء زحفهم نحو هضبة تازوطا خسائر في الأرواح للوصول أثناء مقاومة المجاهد الشريف محمد أمزيان قبل 1912.

خريطة طبوغرافية لسنة 1935 ؛ *تحري ميدان ورواية شفوية*.

حسن الفكيكي

* * يعد أهل تْغَاغْطْ ضمن فصائل قبيلة بني منگوش، ويوجد موطنهم على السفوح الشمالية لجبل بني إزناسن (إقليم وجدة). ويستفاد من بعض الروايات أنهم من البربر الذين نزحوا من قصر المعيز بفگيگ إلى موطنهم الحالي.

انظر مادة بني إزناسن، ج 5، ص. ؛ *كناش الخزانة الحسنية* رقم 192.

Voinot, *Oujda et l'Amalat*, pp. 196 - 197.

عكاشة برحاب

الـتَّغْرْغَـرْتي، أو التاغرغرتي عبد الرحمن بن إبراهيم ابن عبد الله الأندوزالي (تاغرغرت قرية في قبيلة أندوزال) مات والده وهو صغير فربته والدته وعلّمته واشتهر بعبد الرحيم. أخذ عن أبي بكر التاگموتي كثيراً، ومحمد بن حسن الطاطائي، وأحمد التيمگيدشتي، وتخرج عالماً مشاركاً ضليعاً في الحديث وعلومه. وقضى معظم حياته في تعليم أبناء الفقراء بعد الوباء الجارف لعام 1214 / 1799 ـ 1800 وكان دؤوباً على غرس الأشجار المثمرة مستعيناً في

ذلك بكبار تلاميذه، غرس أكثر من ألف شجرة أتت أكلها كلها في حياته، كان مكباً على اختصار أمهات كتب الحديث وانتساخها. وماتزال مؤلفاته ومنتسخاته بخطه عند أحد حفدته.

وأشهر مؤلفات التغرغرتي هو كتاب في *التراجم* لخص فيه *طبقات* الشعراني *وطبقات الحضيكي*، وذيّل عليهما بتراجم شيوخه وبعض معاصريهم العلماء. وهذا الذيل أهم قسم في الكتاب، استفاد منه المختار السوسي وغيره ممن يبحثون في *تاريخ سوس العالمة*.

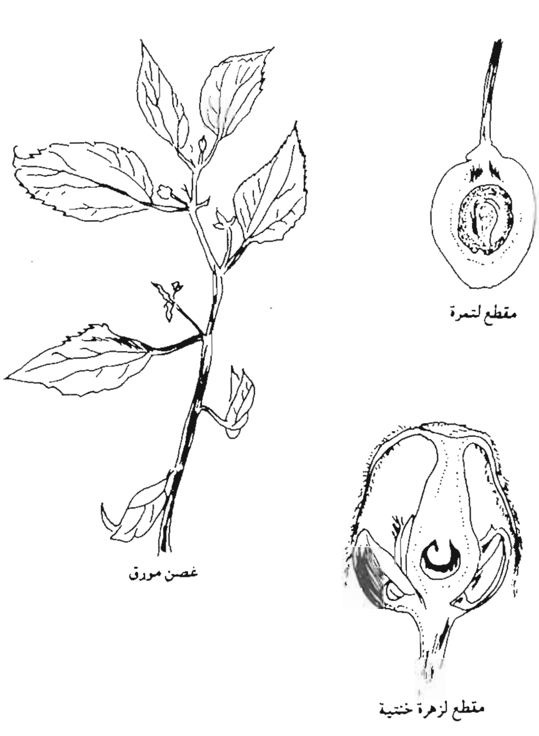
توفي عن سن عالية تناهز التسعين عام 1278 / 61 - 1862.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 18 : 224.

محمد حجي

التّغْزاز، أو أيْقُوب في المغرب، وميْس أو نَشَم في المشرق العربي، ميكُوكُولِيي Micocoulier بالفرنسية. ألفاظ تطلق على نوع شجري يسمى علمياً : سِلْتيسْ أُسْتْراليس Celtis australis وهو ينتمي إلى فَصيلة البوقيصيات Ulmaceae.

التغزاز



تعمر شجرة التغزاز طويلا إذ من الممكن أن يتجاوز عمرها 500 سنة. تاجه كروي الشكل. قشرة جذعه رمادية اللون وملساء. أغصانه الصغيرة زغباء. أوراقه معنقة وزغباء، رمحية أو بيضوية الشكل. تظهر الأزهار والأوراق معا في فصل الربيع. الأزهار صغيرة وقليل منها ذكرية، مجتمعة في ازهارات صغيرة على شكل عناقيد. تظهر الثمار على رؤوس سويقات طويلة، في حجم الجلبان أو حبة صغيرة، ذات لون أصفر أولا، ثم تحمر قبل أن تسود بعد نضجها، ويصير لبها حلو المذاق وبداخله نواة.

يصادف التغزاز في الأودية الرطبة من جبال الأطلس المتوسط والكبير حتى علو 1300 م، وفي جميع الحالات لا يشكل غابة، وإنما تراه منفرداً أو مكوناً لباقات منعزلة.

أما خارج المغرب فهو يعيش في منطقة حوض البحر المتوسط من جزيرة ماديرا غرباً إلى جبال القوقاز وإيران شرقاً. يعطي التغزاز خشباً صلباً ومتيناً يستعمل عادة في إنشا المدراة أو مقبض السوط.

استطلاع ميداني.

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938.

عبد المالك بنعبيد

التّغْصّي أو التغسّي، أسرة تطوانية أصلها من قرية تَغْصّة أو تَغْسّة بفرقة بني الحاج بقبيلة بني گرير الغمارية، ولعل اسم هذه الأسرة كان قبل انتقالها إلى تطوان هو اسم مرسية نسبة لمدينة مرسية الأندلسية (Murcia)، وقد انقرضت أسرة التغصي بتطوان في حين لازالت بها أسرة مرسية.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 52 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegación de Asuntos Indígenas, *Familias ilustres de Tetuán* ; Isidoro de las Cagigas, *Familias tetuaníes de abolengo : Vademecum de Intervenciones (año 1931)*, 1932 ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuaníes de origen español*, 1949.

محمد ابن عزوز حكيم

التفتيش (في الوظيفة العمومية)، تأسس نظام التفتيش في الوظيفة العمومية بالمغرب في الثلاثينات من هذا القرن إبان عهد الحماية. عملت سلطات الاحتلال الفرنسي على إنشائه بعد أن أنهت بناء هيكلتها الإدارية العامة المكلفة بتسيير أمور البلاد وتدبير شؤونها. وهو نظام لم يكن معروفا في مغرب القرون السالفة، وإنما كانت السلطات المخزنية في القرن الثالث عشر (19 م) وما قبله تكلف جماعة معلومة من المحتسبين والأمناء بمراقبة تنفيذ الأحكام السلطانية وإجرائها في مجاريها والإشراف على السير العادي للحياة العامة ومحاربة التخاذل والتكاسل وأنواع الارتشاء والشطط ونهب أموال الدولة والأشخاص.

كان نظام التفتيش الحديث في المغرب منذ تأسيسه تابعاً للنظرية الكلاسيكية الخاصة بالمراقبة السائدة في الإدارة الفرنسية على الخصوص والمجتمعات الغربية على العموم في الثلاثينات. كانت هذه النظرية تعتبر أن الشخص العامل في الوظيفة العمومية قليل الطموح لا يحب العمل ولا يقوم بواجبه على الوجه المطلوب من تلقاء نفسه. وهو بطبعه ميال إلى الخمول والكسل إذا ترك لشأنه دون إشراف عليه، ومع ذلك فهو محب للكسب ويسعى إليه. لذلك عمدت الإدارة إلى تحفيزه بواسطة التفتيش الذي كان دوره يتمثل في حث الموظف على العمل ومراقبته

واغرائه بالحوافز المادية والمعنوية التي يستجيب إليها فكان حسن استجابته وامتثاله للتعليمات الصادرة إليه معادلا للمزيد من التكريم والعطاء والتعويض عن طريق الترقيات والمكافآت المتنوعة.

يكاد لا يخلو أي قطاع من قطاعات الوظيفة العمومية في المغرب من جهاز مكلف بمهمة مراقبة الموظفين وتفتيشهم في مختلف الإدارات مدنية كانت أو عسكرية، عامة أو خاصة. وينقسم طاقم التفتيش عادة إلى أنواع معروفة من المفتشين المتخصصين العاديين والمفتشين العامين ثم المفتشين فوق العادة ولجان التفتيش المتعددة الاختصاصات. وعلى الرغم من اختلاف مهام كل نوع من هذه الأنواع، فإن دورها كلها يتمثل في ضمان السير العادي لمؤسسات الدولة وتطبيق التعليمات ومراقبة أشكال العمل ومستوى المردودية والإنتاج وأساليب تنفيذ المذكرات الصادرة من الدوائر الإدارية العليا في البلاد في كل منطقة وكل إدارة وكل اختصاص.

وتقترن عمليات التفتيش التي يقوم بها المسؤولون المذكورون بزيارة الأشخاص والإدارات وتفحص الوثائق والسجلات وأدوات العمل وتقوم باستجواب العاملين ومقابلتهم وتدقيق النظر في التجهيزات الموجودة في عين المكان. وبعد الاستعانة بمعظم أساليب المراقبة والتحري ينهي المفتشون زيارتهم بكتابة تقارير موجزة أو مطولة حسب الحالات في عدة نسخ رسمية ترفع إلى المسؤولين الإداريين الأعلين. وتتضمن هذه التقارير وصفا دقيقا لواقع الجهة التي تم تفتيشها من حيث التجهيز والتنظيم والتسيير والاجتهادات المسجلة في هذه المجالات والمخالفات المرتكبة مع مجموعة من الاقتراحات القمينة بإصلاح أوضاع غير سليمة في حالة وجودها. وهذه نماذج من أشكال التفتيش نذكرها على سبيل المثال لا الحصر. يقوم المفتشون العامون للشرطة ومفتشو الجمارك والملاحة البحرية مثلا بالبحث عن المخالفات المرتكبة في تطبيق قوانين الدولة في مجال الحياة العامة وأمن البلاد واحترام حدودها ومدى الالتزام بقوانين الملاحة والصيد البحري. ويهتم مفتشو الشغل وإدارة السجون ووزارة العدل بضمان حسن السير العادي للعلاقات بين المشغلين والعمال وتوفير الظروف المناسبة لنزلاء السجون وتطبيق المسطرة في تنفيذ الأحكام بالعدل والتساوي بين الناس. ويراقب مفتشو مكاتب الحالة المدنية والجماعات المحلية ووكالات توزيع الماء والكهرباء مدى دقة التسجيل الديمغرافي للولادات والوفيات وسير إدارة الجماعات القروية والحضرية بشكل يخدم المصلحة العامة وضمان حسن التوزيع للماء والكهرباء وتدقيق الحسابات المتعلقة بصبيب هاتين المادتين والأسعار المتداولة في استخلاص واجباتهما. ويسهر مفتشو الدرك الملكي والقوات المساعدة والقوات المسلحة وغيرها من الإدارات ذات الطابع العسكري على انضباط العاملين فيها للقوانين العسكرية وتنفيذ الأوامر وتحديد السلوكات طبقا لما تنص عليه المسطرة العسكرية. ويوكل إلى مفتشي المالية ومفتشي الاقتصاد والتخطيط بضبط المسائل المالية المتعلقة بالصادرات والواردات وأشكال الإنفاق ومدى تطبيق التعليمات المتعلقة بالتخطيطات التي تحددها الدولة.

م. مرغيني، *الوجيز في القانون الإداري المغربي*، الرباط، 1978 ؛ ع. بنشنهو، *النظام الإداري بالمغرب*، الرباط، د. ت. ؛ الظهير الشريف رقم 1.53.008 بتاريخ 4 شعبان 1377 / 24 أكتوبر 1958 ؛ خ. المير وإ. قاسمي، *التشريع الإداري والتسيير التربوي*، الطبعة الرابعة، الدارالبيضاء ؛ وزارة الشؤون الإدارية، *الوظيفة العمومية تشريعات وقوانين تنظيمية*، الجزء الأول، الرباط، د. ت. ؛ *الجريدة الرسمية* رقم 3764 بتاريخ 23 أكتوبر 1984، وعدد 3308 بتاريخ 23 أكتوبر 1985.

* * والتفتيش في قطاع التعليم اليوم خاضع للمرسوم الوزاري رقم 2.85.742 الصادر بالجريدة الرسمية رقم 3308 بتاريخ 23 أكتوبر 1985 الذي يقسم موظفي وزارة التربية الوطنية، حسب التنظيم الجديد الذي دخل حيز التطبيق ابتداء من الموسم الدراسي 1985 ـ 1986، إلى سبعة أصناف هي : هيئة التأطير والمراقبة التربوية (التفتيش)، هيئة رجال التعليم، هيئة تسيير المصالح الاقتصادية، هيئة التوجيه والتخطيط التربوي، هيئة التوثيق المدرسي والجامعي، هيئة الحراسة التربوية وهيئة المختبرات المدرسية والجامعية.

وتتألف كل هيئة من الهيئات المذكورة من عدة أطر متخصصة تقوم كل منها بمهام تحددها التشريعات التربوية الجاري بها العمل. أما هيئة المفتشين فتحتضن ثلاثة أنواع من التخصصات لكل نوع إطاره الخاص به : مفتشو التعليم ومفتشو التخطيط التربوي ومفتشو المصالح الاقتصادية. وينقسم مفتشو التعليم بدورهم إلى ثلاثة أصناف : مفتشو التعليم الابتدائي (السلك الأول من التعليم الأساسي) ومفتشو التعليم الثانوي ثم المفتشون الممتازون. ويشتمل إطار مفتشي السلك الأول من التعليم الأساسي على درجة واحدة ترتب في سلم الأجور رقم 10 في حين يشتمل إطار مفتشي التعليم الثانوي على درجة واحدة ترتب في سلم الأجور رقم 11. أما إطار المفتشين الممتازين فيتضمن درجة واحدة ترتب خارج السلاليم (الرتبة الاستثنائية أو خارج الإطار).

ويلتحق بمهمة التفتيش في السلك الأول من التعليم الأساسي كل معلم رسمي قضى عشر سنوات على الأقل من الخدمة الفعلية في التدريس واجتاز بنجاح مباراة ولوج المركز الوطني لتكوين مفتشي التعليم بالرباط. وبعد دراسة تستغرق ثلاث سنوات في شعبة السلك الأول من التعليم الأساسي واجتياز امتحان التخرج بنجاح يعين الطالب المفتش المعني مفتشا بإحدى مقاطعات نيابة من نيابات وزارة التربية الوطنية بالمملكة. ويشترط في مفتشي التعليم الثانوي، بالإضافة إلى حصولهم على إجازة جامعية أو ما يعادلها في مادة تخصصهم وأقدمية لا تقل عن

خمس سنوات في العمل واجتياز مباراة الدخول إلى المركز الوطني لتكوين مفتشي التعليم والتخرج بنجاح من شعبة التعليم الثانوي بعد دراسة تستغرق سنتين. ويتم الالتحاق بإطار المفتشين الممتازين بعد قضاء خمس سنوات من العمل الفعلي على الأقل في مهمة التفتيش بالتعليم الثانوي والتسجيل في لوائح الترقية للدرجة الممتازة والحصول على التزكية الإدارية. ولا تتم الترقية خارج الإطار إلا في حدود المناصب المالية الشاغرة في كل سنة.

وقد كانت هذه المهمة قبل تأسيس المركز الوطني لتكوين مفتشي التعليم تسند إلى معلمين رسميين يقومون مقام المفتشين في السلك الأول من التعليم الأساسي وإلى أساتذة من السلك الأول أو الثاني يكلفون بتفتيش المواد المختلفة التخصصات مقابل تعويضات عن التنقل والإقامة والمهام.

ويكلف مفتشو التعليم على اختلاف درجاتهم وأطرهم بالتأطير والمراقبة التربوية للمدرسين العاملين في المؤسسات العمومية الخاصة ومؤسسات تكوين الأطر ويتتبعون تكوين واستكمال تكوين هذه الأطر ويساهمون في تنظيم وتسيير وإجراء الامتحانات والمباريات التعليمية والتربوية والمهنية. وعند الاقتضاء يسند إليهم الوزير المكلف بالتربية الوطنية مهمة القيام بدراسات في مجال التربية والتعليم والمشاركة في تأليف الكتب المدرسية ومراجعة المناهج والبرامج الدراسية ومباشرة تقويمها وإنجاز أبحاث فردية أو جماعية قصد تحسين مردودية التربية والتعليم.

عبد الله الاشقر، *منطلقات إشكالية ومبادئ لتأسيس استراتيجية الاشراف التربوي*، ندوة الاشراف التربوي بين النظرية والممارسة، الدار البيضاء، 22-23 أبريل 1994؛ *الجريدة الرسمية* رقم 3308 بتاريخ 23 أكتوبر 1985؛ خالد المير وإدريس القاسمي، *التشريع الإداري والتسيير التربوي*، الدار البيضاء، 1982؛ عبد العزيز أمين، *الاشراف التربوي واقع وآفاق*، المجلة التربوية عدد 2؛ محمد عابد الجابري، *من أجل رؤية تقدمية لبعض مشكلاتنا الفكرية والتربوية*، الدار البيضاء، 1981؛ محمد بوسلام، *تفتيش التعليم بين النصوص والواقع*، بحث لنيل دبلوم مفتش التعليم الثانوي، المركز الوطني لتكوين مفتشي التعليم، الرباط، 1986-1987.

R. Gloton, *A la recherche de l'école de demain*, Paris 1970 ; P. Paillet, *Faut-il planifier l'éducation ?* Paris, 1974 ; *Le problème de l'inspection et l'éducation nouvelle*, Rabat, [s.d.] ; A. Baina, *Le système de l'enseignement au Maroc*, Casablanca, 1981; I.C.E.M., *L'inspection en question*, Nov. 1982, s.l.

محمد بوسلام

التفرسيتي ابن سلام، هم جماعة من القواد من أبناء وحفدة سلام بن الطيب الذي كان من القواد الأوائل المنتمين إلى هذه الأسرة. وكان لسلام أربعة أبناء: حمادي وهو أكبرهم، وعمر، ومحمد، وعبد السلام. ولأسباب تعود إلى النزاع بين الأسر على السلطة المحلية قُتل حمادي وعمر.

وحينما أظهرت الوثائق المخزنية خضوع قبيلة تفرسيت للنظام الإداري الجديد المستحدث بالقبائل، والمتميز بتوزيع القبيلة الواحدة إلى عدة قيادات، طبقاً لرغبات أهلها، وجدنا من اسمه عمر بن سلام التفرسيتي قائداً على خمس جماعات وذلك قبل عام 1301. خلفاً لوالده سلام بن الطيب ثم اتسعت شقة الخلاف بين أبناء سلام إلى شقين :

- طائفة يمثلها محمد بن سلام، وابن أخيه عياد بن عمر بن سلام وسنه ست عشرة سنة. كانا مدفوعين للمطالبة بالقيادة بمساندة العربي الوليشكي قائد بني وليشك المجاورين لتفرسيت من جهة الشمال. وانضافت إلى هذا النزاع جماعة من بني توزين تدعى بني بُويري، مستقرة بين أيت إبراهيم وأيت ملول. وبذلك تم تعيين محمد بن سلام خلفاً لأخيه عمر. إلا أن هذا توفي خلال الأيام الأولى من ربيع الأول 1301 / يناير 1884.

- طائفة يقودها عبد السلام بن سلام، ظهرت رغبته في السلطة إثر وفاة أخيه محمد، مما جعله يستولي على أملاك أخيه عمر ويحاول القبض على ابنه عياد بن عمر الذي بادر بالفرار إلى بني وليشك. ووقف في صف عبد السلام بن سلام المرابط المختار محمد بوجدّين. صاحب زاوية بوجدّين التوزانية. وللتوصل إلى غرضه جمع عبد السلام بن سلام أعيان جماعات إمَاجيرَنْ، وبُوحْفُورَة والبَراغثة ونصف جماعة زْرَاولْة، وهي مندرجة في فرقة بني مَحَمَّد إلى جانب جماعة مزْدَلأصَة المنتمية إلى فرقة بني خالد. وتوجه بهم إلى فاس قصد الاشهاد على تعيينه كما جرت به العادة. وبذلك أصبح قائداً على تلك الجماعات ابتداء من 29 ربيع الأول 1301 / 28 يناير 1884.

ورغم ما قام به عبد السلام بن سلام من استرجاع ابن أخيه عياد إلى صفه (1304) ومصالحة الجماعة المتمردة عليه، فإن ذلك لم يخفف من تحرشات العربي الوليشكي، أو من تدخلات جماعة بني بويري الذين كانوا أكثر خطراً عليه، إذ أدى بهم الأمر إلى الهجوم على داره وهدمها وإخلاء ساكنيها والاستحواذ على ما كان بها من الممتلكات، مما حمله على التوجه إلى البحث عن المساعدة المخزنية، فظل ينتظر بفاس تسعة أشهر، وإلى غاية رجب 1307 / فبراير - مارس 1890 كان لا يزال بالمكان ليعود بدون نتيجة. وبمجرد عودته تم طرده فخرج هارباً إلى المطالسة المجاورة لقبيلته، ولم يعد إليها إلا تحت حماية المحلة المخزنية الواردة في محرم عام 1310. وفي 23 منه كتب إلى السلطان : "... حينما خيمت المحلة بواد كرط، يوم ورودها من الحضرة العالية، طلبنا منهم (كذا) النزول على أهل تفرسيت والتضييق بهم. فإن جميع أهل الريف ينظرون إلى عاقبتهم. فإن أهل تفرسيت حين نهضت المحلة لسلوان، دخلوا لهم أهل الوسوسة كالتوزاني (محمد أمغار)، ونقلوا جميع متاعهم لفخذة من بني توزين يعينونهم على الفساد. وهم بني بُسير. فالمطلوب أن يأمر أخاه سيدي عثمان بالتضييق علَيهم حتى يؤدوا ما بذمتهم من الحقوق ويتركون (كذا) اللّف مع أهل تفرسيت 23 محرم 1310".

استمر عبد السلام بن سلام في استمداد المخزن والإلحاح على إعادة بناء قصبة تفرسيت، ولم يتحقق عقاب

التفرسيتيين إلا في بداية 1313 على يد رئيس المحلة محمد الأمراني. ورغم ذلك فإنهم أصروا على تولية التفرسيتي عمرو بن عبد الله. وحينما أعيى السلطان أمرهم لبى رغبتهم وعزل عبد السلام ابن سلام بالأمر السلطاني الصادر إليه في 24 قعدة 1316 / 6 أبريل 1899.

وثائق مخزنية خاصة ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 93.

حسن الفكيكي

التَّفْرَوُسْتِي، عبد الله بن حسين الدرعي، التَّلْكَمْتي - بجيم معقودة -، نسبة إلى تَفْرَوُست، وهو مدشر يقع على الضفة اليسرى لوادي درعة، على بعد حوالي عشرين كلم شمالي زاگورة. ترجم له مَحمد بن عبد الله الخليفتي فقال عنه : "الشيخ الصالح العالم العلامة الدراك الفهامة... ذي الخلق الحسنة والسجية المرضية، كان إماما عالما عاملا، فقيها تابعاً للسنة، زاهدا، تقيا، تاليا لكتاب الله تعالى آناء الليل وأطراف النهار..." (*الدرة الجليلة*، 225).

انخرط التَّفْرَوُسْتي في سلك الناصريين على يد الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي. وهو الذي أمره بالانتقال إلى تَلْجَمْت - وتسمى أيضا تافشْنة - شمال شرقي زاگورة، على بعد حوالي ستين كلم منها. بعث به إلى تلك القرية ليقوم بتعليم أهلها وإرشادهم، وبث تعاليم الطريقة هنالك ؛ فاستنابه به عنه في تلقين الأوراد الناصرية (*الدرة الجليلة*، 225). واستوطن تلك البلدة وحسنت سيرته، فانكب على التدريس والإفتاء طيلة حياته. ولاشك أنه قام بدور بالغ الأهمية من أجل ترسيخ التعاليم الاسلامية وتكريس الثقافة العربية في تلك الجهات النائية. وكان هو وباقي تلاميذ الناصريين المنبثين في تلك الجهات يشكلون حلقات متواصلة في سلسلة الطريقة القوية آنذاك، والتي عملت كلها من أجل تلك المبادئ. وهكذا كانت بينه وبين عبد الله الخليفتي المتوفى سنة 1196 / 1782، مراسلات من بينها رسالة أثبتها الخليفتي الابن في كتاب الدرة الجليلة، نتبين من خلالها مدى العلاقة التي كانت تربط بين الرجلين كتلميذين للشيخ أحمد ابن ناصر (*الدرة الجليلة*، 226).

وكان التفروستي من أشهر فقهاء تلك المنطقة، حيث تخرج على يديه تلاميذ كثيرون من بينهم عبد الله الخليفتي سابق الذكر. وقد أشار في كتابه الدرر اللوامع، الذي نقل عنه ابنه ترجمة التفروستي إلى أن والده استفاد من المترجم "فوائد".

ولم يشر الخليفتي الذي انفرد بالترجمة له، إلى تاريخ وفاته، ونرجح أن يكون قد توفي بعد وفاة والده، أي بعد سنة 1196 / 1782.

محمد بن عبد الله الخليفتي، *الدرة الجليلة*، تح. أحمد عمالك، 1986.

أحمد عمالك

تم طبع هذا الجزء من معلمة المغرب بمطابع سلا
في شوال عام 1415 / مارس 1995

مطابع سلا
الحي الصناعي لتابريكت - سلا
الهاتف : 85.06.92 / 78.87.02 (07)

«sala»
IMPRIMERIE DE SALÉ
Zone Industrielle de Tabriquet - SALÉ
(07) 78.87.02 / 85.06.92

ISBN (Ensemble) 9981 - 03 - 000 - 7
ISBN (Tome VII) 9981 - 03 - 007 - 4

Encyclopedie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

7

Publiée par

L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication

Editée par

L'Imprimerie de Salé

1995 - 1415

وقائع سياسية واقتص

التقسيم الزمني	المغرب والأندلس
1050 / 442	
1053 / 445	المرابطون يفتحون سجلماسة على آخر أمير مغراوي.
1055 / 447	
1057 / 449	المرابطون يدخلون اغمات.
1062 / 454	تأسيس مراكش.
1064 / 456	وفاة ابن حزم.
1069 / 462	المرابطون يفتحون فاسا.
1071 / 463	
1075 / 468	تدخل المرابطين في غانا.
1085 / 478	سقوط طليطلة.
1086 / 479	وفاة زعيم المرابطين أبي بكر بن عمر.
1086 / 479	انتصار المرابطين بمعركة الزلاقة بالأندلس.
1090 / 483	
1099 / 492	
1106 / 500	وفاة يوسف، بن تاشفين.
1109 / 503	إحراق كتب الغزالي في إيالة المرابطين.
1111 / 505	
1116 / 510	ابن تومرت يبدأ عودته من المشرق.
1117 / 511	سقوط سرقسطة.
1121 / 515	ابن تومرت يتسمى مهدياً.
1125 / 518	استقرار ابن تومرت بتينمل وبداية حركة الموحدين.
1130 / 524	وفاة المهدي بن تومرت.
1146 / 541	الموحدون يدخلون مراكش.
1149 / 544	وفاة القاضي عياض.
1163 / 558	وفاة عبد المؤمن بن علي.
1171 / 566	

الإسلامي

وثقافية واجتماعية

المواقع الرئيسية	في بقية العالم الإسلامي
	وصول قبائل بني هلال إلى إفريقية.
سجلماسة	
بغداد	الأتراك السلاجقة ببغداد.
القصبات	
فاس	
	انتصار الأتراك السلاجقة على البزنطيين في مانزكرت.
غانا	
كانم	اعتناق ملك كانم الإسلام.
صقلية	استيلاء النورمانديين على صقلية.
الأندلس	
	أول إشارة إلى البوصلة عند العرب.
القدس	استيلاء الصليبيين على القدس.
مراكش	
	وفاة الغزالي.
سرقسطة	
تينمل	
مراكش	
سبتة	
	نهاية دولة بني حماد.
	نهاية دولة بني زيري.

Encyclopédie du Maroc

7